98

كتاب قصص الانبياء المسمى بالعرائس
تأليف الامام العالم العلامة ابن اسحق
أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي
تغمده الله برحمته وأسكنه
فسيح جنته
آمين

Ibn-Isḥāq Aḥmad ibn-Muḥammad ibn Ibrāhīm al-Thaʿlabi.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده والصلاة على محمد وآله قال الاستاذ أبو اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي رحمه الله تعالى هذا كتاب يشتمل على قصص الانبياء المذكورة في القرآن بالشرح والله المستعان وعليه التكلان

(باب في ذكر بعض وجوه الحكمة في تقصيصه تعالى أخبار الماضين على سيد المرسلين)

قال الله تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك قالت الحكماء ان الله تعالى قص على المصطفى صلى الله عليه وسلم أخبار الماضين من الانبياء والامم الخالية لخمسة أمور أي حكم (الحكمة الاولى) منها أنه اظهار لنبوته صلى الله عليه وسلم ودلالة على رسالته وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أميا لم يختلف الى مؤدب ولا الى معلم ولم يفارق وطنه بمدة يمكنه فيها الانقطاع الى عالم يأخذ عنه علم الاخبار ولم يعرف له طلب شيء من العلوم الى أن كان من أمره ما كان فنزل عليه جبريل عليه السلام ولقنه ذلك فأخذ يحدث الناس بأخبار من مضى من القرون وسير الانبياء الماضين والملوك المتقدمين فمن كان من قومه عاقلا موفقا صدق بما يوحي الله اليه واخباره اياه بذلك فآمن به وصدقه وكان ذلك معجزة له ودليلا على صحة نبوته ومن كان منهم عدوا معاندا حسده وجحده وأنكر ما جاء به وقال كما أخبر الله تعالى وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا قال الله تعالى تكذيبا لهم

وتصديقا للنبي عليه السلام قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض (والحكمة الثانية) أنه انما قص عليه القصص ليكون له أسوة وقدوة بمكارم أخلاق الرسل والانبياء المتقدمين والاولياء والصالحين فيما أخبر الله تعالى عنهم وأثنى عليهم ولتنتهي أمته عن أمور عوقبت أمم الانبياء بمخالفتها عليها واستوجبوا من الله بذلك العذاب والعقاب وتمم الله له بذلك معالي الاخلاق فلما امتثل أمر الله تعالى واستعمل أدب الانبياء أثنى الله عليه فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها حين سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان خلقه القرآن (والحكمة الثالثة) أنه انما قص عليه القصص تثبيتا له واعلاما بشرفه وشرف أمته وعلو أقدارهم وذلك أنه لما نظر الى أخبار الامم قبله علم أنه عوفي هو وأمته من كثير مما امتحن الله به الانبياء والاولياء وخفف عنهم في الشرائع ورفع عنهم الاثقال والاغلال التي كانت على الامم الماضية كما قال بعض المتأولين في تفسير قوله تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ان النعمة الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة تضعيف الصنائع قال تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج وقال تعالى يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا فلما قص الله تعالى هذه القصص على نبيه رأى فضل نفسه وفضل أمته وعلم ان الله خصه هو وأمته بكرامات لم يخص بها أحدا من الانبياء والامم فوصل قيام ليله بنهاره وصيامه بقيامه لا يفتر عن عبادة ربه أداء لشكره حتى تورمت قدماه فقيل يا رسول الله أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ثم افتخر عليه السلام فقال بعثت بالحنيفية السمحة (والحكمة الرابعة) أنه انما قص الله تعالى عليه القصص تأديبا وتهذيبا لامته وذلك أنه ذكر الانبياء وثوابهم والاعداء وعقابهم ثم ذكر في غير موضع تحذيرا اياهم عن صنع الاعداء وحثهم على صنع الاولياء فقال تعالى لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين وقال لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب وقال وهدى وموعظة للمتقين ونحوها من الآيات وكان الشبلي رحمه الله تعالى يقول في هذه الآيات اشتغل العام بذكر القصص واشتغل الخاص بالاعتبار من القصص (والحكمة الخامسة) أنه قص عليه أخبار الانبياء والاولياء الماضين احياء لذكرهم وآثارهم ليكون المحسن منهم في ابقائه ذكره مثبتا له تعجيل جزاء في الدنيا حتى يبقى ذكره وآثاره الحسنة الى قيام الساعة كما رغب خليل الله ابراهيم عليه السلام في ابقاء الثناء الحسن فقال واجعل لي لسان صدق في الآخرين والناس أحاديث يقال ما مات ميت والذكر يحييه وقيل ما أنفق الملوك والاغنياء الاموال على المصانع والحصون والقصور الا لبقاء الذكر وأنشدنا ناصر بن محمد المروزي قال أنشد في الدريدي

وانما المرء حديث بعده ❊ فكن حديثا حسنا لمن وعى

﴿ مجلس فى صفة خلق الارض ﴾

قال الله تعالى الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء الآية ونظائرها كثيرة فى القرآن واعلم أن الكلام فى نعت خلق الارض على سبعة أبواب

﴿ الباب الاول فى بدء خلق الارض وكيفيتها ﴾

روت الرواة بألفاظ مختلفة ومعان متفقة ان الله تعالى لما أراد أن يخلق السموات والارض خلق جوهرة خضراء أضعاف طباق السموات والارض ثم نظر اليها نظر هيبة فصارت ماء ثم نظر الى الماء فغلى وارتفع منه زبد ودخان و بخار وارعد من خشية الله فمن ذلك اليوم يرعد الى يوم القيامة وخلق الله من ذلك الدخان السماء فلذلك قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان أى قصد وعمد الى خلق السماء وهى بخار وخلق من ذلك الزبد الارض فأول ما ظهر من الارض على وجه الماء مكة فدحا الله الارض من تحتها فلذلك سميت أم القرى يعنى أصلها وهو قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها ولما خلق الله الارض كانت طبقا واحدا ففتقها وصيرها سبعا وذلك قوله تعالى أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما ثم بعث الله تعالى من تحت العرش ملكا فهبط الى الارض حتى دخل تحت الارضين السبع فوضعها على عاتقه احدى يديه فى المشرق والاخرى فى المغرب باسطتين قابضتين على قرار الارضين السبع حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فأهبط الله تعالى من أعلى الفردوس ثورا له سبعون ألف قرن واربعون ألف قائمة وجعل قرار قدمى الملك على سنامه فلم تستقر قدماه فأحدر الله ياقوتة خضراء من أعلى درجة من الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة عام فوضعها بين سنام الثور الى أذنه فاستقرت عليها قدماه وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار الارض وهى كالحسكة تحت العرش ومنخر ذلك الثور فى البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فاذا تنفس مد البحر واذا رد نفسه جزر ولم يكن لقوائم الثور موضع قرار فخلق الله تعالى صخرة خضراء غلظها كغلظ سبع سموات وسبع أرضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهى الصخرة التى قال لقمان لابنه يابنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أوفى السموات أوفى الارض يأت بها الله الآية روى أن لقمان لما قال له هذه الكلمة انفطرت من هيبتها مرارته ومات وكانت آخر موعظته فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم اسمه لوتيا وكنيته بلهوت ولقبه بهموت فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال قال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة وثقل الدنيا وما عليها حرفان من كتاب

الله تعالى قال لها الجبار كوني فكانت فذلك قوله عز وجل انما أمرنا الشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون ولذلك قال بعض حكماء الشعراء

لا تخضعن لمخلوق على طمع ❊ فان ذلك نقص منك في الدين
واسترزق الله مما في خزائنه ❊ فان رزقك بين الكاف والنون
واستغن بالله عن دنيا الملوك كما ❊ استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال كعب الاحبار ان ابليس تغلغل الى الحوت الذي على ظهره الارض فوسوس اليه وقال له أتدري ما على ظهرك يا لوتيا من الامم والدواب والشجر والجبال وغيرها لو نفضتهم ما ألقيتهم عن ظهرك أجمع لكان ذلك أريح لك قال فهم لوتيا أن يفعل ذلك فبعث الله تعالى اليه دابة فدخلت في منخره فوصلت الى دماغه فعج الحوت الى الله تعالى منها فاذن الله تعالى لها فخرجت قال كعب الاحبار فوالذي نفسي بيده انه لينظر اليها وتنظر اليه ان هم بشيء من ذلك عادت كما كانت وهذا الحوت الذي أقسم الله تعالى به فقال ن والقلم وما يسطرون ثم قالوا ان الارض كانت تتكفأ على الماء كما تتكفأ السفينة على الماء فارساها الله تعالى بالجبال وذلك قوله تعالى والجبال أرساها وقوله تعالى والجبال أوتادا وقوله تعالى والقى في الارض رواسي ان تميد بكم يعني لكي لا تتحرك بكم قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أول ما خلق الله الارض عجت وقالت يا رب تجعل على بني آدم يعملون على الخطايا ويلقون على الخبائث فاضطربت فأرساها الله تعالى بالجبال فأقرها وخلق الله تعالى جبلا عظيما من زبرجدة خضراء خضرة السماء منه يقال له جبل قاف فأحاط بها كلها وهو الذي أقسم الله به فقال ق والقرآن المجيد وقال وهب ان ذا القرنين أتى على جبل قاف فرأى حوله جبالا صغارا فقال له من أنت قال أنا قاف قال فاخبرني ما هذه الجبال التي حولك فقال هي عروقي فاذا أراد الله أن يزلزل أرضا أمرني فحركت عرقا من عروقي فتتزلزل الارض المتصلة به فقال يا قاف أخبرني بشيء من عظمة الله تعالى فقال ان شأن ربنا العظيم تقصر عنه الصفات وتنقضي دونه الاوهام قال فأخبرني بأدنى ما يوصف منها قال أن ورائي أرضا لمسيرة خمسمائة عام من جبال الثلج يحطم بعضها بعضا ومن وراء ذلك جبال من البرد مثلها لولا ذلك الثلج والبرد لاحترقت الدنيا من حر جهنم قال زدني فقال ان جبريل عليه السلام واقف بين يدي الله تعالى ترعد فرائصه فيخلق الله من كل رعدة مائة ألف ملك وهم صفوف بين يدي الله تعالى منكسو رؤسهم لا يؤذن لهم في الكلام الى يوم القيامة فاذا أذن الله تعالى لهم في الكلام قالوا لا اله الا الله وهو قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا يعني لا اله الا الله وروى يزيد بن هرون عن العوام بن حوشب عن سليمان بن أبي سليمان عن أنس بن

مالك رضي الله عنه قال لما خلق الله تعالى الارض جعلت تميد فخلق الجبال وألقاها عليها فاستقامت فعجبت الملائكة من شدة الجبال فقالت يارب هل من خلقك شئ أشد من الجبال قال نعم الحديد فقالت يارب هل من خلقك شئ أشد من الحديد قال نعم النار فقالت يارب هل من خلقك شئ أشد من النار قال نعم الماء فقالت يارب هل من خلقك شئ أشد من الماء قال نعم الريح فقالت يارب هل من خلقك شئ أشد من الريح قال نعم الانسان يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله

﴿الباب الثاني في حدود الارض ومسافتها وأطباقها وسكانها﴾

روى عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال بين كل أرض الى التى تليها مسيرة خمسمائة عام وهى سبعة أطباق الارض الاولى هذه فيها سكانها والارض الثانية مسكن الريح ومنها تخرج الرياح المختلفة كما قال تعالى وتصريف الرياح وفى الارض الثالثة خلق وجوههم مثل وجوه بنى آدم وأفواههم مثل أفواه الكلاب وأيديهم كايدى الانس وأرجلهم كارجل البقر وآذانهم كآذان المعز وأشعارهم كاصواف الضأن لا يعصون الله طرفة عين ليس لهم أثواب ليلنا نهارهم ونهارهم ليلنا والارض الرابعة فيها حجارة الكبريت التى أعدها الله لاهل النار تسجر بها جهنم قال النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان فيها الاودية من كبريت لو أرسلت فيها الجبال الرواسى لانماعت قال وهب بن منبه هى مثل الكبريت الاحمر الصخرة منها مثل الجبل العظيم وهى التى قال الله تعالى فيها وقودها الناس والحجارة ❊ أخبرنا أبو بكر بن عبدوس بن المزنى قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يونس المقرى قال حدثنا محمد بن منصور قال حدثنا أحمد بن الليث قال حدثنا أبو حفص عمر بن حفص القشيرى قال حدثنا على بن الحسين قال سمعت منصور بن عمار يقول بينما أنا أردت الحج اذ دفعت الى الكوفة ليلا وكانت ليلة مدلهمة فانفردت من أصحابى ثم دنوت الى زقاق باب دار فسمعت بكاء رجل وهو يقول فى بكائه الهى وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتى مخالفتك ولكنى عصيتك اذ عصيتك بجهلتى وخالفتك اذ خالفتك لشقوتى فالآن من عذابك من ينقذنى وبحبل من اتصل اذا انقطع حبلك عنى واذنوباه واغوثاه يا الله قال منصور فابكانى والله فوضعت فى على شق الباب وقلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة الآية قال فسمعت عند ذلك اضطرابا بايد شدائم خمد الصوت فوضعت حجرا على الباب لأعرف الموضع فلما أصبحت غدوت اليه فاذا بأكفان أصلحت وعجوز تدخل الدار باكية وتخرج باكية فقلت لها يا هذه ما هذا الميت

لك فقالت اليك عني يا عبد الله لا تجدد علي أحزاني فقلت اني أريد هذا الوجه الله الكريم
لعلك تستودعيني دعوة فاني منصور بن عمار واعظ أهل العراق قالت يا منصور هذا
ولدي قلت فما كانت صفته قالت كان من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتسب
ما يكتسب فيجعله أثلاثا ثلثا لي وثلثا للمساكين وثلثا يفطر عليه وكان يصوم النهار
ويقوم الليل حتى اذا كان آخر ليلة أخذ في بكائه وتضرعه فمر رجل في هذه الليلة وتلا
آية من كتاب الله تعالى فلم يزل حبيبي يضطرب حتى أصبح وقد فارق الدنيا رحمه الله
تعالى ❊ وقال منصور بن عمار دخلت يوما خربة فوجدت شابا يصلي صلاة الخائفين
فقلت لنفسي ان لهذا الفتى لشأنا عظيما لعله من أولياء الله تعالى فوقفت حتى فرغ من
صلاته فلما سلم سلمت عليه فرد علي فقلت له ألم تعلم أن في جهنم وادا يسمى لظى نزاعة
للشوى تدعو من ادبر وتولى وجمع فأوعى فشهق شهقة وخر مغشيا عليه فلما أفاق قال
زدني فقلت يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة الآية
فخر ميتا فلما كشفت ثيابه عن صدره رأيت عليه مكتوبا بقلم القدرة فهو في عيشة
راضية في جنة عالية قطوفها دانية فلما كانت الليلة الثانية نمت فرأيته في المنام جالسا
على سرير وعلى رأسه تاج فقلت له ما فعل الله بك فقال أتاني ثواب أهل بدر وزادني
فقلت له لم قال لانهم قتلوا بسيف الكفار وأنا قتلت بسيف الملك الجبار ❊ والارض
الخامسة فيها عقارب أهل النار كأمثال البغال لها أذناب كأمثال الرماح لكل ذنب
منها ثلثمائة وستون فقارا في كل فقار ثلثمائة وستون فرقا من السم كل فرق منها ثلثمائة
وستون قلة من سم لو وضعت قلة من ذلك السم في وسط الارض لمات جميع أهل
الدنيا من نتنه وفسد منه كل شئ وفيها أيضا حيات أهل النار كأمثال الاودية لكل
حية منها ثمانية عشر ألف ناب كل ناب منها كالنخلة الطويلة في أصل كل ناب ثمانية عشر
ألف قلة من السم لو أمر الله حية منها أن تضرب بناب من أنيابها أعظم جبل في
الارض لهدته حتى يعود رميما وانها لتلقى الكافر فتسمه فتقطع مفاصله ❊ والارض
السادسة فيها دواوين أهل النار وأعمالهم وأرواحهم الخبيثة واسمها سجين قال الله
تعالى كلا ان كتاب الفجار لفي سجين ❊ والارض السابعة جعلها الله مسكنا لابليس
وجنوده وفيها عشه في احد جانبيه سموم وفي الآخر زمهرير وقد احتوشته جنوده
من المردة وعتاة الجن ومنها يبث سراياه وجنوده فأعظمهم عنده منزلة أعظمهم فتنة
لبني آدم ❊ وروى سلمة بن كهل عن أبي الزرقاء عن عبد الله قال الجنة اليوم في السماء
السابعة فاذا كان غدا جعلها الله حيث يشاء والنار اليوم في الارض السفلى فاذا كان
غدا جعلها الله حيث يشاء وأما بعد قعر الارض فكفيك به حديث قارون حيث
خسف الله به الارض وبداره وباموالها ففي الخبر أنه يخسف به كل يوم مقدار قامة

فلا يبلغ قعرها الى يوم القيامة وقال النبي عليه الصلاة والسلام بينما رجل يتبختر في برديه وينظر في عطفيه وقد أعجبته نفسه فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة

﴿ الباب الثالث في ذكر الايام التي خلق الله تعالى فيها الارض ﴾

قال الله تعالى قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الآية قال أبو اسحق قال حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد القطان قال حدثنا أحمد بن الحسين بن شاذان قال حدثنا ابراهيم بن يحيي قال حدثنا صفوان بن سليم قال حدثنا أيوب بن خالد الانصاري قال حدثنا عبد الله بن أبي رافع قال حدثنا أبو هريرة قال حدثنا أبو القاسم محمد صلى الله عليه وسلم فقال خلق الله الارض يوم السبت والجبال يوم الاحد والاشجار يوم الاثنين والظلمات يوم الثلاثاء والنور يوم الاربعاء والدواب يوم الخميس وآدم يوم الجمعة

﴿ الباب الرابع في ذكر اسمائها وألقابها ﴾

قال وهب بن منبه الاولى من الارض تسمى أديما والثانية بسيطا والثالثة ثقيلا والرابعة بطحا والخامسة متثاقلة والسادسة ماسكة والسابعة ثرى * وأما أسماؤها المذكورة في القرآن فهي سبعة أيضا سماها الله فراشا فقال الذي جعل لكم الارض فراشا وسماها قرارا فقال أم من جعل الارض قرارا وسماها رتقا فقال أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا وسماها بساطا فقال والله جعل لكم الارض بساطا وسماها مهادا فقال ألم نجعل الارض مهادا وسماها ذات الصدع فقال والارض ذات الصدع يعني بالنبات وسماها كفاتا فقال ألم نجعل الارض كفاتا * قال خالد بن سعيد كنت أمشي مع الشعبي بظهر الكوفة فنظر الى بيوت الكوفة فقال هذه كفات الاحياء ثم نظر الى المقبرة فقال هذه كفات الاموات (ويحكى) ان عبد الله بن طاهر لما قدم نيسابور صحبه من أولاد المجوس شاب متطبب يدعي تحقيق الكلام واظهر مسئلة تحريق الانفس بالنار وكان يزعم ان الجسد كثيف منتن في حال الحياة فاذا مات فلا حكمة في دفنه والتسبب الى زيادة نتنه وان الواجب احراقه واذراء رماده فقيل لبعض الفقهاء ان الناس قد افتتنوا بمقالة هذا المجوسي فكتب الفقيه الى عبد الله بن طاهر ان اجمع بيننا وبين هذا المجوسي لنسمع منه فاجتمعوا عند عبد الله فلما تكلم المجوسي بمقالته تلك قال له الفقيه أخبرنا عن صبي تدعيه أمه وحاضنته أيهما أولى به فقال له الام فقال ان هذه الارض هي الام منها خلق الخلق فهي أولى بأولادها آن يردوا اليها فأفحم المجوسي وأنشد في معناه لأمية بن أبي الصلت

والارض معقلنا وكانت أمنا ❊ فيها مقابرنا وفيها نولد

وسئل يحيى بن معاذ الرازى ان ابن آدم يدرى ان الدنيا ليست بدار قرار فلم يطمئن اليها قال لانه منها خلق فهى أمه وفيها نشأ فهى عشه ومنها رزق فهى عيشه واليها يعود فهى كفاته وهى ممر الصالحين الى الجنة

❊ الباب الخامس فى ذكر ما زين الله به الارض ❊

وهى سبعة أشياء الازمنة وزين الازمنة بأربعة أشهر قال الله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم فالاربعة الاشهر الحرم منها ثلاثة سرد وواحد فرد فالثلاثة السرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم والفرد رجب والامكنة وزينها بأربعة أشياء مكة والمدينة وبيت المقدس ومسجد العشائر وزينها أيضا بالانبياء عليهم السلام وزين الانبياء بأربعة ابراهيم الخليل وموسى الكليم وعيسى الوجيه ومحمد الحبيب صلوات الله عليهم أجمعين وهم أهل الكتب وأصحاب الشرائع وأولوا العزم وزينها أيضا بآل محمد صلى الله عليه وسلم وزينهم أيضا بأربعة علىّ وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم (وروى) يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر فلما انتقل من الصلاة أقبل علينا بوجهه الكريم فقال معاشر المسلمين من افتقد الشمس فليستمسك بالقمر ومن افتقد القمر فليستمسك بالزهرة ومن افتقد الزهرة فليستمسك بالفرقدين فقيل يارسول الله ما الشمس وما القمر وما الزهرة وما الفرقدان فقال أنا الشمس وعلىّ القمر وفاطمة الزهرة والحسن والحسين الفرقدان فى كتاب الله تعالى لا يفترقان حتى يردا علىّ الحوض وزينها أيضا بالصحابة وزينهم أيضا بأربعة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وهم الخلفاء الراشدون والائمة المرضيون رضى الله عنهم أجمعين (وروى) عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يجتمع حب هؤلاء الاربعة الا فى قلب مؤمن قال أنس قد اجتمع حبهم فى قلبى والحمد لله وزينها أيضا بالمؤمنين وزينهم بأربعة العلماء والقراء والغزاة والعباد وزينها أيضا بأنواع الحيوانات والنباتات والجمادات

❊ الباب السادس فى عاقبتها وما لها وآخر حالها ❊

اعلم ان الله تعالى وعدها بسبعة أشياء أحدها التبديل وهو قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض وفى الخبر يؤتى بأرض بيضاء من فضة كالخبز النقى الحوارى لم يعص عليها قط طرفة عين ولا وصم فيها ولا قصم مستوية كالصلب المهند والثانى الزلزلة قال الله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل وتظهر الفتن ويكثر الهرج قيل وما الهرج يارسول الله قال القتل فاذا أكلت أمتى الربا كانت الزلزلة واذا جاروا فى الحكم

احتر أعليهم العدو واذا ظهرت الفاحشة كان الوباء والموت واذا منعوا الزكاة قحطوا ولولا البهائم لم يمطروا وفي الحديث ان الارض تزلزلت على عهد عمر رضي الله عنه فأخذ بعضادتي منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا أهل المدينة انكم رجفتم وان الرجف من كثرة الربا والزنا ونقصان الثمر من قلة الصدقة وانكم أحدثتم أشياء حتى أعجلتم فهل أنتم منتهون أو يغر عمر من بين أظهركم والثالث البروز قال الله تعالى وترى الأرض بارزة يعني لفصل القضاء والرابع الرج قال الله تعالى اذا رجت الارض رجا قال المفسرون كرج الصبي في المهد حتى ينكسر كل شئ عليها فرقا من ربها والخامس الرجف قال تعالى يوم ترجف الارض والجبال والسادس المد حتى تخلى وتلقى ما في بطنها قال تعالى واذا الارض مدت وألقت ما فيها وتخلت والسابع الدك قال تعالى اذا دكت الارض دكا وقال تعالى فدكتا دكة واحدة ويحكى ان الربيع بن خيثم كان اذا قرأ هذه الآية أخذ بجلد ذراعيه ويقول يا حماه ويا دماه أين أنتما يومئذ

﴿ الباب السابع في وجوه الارض المذكورة في القرآن ﴾

وهي سبعة أولها مكة خاصة قال الله تعالى في الرعد والانبياء أولم يروا أنا نأتي الارض ننقصها من أطرافها يعني أرض مكة والوجه الثاني أرض المدينة قال الله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها يعني أرض المدينة وقال تعالى ان أرضي واسعة وقال تعالى وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها والثالث أرض الشأم وذلك قال تعالى ادخلوا الارض المقدسة الآية يعني بلاد الشأم وقال تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين والوجه الرابع أرض مصر قال تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض أي أرض مصر وقوله تعالى اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وقوله فلن أبرح الارض أي أرض مصر وقوله تعالى ان فرعون علا في الارض وقال ويستخلفكم في الارض أي أرض مصر والخامس أرض المشرق فذلك قوله تعالى ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض والسادس الارضون كلها وذلك قوله تعالى ومامن دابة في الأرض الا على الله رزقها وقوله تعالى ومامن دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم يعني بالامم في التصاوير أمثالكم في التسخير وقال تعالى ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام وقال تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا والسابع أرض الجنة فذلك قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون وقوله تعالى وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين

﴿ مجلس في ذكر خلق السموات وما يتصل به ﴾

وترتيب الكلام في هذا المجلس أيضا على سبعة أبواب لقول وهب بن منبه كادت الاشياء أن تكون سبعا فالسموات سبع والارضون سبع والجبال سبع والبحار سبع

وعمر الدنيا سبعة آلاف والايام سبعة والكواكب سبعة وهى السيارة والطواف بالبيت سبعة أشواط والسعى بين الصفا والمروة سبعة ورمى الجمار سبعة وأبواب جهنم سبعة ودركاتها سبعة وامتحان يوسف عليه السلام سبع سنين قال تعالى فلبث فى السجن بضع سنين وايتاؤه ملك مصر سبع سنين وقال الملك انى أرى سبع بقرات سمان وكرامة الله للمصطفى صلى الله عليه وسلم سبع قال الله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم والقرآن سبعة اسباع وتركيب ابن آدم على سبعة أعضاء وخلقه من سبعة أشياء قال الله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله فتبارك الله أحسن الخالقين ورزق الانسان وغذاؤه من سبعة أشياء قال الله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه الى قوله متاعا لكم ولأنعامكم وأمر بالسجود على سبعة أعضاء

﴿ الباب الاول فى بدء خلق السموات ﴾

يروى فى الاخبار المشهورة المأثورة ان الله سبحانه وتعالى لما أراد أن يخلق السموات والارض خلق جوهرة مثل السموات السبع والارضين السبع ثم نظر اليها نظر هيبة فصارت ماء ثم نظر الى الماء فغلى وارتفع وعلاه زبد ودخان فخلق من الزبد الارض ومن الدخان السماء وذلك قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان أى قصد ثم فتقها بعد ان كانت طبقة واحدة فصيرها سبع سموات قال الله تعالى أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما

﴿ الباب الثانى فى جواهرها وأجناسها ﴾

قال الربيع بن أنس سماء الدنيا موج مكفوف والثانية من صخرة والثالثة من حديد والرابعة من نحاس والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة بيضاء

﴿ الباب الثالث فى هيئتها وحدودها ﴾

قال الله تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق قال ابن عباس رحمه الله تعالى خلق الله السموات مثل القباب فسماء الدنيا قد شدت أقطارها بالثانية والثانية بالثالثة وكذلك الى السابعة والسابعة بالعرش فذلك قوله تعالى بغير عمد ترونها وعمادها من فوقها وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يتفكرون فقال فيم أنتم تتفكرون قالوا نتفكر فى الخالق فقال لهم تفكروا فى الخلق ولا تتفكروا فى الخالق فانه لا تحيط به الفكرة تفكروا فى أن الله خلق السموات سبعا والارضين سبعا وتحت كل أرض خمسمائة عام وبين السماء والارض خمسمائة عام وتحت كل سماء خمسمائة عام ومابين كل سماءين خمسمائة عام وفى السماء السابعة بحر عمقه مثل ذلك كله وفيه ملك قائم لا يجاوز الماء كعبه

﴿ الباب الرابع فى أسمائها وألقابها ﴾

قال وهب بن منبه أولها سماء الدنيا ديناح والثانية ديقا والثالثة رقيع والرابعة فيلون
والخامسة طفطاف والسادسة سماق والسابعة اسحاقائل وأما اسماؤها المذكورة
فى القرآن فسبعة أولها البناء قال الله تعالى والسماء بناء والسقف قال الله تعالى
وجعلنا السماء سقفا محفوظا والطرائق قال الله تعالى وجعلنا فوقكم سبع طرائق
والطباق قال الله تعالى الذى خلق سبع سموات طباقا والشداد قال الله تعالى وبنينا
فوقكم سبعا شدادا والرتق والفتق قال الله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما والدخان قال
الله تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان وروى ان الملائكة قالت يارب لو أن السماء
والارض حين أمرتهما عصياك ما كنت صانعا بهما قال كنت آمر دابة من دوابى
فتبتلعهما قالت يارب فأين تلك الدابة قال فى مرج من مروجى قالت يارب فأين ذلك
المرج قال فى علم من علومى قالت الملائكة سبحان ذى البسط القوى وقد ورد عن
الضحاك بن مزاحم الهلالى حديث غريب حسن جامع لما تقدم من الابواب فى صفة
السموات وحدودها وهيئتها ومافيها وأهلها وسكانها واسمائها وألقابها وهو ما أخبرنا
أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين العدل حدثنا محمد بن جعفر قال أخبرنا الحسن
ابن علوية قال حدثنا اسمعيل بن عيسى قال ثنا اسحق بن بشر عن جويبر عن الضحاك
ومقاتل قالا خلق الله عز وجل سماء الدنيا وزينها وهى ماء ودخان وغلظها مسيرة
خمسمائة عام وبينها وبين الارض مسيرة خمسمائة عام ولونها كلون الحديد المجلى واسمها
برقيعا وبينها وبين السماء الثانية مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة خلقوا من نار
وريح وعليهم ملك يقال له الرعد وهو ملك موكل بالسحاب والمطر يقول سبحان ذى
الملك والملكوت وخلق السماء الثانية على لون النحاس وغلظها مسيرة خمسمائة عام
وبينها وبين السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة على ألوان شتى صفوف
لو قيست شعرة بين مناكبهم لما انقاست رافعون أصواتهم يقولون سبحان ذى العزة
والجبروت واسمها قيدوم وخلق الله فيها ملكا يقال له حبيب نصفه من نار ونصفه من
ثلج وبينهما رتق فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفئ النار وهو يقول يامن ألف بين
الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك ومنها الى السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام ولون
السماء الثالثة كلون الشبة وغلظها مسيرة خمسمائة عام واسمها الماعون وفيها ملائكة
ذوو أجنحة الملك منهم له جناحان وله أربعة أجنحة وله ستة أجنحة ووجوه شتى رافعون
أصواتهم بالتسبيح يقولون سبحان الحى الذى لا يموت أبدا صفوف قيام كأنهم بنيان
مرصوص لو قيست شعرة بين مناكبهم ما انقاست لا يعرف أحد منهم لون صاحبه
من خشية الله تعالى وخلق الله السماء الرابعة وبينها وبين السماء الثالثة مسيرة
خمسمائة عام وغلظها خمسمائة عام ولونها كلون الفضة البيضاء واسمها فيلون وفيها

ملائكة

ملائكة يضعفون على ملائكة السماء الثالثة وكذلك أهل كل سماء أكثر عددا من
السماء التى تليها الى الضعف وفى السماء الرابعة ملائكة لا يحصى عددهم الا الله
تعالى وهم كل يوم فى زيادة وذلك قوله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو قال وهم قيام
وركوع وسجود على ألوان شتى من العبادة يبعث الله تعالى الملك منهم فى أمر من أموره
فينطلق الملك ثم ينصرف فلا يعرف صاحبه الذى الى جانبه من شدة العبادة وهم
يقولون سبوح قدوس ربنا الرحمن الذى لا اله الا هو قال وخلق الله السماء الخامسة
وغلظها مسيرة خمسمائة عام ولونها على لون الذهب واسمها اللاحقون ومنها الى السماء
السادسة مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة يضعفون على ملائكة الاربع سموات
وهم ركوع وسجود لم يرفعوا أبصارهم ولا يرفعونها الى يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة
قالوا ربنا لم نعبدك حق عبادتك وخلق الله السماء السادسة وغلظها مسيرة خمسمائة
عام ومنها الى السماء السابعة مسيرة خمسمائة عام وفيها جند الله الاعظم الاكبر
الكروبيون لا يحصى عددهم الا الله تعالى وعليهم ملك جنده سبعون ألف ملك وكل
ملك منهم جنوده سبعون ألف ملك وهم الذين يبعثهم الله فى أموره الى أهل الدنيا
رافعون أصواتهم بالتهليل والتسبيح واسمها عاروس وهى من ياقوتة حمراء ثم خلق
الله السماء السابعة غلظها مسيرة خمسمائة عام فيها جنود الله تعالى من الملائكة
وعليهم ملك وهو على سبعمائة ألف ملك كل ملك منهم له من الجنود مثل قطر السماء
وتراب الثرى والسهل والرمل وعدد الحصى والورق وعدد كل خلق فى سبع سموات
وسبع أرضين ويخلق الله سبحانه وتعالى فى كل يوم ما يشاء واسمها الرقيع وهى من
درة بيضاء ومن السماء السابعة الى مكان يقال له مرهونا مسيرة خمسمائة عام وعلمه
جنود الله من الملائكة وهم رؤساء الملائكة وهم أعظمهم سوى الروح وحملة العرش
الملك منهم له وجوه شتى وأجنحة شتى وأنوار شتى فى جسده لا يشبه بعضهم بعضا
رافعوا أصواتهم بالتهليل ينظرون الى العرش لا يطرفون لو أن الملك منهم نشر جناحه
لطبق الدنيا بريشة من جناحه ولا يعلم عددهم الا الله تعالى ومن فوق ذلك غمامة
غلظها كغلظ سبع سموات وسبع أرضين ومن السماء السابعة اليها كما بين سبع
سموات وسبع أرضين والعرش فوق ذلك فى عليين لا يعلم منتهاه الا الله تعالى

الباب الخامس فى ذكر الايام التى خلق الله الاشياء فيها

روت الرواة أن الله تعالى ابتدأ خلق الاشياء يوم الاحد الى يوم الخميس وخلق فى يوم
الخميس ثلاثة أشياء السموات والملائكة والجنة الى ثلاث ساعات بقيت من يوم الجمعة
فخلق فى الساعة الاولى الاوقات والآجال وفى الثانية الارزاق وفى الثالثة آدم عليه
الصلاة والسلام وذلك قوله عز وجل فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل

سماء أمرها الآية ﴿ الباب السادس في ذكر ما زين الله به السموات ﴾
وهي عشرة أشياء * الشمس قال الله تعالى وجعل الشمس سراجا وقال تعالى سراجا
وهاجا والقمر قال الله تعالى وجعل القمر فيهن نورا والكواكب قال الله تعالى انا زينا
السماء الدنيا بزينة الكواكب وهي على ضربين منها معلق كتعليق القناديل في
المساجد ومنها مركب كتركيب الفص في الخاتم وهي مع كثرتها مختلفة الصور
ما خلق الله تعالى منها كوكبا على مثال كوكب وفي بعض الاخبار ما يكون من حيوان
في الارض ولا دابة تدب دون العرش الا وفي خلق الكواكب مثلها * والعرش قال
الله تعالى رفيع الدرجات ذو العرش روى جعفر ابن محمد عن أبيه عن جده أنه قال
في العرش تمثال جميع ما خلق الله تعالى في البر والبحر وقال هذا تأويل قوله تعالى
وان من شئ الا عندنا خزائنه وان ما بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية
لخفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام والعرش يكسى كل يوم سبعين ألف لون من
النور لا يستطيع أن ينظر اليه خلق من خلق الله تعالى والاشياء كلها في العرش
كحلقة ملقاة في فلاة وان لله ملكا يسمى حزقيائيل له ثمانية عشر ألف جناح ما بين
الجناح الى الجناح مسيرة خمسمائة عام فخطر له خاطر هل يقدر أن ينظر الى العرش
فزاده الله تعالى في الاجنحة مثلها فكان له ستة وثلاثون ألف جناح ما بين الجناح الى
الجناح مسيرة خمسمائة عام ثم أوحى الله تعالى اليه أيها الملك طر فطار مقدار عشرين
ألف سنة فلم يبلغ قائمة من قوائم العرش ثم ضاعف الله تعالى له في الاجنحة والقوة
وأمره أن يطير فطار مقدار ثلاثين ألف سنة فلم يبلغ رأس قائمة من قوائم العرش
فأوحى الله تعالى اليه أيها الملك لو طرت الى أن ينفخ في الصور مع أجنحتك وقوتك
ما تبلغ ساق عرشي فقال الملك سبحان ربي الاعلى فأنزل الله سبحانه وتعالى سبح اسم
ربك الاعلى فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها في سجودكم وقال كعب الاحبار
لما خلق الله تعالى العرش قال لم يخلق الله تعالى شيأ أعظم مني فاهتز فطوقه الله بحية
لها سبعون ألف جناح في كل جناح سبعون ألف ريشة في كل ريشة سبعون ألف
وجه في كل وجه سبعون ألف فم في كل فم سبعون ألف لسان يخرج من أفواهها
كل يوم من التسبيح عدد قطر المطر وورق الشجر وعدد الحصى والثرى وعدد أيام
الدنيا والملائكة أجمع فالتفت الحية بالعرش فالعرش الى نصف الحية وهي ملتوية
به * والكرسي قال الله تعالى وسع كرسيه السموات والارض وروى علي بن أبي طالب
كرم الله وجهه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال الكرسي لؤلؤة طولها حيث
لا يعلمه العالمون وقد جعل الله آية الكرسي أمانا لاهل الايمان من شر الشيطان وروى
اسمعيل ابن مسلم عن أبي المتوكل الباجي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان معه

مفتاح بيت الصدقة وكان فيه تمر فذهب يوما ففتح الباب فاذا التمر قد أخذ منه ملء الكف ثم دخل يوما آخر فاذا هو قد أخذ منه مثل ذلك ثم دخل يوما آخر فاذا هو قد أخذ منه مثل ذلك فذكر ذلك أبو هريرة رضى الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له عليه الصلاة والسلام أيسرك أن تأخذه قال نعم قال اذا فتحت الباب فقل سبحان من سخرك لمحمد فذهب ففتح الباب وقال ذلك فاذا هو قائم بين يديه فقال له يا عدو الله أنت صاحب الفعل قال نعم ثم قال لا أعود ما كنت أخذت منه الا لاهل بيت فقراء من الجن فتركه ثم عاد فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال أيسرك أن تأخذه قال نعم قال فاذا فتحت الباب فقل مثل ذلك أيضا ففتح الباب وقال سبحان من سخرك لمحمد فاذا هو قائم بين يديه فقال له يا عدو الله أليس قد عاهدتني أن لا تعود فقال دعني هذه المرة فاني لا أعود فتركه ثم عاد فأخذه الثالثة فقال أليس قد عاهدتني أن لا تعود لا أدعك اليوم حتى أذهب بك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل فانك ان تدعني علمتك كلمة اذا قلتها لم يقربك أحد من الجن لا صغير ولا كبير ولا ذكر ولا أنثى قال له لتفعلن ان تركتك قال نعم قال فما هي قال الله لا اله الا هو الحي القيوم حتى ختمها فتركه فذهب فلم يعد بعد ذلك فذكر ذلك أبو هريرة للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له أما علمت يا أبا هريرة هذه أنه كذلك صدق الخبيث * واللوح والقلم قال الله تعالى وكل شئ أحصيناه في امام مبين وقال تعالى ن والقلم وما يسطرون وقال ابن عباس ان مما خلق الله تعالى لوحا محفوظا من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء كتابته نور وقلمه نور عرضه كما بين السماء والارض ينظر الله تعالى فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة منها يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويفعل ما يشاء فذلك قوله تعالى كل يوم هو في شأن ويروى ان أول ما خلق الله القلم فنظر اليه نظرة هيبة وكان طوله كما بين السماء والارض فانشق نصفين وقال اكتب فقال يارب وما اكتب قال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال له اجر بما هو كائن الى يوم القيامة * ويحكى ان ابن الزيات دخل على بعض الخلفاء فوجده مغموما فقال له روح عني يا ابن الزيات فأنشأ يقول

الهم فضل والقضا غالب * وكائن ما خط في اللوح
فالتمس الروح وأسبابه * أيأس ما كنت من الروح

والبيت المعمور روى الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في سماء الدنيا بيتا يقال له البيت المعمور بحيال الكعبة وان في السماء السابعة بحرا من نور يقال له الحيوان يدخل فيه جبريل عليه السلام كل غداة فينغمس فيه انغماسه ثم يخرج فينتفض انتفاضة فيخرج منه سبعون ألف قطرة من نور فيخلق الله تعالى من كل قطرة ملكا فيؤمرون أن يأتوا البيت المعمور فيصلون فيه

فيأتونه فيدخلونه ويصلون فيه ثم يخرجون فلا يعودون اليه الى يوم القيامة * وسدرة المنتهى قال الله تعالى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى قال كعب وغيره دخل حديث بعضهم في بعض هي شجرة في السماء السابعة مايلي الجنة أصلها ثابت في الجنة وعروقها تحت الكرسي وأغصانها تحت العرش اليها ينتهي علم الخلائق كل ورقة منها تظل أمة من الامم يغشاها ملائكة كأنهم فراش من ذهب وعليها ملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى ومقام جبريل عليه السلام وسطها والله أعلم * والجنة قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجنة كيف هي قال من يدخل الجنة حي لا يموت ومنعم لا ييأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه قيل يارسول الله كيف بناؤها قال لبنة من ذهب ولبنة من فضة بلاطها مسك أذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران وروى مجاهد عن مسروق عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السماء أطت وحق لها أن تئط ليس منها موضع أربع أصابع الا وفيه ملك ساجد أو راكع أو قائم أو قاعد يذكر الله تعالى لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى الصحراء تجأرون الى الله تعالى

﴿الباب السابع في ذكر ما لها وآخر حالها﴾

اعلم ان الله تعالى وعد السماء بسبعة أشياء أحدها المور قال الله تعالى يوم تمور السماء مورا يعني تدور كدوران الرحا من هول يوم القيامة والثاني أخبر انها تصير كالمهل فقال تعالى يوم تكون السماء كالمهل يعني دردي الزيت والثالث أخبر انها تصير وردة كالدهان قال الله تعالى فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان والرابع الانشقاق قال الله تعالى اذا السماء انشقت والخامس الانفطار قال الله تعالى اذا السماء انفطرت والسماء منفطر به والانفطار أكثر من الانشقاق والسادس الانفراج قال الله تعالى واذا السماء فرجت والسابع الكشط قال الله تعالى واذا السماء كشطت أي نزعت من مكانها وطويت طيا قال الله تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب الآية وأحسن الشاعر حيث قال

اذا قيل من رب هذي السما * فليس سواه له مضطرب
ولو قيل رب سوى ربنا * لقال العباد جميعا كذب

﴿مجلس في ذكر خلق الشمس والقمر وصفة سيرهما وبدء أمرهما ومعادهما﴾

وهو ما أخبرنا أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون الثقة الامين بقراءتي عليه في صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة قال أخبرني أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن الشرقي الحافظ قال ثنا أبو الحسن أحمد بن يوسف السلمي قال ثنا أبو عصمة يحيى بن أبي مريم الخراساني قال نا مقاتل عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بينما هو جالس

ذات يوم من الايام اذ أتاه رجل فقال يا ابن عباس انى سمعت العجب من كعب
الاحبار يذكر فى الشمس والقمر وكان ابن عباس متكئا فاحتفز ثم قال وماذا قال قال
زعم كعب الاحبار انه يجاء بالشمس والقمر يوم القيامة كأنهما ثوران عقيران فيقذفان
فى النار قال عكرمة فطارت من ابن عباس شظية ووقعت أخرى غضبا ثم قال كذب
كعب الاحبار قالها ثلاثا بل هذه يهودية يريد ادخالها فى الاسلام والله تعالى أكرم
واجل من ان يعذب أهل طاعته ألم تر الى قوله تعالى وسخر لكم الشمس والقمر دائبين
يعنى دأبهما فى طاعته فكيف يعذب عبدين اثنى عليهما انهما دائبان فى طاعته قاتل
الله هذا الحبر وقبح حديثه ما أجرأه على الله وأعظم فريته على هذين العبدين المطيعين
لله تعالى ثم استرجع مرارا ثم أخذ عودا من الارض فجعل ينكت به فى الارض وظل
كذلك ماشاء الله ثم انه رفع رأسه ورمى بالعود وقال ألا أحدثكم بما سمعت من رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول الشمس والقمر وبدء خلقهما ومصير أمرهما قلنا بلى
يرحمك الله تعالى فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال ان الله
تعالى لما أتقن خلقه احكاما ولم يبق الا آدم خلق شمسين من نور عرشه فأما ما كان
من سابق علم الله تعالى ان يدعها شمسا فانه خلقها مثل الدنيا من مشارقها ومغاربها
وأما ما كان من سابق علم ان يطمسها ويحولها قمرا فانه خلقها دون الشمس فى العظم
ولكن انما يرى صغرها من شدة ارتفاع السماء وبعدها عن الارض فلو ترك الله تعالى
الشمس كما كان فى بدء الامر لم يعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل ولا يدرى
الاجير متى يعمل ولا متى يأخذ أجرته ولا يدرى الصائم الى متى يصوم والى متى يفطر ولا
تدرى المرأة كيف تعتد ولا يدرى المسلمون متى وقت صلاتهم ومتى وقت حجهم ولا
يدرى المدينون متى يحل دينهم ولا يدرى الناس متى يزرعون ومتى يسكنون راحة
لابدانهم وكان الله انظر لعباده وأرحم بهم فارسل جبريل عليه السلام فأمر
جناحه على وجه القمر وهو يومئذ مثل الشمس ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقى
فيه النور فذلك قوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية
النهار مبصرة فالسواد الذى فى جوف القمر مثل الخطوط فيه انما هو اثر المحو ثم خلق
الله تعالى الشمس من ضوء نوره ثم خلق الله تعالى للشمس عجلة فيها ثلثمائة وستون
عروة ووكل بالشمس وعجلتها ثلثمائة وستين ملكا من الملائكة من أهل سماء الدنيا
قد تعلق كل منهم بعروة من تلك العرا وخلق الله تعالى مشارق ومغارب فى اقطار
الارض وكنفى السماء ثمانين ومائة عين فى المشرق من طينة سوداء وثمانين ومائة عين
فى المغرب مثل ذلك من طينة سوداء يفور غليانها كغلى القدر اذا ما اشتد غليانها
وذلك قوله تعالى وجدها تغرب فى عين حمئة ومعنى حمئة سوداء من طين فكل يوم وليلة

لها مطلع جديد ومغرب جديد ما بين أولها مطلعا وأولها مغربا أطول ما يكون النهار في الصيف وآخرها مطلعا مشرقا ومغربا اقصر ما يكون النهار في الشتاء فذلك قوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين يعني آخرها ههنا وأولها ههنا وترك ما بين ذلك من المشارق والمغارب ثم جمعها بعد ذلك فقال رب المشارق والمغارب فذلك عدة تلك العيون كلها ثم خلق الله تعالى بحرا دون سماء الدنيا بمقدار ثلاثة فراسخ فهو موج مكفوف قائم في الهواء باذن الله تعالى لا يقطر منه قطرة والنجوم كلها ساكنة في ذلك البحر وهو جار في سرعة السهم وانطلاقه فهو في الهواء مستو كأنه حبل ممدود ما بين المشرق والمغرب وتجري الشمس والقمر والخنس في سرعة دوران الرحا من أهوال يوم القيامة وزلازلها في ذلك البحر فذلك قوله تعالى وكل في فلك يسبحون والفلك في دوران العجلة في لجة غمرة ماء ذلك البحر والذي نفس محمد بيده لو بدت الشمس من دون ذلك البحر لاحرقت كل شئ على وجه الارض حتى الصخور والحجارة ولو بدا القمر من دون ذلك البحر لافتتن به أهل الارض حتى يعبدونه من دون الله تعالى الا من شاء الله أن يعصمه من أوليائه وأهل طاعته قال ابن عباس رضى الله عنه قال على بن أبي طالب رضى الله عنه بأبي أنت وأمي يارسول الله ذكرت مجرى الخنس مع الشمس والقمر وقد أقسم الله تعالى بالخنس في القرآن مثل ما كان ذكرك اليوم فما الخنس فقال عليه السلام يا علي هن الكواكب الخمسة البرجيس وهو المشتري وزحل وعطارد وبهرام والزهرة فهذه الكواكب الخمسة الطالعات الجاريات مع الشمس والقمر في الفلك وأما سائر الكواكب فكلها معلقات في السماء كتعليق القناديل في المساجد وهي تدور مع السماء دورانا بالتسبيح والتقديس والصلاة لله تعالى ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم وان أحببتم أن تستبينوا ذلك فانظروا دوران الفلك مرة من ههنا ومرة من ههنا وان لم تستبينوا الفلك فالمجرة وبياضها مرة من ههنا ومرة من ههنا فذلك دوران الشمس والقمر ودوران الكواكب معا كلها سوى هذه الخمسة ودورانها اليوم كما ترون فذلك صلاتها ودورانها يوم القيامة في سرعة دوران الرحا من أهوال يوم القيامة فذلك قوله تعالى يوم تمور السماء مورا يعني تدور دورانا وتسير الجبال سيرا فاذا طلعت الشمس فانها تطلع من بعض تلك العيون على عجلتها ومعها ثلثمائة وستون ملكا ناشري أجنحتهم يجرونها في الفلك بالتسبيح والتقديس لله تعالى على قدر ساعات النهار والقمر كذلك على قدر ساعات الليل ما بين الطول والقصر في الشتاء كان ذلك أو في الصيف أو ما بينهما من الخريف والربيع فاذا أحب الله ان يبتلي القمر والشمس ويري العباد آية من الآيات يستعتبهم رجوعا عن معاصيه واقبالا على طاعته تحركت الشمس عن العجلة وقال مرة خرت الشمس عن العجلة فتقع في غمر ماء

ذلك البحر وهو الفلك فاذا أراد الله تعالى ان يعظم تلك الآية ليشتد خوف العباد وقعت الشمس كلها فلا يبقى على العجلة شئ منها فذلك حين يظلم النهار وتبدو النجوم وذلك هو المنتهى من كسوفها فاذا أراد الله أن يجعل آية دون آية وقع النصف منها أو الثلث أو الثلثان فى الماء ويبقى سائر ذلك على العجلة وهو كسوف دون كسوف وابتلاء الشمس والقمر وذلك تخويف للعباد واستعتاب من الله تعالى فأى ذلك كان صارت الملائكة الموكلة بعجلتها فرقتين فرقة منهم يقبلون على الشمس فيجرونها نحو العجلة والفرقة الاخرى تقبل على العجلة فتجرها الى الشمس وهم فى ذلك يقودونها فى الفلك على مقادير ساعات النهار أو ساعات الليل ليلا كان أو نهارا لكيلا يزيد فى طولها شئ وقد ألهمهم الله تعالى علم ذلك وجعل لهم تلك القوة فالذى ترون من خروج الشمس والقمر بعد الكسوف قليلا قليلا من ذلك السواد الذى يعلوه فهو من غمر ماء ذلك البحر وهو خروجهما من ذلك الماء فاذا أخرجوها كلها اجتمعت الملائكة كلها فاحتملوها حتى يضعوها على العجلة وذلك حين تنجلى للعالم حتى يحمدوا الله تعالى على ما قواهم لذلك ويتعلقون بعرى العجلة حتى يجروها باذن الله تعالى فى لجة ذلك البحر حتى اذا بلغوا بها المغرب ادخلوها من بعض تلك العيون فتسقط من أفق السماء فى العين ثم قال صلى الله عليه وسلم عجبت من خلق الله وما بين من القدرة فيما لم يخلق أعجب منه ومن ذلك قول جبريل عليه السلام لسارة أتعجبين من أمر الله وذلك أن الله تعالى خلق مدينتين احداهما بالمشرق والاخرى بالمغرب على كل مدينة منها عشرة آلاف باب ما بين كل باب الى الآخر مسيرة فرسخ فأهل المدينة التى بالمشرق من بقايا عاد من نسل مؤمنيهم الذين كانوا آمنوا بهود عليه السلام واسمها بالسريانية برقيشا وبالعبرانية جابلق واسم المدينة التى بالمغرب بالسريانية برجيسا وبالعبرانية جابرسا نيوت على كل باب من هاتين المدينتين كل يوم عشرة آلاف رجل فى الحراسة عليهم السلاح ومعهم الكراع لا تنوبهم تلك الحراسة بعد ذلك اليوم الى يوم ينفخ فى الصور والذى نفس محمد بيده لولا كثرة هؤلاء القوم وضجيج أصواتهم لسمع أهل الدنيا وقع هذه الشمس حين تطلع وحين تغرب ومن ورائهم ثلاث أمم لا يعلم عددهم الا الله تعالى وهم منسك وتارس وتاويل ومن ورائهم يأجوج ومأجوج وان جبريل عليه السلام انطلق بى اليهم ليلة أسرى بى الى السماء فدعوت يأجوج ومأجوج الى الله تعالى والى دينه وعبادته فأبوا أن يجيبونى فهم فى النار مع من عصى الله من ولد آدم وولد ابليس ثم انطلق بى الى هاتين المدينتين فدعوتهم الى الله تعالى والى دينه وعبادته فاجابوا وأنابوا فهم اخواننا فى الدين من أحسن منهم فهو مع المحسنين ومن أساء فهو مع المشركين ثم انطلق بى الى الامم الثلاث فدعوتهم الى دين

الله وعبادته فأبوا على وكفروا بالله وكذبوا برسله فهم مع يأجوج ومأجوج وسائر من
عصى الله تعالى فى النار فاذا ما غربت الشمس رفع بها الى السماء السابعة فى سرعة
طيران الملائكة وتحبس تحت العرش فتستأذن من أين تؤمر بالطلوع من مغربها أم
من مطلعها وتكسى ضوءا وان كان القمر فنورا على قدر ساعات الليل والنهار ثم ينطلق
بها الى ما بين السماء السابعة وما بين أسفل درجات الجنان فى سرعة طيران الملائكة
فتنحدر خيال المشرق من سماء الى سماء فاذا وصلت الى هذه السماء فذلك حين ينفجر
الفجر عن الصبح فاذا انحدرت من بعض تلك العيون فذلك حين يضىء الصبح فاذا
وصلت الى هذا الوجه من السماء فذلك حين يضىء النهار فتلك مطالعها ومغاربها
ما بين أولها عينا الى آخرها عينا فى الطلوع والغروب فذلك تمام ستة أشهر ثم اذا
رجعت كذلك من عين الى عين فى الطلوع والغروب الى آخرها عينا فذلك تمام السنة
فعدة أيامها ولياليها ثلثمائة وستون ليلة وخلق الله تعالى عند المشرق حجابا من الظلمة
فوضعه على البحر السابع مقدار عدة الليالى فى الدنيا منذ خلقها الله تعالى الى يوم
تنصرم فاذا كان عند غروب الشمس أقبل ملك من الملائكة الذين قد وكلوا بالليل
فيقبض قبضة من ظلمة ذلك الحجاب ثم يستقبل المغرب فلا تزال تلك الظلمة تخرج من
خلال أصابعه قليلا قليلا وهو يراعى الشفق فاذا غاب الشفق أرسل الظلمة جميعها
ثم ينشر جناحيه فيبلغان قطر الارض وكنفى السماء ويجاوزان ما شاء الله خارجا فى
الهواء فيسوق ظلمة الليل بجناحيه بالتسبيح والتقديس حتى يبلغ المغرب على قدر
ساعات الليل فاذا بلغ المغرب أسفر الصبح من المشرق فضم جناحيه ثم يضم الظلمة
كلها بعضها الى بعض فيقبضها بكفيه ثم يقبض عليها بكف واحد نحو قبضته التى
تناولها من الحجاب بالمشرق ثم يضعها عند المغرب على البحر السابع فمن هنالك ظلمة
الليل اذا ما نقل ذلك الحجاب الى المشرق والى المغرب فاذا نفخ فى الصور انقضت أيام
الدنيا فنور النهار من ضوء الشمس وظلمة الليل من قبل ذلك الحجاب فلا تزال الشمس
والقمر كذلك من مطلعهما الى مغربهما الى ارتفاعهما الى السماء السابعة الى
محبسهما تحت العرش حتى يأتى الوقت الذى وقته الله تعالى لتوبة العباد وتكثر
المعاصى فى الارض ويذهب المعروف ولا يأمر به أحد ويفشو المنكر فلا ينهى عنه
احد فاذا فعلوا ذلك حبست الشمس مقدار ليلة تحت العرش وكلما سجدت واستأذنت
ربها من أين تطلع فلا يؤذن لها ولا يرد لها جواب حتى يوافيها القمر فيسجد معها
ويستأذن من أين يطلع فلا يؤذن لهما ولا يرد لهما جواب حتى يحبسا مقدار ثلاث ليال
للشمس وليلتين للقمر فلا يعرف طول تلك الليلة الا المتهجدون فى الارض وهم يومئذ
عصابة قليلة فى الارض فى كل بلد من بلاد المسلمين فى هوان بين الناس وذلة فى

انفسهم

أنفسهم فينام أحدهم ثلاث الليلة مقدارما كان ينام قبلها من الليل ثم يقوم فيتوضأ و يدخل مصلاه فيصلى ورده ولا يصبح نحوما كان يصبح كل ليلة قبل ذلك فينكر ذلك و يخرج فينظر الى السماء فاذا هو بالليل مكانه والنجوم قد استدارت فى السماء وصارت فى أماكنها من أول الليل فينكر ذلك و يظن فيها الظنون و يقول أخففت قراءتى أم قصرت صلاتى أم قمت قبل حينى قال ثم يقوم فيعود الى مصلاه فيصلى نحو صلاته ثم ينظر فلا يرى الصبح فيخرج أيضا فاذا هو بالليل مكانه فيزيده ذلك انكارا ويخالطه الخوف و يظن فى ذلك الظنون من السوء ثم يقول لعلى قصرت صلاتى او خففت قراءتى او قمت فى أول الليل ثم يعود وهو وجل خائف مشفق لما يتوقع من هول ثلاث الليلة فيقوم فيصلى أيضا مثل ورده كل ليلة قبل ذلك ثم ينظر فلا يرى الصبح فيخرج الثالثة فينظر الى السماء فاذا هو بالنجوم قد استدارت مع السماء فصارت فى أماكنها أول الليل فيشفق عند ذلك شفقة المؤمن العارف لما كان يحذر فيلحقه الخوف وتلحقه الندامة ثم ينادى بعضهم بعضا وهم قبل ذلك كانوا يتعارفون و يتواصلون فيجتمع المتهجدون من أهل كل بلدة فى ثلاث الليلة فى مسجد من مساجدهم يجأرون الى الله تعالى بالبكاء والصراخ بقية تلك الليلة فاذا ماتم لهما مقدار ثلاث ليال أرسل الله تعالى جبريل عليه السلام اليهما فيقول لهما ان الرب تعالى يأمركما أن ترجعا الى مغربكما فتطلعا منه انه لاضوء لكما عندنا ولا نور فيبكيان عند ذلك وجلا من الله تعالى وخوف يوم القيامة بكاء يسمعه أهل السبع سموات ومن دونها وأهل سرادقات العرش ومن فوقها فيبكون جميعا لبكائهما لما خالطهم من خوف الموت وخوف يوم القيامة فترجع الشمس والقمر فيطلعان من مغربهما قال فبينما المتهجدون يبكون ويتضرعون الى الله تعالى والغافلون فى غفلتهم اذنادى مناد ألا ان الشمس والقمر قد طلعا من مغاربهما فينظر الناس فاذا هم بهما أسودان لاضوء للشمس ولا نور للقمر مثلهما فى كسوفهما قبل ذلك فذلك قوله تعالى وجمع الشمس والقمر وقوله تعالى اذا الشمس كورت فيرتفعان كذلك مثل البعيرين القرنين ينازع كل واحد منهما صاحبه استباقا و يتصارخ أهل الدنيا وتذهل الامهات عن أولادها والاحبة عن ثمرات فؤادها فتشتغل كل نفس بما كسبت فأما الصالحون والابرار فانه ينفعهم بكاؤهم يومئذو يكتب لهم ذلك عبادة وأما الفاسقون والفجار فلا ينفعهم و يكتب عليهم حسرة فاذا ما بلغ الشمس والقمر سرة السماء وهى منتصفها جاءهما جبريل عليه السلام فيأخذ بقرونهما و يردهما الى المغرب فلا يغربهما من مغاربهما من تلك العيون ولكن يغربهما من باب التوبة فقال عمر بأبى أنت وأمى يارسول الله وما باب التوبة فقال يا عمر خلق الله تعالى بابا للتوبة خلف المغرب له مصراعان من ذهب مكللان بالدر

والجوهر ما بين المصراع الى المصراع أربعون سنة للراكب المسرع فذلك الباب
مفتوح منذ خلق الله تعالى الى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من
مغربهما ولم يتب عبد من عباد الله تعالى توبة نصوحا منذ خلق الدنيا الى ذلك اليوم
الا ولجت تلك التوبة فى ذلك الباب ثم ترفع الى الله تعالى فقال معاذ بن جبل بأبى أنت
وأمى يا رسول الله وما التوبة النصوح قال أن يندم العبد على الذنب الذى أصاب
فيعتذر الى الله تعالى ثم لا يعود اليه كما لا يعود اللبن الى الضرع قال فيغربهما جبريل
عليه السلام من ذلك الباب ثم يرد المصراعين ثم يلتئم ما بينهما فيصير كأنه لم يكن فيما
بينهما صدع قط واذا أغلق باب التوبة لم يقبل للعبد بعد ذلك توبة ولا تنفعه حسنة
يعملها فى الاسلام الا من كان قبل ذلك محسنا فانه يجرى عليه ما كان يجرى عليه
قبل ذلك اليوم فذلك قوله تعالى يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن
آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا فقال ابى بن كعب بأبى أنت وأمى يا رسول الله
فكيف بالشمس والقمر بعد ذلك وكيف بالناس والدنيا فقال يا ابى ان الشمس
والقمر يكسيان النور والضوء بعد ذلك ثم يطلعان ويغربان كما كانا قبل ذلك وأما
الناس فانهم مع ما رأوا من فظاعة تلك الآية وعظمتها يلحون على الدنيا ويجرون فيها
الانهار ويغرسون فيها الاشجار ويبنون فيها البنيان وأما الدنيا فلو نتج للرجل منهم
فى ايامهم لم يركبه حتى تقوم الساعة من لدن طلوع الشمس من مغربها الى أن ينفخ فى
الصور فقال حذيفة جعلنى الله فداءك يا رسول الله فكيف بهم عند النفخ فى الصور
قال يا حذيفة والذى نفسى بيده لينفخن فى الصور ولتقومن الساعة والرجل قد
لاط حوضه فلا شرع فيه الماء ولتقومن الساعة وقد أخذ لبن لقحته من تحتها فلا
يشربه ولتقومن الساعة والثوب بين الرجلين فلا ينشرانه ولا يطويانه ولا يبيعانه
ولتقومن الساعة والرجل قد رفع لقمته الى فيه فلا يطعمها ثم تلا هذه الآية وليأتينهم
بغتة وهم لا يشعرون فاذا اقامت الساعة قضى الله تعالى بين أهل الدارين وميز بين
الفريقين أهل الجنة والنار وقيل أن يدخلوهما يدعو الله تعالى بالشمس والقمر
فيجاء بهما اسودين لا نور لهما مكدرين قد وقعا فى الزلازل والبلايا وفرائصهما ترعد
من هول يوم القيامة وهول ذلك اليوم ومن مخافة الرحمن تعالى فاذا كانا حذاء العرش
خرا ساجدين لله تعالى ويقولان يا الهنا قد علمت طاعتنا لك ودأبنا فى طاعتك
وسرعتنا للمضى فى أمرك أيام الدنيا فلا تعذبنا بعبادة المشركين ايانا فقد علمت انا لن
ندعوهم الى عبادتنا ولم نذهل عن عبادتك فيقول الله تعالى صدقتما انى قد قضيت
على نفسى أن أبدئ واعيد انى معيدكما الى ما بدأتكما منه فارجعا الى ما خلقتكما منه
فيقولان ربنا مم خلقتنا فيقول خلقتكما من نور عرشى فارجعا اليه فيلتمع من كل

واحد

واحد منهما برقة تكاد تخطف الابصار نورا فيختلطان بنور العرش فذلك قوله تعالى يبدئ و يعيد (قال عكرمة) فقمت مع النفر الذين حدثوا عن كعب ما حدثوا به من أمر الشمس والقمر حتى أتيناه فأخبرناه بغضب ابن عباس وما وجده من حديثه وبما حدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما مما بين مبدئهما الى معادهما (فقال كعب الاحبار) انى حدثت عن كتاب دارس منسوخ قد تداولته الايدى وابن عباس حدث عن كتاب حديث العهد بالرحمن جل جلاله ناسخ للكتب وعن سيد الأنبياء والمرسلين خير البشر ثم قام فمشى الى ابن عباس فقال بلغنى ما كان من وجدك من حديثى وما حدثت به من كتاب الله تعالى ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا وانى استغفر الله من ذلك مع أنى لم أتقوله من تلقاء نفسى ولكن حدثت عن كتاب دارس فلا أدرى ما كان فيه من تبديل الكفار واليهود وأنت حدثت ما حدثت عن كتاب حديث العهد بالرحمن ناسخ للكتب وعن سيد المرسلين وأنا أحب أن تحدثنى بما حدثت به أصحابك من حديث الشمس والقمر فأحفظ عنك الحديث فاذا حدثت بشئ من أمر الشمس والقمر فيما بعد هذا اليوم كان هذا الحديث الذى تحدثنى به مكان حديثى الاول قال عكرمة فوالله لقد أعاد عليه ابن عباس الحديث وانى لا ستقريه فى قلبى بابا بابا فما زاد شيأ ولا نقص شيأ ولا قدم ولا أخر فزادنى ذلك فى ابن عباس رغبة وللحديث حفظا والله أعلم

﴿ مجلس فى قصة آدم عليه الصلاة والسلام وهو يشتمل على أبواب كثيرة ﴾

﴿ الباب الاول فى ذكر وجوه من الحكمة وخلق آدم عليه الصلاة والسلام ﴾

قال الحكماء خلق الله تعالى الخلق ليظهر وجوده ولو لم يخلق لما عرف أنه موجود وليظهر كمال علمه وقدرته بظهور أفعاله المتقنة المحكمة لانها لا تأتى الا من قادر حكيم وليعبد فانه يحب عبادة العابدين و يثيبهم عليها على قدر فضله لا على قدر أفعالهم وان كان غنيا عن عبادة خلقه لا يزيد فى ملكه طاعة المطيعين ولا ينقص من ملكه معصية العاصين قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وليظهر احسانه لانه محسن فأوجدهم ليحسن اليهم وليتفضل عليهم فيعامل بعضا بالعدل و بعضا بالفضل وخلق المؤمنين خاصة للرحمة كما قال عز وجل وكان بالمؤمنين رحيما وقال تعالى ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم قال جعفر بن محمد الصادق والضحاك بن مزاحم أى للرحمة خلقهم وليحمدوه لانه يحب الحمد (ويروى) ان آدم عليه السلام لما خلقه الله تعالى وعرض عليه ذريته وجد فيهم الصحيح والسقيم والحسن والقبيح والاسود والابيض فقال يارب هلا سويت بينهم فقال الله تعالى انى أحب أن أشكر (قال) أبو الحسن القتال خلق الله تعالى الملائكة للقدرة وخلق

الاشياء للعبرة وخلقك للمحنة قال الله تعالى الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم (قال العلماء) خلقكم لاظهار القدرة ثم رزقكم لاظهار الكرم ثم يميتكم لاظهار القهر والجبروت ثم يحييكم لاظهار العدل والفضل والثواب والعقاب ومنهم من قال خلق الخلق جميعهم لاجل محمد صلى الله عليه وسلم عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام ياعيسى آمن بمحمد وأمر أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن وقيل خلقهم لامر عظيم غيبه عنهم لايعلمه حتى يحل بهم ماخلقهم له قال الله تعالى أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لاترجعون * وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه ياأيها الناس اتقوا الله فما خلق امرؤ عبثا فيلهو ولا أهمل سدى فيلغو * وقال الاوزاعى بلغنى ان فى السماء ملكا ينادى كل يوم ألاليت الخلق لم يخلقوا وليتهم اذ خلقوا عرفوا ما خلقوا له * وقال بعضهم اذا ماتوا ثم خلقوا علموا ماذا خلقوا له وجلسوا فتذاكروا ماذا عملوا وكان أبو عبد الرحمن الزاهد يقول فى مناجاته الهى غيبت عنى أجلى وأحصيت على عملى ولا أدرى الى أى الدارين منقلبى لقد أوقفتنى وقفة المحزونين ابدا ما أبقيتنى * وقال أبو القاسم الحكيم ان الله تعالى جعل ابن آدم بين البلوى والبلى فما دام الروح فى جسده فهو فى البلوى فاذا فارق الروح الجسد فهو فى البلى فأتى له السرور وهو بين البلوى والبلى وقال بعض الحكماء يا ابن آدم انظر الى خطر مقامك فى الدنيا ان ربك حلف فقال لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وان ابليس حلف فقال فبعزتك لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين وأنت يامسكين بين الله تعالى وبين ابليس مطروح ساه لاه والله أعلم

﴿ الباب الثانى فى خلق آدم عليه الصلاة والسلام وكيفيته وصفته ﴾

قال المفسرون بألفاظ مختلفة ومعان متفقة ان الله تعالى لما أراد خلق آدم عليه الصلاة والسلام أوحى الله الى الارض انى خالق منك خلقا منهم من يطيعنى ومنهم من يعصينى فمن أطاعنى منهم أدخلته الجنة ومن عصانى أدخلته النار ثم بعث اليها جبريل عليه السلام ليأتيه بقبضة من ترابها فلما أتاها جبريل ليقبض منها القبضة قالت له الارض انى أعوذ بعزة الله الذى أرسلك ان تأخذ منى شيأ يكون فيه غدا للنار نصيب فرجع جبريل عليه السلام الى ربه ولم يأخذ منها شيأ وقال يارب استعاذت بك فكرهت ان أقدم عليها فأمر الله عز وجل ميكائيل عليه السلام فأتى الارض فاستعاذت بالله ان يأخذ منها شيأ فرجع الى ربه ولم يأخذ منها شيأ فبعث الله تعالى ملك الموت فأتى الارض فاستعاذت بالله ان يأخذ منها شيأ فقال ملك الموت وانى أعوذ بالله ان

اعصى له أمرا فقبض قبضة من زواياها الاربع من أديمها الاعلى ومن سبختها وطينها وأحمرها واسودها وأبيضها وسهلها وحزنها فكذلك كان فى ذرية آدم الطيب والخبيث والصالح والطالح والجميل والقبيح ولذلك اختلفت صورهم وألوانهم قال الله تعالى ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ثم صعد بها ملك الموت الى الله تعالى فأمره أن يجعلها طينا ويخمرها فعجنها بالماء المر والعذب والملح حتى جعلها طينا وخمرها فلذلك اختلفت أخلاقهم ثم أمر جبريل عليه السلام ان يأتيه بالقبضة البيضاء التى هى قلب الارض وبهاؤها ونورها ليخلق منها محمدا صلى الله عليه وسلم فهبط جبريل عليه السلام فى ملائكة الفردوس المقربين الكروبيين وملائكة الصفيح الاعلى فقبض قبضة من موضع قبر النبى صلى الله عليه وسلم وهى يومئذ بيضاء نقية فعجنت بماء التسنيم ورعرعت حتى صارت كالدرة البيضاء ثم غمست فى أنهار الجنة كلها فلما أخرجت من الانهار نظر الحق سبحانه وتعالى الى تلك الدرة الطاهرة فانتفضت من خشية الله تعالى فقطر منها مائة ألف قطرة وأربعة وعشرون ألف قطرة فخلق الله سبحانه وتعالى من كل قطرة نبيا فكل الانبياء صلوات الله على نبينا وعليهم من نوره خلقوا صلى الله عليه وسلم ثم طيف بها فى السموات والارض فعرفت الملائكة حينئذ محمدا صلى الله عليه وسلم قبل ان تعرف آدم ثم عجنها بطينة آدم عليه الصلاة والسلام ثم تركها أربعين سنة حتى صارت طينا لازبا ثم تركها أربعين عاما حتى صارت صلصالا كالفخار وهو الطين اليابس الذى اذا ضربته بيدك صلصل أى صوت ليعلم أن امره بالصنع والقدرة لا بالطبع والحيلة فان الطين اليابس لا ينقاد ولا يأتى تصويره ثم جعله جسدا والقاه على طريق الملائكة التى تهبط الى السماء وتصعد منه أربعين سنة فذلك قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر الآية قال ابن عباس الانسان آدم والحين اربعون سنة كان آدم جسدا ملقى على باب الجنة وفى صحيح الترمذى بالاسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تفسير أول البقرة ان الله خلق آدم بيده من قبضة قبضها من جميع الارض من السهل والجبل والاسود والابيض والاحمر فجاءت الاولاد على ألوان الارض وسأل عبد الله بن سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف خلق الله آدم عليه السلام فقال خلق رأس آدم وجبهته من تراب الكعبة وصدره وظهره من بيت المقدس وفخذيه من أرض اليمن وساقيه من أرض مصر وقدميه من أرض الحجاز ويده اليمنى من أرض المشرق ويده اليسرى من أرض المغرب ثم القاه على باب الجنة فكلما مر عليه ملأ من الملائكة عجبوا من حسن صورته وطول قامته ولم يكونوا قبل رأوا شيأ يشبهه من الصور فمر به ابليس فرآه فقال لامر ما خلقت ثم ضربه بيده فاذا هو جوف فدخل فى فيه وخرج من دبره وقال لاصحابه

الذين معه من الملائكة هذا خلق أجوف لا يثبت ولا يتماسك ثم قال لهم أرأيتم ان فضل هذا عليكم فما أنتم فاعلون قالوا نطيع ربنا فقال ابليس فى نفسه والله لئن فضل هذا على لاعصينه ولئن فضلت عليه لاهلكنه فذلك قوله تعالى وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون يعنى ما اظهرت الملائكة من الطاعة وأسر ابليس من المعصية وقوله تعالى الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين وفى الخبر ان جسد آدم عليه الصلاة والسلام كان ملقى أربعين سنة يمطر عليه مطر الحزن ثم أمطر عليه السرور سنة واحدة فلذلك كثرت الهموم فى أولاده وتصير عاقبتها الى الفرح والراحة وأنشدنا فى هذا المعنى أبو عوانة المهرجانى يقولون ان الدهر يومان كله ❊ فيوم محبات ويوم مكاره وما صدقوا فالدهر يوم محبة ❊ وأيام مكروه كثير البدائه وأنشدنى ابن الاعرابى فقال

محن الزمان كثيرة لا تنقضى ❊ وسروره يأتيك بالفلتان

وأنشدنى أبو بكر الصولى لابن المعتز

أى شئ يكون أعجب من ذا ❊ لو تفكرت فى صروف الزمان
حادثات السرور توزن وزنا ❊ والبلايا تكال بالقفزان

﴿الباب الثالث فى صفة نفخ الروح﴾

قال العلماء فلما أراد الله أن ينفخ فى آدم عليه السلام الروح أمرها أن تدخل فى فيه فقالت الروح مدخل بعيد القعر مظلم المدخل فقال للروح ثانية فقالت مثل ذلك وكذلك ثالثة الى أن قال فى الرابعة ادخلى كرها واخرجى كرها فلما أمرها الله تعالى بذلك دخلت فى فيه فأول ما نفخ فيه الروح دخلت دماغه فاستدارت فيه مقدار مائتى عام ثم نزلت فى عينيه (والحكمة فى ذلك) أن الله تعالى أراد أن يرى آدم بدء خلقه وأصله حتى اذا تتابعت عليه الكرامات لا يدخله الزهو ولا العجب بنفسه ثم نزلت فى خياشيمه فعطس فحين فراغه من عطاسه نزلت الروح الى فيه ولسانه فلقنه الله تعالى أن قال الحمد لله رب العالمين فكان ذلك أول ما جرى على لسانه فأجابه ربه عز وجل فقال يرحمك ربك يا آدم للرحمة خلقتك قال تعالى سبقت رحمتى غضبى ثم نزلت الروح الى صدره وشراسيفه فأخذ يعالج القيام فلم يمكنه ذلك وذلك قوله تعالى وكان الانسان عجولا وقوله تعالى خلق الانسان من عجل فلما وصلت الروح الى جوفه اشتهى الطعام فهو أول حرص دخل جوف آدم عليه الصلاة والسلام وفى بعض الاخبار ان آدم عليه السلام لما قال له ربه يرحمك ربك يا آدم مد يده ووضعها على أم رأسه وقال أوه فقال الله مالك يا آدم فقال انى أذنبت ذنبا فقال من أين علمت ذلك فقال لان الرحمة للمذنبين فصارت تلك سنة فى أولاده اذا أصاب أحدهم مصيبة أو محنة وضع يده على

رأسه وتأوه ثم انتشرت الروح في جسده كله فصار لحما ودما وعظاما وعروقا وعصبا ثم
كساه الله تعالى لباسا من ظفر وجعل يزداد كل يوم حسنا فلما قارف الذنب بدل بهذا
الجلد وبقيت منه بقية في انامله ليتذكر به أول حاله (قال عبد الله بن الحرث) كانت
الدواب تتكلم قبل خلق الله تعالى آدم عليه السلام وكان النسر يأتي الحوت في
البحر فيخبره بما في البر ويخبره الحوت بما في البحر فلما خلق الله تعالى آدم عليه السلام
جاء النسر الى الحوت فقال لقد خلق الله اليوم خلقا ورأيت اليوم شيأ لينزلني من
وكري وليخرجنك من البحر فلما تم الله خلق آدم عليه الصلاة والسلام ونفخ فيه
الروح قرطه وشقه وصوره وختمه ومنطقه وألبسه من لباس الجنة وزينه بأنواع
الزينة يخرج من ثناياه نور كشعاع الشمس ونور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في
جبينه كالقمر ليلة البدر ثم رفعه على سرير وحمله على أكتاف الملائكة وقال لهم
طوفوا به في سمواتي ليرى عجائبها ومافيها فيزداد يقينا فقالت الملائكة لبيك
ربنا سمعنا واطعنا فحملته الملائكة على أعناقها وطافت به السموات مقدار مائة عام
حتى وقف على كل شئ من آياتها وعجائبها ثم خلق الله فرسا من المسك الاذفر يقال له
الميمون له جناحان من الدر والجواهر فركبه آدم عليه الصلاة والسلام وجبريل أخذ
بلجامه وميكائيل عن يمينه واسرافيل عن شماله فطافوا به السموات كلها وهو يقول
السلام عليكم ياملائكة الله فيقولون وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقال الله
تعالى يا آدم هذه تحيتك وتحية المؤمنين من ذريتك فيما بينهم الى يوم القيامة ثم علمه
الله تعالى الاسماء كلها واختلف العلماء في هذه الاسماء فقال الربيع بن أنس اسماء
الملائكة كلهم وقال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم اسماء ذريته وقال ابن عباس
وأكثر الناس علمه اسم كل شئ حتى القصعة والقصيعة ثم أمر الله الملائكة بالسجود
له كما قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وأكثر العلماء
على أن الامر بالسجود لآدم انما توجه على الملائكة الذين كانوا مع ابليس خاصة دون
سائر الملائكة وكان ذلك سجود تعظيم وتحية لا سجود صلاة وعبادة فلما أمرهم بالسجود
سجدوا الا ابليس ابا واستكبر وكان من الكافرين

﴿ الباب الرابع في صفة خلق حواء رحمها الله تعالى ﴾

قال المفسرون لما اسكن الله تعالى آدم الجنة كان يمشي فيها وحشيا لم يكن له من يجالسه
ويؤانسه فألقى الله تعالى عليه النوم فنام فأخذ الله ضلعا من اضلاعه من شقه الايسر
يقال له القصيري فخلق منه حواء من غير ان أحس آدم بذلك ولا وجد له ألما ولو ألم
آدم من ذلك لما عطف رجل على امرأة ثم ألبسها من لباس الجنة وزينها بأنواع الزينة
وأجلسها عند رأسه فلما هب آدم من نومه رآها قاعدة عند رأسه فقالت الملائكة لآدم

يمتحنون علمه ما هذه يا آدم قال امرأة قالوا وما اسمها قال حواء قالوا صدقت ولم سميت
حواء بذلك قال لانها خلقت من شيء حي قالوا ولماذا خلقها الله تعالى قال لتسكن الي
واسكن اليها وذلك قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها
ليسكن اليها قال النبي صلى الله عليه وسلم خلقت المرأة من ضلع أعوج فان تقمها
تكسرها وان تتركها تستمتع بها على عوجها وقيل الحكمة في ان الرجال يزيدون على
مرور الايام والاعوام حسنا وجمالا لانهم خلقوا من التراب والطين يزداد كل يوم جدة
وجمالا والنساء يزددن على مرور الايام قبحا لانهن خلقن من اللحم واللحم يزداد على
مرور الايام فسادا وفي بعض الاخبار ان آدم عليه السلام لما رأى حواء مد يده اليها
فقالت الملائكة مه يا آدم فقال ولم وقد خلقها الله تعالى لي فقالت الملائكة حتى
تؤدي مهرها قال وما مهرها قالوا أن تصلي على محمد صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات
قال ومن محمد قالوا آخر الانبياء من ولدك ولولا محمد ما خلقت وروى سعيد بن جبير
عن عبد الله بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله أن يخلق
جارية بعث اليها ملكين أصفرين مكللين بالدر والياقوت فيضع أحدهما يده على رأسه
ويضع الآخر يده على رجلها ويقولان بسم ربنا وربك الله ضعيفة خلقت من ضعيفة
المنفق عليها معان الى يوم القيامة

﴿ الباب الخامس في ذكر امتحان الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام وما كان منه في ذلك ﴾

قال أهل التاريخ لما اسكن الله تعالى آدم وحواء عليهما السلام الجنة اباح لهما نعيم الجنة
كلها الا شجرة واحدة وذلك قوله تعالى وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة الى
قوله فتكونا من الظالمين واختلفوا في هذه الشجرة التي هي شجرة المحنة ما هي فقال
علي رضي الله عنه هي شجرة الكافور وقال قتادة هي شجرة العلم وفيها من كل شيء
علامة وقال محمد بن كعب ومقاتل هي السنبلة وقيل هي الحنطة وهي الكرمة
فوسوس لهما الشيطان حتى زين لهما الشجرة فاكلا منها فاطار بها على اكله من ثمرة
تلك الشجرة وحسن لهما معصية الله تعالى في ذلك حتى أكلا منها وكان وصول
عدو الله ابليس اليهما وتزيينه ذلك لهما على ما ذكره أصحاب الاخبار ان ابليس أراد
ان يدخل الجنة ليوسوس لآدم وحواء فمنعه الخزنة من ذلك فاتى الحية وكانت من
أحسن الدواب التي خلقها الله تعالى لها أربعة قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان
الجنة وكانت لابليس صديقة فسألها أن تدخله الجنة في فيها فادخلته في فمها ومرت به
على الخزنة وهم لا يعلمون فادخلته الجنة وكان قد دخل مع آدم الجنة لما دخل الجنة
ورأى ما فيها من النعيم والكرامة فقال طيب لو كان خلدا فاغتنم ذلك الشيطان منه

فاتاه من قبل الخلد وقيل ان ابليس لما سمع بدخول آدم الجنة حسده وقال يا ويلاه أنا
اعبد الله منذ كذا وكذا ألف سنة ولم يدخلنى الجنة وهذا خلق خلقه الله تعالى
الآن فادخله الجنة فاحتال فى اخراج آدم عليه السلام من الجنة فوقف على باب
الجنة وتعبد ثلثمائة سنة هنالك حتى اشتهر بالعبادة وعرفوه بها وهو فى كل ذلك
ينتظر خروج خارج من الجنة يتوصل به الى آدم فمكث على باب الجنة ثلثمائة سنة
لا يأذن الله تعالى فى خروج خلق منها فبينما هو كذلك اذ خرج اليه الطاوس وكان
سيد طيور الجنة فلما رآه ابليس قال له أيها الخلق الكريم من أنت وما اسمك فما رأيت
من خلق الله أحسن منك قال أنا طائر من طيور الجنة اسمى طاوس فبكى ابليس
فقال له الطاوس من أنت ومم بكاؤك فقال له ابليس أنا ملك من الملائكة
الكروبيين وانما بكيت تأسفا على ما يفوتك من حسنك وكمال خلقتك فقال له
الطاوس ايفوتنى ما أنا فيه قال بلى وانك تفنى وتبيد وكل الخلائق يبيدون الا من
تناول من شجرة الخلد فانهم المخلدون من تلك الخلائق فقال الطاوس وأين تلك
الشجرة قال ابليس هى فى الجنة قال الطاوس ومن يدلنا بمكانها قال ابليس أنا أدلك
عليها ان أدخلتنى الجنة قال الطاوس كيف لى بادخالك الجنة ولا سبيل الى ذلك
لمكان رضوان فانه لا يدخل الجنة أحد ولا يخرج منها أحد الا باذنه ولكنى سأدلك على
خلق من خلق الله تعالى يدخلكها فانه ان قدر على ذلك أحد فهو هو دون غيره فانه
خادم خليفة الله تعالى آدم قال ومن هو قال الحية قال له ابليس فبادر اليها فان لنا فيه
سعادة الابد لعلها تقدر على ذلك فجاء الطاوس الى الحية وأخبرها بمكان ابليس وما
سمع منه وقال انى رأيت بباب الجنة ملكا من الكروبيين من صفته كيت وكيت فهل
لك ان تدخليه الجنة ليدلنا على شجرة الخلد فاسرعت الحية نحوه فلما جاءته قال لها
ابليس نحوا من مقالته للطاوس فقالت كيف لى بادخالك الجنة ورضوان اذا رآك لم
يمكنك من دخولها فقال لها أتحول ريحا فاجعلينى بين أنيابك قالت نعم فتحول ابليس
لعنه الله ريحا ودخل فى فم الحية فادخلته الجنة فلما دخل ابليس الجنة أراها الشجرة
التى نهى الله تعالى عنها آدم وجاء حتى وقف بين يدى آدم وحواء عليهما السلام وهما
لا يعلمان أنه ابليس فناح عليهما نياحة أحزنتهما فبكيا وكان اول من ناح فقالا له
ما يبكيك قال أبكى عليكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعيم والكرامة فوقع ذلك
فى انفسهما وانما ذلك وبكى ابليس ومضى ثم ان ابليس أتاهما بعد ذلك وقد أثر قوله
فيهما فقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى قال نعم قال كل من هذه
الشجرة شجرة الحنطة فقال نهانى ربى عنها فقال ابليس ما نهاكما ربكما عن هذه
الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين فأبى أن يقبل منه فاقسم لهما بالله

أنه لهما لمن الناصحين فاغترابذلك وما كانا يظنان أن احدا يحلف بالله كاذبا فبادرت حواء الى أكل الشجرة ثم زينت لآدم حتى اكلها * روى محمد بن اسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط قال سمعت الحسن بن محمد بن الحسين يقول سمعت أبي يقول سمعت جدي يقول سمعت سعيد بن المسيب يحلف بالله ولا يستثنى ان آدم ما اكل من الشجرة وهو يعقل ولكن حواء سقته الخمر حتى اذا اسكر قادته اليها فاكل ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمر مجمع الخبائث وأم الذنوب ويقال لما قال الله تعالى لآدم وحواء لا تقربا هذه الشجرة قالا نعم لا نقربها ولانأكل منها ولم يستثنيا في قولهما بمشيئة الله تعالى فوكلهما الله تعالى الى أنفسهما حتى أكلا المنهي عنها وقال سمعت الحسن بن محمد بن الحسين يقول سمعت ابراهيم بن الاشعث يقول سمعت ابراهيم ابن أدهم يقول لقد أورثتنا تلك الاكلة حزنا طويلا وقال الشبلي أول الدن درّدي هذا أبونا آدم باع ربه بكف من حنطة فلما اكل من الشجرة المنهي عنها ابتلاه الله بعشرة أشياء (الاولى) معاتبته اياهما على ذلك بقوله ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين (والثانية) الفضيحة فانه لما أصابا الذنب بدت لهما سوآتهما وتهافت عنهما ما كان عليهما من لباس الجنة فتحير آدم وصار هاربا في الجنة فتلقته شجرة العناب فاخذت بناصيته وناداه ربه أفرارا مني يا آدم قال بلى يارب ولكن حياء منك ولذلك قيل كفى بالمقصر حياء يوم القيامة وروى ان آدم لما بدت سوأته وظهرت عورته طاف بأشجار الجنة يسأل منها ورقة يغطي بها عورته فزجرته أشجار الجنة حتى رحمته شجرة التين فاعطته ورقة فطفقا يعني آدم وحواء يخصفان عليهما من ورق الجنة فكافأ الله التين بأسوى ظاهره وباطنه في الحلاوة والمنفعة وأعطاه الله ثمرتين في كل عام (والثالثة) أوهن جلده وصيره مظلما بعد ان كان جلده كله كالظفر وأبقى عليه من ذلك قدرا يسيرا على أنامله ليتذكر بذلك أول حاله (والرابعة) أخرجه من جواره ونودي انه لا ينبغي أن يجاورني من عصاني فذلك قوله تعالى اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر الآية يعني آدم وحواء وابليس والحية والطاوس فهبط آدم بسرنديب من أرض الهند وقيل على جبل من أرض الهند يقال له نود وقيل واسم وحواء بجدة بلد من أرض الحجاز وابليس بالابلة من أرض العراق وهي بالبصرة وقيل مشان والحية باصبهان والطاوس بأرض بابل ويقال ان الحكمة في اخراج آدم من الجنة أنه كان في صلبه من لا يستحق الولاية ولا يصلح لحظيرة القدس فاذا أخرجهم من صلبه أعاده الله اليها خالدا فيها ويقال ان الله تعالى أخرج آدم من الجنة قبل أن يدخله فيها وذلك قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة ولم يقل في الجنة * أخبرني نائل بن أذفر بن أحمد باسناده

قوله حتى اذا اسكر فيه نظر اذ الجنة منزهة عن السكر لانه لا فيها غول اه

عن

عن عثمان بن علية قال سمعت الوضين بن عطاء يذكر أن آدم قال كنا نسلا من نسل الجنة فسبانا ابليس بالخطيئة الى الارض فلا ينبغي لنا الفرح فى الدنيا ولكن الحزن والبكاء مادمنا فى دار السباء حتى نرد الى الدار التى سبينا منها وقال الشاعر

يا ناظرا يرنو بعينى راقد ❊ ومشاهد الايام غير مشاهد
منتك نفسك وصلة فابحتها ❊ سبل الرجاء وهن غير قواصد
تصل الذنوب الى الذنوب وترتجى ❊ درج الجنان بها وفوز العابد
ونسيت أن الله أخرج آدما ❊ منها الى الدنيا بذنب واحد

(والخامسة) الفرقة فرق بينه وبين حواء مائة سنة هذا بالهند وهذه بجدة فجاء كل واحد منهما يطلب صاحبه حتى قرب أحدهما من صاحبه فازدلفا فسميت المزدلفة واجتمعا بجمع فسمى جمعا وتعارفا بعرفة فى يوم عرفة فسمى الموضع عرفات واليوم عرفة (والسادسة) العداوة التى بينهم العداوة والبغضاء كما قال الله تعالى بعضكم لبعض عدو فالانسان عدو الحية يشدخ رأسها حيث يراها والطاوس عدو والحية عدوته تلدغه اذا امكنها وابليس عدو لهم جميعا وفيه اشارة الى أن الاحباب اذا اجتمعوا وتعاونوا على معصية أعقبت معصيتهم عداوة كما قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين (والسابعة) النداء عليه باسم العصيان فقال تعالى وعصى آدم ربه فغوى ❊ وروى ان ابراهيم عليه السلام تفكر ذات ليلة من الليالى فى أمر آدم فقال يارب خلقت آدم بيدك ونفخت فيه من روحك وأسجدت له ملائكتك واسكنته جنتك بلا عمل ثم بزلة واحدة ناديت عليه بالمعصية وأخرجته من جوارك من الجنة فاوحى الله تعالى اليه يا ابراهيم أما علمت ان مخالفة الحبيب على الحبيب أمر شديد (والثامنة) تسليط العدو على أولاده وهو قوله تعالى وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم الآية (والتاسعة) جعل الدنيا سجناله ولاولاده وابتلاه بهواء الدنيا ومقاسات البرد والحر فيها ولم يكن له بهما عهد لتعود هواء الجنة وهو كما قال الله تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة سجسج لاحر فيها ولا قر (العاشرة) التعب والشقاء وذلك قوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى فهو أول خلق عرق جبينه من التعب والنصب

❊فصل❊ وابتليت حواء وبناتها بهذه الخصال وبخمس عشرة خصلة سواهن الاولى الحيض يروى أنها لما تناولت الشجرة دميت الشجرة قال الله تعالى ان لك على أن أدميك أنت وبناتك فى كل شهر مرة كما أدميت هذه الشجرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحيض ان هذا شئ كتبه الله تعالى على بنات آدم الثانية ثقل الحمل

الثالثة الطلق وألم الوضع قال الله تعالى حملته أمه كرها ووضعته كرها وفي الخبر لولا الزلة التي أصابت حواء كان النساء لم يحضن ولكن حليمات وكن يحملن سرا ويضعن سرا الرابعة نقصان دينها الخامسة نقصان عقلها * عن أبي سعيد في حديث ذكره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت من ناقصات عقل ودين اذهب للب الرجل الحازم من احداكن فقلن له وما نقصان عقلنا وديننا يا رسول الله قال أليس شهادة المرأة بنصف شهادة الرجل فذلك نقصان عقلها أوليس اذا حاضت المرأة لم تصل ولم تصم قلن بلى قال فذلك نقصان دينها السادسة أن ميراثها على النصف من ميراث الرجل قال الله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين السابعة تخصيصهن بالعدة الثامنة جعلهن تحت أيدي الرجال كما قال تعالى الرجال قوامون على النساء وقال عليه السلام استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوار عندكم التاسعة ليس لهن من الطلاق شئ ولا يملكن ذلك وانما هو للرجال العاشرة حرمن الجهاد الحادية عشر ليس منهن نبي الثانية عشر ليس منهن سلطان ولا حاكم الثالثة عشر لا تسافر احداهن الا مع ذي رحم محرم الرابعة عشر لا تنعقد بهن الجمعة الخامسة عشر لا يسلم عليهن وعاقب ابليس لعنه الله تعالى بعشرة أشياء أولها عزله عن الولاية وكان له ملك الارض وملك سماء الدنيا وكان خازن الجنة الثانية أخرجه من جواره وأهبطه الى الارض الثالثة مسخ الله صورته فصيره شيطانا بعدما كان ملكا الرابعة غير اسمه وكان اسمه عزازيل فسماه ابليس لانه أبلس من رحمة الله تعالى الخامسة جعله امام الاشقياء السادسة لعنه الله السابعة نزع منه المعرفة الثامنة أغلق عنه باب التوبة التاسعة جعله مريدا أي خاليا من الخير والرحمة العاشرة جعله خطيب أهل النار * وعاقب الحية بخمسة أشياء قطع قوائمها وأمشاها على بطنها ومسخ صورتها بعد ان كانت أحسن الدواب وجعل غذاؤها التراب وجعلها تموت كل سنة بالشتاء وجعلها عدوة بني آدم وهم أعداؤها حيثما يرونها يقتلونها وأباح رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلها في الصلاة وفي حال الاحرام عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سالمناهن منذ حاربناهن من ترك شيئا منهن خيفة منه فليس مني يعني الحيات (أخبرنا) ابن قال حدثنا عبد الله ابن يونس قال أخبرنا داود عن محمد عن أبي الاعين المعبدي عن أبي الاحوص الحسني قال بينما ابن مسعود يخطب ذات يوم فاذا هو بحية تمشي على الجدار فقطع خطبته ثم ضربها بقضيب حتى قتلها ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قتل حية فكأنما قتل رجلا مشركا قد حل دمه

﴿ الباب السادس في حال آدم بعد هبوطه الى الارض وما كان منه ﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما لما أهبط آدم الى الارض على جبل سرنديب وذكر أن

ذروته أقرب من ذرا جبال الارض الى السماء وكانت رجل آدم على الجبل ورأسه فى السماء يسمع دعاء الملائكة وتسبيحهم وكان آدم يأنس بذلك فهابته الملائكة واشتكت الى ربها فخطت قامته الى ستين ذراعا وكان قبل ذلك يمس رأسه السحاب فصلع وأخذ أولاده الصلع فلما نقص من قامته ذلك قال رب كنت جارك فى دارك ليس لى رب سواك ولا رقيب دونك آكل فيها رغدا وأسكن حيث أحببت فاهبطتنى الى هذا الجبل وكنت أسمع أصوات الملائكة وأراهم كيف يحفون بعرشك وأجد ريح الجنة وطيبها ثم أهبطتنى الى الارض وحططتنى الى ستين ذراعا فقد انقطع عنى الصوت والنظر وذهبت عنى رائحة الجنة فأجابه الله تعالى بمعصيتك يا آدم فقال آدم ذلك بك يارب * وقال وهب بن منبه لما أهبط الله آدم من الجنة واستقر جالسا على الارض عطس عطسة فسال أنفه دما فلما رأى سيلان الدم من أنفه ولم يكن رأى قبل ذلك دما هاله ما رأى ولم تشرب الارض الدم فاسود على وجهها كالحمم ففزع آدم من ذلك فزعا شديدا فذكر الجنة وما كان من الراحة فخر مغشيا عليه وبكى أربعين عاما فبعث الله اليه ملكا فمسح ظهره وبطنه وجعل يده على فؤاده فذهب عنه الحزن والغشى فاستراح مما كان يصيبه من الغم قال شهر بن حوشب بلغنى ان آدم عليه الصلاة والسلام لما أهبط الى الارض مكث ثلثمائة سنة لا يرفع رأسه حياء من الله تعالى وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتى سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين سنة ولم يقرب آدم حواء مائة سنة فلما أراد الله تعالى أن يرحم عبده آدم لقنه كلمات كانت سبب قبول توبته كما قال تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه الآية * واختلفوا فى تلك الكلمات ماهى فقال ابن عباس هى ان آدم عليه السلام قال يارب ألم تخلقنى بيدك قال بلى قال ألم تنفخ فىّ من روحك قال بلى قال ألم تسبق لى رحمتك قبل غضبك قال بلى قال ألم تسكنى جنتك قال بلى قال فلم أخرجتنى منها قال لشؤم معصيتك قال أى رب أرأيت أن أنا تبت وأصلحت ترجعنى الى الجنة فهى الكلمات * وقال عبد الله بن عمران آدم قال يارب أرأيت ما أتيته شئ ابتدعته من تلقاء نفسى أو شئ قدرته علىّ قبل أن تخلقنى بيدك قال لا بل شئ قدرته عليك قبل أن أخلقك قال يارب فكما قدرته علىّ فاغفر لى * وقال محمد بن كعب القرظى هى قول لا اله الا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوأ وظلمت نفسى فتب على انك أنت التواب الرحيم لا اله الا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوأ وظلمت نفسى فاغفر لى انك أنت الغفور الرحيم لا اله الا أنت سبحانك اللهم وبحمدك رب عملت سوأ وظلمت نفسى فارحمنى انك أنت أرحم الراحمين وقال سعيد بن جبير والحسن ومجاهد وعكرمة هى قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا الآية ثم أنزل الله تعالى

ياقوتة من يواقيت الجنة ووضعها موضع البيت على قدر الكعبة لها بابان باب شرقي وباب غربي وفيها قناديل من نور ثم أوحى الله تعالى الى آدم ان لي حرما بحيال عرشي فأته فطف به كما يطاف حول عرشي وصل عنده كما يصلى عند عرشي فهنالك أستجيب دعاءك فانطلق آدم من أرض الهند الى أرض مكة لزيارة البيت وقيض الله له ملكا يرشده فكان كل موضع يضع عليه قدمه عمرانا وماتعداه مفاوز وقفارا فلما وقف بعرفات وكانت حواء طلبته وقصدته من جدة فالتقيا بعرفات يوم عرفة فسمي ذلك الموضع عرفات فلما انصرفا الى منى قيل لآدم تمن فقال أتمنى المغفرة والرحمة فسمي ذلك الموضع منى وغفر ذنبهما وقبل توبتهما ثم انصرفا الى أرض الهند * قال مجاهد حدثني ابن عباس أن آدم حج من أرض الهند أربعين حجة على رجليه فقيل لمجاهد ياأبا الحجاج ألا كان يركب قال وأي شئ كان يحمله فوالله ان خطوته لمسيرة ثلاثة أيام * وقال ابن عمر لما حج آدم عليه السلام البيت وقضى المناسك كلها تلقته الملائكة يهنونه بالحج وقبول التوبة فقالوا بر حجك يا آدم فداخله من ذلك شئ فلما رأت الملائكة منه ذلك قالوا يا آدم انا قد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام فتقاصرت الى آدم نفسه وقال أبو العالية خرج آدم من الجنة ومعه عصا من شجرة الجنة وعلى رأسه تاج من شجر الجنة فلما صار الى الارض يبس ذلك الاكليل وتحات الورق فنبت منه أنواع الطيب فلذلك كان أصل كل طيب بالهند * وقال ابن عباس رضي الله عنهما نزل آدم من الجنة ومعه طيب فزرع آدم شجر الهند في أوديتها وكان أصله من الجنة فامتلأ ماهنالك طيبا فمن ثم يؤتى بالطيب من الهند وأصله من ريح آدم عليه السلام وريحه من ريح الجنة وأنزل الله معه الحجر الأسود وكان أشد بياضا من الثلج وعصا موسى عليه السلام وكانت من آس الجنة طولها عشرة أذرع على طول موسى وقيل كانت من البان وروى سفيان عن منصور بن معمر عن ربعي بن خراش عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما أهبط آدم من الجنة الى أرض الهند وعليه ذلك الورق الذي كان لباسه من الجنة فيبس وتطاير بأرض الهند فعبق شجر العود والصندل والمسك والعنبر والكافور من ذلك الورق فقالوا يارسول الله المسك هو من الدواب أم من الشجر قال أجل انما هي دابة تشبه الغزال رعت من ذلك الشجر فصير الله المسك في سرتها فاذا رعت الربيع جعله الله مسكا وتساقط فينتفع به الآدميون قالوا يارسول الله فأين يقع قال قال لي جبريل في ثلاث كور لا يكون في شئ من الارض الا فيها أرض الهند وأرض السعدى وأرض التبت قالوا يارسول الله العنبر انما هي دابة في البحر قال اجل كانت هذه الدابة بأرض الهند ترعى في البر فبعث الله اليها جبريل عليه السلام فساقها وما معها فقذفها في البحر وهي أعظم ماتكون من الدواب غلظها

قوله قد حمله الخ فيه ان الانبياء معصومون من العجب اه

ألف ذراع وإنما رمي به كما رمي البقر أحشاء هافر بما يخرج من جوفها العنبرة وزنها
ألف رطل وخمسمائة رطل ونحو ذلك ثم ان آدم وجد ضربانا في رأسه وجسده فشكا
ذلك الى الله تعالى فنزل عليه جبريل بشجرة الزيتون فأمره أن يأخذ ثمرها ويعصره
فقال ان في هذه الشجرة شفاء من كل داء الا السام ودله جبريل عليه السلام على شجرة
الاهليلج الابيض والاسود والاصفر فقال له ان ربك يقرئك السلام ويقول لك كل
من هذه فانك لن تتداوى أنت وذريتك بدواء أفضل منها فيها شفاء من كل داء ان بقي
في جوفك لم تخف منه وان خرج أخرج الداء كله وأبرأه فأكله آدم فبرأ قال أهل الاخبار
ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض وأصاب جسده أذى الهواء وأحس به
اشتكى وحشة بجسده وكان قد اعتاد هواء الجنة فشكا ذلك الى جبريل فقال انك
تشكو العري فأنزل الله عليه ثمانية أزواج المذكورة في سورة الانعام من الضأن اثنين
ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ثم أمره أن يذبح كبشا منها فذبحه
ثم أخذ صوفه فغزلته حواء ونسجه آدم فجعل منه جبة لنفسه وجعل لحواء درعا وخمارا
فلبساه وبكيا على ما فاتهما من لباس الجنة فحواء أول من غزلت وآدم أول من نسج
ولبس الصوف عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال جاء رجل الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يارسول الله ما تقول في حرفتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما
حرفتك فقال أنا رجل حائك قال حرفتك حرفة أبينا آدم عليه السلام وكان أول من
نسج آدم وكان جبريل يعلمه وآدم تلميذه ثلاثة أيام وان الله عز وجل يحب حرفتك
فانها حرفة يحتاج اليها الاحياء والاموات فمن قال منكم القبيح فأبونا آدم خصمه ومن
أنف منكم فقد أنف من آدم ومن لعنكم فقد لعن آدم ومن أذاكم فقد أذى آدم وهو
خصمهم يوم القيامة فلا تخافوا وأبشروا فان حرفتكم حرفة مباركة ويكون آدم قائدكم
الى الجنة * وعن أبي أمامة الباهلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم
بلباس الصوف تجدون قلة الاكل عليكم بلباس الصوف تعرفون به في الآخرة وان
النظر في الصوف ليورث القلب التفكر والتفكر يورث الحكمة والحكمة تجري في
الجوف مجرى الدم فمن كثر تفكره قل طمعه وكل من قل تفكره كثر طمعه وعظم بدنه
وقسا قلبه والقلب القاسي بعيد من الله بعيد من الجنة قريب من النار * قالوا ثم ان
آدم عليه الصلاة والسلام بعد ستر عورته اشتكى فقال له جبريل ما الذي أصابك
فقال أجد في نفسي قلقا واضطرابا لا أجد الى العبادة منه سبيلا واني أجد بين لحمي
وجلدي دبيبا كدبيب النمل فقال له جبريل ذلك يسمى الجوع قال وكيف الخلاص
من ذلك قال سوف أهديك الى ذلك فغاب عنه ثم جاءه بثورين أحمرين والعلاة يعني
السندان والمطرقة والمنفخة والكلبتين ثم جاءه بشرر من جهنم فوقع في يد آدم فطار

منه شرارة فوقعت فى الحجر فدخل جبريل اليها وأتى بها فدفعها الى آدم فطارت منه أيضا حتى فعل ذلك سبع مرات فذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم ان ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم بعد ان غسلت بالماء سبع مرات فلما جاء بها فى الثامنة نطقت النار فقالت يا آدم انى لا أطيعك وانى منتقمة من عصاة أولادك يوم القيامة فقال جبريل يا آدم انها لن تطيعك ولكنى أسجنها لك ولا ولادك ليكون لك ولا ولادك فيها المنافع فسجنها فى الحجر والحديد فذلك قوله تعالى أفرأيتم النار التى تورون أأنتم الآية وبروى ان آدم لما أخذ النار احترقت يده فخلى عنها فقال لجبريل مالها تحرق يدى ولا تحرق يدك قال لانك عصيت الله وانى لم أعصه ثم أمره جبريل باتخاذ آلة الحرث فهو أول من عمل الحديد ثم أتاه بصرة من حنطة فيها ثلاث حبات من الحنطة فقال يا آدم لك حبتان ولحواء حبة فلذلك صار للذكر مثل حظ الانثيين وكان وزن الحبة مائة ألف درهم وثمانين ألف درهم فقال آدم ما أصنع بهذا كله فقال يا آدم خذها فانها سبب سدجوعتك وبها أخرجت من الجنة وبها تحيا فى الدنيا وبها تلقى الفتنة أنت وأولادك الى أن تقوم الساعة ثم أمره أن يشد الثورين ويكسر من الخشب ويضعه عليهما ففعل ذلك وجعل يحرث الارض عليهما فهو أول من حرث الارض وبكى الثوران على مافاتهما من راحات الجنة فقطرت دموعهما على الارض فنبت منها الجاورس وبالا فنبت منه الحمص ورا ثا فنبت منه العدس ثم كسر جبريل تلك الحبوب حتى كسرها ثم بذرها فنبتت من ساعته فقال آدم عليه الصلاة والسلام آكله فقال لا أصبر حتى يدرك فلما سنبل وافرك قال آكله قال لا وعلمه الحصاد فلما حصد قال آكله قال لا وعلمه الدياس فلما داس قال آكله قال لا وعلمه التنقية فلما نقاه قال آكله قال لا وجاءه بحجرين وعلمه الطحن فلما طحنه قال آكله قال لا وعلمه العجن ويقال ان آدم عليه الصلاة والسلام لما نخل دقيقه فأمره جبريل ان يبث النخالة فى الارض المستحصدة فنبت فيها الشعير فلما عجن قال آكله قال لا فأمره أن يحفر حفيرة ويضع الحطب فيها ويوقد عليها نارا ففعل ذلك حتى جعله خبز ملة ثم وضع عجينه عليه فخبز فهو أول من خبز فلما أخرجه قال آكله قال لا حتى يبرد فلما برد أكله فلما أكله دمعت عينا آدم عليه السلام وقال ما هذا التعب والنصب قال له هذا وعد الله الذى وعدك فذلك قوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى أما آن لك ان تأكل من كد يمينك وعرق جبينك أنت وذريتك فلما استوفى آدم من الطعام شكا من بطنه ولم يدر ما هو فشكا ذلك الى جبريل عليه السلام فقال ذلك العطش قال فبم اسكنه فغاب عنه ثم عاد اليه ومعه المعول وقال له احفر الارض فما زال يحفر حتى بلغ الى ركبتيه فنبع الماء من تحت رجليه ماء زلالا ابرد من الثلج وأحلى

من العسل وقال يا آدم اشرب منه شربة فشربها فاطمأن ثم انه بعد ذلك وجد تشكيا أشد من الاول والثانى فقال لجبريل ما هذا الذى أجده قال لا أدرى فبعث الله اليه ملكا ففتق قبله ودبره ولم يكن قبل ذلك للطعام مخرج فلما خرج منه ما آذاه ووجد ريحه بكى على ذلك سبعين سنة * قالوا لما أنزل الله الى آدم الحديد نظر الى قضيب من حديد نابت على الجبل فقال هذا من هذا فجعل يكسر أشجارا قد عتقت ويبست فاوقد على ذلك الحديد حتى ذاب وكان أول شئ ضرب منه مدية فكان يعمل بها ثم ضرب التنور الذى ورثه نوح عليه الصلاة والسلام وهو الذى فار بالعذاب بالهند * قالوا لما أهبط الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام أخرج معه من الجنة قطعة من ذهب فلذلك بقى الذهب لا يبلى بالثرى ولا يصدأ من الندى ولا تنقصه الارض ولا تأكله النار لانه من الجنة حمل وقيل ان الله تعالى زود آدم حين أهبطه الى الارض من الثمار ثلاثين نوعا عشرة منها فى القشور وعشرة لها نوى وعشرة لا قشور لها ولا نوى فاما التى هى فى القشور فالجوز واللوز والفستق والبندق والخشخاش والبلوط والشاه بلوط والنارنج والرمان والموز وأما التى لها نوى فالخوخ والمشمش والاجاص والعناب والفرسك والرطب والغبيراء والنبق والزعرور والمقل وأما التى لا قشر لها ولا نوى فالتفاح والسفرجل والكمثرى والعنب والتوت والتين والاترج والخرنوب والخيار والبطيخ * وقال ابن جريج اهبط الله تعالى آدم عليه السلام ومعه آنية فيها بزر عريشة من عنب وريحانة فغرس آدم العريش فلما طلعت جاء ابليس فسرق ثمرها فقال له آدم ويلك أخرجتنى من الجنة ولا تريد ان تجعل لى رزقا فقال له ان لى فيها حقا قال وما حقك قال نشوها ولكم سائرها وقال ابن عباس هبط آدم من الجنة بثلاثة أشياء الآسة وهى سيدة رياحين الدنيا وبالسنبلة وهى سيدة طعام أهل الدنيا وبالعجوة وهى سيدة ثمار الدنيا وروى ابن عباس وعائشة وأبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان العجوة من غراس الجنة وفيها شفاء وأنها ترياق أول البكرة وعليكم بالتمر البرنى فكلوه فانه يسبح فى شجره ويستغفر لآكله وقال ابن عباس لما أهبط آدم الى الارض كان أول شئ أكله من الثمار التين وقال كعب أول من ضرب الدينار والدرهم آدم وقال لا تصلح المعيشة الا بهما وقال وهب بن منبه ان آدم لما أهبط الى الارض ورأى سعتها ولم ير فيها أحدا غيره فقال يا رب أما لارضك هذه من عامر يسبحك ويحمدك ويقدسك غيرى قال الله تعالى سأجعل فيها من ولدك من يسبحنى ويحمدنى ويقدسنى وسأجعل فيها بيوتا ترفع بذكرى ويسبح فيها خلقى ويذكر فيها اسمى وسأجعل من ولدك يا آدم من يعبدنى حق عبادتى وساجعل من تلك البيوت بيتا أخصه بكرامتى وأوثره باسمى فاسميه بيتى وانطقه بعظمتى وعليه وضعت جلالى

واجعل ذلك البيت حرما آمنا يحرم بحرمته ما حوله وما فوقه وما تحته فمن حرمه بحرمتي استوجب بذلك كرامتي ومن أخاف أهله فيه فقد خفر ذمتي وأباح حرمتي واستوجب بذلك عذابي وعقابي وسأجعل هذا البيت أول بيت وضع للناس ببطن مكة مباركا يأتونه شعثا غبرا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق يرجون بالتلبية رجيجا ويثجون بالبكاء ثجيجا ويعجون بالتكبير عجيجا فمن اعتمره لا يريد غيره فقد وفد الى وزارني واستضافني فحق على الكريم أن يكرم وفده وأضيافه وان يسعف كلا بحاجته يا آدم تعمره ما دمت حيا ثم تعمره الامم والقرون والانبياء من ولدك أمة بعد أمة وقرنا بعد قرن ثم ان الله تعالى مسح ظهر آدم بيده وأخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة كالذر بنعمان من عرفة قرية بمكة ثم أخذ عليهم الميثاق وكلمهم وقال ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين وسئل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق آدم ومسح ظهره فاستخرج منه ذرية وقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج ذرية وقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل فقال ان الله تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على ذلك فهو من أهل النار وقال وهب بن منبه رحمه الله أوحى الله الى آدم بعد ما تاب عليه يا آدم اني أجمع لك العلم كله في أربع كلمات واحدة لي وواحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة فيما بينك وبين الناس فاما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيأ وأما التي لك فاجزيك بعملك أحوج ما تكون اليه وأما التي بيني وبينك فمنك الدعاء ومني الاجابة وأما التي بينك وبين الناس فان ترضى لهم ما ترضى لنفسك فقال آدم يا رب شغلت بطلب المعيشة والرزق عن التسبيح والعبادة ولست أعرف ساعات التسبيح في أيام الدنيا فاهبط الله تعالى اليه ديكا فاسمعه أصوات الملائكة بالتسبيح فهو أول داجن اتخذه آدم من الخلق فكان الديك اذا سمع التسبيح في السماء سبح في الارض فيسبح آدم بتسبيحه * وروي ان الله تعالى أوحى الى آدم لما أراد أن يهبطه الى الارض يا آدم اني منزلك أنت وذريتك دارا مبنية على أربع قواعد أما الاولى فاني اقطع ما تصلون واما الثانية فاني أفرق ما تجمعون وأما الثالثة فاني أخرب ما تبنون والرابعة أميت ما تلدون ولذلك قيل

لدوا للموت وابنوا للخراب * وكلكمو يصير الى ذهاب

﴿الباب السابع في ذكر هبوط ابليس لعنه الله الى الارض وحاله فيها بعد اللعنة﴾

قال الله تعالى قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو الآية قال الشعبي انزل ابليس

من

من السماء عليه عمامة ليس تحت ذقنه منها شئ أعور فى احدى رجليه نعل * وروى ابن المبارك عن خالد عن حميد بن هلال انما كره أن يختصر فى الصلاة لان ابليس هبط مختصرا * وروى حماد عن ثابت وحميد عن عبد الله بن عبيد بن عمير ان ابليس قال يارب أخرجتنى من الجنة من أجل آدم وانى لا أستطيعه الا بسلطانك قال فانت مسلط عليه قال يارب زدنى قال لايولد له ولد الا ولد لك مثلاه قال يارب زدنى قال صدورهم مساكن لك وتجرى منهم مجرى الدم قال يارب زدنى قال أجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا قال آدم يارب قد سلطته على وانى لا امتنع منه الا بك قال لايولد لك ولد الا وكلت به من يحفظه من قرناء السوء قال يارب زدنى قال الحسنة بعشرة أمثالها وازيدها والسيئة بمثلها واحدة وامحوها قال يارب زدنى قال قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله الآية قال يارب زدنى قال التوبة لا أنزعها من ولدك ما كانت الروح فيهم قال يارب زدنى قال اغفر ولا ابالى قال حسبى * وروى ان ابليس قال يارب لعنتنى وأخرجتنى من الجنة وجعلتنى شيطانا رجيما مذموما مدحورا وبعثت فى بنى آدم الرسل وأنزلت عليهم الكتب فارسلى قال الكهنة قال فما كتبى قال الوشم قال فما حديثى قال حديثك الكذب قال فاقراءتى قال قراءتك الشعر قال فما مؤذنى قال مؤذنك المزمار قال فما مسجدى قال مسجدك السوق قال فما بيتى قال بيتك الحمام قال فما طعامى قال طعامك مالم يذكر اسمى عليه قال فما شرابى قال شرابك كل مسكر قال فمصايدى قال مصايدك النساء * وروى مقاتل وجويبر عن الضحاك عن ابن عباس ان ابليس لما خرج من الجنة التى الله عليه الحرقة والغلمة فنكح نفسه فباض أربع بيضات فنها ذريته * وروى اسحق بن بشر عن محمد بن اسحق قال بلغنى ان ابليس تزوج الحية التى دخل فى فيها حين كلم آدم عليه السلام بعد ما أخرج من الجنة فنها ذريته

﴿الباب الثامن فى ذكر ماروى من الاخبار فيمن تراءى له ابليس فرآه عيانا وكلمه شفاها﴾

يروى ان آدم التقى بابليس فى أرض فلاة فلامه على صنيعه وقال له ياملعون أى شئ هذا الذى أحللت بى غررتنى وأخرجتنى من الجنة وفعلت بى مافعلت قال فبكى ابليس وقال يا آدم انى فعلت بك ماتقول وأنزلتك هذه المنزلة فمن فعل بى ما أنا فيه وأحلنى هذه المنزلة * ويروى ان ابليس تصور لفرعون فى صورة الانس بمصر فى الحمام فانكره فرعون فقال له ابليس ويحك اما تعرفنى فقال لا قال فكيف وانت خلقتنى ألست القائل انا ربكم الاعلى * ويروى ان سليمان عليه الصلاة والسلام سأل

ابليس فقال أي الاعمال أحب اليك وأبغض الى الله تعالى فقال لولا منزلتك عند
الله تعالى ما أخبرتك انى لست أعلم شيأ احب الى وأبغض الى الله تعالى من
استغناء الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة * ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
مامن آدمى الا وقد عمل خطيئة أوهم بها الا يحيى بن زكريا فانه ما عمل خطيئة ولا هم بها
ولقد قال رب أرنى ابليس كما هو واعزم عليه ان لا يكتمنى شيأ أسأله عنه فأوحى الله
تعالى الى ابليس ان ائت عبدى يحيى بن زكريا كما هبطت الى الارض ولا تكتمه شيأ
يسألك عنه فأتاه فقال يا يحيى أنا ابليس أمرنى ربى ان آتيك كما هبطت الى الارض
فنظر اليه يحيى فاذا على رأسه خطاطيف تطير وحقواه محفوفتان باكوار كور ههنا
وكور ههنا وفى رجليه خلاخيل فقال ما هذه الخطاطيف التى تطير على رأسك قال
بها أخطف عقول بنى آدم قال فما هذه الخلاخيل التى فى رجليك قال أحركها لبنى آدم
حتى يغنى أو يغنى له قال فاى ساعة أنت على ابن آدم اقدر قال حين يمتلئ شبعا ورياً
قال فهل وجدت فى نفسى شيأ قال لا قال ولا على حال قال نعم قدم اليك طعاماً ذات
ليلة وكنت قد صمت فشهيته اليك حتى اكلت اكثر من عادتك فتثاقلت عن وردك
وعادتك فقال يحيى لا جرم أشبع أبدا فقال ابليس لا جرم لا انصح آدميا أبدا * وقيل
لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذوا فى جهازه وخرج الناس وخلا الموضع
قال ابن عباس قال على بن أبى طالب رضى الله عنه لما وضعته صلى الله عليه وسلم
على المغتسل اذا بهاتف يهتف من زاوية البيت يا على لا تغسلوا محمدا فانه طاهر مطهر
قال فوقع فى قلبى من ذلك شئ وقلت ويلك من أنت فان النبى صلى الله عليه وسلم أمرنا
بهذا وهذه سنته واذا بهاتف آخر يهتف يا على صوته غسله يا على فان الهاتف الاول
كان الشيطان حسد محمدا صلى الله عليه وسلم أن يدخل قبره مغسلا قال على جزاك
الله خيرا قد اخبرتنى ان ذلك ابليس فمن أنت قال أنا الخضر حضرت جنازة محمد صلى
الله عليه وسلم ويحكى ان قوما من بنى اسرائيل تراءى لهم ابليس فقالوا له قف موقفا
كنت تقفه بين يدى الله تعالى حسبما كنت تقف قبل ان عصيت ربك فقال انكم
لا تطيقون رؤية ذلك فالحوا عليه فوقف وقفة فلما نظروا اليه والى خشوعه وخضوعه
ماتوا عن آخرهم (ويروى) ان رجلا كان يلعن ابليس كل يوم ألف مرة فبينما هو ذات
يوم نائم اذ أتاه شخص فايقظه وقال قم فان الجدار ها هو يسقط فقال له من أنت الذى
اشفقت على هذه الشفقة فقال له أنا ابليس فقال كيف هذا وأنا العنك كل يوم ألف
مرة فقال هذا لما علمت من محل الشهداء عند الله تعالى فخشيت أن تكون منهم
فتنال معهم ما ينالون

﴿الباب التاسع فى قصة قابيل وهابيل﴾

قال الله تعالى واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا الى آخر القصة قال أهل العلم

بقصص النبيين وأخبار الماضين ان حواء كانت تلد لآدم توأمين في كل بطن غلاما وجارية الا شيثا فانها ولدته منفردا وكان جميع من ولدته حواء أربعين من ذكر وأنثى في عشرين بطنا أولهم قابيل وتوأمته اقليما وآخرهم عبد المغيث وتوأمته أمة المغيث ثم كثر الله في نسل آدم كما قال يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة الآية (قال ابن عباس) لم يمت آدم حتى رأى من ولده وولد ولده أربعين ألفا ورأى آدم فيهم الزنا وشرب الخمر والفساد واختلف العلماء في وقت مولد قابيل وهابيل فقال بعضهم غشي آدم حواء بعد مهبطهما الى الارض بمائة سنة فولدت له قابيل وتوأمته اقليما في بطن ثم هابيل وتوأمته لبودا في بطن واحد وقال محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم بالكتاب الاول ان آدم كان يغشى حواء في الجنة قبل ان تهبط الى الارض فحملت له بقابيل وتوأمته فلم تجد عليهما وحما ولا نصبا ولا طلقا حين ولدتهما ولم تر معهما دما لطهارة الجنة فلما هبطا الى الارض واطمأنا بها تغشاها فحملت بهابيل وتوأمته لبودا فوجدت فيهما الوحم والنصب والطلق والدم حتى اذا شب أولاده زوج غلام هذا البطن جارية البطن الآخر وزوج جارية هذا البطن غلام البطن الآخر وكان الرجل منهم يتزوج أي أخواته شاء الا توأمته التي ولدت معه فانها لا تحل له وذلك انه لم يكن نساء يومئذ الا اخواتهم وأمهم حواء فلما ولد قابيل وتوأمته اقليما في بطن واحد وهابيل وتوأمته لبودا في بطن واحد وكان بينهما سنتان في قول الكلبي وادركوا أمر الله تعالى آدم أن ينكح لبودا أخت هابيل قابيل وينكح هابيل اقليما أخت قابيل وكانت أخت قابيل من أجمل النساء وأحسنهن خلقا فذكر آدم ذلك لولده فرضي هابيل وسخط قابيل وقال هي أختي ولدت معي في بطن وهي أحسن من اخت هابيل فانا أحق بها ونحن من أولاد الجنة وهما من أولاد الارض فانا أحق باختي فقال له أبوه انها لا تحل لك فأبي أن يقبل ذلك منه وقال ان الله تعالى لم يأمره بذلك وانما هو من رأيه فقال لهما آدم قربا قربانا فايكما يقبل قربانه فهو أحق بها (وقال معاوية بن عمار) سألت جعفر الصادق أكان آدم زوج ابنته من ابنه فقال معاذ الله لو فعل ذلك آدم لما رغب عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كان دين آدم الا دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى أهبط آدم وحواء الى الارض وجمع بينهما وولد له بنت فسماها عناق فبغت وهي أول من بغى في الارض فسلط الله عليها من قتلها فولد لآدم على أثرها قابيل ثم ولد له هابيل فلما أدرك قابيل أظهر الله تعالى جنية من الجن يقال لها عمالة في صورة انسية وخلق لها رحما وأوحى الله الى آدم ان زوجها من قابيل فزوجها منه فلما أدرك هابيل أهبط الله الى آدم حوراء في صورة انسية وخلق الله لها رحما وكان اسمها تركة فلما نظر اليها هابيل

ورمقها أوحى الله الى آدم ان زوجها من هابيل ففعل فقال قابيل يا أبت الست أكبر
من أخي وأحق بما فعلت به منه فقال يا بني ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء فقال لا
ولكنك آثرته علي بهواك فقال له ان كنت تريدان تعلم ذلك فقربا قربانا فايكما يقبل
قربانه فهو أولى بها من صاحبه قالوا وكانت القرابين حينئذ اذا قبلت نزلت نار من
السماء فأكلتها واذا لم تقبل لم تنزل نار لاكلها وتأكلها السباع فخرجا ليقربا وكان قابيل
صاحب زرع فقرب صبرة من الطعام من أردا زرعه واضمر في نفسه ما أبالي أيقبل مني
أم لا لا يتزوج اختي أبدا وكان هابيل راعيا صاحب ماشية فقرب كبشا سمينا من خيار
ماشيته ولبنا وزبدا وأضمر في نفسه الرضا بالله والتسليم لامره وقال اسمعيل بن رافع
ان هابيل نتج له كبش في غنمه فلما كبر لم يكن له مال أحب اليه منه وكان يحمله على
ظهره فلما أمر بالقربان قربه قال فوضعا قربانهما الى الجبل فنزلت نار من السماء
فاكلت الكبش والزبد واللبن ولم تأكل من قربان قابيل حبة لانه لم يكن زاكي القلب
وقبل قربان هابيل لانه كان زاكي القلب فما زال الكبش يرتع في الجنة حتى فدي به
ابن ابراهيم فذلك قوله تعالى فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر الى قوله من
المتقين فنزلوا عن الجبل وتفرقوا وقد غضب قابيل لما رد الله قربانه وظهر فيه الحسد
والبغي وكان يضمرهما قبل ذلك في نفسه الى ان أتى آدم مكة ليزور البيت فلما أراد أن
يأتي مكة قال للسماء احفظي ولدي بالامانة فأبت فقال ذلك للارض والجبال فابيا
فقال ذلك لقابيل فقال نعم ترجع وتراه كما يسرك فرجع آدم وقد قتل قابيل هابيل
فذلك قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها
واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا يعني قابيل حين حمل أمانة أبيه ثم
خانه قالوا فلما غاب آدم أتى قابيل الى هابيل وهو في غنمه فقال لأقتلنك قال ولم قال
لان الله قبل قربانك ولم يقبل قرباني وتنكح اختي الحسناء وانكح اختك الدميمة
فيتحدث الناس انك خير مني وأفضل ويفتخر ولدك على ولدي فقال له هابيل وما ذنبي
انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك
لاقتلك اني أخاف الله رب العالمين قال عبد الله بن عمران المقتول كان أشد ولكنه
منعه التحرج أن يبسط الى أخيه يده قال الله تعالى فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله
الآية أي طاوعته وساعدته فقتله ❊ قال السدي لما قصد قابيل قتل هابيل راغ
هابيل في رؤس الجبال ثم أتاه يوما من الايام وهو نائم فرفع صخرة فشدخ بها رأسه
فمات وقال ابن جريج لم يدر قابيل كيف يقتل أخاه فتمثل له ابليس وأخذ طيرا فوضع
رأسه على حجر ثم شدخه بحجر آخر وكان لهابيل يوم قتل عشرون سنة واختلفوا
في مصرعه وموضع قتله فقال ابن عباس على جبل نود وقال بعضهم على عقبة حراء

وحكى محمد بن جرير الطبرى قال جعفر الصادق بالبصرة فى موضع المسجد الاعظم فلما قتله تركه ولم يدر ما يصنع به لانه كان أول ميت على وجه الارض من بنى آدم فقصدته السباع فحمله فى جراب على ظهره سنة حتى تروح وعكفت عليه الطير والسباع ينظرون أين يرمى به فتأكله فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره ورجليه حتى مكن له فى الارض ثم ألقاه فى الحفرة وواراه وقابيل ينظر اليه فلما رأى ذلك قال ياويلتى أعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاوارى سوأة أخى فاصبح من النادمين يعنى على حمله لا على قتله وروى عن الاوزاعى قال حدثنى المطلب بن عبد الله المخزومى لما قتل ابن آدم أخاه رجفت الارض بما عليها سبعة أيام ثم شربت الارض دمه كما تشرب الماء فناداه الله أين أخوك هابيل قال ما أدرى ما كنت عليه رقيبا فقال الله تعالى ان دم أخيك ليناديني من الارض فلم قتلت أخاك قال فأين دمه ان كنت قتلته فحرم الله على الارض من يومئذ أن تشرب دما بعده أبدا وعن الضحاك عن ابن عباس قال لما قتل قابيل هابيل وآدم بمكة اشتاك الشجر وتغيرت الاطعمة وحمضت الفواكه ومر الماء واغبرت الارض فقال آدم قد حدث فى الارض حدث فاتى الهند فاذا قابيل قد قتل هابيل فانشأ يقول وهو أول شعر قيل

تغيرت البلاد ومن عليها ❁ فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذى طعم ولون ❁ وقل بشاشة الوجه الصبيح

وروى عن ابن عباس أنه قال من قال ان آدم قال الشعر فقد كذب على الله ورسوله ورمى آدم بالمأثم ان محمدا صلى الله عليه وسلم والانبياء كلهم فى النهى عن الشعر سواء قال الله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له ولكن لما قتل قابيل هابيل رثاه آدم وهو سريانى وانما يقول الشعر من تكلم بالعربية فلما قال آدم مرثيته فى ابنه هابيل وهو أول شهيد على وجه الارض قال آدم لشيث يابنى انك وصى فاحفظ هذا الكلام ليتوارثه الناس فلم يزل ينقل حتى وصل الى يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام وكان يتكلم بالسريانية والعربية وهو أول من ركب الخيل وتكلم بالعربية وقال الشعر فنظر فى المرثية فاذا هو سجع فقال ان هذا اليقوم شعرا فرد المقدم الى المؤخر والمؤخر الى المقدم فوزنه شعرا فما زاد فيه ولا نقص حرفا من ذلك فقال

تغيرت البلاد ومن عليها ❁ فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذى طعم ولون ❁ وقل بشاشة الوجه الصبيح
وقابيل أذاق الموت هابيل ❁ فواحزنا لقد فقد المليح
ومالى لا أجود بسكب دمع ❁ وهابيل تضمنه الضريح
وجاءت شعلة ولها رنين ❁ لهابيلها وقابيلها يصيح

لقتل ابن النبي بغير جرم ✽ فقلبي عند قتلته جريح
وجاورنا لعين ليس يفنى ✽ عدو لا يموت فنستريح

﴿وقالت حواء﴾

دع الشكوى فقد هلكا جميعا ✽ بموت ليس بالثمن الربيح
وما يغني البكاء عن البواكي ✽ اذا ما المرء غيب في الضريح
فابك النفس وانزل عن هواها ✽ فلست مخلدا بعد الذبيح

فاجابهما ابليس لعنه الله شامتا بهما

تنح عن البلاد وساكنيها ✽ فني الجنات ضاق بك الفسيح
وكنت بها وزوجك في رخاء ✽ وقلبك من أذى الدنيا مريح
فما زالت مكايدتي ومكري ✽ الى أن فاتك الثمن الربيح
فلولا رحمة الجبار أضحى ✽ بكفك من جنان الخلد ريح

وقال سالم بن أبي الجعد لما قتل قابيل هابيل مكث آدم مائة سنة لا يضحك ثم اتى فقيل له حياك الله وأضحكك ولا أبكاك قال ولما مضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد ما قتل قابيل هابيل بخمس سنين ولد له شيث وتفسيره هبة الله يعني أنه خلف الله من هابيل وعلمه الله ساعات الليل والنهار وعبادة الخلق في كل ساعة منها وأنزل الله عليه خمسين صحيفة وكان وصي آدم وولي عهده وأما قابيل فقيل له اذهب فذهب طريدا شريدا فزعا مرعوبا لا يامن من رآه فأخذ بيد أخته اقليما وذهب بها الى عدن من أرض اليمن فأتى اليه ابليس وقال له انما أكلت النار قربان أخيك لأنه كان يخدم النار ويعبدها فانصب أيضا أنت نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت النار فهو أول من نصب النار وعبدها قال وكان لا يمر به واحد من ولده الا رماه وكان لقابيل ولد أعمى ومعه ابن له فقال ابن الاعمى لابيه هذا أبوك قابيل فرمى الاعمى أباه قابيل فقتله قال فقال ابن الاعمى انه أبوك فرفع يده فلطمه فمات فقال الاعمى ويل لي قتلت أبي برميتي وقتلت ابني بلطمتي قال مجاهد فعلقت احدى يدي قابيل الى فخذها وساقها وعلقت من يومئذ الى يوم القيامة ووجهت الى الشمس حيثما دارت وعليه في الصيف حظيرة نار وفي الشتاء حظيرة ثلج قالوا واتخذ أولاد قابيل آلات اللهو من أنواع الطبول والمزامير والطنابير وانهمكوا في اللهو وشرب الخمر والزنا وعبادة النار والاوثان والفواحش حتى أغرقهم الله بالطوفان في زمن نوح عليه السلام وبقي نسل شيث عليه السلام والله أعلم

﴿الباب العاشر في ذكر وفاة آدم عليه السلام﴾

ذكر أهل التاريخ وأصحاب الأخبار ان آدم عليه السلام مرض قبل موته أحد عشر يوما وأوصى الى ابنه شيث وكتب وصيته ودفعها الى شيث وأمره أن يخفي ذلك من ولد

قابيل

قابيل لان قابيل كان قد قتل هابيل حسدا منه له حين خصه آدم بتزويج أخته اقليما فخاف عليه أيضا أن يقتله حين خصه آدم بالعلم فاخفى شيث وولده ما عندهم من الوصية فلم يكن عند قابيل وولده علم ينتفعون به (وروى) أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لما أخرج الله ذرية آدم من ظهره فجعل يعرضهم على آدم فاذا قوم عليهم النور فقال يارب من هؤلاء الذين عليهم النور قال هؤلاء الانبياء والرسل واذا فيهم رجل يزهو وهو اضوأهم نورا فقال يارب من هذا فقال ذلك داود فقال يارب كم عمره قال ستون سنة قال يارب زده في عمره قال لا الا أن تزيده أنت من عمرك فقد جف القلم باعمار بني آدم وكان عمر آدم ألف سنة فوهب له من عمره أربعين سنة فكتب الله عليه بذلك كتابا وأشهد عليه الملائكة فلما مضى من عمره تسعمائة وستون سنة جاء اليه ملك الموت ليقبضه فقال آدم عجلت على ياملك الموت قال مافعلت بل أنت استوفيت أجلك قال آدم قد بقي من عمري أربعون سنة قال انك قد وهبتها لابنك داود قال مافعلت ولا وهبت له شيأ فأنزل الله الكتاب وأقام الملائكة شهودا ثم ان الله تعالى أكمل لآدم ألف سنة وأكمل لداود مائة سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نسي آدم فنسيت ذريته وجحد فجحدت ذريته فأمر الله بالكتاب والشهود من يومئذ قال ابن اسحق وغيره ثم ان آدم مات واجتمعت عليه الملائكة لانه صفي الرحمن فدفنته الملائكة وشيث واخوته في مشارق الفردوس عند قرية هي أول قرية كانت في الارض وكسفت عليه الشمس والقمر ستة أيام بلياليهن فلما اجتمعت عليه الملائكة بعث الله اليه بحنوط وكفن من الجنة وليت الملائكة غسله ودفنه فغسلته بالسدر والماء وترا وكفنوه في ثلاث ثياب ثم لحدوا له ودفنوه ثم قالوا هذه سنة ولد آدم من بعده قال ابن عباس فلما مات آدم قال شيث لجبريل صل على آدم فقال له جبريل تقدم أنت فصل على أبيك فصلى عليه وكبر ثلاثين تكبيرة فاما خمس فهي الصلاة وأما خمس وعشرون فهي تفضيل لآدم وقد اختلف في موضع قبره فقال ابن اسحق في مشارق الفردوس وقال غيره دفن بمكة وقيل في غار أبي قبيس وهو غار يقال له الغار الكبير وروى أبو صالح عن ابن عباس أنه قال مات آدم على جبل نود بالهند وقال ابن عباس لما كان أيام الطوفان حمل نوح تابوت آدم في السفينة فلما خرج من السفينة دفن آدم ببيت المقدس وكان وفاة آدم يوم الجمعة وعاشت حواء بعده سنة ثم ماتت فدفنت مع آدم عليهما السلام والله أعلم

(باب في الخصائص التي خص الله بها آدم عليه السلام)

قال الاستاذ خلق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه وجعله خاتمة خلقه وخلقه في أحسن صورة وأقسم عليه فقال عز من قائل والتين والزيتون وطور سينين وهذا

البلد الامين لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ولقنه الحمد حين عطس ثم قال له يرحمك ربك فسبقت له رحمته غضبه واسكنه بعد خلقه الجنة بلا عمل وأباح له جميع الجنة الا شجرة واحدة وعلمه الاسماء كلها وأمر ملائكته بالسجود له وأمرهم بالتلقين وجعله أبا البشر وجعله خليفته في الارض وعرّف الملائكة فضله عليهم ولعن ابليس من أجله مع كثرة عبادته وعاتب الملائكة بسببه وهو أوّل حامد وأوّل تائب وأوّل مجتبى وأوّل مصطفى وأوّل خليفة الله في الارض وهو المميز للارواح الخبيثة من الطيبة وهو الباعث يوم القيامة بعث النار من ذريته فهذه ثلاث وعشرون خصلة من خصائصه صلى الله عليه وسلم وشرّف وكرّم والله أعلم

﴿مجلس في ذكر النبي ادريس عليه السلام﴾

قال الله تعالى واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا (قال أهل العلم) باخبار الماضين وقصص النبيين هو ادريس بن يرد وقيل يارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم واسمه أخنوخ وسمي ادريس لكثرة درسه الكتب وصحف آدم وشيث وأمه اشوت وكان ادريس أوّل من خط بالقلم وأوّل من خاط الثياب ولبس المخيط وأوّل من نظر في علم النجوم والحساب بعثه الله الى ولد قابيل ثم رفعه الى السماء وكان سبب رفعه الى السماء على ما قال ابن عباس وأكثر الناس أنه سار ذات يوم فأصابه وهج الشمس فقال يارب اني مشيت في الشمس يوما فتأذيت فكيف بمن يحملها خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه ثقلها واحمل عنه حرّها فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها مالا يعرف فقال يارب خففت عني حر الشمس فما الذي قضيت عليّ فيه فقال تعالى ان عبدي ادريس سألني ان أخفف عنك ثقلها وحرّها فأجبته الى ذلك فقال يارب اجمع بيني وبينه واجعل بيني وبينه خلة فاذن الله له فكان ادريس يسأله وكان مما سأله أن قال أخبرت انك أكرم الملائكة على ملك الموت وأمكنهم عنده فاشفع لي اليه ليؤخر أجلي فأزداد شكرا وعبادة فقال الملك لا يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها قال قد علمت ذلك ولكنه أطيب لنفسي فقال أنا مكلمه لك وما كان يستطيع أن يفعل لاحد من بني آدم فهو فاعله لك ثم حمله الملك على جناحه حتى رفعه الى السماء ووضعه عند مطلع الشمس ثم انه أتى الى ملك الموت فقال له لي اليك حاجة فقال له أفعل لك كل شئ أستطيعه فقال لي صديق من بني آدم تشفع بي اليك لتؤخر أجله فقال ليس ذلك الي ولكن ان أحببت أعلمته أجله ومتى يموت فيتقدم في نفسه قال نعم فنظر في ديوانه فأخبره باسمه وقال انك كلمتني في انسان ما أراه يموت أبدا قال وكيف ذلك قال اني لا أجده يموت عند مطلع الشمس قال فاني أتيتك وتركته هناك فقال له فانطلق فلا أراك تجده الا وقد مات والله مابقي من أجل

ادريس شئ فرجع الملك فوجده ميتا (وقال وهب) كان يرفع له كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لاهل الارض جميعهم فى زمانه فعجبت منه الملائكة واشتاق اليه ملك الموت فاستأذن الله فى زيارته فأذن له فأتاه فى صورة بنى آدم وكان ادريس يصوم الدهر فلما كان وقت افطاره دعاه الى طعامه فأبى أن يأكل وفعل ذلك ثلاث ليال فأنكره وقال له فى الليلة الثالثة انى أريد أن أعلم من أنت قال أنا ملك الموت استأذنت ربى أن أزورك وأصاحبك فأذن لى فى ذلك فقال له ادريس لى اليك حاجة قال وماهى قال اقبض روحى فأوحى الله تعالى اليه أن اقبض روحه فقبض روحه ثم ردها الله عليه بعد ساعة فقال له ملك الموت فما الفائدة فى سؤالك قبض الروح قال لاذوق كرب الموت وغمه فاكون له أشد استعدادا ثم قال له لى اليك حاجة أخرى قال وماهى قال ترفعنى الى السماء لانظر اليها والى الجنة فأذن له فى ذلك فلما قرب من النار قال لى اليك حاجة قال وما تريد قال تسأل مالكا يفتح لى أبواب النار حتى أردها ففعل ذلك ثم قال فكما أريتنى النار فأرنى الجنة فذهب به الى الجنة فاستفتحها ففتحت له أبوابها فدخلها فقال له ملك الموت اخرج لتعود الى مقرك فتعلق بشجرة وقال لا أخرج منها فبعث الله ملكا حكما بينهما فقال له الملك مالك لا تخرج قال لان الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته وقال تعالى وان منكم الا واردها وقد وردتها وقال تعالى وماهم منها بمخرجين فلست أخرج فقال الله تعالى لملك الموت دعه فانه باذنى دخل الجنة وبأمرى لا يخرج فهو حى هناك فتارة يعبد الله فى السماء الرابعة وتارة يتنعم فى الجنة والله أعلم

﴿قصة هاروت وماروت﴾

قال الله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان الآية قال أهل التفسيرات الشياطين كتبوا السحر والنيرنجيات على لسان آصف فى مدة زوال ملك سليمان هذا ما علم آصف بن برخيا سليمان الملك ثم دفنوها تحت مصلاه ولم يشعر بذلك سليمان فلما مات استخرجوها من تحت مصلاه وقالوا للناس ما ملككم سليمان الا بهذه قال السدى وذلك ان شيطانا تمثل على صورة انسان فأتى نفرا من بنى اسرائيل فقال هل أدلكم على كنز لا ينفد أبدا قالوا نعم قال فاحفروا تحت كرسى سليمان وذهب معهم فأراهم المكان وقام ناحية فقالوا له ادن فقال لا ولكنى ههنا فان لم تجدوه فاقتلونى وذلك انه لم يكن أحد من الشياطين يدنو من الكرسى الا احترق فحفروا فوجدوا تلك الكتب فلما أخرجوها قال الشيطان ان سليمان كان يضبط الجن والانس والشياطين والطير بهذا ثم طار الشيطان وذهب فاما علماء بنى اسرائيل وصلحاؤهم فقالوا معاذ الله أن يكون هذا علم سليمان فان كان هذا علمه فقد هلك سليمان وأما الجهال والسفلة فأقبلوا على تعلمه ورفضوا كتب أنبيائهم فأنزل الله هذه الآية

اظهارا لعذر سليمان و بيانا للبراءة فهذه قصة الآية * وأما قصة هاروت وماروت فقال المفسرون ان الملائكة لما رأوا ما يصعد الى السماء من أعمال بنى آدم الخبيثة وذنوبهم الكثيرة وذلك فى زمن ادريس النبى عليه السلام عيروهم بذلك وانكروا عليهم وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم خلفاء فى الارض واخترتهم فهم يعصونك فقال تعالى لو انزلتكم الى الارض وركبت فيكم ماركبت فيهم لفعلتم مثل مافعلوا قالوا سبحانك ربنا ما كان ينبغى لنا أن نعصيك قال الله تعالى اختاروا ملكين من خياركم أهبطهما الى الارض فاختاروا هاروت وماروت وكانا من أصلح الملائكة وأعبدهم قال الكلبى قال الله تعالى اختاروا ثلاثة منكم فاختاروا عزا وهو هاروت وعزابيا وهو ماروت وعزرائيل وانما غير اسمهما لما اقترفا الذنب كما غير الله اسم ابليس وكان اسمه عزازيل فركب الله تعالى فيهم الشهوة التى ركبها فى بنى آدم وأهبطهم الى الارض وأمرهم أن يحكموا بين الناس بالحق ونهاهم عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر فاما عزرائيل فانه لما وقعت الشهوة فى قلبه استقال ربه وسأله أن يرفعه الى السماء فأقاله ورفعه وسجد أربعين سنة ثم رفع رأسه ولم يزل بعد ذلك مطأطئا رأسه حياء من الله تعالى وأما الآخران فانهما ثبتا على ذلك يقضيان بين الناس يومهما فاذا أمسيا ذكرا اسم الله تعالى الاعظم وصعدا الى السماء (قال قتادة) فما مر عليهما شهر حتى افتتنا وذلك أنه اختصم اليهما ذات يوم الزهرة وكانت من أجمل النساء قال على رضى الله عنه كانت من أهل فارس وكانت ملكة فى بلدها فلما رأياها أخذت بقلوبهما فراوداها عن نفسها فأبت وانصرفت ثم عادت فى اليوم الثانى ففعلا مثل ذلك فقالت لا الا ان تعبدا ما أعبد وتصليا لهذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا لا سبيل الى هذه الاشياء فان الله قد نهانا عنها فانصرفت ثم عادت فى اليوم الثالث ومعها قدح من خمر وفى نفسها من الميل اليهما ما فيها فراوداها عن نفسها فأبت وعرضت عليهما ما قالت بالامس فقالا الصلاة لغير الله أمر عظيم وقتل النفس عظيم وأهون الثلاثة شرب الخمر فشربا الخمر فانتشيا ووقعا بالمرأة وزنيا بها فرآهما انسان فقتلاه قال الربيع بن أنس وسجدا للصنم فمسخ الله الزهرة كوكبا وقال على رضى الله عنه والسدى والكلبى انها قالت لا تدركانى حتى تعلمانى الذى تصعدان به الى السماء فقالا نصعد باسم الله الاعظم فقالت فما أنتما بمدركى حتى تعلمانيه قال أحدهما لصاحبه علمها فقال انى أخاف الله فقال الآخر فأين رحمة الله تعالى فعلماها ذلك فتكلمت به وصعدت الى السماء فمسخها الله تعالى كوكبا (قال الاستاذ) فعلى قول هؤلاء هى الزهرة بعينها وقال آخرون هى هذا الكوكب الاحمر واسمها بالفارسية ناهيد وبالقبطية بادخت يدل على صحة هذا القول ما اخبرنا به يحيى بن اسمعيل باسناده

عن

عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا رأى سهيلا
قال لعن الله سهيلا انه كان عشارا باليمن ولعن الله الزهرة فانها فتنت ملكين هاروت
وماروت وقال مجاهد كنت مع ابن عمر ذات ليلة فقال لي ارمق الكوكب يعني الزهرة
فاذا طلعت فايقظني فلما طلعت أيقظته فلما نظر اليها سبها سبا شديدا فقلت يرحمك
الله تسب نجما سامعا مطيعا فقال ان هذه كانت بغيا فلقي الملكان منها ما لقيا وكذلك
قال ابن عباس وأنكر الآخرون هذا القول وقالوا الزهرة من الكواكب السبعة
السيارة التي جعلها الله تعالى قواما للعباد وأقسم بها فقال تعالى فلا أقسم بالخنس
الجوارى الكنس وانما كانت التي فتنت هاروت وماروت امرأة تسمى زهرة لجمالها
فلما زنت مسخها الله شهابا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزهرة ذكر تلك
المرأة الموافقة لهذا الاسم فلعنها وكذلك سهيل العشار كان رجلا فلما رأى رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذا النجم الموافق اسمه لاسم هذا الرجل لعنه يدل عليه ماروى
قيس بن عباد عن ابن عباس في هذه القصة قال كانت امرأة فضلت على النساء
بالحسن والجمال كما فضلت هذه الزهرة على سائر الكواكب قالوا فلما أمسى هاروت
وماروت بعد ما قارفا الذنب هما بالصعود الى السماء فلم تطاوعهما أجنحتهما فعلما ما حل
بهما فقصدا الى ادريس عليه السلام فأخبراه بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما الى الله
تعالى وقالا له انا رأيناك يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع أهل الارض فاشفع
لنا الى الله تعالى قال ففعل ادريس ذلك فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب
الآخرة فاختارا عذاب الدنيا لانه ينقطع فهما ببابل يعذبان (واختلف العلماء في
كيفية عذابهما) فقال ابن مسعود هما معلقان بشعورهما الى قيام الساعة وقال
مقاتل كبلا من أقدامهما الى أصول أفخاذهما وقال مجاهد ملئ جب نارا فجعلا فيه
وقال عمرو بن سعيد هما معلقان منكسان في السلاسل يضربان بسياط الحديد
(وروى) ان رجلا قصدهما لتعلم السحر فوجدهما معلقين بأرجلهما مزرقة أعينهما
مسودة وجوههما ليس بين ألسنتهم وبين الماء الا أربعة أصابع وهما يعذبان
بالعطش فلما رأى ذلك هاله مكانهما فقال لا اله الا الله فلما سمعا كلامه قالا لا اله الا
الله من أنت قال رجل من الناس قالا له ومن أي أمة أنت قال من أمة محمد صلى الله
عليه وسلم قالا أو بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم فحمد الله تعالى وأظهرا
الاستبشار فقال الرجل ومما استبشاركما قالا انه نبي الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا
(وروى) هشام عن عائشة أنها قالت قدمت امرأة من دومة الجندل جاءت تبتغي
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته تسأله عن شئ دخلت فيه من أمر السحر وما
تعمل به فقالت عائشة لعروة يا ابن أختي فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله صلى الله

عليه وسلم فكانت تبكى حتى رحمتها ثم قالت انى لأخاف أن أكون قد هلكت ثم
قالت كان لى زوج غاب عنى فدخلت على عجوز فشكوت لها ذلك فقالت ان فعلت
ما آمرك به جعلته يأتيك فلما كان الليل جاءتنى بكلبين اسودين فركبت أحدهما
وركبت هى الآخر فلم يكن كثير حتى وقفنا ببابل واذا برجلين معلقين بأرجلهما
فقالا ما جاء بك فقالت أتعلم السحر فقالا انما نحن فتنة فلا تكفرى فارجعى من
حيث أتيت فقلت لا قالا فاذهبى الى ذلك التنور فبولى فيه فذهبت لابول ففزعت فلم
أفعل فرجعت فقالا فعلت قلت نعم فقالا هل رأيت شيأ فقلت لم أر شيأ فقالا لم تفعلى
شيأ فارجعى الى بلادك ولا تكفرى فأبيت فقالا اذهبى الى ذلك التنور فبولى فيه
فذهبت فاقشعر جلدى وخفت ثم رجعت اليهما فقلت قد فعلت فقالا ما رأيت
قلت لم أر شيأ قالا كذبت لم تفعلى فارجعى الى بلادك ولا تكفرى فانك على رأس
أمرك فقلت لا فقالا لى اذهبى الى ذلك التنور فبولى فيه فذهبت اليه فبلت فيه
فرأيت فارسا مقنعا بحديد خرج منى حتى ذهب فى السماء وغاب حتى ما أراه فجئتهما
فقلت قد فعلت قالا فما رأيت قلت رأيت فارسا مقنعا بالحديد خرج منى وذهب
فى السماء فلم أره قالا صدقت ذلك ايمانك خرج منك واذهبى فقلت للمرأة والله ما أعلم
شيأ ولا قالا لى شيأ فقالت لا تريدين شيأ الا كان خذى هذا القمح فابذرى به فبذرته ثم
قلت له اطلع فطلع فقلت له احصد فحصد فقلت انفرك فانفرك ثم قلت أنطحن فطحن
ثم قلت انخبز فخبز فلما رأيت أنى لا أريد شيأ الا كان سقط فى يدى فرجعت وندمت
والله يا أم المؤمنين ما فعلت شيأ قط ولا أفعله أبدا * قال الاوزاعى بلغنى أن جبريل
عليه السلام أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا جبريل صف لى النار فقال ان الله
تعالى أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت
فهى سوداء مظلمة لا يطفأ جمرها ولا يخمد لهبها والذى بعثك بالحق لو ان ثوبا من ثياب
أهل النار ظهر لاهل الارض لماتوا جميعا ولو ان ذنوبا من شرابها صب فى ماء الارض
جميعا لقتل من ذاقه ولو ان حلقة من السلسلة التى ذكرها الله وضعت على جبال
أهل الارض جميعا لذابت وما استقلت ولو ان رجلا دخل النار وخرج لمات أهل
الارض من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه فبكى النبى صلى الله عليه وسلم وبكى
جبريل لبكائه وقال أتبكى يا محمد وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا
أكون عبدا شكورا وبكى جبريل فقال يا جبريل أتبكى وأنت الروح الامين
أمين الله على وحيه قال أخاف ان أبتلى بما ابتلى به هاروت وماروت فهذا الذى منعنى
من اتكالى على منزلتى عند ربى فأكون قد أمنت مكره فلم يزالا يبكيان حتى نودى
من السماء يا جبريل ويا محمد ان الله تعالى قد آمنكما من غضبه فلا يعذبكما وان

فضل

فضل محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء كفضل جبريل على سائر الملائكة

﴿ مجلس في قصة نوح عليه السلام ﴾

قال الله تعالى لنبيه عليه السلام واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه الآية وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ بن يرد بن مهلايل بن قينان بن أنوش بن شيث عليه السلام وأمه قينوش بنت راكيل وقيل بنت كابيل بن محوئيل بن أخنوخ أرسله الله تعالى الى ولد قابيل ومن تابعهم من ولد شيث قال ابن عباس وكان بطنان من ولد آدم احدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكان في رجال الجبل صباحة وفي نسائهم دمامة وكان في نساء السهل صباحة وفي الرجال دمامة وان ابليس أتى رجلا من أهل السهل في صورة غلام فآجر نفسه منه وكان يخدمه واتخذ ابليس شيأ مثل الذي يزمر به الرعاة فجاء منه بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حولهم فأتوهم مستمعين اليه واتخذوه عيدا يجتمعون اليه في السنة فتتبرج النساء للرجال والرجال لهن وان رجلا من أهل الجبل هجم عليهم وهم في عيدهم فرأى النساء وصباحتهن فجاء الى أصحابه فأخبرهم بذلك فتحولوا اليهم فنزلوا معهم وظهرت الفاحشة فيهم وهو قوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى (قال ابن عباس) كان آدم أوصى أن لا ينا كح بنو شيث بني قابيل فجعل بنو شيث آدم في مغارة وجعلوا عليه حفاظا لئلا يقربه أحد من أولاد قابيل وكان الذي يأتونه ويستغفر لهم بنو شيث فقال مائة من بني شيث صباح لو نظرنا مافعل بنو عمنا يعنون بني قابيل فهبطت المائة الى نساء السهل صباح الوجوه من بني قابيل فاحتبس النساء الرجال ثم مكثوا ماشاء الله فقال مائة أخرى لو نظرنا مافعل اخوتنا فهبطوا من الجبل اليهم فاحتبستهم النساء ثم هبط بنو شيث كلهم فظهرت المعصية وتناكحوا واختلطوا وكثر بنو قابيل حتى ملؤا الارض وأكثروا الفساد فبعث الله اليهم نبيهم نوحا وهو ابن خمسين سنة ولبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله تعالى ويخوفهم بأسه ويحذرهم سطوته كما أخبر الله تعالى بقوله قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا وقال تعالى وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم أظلم وأطغى وقال تعالى وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين وروى الضحاك عن ابن عباس انه قال ان نوحا كان يضرب ثم يلف في لبد ثم يلقى في بيته فيرون انه قد مات ثم يخرج فيدعوهم حتى آيس من ايمان قومه فبعد ذلك جاء رجل ومعه ابنه يتوكأ على عصا فقال يا بني انظر الى هذا الشيخ اياك أن يغررك فقال يا أبت مكني من العصا فأعطاه العصا فقال ضعني في الارض فوضعه فمشى اليه فضربه بالعصا فقال نوح رب قد ترى ما يصنع بي عبادك فان يكن لك في عبادك حاجة فاهدهم وان يكن غير ذلك فصبرني الى أن تحكم بيني وبينهم وأنت

خبر الحاكمين فاوحى الله اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما
كانوا يفعلون فآيسه من ايمان قومه وأخبره انه لم يبق فى اصلاب الرجال ولا أرحام
النساء مؤمن فعند ذلك دعا عليهم وقال رب انهم عصونى الآية الى قوله ولا تذرن ودا
ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا وهى أسماء أصنام لهم كانوا
يعبدونها من دون الله وقوله تعالى رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك
ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وقوله تعالى ولا تزد الظالمين الا تبارا
أى هلا كا ودمارا فأجاب الله دعاءه وأمره أن يصنع الفلك كما قال تعالى واصنع الفلك
باعيننا ووحينا الآية قال نوح يارب وما الفلك قال بيت من خشب يجرى على وجه
الماء حتى أغرق أهل المعصية وأريح أرضى منهم قال نوح يارب أين الماء قال يانوح
انى على ما أشاء قدير قال نوح يارب وأين الخشب قال اغرس الشجر فغرس الساج
وأتى على ذلك أربعون سنة وكف فى تلك المدة عن الدعاء فلم يدعهم فاعقم الله تعالى
أرحام نسائهم فلم يولد لهم ولد فلما أدرك الشجر أمره ربه أن يقطع الشجر فقطعه وجففه
ثم قال يارب كيف أتخذ هذا البيت قال اجعله أزور على ثلاث صور رأسه كرأس الديك
وجوفه كجوف الطير وذنبه كذنب الديك مائلا واجعلها مطبقة واجعل أبوابها
فى جنبيها واجعلها ثلاث طبقات واجعل طولها ثمانين ذراعا وعرضها خمسين ذراعا
وطولها فى السماء ثلاثين ذراعا والذراع الى المنكب هذا قول أهل الكتاب ثم بعث
الله جبريل يعلم نوحا صنعة الفلك وكان نوح يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيئ عدة
الفلك من القار وغيره وكان قومه يمرون عليه وهو فى عمله فيسخرون منه ويقولون
يانوح قد صرت نجارا بعد النبوة ثم يقولون ألا ترون الى هذا المجنون يتخذ بيتا ليسير به
على الماء ويضحكون منه وذلك قوله تعالى ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ
من قومه سخروا منه فيقول نوح ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف
تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم وأوحى الله الى نوح أن
عجل صنعة الفلك فقد اشتد غضبى على من عصانى فاستأجر نوح اجراء يعملون معه
وأولاده سام وحام ويافث ينحتون معه السفينة فجعل السفينة طولها ستمائة ذراع
وستون ذراعا وعرضها ثلثمائة وثلاثون ذراعا وطولها فى السماء ثلاثة وثلاثون ذراعا
هذا قول ابن عباس فى رواية الضحاك وطلاها بالقار داخلها وخارجها وشدها
بالدسر وهى مسامير الحديد وذلك قوله تعالى وحملناه على ذات ألواح ودسر وفجر الله
له عين القار بجنب السفينة تغلى غليانا حتى طلاها به فلما فرغ من صنع السفينة
أوحى الله اليه أن احمل فيها من كل زوجين اثنين من أنواع الحيوانات كلها حتى
لا ينقطع نسلهم وحشرها الله اليهم من البر والبحر والسهل والجبل وقد جعل

الله فوران التنور آية بينه وبين نوح وعهد الله اليه فقال اذا رأيت التنور قد فار فاركب أنت ومن معك على الفلك واحمل فيها من كل زوجين اثنين كما قال الله تعالى حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور أى عذابنا وهو الطوفان قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين الآية واختلف العلماء فى قوله تعالى وفار التنور قال على بن أبى طالب رضى الله عنه يعنى طلع الفجر ونور الصبح وقال ابن عباس انبجس الماء من وجه الارض والعرب تسمى وجه الارض تنورا وقال قتادة التنور أشرف موضع فى الارض وأعلى مكان فيها وقال الحسن أراد بالتنور الذى يخبز فيه وكان تنورا من حجارة وكان لآدم ثم انتقل الى نوح فقيل له اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت وأصحابك فنبع الماء من التنور فعلمت به امرأته فاخبرته واختلفوا فى موضعه فقال مجاهد كان ذلك فى ناحية الكوفة وروى السدى عن الشعبى أنه كان يحلف بالله ما فار التنور الا فى ناحية الكوفة وقال اتخذ نوح السفينة فى جوف مسجد الكوفة وكان التنور عن يمين الداخل مما يلى باب كندة وكان فوران الماء علما لنوح ودليلا على هلاك قومه وقال مقاتل ذلك تنور آدم وانما كان بالشام فى موضع يقال له عين ورد وقال ابن عباس كان التنور بالهند والفوران هو الغليان فلما رآه نوح أيقن بنزول العذاب فحمل من كل زوجين اثنين من أنواع الحيوانات كما أمره الله تعالى قال ابن عباس أرسل الله المطر أربعين يوما وليلة فأقبلت الوحوش والطير والدواب الى نوح حين أصابها المطر وسخرت له فحمل منها من كل زوجين اثنين فكان أول ما حمل نوح فى الفلك من الدواب الذرة وآخر ما حمل الحمار فلما دخل الحمار بصدره تعلق ابليس بذنبه فلم تستقل رجلاه فجعل نوح يقول ادخل فينهض فلا يستطيع حتى قال ويحك ادخل وان كان الشيطان معك كلمة زل بها لسانه فلما قالها نوح خلى الشيطان سبيله فدخل ودخل الشيطان معه فقال له نوح ما أدخلك يا عدو الله فقال ألم تقل ادخل ولو كان الشيطان معك قال اخرج يا عدو الله قال ما أخرج وما كان بد لك أن تحملنى معك وكان فيما يزعمون على ظهر الفلك قال مالك بن سليمان الهروى ان الحية والعقرب أتيا نوحا فقالا احملنا فقال انكما سبب الضر والبلايا فلا احملكما قالا احملنا ونحن نضمن لك أن لا نضر أحدا ذكرك فمن قرأ حين يخاف مضرتهما سلام على نوح فى العالمين انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين لم تضراه * عن وهب ابن منبه قال لما أمر الله تعالى نوحا أن يحمل من كل زوجين اثنين قال كيف أصنع بالاسد والبقر وكيف أصنع بالعناق والذئب وكيف أصنع بالحمام والهر قال الله تعالى له من ألقى بينهم العداوة قال أنت يا رب قال فانا أؤلف بينهم حتى لا يتضاروا فحمل نوح السباع والدواب فى الطبقة الاولى فألقى الله على الاسد الحمى وشغله بنفسه عن الدواب والبقر

ولذلك قيل   وما الكلب محموما وان طال عمره ۞ لعمرك ما المحموم دوما سوى الاسد
وجعل الوحوش فى الطبقة الثانية وركب هو ومن معه من أولاد آدم فى الطبقة العليا
وحمل الدرة معه فى الطبقة العليا شفقة عليها لئلا يقتلها شئ واختلفوا فى أهل
السفينة الذين ذكرهم الله تعالى فى قوله تعالى وأهلك الا من سبق عليه القول منهم
قال الضحاك كان نوح اذا اراد ان ترسو السفينة قال بسم الله فرست واذا اراد أن تجرى
قال بسم الله فجرت على الماء فذلك قوله تعالى بسم الله مجراها ومرساها الآية ومن
آمن وما آمن معه الا قليل من هم وكم هم قال قتادة لم يكن فى السفينة الا نوح وامرأته
وثلاثة من بنيه سام وحام ويافث ونساؤهم فجميعهم ثمانية فأصاب حام امرأته
فى السفينة فدعا نوح ربه قال فتغيرت نطفته فجاء بالسودان قال الكلبى أمر نوح أن
لا يقرب ذكر أنثى مادام فى السفينة فوثب الكلب على الكلبة فدعا عليه نوح فقال
نوح اللهم اجعله عسرا وقال الاعمش كانوا سبعة نوح وثلاثة بنين وثلاث كنائن له وقال ابن
اسحق كانوا عشرة سوى نسائهم وهم نوح وبنوه سام وحام ويافث وستة أناس ممن
كانوا آمنوا معه وأزواجهم جميعا وقال مقاتل كانوا سبعين ونوح وامرأته وبنوه الثلاثة
ونساؤهم فكان الجميع ثمانية وسبعين نفسا نصفهم نساء ونصفهم رجال وقال ابن
عباس كانوا ثمانين انسانا وحمل نوح جسد آدم معه وجعله معرضا حاجزا بين الرجال
والنساء قالوا فلما ركب نوح فى الفلك وأدخل معه كل من آمن كان ذلك فى شهر آب
بالرمية فلما دخلها وحمل معه من حمل تحركت ينابيع الارض والغوط الاكبر
وأمطرت السماء كأفواه القرب كما قال تعالى ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا
الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر يعنى التقى ماء السماء وماء الارض فجعل
الماء ينزل من السماء وينبع من الارض حتى كثر واشتد وكان بين ارسال الماء
وبين احتمال الماء الفلك أربعين يوما وليلة ثم احتمل الماء الفلك وكان كنعان بن نوح
تخلف عن أبيه قال قتادة لم يركب فى السفينة فناداه نوح وكان فى معزل يابنى اركب
معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء قال لا عاصم
اليوم من أمر الله الا من رحم وكان عهد كنعان الجبال انها تحصن من المطر فظن ذلك
كما كان فقال نوح لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان
من المغرقين وكثر الماء فارتفع فوق الجبال قال ابن عباس ارتفع على أعلى جبل
فى الارض خمسة عشر ذراعا وروت عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لو رحم الله أحدا من قوم نوح لرحم المرأة أم الصبى وذلك انها خشيت عليه
من الماء وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت به الى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغها
الماء خرجت حتى استوت على الجبل وحملت الصبى فلما بلغ رقبتها رفعته بيدها حتى

ذهب بهما الماء فلو رحم الله أحدا منهم لرحم هذه قالوا ثم طافت السفينة بأهلها
الارض كلها في ستة أشهر لا تستقر على شئ حتى أتت الحرم فلم تدخله ودارت بالحرم
أسبوعا وقد رفع الله البيت الذي كان يحجه آدم صيانة له من الغرق وهو البيت المعمور
وخبأ جبريل الحجر الاسود في جبل أبي قبيس فلما طافت السفينة بالحرم ذهبت
في الارض تسير بهم حتى انتهت الى الجودي وهو جبل حصين من أرض الموصل
فاستقرت عليه قال مجاهد تشامخت الجبال وتطاولت لئلا ينالها ماء فعلا الماء
فوقها خمسة عشر ذراعا وتواضع لامر ربه الجودي فلم يغرق فارست السفينة عليه
فذلك قوله تعالى واستوت على الجودي وقال ابن عباس استوت السفينة على
الجودي وقد باد ما على وجه الارض من الكفار ومن كل شئ فيه الروح والاشجار فلم
يبق شئ من الحيوانات الا نوح ومن معه في الفلك والاعوج بن عنق فذلك قوله تعالى
وقيل بعدا للقوم الظالمين أي هلاكا قال ابن عباس كان عوج يحتجز بالسحاب ويشرب
منه من طوله ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس ويرفعه البهائم
يأكله فقال لنوح احملني معك فقال أخرج يا عدو الله فاني لم أومر بحملك وطبق الله
الماء على وجه الارض والجبال وما بلغ ركبتي عوج بن عنق فلما استوت السفينة على
الجودي قيل يا أرض ابلعي ماءك أي انشفي ويا سماء اقلعي أي احبسي ماءك
وغيض الماء أي ذهب ونقص فصار ما نزل من السماء هذه البحور التي في الارض لانها
آخر ما بقي في الارض من ماء الطوفان وبقي في الارض أربعين سنة ثم ذهب وروى
عن علي بن زيد بن جدعان عن يوسف ابن مهران عن ابن عباس قال قال الحواريون
لعيسى بن مريم عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم
حتى انتهى بهم الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال أتدرون ما هذا
قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا كعب سام بن نوح قال ثم ضرب الكثيب بعصاه وقال له
قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال له عيسى أهكذا
هلكت قال لا بل مت وأنا شاب ولكني ظننت أنها الساعة فمن ثم شبت فقال له
حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة
ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة فيها الدواب والوحوش وطبقة فيها الانس وطبقة
فيها الطير فلما كثرت أرواث الدواب أوحى الله الى نوح أن اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع
منه خنزير وخنزيرة فاقبلا على الروث فاكلاه فلما كثرت الفأر في السفينة وجعل
يقرض حبالها وذلك أنه توالد في السفينة أوحى الله تعالى الى نوح أن اضرب بين عيني
الاسد فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة فاقبلا على الفأر فاكلاه فقال له عيسى
كيف علم نوح ان البلاد قد يبست قال بعث نوح غرابا يأتيه بالخبر فوجد جيفة

فوقع عليها واشتغل عن الرجوع فدعا عليه نوح بالخوف فلذلك لا يألف البيوت ثم
بعث الحمامة فجاءت بورق زيتون بمنقارها وطين برجليها فعلم أن البلاد قد جفت قال
فطوقها بالخضرة التي في عنقها ودعا لها أن تكون في أنس وأمان فمن ثم تألف
البيوت فقالوا يارسول الله ألا ننطلق به الى أهلنا فيجلس معنا ويحدثنا قال كيف
يتبعكم من لا رزق له ثم قال له عد باذن الله تعالى فعاد ترابا قال أهل التاريخ أرسل الله
الطوفان لثلاثة عشر يوما خلت من آب ومضى ستمائة سنة من عمر نوح وانتمة ألفي سنة
ومائة سنة وست وخمسين سنة من لدن أهبط آدم الى الارض وركب نوح ومن معه
في السفينة لعشر خلون من رجب وخرجوا منها في العاشر من المحرم فلذلك سمي يوم
عاشوراء وأقاموا في الفلك ستة أشهر فلما هبط نوح ومن معه من الفلك سالما صام
نوح وأمر جميع من معه من الانس والوحوش والدواب والطير فصاموا شكرا لله
تعالى ويقال ان نوحا وقومه كانت قد اظلمت عليهم أعينهم في السفينة من دوام
النظر الى الماء فامروا بالا كتحال يوم عاشوراء الذي خرجوا فيه من السفينة عن ابن
عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكتحل بالاثمد يوم عاشوراء لم ترمد
عينه أبدا فلما خرج نوح ومن معه من السفينة اتخذ في ناحية من أرض الجزيرة موضعا
وابتنى هنالك قرية سموها سوق ثمانين لانه كان ابتنى فيها لمن آمن معه وهم ثمانون
فهي اليوم تسمى سوق ثمانين واوحى الله تعالى الى نوح انه لا يعود الطوفان الى الارض
ابدا وعاش نوح بعد ذلك ثلثمائة وخمسين سنة فكان جميع عمره ألف سنة الا خمسين
عاما ثم قبضه الله تعالى اليه هذا هو اكثر أقاويل العلماء وكذلك هو في التوراة وقال
عون بن أبي شداد عاش نوح بعد الطوفان ألف سنة الا خمسين عاما وقبله ثلثمائة
وخمسين سنة فعلى هذا القول يكون مبلغ عمر نوح ألفا وثلثمائة سنة ويروى انه قيل
لنوح لما احتضر كيف وجدت الدنيا قال كبيت له بابان دخلت من أحدهما
وخرجت من الآخر ولما حضرته الوفاة أوصى ابنه ساما وجعله ولي عهده وكان ولد له
سام قبل الطوفان بثمان وسبعين سنة وقيل لما حضرته الوفاة دعا ابنه ساما وهو بكره
فقال يابني أوصيك باثنتين وانهاك عن اثنتين فاما اللذان انهاك عنهما
فالاشراك بالله والكبر فانه لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من الشرك والكبر
وأما اللذان أوصيك بهما فاني رأيتهما يكثران الولوج الى الله تعالى قول لا اله الا الله
وسبحان الله فان قول لا اله الا الله لو جعت السموات السبع والارضون السبع
لخرقتهما حتى تبلغ الى ربها ولو جعلت لا اله الا الله في كفة ميزان لرجحت بالسموات
السبع والارضين السبع ومافيها وأوصيك بسبحان الله فانها صلاة الخلق وبها
يرزقون

﴿ذكر خصائص نوح عليه السلام﴾

وهو

وهو خمس عشرة خصلة لم يسم أحد من الانبياء باسمه وسمي بذلك لكثرة نوحه على
نفسه وكان أول نبي من أنبياء الشريعة وأول داع الى الله تعالى وأول نذير عن الشرك
وأول من عذبت امته لردهم دعوته واهلك أهل الارض كلهم بدعائه ويقال ان الله
تعالى أوحى اليه بعد الطوفان اني خلقت خلقي وأمرتهم بطاعتي فانتهكوا معصيتي
فاشتد لذلك غضبي فعذبت بذنوب العاصين من لم يعصني وعذبت بذنوب بني آدم جميع
خلقي في حلفت اني لا اعذب بمثل هذا العذاب أحدا من خلقي بعدها ولكن اجعل
الدنيا دولا بين عبادي ثم أجزيهم باعمالهم اذا اجتمعوا عندي وكان عليه السلام
أطول الانبياء عمرا وقيل له أكبر الانبياء وشيخ المرسلين وجعل معجزته في نفسه لانه
عمر ألف سنة ولم ينقص له سن ولم تنقص له قوة ولم يبالغ أحد من الرسل في الدعوة
مثل ما بالغ وكان يدعو قومه ليلا ونهارا واعلانا واسرارا ولم يلق نبي من امته من
الضرب والشتم وأنواع الاذى والجفاء مالقي فلذلك قال الله تعالى وقوم نوح من قبل
انهم كانوا قوما فاسقين وجعل ثاني المصطفى في الميثاق والوحي قال الله تعالى واذ أخذنا
من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وقال تعالى انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح
والنبيين من بعده وفي البعث هو أول من تنشق عنه الارض يوم القيامة بعد محمد صلى
الله عليه وسلم وأعطاه الفلك وعلمه صنعته وحفظه بما فيه وأجراه فوق الماء وسماه
شكورا فقال تعالى ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا وأكرمه بالسلامة
والبركة فقال تعالى يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك الآية
قال محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة
وجعل ذريته هم الباقين فهو أول البشر وأصل النسل وروى عن الحسن عن سمرة بن
جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد لنوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام
أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج قال
عطاء ودعا نوح على حام أن لا يعدو شعر ولده آذانهم وحيثما كان ولده يكونون عبيدا
لولد سام ويافث فلما هبط نوح وذريته من الفلك قسم الارض بين ولده أثلاثا فجعل
لسام وسط الارض ففيها بيت المقدس والنيل والفرات ودجلة وسيحون وجيحون
وذلك مابين فيسون الى شرقي النيل ومابين مجرى الجنوب الى مجرى الشمال وجعل
لحام قسمه غربي النيل ومابين مجرى ريح الجنوب وماوراءه الى سيحون الى مجرى ريح
الدبور وجعل قسم يافث من فيسون فما وراءه الى مجرى الصبا فذلك قوله تعالى
وجعلنا ذريته هم الباقين وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين انا
كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين

﴿مجلس في قصة هود عليه السلام﴾

قال الله تعالى والى عاد أخاهم هودا الى تتقون وهو عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح
وهو عاد الاولى وكانوا ينزلون اليمن وكانت منازلهم منها بالشحر والاحقاف كما قال الله
تعالى واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر الآية وهو رمال يقال لها
رمل عالج وهي ما بين عمان الى حضرموت وكانوا مع ذلك قد فشوا في الارض وكثروا
وقهروا أهلها لفضل قوتهم التي آتاهم الله تعالى وكان قد أعطاهم الله من القوة والقامة
مالم يعط غيرهم كما قال تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق
بسطة أي عظما وطولا وقوة وشدة قال أبو حمزة اليماني كان طول كل رجل منهم سبعين
ذراعا وقال ابن عباس ثمانين ذراعا وقال الكلبي كان أطولهم مائة ذراع واقصرهم
ستين ذراعا وقال وهب كان رأس أحدهم كالقبة العظيمة وكانت عين الرجل منهم
تفرخ فيها السباع وكذلك مناخرهم وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله تعالى
فنها صنم يقال له صدى وصنم يقال له هرد وصنم يقال له هبا فبعث الله اليهم هودا نبيا
وهو من أوسطهم نسبا وأفضلهم حسبا وهود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن
عوص بن أرم بن سام بن نوح وقال محمد بن اسحق بن يسار وهود بن عابر بن شالخ بن
ارفخشذ بن سام بن نوح وولد لشالخ عابر بعد ان مضى من عمره ثلاثون سنة فأمرهم هود
أن يوحدوا الله تعالى ولا يجعلوا معه الها غيره وان يكفوا عن ظلم الناس ولم يأمرهم فيما
يذكر بغير ذلك فأبوا ذلك عليه وكذبوه وقالوا من أشد منا قوة وبنوا المصانع وبطشوا
فيها بطش الجبارين كما قال تعالى اتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع
لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين فلما فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر ثلاث
سنين حتى أضر بهم ذلك وكان الناس في ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء وجهد طلبوا
من الله تعالى الفرج وكان طلبهم ذلك من الله تعالى عند بيته الحرام بمكة مسلمهم
وكافرهم فيجتمع بمكة ناس كثير شتى مختلفة أديانهم وكلهم معظم لمكة عارف بحرمتها
ومكانها عند الله تعالى وأهل مكة يومئذ العماليق وانما سموا العماليق لان أباهم عمليق
ابن سام بن نوح وكان سيد العماليق اذ ذاك بمكة رجلا يقال له معاوية بن بكر وكانت أم
معاوية اسمها ناهدة بنت الخبيري رجل من عاد فلما قحط المطر عن عاد جهدوا وقالوا
جهزوا منكم وفدا الى مكة فليستسقوا لكم فبعثوا منهم قيل بن عنز ولقيم بن هزال بن
هزيل وعبيل بن ضد بن عاد الاكبر ومرثد بن سعد بن عفير وكان مسلما كتم اسلامه
وجهلمة بن الخبيري قال معاوية بن بكر ثم بعثوا أيضا لقمان بن عاد بن ضد بن عاد الاكبر
فانطلق كل رجل من هؤلاء القوم ومعه رهط من قومه حتى بلغ عدد وفدهم سبعين
رجلا فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارج الحرم فأنزلهم
وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهرا يشربون الخمور وتغنيهم الجرادتان

وهما قينتان لمعاوية بن بكر وكان مسيرهم شهرا ومقامهم شهرا فلما رأى معاوية طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يستغيثون من البلاء الذى اصابهم شق ذلك عليه وقال هلك أخوالى وأصهارى وهؤلاء مقيمون عندى وهم ضيفى والله ما أدرى كيف أصنع بهم فأستحيي ان آمرهم بالخروج الى ما بعثوا اليه فيظنون أنه ضيق منى بمقامهم عندى وقد هلك من وراءهم من قومهم جهدا وعطشا فشكا ذلك من أمرهم الى قينتيه الجرادتين فقالتا له قل شعرا نغنيهم به ولا يدرون من قاله لعل ذلك يحركهم فقال معاوية بن بكر

الا يا قيل ويحك قم فهينم ❁ لعل الله يمنحنا غماما
فتسقى أرض عاد ان عادا ❁ قد امسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجو ❁ به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساءهمو بخير ❁ فقد امست نساءهمو عيامى
وان الوحش يأتيهم جهارا ❁ ولا يخشى لعادى سهاما
وأنتم ههنا فيما اشتهيتم ❁ نهاركمو وليلكمو تماما
فقبح وفدكم من وفد قوم ❁ ولا لقوا التحيه والسلاما

فلما غنتهم الجرادتان بهذا قال بعضهم لبعض يا قوم انما بعثكم قومكم يستغيثون بكم من هذا البلاء الذى نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا هذا الحرم فاستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعد وكان قد آمن بهود عليه السلام سرا انكم والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان أطعتم نبيكم وأبتم الى ربكم سقيتم فاظهر اسلامه عند ذلك قال جهلمة بن الخيبري خال معاوية حين سمع قوله وعرف انه قد اتبع دين هود عليه السلام

أبا سعد فانك من قبيل ❁ ذوى كرم وامك من ثمود
فانا لا نطيعك ما بقينا ❁ ولسنا فاعلين لما تريد
أتأمرنا لنترك دين رفد ❁ ورمل وآل ضد والعبود
ونترك دين آباء كرام ❁ ذوى رأى ونتبع دين هود

ثم قال لمعاوية بن بكر وأبيه بكر وكان شيخا كبيرا احبسا عنا مرثد بن سعد حتى لا يقدم معنا مكة فانه قد تبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا الى مكة يستسقون لعاد بها فلما دخلوا مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية حتى أدركهم بمكة قبل أن يدعوا الله بشئ مما خرجوا اليه فلما انتهى قام يدعو الله ووفد عاد قد أخذوا يدعون فجعل يقول اللهم اعطنى سؤلى وحدى ولا تدخلنى فى شئ مما يدعو به وفد عاد وكان قيل بن عنز رأس وفد عاد قد أمرهم أن يؤمنوا عليه فقال وفد عاد اللهم اعط قيلا ما سألك واجعل سؤلنا مع سؤله وكان تخلف عن وفد عاد لقمان بن عاد ولم يدخل فى دعوتهم فقال اللهم انى جئتك وحدى فى حاجتى فاعطنى سؤلى وقال قيل بن عنز حين دعا واستسقى اللهم لم

أجئ لمريض فاداويه ولا لاسير فأفاديه اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم يا الهنا ان كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا فانشأ الله سحائب ثلاثة واحدة بيضاء وواحدة حمراء وواحدة سوداء ثم ناداه مناد من السحاب ألا يا قيل اختر لنفسك واحدة من هذه السحب الثلاث فقال قيل اخترت السحابة السوداء فانها اكثر السحاب ماء فناداه المنادى يقول اخترت يا قيل رمادا رمددا لم تبق من آل عاد أحدا الا والدا تترك ولا ولدا الا جعلتهم رمما همدا الا بنو اللويذة المهدا وبنو اللوذية رهط من هزال بن هزيل بن بكر وكانوا سكانا بمكة مع أخوالهم لم يكونوا مع عاد بارضهم فهم عاد الآخرة فساق الله السحابة السوداء التى اختارها قيل بما فيها من النقمة الى عاد حتى خرجت عليهم من وادلهم يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فقال الله تعالى بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ بأمر ربها أى كل شئ مرت به وكان أول من أبصر ما فيها وعرف انها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها مهدد فلما تبينت ما فيها من العذاب صاحت ثم صعقت فلما أفاقت قالوا ما رأيت قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار أمامها رجال يقودونها * أخبرنا الحسن بن محمد بن الحسين أنبأنا محمد بن جعفر أنبأنا الحسن بن علوة أنبأنا اسمعيل بن عيسى أنبأنا اسحق بن بشر أخبرنى المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال أوحى الله تعالى الى الريح العقيم أن تخرج على قوم عاد فتنتقم له منهم فخرجت بغير كيل ولا وزن على قدر منخر ثور حتى رجفت الارض مما يلى المشرق والمغرب قال فقال الخزان يا رب لن نطيقوها ولو خرجت على حالها لاهلكت ما بين مشارق الارض ومغاربها فأوحى الله اليها ان ارجعى فاخرجى على قدر خرمة الخاتم وهى الحلقة قال فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما أى دائمة متتابعة فلم تدع أحدا من عاد الا أهلكته وكان هود ومن معه قد اعتزلوا فى حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما يلين جلودهم وتلذ به الانفس وانها من عاد لتطعن فتحملهم ما بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة حتى هلكوا قال محمد بن اسحق والسدى بعث الله على عاد الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا الى الابل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والارض فتبادروا البيوت فلما دخلوها دخلت عليهم الريح فأخرجتهم منها فهلكوا فلما أهلكهم الله تعالى أرسل عليهم طيورا سودا التلقيهم فى البحر فألقتهم فيه قال ابن بشار لما خرجت الريح على عاد من الوادى قال تسعة رهط منهم أحدهم الخلجان وكان رئيسهم وكبيرهم فى ذلك الزمان تعالوا حتى نقوم على رأس الوادى فنردها فجعلت الريح تدخل تحت الواحد منهم فتحمله ثم ترمى به فيندق عنقه وكانت الريح تقلع الشجرة العظيمة بعروقها وتهدم عليهم بيوتهم وتقلعهم فتتركهم كما قال الله تعالى كأنهم أعجاز نخل خاوية حتى لم يبق

منهم

منهم الا الخلجان فال الى الجبل فاخذ بجانب منه فهزه فاهتز فى يده ثم أنشأ يقول

لم يبق الا الخلجان نفسه ❊ يالك من يوم دهانى أمسه
ثبات الوطء شديد ابطشه ❊ لو لم يجئنى جئته واحبسته

فقال له هود ويحك ياخلجان أسلم تسلم فقال له مالى عند ربك اذا أسلمت قال الجنة قال فما هؤلاء الذين أراهم فى السحاب كأنهم البخت قال هو ذلك الملائكة قال ان أسلمت أيقيدنى ربك منهم لقومى قال ويحك هل رأيت ملكا يقيد من جنوده فقال لوفعل مارضيت فجاءت الريح فألحقته باصحابه وأهلكته وافنى الله عادا سوى من بقى من قومهم بمكة ونواحيها * أخبرنا الحسين بن محمد الدينورى أخبرنا أحمد بن محمد بن اسحق السنى أخبرنا أبو يعلى الموصلى أخبرنا اسحق بن أبى اسرائيل وعبيد الله بن عمر القواريرى أخبرنا جعفر بن سليمان الضبعى أخبرنا فرقد السبخى عن عاصم عن عمرو البجلى عن أبى أمامة الباهلى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يبيت قوم من هذه الامة على طعام وشراب ولهو فيصبحون قردة وخنازير ويصيبهم خسف وقذف فيقولون لقد خسف الليلة ببنى فلان وليرسلن عليهم الريح العقيم التى أهلكت عادا بشربهم الخمر واكلهم الربا واتخاذهم القينات ولبسهم الحرير وقطعهم الارحام قالوا وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بمعاوية بن بكر فنزلوا عليه فبينما هم عنده اذ أقبل رجل على ناقة له فى ليلة مقمرة من أمصار عاد فأخبرهم بهلاك عاد فقالوا له أين فارقت هودا وأصحابه قال فارقتهم بساحل البحر فكأنهم شكوا فيما حدثهم به فقالت هرملة بنت بكر صدق ورب الكعبة ومنور بن يعفر ابن أخى معاوية بن بكر معهم قالوا وقد قيل لمرثد ابن سعد ولقمان بن عاد وقيل بن عنز حين دعوا بمكة قد أعطيتم مناكم فاختاروا لانفسكم فقال مرثد اللهم اعطنى براوصدقا فاعطى ذلك وقال قيل أختار أن يصيبنى ما أصاب قومى فقيل له هلاك فقال لا أبالى لاحاجة لى فى البقاء بعد قومى فأصابه الذى أصاب عادا من العذاب فهلك وقال لقمان يارب اعطنى عمرا فقيل له اختر لنفسك بقاء سبع بعرات سمر من أظب عفر لا يمسها القطر أو عمر سبعة أنسر اذا مضى نسر حولت الى نسر آخر فاستحقر بقاء الابعار واختار عمر النسور فعمر عمر سبعة أنسر فكان يأخذ الفرخ حين يخرج من بيضته فيأخذ الذكر منها لقوته فيربيه حتى اذا مات أخذ غيره فلم يزل يفعل مثل ذلك حتى أتى على السابع وكان كل نسر يعيش ثمانين سنة فلما لم يبق غير السابع قال ابن أخ للقمان ياعم لم يبق من عمرك الا هذا النسر فقال لقمان يا ابن أخى هذا لبد ولبد بلسانهم الدهر فلما انقضى عمر لبد طارت النسور غداة من رأس الجبل ولم ينهض لبد فيها وكانت نسور لقمان لا تغيب عنه قال فلما رأى لبدا لم ينهض مع النسور قام الى الجبل لينظر ما فعل لبد فوجد لقمان فى نفسه وهنا ولم يكن يجده قبل ذلك فلما

انتهى الى الجبل رأى نسره لبدا واقفا بين النسور فناداه انهض لبد فذهب لينهض فلم يستطع فسقط ومات لقمان معه وفيه جرى المثل أتى أبدا على لبد وقال النابغة الذبياني أضحت قفارا وأضحى أهلها احتملوا * أخنى عليها الذى أخنى على لبد وقال محمد بن اسحق قال مرثد بن سعد حين سمع قول الراكب الذى أخبر بهلاك عاد شعرا

عصت عاد رسولهم وأمسوا * عطاشا ما تبلهم السماء
وسير وفدهم شهرا ليسقوا * فاردفهم مع العطش العماء
بكفرهم بربهم جهارا * على آثارهم عاد العفاء
ألا نزع الاله حلوم عاد * فان قلوبهم قفر هواء
من الرب المهيمن اذ عصوه * وما تغني النصيحة والشقاء
فنفسي وابنتاي وأم ولدي * لنفس نبينا هود فداء
أتانا والقلوب مصمتات * على ظلم وقد ذهب الضياء
لنا صنم يقال له صمود * يقابله صدى والهباء
فابصره الذين له أنابوا * وأدرك من يكذبه الشقاء
واني سوف ألحق آل هود * واخوته اذا جن المساء

ثم انه لحق بهود ومن آمن معه وبقي هود ماشاء الله ثم مات وعمره مائة وخمسون سنة وقال أبو الطفيل عامر بن واثلة سمعت عليا رضي الله عنه يقول لرجل من أهل حضرموت هل رأيت كثيبا أحمر يخالطه مدرة حمراء وأراك وسدر كثير بناحية كذا وكذا من حضرموت قال نعم يا أمير المؤمنين انك لتنعته لي نعت رجل قد رآه قال لا ولكنني قد حدثت عنه فقال الحضرمي وما شأنه يا أمير المؤمنين فقال فيه قبر النبي هود عليه السلام * أخبرنا أبو عمرو احمد بن أبي العرابي أنبأنا المغيرة بن عمرو بن الوليد بمكة في المسجد الحرام بين الركن والمقام انبأنا المفضل بن يحيي الجندي انبأنا يونس بن محمد انبأنا يزيد بن ابي حكيم عن سفيان الثوري عن عطاء عن السائب عن عبد الرحمن بن سابط أنه قال بين الركن والمقام وزمزم قبور تسعة وتسعين نبيا وان قبر هود وصالح وشعيب واسمعيل عليهم السلام في تلك البقعة (وفي رواية أخرى) كان النبي من الانبياء اذا هلك قومه ونجا هو والصالحون معه يأتي مكة هو ومن معه يعبدون الله تعالى حتى يموتوا والله أعلم

﴿مجلس في قصة صالح عليه السلام﴾

قال الله تعالى والى ثمود أخاهم صالحا وهو ثمود بن عابر بن أرم بن سام بن نوح وهو أخو جديس وأراد ههنا القبيلة قال ابو عمرو بن العلاء سميت ثمود لقلة مائها والثمد الماء القليل وكانت مساكن ثمود الحجر بين الحجاز والشام وكان من قصتهم على ماذكر محمد بن

اسحق بن يسار والسدى والكلبى ووهب بن منبه وكعب وغيرهم من اهل الكتب دخل كلام بعضهم فى بعض ان عاد الاولى لما اهلكهم الله تعالى وانقضى امرهم عمرت ثمود بعدهم واستخلفوا فى الارض فخلوا فيها وكثروا وعمروا حتى جعل بعضهم يبنى المسكن من الحجر والمدر فينهدم وهو حى فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا نحتوا منها وجابوها وجوفوها وكانوا فى سعة من معايشهم كما قال الله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الارض مفسدين فخالفوا امر الله وعبدوا غيره وافسدوا فى الارض فبعث الله اليهم صالحا نبيا وهو صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود وكانوا قوما عربا وكان صالح من أوسطهم نسبا وأفضلهم حسبا فبعثه الله تعالى اليهم رسولا فدعاهم الى الله تعالى والى عبادته فلم يتبعه الا قليل مستضعفون فلما ألح عليهم صالح بالدعاء والتبليغ وأكثر عليهم التخويف والتحذير سألوه أن يريهم آية تكون مصداقا لما يقول فقال اللهم ارهم آية ليعتبروا بها ثم قال لهم أى آية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون اليه باصنامهم فى يوم معلوم من السنة فتدعو الهك وندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعنا فقال لهم صالح نعم فخرجوا باوثانهم الى عيدهم ذلك وخرج صالح معهم فدعوا أوثانهم وسألوها أن لا يستجاب لصالح فى شئ مما يدعو به ثم قال جندع بن عمرو بن جواس وهو يومئذ سيد ثمود يا صالح أخرج لنا من هذه الصخرة يعنى الصخرة المنفردة عن الجبال فى ناحية الحجر يقال لها الكاثبة ناقة مخترجة جوفاء وبراء عشراء والمخترجة ماشا كلت البخت من الابل فان فعلت ذلك صدقناك وآمنابك فأخذ عليهم صالح الميثاق أنه ان فعل ذلك صدقوه وآمنوا به ثم ان صالحا عليه السلام صلى ودعا الله تعالى بذلك فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها ثم تحركت الهضبة فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما سألوه لا يعلم ما بين جنبيها الا الله تعالى عظما وهم ينظرون ثم نتجت سقبا مثلها فى العظم فآمن به جندع بن عمرو ورهط من قومه وأراد أشراف ثمود أن يؤمنوا بصالح ويتابعوه فنهاهم ذؤاب بن عمر بن لبيد والحباب صاحبا أوثانهم ورباب بن صمعر وكانوا من أشراف ثمود وكان لجندع بن عمرو ابن عم يقال له شهاب بن خليفة فاراد أن يسلم فنهاه أولئك الرهط فاطاعهم فقال رجل من ثمود

وكانت عصبة من آل عمرو ❊ الى دين النبى دعوا شهابا
عزيز ثمود كلهم جميعا ❊ فهمت أن يجيب ولو أجابا
لاصبح صالح فينا عزيزا ❊ وما عدلوا بصاحبهم ذؤابا
ولكن الغواة من آل حجر ❊ تولوا بعد رشدهم ذبابا

فلما خرجت الناقة قال صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فكثت الناقة ومعها سقبها في أرض ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء فكانت ترد الماء يوما ولهم يوم فاذا كان يومها وضعت رأسها في بئر بارض الحجر يقال لها بئر الناقة فيرتفع الماء اليها فما ترفع رأسها الا وقد شربت جميع ما فيها ولا تدع قطرة ماء فيها فتتفحج ثم تروح عليهم فيحلبون من لبنها ما شاؤا فيشربون ويدخرون ويملؤن أوانيهم لكن تصدر من غير الفج الذى وردت منه لانها لا تقدر أن تصدر من حيث وردت لانه يضيق عليها قال أبو موسى الاشعرى أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا فاذا كان الغد من يومهم شربوا من الماء وقد أخرجه الله تعالى لهم من البئر وادخروا ما شاؤا قدر كفايتهم فى يوم الناقة وكانوا من ذلك فى سعة ودعة وكانت الناقة فى الصيف اذا كان الحر تطلع ظهر الوادى فتهرب منها أغنامهم وبقرهم وابلهم وتهبط الى بطن الوادى فى حره وحدته فكانت المواشى تنفر منها اذا رأتها واذا كان الشتاء سبقت الناقة فى بطن الوادى فتهرب مواشيهم الى ظهر الوادى فى البرد والحدة فاضر ذلك مواشيهم للبلاء والاختبار فكان مراتعها الجبال فكبر ذلك عليهم حتى حملوا على عقر الناقة فاحتالوا فى عقرها وكانت امرأة من ثمود يقال لها عنيزة بنت غنم بن مخلد وتكنى أم غنم وهى من بنى عبيد بن المهل وكانت امرأة ذؤاب بن عمرو وكانت عجوزا مسنة ولها بنات حسان ومال كثير من الابل والبقر والغنم وامرأة أخرى يقال لها صدوق بنت المحيا بن مهر وكانت غنية جميلة ذات مواش كثيرة وكانتا هاتان المرأتان من أشد الناس عداوة لصالح وكانتا يحتالان فى عقر الناقة من كفرهما بصالح بما أضرت بمواشيهما وكانت صدوق عند ابن خال لها يقال له صنيم بن هراوة بن سعد بن الغطريف بن هلال فاسلم وحسن اسلامه وكانت صدوق قد فوضت اليه مالها فانفقه على من أسلم معه من أصحاب صالح عليه الصلاة والسلام حتى نفد المال فاطلعت صدوق على اسلامه فعاتبته على ذلك فاظهر لها دينه ودعاها الى الله تعالى فابت عليه وأخذت أولادها فغيبتهم فى بنى عمها الذين هى منهم فقال لها زوجها ردى على أولادى فلما ألح عليها قالت حتى أحاكمك الى بنى عمى وذلك ان بنى عم زوجها كانوا مسلمين فأبت أن تحاكمه اليهم فقال لها بنو عمها والله لتعطينه ولده طائعة أو كارهة فلما رأت ذلك أعطته أولاده ثم ان صدوق وعنيزة احتالتا فى عقر الناقة للشقاء الذى كتب عليهما فدعت صدوق رجلا من ثمود يقال له الحباب فأمرته بعقر الناقة وعرضت عليه نفسها ان هو فعل ذلك فابى عليها ثم انها دعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج وجعلت له نفسها ان هو عقر الناقة وكانت من أوفر الناس جمالا وأكثرهم مالا وأحسنهم كمالا فاجابها الى ذلك ودعت عنيزة قدار بن سالف من أهل قدح واسم أمه قديرة وكان رجلا اشقر أزرق

قصيرا

قصيرا و يزعمون انه كان لزنية رجل يقال له صفوان ولم يكن لسالف ولكنه قد ولد على
فراشه فقالت له يا قدار اعطيك من بناتي أيما شئت على ان تعقر الناقة وكان قدار
عزيزا في قومه وذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انبعث أشقاها رجل عزيز في
قومه مثل أبي زمعة قالوا فانطلق قدار ومصدع فاستعانوا بمن استعانوا من ثمود
فاتبعهم سبعة نفر وكانوا تسعة رهط كما قال الله تعالى وكان في المدينة تسعة رهط
يفسدون في الارض ولا يصلحون فلقيهم هديات بن مبلع خال قدار وكان عزيزا من
أهل الحجر ودعر بن غنم بن داعرة أخي مصدع وخمسة لم تذكر أسماؤهم فاجتمعوا على
عقر الناقة (قال السدى) وغيره أوحى الله الى صالح ان قومك سيعقرون الناقة فقال
لهم ذلك فقالوا ما كنا لنفعل ذلك فقال لهم انه سيولد في شهركم هذا غلام يعقرها ويكون
هلاككم على يديه فقالوا لا جرم لا يولد لنا في هذا الشهر ولد الا قتلناه فولد لتسعة منهم
في ذلك الشهر تسعة بنين فذبحوا أولادهم وولد للعاشر ابن فأبى أن يذبح ابنه وكان بكره
لم يولد له قبل ذلك شيء وكان ابن العاشر أزرق أحمر فنبت نباتا سريعا وكان اذا مر بالتسعة
ورأوه ندموا على ذبح أولادهم وقالوا لو كان ابناؤنا أحياء لكانوا مثل هذا فغضب
التسعة على صالح لانه كان سبب قتل أولادهم فتقاسموا بالله لنبيتنه وأهله قالوا نخرج
فترى الناس أنا قد خرجنا السفر فنأتي الغار فنكمن فيه حتى اذا كان الليل وخرج صالح
الى مسجده أتيناه فنقتله ثم نرجع الى الغار فنكمن فيه ثم ننصرف بعد ذلك الى رحالنا
فنقول ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون فيصدقوننا و يظنون انا قد خرجنا الى سفر
وكان صالح لا ينام الليل معهم في القرية وكان يأوي الى مسجد يقال له مسجد صالح
يبيت فيه في الليل فاذا أصبح أتاهم ووعظهم وذكرهم فاذا أمسى خرج الى المسجد فبات
فيه فلما دخلوا الغار واضمروا انهم يخرجون اليه بالليل فيقتلونه سقطت عليهم صخرة من
الغار فقتلتهم فانطلق رجال ممن كان قد اطلع على ذلك الى الغار فاذا هم رضخ فرجعوا
يصيحون في القرية يا عباد الله ما قنع صالح أن أمرهم بقتل أولادهم حتى قتلهم فأجمع
أهل القرية على عقر الناقة وقال ابن اسحق انما كان تقاسم التسعة على تبييت صالح
عليه السلام بعد عقرهم الناقة وانذار صالح اياهم بالعذاب وذلك ان التسعة الذين
عقروا الناقة قالوا هلم فلنقتل صالحا فان كان صادقا كنا عجلنا قتله وان كان كاذبا كنا قد
ألحقناه بناقته فأتوه ليلا ليبيتوه في أهله فرمتهم الملائكة بالحجارة فلما أبطؤا على
اصحابهم اتى اصحابهم منزل صالح فوجدوهم مشدوخين قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح
أنت قتلتهم وهموا به فقامت عشيرته دونه وأخذوا السلاح وقالوا لهم والله لا تقتلونه
أبدا فقد وعدكم بان العذاب نازل بكم في ثلاث فان كان صادقا لم تزيدوا ربكم عليكم
الا غضبا وان كان كاذبا فأنتم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنهم ليلتهم تلك قال

السدى وغيره فلما ولد ابن العاشر يعنى قدار وكان يشب فى كل يوم شباب غيره فى الجمعة ويشب فى الجمعة شباب غيره فى الشهر ويشب فى الشهر شباب غيره فى السنة فلما كبر جلس مع أناس يصيبون من الشراب فأرادوا ماء يمزجون به شرابهم وكان ذلك اليوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة فاشتد عليهم ذلك وقالوا ما نصنع باللبن لو كنا أخذ الماء الذى تشربه هذه الناقة فنسقيه انعامنا وحرثنا كان خيرا لنا فقال ابن العاشر هل لكم أن أعقرها قالوا نعم وقال كعب كان سبب عقرهم الناقة امرأة يقال لها ملكا كانت قد ملكت ثمود فلما أقبل الناس على صالح وسارت الرياسة اليه حسدته فقالت لامرأة يقال لها قطام وكانت معشوقة قدار بن سالف ولامرأة أخرى يقال لها قبال وكانت معشوقة مصدع بن مهرج وكان قدار ومصدع يجتمعان معهما كل ليلة ويشربون الخمر فقالت لهما ملكا ان أتاكما الليلة قدار ومصدع فلا تطيعاهما وقولا لهما ان الملكة حزينة لاجل صالح وناقته فنحن لا نطيعكما حتى تعقرا الناقة فان عقرتماها أطعناكما فلما أتياهما قالتا لهما هذه المقالة فقالا نحن نعقرها قال ابن اسحق وغيره فانطلق قدار ومصدع وأصحابهما السبعة فرصدوا الناقة حتى صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار فى أصل شجرة على طريقها وكمن لها مصدع فى أصل شجرة أخرى فمرت الناقة على مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها وخرجت أم غنم عنيزة وأمرت ابنتها وكانت من أحسن الناس وجها فتراءت لقدار وأسفرت له عن وجهها وحرضته على عقر الناقة فشد عليها بالسيف فكشف عرقوبها فأرداها وطعن فى لبتها فنحرها وخرج أهل البلدة واقتسموها وأكلوا لحمها وكانت لما عقرها رغت فلما رأى سقبها ذلك انطلق حتى أتى جبلا منيعا يقال له ضوء وقيل اسمه قارة * وروى ذلك مسندا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث شهر بن حوشب عن عمرو بن خارجة فأتى صالح عليه السلام فقيل له ادرك ناقتك فقد عقرت فأقبل وخرجوا يتلقونه ويعتذرون اليه ويقولون يا نبى الله انما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال لهم صالح انظروا هل تدركون فصيلها فان أدركتموه فعسى أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه فلما رأوه على الجبل ذهبوا ليأخذوه فأوحى الله الى الجبل فتطاول فى السماء حتى ما تناله الطير وجاء صالح عليه السلام فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم رغا ثلاثا وانفجرت الصخرة فدخلها فقال صالح عليه السلام لكل أمة أجل فتمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ثم يأتيكم العذاب ذلك وعد غير مكذوب قال محمد بن اسحق بن يسار اتبع الفصيل أربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة وفيهم مصدع وأخوه ذؤاب ولد مهرج فرماه مصدع بسهم فانتظم قلبه ثم جر برجله فأنزله وألقوا لحمه مع لحم أمه فقال لهم صالح عليه السلام انتهكتم حرمة الله فأبشروا بعذاب الله تعالى ونقمته فقالوا

مستهزئين به ومتى ذلك يا صالح وما آية ذلك وكانوا يسمون الايام فيوم الاحد الاول والاثنين أهون والثلاثاء دبار والاربعاء جبار والخميس مؤنس والجمعة العروبة والسبت شيار وفيه يقول الشاعر

أؤمل ان أعيش وان يومي ❊ بأول أو بأهون أو جبار
أو المردى دبار فان أفته ❊ فمؤنس أو عروبة أو شيار

قالوا وكان عقر الناقة يوم الاربعاء فقال لهم صالح عليه السلام حين سألوه عن وقت العذاب وآيته انكم تصبحون غرة مؤنس ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم العروبة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شيار ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم الاول فأصبحوا يوم الخميس ووجوههم مصفرة كأنما طليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم فايقنوا بالعذاب وعرفوا أن صالحا قد صدقهم فطلبوه ليقتلوه فخرج صالح عليه السلام هاربا منهم حتى لحق الى بطن من ثمود يقال لهم بنو غنم فنزل على سيدهم رجل منهم يقال له نفيل ويكنى أبا هدب وهو مشرك فغيبه عنهم فلم يقدروا عليه فغدوا على أصحاب صالح يعذبونهم ليدلوهم عليه فقال رجل من أصحاب صالح يقال له مبدع ابن هرم يا نبي الله انهم ليعذبوننا لندلهم عليك أفندلهم قال نعم فدلهم عليه مبدع فأتوا أبا هدب فكلموه في ذلك فقال نعم هو عندي وليس لكم اليه سبيل فأعرضوا عنه وتركوه وشغلهم عنه ما أنزل الله تعالى بهم من عذابه فجعل بعضهم يخبر بعضا بما يرون في وجوههم فلما أمسوا صاحوا باجمعهم الا قد مضى يوم من الاجل فلما أصبحوا اليوم الثاني اذا وجوههم محمرة كأنما خضبت بالدم فصاحوا وضجوا وبكوا وعرفوا أن العذاب واقع بهم فلما أمسوا صاحوا باجمعهم ألا قد مضى يومان من الاجل وحضركم العذاب فلما أصبحوا اليوم الثالث اذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار فصاحوا جميعا ألا قد حضركم العذاب فلما كان ليلة الاحد خرج صالح عليه السلام من بين أظهرهم وخرج معه من آمن حتى جاؤا الشام فنزلوا رملة فلسطين فلما أصبح القوم تكفنوا وتحنطوا وكان حنوطهم الصبر والمر وكانت أكفانهم الانطاع ثم ألقوا انفسهم بالارض فجعلوا يقلبون أبصارهم الى السماء مرة والى الارض مرة لا يدرون من أين يأتيهم العذاب فلما اشتد الضحى من يوم الاحد أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شئ له صوت في الارض فقطعت قلوبهم في صدورهم فلم يبق فيهم صغير ولا كبير الا هلك كما قال عز وجل فاصبحوا في دارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا ان ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود ولم ينج منهم الا جارية مقعدة يقال لها ذريعة بنت شاف وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح فاطلق الله لها رجليها بعد ما عاينت العذاب أجمع فخرجت كاسرع شئ يكون حتى أتت قرحا وهو وادي القرى حد ما بين الحجاز

والشام فاخبرتهم بما عاينت من العذاب وما أصاب ثمود ثم استسقت من الماء فسقيت فلما شربت ماتت ❊ وروى أبو الزبير عن جابر بن عبد الله قال لما مر النبي صلى الله عليه وسلم بالحجر في غزوة تبوك قال لأصحابه لا يدخلن أحد منكم هذه القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل الذي أصابهم ثم قال أما بعد فلا تسألوا رسولكم الآيات هؤلاء قوم صالح سألوا رسلهم الآية فبعث الله لهم الناقة فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فتشرب ماءهم يوم ورودها وأراهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتقى الفصيل حين ارتقى في الغار فعتوا عن أمر ربهم وعقروها فاهلك الله تعالى من تحت أديم السماء منهم في مشارق الارض ومغاربها الا رجلا واحدا يقال له أبو رغال وهو أبو ثقيف كان في حرم الله تعالى فمنعه حرم الله من عذاب الله تعالى فلما خرج أصابه ما أصاب قومه ودفن معه غصن من ذهب وأراهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أبي رغال فنزل القوم فابتدروه بأسيافهم وبحثوا عليه فاستخرجوا ذلك الغصن من الذهب ثم تقنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بثوبه وأسرع السير حتى جاوز الوادي وقال أهل العلم توفي صالح عليه السلام بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة وذلك انه انتقل من الشام الى مكة بعدما أهلك الله تعالى قومه وكان يعبد الله تعالى هناك حتى مات وكان قد أقام في قومه عشرين سنة ❊ أخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدون قال أخبرنا عبد الله بن محمد بن الحسن قال حدثنا عبد الله بن هاشم حدثنا وكيع ابن الجراح حدثنا قتيبة أبو عثمان عن أبيه عن الضحاك بن مزاحم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي أتدري من أشقى الاولين قال قلت الله ورسوله أعلم قال عاقر الناقة قال يا علي أتدري من أشقى الآخرين قال قلت الله ورسوله أعلم قال قاتلك والله أعلم

﴿مجلس في قصة ابراهيم عليه السلام والنمروذ﴾

وهو ابراهيم بن تارح بن ناحور بن ساروغ بن ارغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قينان ابن ارفخشذ بن سام بن نوح وكان اسم أبي ابراهيم الذي سماه به أبوه تارح فلما صار مع النمروذ قيما على خزائن آلهته سماه آزر وقال مجاهد ان آزر ليس اسم أبيه وانما هو اسم صنم وقال ابن اسحق ليس هو اسم صنم بل هو لقب عيب به وهو بمعنى معوج وقيل هو بالنبطية الشيخ الهرم وولد لناحور تارح بعد ما مضى من عمره سبع وعشرون سنة وهذا المجلس يشتمل على أبواب والله أعلم

﴿الباب الاول في مولد ابراهيم عليه السلام﴾

اختلف العلماء في الموضع الذي ولد فيه فقال بعضهم كان مولده بالسوس من أرض الاهواز وقال بعضهم كان مولده ببابل من أرض السواد بناحية يقال لها كوثا وقال

بعضهم كان مولده بالوركاء ناحية فى حدود كسكر ثم نقله أبوه الى الموضع الذى كان به
نمروذ من ناحية كوثا وقال بعضهم كان مولده بحران ولكن أبوه نقله الى أرض بابل
وقال عامة السلف من أهل العلم ولد ابراهيم عليه السلام فى زمن نمروذ بن كنعان
وكان بين الطوفان وبين مولد ابراهيم عليه السلام ألف ومائتان وثلاث وستون
سنة وذلك بعد خلق آدم عليه السلام بثلاثة آلاف وثلثمائة وسبع وثلاثين سنة
ونمروذ الذى ولد فى ملكه ابراهيم هو نمروذ بن كنعان بن سنجاريب بن كوش بن حام
ابن نوح وفى الحديث ملك الارض أربعة مؤمنان وكافران فاما المؤمنان فسليمان بن
داود وذو القرنين عليهما السلام وأما الكافران فنمروذ وبختنصر وكان نمروذ أول
من وضع على رأسه التاج وتجبر فى الارض ودعا الناس الى عبادته وكان له كهان
ومنجمون فقالوا له انه يولد فى بلدك فى هذه السنة غلام يغير دين أهل الارض ويكون
هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال انهم وجدوا ذلك فى كتب الانبياء (وقال
السدى) رأى نمروذ فى منامه كان كوكبا طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق
لهما ضوء ففزع من ذلك فزعا شديدا ودعا السحرة والكهنة والقافة وهم الذين يخطون
فى الارض وسألهم عن ذلك فقالوا هو مولود يولد فى ناحيتك هذه السنة يكون هلاكك
وهلاك أهل بيتك على يديه قال فأمر نمروذ بذبح كل غلام يولد فى تلك الناحية تلك
السنة وأمر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل عشرة رجلا رقيبا أمينا فاذا
حاضت المرأة خلى بينه وبينها اذ أمن المواقعة فاذا طهرت عزل الرجل عنها فرجع
آزر أبو ابراهيم فوجد امرأته قد طهرت من الحيض فوقع عليها فى طهرها فحملت
بابراهيم عليه السلام وقال محمد بن اسحق بعث نمروذ الى كل امرأة حبلى بقريته فحبسها
عنده الا ما كان من أم ابراهيم فانه لم يعلم بحبلها وذلك انها كانت جارية حديثة السن
لم تعرف الحبل ولم يبن فى بطنها (وقال السدى) خرج نمروذ بالرجال الى العسكر ونحاهم
عن النساء تخوفا من ذلك المولود أن يكون فمكث كذلك ماشاء الله ثم بدت له حاجة
الى المدينة فلم يأتمن عليها أحدا من قومه الا آزر فدعاه وقال له ان لى اليك حاجة
أحب انى أوصيك بها ولم أبعثك الا لثقتى بك فاقسمت عليك أن لا تدنو من أهلك
ولا تواقعها فقال آزر أنا أشح على دينى من ذلك فأوصاه بحاجته ثم بعثه فدخل المدينة
وقضى حاجته ثم قال لو دخلت الى أهلى فنظرت اليهم فلما نظر الى أم ابراهيم لم يتمالك
حتى وقع عليها فحملت بابراهيم عليه السلام (قال ابن عباس) لما حملت أم
ابراهيم قال الكهان للنمروذ ان الغلام الذى أخبرناك به قد حملت به أمه هذه الليلة
فأمر نمروذ بذبح الغلمان فلما دنت ولادة أم ابراهيم وأخذها المخاض خرجت هاربة
مخافة أن يطلع عليها فيقتل ولدها فوضعته فى نهر يابس ثم لفته فى خرقة ووضعته

في حلفاء ورجعت فأخبرت زوجها بابنها وانها قد ولدت وان الولد في موضع كذا فانطلق أبوه فأخذه من ذلك المكان وحفر له سردابا عند نهر فواراه وسد عليه بابه بصخرة مخافة السباع وكانت أمه تختلف اليه فترضعه (وقال السدى) لما عظم بطن أم ابراهيم خشي آزر أن يذبح فانطلق بها الى أرض بين الكوفة والبصرة يقال لها وركاء فأنزلها في سرب من الارض وجعل عندها ما يصلحها وجعل يتعهدها ويكتم ذلك من أصحابه فولدت ابراهيم عليه السلام في ذلك السرب فشب فكان وهو ابن سنة كابن ثلاث سنين وصار من الشباب بحالة أسقطت عنه طمع الذباحين ثم ذكر آزر لاصحابه أن له ابنا كبيرا فانطلق به اليهم (قال ابن اسحاق) لما وجدت ام ابراهيم الطلق خرجت ليلة الى مغارة وكانت قريبا منها فولدت فيها ابراهيم عليه السلام وأصلحت من شأنه ما يصلح بالمولود ثم سدت عليه المغارة ورجعت الى بيتها ثم كانت تطالعه في المغارة فيجده حيا يمص ابهامه (قال أبو زرنق) كانت أم ابراهيم كلما دخلت على ابراهيم عليه السلام وجدته يمص ابهامه فقالت ذات يوم لانظرن الى أصابعه فوجدته يمص من أصبع ماء ومن أصبع لبنا ومن أصبع عسلا ومن أصبع سمنا قال ابن اسحاق وكان آزر سأل أم ابراهيم عن حملها ما فعل فقالت ولدت غلاما فمات فصدقها وسكت عنها وكان اليوم على ابراهيم عليه السلام في الشباب كالشهر والشهر كالسنة فلم يمكث ابراهيم عليه السلام في المغارة الا خمسة عشر يوما حتى جاء الى ابيه آزر فاخبره انه ابنه وأخبرته بما كانت صنعت في شأنه فسر آزر بذلك وفرح فرحا شديدا

﴿الباب الثاني في خروج ابراهيم عليه السلام من السرب ورجوعه الى قومه﴾
﴿ومحاجته اياهم في الدين والقائهم اياه في النار وما يتعلق بذلك﴾

﴿قال أهل العلم بسير الماضين﴾ لما شب ابراهيم عليه السلام وهو في السرب قال لامه من ربي قالت أنا قال فمن ربك قالت أبوك قال فمن رب أبي قالت له نمروذ قال فمن رب نمروذ قالت له اسكت فسكت ثم رجعت الى زوجها فقالت أرأيت الغلام الذي يحدث أنه يغير دين أهل الارض فانه ابنك ثم أخبرته بما قال لها فاتاه ابوه آزر فقال له ابراهيم عليه السلام يا ابتاه من ربي قال امك قال فمن رب امي قال أنا قال فمن ربك قال نمروذ قال فمن رب نمروذ فلطمه لطمة وقال اسكت وذلك قوله عز وجل ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ثم قال لابويه أخرجاني فاخرجاه من السرب فانطلقا به حتى غابت الشمس فنظر ابراهيم عليه السلام الى الابل والبقر والغنم والخيل يراح بها فسأل أباه ما هذه فقال ابل وخيل وبقر وغنم فقال ما لهذه بد من ان يكون لها رب خالق ثم نظر وتفكر في خلق السموات والارض وقال ان الذي خلقني ورزقني واطعمني

وسقاني لربي مالي اله غيره ثم نظر فاذا المشترى قد طلع ويقال الزهرة وكانت تلك الليلة في آخر شهر فرأى الكوكب قبل القمر فقال هذا ربي فذلك قوله تعالى فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا احب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر لانه رأى ضوأها أعظم فلما افلت قال ياقوم اني برىء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين قالوا وكان أبوه يصنع الاصنام فلما ضم ابراهيم الى نفسه جعل يصنع الاصنام ويعطيها ابراهيم ليبيعها فيذهب بها ابراهيم عليه السلام فينادي من يشترى ما يضر ولا ينفع فلا يشترى احد منه فاذا بارت عليه ذهب بها الى نهر فضرب رؤسها وقال لها اشربي كسدتي استهزاء بقومه وبما هم عليه من الضلالة والجهالة حتى فشا عيبه اياها واستهزاؤه بها في قومه وأهل قريته فحاجه قومه في دينه فقال لهم اتحاجوني في الله وقد هدان الآيات الى قوله عز وجل وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم حتى خصمهم وغلبهم بالحجة ثم ان ابراهيم عليه السلام دعا اباه آزر الى دينه فقال ياأبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيأ الى آخر القصة فأبى ابوه الاجابة الى ما دعاه اليه ثم ان ابراهيم عليه السلام جاهر قومه بالبراءة مما كانوا يعبدون واظهر دينه فقال افرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين قالوا فمن تعبد أنت قال رب العالمين قالوا تعني نمروذ فقال لا الذي خلقني فهو يهدين الى آخر القصة ففشا ذلك في الناس حتى بلغ نمروذ الجبار فدعاه فقال له ياابراهيم أرأيت الهك الذي بعثك وتدعو الى عبادته وتذكر من قدرته التي تعظمه بها على غيره ما هو قال ابراهيم عليه السلام ربي الذي يحيي ويميت قال نمروذ أنا أحيي واميت قال ابراهيم كيف تحيي وتميت قال آخذ رجلين قد استوجبا القتل في حكمي فأقتل احدهما فأكون قد أمته ثم اعفو عن الآخر فاتركه فاكون قد احييته فقال له ابراهيم عند ذلك ان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت عند ذلك نمروذ ولم يرجع اليه شيأ ولزمته الحجة فذلك قوله عز وجل فبهت الذي كفر الآية ثم ان ابراهيم عليه السلام اراد ان يرى قومه ضعف الاوثان التي كانوا يعبدونها من دون الله وعجزها الزاما للحجة عليهم فجعل ينتهز لذلك فرصة ويحتال فيه الى ان حضرهم عيد لهم (قال السدي) كان لهم في كل سنة عيد يخرجون اليه ويجتمعون فيه فكانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا لها ثم عادوا الى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال ابو ابراهيم ياابراهيم لو خرجت معنا الى عيدنا اعجبك ديننا فخرج معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال اني سقيم

أشتكى رجلى فتولوا عنه وهو صريع فلما مضوا نادى فى آخرهم وقد بقى ضعفاء الناس وتالله لأكيدن أصنامكم بعد ان تولوا مدبرين فسمعوها منه وقال مجاهد وقتادة انما قال ابراهيم عليه السلام هذا فى سر من قومه ولم يسمع ذلك الا رجل واحد منهم وهو الذى افشاه عليه قالوا ثم رجع ابراهيم عليه السلام من الطريق الى بيت الآلهة فاذا فى البيت نهر مستقبل باب النهر صنم عظيم يليه اصغر منه الى باب النهر واذا هم قد جعلوا طعاما فوضعوه بين يدى الآلهة وقالوا اذا كان حين رجوعنا فرجعنا وقد باركت الآلهة فى طعامنا اكلنا فلما نظر ابراهيم عليه السلام الى الاصنام والى ما بين أيديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء الا تأكلون فلما لم تجبه قال ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين وجعل يكسرهن بفأس فى يده حتى لم يبق الا الصنم الاكبر فعلق الفاس فى عنقه ثم خرج فذلك قوله عز وجل فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون فلما جاء القوم من عيدهم الى بيت آلهتهم ورأوها بتلك الحالة قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم هو الذى نظنه صنع هذا فبلغ ذلك نمروذ الجبار واشراف قومه فقالوا فأتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون عليه أنه هو الذى فعل ذلك وكرهوا أن يأخذوه بغير بينة قاله قتادة والسدى وقال الضحاك لعلهم يشهدون بما نصنع به ونعاقبه فلما احضروه قالوا له أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال ابراهيم بل فعله كبيرهم هذا غضب من أن تعبدوا معه هذه الاصنام الصغار وهو اكبر منها فكسرهن فاسألوهم ان كانوا ينطقون قال النبى صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم عليه السلام الا ثلاث كذبات كلها فى الله تعالى قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك الذى عرض لسارة هى أختى فلما قال لهم ابراهيم ذلك رجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون هذا الرجل فى سؤالكم اياه وهذه آلهتكم التى فعل بها ما فعل حاضرة فاسألوها وذلك قول ابراهيم عليه السلام فاسألوهم ان كانوا ينطقون فقال قومه ما نراه الا كما قال وقيل انكم أنتم الظالمون بعبادتكم الاوثان الصغار مع هذا الكبير ثم نكسوا على رؤسهم متحيرين فى أمره وعلموا أنها لا تنطق ولا تبطش فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فلما اتجهت الحجة عليهم لابراهيم عليه السلام قال لهم أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيأ ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين (قال عبد الله بن عمر) ان الذى أشار عليهم بتحريق ابراهيم عليه السلام بالنار رجل من الاكراد قال شعيب الجبائى اسمه هينون فخسف الله تعالى به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة قال فلما أجمع نمروذ وقومه على احراق ابراهيم عليه السلام حبسوه فى بيت وبنوا له بنيانا

كالحظيرة فذلك قوله عز وجل قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم ثم جمعوا له من أصلب
الحطب وأصناف الخشب حتى ان كانت المرأة تمرض فتقول لئن عافانى الله تعالى
لاجمعن حطبا لابراهيم وكانت المرأة تنذر فى بعض ما تطلب مما تحب أن تدرك لئن
أصابته لتحتطبن حطبا وتجعله فى النار التى يحرق بها ابراهيم احتسابا فى دينها (قال
ابن اسحاق) كانوا يجمعون الحطب شهرا حتى اذا كثر الحطب وجمعوا منه ما أرادوا
اشعلوا النار فى كل ناحية بالحطب فاشتعلت النار حتى ان كان الطير ليمر بها فيحترق
من شدة وهجها ثم عمدوا الى ابراهيم عليه السلام فرفعوه على رأس البنيان وقيدوه
ثم اتخذوا منجنيقا باشارة ابليس لعنه الله تعالى حيث لم يتمكنوا من القائه فى النار
من شدة حرها فاتخذوا المنجنيق ووضعوه فيه مقيدا مغلولا صلوات الله عليه فضجت
السموات والارض والجبال ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق الا الثقلين ضجة
واحدة وقالوا أى ربنا ابراهيم ليس فى أرضك أحد يعبدك غيره يحرق فى النار فأذن
لنا فى نصرته فقال الله تعالى لهم ان استعان بشئ منكم أو دعاه فلينصره فقد أذنت لكم
فى ذلك وان لم يدع غيرى فانا اعلم به وأنا وليه فخلوا بينى وبينه فلما أرادوا القاءه فى النار
أتاه ملك المياه فقال ان أردت أخمدت النار فان خزائن المياه والامطار بيدى وأتاه
خازن الريح فقال ان شئت طيرت النار فى الهواء فقال ابراهيم عليه السلام لا حاجة لى
اليكم ثم رفع رأسه الى السماء فقال اللهم أنت الواحد فى السماء وفى الارض ليس
فى الارض أحد يعبدك غيرى (وروى) المعتمر عن أبى بن كعب عن ارقم ان ابراهيم
عليه السلام قال حين أوثقوه ليلقوه فى النار لا اله الا أنت سبحانك رب العالمين لك
الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رموا به بالمنجنيق الى النار فى موضع شاسع فاستقبله
جبريل عليه السلام فقال يا ابراهيم ألك حاجة قال اما اليك فلا قال جبريل فسل
ربك فقال ابراهيم عليه السلام حسبى من سؤالى علمه بحالى حسبى الله ونعم الوكيل
وفى الخبر ان ابراهيم عليه السلام انما نجا بقوله حسبى الله ونعم الوكيل قال الله
عز وجل يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم (قال السدى) كان جبريل عليه السلام
هو الذى ناداها بامر الله تعالى (قال على بن أبى طالب رضى الله عنه وابن عباس)
لو لم يقل وسلاما لمات ابراهيم من بردها ولم يبق حينئذ نار فى الارض الا طفئت ظنت انها
تعنى (قال كعب الاحبار) وقتادة والزهرى ما انتفع احد من الارض يومئذ بنار ولا
أحرقت النار يومئذ شيأ الا وثاق ابراهيم عليه السلام ولم يبق يومئذ دابة الا أطفأت
عنه النار الا الوزغ فلذلك أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتله وسماه فويسقا (قال
السدى) فأخذت الملائكة بضبعى ابراهيم فاقعدته على الارض فاذا عين ماء وورد أحمر
ونرجس قالوا فأقام ابراهيم فى النار سبعة أيام قال المنهال بن عمرو قال ابراهيم خليل الله

ما كنت ايامافط أنعم منى عيشافى الايام التى كنت فيهافى النار (قال ابن اسحاق وغيره) وبعث الله ملك الظل فى صورة ابراهيم عليه السلام فقعد فيها الى جنب ابراهيم وهو يؤنسه فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير وقال له يا ابراهيم ان ربك يقول أما علمت أن النار لا تضر أحبابى وألبسه القميص ثم اشرف نمروذ من صرح له عال ونظر الى ابراهيم عليه السلام وما يشك أنه قد هلك فرآه جالسا فى روضة ورأى الملك قاعد الى جنبه وحوله نار تحرق ما جمعوا من الحطب فناداه نمروذ يا ابراهيم كبير الهك الذى بلغت قدرته أن حال بينك وبين النار حتى لم تضرك يا ابراهيم فهل تستطيع أن تخرج منها قال نعم قال فهل تخشى ان أقمت فيها ان تضرك قال لا قال فقم فاخرج منها فقام ابراهيم عليه السلام يمشى فيها حتى خرج منها فلما خرج اليه قال له يا ابراهيم من الرجل الذى رأيت معك فى مثل صورتك قاعد الى جنبك قال ملك الظل أرسله الى ربى ليؤنسنى فيها فقال نمروذ يا ابراهيم انى مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزمه فيما صنع بك حين أبيت الا عبادته وتوحيده انى ذابح له أربعة آلاف بقرة فقال له ابراهيم لا يقبل الله منك شيأ ما كنت على دينك هذا حتى تفارقه الى دينى فقال يا ابراهيم لا أستطيع ترك ملكى ولكن سوف أذبحها له فذبحها وقربها ومنع العذاب عن ابراهيم ثم انه قال لا براهيم نعم الرب ربك يا ابراهيم (قال الشعبى) ألقى ابراهيم عليه السلام فى النار وهو ابن ست عشرة سنة وذبح اسحق وهو ابن سبع سنين وولدته سارة رضى الله عنها وهى ابنة تسعين سنة وكان مذبحه من بيت المقدس على ميلين ولما علمت سارة بما أراد باسحق بقيت يومين وماتت فى اليوم الثالث قال ابن اسحق استجاب لا براهيم عليه السلام رجال من قومه حين رأوا ما صنع الله عز وجل به من جعل النار عليه بردا وسلاما على خوف من نمروذ وملئهم فآمن به لوط وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاران بن تارح وهاران هو أخو ابراهيم عليه السلام وكان لهما أخ ثالث يقال له ناحور ابن تارح فهاران أبو لوط وناحور أبو تنويل وتنويل أبو لايان ورفقا بنت تنويل امرأة اسحق ابن ابراهيم أم يعقوب وليا وراحيل زوجتا يعقوب عليه السلام وهما ابنتا لايان وآمنت ايضا به سارة وهى بنت عمه وهى سارة بنت هاران الاكبر عم ابراهيم عليه السلام (وقال السدى) كانت سارة بنت ملك حران وذلك ان ابراهيم ولوطا عليهما السلام انطلقا قبل الشام فلقى ابراهيم سارة وهى ابنة ملك حران وكانت قد طعنت على قومها فى دينهم فتزوجها ابراهيم عليه السلام على ان لا يضرها قال ابن اسحق خرج ابراهيم عليه السلام من كوثا من أرض العراق مهاجرا الى ربه عز وجل وخرج معه لوط وسارة عليهما السلام كما قال الله تعالى فآمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى فخرج حتى نزل حران فمكث بها

ماشاء الله تعالى ان يمكث ثم خرج منها حتى قدم مصر ثم خرج من مصر الى الشام فنزل السبع من أرض فلسطين وهي برية الشام ونزل لوط بالمؤتفكة وهي من السبع على مسيرة يوم وليلة فبعثه الله تعالى نبيا فذلك قوله عز وجل ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين يعني الشام فبركتها أن بعث منها أكثر الانبياء وهي الارض المقدسة وأرض المحشر والمنشر وبها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام وبها يهلك الله تعالى المسيح الدجال بباب لد وهي أرض خصبة كثيرة الاشجار والانهار والثمار يطيب فيها العيش للغني والفقير (قال أبي بن كعب) مامن ماء عذب الا وينبع أصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس ثم يتفرق في الارض والله أعلم

﴿ الباب الثالث في ذكر مولد اسمعيل واسحق عليهما السلام ونزول اسمعيل وأمه هاجر الحرم وقصة بئر زمزم ﴾

(قال أهل العلم بسير الماضين) لما نجى الله تعالى خليله ابراهيم عليه السلام آمن به من آمن وتابعوه على فراق قومهم واظهار البراءة منهم فقالوا انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم أيها المعبدون من دون الله وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أيها العابدون حتى تؤمنوا بالله وحده ثم خرج ابراهيم عليه السلام مهاجرا الى ربه وخرج معه لوط عليه السلام وتزوج ابراهيم عليه السلام بابنة عمه سارة فخرج بها يلتمس الفرار بدينه والامان على عبادته لربه حتى نزل حران فمكث بها ماشاء الله أن يمكث ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر وبها فرعون من الفراعنة الاولى وكانت سارة من أحسن النساء وأجملهن وكانت لا تعصي ابراهيم عليه السلام في شئ وبذلك أكرمها الله تعالى قال فأتى الجبار رجل وقال له ان ههنا رجلا معه امرأة من أحسن النساء ووصف له حسنها وجمالها فأرسل الجبار الى ابراهيم عليه السلام فجاءه فقال له ماهذه المرأة منك فقال هي أختي وتخوف ان قال هي امرأتي أن يقتله فقال له زينها وأرسلها الي حتى أنظر اليها فرجع ابراهيم الى سارة عليها السلام وقال لها ان هذا الجبار قد سألني عنك فأخبرته انك أختي فلا تكذبيني عنده فانك أختي في كتاب الله عز وجل وانه ليس في هذه الارض مسلم غيري وغيرك ثم أقبلت سارة الى الجبار وقام ابراهيم عليه السلام يصلي فلما دخلت عليه ورآها أهوى اليها يتناولها بيده فيبست يده الى صدره فلما رأى الجبار ذلك أعظم أمرها وقال لها سلي ربك أن يطلق يدي فوالله لا آذيتك فقالت سارة اللهم ان كان صادقا فأطلق له يده فأطلق الله تعالى يده (وفي بعض الاخبار المسندة) انه فعل ذلك ثلاث مرات يقصد أن يتناولها فتيبس له يده فلما رأى ذلك ردها الى ابراهيم ووهب لها هاجر وهي جارية قبطية فأقبلت الى ابراهيم فلما أحس بها ابراهيم انتقل من صلاته قال مهيم فقالت كفى الله كيد

الفاجر واخدمني هاجر (قال محمد بن سيرين) كان أبو هريرة اذا حدث بهذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتلك أمكم يابني ماء السماء (وفي بعض الاخبار) ان الله تعالى رفع الحجاب بين ابراهيم وسارة حتى كان ينظر اليها من وقت خروجها من عنده الى وقت انصرافها اليه كرامة لها وتطيبا لقلب ابراهيم عليه السلام قالوا وكانت هاجر جارية ذات هيئة فوهبتها سارة لابراهيم فقالت اني أراها امرأة وضيئة فخذها لعل الله تعالى أن يرزقك منها ولدا وكانت سارة قد منعت الولد حتى اسنت فوقع ابراهيم على هاجر فولدت له اسمعيل عليه السلام روى محمد بن اسحق عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا افتتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما قال ابن اسحق فسألت الزهري ما الرحم الذي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت هاجر أم اسمعيل منهم قالوا ثم خرج ابراهيم من مصر الى الشام وهاب ذلك الملك الذي كان بها واشفق من شره فنزل السبع من أرض فلسطين واحتفر بها بئرا واتخذ بها مسجدا وكان ماء تلك البئر معينا ظاهرا وكانت غنمه تردها فأقام ابراهيم عليه السلام بالسبع مدة ثم ان أهلها آذوه فيها ببعض الاذى فخرج منها حتى نزل بناحية من أرض فلسطين بين الرملة وايليا ببلد يقال لها قطة فلما خرج من بين أظهرهم نضب ماء تلك العين وذهب فندم أهل السبع جميعا على ما صنعوا وقالوا أخرجنا من بين أظهرنا رجلا صالحا فاتبعوا أثره حتى أدركوه وسألوه أن يرجع فقال ما أنا براجع الى بلد أخرجت منه قالوا ان الماء الذي كنت تشرب ونشرب معك منه قد نضب وذهب فاعطاهم سبعة اعنز من غنمه وقال اذهبوا بها معكم فانكم اذا أوردتموها البئر ظهر الماء حتى يكون معينا ظاهرا كما كان فاشربوا منها ولا تقربها امرأة حائض فخرجوا بالاعنز قال فلما وقفت على البئر ظهر الماء فكانوا يشربون منها وهي على تلك الحال حتى أتتها امرأة طامث فاغترفت منها فركد ماؤها الى الذي هو عليه اليوم وأقام ابراهيم عليه السلام ببلده وكان يضيف من نزل به وقد أوسع الله تعالى عليه وبسط له من الرزق والمال والخدم فلما أراد الله تعالى هلاك قوم لوط عليه السلام بعث اليه رسله يأمرونه بالخروج من بين أظهرهم وأمرهم أن يبدؤا بابراهيم عليه السلام ويبشروه وسارة باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فلما نزلوا على ابراهيم عليه السلام وكان الضيف قد حبس عنه خمسة عشر يوما حتى شق عليه ذلك وكان لا يأكل الا مع ضيف ما أمكنه فلما رآهم على صورة الرجال سر بهم ورأى ضيوفا لم يضيف مثلهم حسنا وجمالا فقال لا يخرج لهؤلاء القوم الا أنا فخرج فجاء بعجل سمين حنيذ وهو المشوي بالحجارة فقربه اليهم فأمسكوا أيديهم عنه فقال لهم لا تأكلون فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم

وأوجس منهم خيفة حيث لم يأكلوا من طعامه فقالوا يا ابراهيم لا نأكل طعاما الا بثمن
قال فان لهذا ثمنا قالوا وما ثمنه قال تذكرون اسم الله تعالى على أوله وتحمدونه على آخره
فنظر جبريل الى ميكائيل عليهما السلام وقال يحق لهذا أن يتخذه ربه خليلا ثم قالوا له
لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته سارة قائمة تخدمهم وابراهيم قاعد معهم فلما
أخبروه بما أرسلوا به وبشروه باسحق ويعقوب ضحكت سارة واختلف العلماء فى
العلة الجالبة لضحكها ماهى فقال السدى انما ضحكت سارة حيث لم يأكلوا من
طعامهم وقالت يا عجبا لاضيافنا هؤلاء انا نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم وهم لا يأكلون
طعامنا وقال قتادة ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم وقال مقاتل
والكلبى ضحكت من خوف ابراهيم من ثلاثة وهو فيما بين خدمه وحشمه وقال ابن
عباس ضحكت تعجبا من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها وكانت هى بنت
تسعين سنة وابراهيم ابن مائة وعشرين سنة قال السدى قالت سارة لجبريل عليه
السلام لما بشرها بالولد على حالة الكبر ما آية ذلك فأخذ بيده عودا يابسا فلواه بين
أصابعه فاهتز أخضر فقال ابراهيم هو لله اذا ذبيح وقال مجاهد وعكرمة فضحكت أى
حاضت فى الوقت تقول العرب ضحكت الارنب اذا حاضت وقال السدى وابن
يسار وغيرهما من أهل الاخبار فحملت سارة باسحق وقد كانت حملت هاجر باسمعيل
فوضعتا معا وشب الغلامان فبينما هما يتناضلان ذات يوم وقد كان ابراهيم عليه
السلام سابق بينهما فسبق اسمعيل فأخذه وأجلسه فى حجره وأجلس اسحق الى
جانبه وسارة تنظر اليه فغضبت وقالت عمدت الى ابن الامة فأجلسته فى حجرك وعمدت
الى ابنى فأجلسته الى جنبك وقد جعلت أن لا تضرنى ولا تسوءنى وأخذها ما يأخذ
النساء من الغيرة فحلفت لتقطعن بضعة منها ولتغيرن خلقها ثم ثاب اليها عقلها
فبقيت متحيرة فى ذلك فقال لها ابراهيم عليه السلام اخفضيها واثقبى أذنيها ففعلت
ذلك فصارت سنة فى النساء ثم ان اسمعيل واسحق عليهما السلام اقتتلا ذات
يوم كما تفعل الصبيان فغضبت سارة على هاجر وقالت لا تساكنينى فى بلد واحد
وأمرت ابراهيم عليه السلام أن يعزلها عنها فاوحى الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام
أن يأتى بهاجر وابنها مكة فذهب بهما حتى قدم مكة وهى اذ ذاك عضاه وسلم وسمر
وبحواليها خارج مكة ناس يقال لهم العماليق وموضع البيت يومئذ ربوة حمراء فقال
ابراهيم عليه السلام لجبريل عليه السلام ههنا أمرت أن تضعهما قال نعم فعمد بهما
الى موضع الحجر فأنزلهما فيه وأمر هاجر أم اسمعيل أن تتخذ عريشا ثم قال ربنا انى
أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل
أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ثم انصرف

فاتبعته هاجر وقالت الى من تكلنا فجعل لا يرد عليها شيأ فقالت آلله أمرك بهذا قال
نعم فقالت اذا لا يضيعنا ثم انصرف راجعا الى الشأم وكان مع هاجر شنة فيها ماء فنفد
الماء فعطشت وعطش الصبي فنظرت أي الجبال أدنى من الارض فصعدت الصفا
وتسمعت هل تسمع صوتا أو ترى انسيا فلم تسمع شيأ ولم تر أحدا ثم انها سمعت اصوات
سباع الوادي نحو اسمعيل فأقبلت اليه بسرعة لتؤنسه ثم سمعت صوتا نحو المروة
فسعت وما تريد السعي كالانسان المجهود فهي أول من سعى بين الصفا والمروة ثم
صعدت الى المروة فسمعت صوتا كالانسان الذي يكذب سمعه حتى استيقنت
وجعلت تدعو جبرايل تعني يا الله قد اسمعتني صوتك فاغثني فقد هلكت وهلك من
معي فاذا هي بجبريل عليه السلام فقال لها من أنت فقالت سرية ابراهيم عليه السلام
تركني وابني ههنا قال والى من وكلكما قالت وكلنا الى الله تعالى قال لقد وكلكما الى
كريم كاف ثم جاء بهما وقد نفد طعامهما وشرابهما حتى انتهى بهما الى موضع زمزم
فضرب بقدمه ففارت عين فلذلك يقال لزمزم ركضة جبريل عليه السلام فلما نبع
الماء أخذت هاجر شنة لها وجعلت تستقي فيها تدخره فقال لها جبريل عليه السلام
انها روى وجعلت أم اسمعيل تحبسه احبسا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا
انها عجلت لكانت زمزم عينا معينا وقال لها جبريل لا تخافي الظمأ على أهل هذه
البلدة فانها عين يشرب منها ضيفان الله تعالى وقال لها أما ان أبا هذا الغلام سيجيء
فيبنيان لله تعالى بيتا هذا موضعه قالوا ومرت رفقة من جرهم تريد الشام فرأوا الطير
على الجبل فقالوا ان هذا الطير لحائم على ماء فاشرفوا فاذا هم بالماء فقالوا لها جران شئت
كنا معك فآنسناك والماء ماؤك فاذنت لهم فنزلوا معها وهم أول سكان مكة فلذلك
كانت العرب تقول في تلبيتها

* لاهم ان جرهما عبادك * الناس طارف وهم تلادك * وهم قديما عمروا بلادك

* فكانوا هناك حتى شب اسمعيل وماتت هاجر فتزوج اسمعيل امرأة من جرهم وأخذ
لسانهم فتعرب بهم فهم أولاده العرب المتعربة ثم ان ابراهيم عليه السلام استأذن
سارة ان يزور هاجر وابنها فاذنت له واشترطت عليه أن لا ينزل فقدم ابراهيم عليه
السلام مكة وقد ماتت هاجر ويقال انه قدمها راكبا البراق فلما قدمها ذهب الى بيت
اسمعيل فقال لامرأته أين صاحبك قالت ليس ههنا ذهب يتصيد وكان اسمعيل
يخرج من الحرم يتصيد ثم يرجع وكان مولعا بالصيد نخص بالقنص والفروسية والرمي
والصراع فقال لها ابراهيم عليه السلام هل عندك ضيافة هل عندك طعام أو شراب
قالت ليس عندي شئ وما عندي أحد فقال لها ابراهيم اذا جاء زوجك فاقرئيه مني
السلام وقولي له فليغير عتبة بابه فذهب ابراهيم عليه السلام ودخل اسمعيل فوجد

ريح أبيه فقال لامرأته هل جاءك أحد فقالت جاءني شيخ صفته كذا وكذا كالمستخفة بشأنه قال فما قال لك قالت قال اقرئي زوجك السلام وقولي له فليغير عتبة بابه فطلقها وتزوج أخرى فلبث ابراهيم عليه السلام ماشاء الله ثم استأذن سارة أن يزور اسمعيل فاذنت له واشترطت عليه أن لا ينزل فجاء ابراهيم عليه السلام حتى انتهى الى باب اسمعيل فقال لامرأته أين صاحبك قالت ذهب يتصيد وهو يجيء الآن ان شاء الله تعالى فانزل يرحمك الله قال لها هل عندك ضيافة قالت نعم فجاءت باللبن واللحم فدعا لهما بالبركة فلو جاءت يومئذ بخبز أو بر أو شعير أو تمر لكانت مكة أكثر أرض الله برا وشعيرا وتمرا ثم قالت له انزل حتى أغسل رأسك وشعثك فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعته عند شقه الايمن فوضع قدمه عليه فبقي أثر قدمه فيه فغسلت شق رأسه الايمن ثم حولت المقام الى شقه الايسر فغسلت شق رأسه الايسر فقال لها اذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك فلما جاء اسمعيل وجد ريح أبيه فقال لامرأته هل جاء أحد قالت نعم جاءني شيخ أحسن الناس وجها وأطيبهم ريحا فقال لي كذا وكذا وقلت له كذا وكذا وغسلت له رأسه وهذا موضع قدميه على المقام فقال ذلك ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال أنس بن مالك رأيت في المقام أثر أصابع ابراهيم عليه السلام وعقبيه وأخمص قدميه غير أنه أذهبه مسح الناس بايديهم (وأخبرنا) محمد بن أحمد بن عبدون قال أخبرنا محمد بن حمدون بن خالد حدثنا محمد بن ابراهيم حدثنا هدبة بن خالد حدثنا أبو يحيى بن جابر بن مسح الحرشي قال سمعت مسافر بن شيبة يقول سمعت عبد الله بن عمر يقول أشهد ثلاث مرات اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس الله نورهما ولولا ان طمس الله نورهما لاضاء مابين المشرق والمغرب

﴿الباب الرابع في القول على بقية قصة زمزم﴾

روت الرواة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال عبد المطلب بن هاشم بينا أنا نائم في الحجر اذ أتاني آت فقال لي أحفر طيبة قلت وما طيبة فذهب عني ولم يجئني فلما كانت الليلة الثانية جاءني فقال احفر برة قلت وما برة فذهب عني ولم يجئني فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فقال احفر المضنونة قلت وما المضنونة فذهب عني فلما كان من الغد رجعت الى مضجعي فنمت فجاءني فقال احفر زمزم فقلت وما زمزم وكانت قد درست وغار ماؤها لما مضت أيام اسمعيل عليه السلام قال بئر يستقي الحجيج منه عند مخر قريش عند نقرة الغراب وقرية النمل فلما تبين له قام فدل على موضعها وعرف انه قد صدق فغدا بمعوله ومعه الحرث بن عبد المطلب وليس له ولد غيره يومئذ فلما علمت به قريش قاموا اليه فقالوا يا عبد المطلب انها من آثار أبينا اسمعيل وان لنا

فيها حقا فأشركنا فيها فقال ما أنا بفاعل ان هذا شئ خصصت به دونكم وأعطيته من بينكم قالوا له فانصفنا فانا غير تاركيك حتى نخاصمك قال فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أخاصمكم اليه قالوا كاهنة بني سعد بن هذيل قال نعم وكانت من أطراف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني عبد مناف فركب من كل قبيلة من قريش نفر قال والارض اذ ذاك مفاوز فخرجوا حتى اذا كانوا ببعض تلك المفاوز نفد ما كان معهم من الماء حتى أيقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم وقالوا انا بمفازة وانا نخشى على أنفسنا ان يصيبنا مثل ما أصابكم فلما رأى عبد المطلب ماصنع القوم قال لاصحابه ماذا ترون قالوا ان رأينا تبع لرأيك فأمرنا بما شئت قال فاني أرى أن يحفر كل رجل منكم لنفسه حفرة بما يجد من القوة فكل من مات منا دون صاحبه دفنه في حفرته قال فحفروا وجلسوا ينتظرون الموت ثم قال عبد المطلب ومالنا لانضرب في الارض فعسى الله تعالى أن يرزقنا ماء فارتحلوا ومن معهم من قريش ينظرون اليهم ماهم فاعلون وتقدم عبد المطلب الى راحلته فركبها فلما ان انبعثت به انفجرت من تحت حوافر دابة عبد المطلب عين ماء عذب فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه ثم نزل فشرب منه وشرب أصحابه حتى رووا وملؤا اسقيتهم ثم دعا القبائل من قريش فقال هلموا الى الماء فقد سقانا الله تعالى واياكم فشربوا وسقوا ثم قالوا قد والله قضى الله لك علينا يا عبد المطلب والله لانخاصمك في زمزم أبدا ان الذي سقاك هذا الماء في هذه الفلاة فهو ساقيك زمزم فارجع فرجع ورجعوا معه حتى وافوا مكة وخلوا بينه وبين زمزم ولما جن الليل رأى عبد المطلب في منامه كان قائلا يقول له

يا أيها المدلج احفر زمزم ❁ انك ان حفرتها لم تندم

وهي تراث من أبيك الاعظم ❁ تسقي الحجيج حافلا لم يتقم

فلما سمعه عبد المطلب قال وأين موضع زمزم قيل له عند قرية النمل حيث ينقر الغراب الاعصم قال فغدا عبد المطلب ومعه ابنه الحرث فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عند الوثنين اساف ونائلة اللذين كانت قريش تعبدهما وتنحر عندهما فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث أمر اليه فقامت قريش وقالوا والله لانتركك أن تحفرها وثنانا ومنحرنا عندها وكانت قريش حسدوه على ذلك لانهم أخبروا ان جرهما لما سكنت مكة أودعت في زمزم أموالا وأسلحة للمصطفى صلى الله عليه وسلم لما أخبرت ان الله تعالى باعث في هذه القرية نبيا من صفته وحاله كيت وكيت ولم يكونوا عرفوا موضعها فلما أخبر بذلك عبد المطلب نازعوه في ذلك فقال بعضهم لبعض دعوه يحفر فربما يخطئ الموضع فحفر غير بعيد ظهرت له العلامات فكبر فعرفوا انه لم يخطئ فتمادى حتى بلغ الى تمثالين من ذهب وهما الغزالان اللذان دفنتهما جرهم ووجد

فيها

فيها سيوفا ودروعا فقالت له قريش يا عبد المطلب لنا معك في هذا شركة قال لا ولكن
نضرب بالقداح عليه قالوا وكيف نصنع قال اجعلوا للكعبة قدحين ولي قدحين
ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شيء كان له ومن تخلف قدحاه فلا شيء له قالوا انصفت
فجعل قدحين أصفرين للكعبة وقدحين أسودين لعبد المطلب وقدحين أبيضين
لقريش ثم اعطوا القداح التي تضرب بها عند هبل وقام عبد المطلب يدعو فخرج
السهمان الاصفران على الغزالين للكعبة وخرج الاسودان على الاسياف والادرع
لعبد المطلب وتخلف قدحا قريش قال فعلق عبد المطلب الاسياف والادرع بباب
الكعبة وضرب في الباب الغزالين الذهب فكان أول ذهب حليت به الكعبة
وكانت الرياسة والتقدمة لعبد المطلب قبل حفر زمزم فلما حفرها وأخرج منها
ما أخرج ازداد بذلك في قريش عظما وجاها ومنزلة وعافت الحجيج المياه التي كانت
بمكة ونواحيها واقبلوا الى زمزم لما كان من عذوبة مائها ولكونها من أثر اسمعيل
عليه السلام وافتخرت بذلك بنو عبد مناف على قريش وعلى سائر العرب والله أعلم

﴿الباب الخامس في صفة بناء الكعبة وبدء أمرها الى وقتنا هذا﴾

أخبرنا أبو عمرو أحمد بن أبي أحمد الفراقي أخبرنا الحسن بن المغيرة بن عمر بن
الوليد المغربي بمكة حدثنا أبو سعيد المفضل بن محمد بن ابراهيم بن المفضل حدثنا
عبد الله بن أبي غسان اليماني حدثنا أبو همام حدثنا محمد بن زياد عن ميمون بن
مهران عن ابن عباس قال قال اليماني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان البيت
قبل هبوط آدم عليه السلام ياقوتة من يواقيت الجنة والبيت المعمور الذي في
السماء يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون اليه الى يوم القيامة حذاء
الكعبة الحرام وان الله تعالى أهبط آدم عليه السلام الى موضع الكعبة وهو مثل
الفلك من شدة رعدته وأنزل عليه الحجر الاسود وهو يتلألأ كأنه لؤلؤة بيضاء
فأخذه آدم فضمه اليه استئناسا به ثم أخذ الله تعالى من بني آدم ميثاقهم فجعله في
الحجر ثم أنزل الله تعالى على آدم العصا ثم قال يا آدم تخط فتخطى فاذا هو بأرض الهند
فمكث هناك ماشاء الله أن يمكث ثم استوحش الى البيت فقيل له حج يا آدم فأقبل
يتخطى فصار موضع كل قدم قرية وما بين ذلك مفاوز حتى قدم مكة فلقيته الملائكة
فقالت بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام ثم قال فما كنتم
تقولون حوله قالوا كنا نقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر فكان آدم
اذا طاف بالبيت قال هذه الكلمات وكان آدم يطوف بالبيت سبعة أسابيع خمسة
أسابيع بالليل وبالنهار اسبوعان فقال آدم يا رب اجعل لهذا البيت عمارا يعمرونه
من ذريتي فأوحى الله تعالى اليه اني معمره بنبي من ذريتك اسمه ابراهيم أتخذه
خليلا أقضي على يديه عمارته وأنيط له سقايته وأوريه حله وحرمه ومواقفه وأعلمه

مشاعره ومناسكه فلما فرغ من بنائه نادى يا أيها الناس ان الله تعالى بنى بيتا
فحجوه فاسمع ما بين الخافقين فأقبل من يحج هذا البيت من الناس يقولون لبيك
لبيك وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان آدم عليه السلام سأل ربه عز وجل فقال
يارب أسألك ان مات في هذا البيت من ذريتي لا شرك بك شيئا أن تلحقه بي في الجنة
فقال الله تعالى يا آدم من مات في الحرم لا يشرك بي شيئا بعثته آمنا يوم القيامة
(وروت) الرواة بأسانيد مختلفة ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض كان
رجلاه في الارض ورأسه في السماء يسمع كلام أهل السماء ودعاءهم وتسبيحهم
ويأنس اليهم فهابته الملائكة واشتكت ذلك الى الله عز وجل فنقصه الله تعالى الى
ستين ذراعا بذراع آدم فلما فقد آدم عليه السلام ما كان يسمع من أصوات الملائكة
وتسبيحهم استوحش وشكا ذلك الى الله عز وجل فأنزل الله تعالى ياقوتة من يواقيت
الجنة فكانت على موضع البيت الآن ثم قال يا آدم اني أهبطت لك بيتا تطوف به كما
يطاف حول عرشي وتصلي عنده كما كنت تصلي عند عرشي فتوجه آدم عليه السلام
الى مكة ورأى البيت فطاف به (وروى) أبو صالح عن ابن عباس قال أوحى الله تعالى
الى آدم عليه السلام ان لي حرما بحيال عرشي فانطلق فابن لي بيتا فيه ثم حف به كما
رأيت الملائكة يحفون بعرشي فهنالك أستجيب لك ولولدك من كان منهم في طاعتي
قال آدم رب كيف لي بذلك ولا أقوى عليه ولا أهتدي اليه فقيض الله له ملكا فانطلق
نحو مكة فكان آدم عليه السلام اذا مر بروضة وبمكان يعجبه قال للملك انزل بي ههنا
فيقول له الملك مكانك حتى قدم مكة فكان كل مكان نزل فيه عمرانا وكل مكان تعداه
مفاوز وقفارا ثم بنى البيت فلما فرغ من بنائه خرج به الملك الى عرفات فأراه المناسك
كلها التي يفعلها الناس كلها اليوم ثم قدم به مكة وطاف بالبيت أسبوعا ثم رجع الى
أرض الهند فمات على نود * قال أبو يحيى بائع القت قال لي مجاهد لقد حدثني عبد الله
ابن عباس أن آدم نزل حين نزل بالهند ولقد حج منها أربعين حجة على رجليه فقلت له
يا أبا الحجاج ألا كان يركب قال واي شئ كان يحمله والله ان خطوته مسيرة ثلاثة أيام
* وقال وهب بن منبه ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض فرأى سعتها ولم ير فيها
أحدا غيره قال يارب أما لهذه الارض عامر يسبح بحمدك ويقدس غيري قال الله تعالى
اني سأجعل فيها من ولدك من يسبح بحمدي ويقدسني وسأجعل فيها بيوتا ترفع
بذكري ويسبح فيها خلقي ويذكر فيها اسمي وسأجعل من تلك البيوت بيتا أخصه
بكرامتي وأوثره باسمي واسميه بيتي أنطقه بعظمتي وعليه وضعت جلالي ثم أجعل ذلك
البيت حرما آمنا يحرم بحرمته من حوله ومن تحته ومن فوقه فمن حرمه بحرمته
استوجب بذلك كرامتي ومن أخاف أهله فقد ضيع ذمتي وخفر ذمتي وأباح حرمتي

اجعله

أجعله أول بيت وضع للناس يأتونه شعثا غبرا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق
يعجون بالتلبية ضجيجا ويثجون بالبكاء ثجيجا ويعجون بالتكبير عجيجا فمن آثره لا يريد
غيره فقد وفد الى وزارني وضافني وحق على الكريم أن يكرم وفده واضيافه وأن يتم
ويتفضل ويسعف كلا بحاجته تعمره يا آدم ما كنت حيا ثم يعمره الامم والقرون
والانبياء من ولدك أمة بعد أمة وقرنا بعد قرن فهذا كان بدء أمر الكعبة حرسها الله
تعالى ثم كانت على ذلك الى أيام الطوفان فلما كان أيام الطوفان رفعه الله تعالى الى
السماء الرابعة وبعث جبريل عليه السلام حتى خبأ الحجر الاسود في جبل أبي قبيس
صيانة له من الغرق فكان موضع البيت خاليا الى زمان ابراهيم عليه السلام ثم ان
الله تعالى أمر ابراهيم بعد ماولد له اسمعيل واسحق عليهما السلام ببناء بيت له يعبد فيه
ويذكر اسمه فلم يدر ابراهيم في أي موضع يبنيه فسأل الله عز وجل أن يبين له ذلك
* واختلف العلماء في كيفية بيان ذلك فقال قوم بعث الله تعالى اليه السكينة لتدله
على موضع البيت كما حدث سماك بن حرب عن خالد بن عرعرة ان رجلا قام الى علي بن
أبي طالب رضي الله عنه فقال الا تخبرني عن البيت أهو أول بيت وضع للناس فقال
لا ولكنه أول بيت وضع فيه البركة ووضع فيه مقام ابراهيم عليه السلام ومن دخله
كان آمنا وان شئت انبأتك كيف بني ان الله عز وجل أوحى الى ابراهيم عليه السلام
أن ابن لي بيتا في الارض فضاق بذلك ابراهيم ذرعا فأرسل الله عز وجل السكينة وهي
ريح خجوج ولها رأسان فاتبع أحدهما صاحبه حتى انتهينا الى مكة فتطوقت على
موضع البيت كتطوق الحجفة وأمر ابراهيم ان يبني حيث تستقر السكينة فبنى بيتا
وقال آخرون أرسل الله تعالى اليه سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير معه الى ان قدم
مكة فوقفت في موضع البيت ونودي يا ابراهيم ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقال
بعضهم ان الذي خرج مع ابراهيم عليه السلام من الشام لدلالته على موضع البيت
جبريل عليه السلام وذلك قوله عز وجل واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت الآية قالوا
فجعل ابراهيم يبنيه واسمعيل يناوله الحجارة وكان ابراهيم عبرانيا واسمعيل عربيا فالهم
الله تعالى أحدهما لسان صاحبه فكان ابراهيم عليه السلام يقول هب لي كينا يعني
هات لي حجرا يقول له اسمعيل هاك خذه فبنيا الكعبة من خمسة اجبل طور سينا
وطور زيتا ولبنان والجودي وبنيت قواعده من حراء قال فبقي حجر فذهب اسمعيل
يبتغيه ثم رجع فوجده قد ركب الحجر في مكانه فقال يا ابت من أتاك بهذا الحجر فقال
له أتاني به من لم يكلني اليك ثم قال ابراهيم لاسمعيل ائتني بحجر حسن أضعه على الركن
ليكون علما للناس فناداه أبو قبيس يا ابراهيم ان لك عندي وديعة فهاك خذها
فأخرج ابراهيم عليه السلام الحجر الاسود من جبل أبي قبيس وركبه في موضعه فلما

فرغ ابراهيم واسمعيل من بناء البيت وأتماه دعوا ربهما فذلك قوله تعالى واذ يرفع
ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم الى قوله
وارنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم فأجاب الله تعالى دعاءهما وأرسل
جبريل عليه السلام اليهما فعلمهما مناسك الحج فخرج بهما يوم التروية الى منى فصلى
بهما الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم بات بهما حتى أصبح فصلى بهما الصبح ثم غدا
بهما الى عرفة فقام بهما هناك حتى اذا مالت الشمس جمع بين الصلاتين الظهر
والعصر ثم راح بهما الى الموقف من عرفة فوقف بهما على الموضع الذى يقف عليه
الناس اليوم فلما غربت الشمس دفع بهما الى المزدلفة فجمع بين الصلاتين المغرب
والعشاء ثم بات بهما حتى طلع الفجر ثم صلى بهما صلاة الغداة فوقف بهما على قزح
حتى اذا اسفر الصبح أفاض بهما الى منى فاراهما كيف يرميان الجمار ثم أمرهما بالذبح
وأراهما المنحر من منى وأمرهما بالحلق ثم أفاض بهما الى البيت فأوحى الله تعالى الى نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ثم أمر الله
تعالى ابراهيم عليه السلام ان يؤذن فى الناس بالحج فقال يارب وما يبلغ صوتى فقال
عليك الأذان وعلى البلاغ فعلا ثبيرا ونادى ياعباد الله ان ربكم قد بنى بيتا فحجوه
وأجيبوا داعى الله فسمعه ما بين السماء والارض وما بين الابحر ومن فى اصلاب الرجال
وأرحام النساء فأجابه كل من آمن بالله ممن سبق فى علم الله تعالى ان يحج الى يوم القيامة
لبيك اللهم لبيك وقال عبد الله بن الزبير لعبيد بن عمير استقبل ابراهيم عليه السلام
اليمن والمشرق والمغرب والشام فدعا الى الحج فأجيب لبيك اللهم لبيك وذلك قوله عز
وجل وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق الآيات
فلم يزل البيت على مابناه ابراهيم عليه السلام الى سنة خمس وثلاثين من مولد نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم وذلك قبل مبعثه بخمس سنين فهدمت قريش الكعبة ثم بنتها
* وكان السبب فى ذلك على ماذكر محمد بن اسحق وغيره من أهل الاخبار ان الكعبة
كانت رضمة فوق القامة فأرادوا رفعها وتسقيفها وكان البحر قد رمى بسفينة الى جدة
لرجل من تجار الروم فتحطمت فأخذوا خشبها فاعدوه لسقفها وكان بمكة رجل قبطى
نجار فهيأ لهم فى انفسهم بعض مايصلحها وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التى يطرح
فيها مايهدى لها كل يوم فتشرف على جدار الكعبة وكانوا يهابونها وذلك أنه كان
لايدنو منها أحد الا كشرت وفتحت فاها فكانوا يهابونها فبيناهى ذات يوم على جدار
الكعبة كما كانت تصنع فبعث الله طائرا فاختطفها فذهب بها وقالت قريش انا
لنرجوان الله تعالى قد رضى ما أردناه من عمارة بيته وان عندنا عاملا رفيقا وخشبا وقد
كفانا الله تعالى الحية وذلك بعد حرب الفجار بخمس عشرة سنة فلما أجمعوا أمرهم على

هدمها وبنائها قام أبو وهب بن عمرو بن عمير بن عامر بن عمرو بن مخزوم فتناول من الكعبة حجرا فوثب من يده حتى رجع الى موضعه فقال يامعشر قريش لا تدخلوا في بنائها من كسبكم الا طيبا ولا تدخلوا فيها من مهر بغي ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس ثم ان الناس هابوا هدمها فقال الوليد بن المغيرة أنا أبدأكم في هدمها فأخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول اللهم لا نريد الا الخير ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس به تلك الليلة وقالوا ننتظره فان أصيب لم نهدم منها شيأ ورددناها كما كانت وان لم يصبه شيء فقد رضي الله تعالى بما فعلنا فأصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله فهدم وهدم الناس معه حتى انتهى الهدم الى الاساس فافضوا الى حجارة خضر كأنها اسنمة الابل آخذ بعضها ببعض فادخل رجل من قريش عتلة بين حجرين منها ليقلع أحدهما فلما تحرك الحجر تحركت مكة بأسرها فعلموا أنهم قد انتهوا الى الاساس وقالوا ان القبائل قد اجتمعت لبنائها فجعلت كل قبيلة تجمع على حدتها ثم بنوا فلما بلغوا في البنيان الى موضع الركن اختصموا فيه فكل قبيلة أرادت ان تضعه في صفة دون الاخرى حتى تجاوروا وتحالفوا وتواعدوا للقتال فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوأة دما ثم تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب على الموت وأدخلوا ايديهم في ذلك الدم فسموا لعقة الدم بذلك فمكثوا أربع ليال أو خمس ليال على ذلك ثم انهم اجتمعوا في المسجد وتشاوروا وتناصفوا فزعم بعض الرواة أن أبا أمية بن المغيرة كان حينئذ اسن قريش كلها فقال لهم يامعشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل عليكم من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه فرضوا بذلك وتوافقوا عليه فكان أول من دخل عليهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا محمد الامين قد رضينا به فلما انتهى اليهم وأخبروه الخبر قال هلموا الي ثوبا فاتوا به فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا ذلك حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه بيده ثم بني عليه قالوا فكانت الكعبة كذلك على ما بنته قريش الى سنة أربع وستين من الهجرة حتى حاصر الحصين بن نمير السكوني عبد الله ابن الزبير فقذفوا البيت بالمنجنيق وأخذوا يرتجزون ويقولون

خطارة مثل الفنيق المزبد ❊ ترمي بها عيدان هذا المسجد

وقال آخر منهم كيف ترى صنيع أم فروة ❊ تأخذهم من الصفا والمروة

أم فروة اسم منجنيق فمالت حيطان الكعبة مما رميت به من حجارة المنجنيق وانها مع ذلك احترقت وكان السبب فيه انهم كانوا يوقدون حولها فاقبلت شرارة هبت بها الريح فأحرقت باب الكعبة واحترق خشب البيت ❊ وقال الواقدي حدثني عبد الله ابن زيد قال حدثني عروة ابن أذينة قال قدمت مكة مع أبي يوم احترقت الكعبة وقد

خلصت اليها النار ورأيت الركن قد اسود وانصدعت منه ثلاثة أمكنة فقلت ما أصاب الكعبة فأشاروا الى رجل من أصحاب ابن الزبير قالوا احترقت بسبب هذا أخذ قبسا في رأس رمح له فطارت الريح به فضربت أستار الكعبة ما بين الركن اليماني والحجر الاسود * وقال بعضهم كان السبب في ذلك ان امرأة كانت تجمر البيت فطارت شرارة من النار فاحترق البيت وكان أول ما تكلم الناس في القدر يومئذ فقال قوم هو من قدرة الله وقال قوم ليس من قدرة الله قالوا فهدم عبد الله ابن الزبير الكعبة حتى سواها بالأرض وكان الناس يطوفون بها من وراء الأساس ويصلون الى موضعها وجعل الحجر الاسود عنده في تابوت في خرقة من حرير وجعل ما كان من حلي البيت وما وجد فيه من ثياب وطيب عند الحجبة في خزانة البيت ثم أعاد بناءه وقال ان امي أسماء بنت أبي بكر حدثتني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة لولا حداثة عهد قومك بالكفر لرددت الكعبة على أساس ابراهيم فازيد في الكعبة الحجر وان قريشا عوزتهم النفقة فأخرجوا الحجر من البيت ولجعلت لها بابين بابا شرقيا وبابا غربيا فأمر به ابن الزبير فحفر فوجدوا اقلاعا أمثال الابل فحركوا منها صخرة فبرقت برقة فقال أقروها على أساسها فبناها ابن الزبير وأدخل فيها الحجر وجعل لها بابين يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر فكانت الكعبة على ما بناها ابن الزبير الى سنة أربع وسبعين حتى قتل الحجاج ابن يوسف الثقفي عبد الله بن الزبير وولي الحجاز من قبل عبد الملك ابن مروان فنقض الحجاج بنيان الكعبة الذي كان بناه ابن الزبير بأمر عبد الملك وأعادها الى بنائها الاول بمشهد مشايخ من قريش فهي اليوم على ما بناها الحجاج الا ما كان من قلع القرمطي صاحب البحرين لعنه الله الحجر الاسود عام أوقع بالحجيج بمكة فذهب به مع من أسر من الحاج الى البحرين ثم أخذ منه ورد الى موضعه وذلك على يد شيخنا أبي اسحق ابراهيم بن محمد بن يحيى البرمكي النيسابوري رحمة الله عليه

﴿الباب السادس في ذكر أمر الله تعالى خليله عليه السلام بذبح ولده﴾

قال الله تعالى فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني أرى في المنام اني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين * واختلف السلف من علماء المسلمين في الذي أمر ابراهيم عليه السلام بذبحه من ابنيه بعد اجماع أهل الكتاب على انه كان اسحاق عليه السلام فقال قوم هو اسحق واليه ذهب من الصحابة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلي بن أبي طالب ومن التابعين واتباعهم كعب الاحبار وسعيد بن جبير والقاسم ابن أبي برة ومسروق بن الاجدع وعبد الرحمن بن أبي سابط وأبو الهذيل والزهري والسدي روى شعبة عن أبي اسحق عن

ابن الاحوص قال افتخر رجل عند عبد الله بن مسعود قال أنا فلان بن فلان بن الاشياخ الكرام فقال عبد الله ذاك يوسف بن يعقوب بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله وروى سفيان عن زيد بن أسلم عن عبيد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده قال قال موسى عليه السلام يارب يقولون يا اله ابراهيم واسحق ويعقوب فلم قالوا ذلك فقال ان ابراهيم لم يعدل بي شيأ قط الا اختارني عليه وان اسحق جادلي بالذبح فهو بغير ذلك أجود وان يعقوب كلما زدته بلاء زادني حسن ظن وروى حمزة بن الزيات عن أبي اسحق عن أبي ميسرة قال قال يوسف عليه السلام لملك مصر أترغب أن تأكل معي وأنا والله يوسف بن يعقوب نبي الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله * وقال الآخرون هو اسمعيل والى هذا القول ذهب عبد الله بن عمر وأبو الطفيل عامر بن واثلة وسعيد بن المسيب والشعبي ويوسف بن مهران ومجاهد وكان الشعبي يقول رأيت قرني الكبش منوطين بالكعبة وروى عمر بن عبيد عن الحسن البصري انه كان لا يشك في أن الذي أمر بذبحه من ابني ابراهيم عليه السلام هو اسمعيل وهي رواية عطاء بن أبي رباح عن عبد الله ابن عباس قال المفدى اسمعيل وزعمت اليهود انه اسحق وكذبت اليهود وروى محمد بن اسحق عن محمد بن كعب القرظي انه كان يقول ان الذي أمر الله تعالى ابراهيم بذبحه من ابنيه اسمعيل وانا لنجد ذلك في كتاب الله تعالى في قصة الحق عن ابراهيم عليه السلام وما أمر به من ذبح ابنه انه اسمعيل وذلك ان الله عز وجل يقول حين فرغ من قصة المذبوح من بني ابراهيم وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين وقال تعالى فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب يقول بابن وابن ابن فلم يكن يأمره بذبح اسحق وله فيه من الله تعالى من الموعود ما وعده وما الذي أمر بذبحه الا اسمعيل (قال) محمد بن كعب القرظي فذكرت ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة اذ كنت معه بالشأم فقال لي عمر ان هذا الشئ ما كنت أنظر فيه واني لأراه كما قلت ثم أرسل الى رجل كان عنده بالشأم وكان يهوديا فأسلم وحسن اسلامه وكان يرى انه من علماء اليهود فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك وأنا عنده فقال له أي ابني ابراهيم الذي كان أمر بذبحه فقال اسمعيل ثم قال والله يا أمير المؤمنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أبوكم الذي كان أمر الله بذبحه لما فيه من الفضل الذي ذكر انه كان منه بصبره على ما أمر به فهم يجحدون ذلك ويزعمون انه اسحق لان اسحق أبوهم وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا القولين ولو كان فيهما قول صح بالاجماع لم يعزه أبو عبد الله الى غيره * فأما الرواة التي روت عنه ان الذبيح اسحق فأخبرني أبو عبد الله بن الحسين ابن محمد عن العباس بن عبد المطلب قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أراد ابراهيم أن يذبحه اسحق * وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال الذى فداه الله بذبح عظيم اسحق * وأخبرنا أبو عبد الله أخبرنا احمد بن جعفر بن حمدان أخبرنا يوسف بن عبد الله بن ماهان أخبرنا موسى بن اسمعيل أنبانا المبارك عن الحسن عن الاحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب عن أنس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع اسحق بعدى فيقول يارب صدقت نبيك وجدت بنفسى للذبح فلا تدخل النار من لا يشرك بك شيأ قال فيقول الله وعزتى لا أدخل النار من لا يشرك بى شيأ * وأخبرنا أبو طاهر محمد بن الفضل بن محمد بن اسحق المزنى قراءة عليه سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة أنبأنا جدى أبو بكر بن محمد بن اسحق بن خزيمة امام الأئمة أنبأنا على بن حجر أنبأنا عمر بن حفص عن أبان عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خيرنى بين أن يغفر لنصف أمتى وبين أن أختبئ شفاعتى فاخترت شفاعتى ورجوت أن يكون ذلك أعم لامتى ولولا الذى سبقنى اليه العبد الصالح لتعجلت منها دعوتى وذلك ان الله تعالى لما فرج عن اسحق كرب الذبح قيل له يا اسحق سل تعط فقال أما والذى نفسى بيده لأتعجلنها قبل نزغة الشيطان اللهم من مات لا يشرك بك شيأ فاغفر له وأدخله الجنة * وأما الرواة التى روت عنه صلى الله عليه وسلم ان الذبيح اسمعيل فروى عمر بن عبد الرحمن الخطابى باسناده عن الصباحى قال كنا عند معاوية بن أبى سفيان فذكروا أن الذبيح اسمعيل أو اسحق فقال على الخبير سقطتم كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل فقال يارسول الله اعد على ما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل يا أمير المؤمنين ومن الذبيحين فقال ان عبد المطلب لما حفر زمزم نذر لربه ان سهل الله عليه أمرها ليذبحن أحد ولده قال فخرج السهم على عبد الله فمنعه أخواله وقالوا له افد ولدك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل والثانى اسمعيل فهذا ماورد من الاخبار وفى القرآن مايدل على صحة كل واحد من القولين فاما الدليل على انه اسحق فهو ان الله تعالى أخبر عن ابراهيم عليه السلام حين فارق قومه مهاجرا الى الشأم مع سارة ولوط وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين انه دعا فقال رب هب لى من الصالحين يعنى ولدا صالحا من الصالحين وذلك قبل أن يعرف هاجر وقبل أن تصير له أم اسمعيل ثم اتبع ذلك الخبر عن اجابة دعوته وتبشيره اياه بغلام حليم وعن رؤيا ابراهيم أن يذبح ذلك الغلام الذى بشر به حين بلغ معه السعى وليس فى القرآن انه بشر بولد ذكر الا باسحق وأما الدليل على انه اسمعيل فاذكرناه من حديث القرنين وقد صح الخبران قرنى الكبش كانا معلقين بالكعبة الى ان احترق البيت فاحترق القرنان فى أيام ابن الزبير والحجاج وهذا أدل دليل على ان الذبيح اسمعيل (واما

قصة

قصة الذبح وصفته وفعل ابراهيم بابنه عليهما السلام) قال السدى باسناده لما فارق ابراهيم الخليل عليه السلام قومه مهاجرا الى الشام هاربا بدينه كما قال تعالى وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين دعا الله أن يهب له ابنا صالحا من سارة فقال رب هب لى من الصالحين فلما نزل به اضيافه من الملائكة المرسلين الى المؤتفكة بشروه بغلام حليم فقال ابراهيم لما بشربه هو اذا لله ذبيح فلما ولد الغلام وبلغ معه السعى قيل له أوف بنذرك الذى نذرت قربانا الى الله تعالى وكان هذا هو السبب فى أمر الله خليله ابراهيم عليه السلام بذبح ابنه فقال ابراهيم عند ذلك لاسحق انطلق نقرب قربانا الى الله تعالى وأخذ سكينا وحبلا ثم انطلق معه حتى ذهب به بين الجبال فقال له الغلام ياابت أين قربانك فقال يابنى انى أرى فى المنام انى اذبحك أى رأيت لفظه مستقبل ومعناه الماضى فانظر ماذا ترى قال ياابت افعل ماتؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين قال ابن اسحق كان ابراهيم اذا زارها جر واسمعيل حمل على البراق فيغدو من الشأم فيقيل بمكة ويرجع من مكة فيبيت عند أهله بالشأم حتى اذا بلغ اسمعيل معه السعى وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يأمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرماته رأى فى المنام أن يذبحه فلما أمر بذلك قال لابنه يابنى خذ الحبل والمدية ثم انطلق بنا الى هذا الشعب لنحتطب فلما خلا ابراهيم بابنه فى شعب ثبير أخبره بما أمر به وقال يابنى انى أرى فى المنام انى أذبحك الآية فقال له ابنه الذى أراد أن يذبحه ياابت اشدد رباطى حتى لا اضطرب واكفف عنى ثيابك حتى لا ينتضح عليها دمى فينقص أجرى وتراه أمى فتحزن واشحذ شفرتك وأسرع مر السكين على حلقى ليكون اهون للموت علىّ فان الموت شديد فاذا أتيت أمى فاقرأها منى السلام فان رأيت ان ترد قميصى اليها فافعل فانه عسى أن يكون اسلى لها عنى فقال له ابراهيم نعم العون يابنى أنت على ما أمر الله به ففعل ابراهيم ما أمره ابنه ثم انه أقبل عليه يقبله وقد ربطه وهو يبكى والابن يبكى حتى استنقع الدموع تحت خده ثم انه وضع السكين على حلقه فلم يجزع ولم يعمل السكين شيأ قال السدى وضرب الله تعالى صفيحة من نحاس على حلقه فقال عند ذلك الابن ياابت كبنى على وجهى فانك ان نظرت الى وجهى رحمتنى وأدركتك علىّ رقة تحول بينك وبين أمر الله تعالى ففعل ابراهيم ذلك فذلك قوله تعالى فلما اسلما وتله للجبين ثم أنه وضع السكين على قفاه فانقلبت ونودى ياابراهيم قد صدقت الرؤيا الآية هذه ذبيحتك فداء لابنك فاذبحها دونه فنظر ابراهيم عليه السلام فاذا هو بجبريل عليه السلام ومعه كبش أعين أملح أقرن فكبر الكبش وكبر ابراهيم وكبر ابنه فذلك قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم قال سعيد بن جبير وغيره عن ابن عباس خرج عليه الكبش من الجنة قد رعى فيها أربعين خريفا (وروى) عنه أيضا ان الكبش الذى

فدى به عن ابن ابراهيم عليهما السلام هو الكبش الذى قربه هابيل بن آدم فتقبل منه فأرسل ابراهيم ابنه وأخذ الكبش وأتى به المنحر من منى فذبحه فوالذى نفس ابن عباس بيده لقد كان أول الاسلام وان رأس الكبش لمعلق بقرنيه فى ميازيب الكعبة قد وحش يعنى يبس وروى عمرو بن عبيد عن الحسن عن أبيه أنه كان يقول مافدى اسمعيل الا بكبش من الاروى أهبط عليه بثبير وهى رواية أبى صالح عن ابن عباس قال كان وعلا (وروى) أبو هريرة عن كعب الاحبار وابن اسحق عن رجال قالوا لما رأى ابراهيم فى المنام أن يذبح ابنه قال الشيطان والله لئن لم افتن عند هذا آل ابراهيم والالم أفتن أحدا منهم أبدا فتمثل لهم الشيطان رجلا فأتى أم الغلام فقال لها أتدرين أين ذهب ابراهيم بابنك قالت ذهب به ليحتطب من هذا الشعب فقال لا والله ماذهب به الا ليذبحه قالت كلا هو أرحم به منى وأشد حبا له من ذلك فقال لها أنه يزعم ان الله أمره بذلك فقالت له ان كان أمره بذلك فقد أحسن فى امتثال طاعة ربه وفى استسلامه لامر الله تعالى فخرج الشيطان من عندها هاربا حتى أدرك الابن وهو يمشى على أثر أبيه فقال له ياغلام هل تدرى أين يذهب بك أبوك قال نحتطب لاهلنا من هذا الشعب قال لا والله ما يريد الا ذبحك قال ولم قال يزعم ان الله أمره بذلك قال له فليفعل ما أمره الله به فسمعا وطاعة لامر الله تعالى فلما امتنع منه الغلام أقبل على ابراهيم فقال له أين تريد أيها الشيخ قال أريد هذا الشعب لحاجة لى فقال والله أنا لارى الشيطان قد جاءك فى منامك يأمرك بذبح ابنك هذا فعرفه ابراهيم فقال له اليك عنى ياملعون فوالله لامضين لامر ربى فرجع ابليس لعنه الله بغيظه لم يصب من ابراهيم وأهله شيأ مما أراد وقد امتنعوا منه بعون الله وتأييده (وروى) أبو الطفيل عن ابن عباس رضى الله عنهما ان ابراهيم عليه السلام لما أمر بذلك عرض له ابليس عند المشعر الحرام فسابقه فسبقه ابراهيم عليه السلام ثم ذهب الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم ادركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم مضى ابراهيم عليه السلام لامر الله تعالى فهذه قصة الذبح وقال أمية بن أبى الصلت الثقفى فى ذلك شعرا

ولابراهيم الموفى بنذر ❊ احتسابا وحامد الاجزال
بكره لم يكن ليصبر عنه ❊ لو رآه فى معشر اقتال
أبنى انى نذرتك لله ❊ شحيطا فاصبر فدى لك حالى
واشدد العضد عند جبذى للسكين ❊ جبذ الاسير للاغلال
وله مدية تخايل فى اللحم ❊ غلاما جبينه كالهلال

بينما يخلع السراويل عنه ❁ فكه ربه بكبش حلال
فخذن ذا فدا لابنك انى ❁ للذى قد فعلتما غير قالى
ربما تجزع النفوس من الامر له فرجة كحل العقال

❁ الباب السادس فى هلاك النمروذ بن كنعان وما أحل الله تعالى به من نقمته وقصة الصرح ❁

قال الله تعالى قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون روت الرواة بأسانيد مختلفة ان أول جبار كان فى الارض النمروذ بن كنعان وكان الناس يخرجون اليه ويمتارون من عنده الطعام فخرج اليه ابراهيم يمتار مع من يمتار وكان النمروذ اذا مر به الناس قال لهم من ربكم قالوا أنت حتى مر به ابراهيم قال له من ربك قال ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر ورد ابراهيم بغير طعام فرجع ابراهيم الى أهله فمر بكثيب أعفر فقال لآخذن من هذا فآتى به أهلى فتطيب به قلوبهم حين ان أدخل عليهم فأخذ ابراهيم منه فأتى به أهله فوضع متاعه ثم نام فقامت امرأته الى متاعه ففتحته فاذا هو بأجود دقيق رأته فأخذته وصنعت منه طعاما فلما أفاق قدمته اليه وكان عهد أهله ان ليس معهم شئ ولا عندهم طعام فقال لهم من أين هذا فقالت من الطعام الذى جئت به فعلم ابراهيم ان الله رزقه فحمد الله وشكره ثم ان النمروذ الجبار لما حاجه ابراهيم عليه السلام فى ربه قال ان كان ما يقول ابراهيم حقا فلا أنتهى حتى اعلم من فى السماء فبنى صرحا عظيما عاليا ببابل ورام منه الصعود الى السماء لينظر الى اله ابراهيم فيما يزعم * قال ابن عباس ووهب كان طول الصرح من السماء خمسة آلاف ذراع وقال مقاتل وكعب كان طوله فرسخين ثم عمد الى أربعة أفراخ من النسور فعلفها اللحم والخبز وربها حتى شبت واستفحلت ثم قعد فى تابوت ومعه غلام وقد حمل قوسه ونشابه وجعل لذلك التابوت بابا من أعلاه وبابا من أسفله ثم ربط التابوت بأرجل النسور وعلق اللحم على عصا فوق التابوت ثم خلى عن النسور فطارت وصعدت طمعا فى اللحم حتى أبعدت فى الهواء فقال النمروذ لفتاه افتح الباب الاعلى وانظر الى السماء هل قربنا منها ففتح الباب الاعلى ونظر فاذا السماء على هيئتها ثم قال افتح الباب الاسفل فانظر الى الارض كيف تراها ففتح فقال أرى الارض مثل اللجة البيضاء والجبال كالدخان وطارت النسور وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال لغلامه افتح البابين ففتح الاعلى فاذا السماء كهيئتها وفتح الباب الاسفل فاذا الارض سوداء مظلمة ونودى أيها الطاغى الباغى أين تريد قال عكرمة فأمر عند ذلك غلامه فرمى بسهم فعاد اليه السهم متلطخا

بالدم فقال كفيت شغل اله السماء واختلفوا في ذلك السهم من أي شئ تطلخ فقال
عكرمة من سمكة في بحر معلق في الهواء بين السماء والارض قربت نفسها الله تعالى وقال
بعضهم أصاب السهم طائرا من الطير فتطلخ من دمه ثم أمر النمروذ غلامه أن يصوب
العصا وينكس اللحم ففعل ذلك فهبطت النسور بالتابوت فسمعت الجبال حفيف
التابوت والنسور ففزعت وظنت أنه أمر حدث في السماء وان الساعة قد قامت
فذلك قوله تعالى وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم أي جزاء مكرهم وان كان مكرهم
لتزول منه الجبال وقرأ علي وعمر وابن مسعود وان كان مكرهم لتزل منه الجبال
بالذال ثم ان الله تعالى أرسل ريحا على صرح النمروذ فألقت رأسه في البحر وخر عليهم
الباقي وانقلبت بيوتهم وأخذت النمروذ رعدة وتبلبلت ألسن الناس حين سقط
صرح النمروذ من الفزع فتكلموا بثلاث وسبعين لسانا فلذلك سميت بابل لتبلبل
الالسنة فيها فذلك قوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من
حيث لا يشعرون وذلك ان الله تعالى بعث الى النمروذ ملكا أن آمن حتى أترك على
ملكك قال فهل رب غيري فجاءه الثانية والثالثة فأبى عليه فقال له الملك اجمع
جموعك الى ثلاثة أيام فجمع النمروذ جموعه وجنوده فأمر الله تعالى الملك أن يفتح
عليه بابا من البعوض ففعل فطلعت الشمس ذلك اليوم فلم يروها من كثرة البعوض
فبعثها الله تعالى على النمروذ وقومه فأكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق منهم
الا العظام والنمروذ كما هو لم يصبه شئ من ذلك فبعث الله اليه بعوضة فدخلت
في منخره حتى وصلت الى دماغه فمكث أربعمائة سنة تضرب رأسه بالمطارق فأرحم
الناس به من جمع يديه ثم يضرب بهما رأسه وكان جبارا أربعمائة سنة فعذبه الله
أربعمائة سنة كمدة ملكه ثم ان البعوضة اكلت دماغه وأهلكه الله سبحانه وتعالى
وخذله ﴿ الباب السابع في ذكر وفاة سارة وهاجر وذكر وفاة أزواج ابراهيم وولده ﴾
قال الله تعالى اتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته الآية قال أهل العلم باخبار الماضين
ماتت سارة وهي ابنة مائة وسبع وعشرين سنة بالشام بقرية الجبابرة من أرض
كنعان في حبرون في مزرعة اشتراها ابراهيم عليه السلام ودفنت بها وكانت هاجر
ماتت قبل سارة بمكة فدفنت في الحجر فلما ماتت سارة تزوج ابراهيم بامرأة من بعدها
من الكنعانيين يقال لها قطورا ابنة يقطان فولدت له ستة نفر يقشان وزمران ومدان
ومدين وأشبق وشوخ وتزوج أيضا بامرأة أخرى من العرب اسمها حجون بنت أهيب
فولدت له خمسة بنين كيسان وفروخ واهيم ولوطان ونافس فكان جميع بني ابراهيم
مع اسحق واسمعيل ثلاثة عشر وكان اسمعيل بكره وأكبر أولاده فأنزل اسمعيل بارض
الحجاز واسحق بارض الشام وفرق سائر ولده في البلاد فقالوا لابراهيم يا أبانا انزلت

اسحق معك واسمعيل بقربك وأمرتنا ان ننزل بارض الغربة والوحشة قال بذلك أمرت ثم علمهم اسما من أسماء الله تعالى فكانوا يستسقون به ويستنصرون

﴿ الباب الثامن في ذكر وفاة ابراهيم عليه السلام ﴾

قال أهل التاريخ والسير لما أراد الله تعالى قبض روح ابراهيم عليه السلام أرسل اليه ملك الموت في صورة شيخ هرم قال السدى باسناده وكان ابراهيم كثير الاطعام يطعم الناس ويضيفهم فبينما هو يطعم الناس اذا هو بشيخ كبير يمشي في الجادة فبعث اليه بحمار فركبه فلما أتاه قدم اليه الطعام فجعل الشيخ يأخذ اللقمة ويريد أن يدخلها فاه فيدخلها في عينه مرة وفي أذنه مرة ثم اذا أدخلها في فيه وحصلت في جوفه خرجت من دبره وكان ابراهيم قد سأل ربه ان لا يقبض روحه حتى يكون هو الذى يسأله الموت فقال للشيخ حين رأى حاله ما بالك يا شيخ تصنع هكذا فقال يا ابراهيم من الكبر قال ابن كم أنت قال كيت وكيت فحسب ابراهيم فوجد عمره يزيد على عمر ابراهيم بسنتين فقال له ابراهيم انما بيني وبينك سنتان فاذا بلغت عمرك صرت مثلك قال نعم فقال ابراهيم اللهم اقبضني قبل ذلك فقام الشيخ فقبض نفسه وكان الشيخ ملك الموت وكان عمر ابراهيم مائتي سنة وقيل مائة وخمس وتسعون سنة ودفن عند قبر سارة في مزرعة حبرون

﴿ الباب التاسع في ذكر خصائص ابراهيم عليه السلام ﴾

هو ابراهيم خليل الرحمن قال الله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا وهو سيد الفتيان روى في الحديث أنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم يا سيد البشر قال ذاك ابراهيم وهو أبو الضيفان وكان لا يتغذى ولا يتعشى الا مع ضيف وربما مشى ميلين أو أكثر حتى يجد ضيفا وضيافته قائمة الى يوم القيامة وهي الشجرة المباركة التى قال الله تعالى يوقد من شجرة مباركة الآية وصح انه دعا الله تعالى ان يجعل النبوة في نسله فاستجاب له وجعل النبوة في شعبي اسمعيل واسحق عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت على ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من بني اسرائيل وهو المجعول له لسان الصدق في الآخرين فليس من نبي تجرى السنة الخلق كلهم بتصديقه وتفضيله وتبجيله كل أمة غيره وذلك بدعائه عليه السلام واجعل لي لسان صدق في الآخرين وهو المبتلى بانواع البلاء والمشهود له بالوفاء قال الله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن وقال وابراهيم الذى وفى أي بما أمر به وهو الامة القانت قال الله تعالى ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين الى آخر الآية ومعنى الامة انه كان معلما للخير وقد اجتمع فيه من خلال الخير وأنواع الفضل ما يجمع في أمة كما قال الشاعر

ليس على الله بمستنكر ❊ ان يجمع العالم في واحد

وهو الذى أوتى رشده من قبل بلوغه وهو امام الموحدين وجعل له لسان الحجة في

التوحيد فدعا الخلق الى الحق بلسان الحجة من صغره الى كبره قال تعالى وتلك حجتنا
آتيناها ابراهيم الآية وأول من سماه الله حنيفا مسلما قال تعالى ولكن كان حنيفا
مسلما وبرأه من دعاوى اليهود والنصارى وشهد له بالاسلام والاخلاص فقال تعالى
ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا الآية وهو أول من اختتن قال أبو منصور الحمشارى
حدثنا أبو عباس المعقلى أخبرنا عبد الحكيم أخبرنا ابن وهب أخبرنا يحيى بن نصر قال
قرأ على ابن وهب أخبرنا ابن سمعان عن محمد بن المنكدر عن سعيد بن المسيب عن أبى
هريرة رضى الله عنه أنه قال اختتن ابراهيم عليه السلام بالقدوم وهو ابن مائة
وعشرين سنة ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة وأخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه أخبرنا
محمد بن مخلد بن جعفر أخبرنا الحسن بن علوية أخبرنا اسمعيل بن عيسى أخبرنا اسحق
ابن بشر عن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال ان ابراهيم أول من أضاف
الضيف وأول من ثرد الثريد وأول من لبس النعلين وأول من قسم الفيء وأول من
قاتل بالسيف وأول من اختتن واختتن على رأس مائة وعشرين سنة من ميلاده
ختن نفسه فى موضع يقال له القدوم بالقدوم وهو الفأس وذلك أنه كان وقع بينه وبين
العمالقة وقعة عظيمة فقتل من الفريقين خلق عظيم فلم يعرف ابراهيم أصحابه ليدفنهم
فجعل الختان علامة لاهل الاسلام فاختتن يومئذ بالقدوم وهو أول من اتخذ
السراويل اخبرنا الحسن الدينورى أخبرنا أحمد بن شداد بن عمر بن أحمد القطان
أخبرنا محمد بن اسمعيل بن حسان أخبرنا وكيع أخبرنا جرير بن حازم عن واصل مولى
ابن عيينة قال أوحى الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام يا ابراهيم انك أكرم أهل
الارض على فاذا سجدت فلا ترا الارض عورتك فاتخذ السراويل وهو أول من شاب
فلما رآه اله ذلك فقال يارب ماهذا قال الوقار فقال يارب زدنى وقارا وهو أول من أقام
المناسك وذلك بدعوته حيث قال وأرنا مناسكنا فاستجيب له وهو أول من ضحى وهو
الذى بوأ الله له مكان البيت وأراه ذلك بعد دروسه حتى بناه قال الله تعالى واذ بوأنا
لابراهيم مكان البيت الآية وهو أول من ألقى فى النار فى الله فجعلت النار عليه
بردا وسلاما وهو أول نبى أحيا الله له الموتى بسؤاله حيث قال رب أرنى كيف تحيى
الموتى الآية وهو الذى كان اذا سافر وتمنى سارة واشتاق اليها رفع الله له الحجاب بينه
وبينها حتى يراها حيث كان وهو الذى يكسى حلة بيضاء يوم القيامة ويوضع له منبر
عن يسار عرش الرحمن قال النبى عليه السلام تحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة
غرلا بهما وأول من يكسى ابراهيم خليل الرحمن وهو الكفيل لاطفال المسلمين والقائد
لاهل الجنة وهو أول من قص شاربه وأول من قلم أظفاره وأول من استحد وأول من
نتف الابط وأول من استاك وأول من فرق شعره وأول من تمضمض وأول من

استنشق

استنشق وأول من استنجى بالماء وأول من هاجر لله قال الله تعالى فآمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى وجعل مقامه قبلة للناس قال الله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وجعله اماما للناس قال الله تعالى انى جاعلك للناس اماما وقال تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم وأمر محمد خير الانبياء وأمته خير الامم باتباع ملته قال تعالى ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وقال قل بل ملة ابراهيم حنيفا وسماه حليما منيبا أواها قال تعالى ان ابراهيم لحليم اواه منيب الحليم السيد الذى يملك نفسه عند الغضب والاواه الذى يكثر التأوه عند ذكر الذنوب والمنيب المقبل بقلبه الى ربه فهذه ستة وأربعون خصلة من خصاله التى أكرمه الله بها (ويروى) ان الله تعالى أوحى الى ابراهيم يا ابراهيم انك لما سلمت مالك الى الضيفان وابنك الى القربان ونفسك الى النيران وقلبك الى الرحمن اتخذناك خليلا (وروى) أبو ادريس الخولانى عن أبى ذر الغفارى قال قلت يا رسول الله كم كتابا أنزل الله تعالى قال مائة صحيفة وأربعة كتب أنزل تعالى على آدم عشر صحائف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف وأنزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان قال فقلت يا رسول الله فما كانت صحف ابراهيم قال كانت أمثالا كلها أيها الملك المبتلى المسلط المغرور انى لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكنى بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم فانى لا أردها ولو كانت من كافر وكان فيها أمثال على العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله أن يكون له أربع ساعات ساعة يناجى فيها ربه وساعة يتفكر فيها فى صنع الله تعالى وساعة يحاسب فيها نفسه على ما قدم وأخر وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال والحرام فى المطعم والمشرب وغيرهما وعلى العاقل أن لا يكون ظاعنا الا فى ثلاث تزود لمعاد . ومؤنة لمعاشه ولذة فى غير محرم وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شأنه حافظا للسانه ومن علم ان كلامه شر من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه والله عن كل محذور يغنيه

﴿مجلس فى ذكر بعض اخبار اسمعيل واسحق ابنى ابراهيم عليهم السلام﴾

وقد ذكرنا سير ابراهيم الخليل بابنه اسمعيل وهاجر الى مكة واسكانه اياهما بها ولما كبر اسمعيل وبلغ النكاح تزوج امرأة من جرهم فكان من أمرها ما قدمناذكره ثم طلقها بأمر أبيه ثم تزوج امرأة أخرى يقال لها السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمى وهى التى قال لها ابراهيم حين قدم مكة اذا جاء زوجك فأقرئيه منى السلام وقولى له قد استقامت عتبة بابك فولدت السيدة لاسمعيل اثنى عشر رجلا نابتا وقيذار وادبيل وبسام ومسمع وذوما ومسا وحراه وفيما وبطور ونافس وقيدما ومن نابت وقيذار ابنى اسمعيل نشر الله تعالى العرب ثم نبأ الله تعالى اسمعيل فبعثه الى

العماليق وقبائل اليمن فلما حضرت اسمعيل الوفاة أوصى الى أخيه اسحق أن يزوج
ابنته من عيص بن اسحق وعاش اسمعيل مائة وسبعة وثلاثين سنة ودفن بالحجر
عند قبر أمه هاجر وروى عمر بن عبد العزيز أنه قال شكى اسمعيل الى ربه تعالى حر
مكة فأوحى الله تعالى اليه انى فاتح لك بابا من الجنة يجرى عليك روحها الى يوم القيامة
وفى ذلك المكان دفن ﷺ وأما حديث اسحق عليه السلام فانه نكح رفقا بنت بتويل
فولدت له عيصا ويعقوب بعدما مضى من عمره ستون سنة ولهما قصة عجيبة على
ما ذكره السدى قال حملت رفقا فى بطن واحد بغلامين فلما ارادت أن تضع اقتتل
الغلامان فى بطنها فاراد يعقوب أن يخرج قبل عيص فقال عيص والله لئن خرجت
قبلى لاعترضن فى بطن أمى فاقتلها فتأخر يعقوب وخرج عيص قبله فسمى عيص
لانه عصى فخرج قبل يعقوب وسمى الآخر يعقوب لانه خرج آخرا بعقب عيص
وكان يعقوب أكبرهما فى البطن ولكن عيصا خرج قبله فلما كبر الغلامان كان
عيص أحبهما الى أبيه ويعقوب أحبهما الى أمه وكان عيص صاحب صيد فلما كبر
اسحق وعمى قال لعيص يابنى أطعمنى لحم صيد واقترب منى أدع لك بدعاء دعالى به أبى
وكان عيص رجلا أشعر ويعقوب رجلا أجرد فخرج عيص يطلب الصيد فسمعت أمه
الكلام فقالت ليعقوب يابنى اذهب الى الغنم فاذبح منها شاة واشوها والبس
جلدها ثم قدمها الى ابيك وقل له أنا ابنك عيص ففعل ذلك وأتى الى ابيه وقال ياأبتاه
كل فقال من أنت قال أنا عيص فمسه وقال المس مس عيص والريح ريح يعقوب
فقالت له امرأته هو ابنك عيص فادع له فقال قدم طعامك فقدمه فأكل منه ثم قال له
ادن منى فدنا منه فدعا له ان يجعل فى ذريته الانبياء والملوك ثم قام يعقوب من عنده وجاء
عيص بعده فقال ياابت قد جئتك بالصيد الذى أردته فقال يابنى قد سبقك أخوك
يعقوب فغضب عيص وقال والله لاقتلنه فقال يابنى قد بقيت لك دعوة فهلم أدع
لك بها فتقدم اليه فدعا له فقال أن تكون ذريتك عدد التراب ولا يملكهم أحد
غيرهم ثم ان ام يعقوب قالت ليعقوب الحق بخالك فكن عنده خشية عليه أن يقتله
عيص فانطلق يعقوب الى خاله وكان يسير فى الليل ويكمن فى النهار فلذلك سماه الله
اسرائيل وهو اول من سرى بالليل فاتى يعقوب الى خاله وكان اسحق امره ان لا ينكح
امرأة من الكنعانيين وأمره أن ينكح امرأة من بنات خاله ليان بن ناهر وان يعقوب
لما مكث عند خاله خطب ابنته راحيل وكان له ابنتان ليا وهى الكبرى وراحيل وهى
الصغرى فقال له هل لك من مال فازوجك عليه فقال لا لكن أخدمك اجيرا حتى
تستوفى صداق ابنتك فقال له ان صداقها أن تخدمنى سبع حجج فقال يعقوب تزوجنى
راحيل لانها أصغر ولاجلها أخدمك فقال له خاله ذلك بينى وبينك فرعى له يعقوب

سبع

سبع سنين فلما وفى له شرطه دفع له ابنته الكبرى ليا وادخلها عليه ليلا فلما أصبح وجد غير ما شرط فجاء يعقوب وهو فى نادمن قومه فقال له غررتنى وخدعتنى واستحللت عملى سبع سنين ودلست على غير امرأتى فقال له خاله يا ابن اختى أردت أن لا يدخل على فى ذلك العار وألبسه وأنا خالك ووالدك متى رأيت الناس يزوجون الصغرى قبل الكبرى فهلم فاخدمنى سبع سنين أخرى حتى أزوجك الاخرى وكان الناس يومئذ يجمعون بين الاختين الى ان بعث موسى وأنزلت التوراة فرعى له يعقوب سبع سنين أخرى فدفع اليه راحيل فولدت له ليا أربعة أسباط روبيل وكان أكبرهم ويهوذا وشمعون ولاوى وولدت له راحيل يوسف وبنيامين وهو بالعربية شداد وانما سمى بنيامين لان أمه راحيل ماتت فى نفاسها وبامين بالعربية الثكل وكان ليان دفع الى ابنتيه حين جهزهما الى يعقوب أمتين يقال لاحداهما زلفة وللاخرى بلهة فوطئ الامتين يعقوب فولدت كل واحدة منهما ثلاثة أسباط فولدت زلفة ليعقوب دان ونفتالى وروبالون وولدت له بلهة جادو يشحر وآشر فكان بنو يعقوب اثنى عشر رجلا اثنان من راحيل وأربعة من ليا وثلاثة من زلفة وثلاثة من بلهة وهم الذين سماهم الله تعالى الاسباط وسموا بذلك لان كل واحد منهم ولد قبيلة والسبط فى كلام العرب الشجرة الملتفة الكثيرة الاغصان والاسباط من بنى اسرائيل كالشعوب من العجم والقبائل من العرب ثم ان يعقوب فارق خاله ليان وانصرف بولده وامرأتيه وجاريتيه المذكورات الى منزل أبيه من فلسطين على تخوف شديد من أخيه عيص فلم يرمنه الا خيرا فنازل أخاه وتألفه وتلطفه حتى ترك له البلاد وتنقل فى الشام وصار الى السواحل ثم عبر الى الروم فاستوطنها فصار ذلك له ولولده من بعده ❁ وقال ابن اسحق تزوج عيص بن اسحق بنت عمه نسمة بنت اسمعيل بن ابراهيم فولدت له الروم بن عيص فكل بنى الاصفر من ولده وكان عيص فيما يذكر يسمى آدم لادمته ولذلك سمى ولده بنى الاصفر قالوا وعاش اسحق بعدما ولد له عيص ويعقوب مائة سنة وتوفى وله مائة وسبعون سنة ودفنه أبناؤه عند قبر أبيه ابراهيم عليهم السلام فى مزرعة حبرون والله أعلم

﴿مجلس فى قصة لوط عليه الصلاة والسلام﴾

وهو لوط بن هاران بن تارخ ابن أخى ابراهيم عليه السلام وانما سمى لوطا لان حبه لاط بقلب ابراهيم عليه السلام أى تعلق به ولصق ومنه حديث أبى بكر رضى الله عنه حين ذكر عمر اللهم غفرا الولد الألوط أى ألصق بالقلب وكان ابراهيم يحبه حبا شديدا وكان من أمر لوط فيما ذكر أهل العلم بأخبار الانبياء وذكر وهب فى المبتدا انه شخص من أرض بابل مع عمه ابراهيم مؤمنا به متبعا له على دينه مهاجرا معه الى الشام

ومعهما سارة بنت ناحور وشخص معه تارخ أبو ابراهيم مخالفا لابراهيم فى دينه ومقيما
على كفره الى أن وصلوا الى حران ومكثوا بها فمات تارخ وهو آزر أبو ابراهيم بحران على
كفره وشخص ابراهيم ولوط وسارة الى الشام ثم مضوا الى مصر فوجدوا بها فرعونا من
فراعنتها يقال له سنان بن عاران بن عبيد بن عوج بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح
عليه الصلاة والسلام فرجعوا عودا الى أرض الشام فنزل ابراهيم فلسطين وأنزل لوطا
الاردن فبعثه الله تعالى الى ارض سدوم وما يليها وكانوا اهل كفر بالله وركوب فواحش
كما أخبر الله عنهم بقوله تعالى أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين أئنكم
لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون قال عمرو بن دينار ما كان
برى ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط وقال تعالى أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون
السبيل وتأتون فى ناديكم المنكر فكان قطعهم السبيل فيما ذكر أهل التأويل أن
اتيانهم الفاحشة مع من ورد بلدهم واتيانهم المنكر فى ناديهم قال المفسرون هو أنهم
كانوا يجلسون فى مجالسهم على الطريق فيحذفون من مربهم ويتضارطون فى مجالسهم
وينكح بعضهم بعضا فى الطريق وقال مجاهد كانوا يجامعون الرجال فى مجالسهم على
الطريق وروى أبو صالح عن أم هانئ قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
هذه الآية فقال كانوا يجلسون على الطريق فيحذفون من مربهم ويسخرون به وهو
المنكر الذى كانوا يأتونه وكان لوط ينهاهم عن ذلك ويدعوهم الى عبادة الله تعالى
ويتوعدهم على اصرارهم على ما هم عليه ويأمرهم بالتوبة منه ويخوفهم من العذاب
الأليم فلا يزجرهم عن ذلك وعده ولا يزيدهم وعظه الا تماديا وعتوا واستعجالا بعذاب
الله تعالى وانكارا وتكذيبا ويقولون له ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين حتى
سأل لوط ربه أن ينصره عليهم فقال رب انصرنى على القوم المفسدين فأجاب الله
دعاءه وبعث جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام لاهلاكهم وبشارة
ابراهيم عليه السلام بالولد فأقبلوا مشاة فى صورة رجال مرد حسان حتى نزلوا على ابراهيم
عليه السلام فتضيفوه وبشروه باسحق وقد مضت القصة فلما فرغوا من ذلك وأخبروا
ابراهيم ان الله تعالى بعثهم لاهلاك قوم لوط ناظرهم ابراهيم وحاجهم فى ذلك كما قال
الله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا فى قوم لوط وكان جداله
اياهم على ما ذكر ابن عباس وغيره انهم لما قالوا له انا مهلكوا أهل هذه القرية قال
لهم أتهلكون قرية فيها أربعمائة مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها ثلثمائة مؤمن
قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها مائة
مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها أربعون مؤمنا قالوا لا قال أفتهلكون قرية
فيها أربعة عشر مؤمنا قالوا لا وكان ابراهيم يعدهم أربعة عشر بامرأة لوط فسكت عنهم

واطمأنت نفسه وروى سعيد عن ابن عباس قال قال الملك لابراهيم ان كان فيهم
خمسة يصلون رفع عنهم العذاب فلما عرف ابراهيم حال قوم لوط قال للرسل ان فيها لوطا
قالها اشفاقا منه عليه فقالت له الرسل نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته قال
قتادة في هذه الآية لا يرى المؤمن الا يحوط المؤمن ثم مضت رسل الله تعالى نحو سدوم
فلما انتهوا اليها لقوا لوطا في أرض له يعمل فيها قال قتادة راويا عن حذيفة ان الله تعالى
قال للملائكة لا تهلكوهم حتى تشهد عليهم لوط أربع شهادات فأتوه فقالوا انا متضيفوك
الليلة فانطلق بهم فلما مشى ساعة التفت لهم وقال أوما بلغكم أمر هذه القرية قالوا
وما أمرها قال أشهد بالله انها لشر قرية في الارض وما أعلم على وجه الارض أناسا
أخبث منهم قال ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله وعلم لوط انه سيحتاج الى المدافعة
عن اضيافه وخاف عليهم من قومه فذلك قوله تعالى ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم
وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب أي شديد قال السدي باسناده لما خرجت
الملائكة من عند ابراهيم نحو قرية لوط فأتوها نصف النهار فلما بلغوا سدوم لقوا بنت لوط
تستسقي الماء لاهلها وكان له ابنتان اسم الكبرى ريثا والاخرى غيثا فقالوا لها يا جارية
هل من منزل قالت نعم مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم ففزعت عليهم من قومها ثم أتت
أباها فقالت يا أبتاه أدرك فتيانا على باب المدينة ما رأيت وجوه قوم قط أحسن منهم
لئلا تأخذهم قومك فيفضحوك وقد كان قومه نهوه أن يضيف رجالا وقالوا له خل عنا
فلنضيف الرجال فذلك قوله تعالى أولم ننهك عن العالمين فجاء بهم لوط الى منزله ما علم
بهم أحد الا أهل بيت لوط فخرجت امرأته فأخبرت قومها بذلك وقالت ان في بيت لوط
رجالا ما رأيت مثلهم حسنا قط قال أبو حمزة الثمالي بلغنا أن العلم الذي كان بين امرأة
لوط وقومه اذا أتتهم الضيفان يقول رسولها هؤلنا لمحا تدعوهم بذلك الى الفاحشة
بأضياف لوط فبلغنا أن الله تعالى مسخها لمحا لوافلما أخبرت امرأة لوط قومها
باضياف زوجها جاءه قومه يهرعون اليه أي يسرعون ويهرولون فلما أتوه قال لهم لوط
يا قوم اتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد وقال لهم هؤلاء بناتي هن
أطهر لكم قالوا أولم ننهك عن العالمين أن تضيف الرجال قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك
من حق وانك لتعلم ما نريد فلما لم يقبلوا منه ما عرض عليهم قال لو أن لي بكم قوة أو آوي
الى ركن شديد قالوا فما بعث الله نبيا بعده الا في شرف من قومه ومنعة من عشيرته وقال
صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية رحم الله أخي لوطا لقد كان يأوي الى ركن شديد
قال ابن عباس وغيره وغلق لوط بابه والملائكة معه في الدار وهو يناظرهم ويناشدهم
من وراء الباب وهم يعالجون تسور الدار فلما رأت الملائكة ما لقي لوط من الكرب
والنصب والتعب بسببهم قالوا له يا لوط ان ركنك لشديد وانهم آتيهم عذاب غير

مردود انا رسل ربك لن يصلوا اليك فأسر بأهلك بقطع من الليل الآية ثم قالوا له افتح
الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه فى
عقوبتهم فأذن له فقام فى الصورة التى يكون فيها فنشر جناحيه وله جناحان وعليه
وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا أجلى الجبين ورأسه حبك مثل المرجان كأنه
الثلج بياضا وقدماه الى الخضرة فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم فذلك
قوله تعالى ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم الآية فصاروا لا يعرفون الطريق
ولا يهتدون الى بيوتهم ثم انهم انصرفوا وهم يقولون النجاء النجاء ان فى بيت لوط أسحر
قوم فى الارض وقالوا للوط جئتنا بقوم سحرة سحرونا كن كما كنت حتى نصبح
يتوعدونه فلما علم لوط أن اضيافه رسل ربه وأنهم أرسلوا بهلاك قومه قال لهم
اهلكوهم الساعة فقال له جبريل ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب ثم أمره أن
يسرى باهله بقطع من الليل ولا يلتفت منهم أحد الا أمرأته فلما كان السحر خرج لوط
وأهل بيته ومعه امرأته فذلك قوله تعالى الا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا
كذلك نجزى من شكر فلما أصبحوا ادخل جبريل جناحه تحت أرضهم فاقتلع قريات
قوم لوط الاربع وكان فى كل قرية مائة ألف فرفعهم على جناحه بين السماء والارض
حتى سمع أهل سماء الدنيا صياح ديوكهم ونباح كلابهم ثم كفأها وقلبها فجعل عاليها
سافلها كما قال الله تعالى فجعلنا عاليها سافلها ثم أتبع شاردهم ومسافرهم بالحجارة
فذلك قوله تعالى وامطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هى
من الظالمين ببعيد اى ممن يفعل كفعلهم (اخبرنا) الحسين بن محمد بن فنجويه اخبرنا
مخلد بن جعفر الباقرى اخبرنا الحسين بن علوية اخبرنا اسمعيل بن عيسى اخبرنا اسحق
ابن بشر أخبرنى جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس عن على بن أبى طالب
رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لأسمع العواصف والقواصف
من الرعد فأخشى أنها الحجارة التى أعدت لقوم لوط او من يفعل بفعلهم وأخبرنا أبو بكر
ابن محمد بن أحمد بن عقيل القطان أخبرنا أبو الفضل عبدوس بن الحسين بن منصور
أخبرنا أبو حاتم الرازى أخبرنا ابو اليمان الحكم بن نافع الحمصى عن صفوان بن عمرو قال
كنت عند عبد الملك بن مروان الى ان أتى شعيب قاضى حمص وكان رجلا عالما
فسأله كم عقوبة اللوطى قال أن يرموه بالحجارة كما رجم قوم لوط فان الله تعالى قال
وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين وقال تعالى وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل
فقبل عبد الملك ذلك منه واستحسنه قالوا وكان الرجل منهم يتحدث فى قريته التى يكون
فيها فيأتيه الحجر فيقتله قال وسمعت امرأة لوط الهدة فالتفتت وقالت واقوماه
فادركها حجر فقتلها فذلك قوله تعالى الا امرأته كانت من الغابرين أى الباقين فى

العذاب وقال تعالى انه مصيبها ما اصابهم الآية (أخبرنا) الحسين بن محمد
ابن الحسين أخبرنا موسى بن محمد بن علي أخبرنا الحسين بن علوية أخبرنا اسمعيل
ابن عيسى قال أخبرنا المسيب قال سمعت ابا روق يقول الا امرأته كانت من الغابرين
أي خلفت فسخت حجرا وكانت تسمى هلسفع وقال غيره اسمها واعلة قالوا وكانت
قرى قوم لوط خمسا سدوم وعامورا ودومه وساعورا فاما سدوم فهي القرية العظمى
وكان في هذه القرية أربعة آلاف فاحتملها جبريل على جناحه فقلبها فلذلك سميت
المؤتفكات أي المنقلبات واما القرية الخامسة فانها تسمى صفره ونجت من العذاب
لان أهلها آمنوا بلوط وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام
ان الله تعالى سماك باسماء فسرها لي قال وصفك في قوله تعالى ذي قوة عند ذي
العرش مكين مطاع ثم أمين فاخبرني عن قوتك قال يا محمد رفعت قرى قوم لوط من
تخوم الارض على جناحي في الهواء حتى سمعت ملائكة سماء الدنيا أصواتهم وأصوات
الديكة ثم قلبتها ظهرا البطن قال فأخبرني عن قوله تعالى مطاع قال ان رضوان خازن
الجنان ومالكا خازن النيران متى قلت لهما اوكلفتهما فتح أبواب الجنان او النيران
فتحاها قال فأخبرني عن قوله تعالى أمين قال ان الله أنزل من السماء مائة وأربعة كتب
على أنبيائه لم يأتمن عليها غيري (أخبرنا) عبد الله بن الحسين بن محمد الثقفي اخبرنا
ابو عثمان بن أحمد بن سمعان البزار أخبرنا عبد الله بن قحطبة أخبرنا ياسر بن توبة
أخبرنا محمد بن راموز أخبرنا أبو بكر بن عياش قال سألت ابا جعفر أعذب الله النساء
من قوم لوط بعمل رجالهم فقال الله تعالى اعدل من ذلك بل استغنى الرجال بالرجال
والنساء بالنساء فوجب عليهم العذاب جميعا (أخبرنا) ابن فنجويه أخبرنا مخلد
ابن جعفر أخبرنا الحسين بن علوية أخبرنا اسمعيل بن عيسى أخبرنا اسحق بن بشر
حدثني مقاتل بن سليمان قال قلت لمجاهد يا ابا الحجاج هل بقي من قوم لوط احد قال
لا الا رجل بقي أربعين يوما وكان بمكة فجاءه حجر ليصيبه في الحرم فقام اليه ملائكة
الحرم فقالوا للحجر ارجع من حيث جئت فان الرجل في حرم الله فوقف الحجر خارج
الحرم أربعين يوما بين السماء والأرض حتى قضى الرجل حاجته فلما خرج أصابه الحجر
خارج الحرم فقتله (عن مقاتل) عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال ما عمل ذلك قوم لوط
انما كانوا ثلاثين رجلا ونيفا لا يبلغون الاربعين فاهلكهم الله جميعا وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو لتعمنكم العقوبة جميعا

﴿ مجلس في قصة يوسف بن يعقوب واخوته عليهم الصلاة والسلام ﴾

قال الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص الآية قال سعد بن أبي وقاص قالت
الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو حدثتنا قال فانزل الله تعالى الله نزل أحسن

الحديث كانا متشابها الآية فقالوا يارسول الله لوقصصت علينا فانزل الله تعالى نحن
نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن الآية فدلهم الله تعالى فى
هذه الآية على أحسن القصص واختلف العلماء فى سبب تسمية الله تعالى قصة
يوسف عليه السلام من بين الاقاصيص أحسن القصص فقال بعض أهل المعانى
معنى الآية قصة حسنة لفظه لفظ المبالغة وحكمه حكم الصفة كقوله تعالى وهو أهون
عليه قال الشاعر ان الذى سمك السماء بنالنا ❊ بيتا دعائمه اعز واطول
اراد عزيزة طويلة واجراه الباقون على الظاهر فقالوا هى أحسن القصص ثم اختلفوا
فى وجهها فروى مقاتل عن سعيد بن جبير قال اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى سلمان الفارسى فقالوا ياسلمان حدثنا عن التوراة باحسن مافيها فانزل
الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص يعنى أن قصص القرآن أحسن مما فى
التوراة وقيل سمى الله هذه القصة أحسن القصص لانها ليست قصة فى القرآن
تتضمن من العبر والحكم والعجائب واللطائف ماتضمنت هذه القصة ولذلك قال الله
تعالى لقد كان فى يوسف واخوته آيات للسائلين وقال تعالى لقد كان فى قصصهم عبرة
لاولى الالباب وقيل سماها أحسن القصص لحسن مجازاة يوسف اخوته وصبره على
اذاهم واغضائه عند الالتقاء بهم عن ذكر ماتعاطوه معه وكرمه فى العفو عنهم حيث
قال لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وقيل لان فيها ذكر الانبياء والصالحين
والملائكة والشياطين والجن والانس والانعام والطير وسير الملوك والمماليك والعلماء
والتجار والعقلاء والجهلاء وحال الرجال والنساء ومكرهن وحيلهن وفيها أيضا ذكر
العفة والتوحيد وعلم السير وتعبير الرؤيا وآداب السياسة والمعاشرة وتدبير المعاش
فصارت أحسن القصص لما فيها من المعانى الجزيلة والفوائد الجليلة التى تصلح للدين
والدنيا وتجمع خيرى الدنيا والعقبى قال أهل الاشارة سماها الله أحسن القصص
لما فيها من ذكر المحب والمحبوب

❊ الباب الاول فى ذكر نسبه عليه الصلاة والسلام ❊

هو يوسف الصديق بن يعقوب الصفى بن اسحق الذبيح بن ابراهيم الخليل عليهم
السلام بذلك سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم كريما وآباءه كرماء ❊ عن أبى هريرة
رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم
ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم صلوات الله عليهم واختلفوا
فى معنى اسم يوسف فقال اكثر الفقهاء هو اسم عبرى فلذلك لايجرى وقال بعضهم هو اسم
عربى سمعت الاستاذ أبا القاسم الحبيبى يقول سمعت أبى يقول سمعت أبا الحسن
الاقطع وكان حكيما فسئل عن يوسف فقال الاسف فى اللغة الحزن والاسيف العبد

واجتمعا

واجتمعا فيه فلذلك سمي يوسف

﴿الباب الثاني في صفة يوسف عليه الصلاة والسلام وحليته ونعت خلقه وصفة صورته﴾

قال الله تعالى فلما رأينه أكبرنه الآية (أخبرنا) أبو عبد الله الثقفي أخبرنا عمر بن أحمد ابن عثمان أخبرنا محمد بن محمد بن سليمان أخبرنا محمد بن حميد الرازي أخبرنا سلمة ابن الفضل عن محمد بن اسحق عن روح بن القاسم قال حدثني عمارة عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسري بي الى السماء فرأيت يوسف فقلت يا جبريل من هذا فقال هذا يوسف قالوا فكيف رأيته يا رسول الله قال كالقمر ليلة البدر وأخبرني الحسن بن محمد أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان أخبرنا حامد بن سعدان أخبرنا أبي أخبرنا يعقوب أخبرنا الوليد بن مسلم عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطي وامه شطر الحسن وعن أبي اسحق ابن عبد الله بن أبي فروة قال كان يوسف اذا سار في أزقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس والقمر على الجدران ❊ قال كعب الاحبار ان الله تعالى مثل لآدم ذريته بمنزلة الذر فأراه الانبياء عليهم السلام نبيا نبيا وأراه في الطبقة السادسة يوسف متوجا بتاج الوقار متزرا بحلة الشرف مرتديا بارداء الكرامة مقمصا بقميص البهاء وفي يده قضيب الملك وعن يمينه سبعون ألف ملك وعن يساره سبعون ألف ملك ومن خلفه أمم الانبياء لهم زجل بالتسبيح والتقديس وبين يديه شجرة السعادة تزول معه حيثما زال وتحول معه حيثما حال فلما رآه آدم قال الهي من هذا الكريم الذي أبحت له بحبوحة الكرامة ورفعته الدرجة العالية قال يا آدم هذا ابنك المحسود على ما آتيته يا آدم أنحله قال آدم قد أنحلته ثلثي حسن ذريتي ثم ان آدم ضم يوسف الى صدره وقبل بين عينيه وقال يا بني لا تأسف فأنت يوسف فاول من سماه يوسف آدم فقسم الله تعالى ليوسف من الجمال الثلثين وقسم بين العباد الثلث وكان يشبه آدم عليه السلام يوم خلقه الله تعالى بيده وصوره ونفخ فيه من روحه قبل أن يصيب المعصية وقد كان الله أعطى آدم الحسن والجمال والبهاء يوم خلقه فلما عصى نزع ذلك منه وأعطاه يوسف عليه السلام ثم لما تاب عليه وهبه ثلث الجمال الذي كان انتزعه منه وذلك أن الله تعالى أحب أن يرى العباد أنه قادر على ما يشاء فاعطى يوسف من الحسن والجمال ما لم يعطه أحدا من الناس ثم أعطاه العلم بتأويل الرؤيا وكان يخبر بالامر الذي يرى في المنام انه سيكون كذا وكذا من قبل ان يكون ذلك الامر علمه الله ذلك كما علم الاسماء كلها لآدم فكان حسن يوسف كضوء النهار وكان يوسف ابيض اللون جميل الوجه جعد الشعر ضخم العينين مستوي الخلقة غليظ

الساقين والعضدين والساعدين خميص البطن أقنى الانف صغير السرة وكان بخده الايمن خال أسود وكان ذلك الخال يزين وجهه وكان بين عينيه شامة بيضاء كأنها القمر ليلة البدر وكانت أهداب عينيه تشبه قوادم النسور وكان اذا تبسم رؤى النور من ضواحكه واذا تكلم رأيت شعاع النور يشرق من بين ثناياه لا يقدر بنو آدم ولا أحد على وصف يوسف عليه الصلاة والسلام ويقال انه ورث الحسن من جده اسحق بن ابراهيم وكان أحسن الناس واسحق هو الضاحك بالعبرانية وهو ورث الحسن من أمه سارة فان الله تعالى صورها على صورة الحور العين ولكن لم يعطها صفاءهن وأعطى يوسف من الحسن والجمال وصفاء اللون ونقاء البشرة ما لم يعطه أحداً من العالمين وانه كان ليأكل البقول والفواكه فترى حين يزدردها في حلقه وفي صدره حتى تصل الى بطنه وورثت سارة الحسن من جدتها حواء وقال وهب الحسن عشرة أجزاء ليوسف تسعة وواحد بين سائر الناس * وعن عبد الله بن مسعود عن النبي عليه السلام قال هبط جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله تعالى يقول لك كسوت حسن يوسف من نور الكرسي وكسوت وجهك من نور عرشي وقيل لبعض الحكماء أيوسف أحسن أم محمد فقال كان يوسف من أحسن الناس ومحمد صلى الله عليه وسلم أحسن الناس ويدل عليه حديث جابر بن عبد الله قال نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه حلة حمراء ونظرت الى القمر ليلة البدر فهو أحسن في عيني من القمر

﴿القول في القصة﴾

قال أهل العلم بقصص الانبياء وأخبار الماضين كان ابتداء أمر يعقوب ويوسف عليهما السلام وبدء محبة يعقوب له وايثاره على سائر ولده أن الله تعالى أنبت ليعقوب شجرة في صحن داره فكان كلما ولد له ولد أخرج الله تعالى من تلك الشجرة غصنا فكان كلما كبر الغلام وشب طال ذلك الغصن وغلظ فاذا بلغ ذلك الغلام قطع يعقوب ذلك الغصن ودفعه اليه فولد له عشرة بنين فأخرج الله تعالى من تلك الشجرة عشرة قضبان فلما ولد له يوسف لم يخرج الله تعالى من الشجرة شيأ فلما كبر وشب قال لابيه يا نبي الله انه ليس أحد من اخوتي الا وله غصن الا أنا فادع الله تعالى أن يخصني بغصن من الجنة فرفع يعقوب يديه الى السماء وقال اللهم اني أسألك أن تهب ليوسف غصنا من الجنة يفتخر به على جميع اخوته فهبط جبريل عليه الصلاة والسلام ومعه قضيب من الجنة من الزبرجد الاخضر فقال ليوسف خذ هذا فكان يوسف يأخذه ويخرج به مع اخوته قال فرأى يوسف فيما يرى النائم وهو اذ ذاك صبي كأن قضيبه غرس في الارض فعلق وتدلت أغصانه وأثمرت من كل ثمرة ثم أتى باغصان اخوته فغرست حوله فلم تعلق ولم تفرع ولم تثمر واذا بغصن يوسف أقصرها وأصغرها فلم يزل يتعالى في

السماء و تطول حتى طال على أغصان اخوته ثم هبت الريح فاقتلعت أغصان اخوته من أصولها وألقتها فى البحر وثبت غصن يوسف فى الارض قائما فانتبه فزعا مرعوبا فقال له أبوه ما الذى دهاك يا بنى فقص عليه رؤياه فبلغ اخوته فقالوا يا ابن راحيل لقد رأيت عجبا يوشك أن تدعى انك مولانا ونحن عبيدك فشق عليهم رؤياه وحسدوه بعض الحسد قال وهب رأى يوسف هذه الرؤيا يعنى الغصن وهو ابن سبع سنين ثم انه رأى وهو ابن اثنتى عشرة سنة الرؤيا التى قصها الله علينا فى كتابه اذ قال تعالى اذ قال يوسف لابيه يا أبت انى رأيت أحد عشر كوكبا الآية وكان يتومه الى جانبه فبينما يوسف نائم عند أبيه ليلة من الليالى اذ رأى الرؤيا التى ذكرها الله تعالى فى كتابه العزيز وكانت ليلة الجمعة فانتبه من منامه فزعا مرعوبا فالتزمه يعقوب وضمه الى صدره وقبل بين عينيه وقال يا حبيب أبيه ما الذى أصابك فقال يا أبت رأيت رؤيا افزعتنى فقال يا بنى خيرا رأيت ما الذى رأيت قال يوسف رأيت كأن أبواب السماء فتحت وقد أشرق منها النور فاستنارت النجوم وأشرقت الجبال وزخرت البحار وعلت أمواجها وسبحت الحيتان بأنواع اللغات ورأيت كأنى ألبست رداء أشرقت الارض من حسنه ونوره ورأيت كأن مفاتيح خزائن الارض ألقيت بين يدى فبينما أنا كذلك اذ رأيت أحد عشر كوكبا انقضت من السماء ومعها الشمس والقمر فخروا الى ساجدين فقال يعقوب يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك الآية ثم عبر رؤياه فقال وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث الآية قال فسمعت امرأة يعقوب ما قال يوسف لابيه فقال لها يعقوب اكتمى ما قال يوسف ولا تخبرى أولادى بذلك فقالت نعم فلما أقبل أولاد يعقوب من مراعيهم أخبرتهم بالرؤيا التى أمرها يعقوب بكتمها فانتفخت أوداجهم واقشعرت جلودهم غضبا على يوسف وقالوا ما عنى بالشمس غير أبينا ولا بالقمر غيرك ولا بالكواكب غيرنا ثم قالوا ان ابن راحيل يريد أن يتملك علينا فيقول أنا سيدكم وأنتم عبيدى فحسدوه عند ذلك فلذلك قيل فى الحكمة لا تأمنن قارئا على صحيفة ولا شابا على امرأة ولا امرأة على سر وروى الحكم بن ظهير عن اسمعيل السدى عن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله قال جاء رجل من اليهود يقال له نستار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أخبرنى عن النجوم التى رآها يوسف ساجدة له ما أسماؤها فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجبه بشئ حتى نزل جبريل عليه السلام فاخبره بأسمائها فأرسل الى اليهودى ودعاه وقال له ان أخبرتك بأسمائها أتسلم قال نعم فقال له جريان والطارق والذيال وذو الكتفين والفرغ ووثاب وعمودان وقابس والمصبح والفليق والضروح رآها يوسف فى أفق السماء ساجدة له فلما قص رؤياه على أبيه قال أرى شيأ مشتتا و يجمعه الله لك فقال اليهودى هذه والله أسماؤها

ويقال كان بين رؤيا يوسف فى الغصن ورؤياه فى الكواكب سبع سنين فلما كان
من أمر رؤيا يوسف ما كان وانضاف الى ذلك تخصيص أبيه يعقوب اياه بالمحبة
والقربة حسده اخوته وحملهم الحسد على أن تآمروا بينهم فى أن يفرقوا بينه وبين
أبيه بضرب من الاحتيال ويهلكوه فيما بينهم كما أخبر الله عنهم فى قوله تعالى اذ قالوا
ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة ان أبانا لفى ضلال مبين أى خطأ بين
فى ايثاره يوسف وأخاه علينا اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم
وتكونوا من بعده قوما صالحين أى تائبين فاستعدوا التوبة قبل وقوع الذنب قال قائل
منهم وهو يهوذا وكان أفضلهم وأعقلهم لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم وألقوه فى
غيابة الجب وهو البئر غير المطوية يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين قيل للحسن
أيحسد المؤمن فقال للسائل ما أنساك بنى يعقوب ولهذا قيل الاب حلاب والاخ سلاب
فعند ذلك أجمعوا رأيهم أن يدخلوا على يعقوب ويكلموه فى ارسال يوسف معهم الى
البرية فقال لهم روبيل وهو أكبر ولد يعقوب ان أباكم لا يأمنكم على يوسف ولكن
انطلقوا بنا الى يوسف حتى نلعب بين يديه فاذا نظر الينا كيف نمرح ونلعب اشتاق
الى ذلك فاقبلوا على يوسف وهو قاعد يسبح فجعلوا يتلاعبون ويتضاحكون بين يديه فلما
رأى يوسف ذلك اشتاق الى اللعب معهم فاقبل عليهم وقال يا أخوتاه أهكذا تلعبون
فى مراعيكم فقالوا نعم يا يوسف انك لو رأيتنا ونحن نلعب فى مراعينا لتمنيت ان تكون
معنا فشوقوه الى ذلك حتى كان هو الطالب اليهم فقال لهم يا اخوتاه انطلقوا الى أبى
واسألوه ان يرسلنى معكم فأقبلوا الى يعقوب ووقفوا بين يديه صفا وكانوا يفعلون هكذا
اذا أرادوا أن يسألوه حاجة فلما رآهم بين يديه وقوفا صفوفا قال لهم ما حاجتكم قالوا
يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون نحوطه ونحفظه حتى نرده اليك أرسله
معنا غدا نرتع ونلعب فى الصحراء وانا له لحافظون فقال لهم يعقوب انى ليحزننى أن
تذهبوا به وأخاف ان يأكله الذئب وانتم عنه غافلون لا تشعرون بذلك قال ابن عباس
وغيره انما قال ذلك يعقوب لانه رأى فى منامه كأن يوسف على رأس جبل وكأن
عشرة من الذئاب قد شدوا عليه ليأكلوه واذا ذئب منها يحمى عنه وكأن الارض قد
انشقت فدخل فيها يوسف فلم يخرج منها الا بعد ثلاثة ايام فلما رأى يعقوب هذه الرؤيا
خاف على يوسف من الذئب فلذلك قال لهم وأخاف أن يأكله الذئب (أخبرنا)
الحسين بن محمد بن فنجويه أخبرنا عبد الله بن شنبة أخبرنا أبو نعيم عبد الرحمن بن قريش
أخبرنا محمد بن عمرو بن الحكم الهروى أخبرنا مالك بن سليمان القروى أخبرنا عبيد الله
ابن عمر العمرى عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلقنوا
الناس الكذب فيكذبوا فان بنى يعقوب لم يعلموا ان الذئب يأكل الانسان حتى

لقنهم أبوهم فلما لقنهم وقال انى أخاف أن يأ كله الذئب قالوا أ كله الذئب فقال بنوه لئن أ كله الذئب ونحن عصبة اى عشرة رجال انا اذا لخاسرون عجزة مغلوبون ثم قالوا يانبي الله كيف يأ كله الذئب وفينا شمعون اذا غضب لا يسكن غضبه حتى يصيح فاذا صاح لا تسمعه حامل الا وضعت ما فى بطنها وفينا يهوذا اذا غضب شق السبع نصفين فلما سمع يعقوب منهم ذلك اطمأن اليهم وأقبل يوسف حتى وقف بين يدى أبيه ثم قال له يا ابت أرسلني معهم قال أوتحب ذلك يا بنى قال نعم قال اذا كان غدا أذنت لك فى ذلك فلما اصبح يوسف لبس ثيابه وشد عليه منطقته وأخذ قضيبه وخرج مع اخوته ثم عمد يعقوب الى السلة التى حمل فيها ابراهيم زاد اسحق فحمل فيها زادا ليوسف وخرج ليشيعهم فقالوا يانبي الله ارجع فقال يعقوب يا بنى أوصيكم بتقوى الله وبحبيبي يوسف أسألكم بالله ان جاع أطعموه وان عطش فاسقوه وقوموا عليه ولا تتعبوه ولا تخزلوه وكونوا متواصلين متراحمين قالوا نعم يا أبانا كلنا الك ولد وهو اخونا كاحدنا بل له الفضل علينا بحبك اياه فقال نعم يانبي الله خليفتى عليكم مع انى خائف ان أكون قد ضيعته ثم انه أقبل على يوسف فالتزمه وضمه الى صدره وقبل بين عينيه ثم قال استودعتك الله رب العالمين وانصرف راجعا (وروى) السدى ورجاء عن ابن مسعود وابن عباس وناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم واسحق ابن بشر بن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس ومقاتل عن ابن بحيرة عن كعب الاحبار عن سعيد بن ابى عروبة عن الحسن دخل كلام بعضهم فى بعض قالوا أرسل يعقوب يوسف مع اخوته فأخرجوه مظهرين له الكرامة فلما برزوا به الى البرية أظهروا له العداوة وضربوه فجعل يستغيث بهم واحدا بعد واحد وهم يضربونه فلا يرى منهم رحيما وأخذوا ما كان زوده يعقوب واطعموه الكلاب وضربوه حتى كادوا يقتلونه وعطش عطشا شديدا فقال لهم اسقونى جرعة من ماء قبل أن تقتلونى فلم يسقوه فعند ذلك بكت الملائكة رحمة ليوسف فلما رأى يوسف ان ليس احد منهم يعطف عليه جعل يصيح ويقول يا أبتاه يا يعقوب لو تعلم ما تصنع بابنك بنو الاماء فلما هموا بقتله قال لهم يهوذا وكان ابن خالة يوسف وأحسنهم فيه رأيا أليس انكم قد اعطيتمونى موثقا ان لا تقتلوه فعند ذلك أجمعوا على القائه فى الجب كما قال الله تعالى فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه فى غيابة الجب فانطلقوا به الى الجب ليطرحوه فيه وكان ذلك الجب فى الاردن بين مدين ومصر وقيل بين طبرية والقدس على قارعة الطريق فى واد من اوديتها على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وكانت بئرا وحشة مظلمة أسفلها واسع واعلاها ضيق يهلك من طرح فيها من سعة اسفلها الا ان يمكنه الصعود وكان ماؤها ملحا وكان الجب من حفر سام بن نوح ويسمى جب الاحزان فلما

أرادوا ان يلقوه فيه جعلوا يدلونه فى البئر فيتعلق بشفير البئر فربطوا يديه الى عنقه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا على قميصى استر به عورتى ويكون لى كفنا بعد مماتى وأطلقوا يدى أطرد بهما عنى هوام الجب فقالوا له ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تلبسك وتؤنسك فدلوه فى البئر بحبل فلما بلغ نصفها قطعوا الحبل ليسقط فيموت فيه فأخرج الله تعالى على وجه الماء صخرة مململة لينة ورفعها الى يوسف فوقف عليها وجعل يوسف يبكى فنادوه فظن انها رحمة لحقتهم فأجابهم فهموا ان يرضخوه بالحجارة فيقتلوه فمنعهم يهوذا وقال لقد اعطيتمونى موثقا ان لا تقتلوه قالوا فلما ألقى يوسف فى الجب أضاء له الجب وعذب ماؤه حتى كان يغنيه عن الطعام والشراب وبعث الله تعالى اليه ملكا فحل عنه قيده وكان ابراهيم حين ألقى فى النار جرد من ثيابه وقذف فى النار عريانا فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه وكان ذلك القميص عند ابراهيم فلما مات ابراهيم ورثه اسحق فلما مات اسحق ورثه يعقوب منه فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص فى تعويذ وعلقه فى عنقه لما كان يخاف عليه من العين وكان لا يفارقه فلما ألقى فى الجب عريانا جاءه الملك وكان عليه التعويذ فأخرج القميص وألبسه اياه وجعل يؤنسه بالنهار (ويروى) ان الملك أتاه بسفرجلة من الجنة فأطعمه اياها فلما امسى يوسف نهض الملك ليذهب فقال له يوسف انك اذا خرجت عنى أستوحش فقال له الملك قل اذا اهبت شيأ يا صريخ المستصرخين يا غياث المستغيثين يا مفرج كرب المكروبين قد ترى مكانى وتعرف حالى ولا يخفى عليك شئ من أمرى فلما دعا يوسف بهذا الدعاء بعث الله اليه سبعين ملكا فحفوا به وآنسوه فى البئر ثلاثة أيام فلما كان فى اليوم الرابع أتاه جبريل عليه السلام وقال يا غلام من طرحك ههنا فى هذا الجب قال اخوتى لأبى قال ولم قال حسدونى على منزلتى من أبى قال أتحب أن تخرج من هذا الجب قال نعم قال قل يا صانع كل مصنوع ويا جابر كل مكسور ويا حاضر كل ملأ ويا شاهد كل نجوى ويا قريبا غير بعيد ويا مؤنس كل وحيد ويا غالبا غير مغلوب ويا علام الغيوب ويا حيا لا يموت ويا محيى الموتى لا اله الا أنت سبحانك أسألك يا من له الحمد يا بديع السموات والارض يا مالك الملك ويا ذا الجلال والاكرام أسألك ان تصلى على محمد وعلى آل محمد وأن تجعل لى من أمرى ومن ضيق فرجا ومخرجا وترزقنى من حيث احتسب ومن حيث لا أحتسب فقالها يوسف فجعل الله له من الجب مخرجا ومن كيد اخوته فرجا وآتاه ملك مصر من حيث لا يحتسب واوحى الله اليه وهو فى البئر لتنبئن اخوتك بما عملوا وهم لا يعلمون انك يوسف فذلك قوله تعالى لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون وقال مجاهد خرج يوسف من عند يعقوب وهو ابن ست سنين لم يثغر وجمع الله بينهما وهو ابن أربعين

سنة (أخبرنا) أبو عبد الله الدينوري أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف الصرصري أخبرنا أبو جعفر محمد بن جرير الطبري أخبرنا عمران القزاز أخبرنا عبد الوارث أخبرنا يونس عن الحسن قال ألقي يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة وكان في العبودية والملك والسجن ثمانين سنة وعاش بعد ذلك ثمانية وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وخمس وعشرين سنة * رجعنا الى قصة يوسف عليه السلام واخوته بعد ما ألقي في الجب فلما ألقوه في الجب عمدوا الى سخلة من الغنم فذبحوها ولطخوا قميص يوسف بدمها وشووها وأكلوا لحمها ثم انهم رجعوا الى يعقوب وهو قاعد على قارعة الطريق ينتظرهم متى يأتون بيوسف فلما دنوا منه اصطرخوا صراخ رجل واحد ورفعوا أصواتهم بالبكاء فعلم يعقوب أنهم قد أصيبوا بمصيبة فلما وافوه اجتمعوا وتقدموا بين يديه وشقوا جيوبهم وبكوا ففزع يعقوب وقال مالكم يا بني وأين يوسف قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق أي ننتضل وكذلك هو في قراءة عبد الله وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وهذا قميصه ملطخ بدمه فذلك قوله تعالى وجاؤا أباهم عشاء يبكون وانما فعلوا ذلك ليكونوا في الظلمة أجرأ على الاعتذار وترويج ما مكروا فقد قالوا لا تطلب الحاجة في الليل فان الحياء في العينين ولا تعتذر بالنهار من قبح فعلك فتتلجلج في الاعتذار فلا تقدر على اتمامه (روى) الشعبي قال جاءت امرأة الى شريح فجعلت تبكي فقال رجل ألا ترى الى هذه المرأة المسكينة كيف تبكي فقال شريح قد جاء اخوة يوسف عشاء يبكون ثم انه أنشد في معناه

أغرك من شيخ بكاء وملقه ❁ أم اللحية البيضاء للنتف مطلقه
فان بني يعقوب جاؤا أباهم ❁ عشاء وهم يبكون زورا ومخرقه

قال فلما قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق أي ننتضل وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب الآية الى قوله بدم كذب لانه لم يكن دم يوسف وانما كان دم شاة وقرأت عائشة بدم كدب بدال غير معجمة أي طري فلما قالوا ذلك ليعقوب بكى بكاء شديدا وقال لهم أروني قميصه فأروه فقال تالله ما رأيت كاليوم ولا ذئبا أحلم من هذا أكل ابني ولم يشق له جيبا ولا خرق له شقا وصاح صيحة وخر مغشيا عليه فلم يفق الا بعد ساعة طويلة فلما أفاق بكى بكاء شديدا ثم أخذ القميص وجعل يشمه ويقبله ويضعه على وجهه وعينيه (أخبرنا) ابن فنجويه أخبرنا أحمد بن ابراهيم بن شاذان أخبرنا عبد الله بن ثابت أخبرنا أبو سعيد الاشج أخبرنا أبو أسامة حدثني زكريا عن سماك عن الشعبي قال كان في قميص يوسف ثلاث آيات لما جاؤا به الى أبيه فقالوا أكله الذئب فقال أبوه لئن أكله الذئب ليشقن قميصه وحين سعى نحو الباب فشقت قميصه من خلف فعرف الوزير أنه لو كان هو الذي راودها لكان الشق من بين يديه وحين ألقي على وجهه فارتد

بصيرا * قالوا فلما أصبح اخوة يوسف من الغد رجعوا الى مراعيهم فقال بعضهم لبعض
قد رأيتم ما كان من تكذيب ابيكم البارحة فان أردتم أن يصدقكم و يخرجكم من
الملامة فروا بنا على الجب فنخرج يوسف منه ونفرق بين أضلاعه ولحمه ونجىء به الى
يعقوب فقال لهم يهوذا يا اخوتاه أين العهد الذى بينى وبينكم والله لئن فعلتم ما تقولون
لاخبرن يعقوب بما كان منكم اليه ثم لا كونن لكم عدوا ما بقيت فتركوه ثم انهم رجعوا
الى أبيهم عشاء فقال لهم يعقوب ان كنتم صادقين أن الذئب اكله فأين الذئب ائتونى
به فعمدوا الى حبالهم وعصيهم فأخذوها ومضوا الى الصحراء فاصطادوا ذئبا وشدوه
وأوثقوه كتافا ثم حملوه الى يعقوب وأوقفوه بين يديه فقال حلوا عقاله فخلوه فقال له
يعقوب أقبل فأقبل الذئب يتخطى القوم حتى وقف بين يدى يعقوب منكسا رأسه
فقال له يعقوب أيها الذئب أكلت ولدى وقرة عينى وحبيب قلبى وثمرة فؤادى لقد
أورثتنى حزنا طويلا وألما عظيما قال فتكلم الذئب وقال لا وحق شيبتك يا نبى الله
ما أكلت لك ولدا وان لحومكم ودماءكم معشر الانبياء محرمة علينا وانى لمظلوم مكذوب
على وانى لذئب غريب من بلاد مصر فقال له يعقوب وما أدخلك أرض كنعان قال
جئت لاجل قرابة لى من الذئاب أزورهم واصلهم فعند ذلك قال يعقوب لاولاده بل
سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل وهو الذى لا جزع فيه ولا شكوى والله المستعان
على ما تصفون * قال ابن عباس انما كان سبب بلاء يعقوب أنه ذبح شاة وهو صائم
فاستطعمه جار له فلم يطعمه فابتلاه الله تعالى بأمر يوسف قال فمكث يوسف فى الجب
ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع ودعا بالدعاء الذى علمه جبريل عليه السلام جاءت
سيارة أى رفقة مارة من قبل مدين تريد مصر فاخطؤا الطريق وضلوا عنها حتى نزلوا
قريبا من الجب قال وكان الجب فى قفر بعيد من العمران وانما هو للرعاة والمجتازة وكان
ماؤه مالحا فعذب حين ألقى فيه يوسف فلما نزلت السيارة ارسلوا رجلا من العرب من
أهل مدين يقال له مالك بن دعر ليطلب لهم ماء فذلك قوله تعالى وجاءت سيارة فأرسلوا
واردهم فأدلى دلوه قالوا والوارد الذى يتقدم الرفقة الى الماء فيهيئ الارشية والدلاء
فوصل الوارد الى البئر فأدلى دلوه أى أرسلها فتعلق يوسف بالحبل فلما وصل الى فم البئر
ورآه مالك بن دعر فرأى أحسن ما يكون من الغلمان فقال مالك يا بشراى هذا غلام
يبشر أصحابه أنه أصاب عبدا * واسروه بضاعة قال المفسرون أسر مالك ابن دعر
وأصحابه أمر يوسف من التجار الذين معهم وقالوا لهم هو بضاعة استبضعناها من بعض
الناس الى مصر خيفة ان يطلبوا منهم فيه الشركة ان علموا حاله قال وكان يهوذا يأتى
يوسف بالطعام كل يوم سرا من اخوته فأتاه ذلك اليوم كما كان يفعل فلم يجده فى البئر
فنظر فاذا هو بمالك وأصحابه نزولا ويوسف معهم فرجع يهوذا وأخبر اخوته بذلك

فأتوا الى مالك وقالوا له هذا عبدنا أبق منا وكتم يوسف حاله مخافة ان يقتلوه فقال مالك أنا اشتريه منكم فباعوه منه فذلك قوله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين أي باعوه بثمن ناقص ظلم حرام لان ثمن الحر حرام ثم بين الثمن فقال دراهم معدودة وانما قال ذلك لانهم كانوا في ذلك الزمان لا يزنون ما كان وزنه أقل من أوقية أربعين درهما انما كانوا يعدونها عدا فاذا بلغ أوقية وزنوه لان أقل أوزانهم وأصغرها يومئذ أوقية أربعون درهما واختلف العلماء في عدد الدراهم التي باعوا بها يوسف فقال ابن مسعود وابن عباس وقتادة والسدي عشرون درهما واقتسموها بينهم درهمين درهمين وقال مجاهد اثنان وعشرون درهما وقال عكرمة أربعون درهما وانما باعوه بهذا القدر لانهم كانوا فيه من الزاهدين لم يعلموا كرامته على الله ولا منزلته عند الله ويقال ان السبب في استرقاق يوسف وبيعهم اياه ان ابراهيم دخل مصر في بعض الازمنة فلما خرج منها شيعه زهادهم وعبادهم حفاة مشاة الى أربعة فراسخ تعظيما له واجلالا ولم يترجل لهم ابراهيم فأوحى الله اليه انك لم تنزل لعبادي وهم يمشون معك حفاة لاعاقبنك بأن يباع ولد من أولادك في هذه المدينة ثم ان مالك بن دعر انطلق هو وأصحابه بيوسف ومعهم أخوته يقولون لهم استوثقوا منه فانه آبق سارق كاذب وقد برئنا اليكم من عيوبه فحمله مالك على ناقة له وساروا به الى مصر وكان طريقهم على قبر أمه فلما رأى قبر أمه لم يتمالك ان رمى نفسه عن الناقة الى القبر وهو يقول يا امي يا راحيل حلي عنك عقدة الردى وارفعي رأسك من الثرى وانظري الى ولدك يوسف وما لقي بعدك من البلاء يا أماه لو رأيت ضعفي وذلي لرحمتيني يا أماه لو رأيتيني وقد نزعوا قميصي وشدوني وفي الجب ألقوني وعلى حر وجهي لطموني وبالحجارة رجموني ولم يرحموني وكما تباع العبيد باعوني وكما يحمل الاسير حملوني (قال كعب الاحبار) فسمع يوسف مناديا من خلفه وهو يقول اصبر وما صبرك الا بالله قال فافتقده مالك على الناقة التي كان عليها فلم يجده فصاح في القافلة ألا ان الغلام قد رجع الى أهله فطلب القوم يوسف فرأوه فأقبل عليه رجل منهم فقال يا غلام قد خبرنا مواليك بأنك آبق سارق فلم نصدق حتى رأيناك تفعل ذلك فقال والله ما أبقت ولكنكم مررتم على قبر أمي فلم أتمالك أن رميت نفسي على قبرها قال فرفع مالك بن دعر يده ولطم حر وجهه وجرحه حتى حمله على ناقته ويروى انهم قيدوه فذهبوا به حتى قدموا مصر قال مالك ما نزلت منزلا ولا ارتحلت الا استبان لي بركة يوسف وكنت اسمع تسليم الملائكة عليه صباحا ومساء وكنت أنظر الى غمامة بيضاء تظله وتسير فوق رأسه اذا سار وتقف على رأسه اذا وقف فلما قدموا مصر أمره مالك بن دعر أن يغتسل فاغتسل وألبسه ثوبا حسنا وعرضه للبيع فاشتراه قطفير بن رحيب وهو العزيز بمصر

ونواحيها وكان على خزائن الملك الاعظم وكان الملك يومئذ بمصر ونواحيها الريان بن الوليد بن ثروان بن اراشة بن فاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام ويروى ان هذا الملك مامات حتى آمن بيوسف وتبعه على دينه ثم مات ويوسف حي ثم ملك بعده قابوس بن مصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس بن فاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وكان كافرا فدعاه يوسف الى الاسلام فأبى أن يسلم (قال ابن عباس) لما دخلوا مصر تلقى قطفير السيارة وابتاع يوسف من مالك بن دعر بعشرين دينارا وزوج نعال وثوبين أبيضين (وقال وهب بن منبه) قدمت السيارة الى مصر فدخلوا بيوسف الى السوق يعرضونه للبيع فترافع الناس في ثمنه وتزايدوا حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا فابتاعه قطفير بهذا الثمن من مالك فلما اشتراه أتى به منزله وقال لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا واسمها راعيل بنت رعمايل قاله اسحق بن يسار * وأخبرني ابن فنجويه أخبرنا ابن أبي شيبة أخبرنا أبو حامد المستملي أخبرنا أبو هاشم الرفاعي قال اسم امرأة العزيز بكا بنت فيوش قالوا فقال لها أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا نتبناه وقال ابن اسحق كان قطفير لا يأتي النساء وكانت امرأته راعيل حسناء ناعمة في ملك ودنيا (أخبرنا) أبو بكر الجوزقي أخبرنا أبو العباس الدغولي بسرخس أخبرنا على بن الحسين الهلالي أخبرنا أبو نعيم أخبرنا زهير عن ابن اسحق عن أبي عبيدة عن عبد الله ابن مسعود قال افرس الناس ثلاثة العزيز حين تفرس في يوسف وقال لامرأته أكرمي مثواه والمرأة التي أتت موسى فقالت لابيها يا أبت استأجره وأبو بكر حين استخلف عمر قال الله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض يعني أرض مصر قال أهل الكتاب لما تم ليوسف في الارض ثلاثون سنة استوزره فرعون مصر وجعله على خزائنه فذلك قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تأويل الاحاديث الآية قالوا فلما أتى العزيز بيوسف الى منزله وقال لامرأته أكرمي مثواه فتأملته امرأة العزيز ورأت حسنه وجماله ووقع حبه في قلبها وعشقته فراودته أي طلبت منه متابعتها على هواها وذلك قوله تعالى وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك أي هلم تدعوه الى نفسها فقال يوسف عند ذلك معاذ الله انه ربي أحسن مثواي يعني زوجك قطفير سيدي انه أحسن مثواي انه لا يفلح الظالمون يعني ان فعلت هذا فخنته في أهله بعد ما أكرمني وائتمنني فأنا ظالم له ولا يفلح الظالمون قال الله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ومعنى الهم بالشيء ماحدث المرء به نفسه ولم يفعل ذلك بعد قال الشاعر

هممت ولم أفعل وكدت وليتني ❊ تركت على عثمان تبكي حلائله

وأماما كان من هم يوسف بالمرأة وهمها به فاختلف أهل العلم في ذلك قال السدي وابن اسحق لما أرادت امرأة العزيز مراودة يوسف عن نفسه جعلت تذكر له محاسن نفسه وتشوقه الى نفسها فقالت له يا يوسف ما أحسن شعرك قال هو أول شئ ينتثر من جسدي قالت يا يوسف ما أحسن عينيك قال هما أول ما يسيل في الارض من جسدي قالت ما أحسن وجهك قال التراب يأكله فلم تزل تأمره مرة وتعظمه أخرى وتدعوه الى اللذة وهو شاب مستقبل يجد شبق الشباب وهي حسناء جميلة حتى لان لها لما يرى من كلفها به ولم يتخوف منها حتى خلوا في بعض البيوت وهم بها (وروى) اسحق بن يسار عن جويبر عن الضحاك ومقاتل جميعا عن ابن عباس فيما كان من محاورتهما قال قالت يا يوسف ما أحسن شعرك قال هو أول شئ يبلى اذا مت قالت يا يوسف ما أحسن وجهك قال ربي تعالى صورني في الرحم قالت يا يوسف قد انحلت جسمي بصورة وجهك قال الشيطان يعينك على ذلك قالت يا يوسف الجنينة قد التهبت نارا قم فاطفئها فقال ان أطفأتها فانها احتراقي قالت يا يوسف الجنينة قد عطشت قم فاسقها قال من كان المفتاح بيده فهو أحق أن يسقيها مني قالت يا يوسف بساط الحرير قد بسط لك قم فاقض حاجتي قال اذا يذهب نصيبي من الجنة قالت يا يوسف ادخل معي تحت الستر فاسترك به قال ليس شئ يسترني من ربي تعالى ان عصيته قالت يا يوسف ضع يدك على صدري تشفني بذلك قال سيدي أحق بذلك مني قالت اما سيدك فأسقيه كأسا فيه زئبق الذهب فيتناثر لحمه ويتساقط عظمه ثم ألقيه في الاستبرق وألقيه في القيطون يعني المخدع لا نعلم به أحد من الناس وأوليك ملكه قليله وكثيره قال فان الجزاء يوم الجزاء قالت يا يوسف اني كثيرة الدر والياقوت والزمرذ فاعطيك ذلك كله حتى تنفقه في مرضاة سيدك الذي في السماء فأبى يوسف قال ابن عباس فجرى الشيطان فيما بينهما فضرب باحدى يديه الى جنب يوسف وباليد الاخرى الى جنب المرأة حتى جمع بينهما قال ابن عباس فبلغ من هم يوسف الى ان حل الهميان وجلس منها مجلس الرجل الخائن (وروى) جابر عن الضحاك عن ابن عباس همت بيوسف ان يفترشها وهم بها يعني تمناها ان تكون له زوجة * وأما البرهان الذي رآه يوسف وكان سبب العصمة وصرف الفاحشة عنه فاختلفوا فيه أخبرنا أبو الحسين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الطرائفي أخبرنا حسن بن عطية عن اسرائيل بن أبي حصين عن أبي سعيد قال ابن عباس في قوله تعالى لولا ان رأى برهان ربه قال مثل له يعقوب فضرب بيده على صدره فخرجت شهوته من أنامله وقال الحسن ومجاهد وعكرمة والضحاك انفرج له سقف البيت فرأى يعقوب عاضا على أصبعه قال فكل بني يعقوب ولد له اثنا عشر ولدا الا يوسف فانه ولد له احد عشر ولدا من أجل

مانقص من شهوته حين رأى صورة أبيه فاستحيا منه وقال قتادة رأى صورة يعقوب
فقال له يعقوب يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب في ديوان الانبياء (وقال
السدى) نودى يا يوسف لاتواقعها انما مثلك مالم تواقعها مثل الطير في جو السماء
لايطاق ومثلك ان واقعتها مثله اذا مات ووقع في الارض لايقدر أن يدفع عن نفسه
ومثلك مالم تواقعها مثل الثور الصعب الذى لايعمل عليه ومثلك ان واقعتها مثل
الثور الذى يموت فيدخل النمل في أصل قرنيه فلايستطيع ان يدفع عن نفسه
(أخبرنا) عبدالله بن حامد بن محمد الاصفهانى أخبرنا أحمد بن محمد بن يزيد السكونى
أخبرنا محمد بن ابراهيم بن خالد بن عمر بن حفص البصرى ببغداد أخبرنا خالد بن يزيد
البصرى أخبرنا جرير عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى ولقد همت به
وهم بها فقال حل سراويله وقعد منها مقعد الرجل من امرأته فاذا بكف قد بدت فيما
بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون
ماتفعلون فقام هاربا وفار فلما ذهب عنهما الروع والرعب عادت وعاد فلما قعد منها
مقعد الرجل من امرأته اذا الكف قد بدت بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب
فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الآية فقام هاربا وقامت فلما ذهب عنهما الرعب
عادت وعاد فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته اذا الكف قد بدت بينهما ليس لها
عضد ولا معصم مكتوب فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فقام هاربا
وقامت فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته
قال الله تعالى لجبريل عليه السلام ياجبريل أدرك عبدى قبل أن يصيب الخطيئة
فانحط جبريل عاضا على أصبعه أو كفه وهو يقول يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت
مكتوب عند الله في الانبياء قال الله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من
عبادنا المخلصين (أخبرنا) يعقوب بن أحمد أخبرنا محمد بن عبد الله النعمانى أخبرنا عبد
الله بن أحمد بن عامر الطبرستانى حدثنى أبى قال حدثنى على بن موسى الرضا حدثنى أبى
عن أبيه جعفر بن محمد الصادق حدثنى أبى عن أبيه عن على بن الحسين في قوله
تعالى لولا ان رأى برهان ربه قال قامت امرأة العزيز الى الصنم فظللت دونه بثوب
قال فقال لها يوسف ماهذا قالت أستحيى أن يرانا فقال لها يوسف اتستحيين ممن
لايسمع ولا يبصر ولا يفقه ولا استحيى انا ممن خلق الاشياء كلها وعلمها * قالوا فلما رأى
يوسف البرهان قام مبادرا الى باب البيت هاربا مما ارادته فاتبعته المرأة فذلك قوله
تعالى واستبقا الباب يعنى تبادر يوسف وراعيل الى الباب أما يوسف ففرارا من
ركوب الفاحشة وأما المرأة فطلبا ليوسف ليقضى حاجتها التى راودته عنها فادركته
فتعلقت بقميصه من خلفه فجذبته اليها مانعة له من الخروج فقدت أى خرقت

وشقت قميصه من دبر أي من خلفه لان يوسف كان الهارب والمرأة الطالبة فلما
خرجا ألفيا سيدها لدى الباب أي وجدا زوجها قطفير اعند الباب جالسا مع ابن عم
لراعيل فلما رأته هابته وقالت سابقة بالقول لزوجها ما جزاء من أراد بأهلك سوأ يعني
الزنا الا أن يسجن أو عذاب أليم يعني الضرب بالسياط عن ابن عباس وهذا كالمثل
السائر خذ اللص قبل ان يأخذك فقال يوسف بل هي راودتني عن نفسي فأبيت
وفررت منها فادركتني وشقت قميصي قال نوف الشامي ما كان يوسف يريد أن يذكرها
فلما قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوأ غضب وقال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد
من أهلها واختلفوا في هذا الشاهد من هو وقال سعيد بن جبير والضحاك كان صبيا في
المهد انطقه الله تعالى يدل عليه حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
تكلم أربعة في المهد وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج
الراهب وعيسى بن مريم وقال الحسن وعكرمة وقتادة ما كان صبيا ولكن كان رجلا
حكيما وله رأي وكان من خاصة الملك وقال السدي هو ابن عم راعيل كان جالسا مع
زوجها لدى الباب فحكم بما أخبر الله تعالى عنه ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو
من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه
قد من دبر عرف خيانة امرأته وبراءة يوسف عليه السلام فقال انه من كيدكن ان
كيدكن عظيم ثم أقبل على يوسف فقال يا يوسف أعرض عن هذا الحديث لا تذكره
لاحد ثم قال لامرأته واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين أي من المذنبين
حين راودت شابا عن نفسه وخنت زوجك فلما استعصم كذبت عليه (قالوا) فشاع
أمر يوسف وراعيل وتحدث الناس بذلك وقال نسوة في المدينة وهن امرأة الساقي
وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواة وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب امرأة
العزيز تراود فتاها عن نفسه أي عبدها الكنعاني قد شغفها حبا أي دخل حبه في
شغاف قلبها وهو حجابه وغلافه انا لنراها في ضلال مبين أي خطأ بين حيث تراود
عبدها عن نفسه فلما سمعت راعيل بمكرهن أي بقولهن وحديثهن وقال ابن اسحق
يعني بكيدهن وذلك انما قلنه مكرا بها لتريهن يوسف لما بلغهن من حسنه وجماله
فاتخذت راعيل مائدة ودعت أربعين امرأة منهن هؤلاء اللواتي عيرنها فذلك قوله
تعالى ارسلت اليهن واعتدت لهن متكأ اعتدت اى هيأت لهن مجلسا للطعام وما
يتكئن عليه من النمارق والوسائد عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة يعني هيأت
طعاما وقرأ مجاهد متكا خفيفا غير مهموز وهو كل طعام تحزه بالسكين وقال وهب
أعتدت لهن أترجا وبطيخا وموزا ورمانا وورد او آتت كل واحدة منهن سكينا وقالت
ليوسف اخرج عليهن وكانت قد أجلسته في مجلس غير المجلس الذي هن فيه

جلوس فخرج عليهن يوسف فلما رأينه أكبرنه وهالهن أمره وبهتن وقطعن أيديهن بالسكاكين اللاتى معهن وهن يحسبن انهن يقطعن الاترج وغيره (قال قتادة) أبن أيديهن حتى ألقينها فما أحسسن الا بالدم ولم يجدن من حز الايدى ألما لشغل قلوبهن بيوسف عليه السلام (وقال وهب) بلغنى ان سبعا من الاربعين امرأة متن فى ذلك المجلس وجدا بيوسف عليه السلام وقلن حاش لله أى معاذ الله ماهذا بشرا ان هذا الاملك كريم فقالت راعيل عند ذلك للنسوة فذلكن الذى لمتننى فيه أى فى حبه وشغفى به ثم انها أبدت لهن الميل الذى عندها فقالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم أى امتنع واستعصى فقالت النسوة ليوسف أطع مولاتك فقالت راعيل ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين فاختار يوسف حين عاودته المرأة فى المراودة وتوعدته بالسجن السجن على المخالفة فقال رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه والا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن أى أمل واتابعهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم ثم بدالهم أى العزيز وأصحابه من بعد مارأوا الآيات الدالة على براءة يوسف وهو قد القميص من دبر وخمش الوجه وقطع النسوة أيديهن ليسجننه حتى حين (قال السدى) وذلك ان المرأة قالت لزوجها ان هذا العبد العبرانى قد فضحنى فى الناس يعتذر اليهم ويخبرهم أنى راودته عن نفسه ولست أطيق ان أعتذر بعذرى فاما ان تأذن لى اخرج فاعتذر واما ان تحبسه كما حبستنى فحبسه بعد علمه ببراءته دفعا للتهمة عن امرأته وذلك أن الله تعالى جعل ذلك الحبس تطهيرا ليوسف من همه وتكفيرا لزلته (قال ابن عباس) عثر يوسف ثلاث عثرات حين هم بها فسجن وحين قال اذكرنى عند ربك فلبث فى السجن بضع سنين وحين قال لاخوته انكم لسارقون قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل ۞ ولما سجن يوسف دخل معه السجن فتيان وهما غلامان كانا للوليد بن الريان ملك مصر الاكبر أحدهما خبازه وصاحب طعامه واسمه مجلب والآخر ساقيه وصاحب شرابه واسمه بيوص غضب عليهما الملك فحبسهما وذلك انه بلغه عنهما أن خبازه يريد أن يسمه وان ساقيه وافقه على ذلك وكان السبب فيه ان جماعة من مصر أرادوا المكر بالملك واغتياله فدسوا الى هذين الغلامين وضمنوا لهما مالا ليسما الطعام للملك والشراب فأجاباهم الى ذلك ثم ان الساقى نكل عنه والخباز غش الملك وقبل الرشوة فسم الطعام فلما حضر وقته وأحضر الطعام قال الساقى أيها الملك لاتاكل فان الطعام مسموم وقال الخباز لا تشرب فان الشراب مسموم فقال الملك للساقى اشرب فشرب فلم يضره فقال للخباز كل من طعامك فأبى فجرب ذلك الطعام فى دابة من الدواب فأكلته فهلكت فأمر الملك بحبسهما وكان يوسف عليه السلام

لما

لما دخل السجن قال لاهله اني أعبر الاحلام فقال أحد الفتيين لصاحبه هلم نجرب علم هذا العبد العبراني فتتراءى له فسألاه من غير أن يكونا رأيا شيأ قال عبد الله بن مسعود ما رأى صاحبا يوسف شيأ وانما كانا تحالما ليجربا علمه (وقال) قوم بل كانت رؤياهما على صحة وحقيقة فسألاه عنها وقال مجاهد لما رأى الفتيان يوسف قالا له والله لقد أحببناك حين رأيناك فقال لهما يوسف أنشدكما الله تعالى لا تحباني فوالله ما أحبني أحد قط الا دخل علي من حبه بلاء لقد أحبتني عمتي فدخل علي من حبها بلاء ثم أحبني أبي فدخل علي من حبه بلاء ثم أحبتني زوجة صاحبي فدخل علي من حبها بلاء فلا تحباني بارك الله فيكما قال فأبيا الا حبه وألفاه حيث كان وجعل يعجبهما ما يريان من فهمه وعقله وقد كانا رأيا حين دخلا السجن رؤيا فأتيا يوسف فقال الساقي أيها العالم اني رأيت كأني في بستان فاذا أنا بأصل كرمة عليها ثلاث عناقيد من عنب فجنيتها وكأن كأس الملك بيدي فعصرتها وسقيت الملك شربة فذلك قوله تعالى قال أحدهما اني أراني أعصر خمرا يعني عنبا بلغة عمان يدل عليه قراءة ابن مسعود أعصر خمرا أي عنبا وقال الخباز اني رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها خبز تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عقيل أخبرنا عبيد الله بن محمد بن ابراهيم بن قالويه أخبرنا محمد بن يزيد السلمي أخبرنا أبو الربيع الزهراني أخبرنا خلف بن خليفة أخبرنا سليم عن الضحاك بن مزاحم في في قوله تعالى انا نراك من المحسنين قال كان احسانه اذا مرض رجل في السجن قام عليه فاذا ضاق عليه وسع له وان احتاج جمع له وسأل ربه وقال قتادة بلغنا ان احسانه كان يداوي مريضهم ويعزي حزينهم ويجتهد لربه وقال لما انتهى يوسف الى السجن وجد فيه قوما قد انقطع رجاؤهم واشتد بلاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول أبشروا واصبروا تؤجروا ان في هذا لأجرا وثوابا فقالوا يا فتى بارك الله فيك ما أحسن وجهك وخلقك وحديثك لقد بورك لنا في جوارك انا لا نحب أن نكون في غير هذا المكان منذ رأيناك لما تخبرنا به من الاجر والكفارة والطهارة في ذلك فمن أنت يا فتى قال أنا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم عليهم السلام فقال له عامل السجن والله يا فتى لو استطعت لخليت سبيلك ولكن سأحسن جوارك وأحسن ايثارك فكن في أي بيت شئت قال فكره يوسف أن يعبر لهما ما سألاه لما علم في ذلك من المكروه على أحدهما فأعرض يوسف عن سؤالهما وأخذ في غيره قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما فقالا له هذا فعل الكهنة والسحرة فقال ما أنا بكاهن ولا ساحر ولكن ذلكما مما علمني ربي ثم بين لهما دينه ومذهبه فقال اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون

واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب الى آخر الآية فاراهما يوسف فطنته ودرايته ثم دعاهما الى الاسلام وأقبل عليهما وعلى أهل السجن وكان بين أيديهم أصنام يعبدونها من دون الله فقال الزاما للحجة ياصاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه الآية ثم فسر رؤياهما لما ألحا عليه فقال ياصاحبي السجن أما أحدكما وهو الساقي فيسقي ربه خمرا يعني الملك ويعود الى منزلته التي كان عليها وأما العناقيد الثلاثة فانها ثلاثة أيام يبقى في السجن ثم يخرج وأما الآخر فيصلب والسلال التي رآها في المنام ثلاثة أيام يبقى في السجن ثم يخرج فيصلب فتأكل الطير من رأسه قال ابن مسعود ثم لما سمعا قول يوسف عليه السلام قالا ما رأينا شيأ انما كنا نلعب ونجرب علمك هذا فقال يوسف قضي الامر الذي فيه تستفتيان أي فرغ الامر الذي عنه تسألان (أخبرنا) عبد الله بن حامد بن محمد بن الوزان أخبرنا محمد بن عبد الله الصفار اخبرنا احمد بن مهران عن ابي رزين العقيلي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فاذا اعبرت وقعت وان الرؤيا جزء من ستة واربعين جزأ من النبوة وأحسبه قال لا تقصها الا على ذي رأي وعقل وقال صلى الله عليه وسلم الرؤيا لاول عابر فقال يوسف عليه السلام عند ذلك للذي علم أنه ناج منهما وهو الساقي اذكرني عند ربك يعني الملك وقل له في السجن غلام محبوس ظلما فأنساه الشيطان ذكر ربه الآية والبضع ما بين الثلاثة الى العشرة وأكثر المفسرين على ان البضع في هذه الآية سبع سنين (وقال) وهب ابن منبه أصاب أيوب البلاء سبع سنين وعذب بختنصر بالمسخ سبع سنين وترك يوسف في السجن سبع سنين (وروى) يونس عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي يوسف لولا كلمته ما لبث في السجن ما لبث يعني قوله اذكرني عند ربك ثم بكى وقال الحسن نحن اذا نزل بنا أمر فزعنا الى الناس وقال مالك ابن دينار لما قال يوسف للساقي اذكرني عند ربك فقيل له يا يوسف اتخذت من دوني وكيلا لاطيلن حبسك فبكى يوسف وقال يا رب أنسى قلبي كثرة البلوى فقلت ما قلت فويل لاخوتي (ويحكى) ان جبريل عليه السلام دخل على يوسف وهو في السجن فلما رآه يوسف عرفه وقال يا أخا المنذرين مالي أراك بين الخطئين فقال له جبريل عليه السلام يا طاهر الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك ما استحييت مني أن استشفعت بالآدميين فوعزتي لالبثنك في السجن بضع سنين قال يوسف يا أخي يا جبريل وهو في ذلك راض عني قال نعم قال اذا لا أبالي وقال كعب الاحبار قال جبريل ليوسف ان الله تعالى يقول لك من خلقك قال الله تعالى قال فمن حببك الى أبيك قال الله تعالى قال فمن آنسك في البئر وألبسك وأنت عريان قال الله تعالى قال

فمن نجاك من كرب البئر قال الله تعالى قال فمن علمك تأويل الرؤيا قال الله تعالى قال
فكيف استغثت بآدمى مثلك قالوا فلما انقضت سبع سنين قال الكلبي وهذه السبع
سوى الخمس التى كانت قبله وذلك أنه حبس خمس سنين قبل ان يستشفع بالساقى
وهو قوله تعالى ليسجننه حتى حين فلما استشفع بالساقى وقال له اذكرنى عند ربك بقى
فى السجن سبع سنين فلما انتهت محنته ودنا فرجه وراحته رأى ملك مصر الاكبر
وهو الريان ابن الوليد رؤيا عجيبة فهالته وذلك أنه رأى سبع بقرات سمان خرجن من
نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان فدخلت فى بطونهن فلم ير
منهاشيأ ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وافركت وسبعا أخر يابسات قد
استحصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبتها فجمع السحرة والكهنة ومعبريه
وقصها عليهم وقال يا أيها الملأ أفتونى فى رؤياى ان كنتم للرؤيا تعبرون أى تفسرون
قالوا أضغاث أحلام مخلطة مشتبهة التأويل أباطيل ومانحن بتأويل الاحلام بعالمين
وقال الذى نجا منهما أى من الفتيين وهو الساقى وادكر بعد أمة أى وتذكر حاجة
يوسف بعد حين قال ابن عباس بعد امة اى بعد سنين أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون أى
الى السجن (قال) ابن عباس رضى الله عنهما لم يكن السجن فى المدينة فبعثوه فأتى
ليوسف فقال له أيها الصديق يعنى فيما عبرت لنا من الرؤيا والصديق هو كثير الصدق
أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف الى قوله لعلهم يعلمون أى فضلك
وعلمك فقال له يوسف تزرعون سبع سنين دأبا الى قوله وفيه يعصرون فرجع
الساقى الى الملك وأخبره بما أفتاه به يوسف من تأويل رؤياه كالنهار وعرف الملك ان
الذى قال كائن فقال الملك ائتونى بالذى عبر رؤياى هذه فلما جاء الرسول الى يوسف
أبى أن يخرج معه حتى يعرف عذره وبراءته و يعرف صحة أمره من قبل النسوة فقال
للرسول ارجع الى ربك أى سيدك الملك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن
ان ربى بكيدهن عليم (قال ابن عباس) لو خرج يوسف يومئذ قبل أن يعلم الملك شأنه
مازالت فى نفسه منه حاجة يقول هو هذا الذى راود امرأتى وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لقد عجبت من أخى يوسف وكرمه وصبره والله تعالى يغفر له حين سئل عن
البقرات السمان والعجاف ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى اشترط أن يخرجونى ولو
كنت مكانه ولبثت فى السجن مالبث لأسرعت الاجابة وبادرت الباب ولم ابتغ العذر
والله انه كان لحليما ذا أناة قال فرجع الرسول الى الملك من عند يوسف برسالته فدعا
الملك النسوة اللاتى قطعن أيديهن وامرأة العزيز فقال لهن ما خطبكن اذ راودتن
يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن
حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين فلما سمع ذلك يوسف قال ذلك

ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين فقال له جبريل ولا حين
هممت بها يا يوسف فقال يوسف عند ذلك وما أبرئ نفسي الآية فلما تبين للملك عذر
يوسف وعرف امانته وكفايته وديانته وعلمه وعقله قال ائتوني به استخلصه لنفسي
فلما جاء الرسول الى يوسف قال له أجب الملك الآن فخرج يوسف ودعا لأهل السجن
بدعاء يعرف الى اليوم وذلك أنه قال اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عنهم
الاخبار فهم أعلم الناس بالاخبار الى اليوم في كل بلدة فلما خرج يوسف من السجن
كتب على بابه هذا قبر الأحياء وبيت الاحزان وتجربة الاصدقاء وشماتة الاعداء ثم
انه اغتسل وتنظف من درن السجن ولبث ثيابا جددا حسانا وقصد الى الملك قال
وهب فلما وقف بباب الملك قال حسبي ربي من دنياي حسبي ربي من خلقه عز جاره
وجل ثناؤه ولا اله غيره فلما دخل على الملك قال اللهم انى أسألك بخيرك من خيره وأعوذ
بك من شره وشر غيره فلما نظر اليه الملك سلم عليه يوسف بالعربية فقال له الملك ما هذا
اللسان قال لسان عمي اسمعيل ثم انه دعا له بالعبرانية ثانيا فقال له الملك ما هذا اللسان
قال لسان أبي يعقوب قال وهب وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلما كلم يوسف
بلسان أجابه بذلك اللسان فأعجب الملك ما رأى منه وكان يوسف ابن ثلاثين سنة فلما
رأى الملك حداثة سنه وغزارة علمه قال لمن عنده ان هذا علم تأويل رؤياي ولم تعلمه
الكهنة والسحرة ثم انه أجلسه وقال له انى أحب أن أسمع رؤياي منك شفاها فقال
يوسف نعم أيها الملك رأيت سبع بقرات سمان شهب حسان غير عجاف كشف لك
عنهن نهر النيل فطلعن عليك من شاطئه تشخب اخلافهن لبنا فبينما أنت كذلك
تنظر اليهن وقد أعجبك حسنهن اذ نضب النيل فغار ماؤه وبدا قعره فخرج من حمئه
ووحله سبع بقرات عجاف شعث غبر ملصقات البطون ليس لهن ضروع ولا اخلاف
ولهن أنياب وأضراس واكف كاكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فاختلطن
بالسمان وافترسنهن افتراس السباع واكلن لحمهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن
ومششن مخهن فبينما أنت تنظر وتتعجب كيف غلبنهن وهن مهازيل ثم لم يظهر
فيهن سمن ولا زيادة بعدا كلهن اذا سبع سنبلات خضر وسبع أخر سود يابسات في
منبت واحد عروقهن في الثرى والماء فبينما أنت تقول في نفسك ما هذا هؤلاء خضر
مثمرات وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد وأصولهن في الماء اذ هبت ريح فردت
أوراق السود اليابسات على الخضر المثمرات فاشعلت فيهن النار فاحرقتهن وصرن
سودا متغيرات فهذا آخر ما رأيت من الرؤيا ثم انك انتبهت مذعورا فقال له الملك
والله ما شأن هذه الرؤيا وان كانت عجبا بأعجب مما سمعته منك فما ترى في رؤياي أيها
الصديق فقال يوسف الصديق انى أرى أيها الملك ان تجمع الطعام وتزرع زرعا كثيرا

في هذه السنين المخصبة وتبني الاهرام والخزائن وتجعل الطعام فيها بقصبه وسنبله ليكون أبقى له ويكون قصبه وسنبله علفا للدواب وتأمر الناس فيرفعون من طعامهم الخمس فيكفيك الطعام الذي جمعته لاهل مصر ومن حولها ثم تأتيك الخلق من جميع النواحي فيمتارون منك ويجتمع عندك من الكنوز ما لا يجتمع لاحد قبلك فقال له الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه ويبيعه لي ويكفيني الشغل فيه فقال له يوسف اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم أي كاتب حاسب وقيل حفيظ لما استودعتني عليم بسني المجاعة وبلغة من يأتيني فقال له الملك ومن أحق به منك وولاه ذلك كله وقال له انك اليوم لدينا مكين أمين (أخبرني) الحسين بن محمد بن الحسين الثقفي بن مخلد بن علوية أخبرنا اسمعيل بن جعفر الباقر أخبرنا الحسين بن علوية أخبرنا اسمعيل بن عيسى قال اخبرنا اسحق بن بشر عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكن لاجل سؤاله اياه اخر عنه ذلك سنة فأقام عند الملك في بيته سنة (وروى) سفيان عن أبي سنان عن عبد الله بن أبي الهذلي قال قال الملك ليوسف اني أريد أن تخالطني في كل شئ غير أني آنف ان تأكل معي فقال له يوسف اني أحق ان آنف بذلك منك لاني انا ابن يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله فصار بعد ذلك يأكل معه قال ابن عباس فلما انصرفت السنة من يوم سأل الامارة دعاه الملك فتوجه بتاجه وقلده بسيفه وحلاه بخاتمه وأمر له بسرير من الذهب مكلل بالدر والياقوت فضرب عليه قبة من استبرق وكان طول السرير ثلاثين ذراعا وعرضه عشرة أذرع وعليه ثلاثون فراشا وستون نمرقة ثم أمره أن يخرج فخرج متوجا ولونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى فيه من بياض وجهه الناظر صفاء لونه ثم انطلق حتى جلس على السرير فدانت له الملوك ولزم الملك وفوض اليه أمر مصر وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه ثم مات قطفير عن قريب فزوج الملك يوسف براعيل امرأة قطفير فلما دخل عليها قال لها أليس هذا خيرا مما كنت تريدين مني فقالت له أيها الصديق لا تلمني فاني كنت امرأة حسناء ناعمة كما رأيت في ملك ودنيا وكان صاحبي لا يأتي النساء وكنت كما جعلك الله في صورتك وهيئتك

لا يغتر بمجرد المسطور للقصاص وان نسبوا الى من نسبوا فعقيدة ذوي البصائر ان الانبياء مبرؤن حتى من الصغائر فكيف بالغفلة عن الله ولو طرفة عين واي بلاء يحجب قلب الولي عن مولاه فضلا عن الانبياء وانما طلب الصديق ما طلب لما علم ان القيام بشؤن الخلق في زمن القحط لا يقوم به سواه ومن يعتقد غير ذلك فحسبه الله اه

فغلبتني نفسي فلما بنى بها يوسف وجدها عذراء فأصابها فولدت له ابنين افرايم ومنشا ابني يوسف عليه السلام واستوثق ليوسف ملك مصر فأقام فيهم العدل فأحبه الرجال والنساء فذلك قوله تعالى وكذلك نجزي المحسنين وكذلك مكنا ليوسف في الارض يعني أرض مصر يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين وللبحتري في هذا المعنى

أما في رسول الله يوسف أسوة ❊ لمثلك محبوسا على الظلم والافك
أقام جميل الصبر في السجن برهة ❊ فآل به الصبر الجميل الى الملك

وكتب بعضهم الى صديق له هذه الابيات

وراء مضيق الخوف متسع الأمن ❊ وأول مفروج به آخر الحزن
فلا تيأسا فالله ملك يوسفا ❊ خزائنه بعد الخلاص من السجن

قال فلما اطمأن يوسف في ملكه وخلت السنين المخصبة ودخلت المجدبة جاءت بهول لم تعهد الناس مثله فأصاب الناس الجوع فلما كان بدء القحط نام الملك فبينما هو نائم اذ أصابه الجوع فهتف الملك يا يوسف الجوع الجوع فقال يوسف هذا أوان القحط والجوع فلما دخل أول سنة من سني الجدب هلك فيها كل شيء أعدوه من السنين المخصبة فجعل أهل مصر يبتاعون من يوسف الطعام فباعهم في أول سنة بالنقود من الذهب والفضة حتى لم يبق في مصر درهم ولا دينار الا قبضه وباعهم في السنة الثانية بالحلي والحلل والجواهر حتى لم يبق في أيدي الناس منها شيء وباعهم في السنة الثالثة بالمواشي والدواب حتى احتوى عليها أجمع وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والاماء حتى لم يبق عبد ولا أمة الا أخذه وباعهم في السنة الخامسة بالضياع والعقار والدور حتى احتوى عليها ولم يبق لاحد ملك وباعهم في السنة السادسة باولادهم فان الرجل كان يشتري بولده الحنطة او الشعير من شدة السنة فلم يبق لاحد ولد ذكر ولا أنثى الا ما لك له وباعهم في السنة السابعة برقابهم وأرواحهم حتى لم يبق بمصر حر ولا عبد ولا أمة الا صار ملكا له فتعجب الناس من أمر يوسف وقالوا تالله ما رأينا ملكا أجل من هذا واعظم ثم قال يوسف للملك كيف رأيت صنع ربي فيما خولني فما ترى في هذا فقال له الملك الرأي رأيك وانما نحن لك تبع فقال يوسف فاني أشهد الله واشهدك اني قد أعتقت أهل مصر جميعا ورددت عليهم عقارهم وعبيدهم وأولادهم (وروى) أن يوسف كان لا يشبع من الطعام في تلك الايام فقيل له أتجوع وبيدك خزائن الارض فقال اني أخاف ان شبعت أن أنسى الجائع (وروى) ان يوسف امر طباخ الملك ان يجعل غداءه نصف النهار مرة واحدة في اليوم والليلة واراد بذلك ان يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجائع ويحسن الى المحتاجين ففعل

الطباخ ذلك فمن ثم جعل الملوك غداءهم نصف النهار وقصد الناس مصر من كل ناحية يمتارون فجعل يوسف لا يمكن احدا منهم وان كان عظيما من اكثر من حمل بعير تقسطا بين الناس وتوسيعا عليهم فتزاحم الناس عليه قالوا وأصاب أرض كنعان و بلاد الشأم من القحط والشدة ما أصاب سائر البلاد ونزل بيعقوب من ذلك ما نزل بالناس فأرسل بنيه الى مصر بطلب الميرة وامسك عنده بنيامين أخا يوسف لامه فجاء بنو يعقوب الى يوسف عليه السلام وكانوا عشرة وكان منزلهم بالقرب من أرض فلسطين من ثغور الشأم وكانوا أهل بادية ومواش فلما دخلوا عليه عرفهم يوسف وانكروه لما أراد الله تعالى ان يبلغ يوسف ما اراده قال ابن عباس وكان بين ان قذفوه في الجب وبين ان دخلوا عليه ارض مصر اربعون سنة فلذلك انكروه وقيل انه كان متزيا بزي فرعون مصر فكانت عليه ثياب الحرير جالسا على سرير وفي عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج من ذهب فلذلك لم يعرفوه وقيل كان بينهم و بينه ستر فلذلك أنكروه قال بعض الحكماء المعصية تورث النكرة ولذلك قال تعالى وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون قالوا فلما نظر اليهم يوسف وكلموه بالعبرانية قال لهم أخبروني من أنتم وما امركم فاني انكرت شأنكم فقالوا نحن قوم من اهل الشأم رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم عيون جئتم تنظرون عورة بلادي فقالوا لا والله ما نحن بجواسيس وانما نحن اخوة بنو أب واحد شيخ كبير صديق الله نبي من أنبياء الله تعالى يقال له يعقوب قال فكم أنتم قالوا نحن كنا اثني عشر فذهب منا أخ الى البرية فهلك فيها وكان احب الى ابينا منا قال كم انتم ههنا قالوا عشرة قال فأين الآخر قالوا عند أبينا لانه أخو الذي هلك من أمه فأبونا يتسلى به قال فمن يعلم ان الذي تقولون حق فقالوا أيها الملك انا ببلاد لا نعرف فيها فقال يوسف فأتوني بأخيكم الذي من ابيكم ان كنتم صادقين فاني أرضى بذلك قالوا ان أبانا يحزن على فراقه وسنراوده عنه قال فضعوا بعضكم عندي رهينة حتى تأتوني بأخيكم فاقترعوا بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان أبرهم بيوسف فخلفوه عنده فذلك قوله تعالى ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني باخ لكم من أبيكم الآية الى قوله وانا لفاعلون فقال عند ذلك يوسف لفتيانه اي لغلمانه الذين يكيلون الطعام اجعلوا بضاعتهم اي ثمن طعامهم (قال ابن عباس) كانت بضاعتهم النعال والادم (وقال قتادة) كانت ورقا في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون واختلف العلماء في السبب الذي فعل ذلك يوسف بهم من أجله فقال الكلبي تخوف يوسف ان لا يكون عند أبيه من الورق ما يرجعون به اليه مرة أخرى وقيل خشي ان يشق اخذ ذلك منهم على ابيه اذ كانت السنة سنة جدب وقيل رأى لؤما اخذ ثمن الطعام من ابيه واخوته مع احتياجهم اليه فرده عليهم من

حيث لا يعلمون تكرما وتفضلا وقيل فعل ذلك لانه علم أن ديانتهم وأمانتهم تحملهم
على رد البضاعة ولا يستحلون امساكها فيرجعون اليه لاجلها فلما رجعوا الى أبيهم
قالوا يا أبانا قدمنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجل من ولد يعقوب
ما أكرمنا كرامته فقال لهم يعقوب اذا أتيتم ملك مصر فاقرؤا عليه مني السلام وقولوا
له ان أبانا يصلي عليك ويدعو لك بما أوليتنا ثم انه قال لهم ابن شمعون فقالوا ان الملك
ارتهنه لنأتيه ببنيامين ثم اخبروه بالقصة فقال لهم ولم اخبرتموه بذلك فقالوا انه اخذنا
وقال انكم جواسيس حيث كلمناه بلسان العبرانية ثم قصوا عليه القصة وقالوا يا أبانا
منع منا الكيل فأرسل معنا اخانا نكتل يعني بنيامين وانا له لحافظون فقال لهم
يعقوب هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على اخيه من قبل الآية (قال كعب)
لما قال يعقوب فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين قال الله وعزتي وجلالي لاردن
عليك كلاهما بعدما توكلت علي قالوا ولما فتحوا متاعهم الذي حملوه من مصر وجدوا
بضاعتهم أي ثمن طعامهم ردت اليهم قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير
أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير فقال لهم يعقوب لن أرسله معكم
حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به الا أن يحاط بكم أي تهلكوا جميعا (وروى) جويبر
عن الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى لتأتنني به الا أن يحاط بكم الى قوله حتى تؤتون
موثقا من الله ومن قبل يعني حتى تحلفوا لي بحق محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين أن
لا تغدروا بأخيكم ففعلوا ذلك فلما آتوه موثقهم قال يعقوب الله على ما نقول وكيل أي
شاهد بالوفاء فلما أرادوا الخروج من عنده قال لهم لا تدخلوا مصر من باب واحد
وادخلوا من أبواب متفرقة وذلك أنه خاف عليهم العين لانهم كانوا ذوي جمال وهيبة
وصور حسان وقامات ممتدة وكانوا أولاد رجل واحد فأمرهم أن يتفرقوا في دخولهم
البلد لئلا يصابوا بالعين ثم قال لهم وما أغني عنكم من الله من شئ ان الحكم الا لله عليه
توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم وكان لمصر
أربعة أبواب فدخلوا من أبوابها كلها ما كان يغني عنهم من الله من شئ صدق الله
يعقوب عليه السلام فيما قال الى قوله تعالى ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولما دخلوا
على يوسف في الكرة الثانية قالوا يا أيها العزيز هذا أخونا الذي أمرتنا أن نأتيك به قد
جئناك به قال لهم أحسنتم وأصبتم وستحمدون على ذلك عندي ثم انه أنزلهم وأكرمهم
وأضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين على مائدة وحده وحيدا
فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال لهم يوسف لقد بقي أخوكم هذا
وحيدا فريدا ثم أجلسه يوسف معه على مائدته فجعل يؤاكله فلما كان الليل أمرهم
يوسف بمثل ذلك وقال لهم ليبت كل اثنين منكم على فراش واحد فلما بقي بنيامين

وحده قال يوسف هذا ينام معي على فراشي فبات معه فجعل يوسف يضمه اليه ويشم ريحه حتى أصبح فجعل روبيل يقول مارأينا مثل هذا فلما أصبح قال لهم انى لأرى هذا الرجل الذى جئتم به ليس له أخ يؤنسه فان تشاؤا أضمه الى ليكون منزله معي ثم ان يوسف أنزلهم منزلا وأجرى عليهم الطعام والشراب وأنزل أخاه لامه معه فذلك قوله تعالى آوى اليه أخاه فلما خلا به قال له ما اسمك قال بنيامين قال له وما بنيامين قال المشكل وذلك أنه لما ولد فقد أمه قال وما اسم امك قال راحيل بنت ليان بن ناحور قال فهل لك من ولد قال نعم قال كم قال عشرة بنين قال فما أسماؤهم قال لقد اشتققت أسماءهم من اسم أخ لى من أمى هلك اسمه يوسف فقال يوسف لقد اضطرك ذلك الى حزن شديد فما أسماؤهم قال بالعا وأخير وأشكل وأحيا وخير ونعمان وورد ورأس وحيشم وعيشم قال فما هذه الاسماء قال أما بالعا فانه أخى ابتلعته الارض وأما أخير فانه كان بكر أمى وأبى وأما أشكل فانه كان أخى لابى وأمى ومنى وأما احيا فلكونه كان حيا وأما خير فانه كان خيرا حيث كان وأما نعمان فانه كان ناعما بين أبويه وأما ورد فانه كان بمنزلة الورد فى الحسن وأما رأس فانه كان منى بمنزلة الرأس من الجسد وأما حيشم فاعلمنى أبى أنه حى وأما عيشم فلو رأيت غرته لقرت عينى وتم سرورى فقال له يوسف أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك ذلك الهالك فقال بنيامين أيها الملك ومن يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل قال فبكى يوسف عليه السلام وقام اليه وعانقه وقال انى أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون ولا تعلمهم بشئ من هذا ثم ان يوسف أوفى لاخوته الكيل وحمل لبنيامين بعيرا باسمه (قال كعب) لما قال له انى أنا أخوك قال بنيامين فانى لا أفارقك قال يوسف انى قد علمت باغتمام الوالد فان حبستك زاد غمه ولا يمكننى حبسك الا بعد اشتهارك بامر فظيع فقال لا أبالى افعل ماتريد فقال يوسف انى أدس صاعى هذا فى رحلك ثم أنادى عليكم بالسرقة ليتهيأ لى ردك بعد تسريحك قال افعل فذلك قوله تعالى فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية فى رحل أخيه وكانت مشربة يشرب بها الملك وكانت كأسا من ذهب مكللا مرصعا بالجواهر جعلها يوسف مكيالا يكال بها ثم انهم ارتحلوا وأمهلهم يوسف حتى ظعنوا ثم ان يوسف أمر بهم فادركوا وحبسوا عن المسير ثم أذن مؤذن أيتها العير انكم لسارقون فوقفوا فلما قرب منهم الرسول قال لهم ألم نحسن منزلتكم ونكرم ضيافتكم ونوف كيلكم وفعلنا لكم مالم نفعل لغيركم قالوا بلى وماذاك قال سقاية الملك فقدناها ولم نتهم عليها غيركم قالوا تالله لقد علمتم ماجئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين وانا منذ قطعنا هذه الطريق لم نرد أحدا بسوء واسألوا عنا من مررنا به هل أضررنا أحدا أو أفسدنا شيأ وانا قد رددنا الدراهم لما وجدناها فى رحالنا فلو كنا سارقين مارددناها وفى

الحديث انهم لما دخلوا مصر كموا أفواه دوابهم لئلا تتناول من حروث الناس شيأ
فقال الرسول انه صاع الملك الاكبر الذى يتكهن فيه وانه ائتمنني عليه فان لم أجده
تخوفت ان تسقط منزلتى عنده وأفتضح فى مصر فمن رده على فله حمل بعير من طعام
وأنا به زعيم أى كفيل قالوا معاذ الله أن نسرق فقال المؤذن وأصحابه فما جزاؤه أى جزاء
من وجد فى رحله ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه كذلك نجزى
الظالمين فقال الرسول عند ذلك لابد من تفتيش أمتعتكم ولستم ببارحين حتى
افتشها ثم انه انصرف بهم الى يوسف فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها
من وعاء أخيه لازالة التهمة وكان يفتش أمتعتهم واحدا واحدا (قال قتادة) ذكر لنا
انه كان لا يفتح متاعا ولا ينظر فى وعاء أحد الا استغفر الله تعالى مما قذفهم به حتى لم يبق
الا الغلام فقال ما أظن ان هذا الغلام أخذ شيأ فقالت اخوته والله ما نترك حتى
تنظر فى رحله فانه أطيب لنفسك ولانفسنا فلما فتحوا متاعه استخرجوا الصاع منه
فلما أخرج الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم من الحياء ثم أقبلوا على
بنيامين فقالوا ايش الذى صنعت بنا وفضحتنا وسودت وجوهنا يا ابن راحيل
لا يزال لنا منكم بلاء أخذت هذا الصاع فقال لهم بنيامين بل بنو راحيل الذين
لا يزال لهم منكم بلاء ذهبتم بأخى الى البرية فاهلكتموه ان الذى وضع الصاع فى
رحلى هو الذى وضع الدراهم فى رحالكم ثم انهم قالوا ليوسف ان يسرق فقد سرق أخ
له من قبل وهذا هو المثل السائر عذره شر من جرمه واختلف العلماء فى السرقة التى
وصفوا بها يوسف (قال سعيد بن جبير وقتادة) السرقة التى وصفوا بها يوسف انه
سرق صنما لجده أبى أمه من ذهب فكسره وألقاه فى الطريق (وقال ابن جريج) أمرته
أمه وكانت مسلمة أن يسرق صنما لخاله من ذهب فاخذه وكسره (وقال مجاهد)
جاء سائل يوما فسرق يوسف بيضة من البيت وأعطاها السائل (وقال ابن عيينة)
دجاجة فناولها السائل فعيروه بها (وقال وهب) كان يخبأ الطعام من المائدة
للفقراء (وقال) الضحاك وغيره كان أول ما دخل على يوسف من البلاء ان عمته بنت
اسحق كانت أكبر ولد اسحق وكانت منطقة اسحق عندها وكانوا يتوارثونها بالكبر
وكانت راحيل أم يوسف ماتت فحضنته عمته وأحبته حبا شديدا وكانت لا تصبر
عنه فلما ترعرع وبلغ سنوات وقع حبه فى قلب يعقوب فأتاها وقال لها يا أختاه سلمى
الى يوسف فوالله ما أصبر عنه ساعة واحدة فقالت له ما أنا بتاركته فلما ألح عليها
يعقوب قالت دعه عندى أياما أنظر اليه لعل ذلك يسليني عنه ففعل ذلك فلما خرج
يعقوب من عندها عمدت الى منطقة اسحق فحزمت يوسف بها تحت ثيابه ثم انها
قالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من أخذها فالتمست فلم توجد فلما فتشوا أهل

البيت وجدوها مع يوسف فقالت والله انه لسلم لي أصنع فيه ماشئت وكان ذلك
حكم آل ابراهيم في السارق فأتاها يعقوب فأخبرته بذلك فقال ان كان هذا فهو
مسلم لك لا أستطيع غير ذلك فأمسكته بعلة المنطقة فما قدر عليها يعقوب يأخذه
منها حتى ماتت فهو الذي قال اخوته ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف
في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون (قال الرواة) لما
دخلوا على يوسف واستخرجوا الصواع من رحل بنيامين دعا يوسف بالصاع فنقره
ثم أدناه من أذنه ثم قال ان صاعي هذا يخبرني انكم كنتم اثني عشر رجلا وانكم
انطلقتم بأخ لكم فبعتموه فلما سمع بنيامين قام فسجد ليوسف وقال أيها الملك سل
صواعك هذا عن أخي أحي هو فنقره ثم قال له حي وسوف تراه فقال بنيامين اصنع
بي ماشئت فانه ان علم بي سوف يستنقذني قال فدخل يوسف الى منزله ثم انه بكى
وتوضأ فقال بنيامين أيها الملك اني أريد أن تضرب صواعك هذا فيخبرك بالحق من
الذي سرقه فجعله في رحلي فنقره ثم انه قال ان صواعي غضبان وهو يقول كيف تسألني
عن صاحبي الذي سرقني وقد رأيت مع من كنت قال وكان بنو يعقوب اذا غضبوا لم
يطاقوا فغضب روبيل وقال أيها الملك والله لئن لم تتركنا وتترك أخانا لأصيحن صيحة
لا يبقى في مصر امرأة حامل الا ألقت ما في بطنها وقامت كل شعرة في جسده فخرجت
من ثيابه وكان بنو يعقوب اذا غضبوا ومس احدهم الآخر ذهب غضبه فقال يوسف
لابنه قم الى جنب روبيل ومسه فقام الغلام الى جنبه فمسه فسكن غضبه فقال
روبيل ان في هذا البيت لشيأ من ولد يعقوب فقال يوسف من يعقوب فغضب روبيل
وقال أيها الملك لا تذكر يعقوب فانه اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل
الله قال يوسف أنت اذا ان كنت صادقا صادق فلما أراد يوسف أن يحتبس أخاه
عنده ويصير بحكمه وانه أولى به منهم واحتبسه ورأوا ان لا سبيل لهم الى تخليصه منه
سألوه أن يخليه لهم ويعطونه واحدا منهم بدله فقالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا
فخذ أحدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال يوسف معاذ الله أن نأخذ الا
من وجدنا متاعنا عنده ولم يقل من سرق تحرزا عن الكذب انا اذا لظالمون ان أخذنا
بريئا بسقيم فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا أي خلا بعضهم ببعض متناجين
متشاورين فقال كبيرهم يعني في العقل وهو شمعون عن مجاهد وقال قتادة
السدي كبيرهم في السن وهو روبيل ألم تعلموا ان أباكم قد اخذ عليكم موثقا من
الله في هذا الغلام لتردونه ومن قبل ما فرطتم في يوسف اي من قبل هذا قصرتم في
أن يوسف فلن أبرح الارض يعني أرض مصر حتى يأذن لي ابي فارجع الى الملك
بلا جزء القتال او يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك

سرق وما شهدنا الا بما علمنا اى نحن رأينا سرقته معه وما كنا للغيب حافظين حين سألناك
ان ترسله معنا ولو علمنا الغيب انه يسرق ما ذهبنا به معنا واسئل القرية يعني واسئل
أهل القرية والعير التي اقبلنا فيها يعني قوما صحبوهم من اهل كنعان وانا الصادقون
لك في قولنا فرجعوا الى يعقوب بذلك القول فقال يعقوب بل سولت لكم أنفسكم أمرا
فصبر جميل وهو الذي لا جزع فيه عسى الله أن يأتيني بهم جميعا يعني يوسف و بنيامين
انه هو العليم الحكيم وتولى عنهم يعقوب وقال يا اسفا على يوسف وذلك أنه لما بلغه
خبر بنيامين تكامل حزنه و بلغ جهده وهيج حزنه على يوسف فاعرض عنهم وقال
يا أسفا على يوسف والاسف أشد الحزن (وروى) سعيد بن جبير عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعط أمة من الامم عند المصيبة
انا لله وانا اليه راجعون الا أمة محمد صلى الله عليه وسلم ألا ترى الى يعقوب حين أصابه
على ابنه ما أصابه من الحزن لم يسترجع انما قال يا أسفا على يوسف (وقال الحسن)
كان بين خروج يوسف من عند أبيه الى يوم الالتقاء معه ثمانون سنة لم تجف عيناه
من الدموع وما كان على وجه الارض اكرم على الله تعالى من يعقوب فلما شكى
وبكى قال له ولده تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أي مريضا ذاهب العقل
من الهم أو تكون من الهالكين فقال يعقوب لما رأى غلظتهم وجفوتهم انما أشكو
بثي وحزني الى الله لا اليكم وفي الحديث ان يعقوب كبر وضعف حتى سقط حاجباه على
عينيه وكان يرفعهما بخرقة فقال له بعض جيرانه قد انهشمت وفنيت ولم تبلغ من
السن ما بلغ أبوك فما بلغ بك ما أرى فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فأوحى الله تعالى
الى يعقوب أتشكوني الى خلقي فقال يارب خطيئة أخطأتها فاغفرها لي قال قد غفرت
لك فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما اشكو بثي وحزني الى الله (اخبرني) الحسين بن
فنجويه اخبرنا احمد بن الحسن بن حامد اخبرنا الحسين بن ايوب اخبرنا عبد الله بن
ابي زياد اخبرنا سيار بن حاتم عن عبد الله بن السمط قال سمعت ابي يقول بلغنا ان
رجلا قال ليعقوب ما الذي أذهب بصرك قال حزني على يوسف قال فما الذي قوس
ظهرك قال حزني على اخيه فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب اتشكوني وعزتي وجلالي
لا اكشف ما بك حتى تدعوني فقال عند ذلك انما اشكو بثي وحزني الى الله فاوحى
الله تعالى اليه وعزتي وجلالي لو كانا ميتين لاخرجتهما لك حتى تنظر اليهما وانما
وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين يستطعم فلم تطعموه منها شيئا وان
أحب الناس الي من خلقي الانبياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع اليه المساكين
فصنع طعاما ثم قال من كان صائما فليفطر الليلة عند آل يعقوب (وقال وهب بن
منبه) اوحى الله تعالى الى يعقوب اتدري لم عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين سنة

قال

قال لا يا الهى قال لانك شويت عناقا وقترت على جارك وأكلت ولم تطعمه ويقال ان سبب ابتلاء يعقوب بفقد يوسف أنه كان له بقرة ولها عجل فذبح عجلها بين يديها وكانت تخور فلم يرحمها يعقوب فأخذه الله بذلك فابتلاه بفقد أعز ولده اليه ثم ان يعقوب قال لبنيه يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله الآية (قال السدى) لما أخبره ولده بخبر العزيز وقوله وفعله أحست نفس يعقوب وطمع وقال لعله يوسف وروى أنه كان رأى ملك الموت فى المنام فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا وانه والله حى يرزق وروى أنه رأى ملك الموت وقد زاره فقال له السلام عليك أيها الكظيم فاقشعر جلده وارتعدت فرائصه ورد عليه السلام ثم قال له من أنت ومن أدخلك هذا البيت وقد أغلقت على نفسى بابى كيلا يدخل على أحد وأشكو بثى وحزنى الى الله فقال له يا نبى الله أنا الذى أيتم الاولاد وأرمل الازواج وأفرق بين الجماعات قال فانت اذا ملك الموت قال نعم فقال له يا ملك الموت أنشدك الله الا أخبرتنى هل تقبض روح من تأكله السباع قال نعم قال فاخبرنى عن الارواح أتقبضها مجموعة أو متفرقة روحا روحا قال أقبضها روحا روحا قال فهل مرت بك روح يوسف فى الارواح قال لا قال فجئتنى زائرا أم داعيا فقال يا نبى الله ما جئتك الا مسلما فان الله تعالى لا يميتك حتى يجمع بينك وبين يوسف ولو كان فى الصخرة التى عليها قرار الارضين وما أذن الله لى فى زيارتك الا بشرك وأجيبك عما تسألنى عنه وان شئت أعلمتك لماذا ابتليت بفقد ولدك قال له فاعلمنى يا عزرائيل فقال يا اسرائيل الله هل تذكرت الجارية التى اشتريتها عام كذا فى شهر كذا ثم فرقت بينها وبين أبويها قال نعم يا ملك الموت كأنه كان بالامس فقال له ملك الموت فلاجل ذلك ابتليت بفقد الولد وهل تعلم لماذا ابتليت بفقد البصر قال لا قال أمرت يوما بذبح جذعة فذبحتها وشويتها فى يوم كذا فى شهر كذا فرتيم العابد العبد الصالح بك وهو صائم ما أفطر منذ أسبوع فاشتم قتار الشوى فلم تطعمه شيئا فعند ذلك أعتق يعقوب من كان بحضرته من العبيد والاماء وأمر أن يذبح كل يوم من أغنامه كبشان ويفرق لحمهما على الفقراء والمساكين فتقبل الله ذلك منه وشكره عليه وآتاه الفرج فعند ذلك قال يعقوب يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه الى قوله تعالى الا القوم الكافرون (قال قتادة) ذكر لنا أن نبى الله يعقوب عليه السلام ما ساء ظنه بالله تعالى فى طول بلائه ساعة قط من ليل أو نهار فعند ذلك خرج اخوة يوسف راجعين الى مصر وهذه كرة ثالثة فدخلوا على يوسف فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز أى الملك بلغة مصر مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة أى قليلة رديئة لا تنفق فى ثمن الطعام الا بتجاوز من البائع فيها واختلف المفسرون فى هذه البضاعة ما هى فقال ابن عباس كانت دراهم رديئة

زيوفا لا تنفق الا بوضيعة وقال ابن أبي مليكة رضي الله عنه كانت خلقة الغرائر والحبال
رثة المتاع وقال عبد الله بن الحرث والحسن كانت أمتعة الاعراب الصوف والسمن
والاقط وقال الضحاك كانت النعال والادم والسويق المقلى فاوف لنا الكيل وتصدق
علينا ان الله يجزى المتصدقين قال الضحاك لم يقولوا ان الله يجزيك ان تصدقت علينا
لانهم لم يعلموا انه مؤمن وقال عبد الجبار بن العلائى سئل سفيان بن عيينة هل حرمت
الصدقة على أحد من الانبياء سوى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال سفيان ألم تسمع
قول الله تعالى وتصدق علينا أراهم سفيان ان الصدقة كانت لهم حلالا وانما حرمت
على نبينا عليه الصلاة والسلام فقال لهم يوسف مجيبا لهم عند ذلك هل علمتم ما فعلتم
بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون واختلف العلماء في السبب الذى حمل يوسف على
هذا القول الذى كان بدء فرج يعقوب وراحته وآخر بلائه ومحنته فقال محمد بن اسحق
ذكر لنا أنهم لما كلموه بهذا الكلام غلبته نفسه وأدركته الرقة فارفض دمعه باكيا ثم
باح لهم بالذى كان يكتم فقال هل علمتم ما فعلتم الآية وقال الكلبى انما قال ذلك حين
حكى لاخوته ان مالك بن دعر قال انى وجدت غلاما فى بئر من حاله كيت وكيت
فابتعته من قوم بكذا وكذا درهما فقالوا له أيها الملك نحن بعناه هذا الغلام فاغتاظ
يوسف من ذلك وأمر بقتلهم فذهبوا بهم ليقتلوهم فولى يهوذا وهو يقول كان يعقوب
يبكى ويحزن لفقد واحد منا حتى كف بصره فكيف اذا أتاه خبر قتل بنيه كلهم ثم
انهم قالوا له ان أنت فعلت بنا ذلك فابعث بأمتعتنا الى أبينا فانه بمكان كذا وكذا فذلك
الوقت رحمهم وبكى وقال لهم ذلك القول وقال بعضهم انما قال ذلك حين قرأ كتاب
أبيه اليه وذلك أن يعقوب لما قيل له ان ابنك سرق كتب الى يوسف كتابا من يعقوب
اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر المظهر العدل
والموفى الكيل أما بعد فانا أهل بيت موكل بنا البلاء فأما جدى فابتلى بالنمروذ فشدت
يداه ورجلاه وألقى فى النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما وأما أبى فشدت يداه
ورجلاه ووضع السكين على قفاه ليذبح ففداه الله بذبح عظيم وأما أنا فكان لى ابن وكان
أحب أولادى الى فذهب به اخوته الى البرية ثم أتونى بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد
أكله الذئب فذهبت عيناى من بكائى عليه ثم كان لى ابن آخر وكان اخاه من أمه
وكنت أتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا أهل
بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته على والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع
من ولدك فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك نفسه من البكاء وعيل صبره فاظهر لهم
أمره وقال بعضهم انما قال ذلك حين سأل أخاه بنيامين هل لك ولد قال نعم ثلاثة بنين
قال فما سميتهم قال سميت الاكبر منهم يوسف قال ولم قال محبة لك ولذكرك قال فما

سميت

سميت الثانى قال ذئبا قال ولم والذئب سبع عقر قال لاذكرك به قال فما سميت الثالث
قال دما قال ولم قال لاذكرك به فلما سمع يوسف هذه المقالة خنقته العبرة ولم يتمالك
أن قال لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون قالوا له أئنك لأنت
يوسف قال ابن اسحق لما قال يوسف لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه
كشف عنه الغطاء ورفع عنه الحجاب فعرفوه فقالوا أئنك لأنت يوسف قال أنا
يوسف وهذا أخى (وروى) جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال لهم يوسف هل
علمتم ما فعلتم الآية ثم تبسم وكان اذا تبسم كأن ثناياه اللؤلؤ المنظوم فلما أبصروا ثناياه
شبهوه بيوسف فقالوا له مستفهمين أئنك لأنت يوسف (وروى) عطاء عن ابن
عباس أنه قال ان اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عن رأسه وكان له فى فرقه
علامة وكان ليعقوب مثلها وكان لاسحق مثلها وكان لسارة مثلها شبه الشامة فلما
رفع التاج عن رأسه ورأوا الشامة عرفوه وقالوا له أئنك لأنت يوسف قال أنا يوسف
وهذا أخى قد من الله علينا بأن جمعنا بعد ما فرقتم بيننا انه من يتق ويصبر فان الله
لا يضيع أجر المحسنين ثم انهم أقروا بفضل يوسف عليهم وجرمتهم اليه فقالوا تالله لقد
آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فقال يوسف وكان حليما كريما موفقا لا تثريب
عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين (قال السدى وغيره) فلما عرفهم
يوسف بنفسه سألهم عن أبيه فقال ما فعل أبى من بعدى قالوا ذهبت عيناه فاعطاهم
قميصه (قال الضحاك) كان ذلك القميص من نسج الجنة وكان فيه ريح الجنة لا يقع على
مبتلى ولا على سقيم الا صح وعوفى فاعطاهم يوسف ذلك القميص وهو الذى كان
لابراهيم وقد مضت قصته فقال لهم اذهبوا بقميصى هذا فالقوه على وجه أبى يأت بصيرا
وأتونى بأهلكم أجمعين فلما فصلت العير من مصر متوجهين الى كنعان قال أبوهم
يعقوب انى لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون أى تسفهون (وروى) ان ريح الصبا
استأذنت ربها أن تأتى يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير بالقميص فاذن لها
فاتته بها (قال ابن عباس) وجد يعقوب ريح يوسف من مسيرة ثمان ليال (وقال
مجاهد) وذلك انه هبت ريح فصفقت القميص فاحتملت الصبا ريح القميص الى
يعقوب فوجد ريح الجنة فعلم أنه ليس فى الارض من رياح الجنة الا ما كان من ذلك
القميص فمن ثم قال انى لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون فقال له بنو بنيه تالله انك
لفى ضلالك القديم فلما أن جاء البشير وهو يهوذا بن يعقوب (قال ابن مسعود) جاءه
البشير من بين يدى العير (وقال السدى) قال يهوذا ليوسف أنا ذهبت بالقميص
ملطخا بالدم الى يعقوب فأخبرته ان يوسف أكله الذئب فاعطنى اليوم قميصك لاخبره
أنك حى فافرحه كما أحزنته (قال ابن عباس) حمله يهوذا وخرج ماشيا حاسرا حافيا

وجعل يعدو حتى أتى أباه وكان معه سبعة أرغفة فلم يستوف أكلها حتى بلغ كنعان وكانت المسافة ثمانين فرسخا فلما أتاه بالقميص ألقاه على وجهه فارتد بصيرا (قال الضحاك) رجع اليه بصره بعد العمى وقوته بعد الضعف وشبابه بعد الهرم وسروره بعد الحزن * عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال كان يعقوب عليه السلام أكرم اهل الارض على ملك الموت وان ملك الموت استأذن ربه فى أن يأتى يعقوب فأذن له فجاءه فقال له يعقوب ياملك الموت أسألك بالذى خلقك هل قبضت نفس يوسف فيمن قبضت من النفوس فقال لا ثم قال له ملك الموت يا يعقوب الا أعلمك كلمات قال بلى قال قل ياذا المعروف الذى لا ينقطع أبدا ولا يحصيه أحد غيرك قال فدعا بها يعقوب فى تلك الليلة فلم يطلع الفجر حتى طرح القميص على وجهه فارتد بصيرا فقال لهم عند ذلك ألم أقل لكم انى أعلم من الله مالا تعلمون قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف أستغفر لكم ربى الآية (قال أكثر المفسرين) أخر ذلك الى السحر من ليلة الجمعة فوافق ذلك ليلة عاشوراء وذلك ان الدعاء فى الاسحار لا يحجب عن الله تعالى فلما انتهى يعقوب الى الوعد قام الى الصلاة بالسحر فلما فرغ منها رفع يديه الى الله عز وجل وقال اللهم اغفر لى جزعى على يوسف وقلة صبرى عنه واغفر لولدى ماجنوا على أخيهم يوسف فأوحى الله اليه انى قد غفرت لك ولهم أجمعين * وقال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة فى نيف وعشرين سنة (أخبرنا) الحسين بن محمد بن فنجويه أخبرنا عبد الله بن محمد بن شيبة أخبرنا أحمد بن السفر بن ثوبان البصرى أخبرنا اسحق ابن زياد الارملى أخبرنا الفضل بن حميد البغدادى أخبرنا اسحق بن زياد وابن ضمرة عن رجاء بن أبى سلمة عن عطاء الخراسانى قال طلب الحوايج الى الشباب أيسر منها الى الشيوخ ألا ترى قول يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم وقول يعقوب سوف أستغفر لكم ربى (وروى) ان يعقوب قال للبشير لما أخبره بحياة يوسف كيف يوسف قال له انه ملك مصر فقال يعقوب ما أصنع بالملك على أى دين تركته قال على دين الاسلام فقال يعقوب الآن تمت النعمة (وقال الثورى) لما التقى يعقوب و يوسف عليهما السلام عانق كل واحد منهما صاحبه و بكيا فقال يوسف يا أبت بكيت على حتى ذهب بصرك الم تعلم أن القيامة تجمعنا قال بلى يابنى ولكن خشيت أن تسلب دينك فيحال بينى وبينك يوم القيامة قالوا وكان يوسف قد بعث مع البشير جهازا ومائتى راحلة وسأله أن يأتيه بأهله وولده أجمعين فتهيأ يعقوب للخروج الى مصر فلما دنا يعقوب من مصر كلم يوسف الملك الاكبر الذى فوقه فخرج مع يوسف فى اربعة آلاف من الجند وركب أهل مصر معهما يتلقون يعقوب وكان يعقوب يمشى متوكئا على يهوذا فنظر يعقوب الى الجند والناس فقال يا يهوذا هذا

فرعون

فرعون مصر الاكبر فقال لا هذا ابنك فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه ذهب
يوسف يبدأه بالسلام فمنعه الله من ذلك وكان يعقوب أفضل وأحق بذلك منه
فابتدأه يعقوب بالسلام فقال السلام عليك يا مذهب الاحزان فلما دخلوا على
يوسف آوى اليه أبويه ورفعهما على العرش وأبواه يعقوب وخالته لما فسمى الخالة
أما كما سمى العم أبا في قوله تعالى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق
وقال الحسن نشر الله راحيل أم يوسف من قبرها حتى سجدت له تحقيقا للرؤيا فذلك
قوله تعالى وخروا له سجدا وكانت تحية الناس يومئذ السجود ولم يرد بالسجود وضع
الجباه على الارض فلما رأى يوسف أبويه واخوته قد خروا له سجدا اقشعر عند ذلك
جلده وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا الآية (قال وهب)
دخل يعقوب وولده مصر وهم اثنان وسبعون انسانا ما بين رجل وامرأة وخرجوا منها
مع موسى ومقاتلتهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضع وسبعون رجلا سوى الذرية
والهرمى والزمنى وكانت الذرية ألف ألف سوى المقاتلة * وقال الفضيل بن عياض
بلغنا ان يعقوب عليه السلام لما دخل مصر ورأى يوسف ومملكته فكان يطوف
يوما من الايام في خزائنه فرأى خزانة مملوءة قراطيس بيضا فقال له يا بني لقد تغيرت
بعدي لك كل هذه القراطيس وما جملت بطاقة منها تكتب الي كتابا فقال يوسف
هذه القراطيس كلها لك كنت كلما ازداد شوقي وكثر حنيني آخذ ورقة حتى اكتب
اليك يا أبت فيمنعني جبريل أن أكتب اليك فأتركها في هذه الخزانة حتى بلغ هذا المبلغ
فسأل يعقوب جبريل عن ذلك فقال منعني ربي فسأل الله عن ذلك فأوحى الله اليه
لانك قلت أخاف أن يأكله الذئب فهلا خفتني هذه العقوبة لاجل تخوفك من غيري
(وروى) صالح المري عن يزيد الرقاشي عن انس بن مالك قال ان الله تعالى لما جمع
ليعقوب شمله خلا ولده نجيا فقال بعضهم لبعض أليس قد علمتم ما فعلتم بالشيخ
يعقوب وبيوسف قالوا بلى قالوا فان عفوا عنكم فكيف لكم بربكم فاستقام امرهم على
ان يأتوا الشيخ فأتوه وجلسوا بين يديه ويوسف الى جنب ابيه قاعد فقالوا يا ابانا اتيناك
على أمر لم نأتك بمثله قط ونزل بنا امر لم ينزل بنا مثله قط والانبياء أرحم البرية فقال
ما بكم يا بني فقالوا ألست تعلم ما كان منا اليك والى أخينا يوسف قال بلى قد علمت
قالوا فلستما قد عفوتما عنا قالا بلى قالوا فان عفوكما لا يغني عنا شيئا اذا كان الله تعالى
لم يعف عنا قال فما تريدون يا بني قالوا نريد أن تدعو الله لنا فاذا جاءك الوحي من
عند الله سله هل عفا الله عنا فان أجابك بانه قد عفا عنا جميعنا قرت أعيننا واطمأنت
قلوبنا والا فلا قرت لنا اعين في الدنيا أبدا فقام الشيخ واستقبل القبلة وقام يوسف
خلفه وقاموا كلهم خلفهما أذلة خاشعين فدعا يعقوب وأمن يوسف عليهما السلام

فلم يجب فيهم قريبا من عشرين سنة (قال صالح المرى) ثم نزل جبريل عليه السلام
على يعقوب فقال ان الله تعالى بعثنى اليك أبشرك بانه قد أجاب دعوتك فى ولدك
وأنه قد عفا عما صنعوا وانهم قد انعقدت مواثيقهم بعدك على النبوة قالوا فاقام
يعقوب بمصر بعد موافاته باهله وولده أربعة وعشرين سنة باغبط حال واهنا
عيش واتم راحة وأدوم سلامة ثم حضرته الوفاة فلما احتضر جمع بين بنيه وقال
ماتعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق ثم قال يابنى
ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون ثم انه أوصى الى يوسف أن
يحمل جسده الى الارض المقدسة حتى يدفنه عند أبيه اسحق وجده ابراهيم ففعل
ذلك ونقله الى بيت المقدس فى تابوت من ساج وخرج معه يوسف فى عسكره واخوته
وعظماء أهل مصر ووافق ذلك يوم وفاة عيص فدفنا فى يوم واحد وكان عمرهما جميعا مائة
سنة وسبعا وأربعين سنة لانهما ولدا فى بطن واحد وقبرا فى قبر واحد (قال) فلما جمع
الله ليوسف شمله وأقر له عينه وأتم له تفسير رؤياه وكان موسعا عليه فى ملك الدنيا
ونعيمها وعلم ان ذلك لا يدوم له وانه لابد من فراقه فاراد نعيم الجنة اذ هو أفضل منه
فتاقت نفسه الى الجنة فتمنى الموت ودعا به ولم يتمن نبى قبله ولا بعده الموت فقال رب
قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الاحاديث الآية (وروى) أن يوسف لما
حضرته الوفاة جمع اليه قومه من بنى اسرائيل وهم ثمانون رجلا وأعلمهم بحضور أجله
ونزول أمر الله تعالى به فقالوا يانبى الله نحب أن تعرفنا كيف تتصرف الاحوال بنا
بعد خروجك من بين أظهرنا والى ما يؤل اليه أمرنا وديننا وملتنا فقال لهم ان أمركم
لستقيم على ما أنتم عليه وتستقيمون على دينكم الى أن يبعث رجل جبار عات من
القبط يدعى الربوبية فيقهركم ويذبح أبناءكم ويستحيى نساءكم ويسومكم سوء العذاب
فتمتد أيامه مدة مديدة ثم يخرج من بنى اسرائيل من ولد لاوى بن يعقوب رجل اسمه
موسى بن عمران رجل طوال جعد الشعر آدم اللون فينجيكم الله من أيدى القبط على
يده قال فجعل كل من بنى اسرائيل يسمى ابنه عمران ويسمى عمران ابنه موسى قال وكان
ليوسف ديك وكان عمره خمسمائة سنة فقال لهم يوسف انه يستقيم أمركم مادام يصرخ
فيكم هذا الديك فاذا ولد هذا الجبار يسكن فلا يصرخ مدة ولايته حتى اذا انقضت
مدة ولايته وأذن الله تعالى بمولد هذا النبى فيصرخ هذا الديك ويعود الى صراخه
ويكون ذلك علامة انقضاء ملك الجبار وظهور نبى الله فى الارض فما زالوا راعون
الحال الى أن سكن صراخ الديك فوجموا له واكتأبوا وأيقنوا بوهى أركان دينهم
واظلال ما آذنهم به يوسف من مولد الجبار واعتزلوا لذلك واجمين الى أن صرخ ذلك
الديك فاستبشروا وتصدقوا وفرحوا واستيقنوا بالفرج والراحة ثم مات يوسف عليه

السلام

السلام وكان قد أوصى الى أخيه يهوذا واستخلفه على بنى اسرائيل فتوفاه الله طيبا طاهرا ودفن فى النيل فى صندوق من رخام وذلك انه لما مات تشاح الناس عليه كل يحب أن يدفن فى محلتهم لما يرجون من بركته حتى هموا بالقتال فرأوا أن يدفن فى النيل حيث تتفرق الماء بمصر فيمر الماء عليه ثم يصل الى جميع مصر فيكونون كلهم فيه شرعا واحدا ففعلوا ذلك وكان قبره فى النيل الى أن حمله موسى عليه السلام معه حين خرج من مصر ببنى اسرائيل فنقله الى الشام ودفنه بارض كنعان خارج الحصن حيث هو اليوم فلذلك تنقل اليهود موتاهم الى الشام من فعل ذلك فيهم (وروى) يونس بن عمران عن أبى موسى قال نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم باعرابى فاكرمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرمتنا فاحسنت سل حاجتك فقال ناقة نرحلها وعنز نحلبها أهلى فقال صلى الله عليه وسلم أعجز هذا أن يكون مثل عجوز بنى اسرائيل فقالوا يارسول الله وما عجوز بنى اسرائيل فقال ان بنى اسرائيل لما خرجوا ضلوا الطريق وأظلم عليهم الليل فقالوا ما هذا فقال علماؤهم ان يوسف لما حضرته الوفاة أخذ علينا موثقا من الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا قال موسى فمن يعلم موضع قبره قالوا عجوز لبنى اسرائيل فبعث اليها موسى فاتته فقال دلينى على قبر يوسف فقالت له وتعطينى حكمى قال وما حكمك قالت أن أكون معك فى الجنة فكره أن يعطيها حكمها فاوحى الله اليه أن أعطها حكمها ففعل (ويروى) من طريق آخر أن هذه العجوز كانت مقعدة عمياء فقالت لموسى ألا أخبرك بموضع قبر يوسف قال نعم فقالت له لا أخبرك حتى تعطينى أربع خصال تطلق رجلى وتعيد الى بصرى وشبابى وتجعلنى معك فى الجنة قال فكبر ذلك على موسى فاوحى الله تعالى اليه أن أعطها ما سألت فانك انما تعطى على ففعل فانطلقت بهم الى موضع عين فى مستنقع ماء فاستخرجوه من شاطئ النيل فى صندوق من مرمر فلما حملوا تابوته طلع القمر وأضاء الطريق مثل النهار فاهتدوا به وحملوه (وقال أهل التاريخ) عاش يوسف بعد موت يعقوب عليه السلام ثلاثا وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة صلوات الله عليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين

﴿مجلس فى قصة موسى بن منشا بن يوسف عليه السلام﴾

وهو موسى الاول وقد ذكرنا فيما مضى ان يوسف عليه السلام ولد له ابنان أحدهما يقال له افرايم والآخر منشا وابنة يقال لها رحمة وهى امرأة النبى أيوب عليه السلام فولد لافرايم نون وولد لنون يوشع وهو فتى موسى بن عمران وخليفته على بنى اسرائيل وأما منشا فولد له موسى فنبأه الله تعالى فزعم أهل التوراة انه صاحب الخضر والعامة من العلماء أن صاحب الخضر موسى بن عمران وكذلك روى عن ابن عباس عن رسول

الله صلى الله عليه وسلم قال أهل العلم بالتاريخ لما مات يعقوب ويوسف عليهما السلام وآل الامر الى الاسباط كثروا وغوا وظهر فيهم ملوك فغيروا سيرتهم وأفسدوا فى الارض وفشا فيهم السحر والكهانة فبعث الله تعالى اليهم موسى بن منشا رسولا يدعوهم الى عبادة الله وأداء أمره واقامة سننه وذلك قبل مولد موسى بن عمران بمائتى سنة فاطاعه قوم منهم وعصاه آخرون (وقال وهب بن منبه وغيره) كان مما أوحى الله اليه أن قل لقومك انى برىء ممن سحر أو سحر له أو تكهن أو تكهن له أو تطير أو تطير له من آمن بى صادقا وتوكل على فانى كنت له كافيا ومثيبا وكفيته همّ دينه ودنياه وكنت له خير معين وهاد وكنت عند ظنه بى ومن عدل عنى ووثق بغيرى فانا أغنى الشركاء عن الشرك أكله الى من وثق به دونى ومن وكلته الى غيرى فلمستعد للفتنة والعذاب ومن تباعد عنى كنت عنه أشد تباعدا ومن تقرب الى كنت اليه أشد تقربا منه الى وقل لعبادى لا تغفلوا عن ذكرى وليكثروا ذكر الموت عند كل شهوة فانه يميت الشهوات واللذات كلها قالوا فلبث فيهم ما شاء الله أن يلبث يقيم أمرهم ويصلح أحوالهم ثم مات صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء والمرسلين والله تعالى أعلم

﴿مجلس فى ذكر بقية عاد وقصة شديد وشداد وصفة ارم ذات العماد﴾

قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد أرم ذات العماد الآية (روى) سفيان عن منصور عن ابى وائل قال ان رجلا يقال له عبد الله بن قلابة خرج فى طلب ابل له قد ضلت أى شردت فبينما هو فى بعض صحارى عدن فى تلك الفلوات اذ وقع على مدينة عليها حصن حول ذلك الحصن قصور عظيمة وأعلام طوال فلما دنا منها ظن أن فيها من يسأله عن أبله فلم ير فيها أحدا لا داخلا ولا خارجا فنزل عن ناقته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب الحصن فاذا هو ببابين عظيمين لم ير فى الدنيا أعظم منهما ولا أطول واذا خشبهما من أطيب عود وعليهما نجوم من ياقوت أصفر وياقوت أحمر ضوؤها قد ملأ المكان فلما رأى ذلك أعجبه ففتح أحد البابين فاذا هو بمدينة لم ير الراؤن مثلها قط واذا هو بقصور معلقة تحتها أعمدة من زبرجد وياقوت وفوق كل قصر منها غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت والزبرجد على كل باب من أبواب تلك القصور مصراع مثل مصراع باب تلك المدينة من عود رطب قد نضدت عليه اليواقيت وقد فرشت تلك القصور باللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران فلما راى ذلك ولم ير هناك أحدا أخذه الفزع ثم انه نظر الى الازقة فاذا فى كل زقاق منها أشجار قد اثمرت وتحتها أنهار تجرى فى قنوات من فضة أشد بياضا من الثلج فقال هذه الجنة التى وصفها الله لعباده فى الدنيا والحمد لله الذى أدخلنى الجنة ثم انه حمل من لؤلؤها وبنادق المسك

والزعفران ولم يستطع أن يقلع من زبرجدها شيأ ولا من يواقيتها لانها كانت مثبتة فى أبوابها وجدرانها وكان اللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران منثورة بمنزلة الرمل فى تلك القصور والغرف فأخذ منها ما أراد وخرج حتى أتى ناقته فركبها ثم انه سار يقفو أثر ناقته حتى رجع الى اليمن فاظهر ما كان معه وأعلم الناس بأمره وباع بعض ذلك اللؤلؤ وكان قد أصفر وتغير لونه من طول الزمان الذى مر عليه ففشا خبره حتى بلغ معاوية ابن أبى سفيان فأرسل رسولا الى صاحب صنعاء وكتب اليه باشخاصه فاشخص حتى قدم على معاوية فخلا به ثم سأله عما عاين فقص عليه أمر المدينة وما رأى فيها فاستعظم ذلك معاوية وأنكر ما حدثه به وقال له ما أظن ما تقوله حقا فقال له يا أمير المؤمنين ان معى من متاعها الذى هو مفروش فى قصورها وغرفها فقال له وما هو قال اللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران فقال له أرنى اياه فعرض عليه مما حمله من تلك المدينة من اللؤلؤ وبنادق المسك فشم البنادق فلم يجد لها ريحا فأمر ببندقة منها فدقت فسطع ريحها مسكا وزعفرانا فصدقه عند ذلك ثم قال معاوية كيف أصنع حتى أعرف اسم هذه المدينة وان هى ومن بناها والله ما أعطى أحد مثل ما أعطى سليمان بن داود عليه السلام وما أظن انه كان له مثل هذه المدينة فقال له بعض جلسائه ما كان لسليمان مدينة مثل هذه وما يوجد خبر هذه المدينة فى زماننا هذا الا عند كعب الاحبار فان رأى أمير المؤمنين ان يبعث اليه ويأمر باشخاصه ويغيب عنه هذا الرجل فى موضع هنا بحيث يسمع كلامه وحديثه ووصفه للمدينة حتى يتبين أمر هذه المدينة على مثل هذه الصفة فان كعبا سيخبر أمير المؤمنين بخبرها وأمر هذا الرجل ان كان دخلها لان مثل هذه المدينة على مثل هذه الصفة لا يستطيع هذا الرجل دخولها الا أن يكون قد سبق له فى الكتاب دخولها فيعرف ذلك فأرسل معاوية الى كعب الاحبار فلما حضر قال له يا أبا اسحق انى دعوتك لامر رجوت أن يكون علمه عندك فقال له يا أمير المؤمنين على الخبير سقطت سل عما بدا لك فقال له أخبرنا يا أبا اسحق هل بلغك ان فى الدنيا مدينة مبنية بالذهب والفضة وعمدها من زبرجد وياقوت وحصى قصورها وغرفها اللؤلؤ وأنهارها فى الأزقة تجرى تحت الاشجار فقال كعب والذى نفس كعب بيده لقد ظننت انى سأسأل قبل ان يسألنى أحد عن تلك المدينة وما فيها ولكن أخبرك بها يا أمير المؤمنين ولمن هى ومن بناها أما تلك المدينة فهى حق على ما بلغ أمير المؤمنين وعلى ما وصفت له وأما الذى بناها فشداد بن عاد وأما المدينة فهى أرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد فقال له معاوية يا أبا اسحق حدثنا بحديثها يرحمك الله فقال كعب يا أمير المؤمنين ان عادا كان له ابنان سمى احدهما شديدا والآخر شداد فهلك عاد وبقى ولداه بعده فملكا وتجبرا وقهرا كل البلاد وأخذاها

عنوة وقهرا حتى دان لهما جميع الناس ولم يبق أحد فى زمانهما الا دخل فى طاعتهما لا فى شرق الارض ولا فى غربها وانهما لما صفا لهما ذلك وقر قرارهما مات شديد بن عاد وبقى شداد فملك وحده ولم ينازعه أحد وكانت له الدنيا كلها وكان مولعا بقراءة الكتب القديمة وكان كلما مر فيها على ذكر الجنة دعته نفسه ان يجعل تلك الصفة لنفسه فى الدنيا عتوا على الله تعالى وكفرا فلما وقر ذلك فى نفسه أمر بصنعة تلك المدينة التى هى ارم ذات العماد وأمر على صنعتها مائة قهرمان مع كل قهرمان ألف من الاعوان ثم قال لهم انطلقوا الى أطيب بقعة فى الارض وأوسعها واعملوا الى فيها مدينة من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد ولؤلؤ وتحت تلك المدينة أعمدة من زبرجد وياقوت وعلى المدينة قصور ومن فوق القصور غرف واغرسوا تحت القصور غرائس فيها أصناف الثمار كلها وأجروا فيها الانهار تحت الاشجار فانى أرى فى الكتب صفة الجنة وانى أحب ان أتخذ مثلها فى الدنيا واجعل سكناها فقالت له قهارمته كيف لنا بالقدرة على ما وصفت لنا من الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة فنبنى منها مدينة كما وصفت لنا فقال لهم شداد ألستم تعلمون ان ملك الدنيا كلها بيدى قالوا بلى قال فانطلقوا الى كل موضع به معدن من معادن الزبرجد والياقوت والذهب والفضة وأى بحر فيه لؤلؤ فوكلوا به من كل قوم رجالا تخرج لكم ما فى كل معدن من تلك الارض ثم انطلقوا الى ما فى أيدى الناس من ذلك نخذوه سوى ما يأتيكم به أصحاب المعادن فان معادن الدنيا فيها كثير من ذلك وما فيها مما لا تعلمون أكثر وأعظم مما كلفتم به من صنعة هذه المدينة (قال) فخرجوا من عنده وكتب معهم الى كل ملك فى الدنيا كتابا يأمره أن يجمع لهم ما فى بلاده من الجواهر وان يحفر معادنها فانطلق تلك القهارمة وأعطوا كل ملك من الملوك كتابا فأخذ ما وجد فى مملكته فبقوا على تلك الحالة عشر سنين حتى جمعوا ما يحتاجون الى ارم ذات العماد من الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة وأخذوا موضعا كما أراد ووصف لهم فقال معاوية يا أبا اسحق كم عدد أولئك الملوك الذين كانوا تحت يد شداد قال كانوا مائتين وستين ملكا قال نخرج عند ذلك الفعلة والقهارمة فتفرجوا فى الصحارى ليتخذوا ما يوافق غرضه فلم يجدوا ذلك الا فى أرض ابين من بلاد عدن فوقعوا بها على صحراء عظيمة نقية من التلال والجبال واذا هم بعيون مطردة فقالوا هذه صفة الارض التى أمرنا بها فأخذوا بقدر ما أمرهم به من العرض والطول ثم جعلوا لها حدودا محدودة ثم عمدوا الى مواضع الازقة التى فيها الماء فاجروا فيها القنوات لتلك الانهار ثم وضعوا الأساس من صخور الجزع اليمانى وعجنوا طين ذلك الاساس من دهن البان والحلب فلما فرغوا من وضع الاساس وأجروا فيها القنوات أرسل الملوك

اليهم الجواهر والذهب والفضة فنهم من بعث بالعمد مضروبة ومنهم من بعث بالذهب والفضة مصنوعة مفروغا منها فدفعوا كل ذلك الى أولئك القهارمة والوزراء فأقاموا فيها حتى فرغوا من بنائها على ما أراد شداد فقال له معاوية يا أبا اسحق انى لاحسبهم أقاموا فى بنائها زمانا من الدهر قال نعم يا أمير المؤمنين انى لاجد فى التوراة انهم أقاموا فى بنائها ثلثمائة سنة فقال معاوية كم كان عمر شداد صاحبها قال كان عمره سبعمائة سنة فقال له معاوية يا أبا اسحق لقد اخبرتنا خبرا عجيبا فحدثنا فقال يا أمير المؤمنين انما سماها الله تعالى ارم ذات العماد من أجل العماد التى تحتها من الزبرجد والياقوت وليس فى الدنيا مدينة من الزبرجد والياقوت غيرها فلذلك قال التى لم يخلق مثلها فى البلاد (قال كعب) انهم لما أتوه وأخبروه بفراغهم منها قال انطلقوا فاجعلوا عليها حصنا واجعلوا حول الحصن ألف قصر عند كل قصر ألف علم ويكون فى كل قصر من تلك القصور وزير من وزرائى ويكون كل علم منها عليه ناطور فرجعوا وعملوا تلك القصور والاعلام والحصن ثم انهم أتوه فأخبروه بالفراغ مما أمرهم به قال فأمر ألف وزير من خاصته أن يهيئوا أسبابهم ويعملوا على النقلة الى ارم ذات العماد وأمر رجالا أن يسكنوا تلك الاعلام وان يقيموا فيها ليلهم ونهارهم وأمر لهم بالعطاء والارزاق وأمر الملك من أراد من نسائه وخدمه ان يتجهزوا الى ارم ذات العماد فأقاموا فى جهازهم عشرين سنة ثم سار الملك بمن أراد الى أرض أيمن وخلف من قومه أكثر مما سار به فلما استقل وسار اليها ليسكنها وبلغ منها موضعا وبقى بينه وبين دخولها مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليه وعلى كل من كان معه صيحة من السماء فأهلكتهم جميعا ولم يبق أحد منهم ولم يدخل شداد ولا من كان معه ارم ذات العماد ولم يقدر أحد منهم على الدخول فيها حتى الساعة فهذه صفة ارم ذات العماد وانه سيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك هذا ويرى ما فيها فيحدث بما عاين ولا يصدق فقال له معاوية يا أبا اسحق هل تصفه لنا قال نعم هو رجل أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج فى طلب ابل له فى تلك الصحارى فيقع على ارم ذات العماد فيدخلها ويحمل مما فيها وكان الرجل جالسا عند معاوية فالتفت كعب فرأى الرجل فقال هو ذاك الرجل يا أمير المؤمنين قد دخلها فاسأله عما حدثت به فقال معاوية يا أبا اسحق ان هذا من خدمى ولم يفارقنى قال قد دخلها والا سوف يدخلها وسيدخلها أهل هذا الدين فى آخر الزمان فقال معاوية يا أبا اسحق لقد فضلك الله على غيرك من العلماء ولقد أعطيت من علم الاولين والآخرين مالم يعطه أحد فقال يا أمير المؤمنين والذى نفس كعب بيده ما خلق الله فى الارض شيأ الا وقد فسره فى التوراة لعبده موسى عليه السلام تفسيرا وان هذا القرآن أشد وعيدا وكفى بالله شهيدا ووكيلا (قال الشعبى) أخبرنا دغفل الشيبانى

عن رجل من حضرموت يقال له بسطام أنه وقع على حفيرة شداد بن عاد فى جبل من جبال حضرموت مطل على البحر قال كنت أسمع فى صباى الى أن انا كتهلت بمغارة فى جبل من جبالها وان الناس تهيب دخولها فلم أحفل بما كنت أسمع من ذلك فبينما أنا فى نادى قومى اذ أنشدوا حديث تلك المغارة واطنبوا فى ذكرها ووصفوا موضعها فقلت لقومى انى غير منته عن هذه المغارة حتى أدخلها فهل فيكم من يساعدنى فقال فتى منهم حديث السن أنا أصاحبك فقلت يا ابن أخى أتجسر على ذلك قال عندى ماعند رجل من شدة الجاش وقوة القلب فهيأنا شمعة وحملنا معنا أدوات عظيمة مملوءة ماء وطعاما مامقدار مايقوم بنا ونقدر على حمله ثم مضينا نحو ذلك الجبل الذى فيه المغارة وكان مشرفا على البحر فى المكان الذى يركب منه أهل حضرموت البحر فلما انتهينا الى باب تلك المغارة حزمنا علينا ثيابنا وأشعلنا الشمعة ثم ذكرنا الله تعالى ودخلناها ومعنا تلك الادوات من الماء والطعام فاذا مغارة عظيمة عرضها عشرون ذراعا وطولها لنحو خمسين ذراعا فمشينا فيها هوينا فى طريق أملس مستو ثم افضينا الى درج عادية عرض الدرجة عشرون ذراعا فى سمك عشرة أذرع فحملنا أنفسنا على نزول تلك الدرج فقلت لصاحبى هلم الى يدك فكنت آخذ بيده حتى ينزل فاذا نزل وقام فى الدرجة تعلقت بطرف الدرجة وتشبثت حتى يتناول رجلاى على منكبه فلم نزل كذلك وذلك دأبنا عامة يومنا حتى نزلناها وكانت مقدار مائة درجة فافضينا الى أزج عظيم محفور فى الجبل فى طول مائة ذراع وعرض أربعين ذراعا وسمكه فى السماء قدر مائة ذراع وفى صدره سرير من ذهب منضد بصنوف الجواهر وفوقه رجل عادى عظيم الجسم قد أخذ طول ذلك الازج وعرضه وهو مضطجع على ظهره كهيئة النائم وعليه سبعون حلة بمقدار طوله وعرضه منسوجة تلك الحلل بقضبان الذهب والفضة واذا ذلك الازج يضئ من ثقب عرضه ذراعان وارتفاعه ثلاثة أذرع خارجا الى فضاء لم يدر ماهو واذا على رأس السرير لوح من ذهب عظيم فيه كتابة مالها مثل وهى كتابة كاتب عاد كتبها فى زمانه محفورة تلك الكتابة فى اللوح حفرا فاطلعنا ودنونا من ذلك الرجل ومسسنا تلك الحلل فصارت رميما وبقيت قضبان الذهب قائمة فجمعناها فكانت مقدار مائة رطل فجعلناها فى أزرنا وأرديتنا وأردنا قلع شئ من تلك الجواهر المنضد بها السرير فلم نقدر عليها لوثاقتها فتركناها وهجم علينا الليل ونحن فى ذلك الازج وعرفنا ذهاب النهار بذهاب ذلك الضوء الذى كان يدخل من ذلك الثقب فبتنا ليلتنا فى ذلك الازج وطفئت الشمعة التى كانت معنا فلما أصبحنا قلت لصاحبى ماترى قال أما الرجوع من حيث جئنا فلا سبيل اليه لارتفاع هذه الدرج وانا لانستطيع صعودها لاسيما والشمعة قد طفئت ولكن هلم بنا نلازم هذا الضوء الذى نراه فى هذا

الثقب

الثقب فانى أرجوان نخرج منه الى الفضاء ان شاء الله تعالى فقلت له لعمرى ان هذا لهو الرأى فنهضنا بما معنا من تلك القضبان التى من الذهب وحملنا معنا ذلك اللوح الذى كان عند رأس السرير وسرنا من ذلك الثقب فلم نزل نمشى فى طريق ضيق مقدار مائة ذراع حتى خرجنا منه الى كهف فى ذلك الجبل كهيئة الحائط وقد حف بذلك الكهف البحر فجلسنا على باب ذلك الثقب ثلاثة أيام بلياليها نتموّن ببقية الماء والطعام الذى كان معنا فلما كان اليوم الرابع نظرنا الى مركب قد أقبل فى البحر فلوحنا اليه فنظر الينا أهله فارسلوا الينا القارب فنزلنا من باب ذلك الثقب نزولا شاقا حتى وثبنا الى القارب فلما خرجنا من البحر اقتسمنا ذلك الذهب بيننا وصار ذلك اللوح الىّ بقسطى ثم ان أنفسنا دعتنا الى العود الى ذلك السرب مما يلى الثقب فركبنا قاربا وسرنا فى البحر نحو المكان الذى خرجنا منه فخفى علينا مكانه فعلمنا أنا لم نرزق منه الا ما أخذنا فرجعنا وان اللوح مكث عندى حولا لا أجد أحدا يقرؤه لى حتى أتانا رجل من أهل صنعاء حميرى كان يحسن قراءة تلك الكتابة فأخرجنا اليه اللوح فقرأه فاذا فيه مكتوب هذه الابيات

اعتبر بى أيها المغرور بالعمر المديد
أنا شداد بن عاد ❊ صاحب الحصن العميد
وأخو القوّة والبأ ❊ ساء والملك الحشيد
دان أهل الارض طرا ❊ لى من خوف وعيد
وملكت الشرق والغر ❊ ب بسلطان شديد
وبفضل الملك والعدّة فيه والعديد
جاءنا هود وكنا ❊ فى ضلال قبل هود
فدعانا لو قبلنا ❊ كان بالامر الرشيد
فعصيناه وناديـ ❊ ـنا ألا هل من محيد
فأتتنا صيحة تهوى من الافق البعيد
فتوافينا كزرع ❊ وسط بيداء حصيد

(قال دغفل) سألت علماء حمير عن شداد وقلت انه أصيب وقد كان دنا من ارم ذات العماد فكيف وجد فى تلك المغارة وهى بحضرموت فقالوا انه لما هلك هو ومن معه من الصيحة على مرحلة من تلك المدينة ملك من بعده مزيد بن شداد وقد كان أبوه خلفه على ملكه بحضرموت فأمر بحمل أبيه الى حضرموت فحمل مطليا بالصبر والكافور ثم أمر بحفر تلك المغارة فحفرت واستودعه فيها على ذلك السرير الذى من الذهب والله أعلم

﴿ مجلس فى ذكر قصة أصحاب الرس ﴾

قال الله تعالى وعادا وثمود وأصحاب الرس اختلف العلماء أهل التفسير وأصحاب

الاقاصيص فيهم فقال سعيد بن جبير والكلبي والخليل بن أحمد دخل كلام بعضهم في بعض وكل أخبر بطائفة من حديث أصحاب الرس ان أصحاب الرس بقية ثمود وقوم صالح وهم أصحاب البئر التي ذكرها الله تعالى في كتابه في قوله تعالى وبئر معطلة وقصر مشيد وكانوا بفلج اليمامة نزولا على تلك البئر وكل ركية لم تطو بالحجارة والآجر فهي رس وكان لهم نبي يقال له حنظلة بن صفوان وكان بارضهم جبل يقال له فتح مصعدا في السماء ميلا وكانت العنقاء تبيت به وهي كأعظم مايكون من الطير وفيها من كل لون وسموها العنقاء لطول عنقها وكانت في ذلك الجبل تنقض على الطير فتأكلها فجاعت ذات يوم وأعوزها الطير فانقضت على صبي فذهبت به فسميت عنقاء مغرب لانها تغرب بما تأخذه ثم انقضت على جارية حين ترعرعت فأخذتها فضمتها الى جناحين لها صغيرين سوى الجناحين الكبيرين فشكوا ذلك الى نبيهم فقال اللهم خذها واقطع نسلها وسلط عليها آية تذهب بها فأصابتها صاعقة فاحترقت فلم ير لها أثر بعد ذلك فضربت بها العرب مثلا في اشعارها وحكمها وأمثالها ثم ان أصحاب الرس قتلوا نبيهم فأهلكهم الله تعالى وقال بعض العلماء بلغني انه كان رسان أما احدهما فكان أهله أهل بدو وعمود وأصحاب غنم ومواش فبعث الله اليهم نبيا فقتلوه ثم بعث اليهم رسولا آخر وعضده بولي فقتلوا الرسول وجاهدهم الولي حتى أفحمهم وكانوا يقولون الهنا في البحر وكانوا على شفيره وكان يخرج اليهم من البحر شيطان في كل شهر خرجة فيذبحون عنده ويتخذونه عيدا فقال لهم الولي ارأيتم ان خرج الهكم الذي تدعونه وتعبدونه الي وأطاعني أتجيبونني الى مادعوتكم اليه قالوا بلى فأعطوه على ذلك العهود والمواثيق فانتظر حتى خرج ذلك الشيطان على صورة حوت راكبا أربعة أحوات وله عنق مستعلية على رأسه مثل التاج فلما نظروا اليه خروا له سجدا فخرج الولي اليه وقال له ائتني طوعا أوكرها بسم الله الكريم فنزل عند ذلك من على احوته فقال له الولي ائتني راكبا عليهن لئلا يكون القوم في أمرهم على شك فأتى الحوت وأتت به الحيتان حتى أفضوا به الى البرية يجرونه ويجرهن فلما رأوا ذلك سخروا به وكذبوه ونقضوا العهود فبعث الله اليهم ريحا فالقتهم في البحر ومواشيهم جميعا وما كانوا يملكون من ذهب وفضة وآنية فأتى الولي الصالح الى البحر وأخذ الذهب والفضة والاواني فقسمها على أصحابه بالسوية حتى الصغير والكبير وانقطع ذلك النسل (وأما الآخر) فانهم قوم كان لهم نهر يدعى الرس ينسبون اليه وكان فيهم أنبياء كثيرة لايقوم فيهم نبي الا قتلوه وذلك النهر بمنقطع اذربيجان بينها وبين ارمينية فاذا قطعته مدبرا دخلت في حد ارمينية واذا قطعته مقبلا دخلت في حد اذربيجان وكان من حولهم من أهل ارمينية يعبدون الاوثان

ومن قدامهم من أهل أذربيجان يعبدون النيران وهم كانوا يعبدون الجوارى
العذارى فاذا تمت لاحداهن ثلاثون سنة قتلوها واستبدلوا غيرها وكان عرض
نهرهم ثلاثة فراسخ وكان يرتفع فى كل يوم وليلة حتى يبلغ انصاف الجبال التى حوله
وكان لا ينصب فى بحر ولا بر فاذا خرج من حدهم يقف و يدور ثم يرجع اليهم فبعث
الله تعالى اليهم ثلاثين نبيا فى شهر واحد فقتلوهم جميعا فبعث الله تعالى اليهم نبيا
وأيده بنصره وبعث معه وليا فجاهدهم فى الله حق جهاده ثم بعث اليه ميكائيل
حين نابذوه وكان فى أوان وقوع الحب فى الارض وكانوا عند ذلك أحوج مايكونون
الى الماء فحفر نهرهم فى البحر وانصب ما فى أسفله وأتى الى عيونه من فوق فسدها
وبعث الله اليه خمسمائة من الملائكة اعوانا له فغرفوا مابقى فى وسط نهرهم ثم أمر
الله جبريل فنزل فلم يدع فى أرضهم عينا ولا نهرا الا أيبسه باذن الله تعالى وأمر ملك
الموت فانطلق الى المواشى فاماتها دفعة واحدة وأمر الرياح الاربع الجنوب
والشمال والدبور والصبا فضمت ماكان لهم من متاع وألقى الله تعالى عليهم
السبات ثم خفقت الرياح الاربع بذلك المتاع أجمع فرمته فى رؤس الجبال وبطون
الاودية وأما ما كان من حلى وتبر وآنية فان الله تعالى أمر الارض فابتلعته فاصبحوا
لا شاة عندهم ولا بقرة ولا مال يعودون اليه ولا ماء يشربون ولا طعاما يأكلون فآمن
بالله عند ذلك قليل منهم وهداهم الله الى غار فى جبل له طريق من خلفه فنجوا وكانوا
أحدا وعشرين رجلا وأربع نسوة وصبيين وكان عدة الباقى من الرجال والنساء
والذرارى ستمائة ألف ماتوا عطشا وجوعا ولم يبق منهم باقية ثم عاد القوم الى منازلهم
فوجدوها قد صار أعلاها أسفلها فدعا القوم عند ذلك مخلصين أن يجيئهم بماء وزرع
وماشية ويجعله قليلا لئلا يطغوا فأجابهم الله تعالى الى ذلك لما علم من صدق نياتهم
واخلاصهم وقالوا انه لا يبعث الله رسولا الى من يليهم ويقاربهم الا أعانوه وصدقوه
وعضدوه فعلم الله منهم الصدق فأطلق لهم نهرهم وزادهم على ماسألوه فأقام أولئك
القوم فى طاعة الله ظاهرا وباطنا حتى مضوا وانقرضوا فحدث من بعدهم من نسلهم
قوم أطاعوا الله فى الظاهر ونافقوه فى الباطن وأملى الله تعالى لهم وكان عليهم قادرا
وكانت معاصيهم أكثر من طاعتهم وخالفوا أولياء الله فبعث الله عليهم من فارقهم
وخالفهم فأسرع فيهم القتل وبقيت منهم شرذمة فسلط الله عليهم الطاعون فلم يبق
منهم أحد وبقى نهرهم ومنازلهم ومافيها مائتى عام لا يسكنها أحد ثم أتى الله بقوم بعد
ذلك فنزلوها وكانوا صالحين فأقاموا فيها مائتين سنة ثم أحدثوا فاحشة فجعل الرجل
يدعو ابنته وأخته وزوجته فيبيت معها جاره وأخاه أو صديقه يلتمس بذلك البر
والصلة ثم ارتفعوا من ذلك الى نوع آخر ترك الرجال النساء حتى شبقن واستغنى الرجال

بالرجال فجاءت للنساء شيطانة في صورة امرأة وهي الدلهان بنت ابليس وهي أخت
الشيطان وكانا في بيضة واحدة فشهت للنساء ركوب بعضهن بعضا وعلمتهن كيف
يصنعن فأصل ركوب النساء بعضهن بعضا من الدلهان فلسط الله تعالى على هؤلاء
القوم صاعقة في أول ليلهم وخسفا في آخره وصيحة مع الشمس فلم يبق منهم باقية
وبادت منازلهم ولا أحسب منازلهم اليوم مسكونة (وروى) على بن الحسين زين
العابدين عن أبيه عن جده على بن أبي طالب رضوان الله عليهم ان رجلا من اشراف
بني تميم يقال له عمر أتاه فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن أصحاب الرس وفي أي عصر
كانوا وأين كانت منازلهم ومن كان ملكهم وهل بعث الله اليهم رسولا أم لا وبماذا
أهلكوا فاني أجد في كتاب الله عز وجل ذكرهم ولا أجد خبرهم فقال له أمير
المؤمنين على رضي الله عنه لقد سألتني عن حديث ما سألني عنه أحد قبلك ولا
يحدثك به أحد بعدي كان من قصتهم يا تميمي انهم كانوا قوما يعبدون شجرة صنوبر
يقال لها شاب درخت وكان يافث بن نوح غرسها على شفير عين يقال لها دوسان كانت
انبعت لنوح عليه السلام بعد الطوفان وانما سموا أصحاب الرس لانهم رسوا نبيهم في
الارض وذلك قبل سليمان بن داود عليهما السلام وكان لهم اثنتا عشرة قرية على
شاطئ نهر يقال له الرس من بلاد المشرق وبهم سمي ذلك النهر ولم يكن يومئذ في الارض
نهر أغزر منه ولا أعذب منه ولا قرى أكثر سكانا وعمرانا منها وكان أعظم منازلهم
اسفندياو هي التي كانت ينزلها ملكهم وكان يسمى تركون بن عابور بن نوش بن
سارب بن النمرود بن كنعان فرعون ابراهيم عليه السلام وفيها العين التي يسقون منها
الصنوبرة التي كانوا يعبدونها وقد غرسوا في كل قرية منها حبة من طلع تلك الصنوبرة
فتنبت تلك الحبة وتصير شجرة عظيمة ثم حرموا ماء تلك العين والانهار فلا يشربون منه
لاهم ولا أنعامهم ومن فعل ذلك قتلوه ويقولون هي حياة آلهتنا فلا ينبغي لاحد أن
ينقص من حياتها ويشربون هم وأنعامهم من نهر الرس الذي عليه قراهم وقد جعلوا
في كل شهر من السنة في كل قرية عيدا يجتمع اليه أهلها ويضربون على تلك الشجر
مظلة من الحرير فيها أصناف الصور ثم يأتون بشياه وبقر فيذبحونها قربانا للشجر
ويشعلون فيها النيران بالحطب الكثير فاذا سطع دخان تلك الذبائح وقتارها وبخاره
في الهواء وحال بينهم وبين النظر للسماء خروا سجدا للشجرة يبكون ويتضرعون اليه
أن ترضى عنهم وكان الشيطان يجيء فيحرك أغصانها ويصيح في ساقها صياح الصبي
عبادي قد رضيت عنكم فطيبوا نفسا وقروا عينا فيرفعون عند ذلك رؤسهم ويشربون
الخمر ويضربون المعازف فيكونون على ذلك يومهم وليلتهم ثم ينصرفون حتى اذا كان عيد
قريتهم العظمى اجتمع اليه صغيرهم وكبيرهم فيضربون عند شجرة الصنوبر والعين

سرادقا من ديباج وعليه أنواع الصور له اثنا عشر بابا كل باب لأهل قرية منهم فيسجدون للصنوبرة من خارج السرادق ويقربون اليها الذبائح أضعاف ما قربوا للشجرة التى فى قراهم فيجىء ابليس عند ذلك فيحرك الصنوبرة تحريكا شديدا ويتكلم من جوفها كلاما جهوريا يعدهم ويمنيهم بأكثر مما وعدتهم الشياطين جميعا فيرفعون رؤسهم من السجود وبهم من الفرح والسرور ما لا يفيقون ولا يتكلمون معه فيديمون الشرب والمعازف ويكونون على ذلك اثنى عشر يوما وليلة بعدد أعيادهم فى السنة ثم انهم ينصرفون فلما طال كفرهم بالله تعالى وعبادتهم غيره بعث الله اليهم نبيا من بنى اسرائيل من ولد يهوذا ابن يعقوب فلبث فيهم زمانا طويلا يدعوهم الى الله تعالى ويعرفهم بربوبيته فلا يتبعونه ولا يسمعون مقالته فلما رأى شدة ما هم فيه من الغى والضلالة وتركهم قبول ما دعاهم اليه من الرشد والصلاح حضر عند قريتهم العظمى وقال يارب ان عبادك أبوا تصديقى ودعوتى اليهم وما أرادوا الا التكذيب والكفر بك ثم غدوا يعبدون شجرة لا تنفع ولا تضر فأيبس شجرهم أجمع وأرهم قدرتك وسلطانك فأصبح القوم وقد يبس شجرهم كله فهالهم ذلك وخضعوا فصاروا فرقتين فرقة قالوا سحر هذا الرجل الذى زعم انه رسول رب السماء آلهتكم ليصرف وجوهكم عنها الى الهه وفرقة قالت بل غضبت عليكم آلهتكم حين رأت هذا الرجل يعيبها ويقع فيها ويدعوكم الى عبادة غيرها فحجبت حسنها وبهاءها وجمالها لكى تغضبوا لها فتنتصروا منه فأجمعوا أمرهم على قتله فاتخذوا أمثال بيت واتخذوا أنابيب طوالا من رصاص واسعة الافواه ثم انهم أرسلوها الى قرار العين واحدة فوق الاخرى مثل البرابخ ونزحوا ما فيها من الماء ثم حفروا فى قعرها بئرا ضيقة العين عميقة فرسوا فيها نبيهم وألقوا على فيها صخرة عظيمة ثم أخرجوا الانابيب من الماء وقالوا الآن نرجوان ترضى عنا آلهتنا اذا رأت انا قتلنا من كان يقع فيها ويصد عن عبادتها وانا دفناه تحت كبيرها يتشفى فيه فيعود لها نورها ونضرتها كما كان فبقوا على ذلك عامة يومهم ويسمعون أنين نبيهم وهو يقول سيدى ومولاى ترى ضيق مكانى وشدة كربى فارحم ضعف ركنى وقلة حيلتى وعجل قبض روحى ولا تؤخر اجابة دعوتى حتى مات عليه السلام فقال الله تعالى لجبريل عليه السلام انظر عبادى هؤلاء الذين غرهم حلمى وأمنوا مكرى وعبدوا غيرى وقتلوا رسلى وأنا المنتقم ممن عصانى ولم يخش عقابى وانى حلفت بعزتى لاجعلنهم عبرة ونكالا للعالمين فبينما هم فى عيدهم اذ غشيتهم ريح عاصف حمراء فتحيروا فيها وذعروا منها وتضام بعضهم الى بعض ثم ان الارض صارت من تحتهم كحجر كبريت تتوقد واظلتهم سحابة سوداء فألقت عليهم جمرا كالقبة يلتهب فأذاب أبدانهم كما يذوب الرصاص فى النار فنعوذ بالله من غضبه

ودرك نقمته انه هو السميع العليم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والله أعلم

﴿مجلس في ذكر قصة نبي الله أيوب وبلائه عليه السلام﴾

قال الله تعالى واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه الآية وقال تعالى وأيوب اذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين (قال) وهب وكعب وغيرهما من أهل الكتب كان أيوب رجلا من الروم وكان رجلا طويلا عظيم الرأس جعد الشعر حسن العينين والخلق قصير العنق غليظ الساقين والساعدين وكان مكتوبا على جبهته المبتلى الصابر وهو أيوب بن أموص بن تارخ بن روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وكانت أمه من ولد لوط بن هاران وكان الله قد اصطفاه ونبأه وبسط عليه الدنيا وكان له الثنية من أرض الشأم كلها سهلها وجبلها وما كان فيها وكان له من أصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحمير ما لا يكون لرجل أفضل منه في العدة والكثرة وكان له بها خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال ويحمل آلة كل فدان أتان ولكل أتان ولد من الاثنين الى فوق الخمسة وكان الله أعطاه أهلا وولدا من رجال ونساء وكان امرأ تقيا رحيما بالمساكين يكفل الارامل والايتام ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكرا لانعم الله تعالى مؤديا لحقه قد امتنع من عدو الله ابليس أن يصيب منه ما أصاب من أهل الغنى من الغرة والغفلة والتشاغل والسهو عن امر الله تعالى بما هو فيه من الدنيا وكان معه ثلاثة قد آمنوا به وصدقوه وعرفوا فضله رجل من أهل اليمن يقال له اليفن ورجلان من أهل بلاده يقال لاحدهما مالك وللآخر ظافر وكانوا كهولا (قال وهب) ان جبريل عليه السلام بين يدي الله مقاما ليس لاحد من الملائكة مثله في القربة والفضيلة وان جبريل هو الذي يتلقى الكلام فاذا ذكر الله تعالى عبدا بخير تلقاه جبريل ثم ميكائيل ثم من حوله من الملائكة المقربين والحافين من حول العرش فاذا شاع ذلك في الملائكة المقربين صارت الصلاة على ذلك العبد من أهل السموات فاذا صلت عليه ملائكة السموات هبط عليه بالصلاة الى ملائكة الارض وكان ابليس لا يحجب عن شئ من السموات وكان يقف فيهن حيثما أراد ومن هناك وصل الى آدم حين أخرجه من الجنة فلم يزل على ذلك يصعد الى السماء حتى رفع الله تعالى عيسى عليه السلام فحجب عن أربع وكان يقعد في ثلاث فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حجب عن الثلاثة الباقية فهو وجنوده محجوبون عن جميع السموات الى يوم القيامة الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين قال فسمع ابليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه فادركه البغي والحسد وصعد سريعا حتى

صعد فى السماء موقفا كان يقفه فقال يا الهى نظرت فى أمر عبدك أيوب فوجدته
عبداً أنعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك ثم لم تختبره لا بشدة ولا ببلاء وأنا لك زعيم
لئن ضربته ببلاء ليكفرن بك ولينسينك فقال الله تعالى انطلق اليه فقد سلطتك على
ماله فانقض عدوّ الله حتى بلغ الارض ثم جمع عفاريت الشياطين وعظماءهم فقال
لهم ماذا عندكم من القوة والمعرفة فانى قد سلطت على مال أيوب وزوال المال هى
المصيبة الفادحة والفتنة التى لا تصبر عليها الرجال فقال عفريت من الشياطين
أعطيت من القوة مالو شئت تحولت اعصارا من نار فاحرقت كل شئ آتى عليه فقال
له ابليس فأت الابل فاحرقها ورعاتها فانطلق يؤم الابل وذلك حين وضعت رؤسها
وثبتت فى مراعيها فما تشعر الناس حتى ثارت من تحت الارض اعصار من نار تنفخ
فيها رياح السموم لا يدنو منها أحد الا احترق فلم يزل يحرقها ورعاتها حتى أتى على
آخرها فلما فرغ منها تمثل ابليس على قعود منها فى صفة راعيها ثم انطلق يؤم أيوب حتى
وجده قائما يصلى فقال له يا أيوب قال لبيك فقال هل تدرى ما الذى صنع ربك الذى
اخترته وعبدته بابلك ورعاتها فقال أيوب انها ماله أعارنيها وهو أولى بها ان شاء تركها
وان شاء أخذها وقد تحققت وطيبت النفس أنى ومالى للفناء والزوال فقال له
ابليس فان ربك أرسل اليها نارا من السماء فاحترقت كلها وبقى الناس مبهوتين
وقوفا عليها يتعجبون منها فمنهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيأ وما كان الا فى غرور
ومنهم من يقول لو كان اله أيوب يقدر على أن يصنع شيأ لمنع وليه من حريق مواشيه
ومنهم من يقول بل هو الذى فعل ما فعل فشمت به عدوه وفجع به صديقه فقال أيوب
الحمد لله الذى أعطانى وحيث شاء نزع منى عريانا خرجت من بطن أمى وعريانا أعود
الى القبر وعريانا أحشر الى ربى ليس ينبغى لك أن تفرح حين أعارك الله وتجزع حين
قبض عاريته فهو أولى بك وبما أعطاك ولو علم الله فيك أيها العبد خيرا لنقل روحك
مع تلك الارواح وصيرك شهيدا مع الشهداء ولكنه علم فيك شرا فأخرك وخلصك
من البلاء كما يخلص الزوان من القمح الخالص فرجع ابليس الى أصحابه خائبا ذليلا
وقال لهم ماذا عندكم من القوة انى لم أكلم قلبه فقال عفريت من عظمائهم عندى من
القوة مالو شئت صحت صوتا لا يسمعه ذو روح الا خرجت مهجة نفسه فقال له ابليس
فأت الغنم ورعاتها فانطلق يؤم الغنم ورعاتها حتى اذا توسطها صاح صوتا ماتت منه
الغنم جميعا وماتت رعاتها ثم ان ابليس خرج متمثلا بقهرمان الرعاة حتى جاء الى أيوب
وهو قائم يصلى فقال له مثل قوله الاوّل ورد عليه أيوب مثل ما قال فى النوبة الاولى
ثم ان ابليس رجع الى أصحابه فقال ماذا عندكم من القوة فانى لم أكلم قلب أيوب فقال
عفريت من عظمائهم عندى من القوة ماذا شئت تحولت ريحا عاصفا تنسف كل شئ

تأتي عليه حتى لا يبقى منه شئ فقال له ابليس فأت الفدادين والحرث فانطلق يؤمهم
حتى قرب من الفدادين واستوى فى الحرث وأولادهم رتوع فلم يشعروا حتى هبت
ريح عاصف فنسفت كل شئ من ذلك حتى كانه لم يكن ثم ان ابليس خرج متمثلا بقهرمان
الحرث حتى جاء الى أيوب وهو قائم يصلى فقال له مثل قوله الاول فأجابه أيوب بمثل
جوابه الاول فجعل ابليس يصيب ماله الاول فالاول حتى أتى على آخره (قال)
وأيوب كلما انتهى اليه هلاك مال من ماله حمد الله وأحسن الثناء عليه ورضى بالقضاء
ووطن نفسه بالصبر على البلاء حتى ما بقى له مال فلما رأى ابليس أنه قد افنى ماله
ولم ينل منه شيأ ولا نجح فى شئ من أفعاله شق عليه ذلك وصعد سريعا ووقف الموقف
الذى كان يقفه وقال الهى ان أيوب يرى انك مهما متعته من نفسه وولده فأنت
معطيه المال فهل أنت مسلطى على ولده فانها الفتنة المضلة والمصيبة التى لا تقوم
لها قلوب الرجال ولا يقوى عليها صبرهم فقال الله تعالى له انطلق فقد سلطتك على
ولده فانقض عدو الله حتى جاء بنى نبى الله أيوب وهم فى قصرهم فلم يزل يزلزله حتى
تداعى القصر من قواعده ثم جعل يناطح بجدره بعضها بعضا فرماهم بالخشب والجندل
حتى مثل بهم كل مثلة ثم رفع بهم القصر وقلبه فصاروا منكسين ثم ان ابليس انطلق
الى أيوب متمثلا بالمعلم الذى كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الرأس والوجه
يسيل دمه من دماغه فاخبره بذلك وقال له يا أيوب لو رأيت بنيك كيف عذبوا وكيف
قلب بهم القصر وكيف نكسوا على رؤسهم تسيل دماؤهم وأدمغتهم من أنوفهم
وشفاههم ولو رأيت كيف شقت بطونهم فتناثرت أمعاؤهم لتقطع قلبك فلم يزل يقول
هذا ويردد حتى رق أيوب عليه وبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه
فاغتنم ابليس الفرصة منه لذلك فصعد سريعا بالذى كان من جزع أيوب مسرورا ثم
لم يلبث أيوب ان ابصر فاستغفر وشكر فصعد قرناؤه من الملائكة باستغفاره وتوبته
فبدروا ابليس وسبقوه الى الله والله أعلم بما كان فوقف ابليس خاسئا ذليلا فقال
يا الهى انما هون على أيوب خطر المال والولد أنه يرى انك مهما متعته بنفسه فانت تعيد
له المال والولد فهل أنت مسلطى على نفسه وبدنه فانى لك زعيم لئن ابتليته فى
جسده لينسينك وليكفرن بك وليجحدن نعمتك فقال الله تعالى انطلق فقد سلطتك
على جميع جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه وقلبه ولا على عقله وكان والله
أعلم به أنه لم يسلطه عليه الا رحمة ليعظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكرى
للعابدين فى كل بلاء نزل بهم ليتأسوا به فى الصبر ورجاء الثواب فانقض عدو الله سريعا
فوجد أيوب ساجدا فقبل أن يرفع رأسه أتاه من قبل الارض فى موضع وجهه ونفخ فى
منخريه نفخة اشتعل منها جسده فذهل وخرج به من فرقه الى قدمه ثآليل مثل أليات

الغنم ووقعت فيه حكة لا يملكها ولا يتماسك عن حكها فحك بأظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها ثم بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل يحكها حتى نزل لحمه وتقطع وتغير وأنتن فاخرجته أهل القرية فجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشا فرفضه خلق الله كلهم غير امرأته رحمة بنت افرايم بن يوسف بن يعقوب عليهم السلام وكانت تختلف اليه بما تصلحه وتكرمه فلما رأى أصحابه الثلاثة ما ابتلاه الله به اتهموه ورفضوه من غير أن يتركوا دينه فلما طال به البلاء انطلقوا اليه وهو فى بلائه فبكتوه ولاموه وقالوا له تب الى الله من الذنب الذى عوقبت به (قال) وكان حضر معهم فتى حديث السن وكان قد آمن به وصدقه فقال انكم تكلمتم أيها الكهول وكنتم أحق بالكلام لاسنانكم ولكنكم قد تركتم من القول أحسن من الذى قلتم ومن الرأى أصوب من الذى رأيتم ومن الامر أجمل من الذى أتيتم وقد كان لايوب عليكم من الحق والذمام افضل من الذى وصفتم فهل تدرون أيها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ومن الرجل الذى عبتم واتهمتم ألم تعلموا ان أيوب نبى الله وحبيبه وخيرته وصفوته من أهل الارض فى يومكم هذا ثم انكم لم تعلموا ولا أطلعكم الله تعالى على انه سخط شيأ من امره منذ آتاه ما آتاه الى يومكم هذا ولا علمتم انه نزع منه شيأ من الكرامة التى اكرمه الله بها ولا ان ايوب غير الحق فى طول ما صحبتموه الى يومكم هذا فان كان البلاء هو الذى أزرى به عندكم ووضعه فى انفسكم فقد علمتم ان الله تعالى يبتلى النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ثم ان بلاءهم ليس دليلا على سخطه عليهم ولا هوانهم عليه ولكنه كرامة وخيرة لهم ولو كان أيوب ليس هو من الله بهذه المنزلة الا أنكم آخيتموه على وجه الصحبة لكان لا يجمل بالحكيم أن يعذل أخاه عند البلاء ولا يعيره بالمصيبة ولا يعيبه بما لا يعلم وهو مكروب حزين ولكنه يرحمه ويبكى معه ويستغفر الله له ويحزن لحزنه ويدله على رشد أمره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا فالله الله أيها الكهول فقد كان لكم فى عظم الله وجلاله وذكر الموت ما يقطع ألسنتكم ويكسر قلوبكم ألم تعلموا ان لله عبادا اسكتتهم خشيته من غير عى ولا بكم وانهم لهم الفصحاء النبلاء البلغاء الالباء العالمون بالله وآياته ولكنهم اذا ذكروا عظمة الله انقطعت ألسنتهم واقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم اعظاما لله تعالى واعزازا واجلالا فاذا استفاقوا استبقوا الى الله تعالى بالاعمال الزاكية الصالحة يعدون أنفسهم مع الخاطئين الظالمين وانهم برآء ويعدون أنفسهم مع المفرطين المقصرين وانهم لاكياس أقوياء ولكنهم لا يستكثرون لله الكثير ولا يرضون له بالقليل ولا يدلون عليه بالاعمال فهم مروعون مفزعون خاشعون مستكينون فقال أيوب ان الله تعالى

يزرع الحكمة بالرحمة فى قلب المؤمن الكبير والصغير فتى نبتت فى القلب أظهرها
الله تعالى على اللسان وليس تكون الحكمة من قبل السن والشيب ولا طول التجربة
فاذا جعل الله العبد حكيما فى الصبا لم تسقط منزلته عند الحكماء وهم يرون من الله
تعالى عليه نور الكرامة ثم ان أيوب أقبل على الثلاثة وقال أتيتمونى غضابا رهبتم قبل
أن تسترهبوا وبكيتم قبل أن تضربوا كيف بكم لو قلت لكم تصدقوا عنى بأموالكم لعل
الله يخلصنى وقربوا عنى قربانا لعل الله يتقبلها ويرضى عنى وانكم قد أعجبتكم أنفسكم
وظننتم انكم قد عوفيتم باحسانكم فهنالك بغيتم وتعززتم ولو نظرتم فيما بينكم وبين
ربكم ثم صدقتم لوجدتم لكم عيوبا سترها الله عليكم بالعافية التى ألبسكم اياها وقد كنت
فيما خلا الرجال توقرنى وأنا مسموع كلامى معروف حقى منتصف من خصمى
فأصبحت اليوم وليس لى رأى ولا كلام معكم فانتم اليوم أشد على من مصيبتى ثم انه
أعرض عنهم وأقبل على ربه مستغيثا متضرعا اليه فقال رب لاى شئ خلقتنى ليتنى
اذ كرهتنى ما خلقتنى يا ليتنى كنت حيضة ألقتنى أمى أوليتنى قد عرفت الذنب الذى
أذنبت والعمل الذى عملت فصرفت وجهك الكريم عنى لو كنت أمتنى وألحقتنى
بآبائى فالموت كان أجمل لى يا الهى ألم أكن للغريب دارا وللمسكين قرارا ولليتيم وليا
وللارملة قيما الهى أنا عبد ذليل ان أحسنت فالمنة لك وان أسأت فبيدك عقوبتى
جعلتنى للبلاء غرضا وللفتنة نصبا لقد وقع على بلاء لو سلطته على جبل لضعف عن
حمله فكيف يحمله ضعفى الهى تقطعت أصابعى فانى لا أرفع الاكلة من الطعام
الا بيدى جميعا فما يبلغان فى الا على الجهد منى الهى تساقطت لهواتى ولحم رأسى فما
بين أذنى من سداد بل احداهما ترى من الاخرى وان دماغى ليسيل من فى الهى
تساقط شعر عينى كانما أحرق بالنار وجهى وحدقتاى متدليتان على خدى وورم
لسانى حتى ملأ فى فما أدخل فيه طعاما الا غصنى وورمت شفتاى حتى غطت
العليا أنفى والسفلى ذقنى وتقطعت امعائى فى بطنى وانى لادخل الطعام فيخرج
كما دخل ما أحسه ولا ينفعنى وذهبت قوة رجلى فكأنهما قد يبستا ولا أطيق
حملهما وذهب المال فصرت اسأل بكفى ويطعمنى من كنت اعوله اللقمة الواحدة فيمن
بها على ويعيرنى الهى هلك أولادى ولو بقى واحد منهم أعاننى على بلائى ونفعنى
قد ملنى أهلى وعقنى أرحامى وتنكرت لى معارفى ورغب عنى صديقى وقطعنى أصحابى
وجحدت حقوقى ونسيت صنائعى أصرخ فلا يصرخوننى وأعتذر فلا يعذروننى دعوت
غلامى فلم يجبنى وتضرعت لأمتى فلم ترحمنى وان قضاءك هو الذى أذلنى وأدنانى
وأهاننى وأقمانى وان سلطانك هو الذى أسقمنى وأنحل جسمى ولو ان ربى نزع الهيبة
التى فى صدرى فاطلق لسانى لاتكلم بملء فى ولو كان ينبغى للعبد أن يحاج عن

نفسه لرجوت أن يعافيني عند ذلك مما بي ولكنه ألقاني وتخلى عني فهو يراني ولا أراه
ويسمعني ولا أسمعه ولا نظر إلي فرحمني ولا دنا مني ولا أدناني فأتكلم ببراءتي وأخاصم
عن نفسي فلما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده أظلته غمامة حتى ظن أصحابه انه عذاب
ثم نودي يا أيوب ان الله تعالى يقول لك ها أنا قد دنوت منك فلم أزل منك قريبا فقم
فادل بعذرك وتكلم ببراءتك وخاصم عن نفسك واشدد عليك أزارك وقم مقام
جبار فانه لا ينبغي أن يخاصمني الا جبار مثلي ولا ينبغي أن يخاصمني الا من يجعل
الزمام في فم الاسد والسخال في فم العنقاء واللجم في فم التنين ويكيل مكيالا من
النور ويزن مثقالا من الريح ويصر صرة من الشمس ويرد أمس لقد منتك نفسك
أمرا ما يبلغ بمثل قوتك ولو كنت اذ منتك نفسك ذلك ودعتك اليه تذكرت أي
مرام رامت بك أأردت ان تكاثرني بضعفك أم أردت أن تخاصمني بغيك أم أردت
أن تحاجني بخطئك أين كنت مني يوم خلقت الارض فوضعتها على أساسها هل
علمت بأي مقدار قدرتها أم كنت معي تمر بأطرافها أم تعلم ما بعد زواياها أم على
أي شئ وضعت أكنافها أبطاعتك حمل الماء الارض أم بحكمتك كانت الارض على
الماء غطاء أين كنت مني يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا معاليق تمسكها ولا
تحملها دعائم من تحتها هل يبلغ من حكمتك ان تجري وتسير نجومها أم هل بأمرك
يختلف ليلها ونهارها أين كنت مني يوم سجرت البحار وأنبعت الانهار أقدرتك
حبست أمواج البحار على حدودها أم قدرتك فتحت الارحام حين بلغت مدتها أين
أنت مني يوم صببت الماء على التراب ونصبت شوامخ الجبال هل لك أن تطيق حملها
أم كنت تدري كم مثقال ما فيها أين الماء الذي أنزلته من السماء هل تدري كم بلدة
أهلكتها وكم من قطرة أحصيتها وقسمت الارزاق أم قدرتك تثير السحاب وتنثر
الماء هل تدري ما أصوات الرعد أم من أي شئ لهب البرق وهل رأيت عمق البحر
أم هل تدري ما بعد الهواء أم هل تدري أين خزانة النهار بالليل وأين طريق النور وبأي
لغة تتكلم الاشجار وأين خزانة الريح وأين جبال البرد أم هل تدري من جعل العقول
في أجواف الرجال ومن شق الاسماع والابصار ومن ذلت الملائكة لملكه ومن
قهر الجبارين بجبروته وقسم أرزاق الدواب والعباد بحكمته ومن قسم للاسد أرزاقها
وعرف الطير معاشها وعطفها على أفراخها ومن أعتق الوحوش من الخدمة
وجعل مساكنها البرية لا تأنس بالاصوات ولا تهاب السلاطين أبحكمتك عطفت
عليها أمهاتها حتى أخرجت لها طعاما من أجوافها وآثرتها بالعيش على نفوسها أم
بحكمتك يبصر العقاب الصيد البعيد واضحا في أماكن الفلا أين أنت يوم خلقت
البهموت مكانه في منقطع التراب واللوتيا يحملان الجبال والقرى والعمران أنيابهما

كأنهما شجر الصنوبر الطوال ورؤسهما كأنها الجبال وعروق أفخاذهما كأنها عمد النحاس أنت ملأت جلودهما لحما أم أنت ملأت رؤسهما دماغا هل لك في خلقهما من شرك أم لك بالقوة التى عملتهما يدان أم هل يبلغ من قوتك ان تضع يديك على رؤسهما أم تقعد على طريق فتحبسهما أو تصدهما عن قوتهما أين أنت يوم خلقت التنين ورزقه في البحر ومسكنه في السماء وعيناه توقدان نارا ومنخراه يثوران دخانا أذناه مثل قوس السحاب يثور منهما لهب كأنه اعصار العجاج جوفه يحرق ونفسه يلتهب وزبده جمر كأمثال الصخور وكأن ضرب أسنانه أصوات الصواعق وكأن نظر عينيه لمع البرق تمر به الجيوش وهو متكئ لا يفزعه شئ ليس فيه مفصل زبر الحديد عنده مثل التبن والنحاس عنده مثل الخيوط لا يفزع من النشاب ولا يحس وقع الصخور على جسده يطير في الهواء كأنه عصفور ويهلك كل شئ يمر به هل أنت آخذه باحبولتك وواضع اللجام في شدقه هل تحصى عمره أم هل تعرف أجله أم تعرف رزقه أم هل تدرى ماذا خرب من الارض وماذا يخرب فيما بقى من عمره أم هل تطيق غضبه حين يغضب أم تأمره فيطيعك تبارك الله أحسن الخالقين فقال أيوب عليه السلام قصرت عن هذا الامر الذى ورد على ليت الارض انشقت لى فذهبت ولم أتكلم بشئ يسخط ربى حين اجتمع على البلاء الهى قد جعلتنى لك مثل العدو وقد كنت تعرفنى وتعرف نصحى وقد علمت ان كل الذى ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك وأعظم من هذا الوشئت عملت أن لا يعجزك شئ ولا تخفى عليك خافية ولا تغيب عنك غائبة من هذا الذى يظن أن يسر عنك سرا وأنت تعلم ما يخطر على القلوب وقد علمت منك في بلائى هذا ما لم أكن اعلم وخفت ان يكون أمرا كثيرا مما كنت أخاف انما كنت أسمع بصوتك فاما الآن فهو نظر العين انما تكلمت حين تكلمت لتعذرنى وسكت حين سكت لترحمنى كلمة زلت عن لسانى فلن أعود وقد وضعت يدى على فى وعضضت على لسانى وألصقت بالتراب خدى ودسست فيه وجهى لصغارى وسكت حين أسكتتنى خطيئتى فاغفر لى ما قلت فلن أعود لشئ تكرهه منى فقال الله تعالى يا أيوب نفذ فيك حكمى وسبقت رحمتى غضبى اذ أخطأت فقد غفرت لك ما قلت ورحمتك ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آية وتكون عبرة لاهل البلاء وعزاء للصابرين فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاء وقرب عن أصحابك قربانا واستغفر لهم فانهم قد عصونى فيك فركض برجله فانفجرت له عين فدخل فيها فاغتسل فاذهب الله عنه ما كان فيه من البلاء ثم انه خرج وجلس فأقبلت امرأته فقامت تلتمسه في مضجعه فلم تجده فقامت متكدرة كالوالهة فمرت به فقالت يا عبد الله هل لك علم بالرجل المبتلى الذى كان ههنا

فقال

فقال لها وهل تعرفينه اذا رأتيه فقالت نعم وكيف لا أعرفه فتبسم وقال ها أنا هو فعرفته لما تخلك فاعتنقته (قال) ابن عباس والذى نفسى بيده ما فارقته من عناقه حتى مر بهما كل ما كان لهما من المال والولد وذلك قوله تعالى وأيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الضر الآية واختلف العلماء فى وقت ندائه ومدة بلائه والسبب الذى قال لاجله مسنى الضر (حدثنا) الامام أبو الحسين محمد بن على بن سهل املاء فى شهر ربيع الاول سنة أربع وثمانين وثلثمائة أخبرنا أبو طالب عمر بن الربيع بن سليمان الخشاب بمصر أخبرنا يحيى بن أيوب العلاف أخبرنا سعيد بن أبى مريم أخبرنا نافع بن يزيد عن عقيل عن ابن شهاب عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نبى الله أيوب لبث فى بلائه ثمانى عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد الا رجلين من اخوانه كانا يغدوان اليه ويروحان فقال أحدهما لصاحبه والله لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين فقال له صاحبه وما أدراك قال منذ ثمانى عشرة سنة له فى البلاء لم يرحمه الله ويكشف ما به فلما راحا الى أيوب لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك فقال أيوب ما أدرى ما تقولان غير ان الله تعالى يعلم انى كنت امر بالرجلين يتنازعان فيذكران الله تعالى فأرجع الى بيتى فأنكفى عنهما كراهة أن يذكر الله تعالى الا فى حق قال وكان يخرج لحاجته فاذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم ابطأ عليها وذلك ان الله تعالى أوحى الى أيوب فى مكانه أن اركض برجلك الآية فاستبطأته فذهبت لتنظر ما شأنه فأقبل عليها وقد أذهب الله تعالى عنه ما أصابه من البلاء وهو أحسن ما كان فلما رأته قالت له هل رأيت نبى الله المبتلى فقال انى أنا هو وكان له أندران أندر للقمح وأندر للشعير فبعث الله تعالى سحابتين فلما كانت احداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وافرغت الاخرى فى أندر الشعير الورق حتى فاض (ويروى) ان الله تعالى أمطر عليه جرادا من ذهب فجعل يحثوا منها فى ثوبه فناداه يا أيوب ألم أغنك عما ترى قال بلى يارب ولكن لا غنى لى عن فضلك ورزقك ورحمتك ومن يشبع من نعمتك (وقال الحسن) كان أيوب عليه السلام مطروحا على كناسة فى مزبلة لبنى اسرائيل سبع سنين وأشهرا تختلف فيه الدواب (وقال) وهب لم يكن بأيوب أكلة وانما كان يخرج منه مثل ثدى النساء ثم يتفقأ قال الحسن ولم يبق له مال ولا ولد ولا صديق ولا أحد يقربه غير رحمة امرأته صبرت معه تخدمه وتاتيه بطعام وتحمد الله معه اذا حمده وأيوب على ما به لا يفتر عن ذكر الله تعالى والثناء عليه والصبر على ما ابتلاه الله فصرخ عدو الله ابليس صرخة جمع بها جنوده من أقطار الارض جزعا من صبر أيوب فلما اجتمعوا عليه قالوا له ما حاجتك قال لهم أعيانى هذا العبد سألت ربى أن يسلطنى على ماله وولده فلم أدع له

مالا ولا ولدا فلم يزده ذلك الا صبرا وثناء على الله ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقى على كناسة لا يقربه الا امرأته وقد افتضحت من ربي فاستعنت بكم لتعينوني عليه فقالوا له أين مكرك أين علمك الذي أهلكت به من مضى قال بطل ذلك كله في أيوب فأشيروا علي قالوا نشير عليك بما أتيت به آدم حين أخرجته من الجنة من أين أتيته قال من قبل امرأته قالوا فشأنك بأيوب من قبل امرأته فانه لا يستطيع أن يعصيها وليس أحد يقربه غيرها قال أصبتم فانطلق حتى أتى امرأته وهي تطلب الصدقة فتمثل لها في صورة رجل فقال أين بعلك يا أمة الله فقالت هو ذاك يحك قروحه وتتردد الدواب في جسده فلما سمع منها طمع أن تكون كلمة جزع فوسوس لها وذكرها ما كانت فيه من النعيم والمال وذكرها جمال أيوب وشبابه وما هو فيه اليوم من الضرر وأن ذلك لا ينقطع عنه أبدا قال الحسن فصرخت فلما صرخت علم أنها قد جزعت فأتاها بسخلة وقال لها ليذبح أيوب هذه لي ويبرأ قال فجاءت تصرخ وقالت يا أيوب الى متى يعذبك ربك ولا يرحمك أين المال أين الماشية أين الولد أين الصديق أين لونك الحسن قد تغير وصار مثل الرماد وأين جسمك الحسن قد بلي وهو يتردد فيه الدواب اذبح هذه السخلة واسترح فقال لها أيوب أتاك عدو الله فنفخ فيك فأجبته ويلك أرأيت ما تبكين عليه مما كنا فيه من المال والولد والصحة من أنعم به علينا قالت الله قال فكم متعنا به قالت ثمانين سنة قال فمنذ كم ابتلانا الله بهذا البلاء قالت منذ سبع سنين قال ويلك والله ما عدلت ولا انصفت ربك ألا صبرت في هذا البلاء الذي ابتلانا به ربنا ثمانين سنة كما كنا في الرخاء والله لئن شفاني الله لأجلدنك مائة جلدة كما أمرتيني أن أذبح لغير الله تعالى وطعامك وشرابك الذي تأتينني به علي حرام لا أذوق مما تأتينني به شيئا بعد أن قلت هذا فاعزبي عني لا أراك فطردها فذهبت فلما رأى أيوب امرأته وقد طردها وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر لله ساجدا وقال رب مسني الضر ثم رد الامر الى ربه وسلم فقال وأنت أرحم الراحمين فقيل له ارفع رأسك فقد استجيب لك اركض برجلك الآية فركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل فلم يبق من دائه شئ ظاهر الا سقط أثره وأذهب الله منه كل ألم وداء وكل سقم وعاد اليه شبابه وجماله أحسن مما كان وأفضل مما مضى ثم انه ضرب برجله فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج فقام صحيحا وكسي حلة قال فجعل يلتفت يمينا وشمالا فلا يرى شيأ مما كان له من أهل وولد ومال الا وقد ضاعفه الله تعالى فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امرأته قالت أرأيت ان كان قد طردني الى من أكله أدعه حتى يموت جوعا وعطشا ويضيع فتأكله السباع فوالله لارجعن اليه فرجعت فلم تر الكناسة ولا الحال التي

كانت تعهدها وقد تغيرت الامور فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وأيوب ينظرها قال وهابت صاحب الحلة أن تاتيه فتسأله فأرسل اليها أيوب فدعاها وقال لها ماتريدين يا أمة الله فبكت وقالت أريد ذلك المبتلى الذي كان منبوذا على هذه الكناسة لا أدري أضاع أم ماذا فعل به فقال أيوب عليه السلام ما كان منك فبكت وقالت بعلي فهل رأيته فقال وهل تعرفينه اذا رأيته قالت وهل يخفى علي ثم انها جعلت تنظر اليه وهي تهابه وقالت أما انه كان أشبه خلق الله بك اذ كان صحيحا قال فانا أيوب أمرتيني أن أذبح لابليس فاني أطعت الله وعصيت الشيطان فردعلي ماترين (وقال كعب) كان أيوب في بلائه سبع سنين وقال وهب لبث في ذلك البلاء ثلاث سنين لم يزد يوما واحدا فلما غلب أيوب ابليس لعنه الله ولم يستطع له على شئ اعترض امرأته على هيئة ليست كهيئة بني آدم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس له عظم وبهاء وجمال فقال لها أنت صاحبة أيوب المبتلى قالت نعم قال فهل تعرفينني قالت لا قال أنا اله الارض وأنا الذي صنعت بصاحبك ماصنعت وذلك انه عبد اله السماء وتركني واغضبني ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليكما ما كان لكما من مال وولد فانهم عندي ثم أراها اياهم في بطن الوادي الذي لقيها فيه (قال وهب) وقد سمعت أنه قال لها لوأن صاحبك أكل طعاما لم يسم عليه لعوفي مما هو فيه من البلاء والله أعلم وأراد عدو الله أن يأتيه من قبلها ورأيت في بعض الكتب ان ابليس قال لرحمة وان شئت اسجدي لي سجدة واحدة حتى أرد عليك الاولاد والمال وأعافي زوجك فرجعت الى أيوب فأخبرته بما قال لها وما أراد فقال لقد أراد عدو الله أن يفتنك عن دينك ثم ان أيوب اقسم ان عافاه الله ليضربنها مائة جلدة فقال عند ذلك مسني الضر من طمع ابليس في سجود حرمتي له ودعائه اياها واياي الى الكفر قالوا ثم ان الله تعالى رحم رحمة امرأة أيوب بصبرها معه على البلاء وخفف عنها وأراد أن يبر يمين أيوب فأمره أن يأخذ جماعة من الشجر مبلغ مائة قضيب خفافا لطافا فيضربها ضربة واحدة كما قال تعالى وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث الآية وقد كانت امرأة أيوب تتكسب وتعمل للناس وتجيئه بقوته فلما طال عليها البلاء وسئمها الناس فلم يستعملها أحد التمست يوما من الايام ما تطعمه فما وجدت شيأ فجزت قرنا من رأسها فباعته برغيف وأتته به فقال لها أين قرنك فأخبرته فقال عند ذلك مسني الضر وقيل انما قال ذلك حين قصدت الدود قلبه ولسانه فخشي أن يعيا عن الذكر والفكر وقيل انما قال ذلك حين وقعت الدودة من فخذه فأخذها وردها الى موضعها وقال لها كلي فقد جعلني الله طعامك فعضته عضة زاد ألمه على جميع ما قاسى من عض الديدان وقال عبد الله

ابن عمر كان لأيوب أخوان فأتياه فقاما من بعيد لا يقدران على الدنو منه من نتن ريحه فقال أحدهما لصاحبه لو كان الله علم في أيوب خيرا ما ابتلاه بما ترى قال فما سمع أيوب شيأ كان اشد عليه من تلك الكلمة وما جزع من شئ أصابه جزعه من تلك الكلمة فعند ذلك قال مسني الضر ثم قال اللهم ان كنت تعلم اني لم أبت ليلة شبعانا قط وأنا أعلم بمكان جائع فصدقني فصدقه وهما يسمعان ثم قال اللهم ان كنت تعلم اني لم أتخذ قميصا قط وأنا اعلم بمكان عريان فصدقني فصدقه وهما يسمعان فخر لله ساجدا وقيل معناه مسني الضر من شماتة الأعداء يدل عليه ما روى انه قيل له بعد ما عوفي ما كان أشد عليك في بلائك فقال شماتة الاعداء وأنشد بعضهم في معناه

كل المصائب قد تمر على الفتى ❊ فتهون غير شماتة الحساد
ان المصائب تنقضي أيامها ❊ وشماتة الاعداء بالمرصاد

(وقال الجنيد) في هذه الآية عرفه فاقة السؤال ليمن عليه بكرم النوال وذلك قوله تعالى فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله الآية واختلف العلماء في كيفية ذلك فقال قوم لما ابتلى الله أيوب في الدنيا مثل له أهله فاما الذين هلكوا فانهم لم يردوا عليه في الدنيا وانما وعد الله أيوب ان يؤتيه اياهم في الآخرة وقال وهب كان له سبع بنات وثلاث بنين وقال آخرون بل ردهم الله تعالى اليه باعيانهم وأعطاه اهله ومثلهم معهم وهذا قول ابن مسعود وابن عباس وقتادة وكعب قالوا أحياهم الله تعالى وآتاه مثلهم وهذا القول اشبه بظاهر الآية وذكر ان عمر أيوب كان ثلاثا وتسعين سنة وانه أوصى عند موته الى ابنه حومل وان الله بعث بعده بشر بن أيوب نبيا وسماه ذا الكفل وأمره بالدعاء الى توحيده وانه كان مقيما بالشأم طول عمره حتى مات وكان مبلغ عمره خمسا وتسعين سنة وان بشرا أوصى الى ابنه عبدان وان الله تعالى بعث بعده شعيبا عليه السلام والله أعلم

❊مجلس في قصة ذي الكفل عليه السلام❊

هذا المجلس يأتي بعد في آخر الكتاب بعد قصة اليسع وما كتب ههنا زيادة في المجلس المذكور (روى) الاعمش عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحرث ان نبيا من الانبياء قال من يكفل لي أن يقوم الليل و يصوم النهار ولا يغضب فقام شاب فقال أنا فقال له اجلس ثم انه أعاد مثل قوله الاول فقام ذلك الشاب فقال أنا فقال له اجلس ثم انه أعاد قوله ثالثا فقال الشاب أنا فقال له تقوم الليل وتصوم النهار ولا تغضب قال نعم فمات ذلك النبي فجلس ذلك الشاب مكانه يقضي بين الناس فكان لا يغضب فجاءه الشيطان في صورة انسان ليغضبه وهو صائم يريد أن يفطر فضرب الباب ضربا شديدا فقال من هذا فقال رجل له حاجة فأرسل اليه رجلا فقال لا أرضى بهذا الرجل فارسل معه آخر فقال لا أرضى فخرج اليه فأخذ بيده وانطلق معه حتى اذا كان في السوق

خلاه وذهب فسمى ذا الكفل وقال بعضهم ذو الكفل بشر بن أيوب الصابر بعثه الله بعد أبيه رسولا الى أرض الروم فآمنوا به وصدقوه واتبعوه ثم ان الله تعالى أمرهم بالجهاد فكفوا عن ذلك وضعفوا وقالوا يا بشر انا قوم نحب الحياة ونكره الممات ومع ذلك نكره أن نعصى الله تعالى ورسوله فلو سألت الله أن يطيل أعمارنا ولا يميتنا الا اذا شئنا لنعبده ونجاهد أعداءه فقال لهم بشر لقد سألتمونى عظيما وكلفتمونى شططا ثم انه قام وصلى ودعا وقال الهى أمرتنى بتبليغ الرسالة فبلغتها وأمرتنى أن اجاهد اعداءك وأنت تعلم انى لا أملك الا نفسى وان قومى قد سألونى فى ذلك ما أنت أعلم به منى فلا تؤاخذنى بجريرة غيرى فانا أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك قال فأوحى الله تعالى اليه يا بشر انى سمعت مقالة قومك وانى قد أعطيتهم ما سألونى طولت أعمارهم فلا يموتون الا اذا شاؤا فكن كفيلا لهم منى بذلك فبلغهم بشر رسالة الله وأخبرهم بما أوحى الله اليه وتكفل لهم بذلك كما أمر الله تعالى فسمى ذا الكفل ثم انهم توالدوا وكثروا ونموا حتى ضاقت عليهم بلادهم وتنغصت معيشتهم وتأذوا بكثرتهم فسألوا بشرا أن يدعو الله أن يردهم الى آجالهم فأوحى الله تعالى الى بشر أما علم قومك ان اختيارى لهم خير من اختيارهم لانفسهم ثم انهم ردوا الى أعمارهم فماتوا بآجالهم قال فلذلك كثرت الروم حتى يقال ان الدنيا درهم خمسة أسداسها للروم وسموا روما لانهم نسبوا الى جدهم روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم عليه السلام قال وهب وكان بشر بن أيوب المسمى ذا الكفل مقيما بالشام حتى مات وكان عمره خمسا وتسعين سنة والله أعلم

﴿ مجلس فى ذكر قصة شعيب النبى عليه السلام ﴾

قال الله تعالى والى مدين أخاهم شعيبا الآية اختلف العلماء فى نسب شعيب فقال أهل التوراة هو شعيب بن صيفون بن عيفا بن نابت بن مدين بن ابراهيم وقال محمد بن اسحق هو شعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين بن ابراهيم واسمه بالسريانية يثرون وأمه ميكيل ابنة لوط وكان شعيب عليه السلام اعمى فذلك قوله تعالى اخبارا عن قومه انا لنراك فينا ضعيفا أى ضريرا وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وان الله تعالى بعثه نبيا الى أهل مدين وهم أصحاب الايكة والايكة الشجر الملتف وقال قتادة بعثه الله تعالى الى أمتين أهل مدين وأصحاب الايكة قالوا وكان قوم شعيب أهل كفر بالله وبخس للناس وتطفيف فى المكاييل والموازين وكان الله قد وسع لهم فى الرزق وبسط لهم فى العيش استدراجا منه لهم فقال لهم شعيب يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان الآية ونظيرها فى الاعراف فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم الآية وذلك انهم كانوا

يجلسون على الطريق فيخبرون من قصد شعيبا ليؤمن به انه كذاب فلا يفتننك عن دينك وكانو يتوعدون المؤمنين بالقتل ويخوفونهم قال السدى وأبو روق كانوا عشارين وقال عبد الله بن زيد كانوا يقطعون الطريق وقال النبى صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة اسرى بى خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب احد الا شقته ولا شئ الا خرقته فقلت ماهذا يا جبريل فقال هذا مثل اقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه ثم تلا ولا تقعدوا بكل صراط توعدون الآية وكان من قول شعيب وجواب قومه اياه ماذكره الله تعالى فى سورة الاعراف وسورة هود وسورة الشعراء (قال المفسرون) وكان مما نهاهم عنه شعيب وعذبوا لاجله قطع الدنانير وذلك قوله تعالى قالوا ياشعيب أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا الى قوله الحليم الرشيد أى السفيه الغاوى وهو على الضد كما يقال للحبشى أبو البيضاء وكقوله تعالى ذق انك أنت العزيز الكريم قال ابن عباس رضى الله عنهما كان شعيب كثير الصلاة فلما كثر فسادهم وقل صلاحهم دعا عليهم فقال ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين فأجاب الله تعالى دعاءه فيهم فاهلكهم بالرجفة وهى الزلزلة عن الكلبى ويقال بالصيحة وبعذاب الظلة قال ابن عباس وغيره وهى ان الله تعالى فتح عليهم بابا من أبواب جهنم فأرسل عليهم بردا وحرا شديدا فأخذ بانفاسهم فدخلوا فى أجواف البيوت فلم ينفعهم ظل ولا ماء فانضجهم الحر فخرجوا هاربا الى البرية فبعث الله عليهم سحابة فاظلتهم فوجدوا لها بردا وجاءت ريح طيبة فنادى بعضهم بعضا فلما اجتمعوا تحت السحابة ألهبها الله عليهم نارا ورجفت الارض بهم فاحترقوا كما يحترق الجراد فى المقلى فصاروا رمادا وذلك قوله تعالى فاصبحوا فى دارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها وقال تعالى فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم قال ابن عباس بلغنى ان رجلا من أهل مدين يقال له عمرو بن جلهم لما رأى الظلة فيها العذاب اقشعر جلده وقال

يا قوم ان شعيبا مرسل فذروا ❁ عنكم شميرا وعمران بن شداد
انى أرى غيمة يا قوم قد طلعت ❁ تدعو بصوت على حنانة الوادى
فانه لن يرى فيها ضحاء غد ❁ الا الرقيم يمشى بين انجاد

وشمير وعمران كاهنان لهم والرقيم كلب لهم قال أبو عبد الله البجلى أبو جاد وحطى وهوز وكلمن وسعفص وقرشت اسماء ملوكهم وكان ملكهم يوم الظلة فى زمن شعيب كلمن فقالت اخت كلمن تبكيه حين هلك

كلمن أهدد ركنى ❁ هلكه وسط المحله
سيد القوم أتاه الـ ❁ ـحتف نارا وسط ظله
جعلت نارا عليهم ❁ دارهم كالمضمحله

قال الله تعالى الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين أي لهم الهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة

(مجلس في ذكر صفي الله ونجيه موسى بن عمران عليه السلام وهو يشتمل على أبواب)

﴿الباب الاول في ذكر نسب موسى عليه السلام﴾

قال الله تعالى واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وهو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب عليه السلام قال أهل العلم بأخبار الاولين وسير الماضين ولد ليعقوب لاوي وقد مضى من عمره تسع وثمانون سنة ثم ان لاوي نكح نابتة بنت ماوي بن يشجب فولدت له غرسون ومرزي ومردي وقاهث ثم ان قاهث بعد ان مضى له من عمره ست وأربعون سنة نكح فاهي بنت ميين بن تنويل ابن الياس فولدت له يصهر بن قاهث فنكح يصهر بن قاهث سميت بنت يتادم بن بركيا بن يشعان بن ابراهيم فولدت له عمران وقد مضى له من عمره ستون سنة وكان عمر يصهر مائة وسبعا وأربعين سنة فنكح عمران بن يصهر نحيب بنت شمويل بن بركيا بن يشعان بن ابراهيم فولدت له هرون وموسى واختلف في اسم امهما فقال ابن اسحق نحيب وقيل ناجية وقيل يوخابيل وهو المشهور وكان عمر عمران مائة وسبعا وثلاثين سنة وولد له موسى عليه السلام وقد مضى من عمره سبعون سنة والله أعلم

﴿الباب الثاني في ذكر مولد موسى عليه السلام﴾

قال أهل التاريخ لما مات الريان بن الوليد فرعون مصر الاول صاحب يوسف عليه السلام وهو الذي ولى يوسف خزائن أرضه وأسلم على يده فلما مات ملك بعده قابوس ابن مصعب صاحب يوسف الثاني فدعاه يوسف الى الاسلام فأبى وكان جبارا وقبض الله يوسف في ملكه وطال ملكه ثم هلك وقام بالملك بعده أخوه أبو العباس بن الوليد بن مصعب بن الريان بن اراشة بن ثروان بن عمرو بن فاران بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وكان اعتى من قابوس واكبر وافجر وامتدت أيام ملكه وأقام بنو اسرائيل بعد وفاة يوسف عليه السلام وقد انتشروا وكثروا وهم تحت العمالقة وهم على بقايا من دينهم مما كان يوسف ويعقوب واسحق وابراهيم شرعوا فيه من الاسلام متمسكون به حتى كان فرعون موسى الذي بعثه الله اليه وقد ذكرنا اسمه ونسبه ولم يكن فيهم فرعون اعتى على الله ولا أعظم قولا ولا أقسى قلبا ولا أطول عمرا في ملكه ولا أسوأ ملكا لبني اسرائيل منه وكان يعذبهم ويستعبدهم فجعلهم خدما وخولا وصنفهم في أعماله فصنف يبنون وصنف يحرثون وصنف يتولون الاعمال القذرة ومن لم يكن اهلا للعمل فعليه الجزية كما قال الله تعالى يسومونكم سوء العذاب وقد استنكح فرعون منهم امرأة يقال لها آسية بنت مزاحم رضي الله عنها من خيار

النساء المعدودات ويقال هي آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد فرعون
يوسف الاول فأسلمت على يد موسى قال مقاتل لم يسلم من أهل مصر الا ثلاثة آسية
وحزقيل ومريم بنت تاموسى التي دلت موسى على قبر يوسف عليه السلام قالوا فعمر
فرعون فيهم وهم تحت يده عمرا طويلا يقال انه أربعمائة سنة يسومهم سوء العذاب
فلما أراد الله تعالى أن يفرج عنهم بعث موسى عليه السلام وكان بدء ذلك على ما ذكره
السدي عن رجاله أن فرعون رأى في منامه كأن نارا قد أقبلت من بيت المقدس حتى
اشتملت على بيوت مصر فأحرقتها وأحرقت القبط وتركت بني اسرائيل فدعا فرعون
الكهنة والسحرة والمعبرين والمنجمين فسألهم عن رؤياه فقالوا يولد في بني اسرائيل
غلام يسلبك الملك ويغلبك على سلطانك ويخرجك وقومك من أرضك ويبدل
دينك وقد أظلك زمانه الذي يولد فيه فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني اسرائيل
فجمع القوابل من النساء من أهل مملكته وقال لهن لا يسقط على أيديكن غلام من
بني اسرائيل الا قتلتنه ولا جارية الا تركتنها ووكل بهن وكلاء فكن يفعلن ذلك قال
مجاهد لقد بلغني انه كان يأمر بالقصب فيشق حتى يجعل أمثال الشفار ثم يصف بعضه
الى بعض ثم يؤتى بالحبالى من بني اسرائيل فيوقفن عليه فيحز أقدامهن حتى ان
المرأة منهن لتضع ولدها فيقع من بين رجليها فتظل تطؤه وتتقي به حد القصب عن
رجليها لما بلغ من جهدها وكان يقتل الغلمان الذين في وقته ويقتل من يولد بعدهم
ويعذب الحبالى حتى يضعن ما في بطونهن واسرع الموت في مشيخة بني اسرائيل فدخل
رؤس القبط على فرعون وقالوا له ان الموت قد وقع في مشايخ بني اسرائيل وأنت تذبح
صغارهم وتميت كبارهم فيوشك ان يقع العمل علينا فأمر فرعون بذبح الولدان سنة
وتركهم سنة فولد هرون في السنة التي لا يذبح فيها أحد فترك وولد موسى في
السنة التي يذبحون فيها قال فولدت هرون أمه علانية آمنة فلما كان في العام
الذي أمر فيه بقتل الولدان حملت بموسى فلما أرادت وضعه حزنت من شأنه
واشتد غمها فأوحى الله تعالى اليها ان أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه
في اليم الى قوله المرسلين فلما وضعته في خفية أرضعته ثم انها اتخذت له تابوتا وجعلت
مفتاح التابوت من داخل وجعلته فيه قال مقاتل وكان الذي صنع التابوت حزقيل
مؤمن آل فرعون وقيل انه كان من بردي فاتخذت أم موسى التابوت وجعلت فيه
قطنا محلوجا ووضعت فيه موسى وصرت رأسه ثم ألقته في النيل فلما فعلت ذلك وتوارى
عنها أتاها الشيطان فوسوس اليها فقالت في نفسها ماذا صنعت بابني لو ذبح عندي
لواريته وكفنته وكان أحب الي من أن ألقيه بيدي في البحر وادخله الى دواب البحر
ثم عصمها الله تعالى وانطلق الماء بموسى يرفعه الموج مرة ويخفضه أخرى حتى ادخله

بين الأشجار عند دار فرعون الى روضة هي مستقى جواري فرعون وكان بالقرب منها نهر كبير في دار فرعون داخل في بستانه فخرجت جواري فرعون يغتسلن ويستقين فوجدن التابوت فأخذنه وظنن ان فيه مالا فحملنه على حالته حتى ادخلنه الى آسية فلما فتحته رأت الغلام فالقى الله تعالى عليها محبة منه فرحمته آسية وأحبته حباشديدا فلما سمع الذباحون بأمره أقبلوا على آسية بشفارهم ليذبحوا الصبي فقالت آسية للذباحين انصرفوا فان هذا لا يزيد في بني اسرائيل فانا آتي فرعون واستوهبه اياه فان وهبه لي كنتم قد أحسنتم وان أمركم بذبحه فلا ألومكم ثم انها أتت به فرعون وقالت قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا فقال فرعون قرة عين لك أما انا فلا حاجة لي فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي يحلف به لو أقر فرعون أن يكون له قرة عين كما أقرت لهداه الله تعالى به كما هدى به امرأته ولكن الله تعالى حرمه ذلك قال فاراد أن يذبحه وقال اني أخاف ان يكون هذا من بني اسرائيل وأن يكون هذا الذي هلاكنا على يده وزوال ملكنا فلم تزل آسية تكلمه حتى وهبه لها فلما أمنت آسية ارادت ان تسميه باسم اقتضاه حاله فسمته موشى لانه وجد بين الماء والشجر وهو بلغة القبط مو الماء وشى الشجر فعرب فقيل موسى (أخبرنا) ابن فنجويه أخبرنا مخلد بن جعفر أخبرنا الحسن بن علوية أخبرنا اسمعيل بن عيسى أخبرنا ابن بشير أخبرني جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال ان بني اسرائيل لما كثروا واجتمع استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصي ووافق خيارهم أشرارهم ولم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوهم وساموهم سوء العذاب فذبحوا أبناءهم قال وقال أبو الياس قال وهب بلغني انه ذبح في طلب موسى سبعون ألف ولد قال اسحق عن ابن عباس ان أم موسى لما قاربت ولادتها وكانت قابلة من القوابل التي وكلهن فرعون بحبالى بني اسرائيل مصافية لام موسى فلما ضربها الطلق أرسلت اليها أم موسى فقالت نزل بي ما نزل فلينفعني حبك اياي فقالت لها نعم فعالجت قبالها فلما وقع موسى على الارض أضاء لها نور بين عيني موسى فارتعش كل مفصل منها ودخل حب موسى في قلبها ثم قالت لها ياهذه ما جئت اليك حين دعوتني الا في رأي قتل ولدك واخبار فرعون بذلك ولكن وجدت لابنك هذا حبا ما وجدت حب شئ مثله فاحتفظي بابنك فاني أراه هو عدونا فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فجاء الى بابها ليدخل على موسى فقالت اخته يا اماه هذا الحرس بالباب فطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع به خوفا على موسى فلفت موسى في خرقة والقته في التنور وهو مسجور وكان ذلك الهاما من الله تعالى لها لما أراد الله بعبده موسى فدخلوا فاذا التنور مسجور وأم موسى لم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فقالوا لها ما أدخل عليك

هذه القابلة قالت هى مصافية لى فدخلت على زائرة فخرجوا من عندها ورجع اليها عقلها فقالت أخت موسى اين الصبى قالت لا أدرى فسمعت بكاء الصبى فى التنور فانطلقت اليه فوجدته قد جعل الله تعالى عليه النار بردا وسلاما فاحتملته قال اسحاق بن بشر عن جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال ثم ان أم موسى لما رأت الحاح فرعون فى طلب الولدان خافت على ولدها فقذف الله فى نفسها أن تتخذ له تابوتا ثم تقذفه فى اليم وهو النيل فانطلقت الى رجل نجار من أهل مصر من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا صغيرا فقال لها النجار ما تصنعين بهذا التابوت فقالت ابن أخبأ فيه ابنا لى وكرهت ان تكذب قال ولم قالت أخشى كيد فرعون قال فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت انطلق النجار الى الذباحين ليخبرهم بأمرها فلما هم بالكلام أمسك الله لسانه فلم ينطق فجعل يشير بيده فلم تدر الامناء ما يقول فلما أعياهم أمره قال كبيرهم اضربوه فضربوه وأخرجوه فلما انتهى النجار الى موضعه رد الله عليه لسانه فتكلم فانطلق أيضا يريد الامناء فأتاهم ليخبرهم فأخذ الله تعالى بلسانه وبصره فلم ينطق الكلام ولم يبصر شيأ فضربوه وأخرجوه فوقع فى واد يهوى فيه حيران فأشهد الله تعالى عليه ان رد له لسانه وبصره ان لا يدل عليه وان يكون معه يحفظه حيثما كان فعلم الله منه الصدق فرد عليه لسانه وبصره فخر لله ساجدا وعلم ان ذلك من الله تعالى فآمن به وصدقه فانطلقت أم موسى به والقته فى البحر وذلك بعد ما أرضعته ثلاثة أشهر وكان لفرعون يومئذ بنت ولم يكن له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها اليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع لها الاطباء من مصر والسحرة فنظروا فى أمرها فقالوا له أيها الملك انا لانرى برأها الامن قبل البحر شئ يؤخذ منه شبه الانسان فيؤخذ من ريقه ويلطخ به برصها فتبرأ من ذلك وذلك فى يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا فى ساعة كذا وكذا حين تشرق الشمس فلما كان فى يوم الاثنين غدا فرعون الى مجلس كان له على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم وأقبلت بنت فرعون وجواريها حتى جلست على شاطئ النيل مع جواريها يتلاعبن وينضحن الماء على وجوههن فبينماهن على ذلك اذ أقبل النيل بالتابوت تضربه الامواج فقال فرعون ان هذا الشئ فى البحر قد تعلق بالشجر ائتونى به فابتدروه من كل جانب بالسفن حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا فدنت منه آسية فرأت فى جوف التابوت نورا لم يره غيرها للامر الذى أراد الله تعالى من اكرامها وهدايتها فعالجته ففتحت التابوت فاذا هى بصبى صغير فى مهده والنور بين عينيه وقد جعل الله رزقه فى ابهامه يمص منها لبنا فألقى الله تعالى محبة موسى فى قلبها وأحبه فرعون وعطف عليه وأقبلت بنت

فرعون

فرعون عليه فلما أخرجوه من التابوت عمدت بنت فرعون الى ما كان يسيل من
ريقه فلطخت به برصها فبرأت فقبلته وضمته الى صدرها فقالت الغواة من قوم فرعون
أيها الملك انا نظن ان المولود الذى تحذر منه من بنى اسرائيل هو هذا ارم به فى البحر أو
اقتله فهم فرعون بقتله فاستوهبته منه آسية فوهبه لها ثم انه قال سميه فقالت قد
سميته موسى لانه وجد بين الماء والشجرة لو انهم ان أم موسى قالت لاخته وكانت تسمى
مريم قصيه اى ابتغى أثره واطلبيه هل تسمعين له ذكرا أحى هو أم قد أهلكته دواب
البحر ونسيت وعد الله فبصرت به عن جنب أى عن بعد وهم لا يشعرون أنها أخته
وكانت آسية قد أرسلت الى من حولها من كل انثى بها لبن لتختار له ظئرا تربى موسى
فجعل كلما أخذته امرأة منهن لترضعه لم يقبل ثديها حتى أشفقت آسية ان
يمتنع من اللبن فيموت فأحزنها ذلك فأمرت به فأخرج الى السوق لتجتمع عليه
الناس ترجوان تصيب له ظئرا يقبلها ويأخذ ثديها ويرضع منها فلم يقبل
ثدى امرأة فذلك قوله عز وجل وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت
أخت موسى حين أعياهم أمره وأعيا الظؤرة هل أدلكم على أهل
بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فأخذوها وقالوا لها وما يدريك بنصحهم له ولعلك قد
عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله فقالت ما أعرفهم وانما نصحهم له وشفقتهم عليه
من أجل رغبتهم فى ظؤرة الملك ورجاء منفعته فتركوها فانطلقت الى امها فاخبرتها
بالخبر فأتت فلما وضعته على ثديها فى حجرها نزل اللبن من ثديها حتى ملأ جنبيه
فانطلق البشير الى آسية يبشرها أن قد وجدنا لابنك ظئرا فارسلت اليها فاتى بها فلما
رأت ما تصنع بها قالت لها امكثى عندى ترضعى ابنى هذا فانى لم أحب شيأ مثل حبه قط
فقالت لا أستطيع ان أدع بيتى وولدى فيضيعوا فان طابت نفسك ان تعطنيه
فاذهب به الى بيتى وولدى فيكون معى ولا آلوه الاخير افعلت والا فانى غير تاركة
بيتى وولدى وتذكرت أم موسى ما كان الله وعدها فتعاسرت على امرأة فرعون
وأيقنت ان الله سبحانه وتعالى منجز وعده فرجعت بابنها الى بيتها من وقتها ❁ وقيل
كانت غيبة موسى عن أمه ثلاثة أيام ثم رده الله اليها وذلك قوله عز وجل فرددناه
الى أمه كى تقر عينها ولا تحزن فلما جاءت أمه به الى بيتها كادت تقول هو ابنى فعصمها
الله عز وجل فذلك قوله تعالى ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون
من المؤمنين وأنبته الله نباتا حسنا وحفظه فلما ترعرع قالت آسية لام موسى أحب
أن ترينى ابنى فوعدتها يوما تريها اياه فيه فقالت آسية لخواصها وقهارمتها لا يبقى
منكن واحدة الا استقبلت ابنى بهدية وكرامة فانى باعثة بأمينة تحصى ما تصنع كل
قهرمانة منكن فلم تزل الهدايا والتحف تستقبله من وقت ان خرج من بيت امه الى ان

دخل على امرأة فرعون فلما أن دخل عليها أكرمته وفرحت به وأعجبها مارأت من حسن أثرها عليه ثم قالت لها انطلقي به الى فرعون ليكرمه فلما دخلت به على فرعون أخذه ووضعه في حجره فتناول موسى لحية فرعون حتى جذبها ونتف منها بعض شعرات وكان فرعون طويل اللحية ويقال انه لطم وجهه وفي بعض الروايات انه كان يلعب بين يدي فرعون وبيده قضيب صغير فضرب به على رأس فرعون فغضب غضبا شديدا وتطير منه وقال هذا عدوي المطلوب فارسل الى الذباحين ليذبحوه فبلغ ذلك امرأة فرعون فجاءت تسعى الى فرعون وقالت له مابدا لك في هذا الصبي الذي قد وهبته لي فاخبرها بما فعل موسى فقالت له انما هو صبي لايعقل وانما صنع هذا من صباه وانا أجعل فيه بيني وبينك أمرا تعرف به الحق وأضع له حليا من الذهب والياقوت وأضع له جمرا فان أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه وان أخذ الجمر علمت انه صبي ثم انها وضعت له طشتا فيه الذهب والياقوت وطشتا آخر فيه الجمر فمد موسى يده على انه يأخذ الجوهر ليقبض عليه فحول جبريل عليه السلام يده الى الجمر فقبض على جمرة ووضعها في فيه فجاءت على لسانه فاحرقته وذلك الذي قال في قوله تعالى واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي فقالت له آسية الاترى الى فعله وانه صبي لايعقل فكف عن قتله وصرف الله عنه ذلك السوء فلم يزل عزيزا مكرما في بيت فرعون وحببه الله اليه والى الناس كلهم حتى كان يحبه كل من يراه ويروى انه سئل ابليس هل أحببت أحدا من العالمين قال لا الا موسى بن عمران عليه السلام فقيل له وكيف ذلك فقال لان الله تعالى قال وألقيت عليك محبة مني فلم أتمالك أن أحببته

﴿ الباب الثالث في ذكر حلية موسى بن عمران وهرون عليهما السلام ﴾

قال كعب الأحبار كان هرون بن عمران نبي الله رجلا فصيح اللسان بين الكلام اذا تكلم تكلم بتؤدة وعلم وكان اطول من موسى وكان على رأسه شامة وعلى طرف لسانه أيضا شامة سوداء وكان موسى بن عمران رجلا آدم اللون جعدا طويلا كأنه من رجال ازدشنوأة وكان بلسان موسى عقدة وثقل وسرعة وعجلة وكان أيضا على طرف لسانه شامة سوداء

﴿ الباب الرابع في قصة قتله القبطي وخروجه من مصر وورود مدين ﴾

قال أهل التفسير لما بلغ موسى بن عمران أشده كان يركب مراكب فرعون ويلبس مايلبس فرعون وكان يدعى موسى بن فرعون وامتنع به عن بني اسرائيل كثير من الظلم والسخر التي كانت فيهم ولايعلم الناس ان ذلك الامن قبل الرضاعة قالوا فركب فرعون ذات يوم مركبا وليس عنده موسى فلما جاء موسى قيل له ان فرعون قد ركب فركب موسى في أثره وأدركه المقيل بارض يقال لها منف فدخلها نصف النهار وقد

أغلقت أسواقها وليس فى طرفها أحد وهى التى قال الله تعالى فيها ودخل المدينة
على حين غفلة من أهلها فبينما هو يمشى فى ناحية المدينة اذ هو برجلين يقتتلان
احدهما من بنى اسرائيل والآخر من آل فرعون كما قال الله تعالى فوجد فيها رجلين
يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه الآية والذى من شيعته يقال له السامرى
والذى من عدوه رجل من القبط كان خباز الفرعون واسمه فاتون وكان قد اشترى
حطبا للمطبخ فسخر السامرى ليحمله فامتنع السامرى فلما مر به موسى استغاثه
السامرى على القبطى فقال موسى للقبطى دعه فقال الخباز لموسى انما آخذ فى عمل
أبيك وأبى ان يخلى سبيله فغضب موسى فبطش به وخلص السامرى من يده فنازعه
القبطى فوكزه موسى فقتله وهو لا يريد قتله فذلك قوله تعالى فوكزه موسى فقضى
عليه قال موسى هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين ثم قال رب انى ظلمت نفسى
فاغفر لى فغفر له انه هو الغفور الرحيم * قال وهب أوحى الله الى موسى بن عمران وعزتى
وجلالى لو كانت النفس التى قتلت اقرت لى طرفة عين أنى اله خالق رازق لاذقتك
طعم العذاب وانما عفوت عنك لانها لم تقر لى ساعة واحدة أنى اله خالق رازق قالوا ولما
قتل موسى القبطى لم يرهما الا الله تعالى والاسرائيلى فلما قتله أصبح فى المدينة خائفا
يترقب الاخبار فأتوا فرعون وقالوا له ان بنى اسرائيل قد قتلوا رجلا من آل فرعون فخذ
لنا بحقنا ولا ترخص لهم فى ذلك فقال فرعون ائتونى بقاتله ومن يشهد عليه لانه
لا يستقيم أن يقضى بغير بينة ولا يثبت ملك على الاخذ بالظلم فاطلبوا ذلك فبينما هم
يطوفون لا يجدون بينة اذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الاسرائيلى يقاتل فرعونيا
فاستغاثه الاسرائيلى على قتال الفرعونى فصادف موسى وهو نادم على ما كان منه
بالامس فكره الذى رآه فغضب موسى فمد يده وهو يريد أن يبطش بالفرعونى وقال
للاسرائيلى انك لغوى مبين ففر الاسرائيلى من موسى وظن أنه يبطش به من أجل
أنه أغلظ عليه فى الكلام وكان غضبان فلما أقبل لنصره ومد يده ظن أنه يريد قتله
فقال له يا موسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس الآية وانما قال ذلك مخافة من
موسى وظن أن يكون موسى أراده ولم يكن أراده وانما أراد الفرعونى فتنازعا فذهب
الفرعونى فاخبرهم بما سمع من الاسرائيلى وذكر أن موسى هو الذى قتل الرجل
بالامس وهو المثل السائر العدو العاقل أحرى عليك من الصديق الاحمق وينشد فى
معناه

ان اللبيب اذا تزايد بغضه * أحرى عليك من الصديق الاحمق

قال فلما أخبر فرعون بذلك أرسل الذباحين وأمرهم بقتل موسى وقال لهم اطلبوه
فانه غلام لا يهتدى الى الطريق فطلب موسى فى ثنيات الطريق وكان موسى يسلك
الطريق الاعظم فجاءه رجل من شيعته من أقصى المدينة يقال له حزقيل وكان على

بقية من دين ابراهيم وكان أول من صدق بموسى وآمن به ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار صاحب يس وعلى بن أبي طالب كرم الله وجهه بالجنة وهو أفضلهم قال فجاء حزقيل مؤمن آل فرعون فأخبر موسى بما أمر به فرعون من قتله واختصر طريقا قريبا حتى سبق الذباحين اليه فأخبره الخبر فذلك قوله تعالى وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال ياموسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين فتحير موسى ولم يدر أين يذهب فجاءه ملك على فرس بيده عنزة فقال له اتبعني فاتبعه فهداه الطريق الى مدين * وروى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خرج موسى من مصر الى مدين وبينهما مسيرة ثمان ليال ويقال نحو من الكوفة الى البصرة فلم يكن له طعام الا ورق الشجر فما وصل اليها الا وقد وقع خف قدمه وان خضرة البقل لترى من بطنه

﴿ الباب الخامس فى دخول موسى مدين وتزويج شعيب ابنته اياه ﴾

قالت العلماء لما انتهى موسى الى أرض مدين فى ثمان ليال نزل فى أصل شجرة واذا تحتها بئر وهى التى قال الله تعالى ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان أى تحبسان أغنامهما فقال لهما ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء لانا امرأتان ضعيفتان لا نقدر على مزاحمة الرعاء فاذا سقوا مواشيهم سقينا أغنامنا من فضول حاجتهم ومايبقى من حياضهم وأبونا شيخ كبير تعنيان شعيبا * وروى حماد بن سلمة عن أبي حمزة عن ابن عباس قال اسم أبي امرأة موسى الذى استأجره ثبرون صاحب مدين ابن أخى شعيب النبي عليه السلام واسم احدى الجاريتين ليا ويقال حنونا والاخرى صفورا وهى امرأة موسى عليه السلام فلما قالتا ذلك لموسى رحمهما وكان هناك بئر على رأسها صخرة عظيمة وكان النفر من الرجال يجتمعون اليها حتى يرفعوها عن رأسها وحكى الاستاذ أبو سعيد عبد الملك بن أبي عثمان الواعظ أن تلك البئر غير البئر التى تسقى منها الرعاء قال وقد حضرتها ورأيتها قال فرفع موسى الصخرة عن رأسها وأخذ دلوهما وقال لهما قدما غنمكما فسقى لهما أغنامهما حتى أرواها فرجعتا الى أبيهما سريعا قبل الناس وتولى موسى الى الظل ظل الشجرة وقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير قال ابن عباس لقد قال ذلك موسى ولو شاء انسان أن ينظر الى خضرة أمعائه من شدة الجوع لنظرها وما سأل الله تعالى الا أكلة وقال أبو جعفر محمد الباقر لقد قالها وانه لمحتاج الى شق تمرة قالوا فلما رجعتا الى أبيهما قال لهما ما أعجلكما وأسرع رواحكما الليلة قالتا وجدنا رجلا صالحا فرحمنا فسقى لنا أغنامنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه الى فجاءته احداهما وهى التى تزوجها موسى

وهي تمشي على استحياء فقالت له ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فقام موسى فتقدمته وهو يليها أي يتبعها فهبت ريح فالصقت ثوب المرأة بردفها فكره موسى أن يرى ذلك منها فقال لها موسى امشي خلفي ودليني على الطريق فاذا أخطأت فارمي قدامي بحصاة حتى أنهج نهجها فانا بني يعقوب لا ننظر الى اعجاز النساء فنعتت له الطريق الى منزل أبيها ومشت خلفه حتى دخل على شعيب فسأل شعيب موسى عن حاله وقصته فاخبره الخبر فقال له لا تخف نجوت من القوم الظالمين فقالت احداهما وهي التي كانت الرسول الى موسى يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوم الامين قال النبي صلى الله عليه وسلم أصدق النساء فراسة امرأتان كلتاهما تفرستا في موسى فأصابتا احداهما امرأة فرعون حين قالت قرة عين لي ولك لا تقتلوه والاخرى بنت شعيب حيث قالت يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين وانما قالت القوي الامين لانه أزال الحجر العظيم الذي لا يرفعه الا أربعون رجلا فقال لها أبوها هبك أنك عرفت قوته فما أعلمك بأمانته فاخبرته بما أمرها موسى من استدبارها اياه في الطريق فازداد فيه شعيب رغبة فقال له اني أريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج الى قوله من الصالحين أي في حسن الصحبة معك والوفاء بشرطك فقال موسى ذلك بيني وبينك أيما الاجلين قضيت الآية وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل أي الاجلين قضى موسى قال أكملهما وأفضلهما وروى أنه قال قضى أوفاهما وتزوج بصغراهما

﴿الباب السادس في ذكر نعت عصا موسى وبدو أمرها﴾

اختلف العلماء في اسمها والمنافع التي كانت فيها وما ظهر من دلالة قدرة الله فيها قالوا ثم ان شعيبا أمر ابنته أن تأتيه بعصا ليعطيها موسى فيستعين بها في رعايته فجاءته بعصا وكانت تلك العصا وديعة عنده دفعها اليه ملك على صورة رجل فردها اليها شعيب وأمرها أن تأتيه بعصا أخرى فمازالت ترجع وتأتيه بها بعينها لانها كانت كلما ردتها الى مكانها وأرادت أن تأخذ غيرها سقطت هي في يدها فمازالت كذلك حتى أخذها شعيب وأعطاها موسى فلما أعطاه اياها ندم على ذلك لانها كانت وديعة عنده فقال له شعيب رد علي العصا فأبى أن يردها عليه فتنازعا الى أن شرطا على نفسهما أن يرتضيا حكم أول رجل يدخل عليهما فأتاهما ملك يمشي فحكماه فقال ضعاها على الارض فمن حملها فهي له فوضعها موسى على الارض فعالجها الشيخ فلم يطق حملها فأخذها موسى بيده فرفعها فلما رأى شعيب ذلك تركها له وفي رواية أخرى ان موسى لبث عند شعيب ما شاء الله ثم استأذنه في الانصراف فاذن له وقال له ادخل هذا البيت وخذ عصا من العصي تكون معك تدرأ بها السباع عنك وعن غنمك وكانت

عصي الانبياء يومئذ عند شعيب فلما دخل موسى البيت وثبت اليه العصا فصارت في يده فخرج بها فقال له شعيب ردها وخذ غيرها وذلك أن شعيبا كان قد أخبر بأمر العصا ولم يدر شعيب أن صاحبها هو موسى فردها موسى الى البيت فالقاها وذهب ليأخذ غيرها فوثبت حتى صارت في يده ففعل ذلك مرارا فقال له شعيب ألم أقل لك خذ غيرها فقال له موسى قد رددتها مرات فكلما فعلت ذلك وثبت حتى تصير في يدي فعلم شعيب ان ذلك أمر يريده الله تعالى فقال له خذها (قالوا) وزوجه ابنته ورعى له موسى عشر سنين وولد لموسى أولاد من ابنة شعيب (قالوا) لما خرج موسى من مدين ووافى مصر كان شعيب يزوره في كل سنة فاذا أكل قام موسى على رأسه ثم يكسر له الخبز ويلقيه بين يديه ويقول له كل وقال مقاتل بل كان جبريل هو الذي دفع العصا الى موسى وهو متوجه الى مدين بالليل قال كعب لما قدم مكة عبد الله بن عمرو بن العاص قلت سلوه عن ثلاث فان أخبركم فانه عالم سلوه عن شئ من الجنة وضعه الله للناس وعن أول ماوضع في الارض وعن أول شجرة غرست في الارض فسئل عنها فقال عبد الله أما الشئ الذي وضعه الله للناس في الارض من الجنة فهو هذا الركن الاسود وأما أول ماوضع للناس في الارض فبئر برهوت باليمن يردها أرواح الكفار وأما أول شجرة وضعها الله تعالى في الارض فالعوسجة التي اقتطع منها موسى عصاه فلما بلغ ذلك كعبا قال صدق الرجل فعلى هذا القول انما اقتطع موسى عصاه من تلك الشجرة فاظهر الله فيها قدرته ومعجزة موسى فيها وقال ابن عباس كتب صاحب الروم الى معاوية يسأله عن أربعة أشياء لم يركضوا في رحم فلما قرأ معاوية الكتاب قال اخزاه الله وما علمي بها ههنا فقيل له اكتب الى ابن عباس فاسأله عن ذلك فكتب اليه يسأله عنها فكتب اليه ابن عباس في الجواب أما الاربعة التي لم يركضوا في رحم فآدم وحواء والكبش الذي فدى به اسمعيل وعصا موسى حيث ألقاها فصارت ثعبانا وقال أكثر العلماء كانت عصا موسى من آس الجنة وكان طولها عشرة أذرع على طول موسى حملها آدم من الجنة الى الارض فورثها الناس صاغرا عن كابر الى ان وصلت الى شعيب فاعطاها موسى واختلف العلماء في اسمها فقال سعيد بن جبير اسمها ماسا وقال مقاتل بن سليمان اسمها نفعة وقال ابن حبان اسمها غياث وقال آخرون اسمها عليق

﴿ الباب السابع في صفة المآرب التي كانت فيها لموسى ﴾

قال أهل العلم بأخبار الماضين كان لعصا موسى شعبتان ومحجن في أسفل الشعبتين وسنان حديد في أسفلها وكان موسى اذا دخل مفازة ليلا ولم يكن قمر تضئ شعبتاها كالشعلتين من نار تضيئآن له مد البصر وكان اذا أعوزه الماء دلاها في البئر فتمتد على

قدر قعر البئر و يصير في رأسها شبه الدلو فيستقي بها واذا احتاج الى الطعام ضرب الارض بها فيخرج ما يأكل يومه وكان اذا اشتهى فاكهة من الفواكه غرسها في الارض فتخرج أغصان تلك الشجرة التي اشتهى موسى فاكهتها وأثمرت له من ساعتها ويقال كانت عصا موسى من اللوز وكان اذا جاع ركزها في الارض فأورقت وأثمرت وأطعمت وكان يأكل منها اللوز وكان اذا قابل بها عدوه تظهر على شعبتيها تنينان يقاتلان وكان يضرب بها على الجبل الوعر الصعب المرتقى وعلى الحجر والشوك فتنفرج له الطريق وكان اذا أراد عبور نهر من الانهار بلا سفينة ضرب بها عليه فانفلق وبدا له فيه طريق منفرج وكان يشرب من احدى شعبتيها العسل ومن الاخرى اللبن وكان اذا أعيا في طريقه ركبها فتحمله الى أي موضع شاء من غير ركض ولا تحريك وكانت تدله على الطريق وكانت تقاتل أعداءه عنه وكان اذا طلب منها الطيب فاح منها الطيب فيتطيب ويطيب ثوبه واذا كان في طريق فيه لصوص يخاف الناس جانبهم تكلمه العصا فتقول له خذ جانب كذا وكذا ولا تأخذ حيث كذا وكذا وكان يهش بها على غنمه ويدفع بها السباع عنها والحشرات والحيات واذا سافر وضعها على عاتقه وعلق عليها جهازه ومتاعه ومخلاته ومقلاعه وكساءه وطعامه وشرابه (قال ابن حبان) قال شعيب لموسى حين زوجه ابنته وسلم اليه أغنامه يرعاها اذهب بهذه الاغنام فاذا بلغت مفرق الطريق فخذ على يسارك ولا تأخذ على يمينك وان كان الكلأ بها أكثر فان هناك تنينا عظيما أخشى عليك وعلى الاغنام منه فذهب موسى بالاغنام حتى اذا بلغ مفرق الطريق أخذت الاغنام ذات اليمين فاجتهد موسى أن يصرفها ذات الشمال فلم تطعه فخلاها على ما تريده ثم نام موسى والاغنام ترعى واذا التنين قد جاء فقامت العصا فحاربته فقتلته وأتت فاستلقت الى جانب موسى وهي دامية فلما استيقظ موسى رأى العصا دامية والتنين مقتولا فعلم موسى أن في تلك العصا قدرة وعرف ان لها شأنا فهذه مآرب موسى اذا كانت في يده وأما اذا ألقاها فيروى انها كانت تنقلب حية كأعظم ما يكون من الثعابين سوداء مدلهمة تدب على أربع قوائم فتصير شعبتاها فاها وفيه اثنا عشر نابا وضرسا لها صريف وصرير يخرج منها لهب النار و يصير محجنها عرفا لها كأمثال النار تلتهب وعيناها تلمعان كما يلمع البرق تهب منها رياح السموم فلا تصيب شيأ الا أحرقته تمر بالصخرة مثل الناقة الكوماء فتبتلعها حتى ان الصخور في جوفها تتقعقع وتمر بالشجرة فتقصمها بأنيابها وتحطمها وتبتلعها وجعلت تتلمظ وتتبرم كأنها تطلب شيأ تأكله وكانت تكون في عظم الثعبان وفي خفة الجان ولين الحية وذلك موافق لنص القرآن حيث يقول الله تعالى في موضع فاذا هي ثعبان مبين وفي موضع آخر كأنها جان وفي

موضع آخر فاذا هي حية تسعى

﴿ الباب الثامن في ذكر خروج موسى عليه السلام من مدين وتكليم الله اياه في الطريق وارساله الى فرعون واستعانته بأخيه هرون وكيفية ذهابهما الى فرعون لتبليغ الرسالة ﴾

قال الله عز وجل فلما قضى موسى الأجل الآية قالت العلماء بسير الانبياء لما ورد موسى أرض مدين وأتى عليه من يوم وروده تسع سنين قال له شعيب انى وهبت لك كل بلقاء وابلق من نتاج أغنامى التى تضعها في هذه السنة يعنى السنة العاشرة أراد بذلك مبرة موسى وصلة ابنته صفورا امرأة موسى قال فأوحى الله الى موسى أن اضرب بعصاك الماء الذى في مستقى الاغنام ففعل موسى ذلك ثم سقى الاغنام من ذلك الماء فما أخطأت واحدة من تلك الاغنام الا وضعت حملها ما بين ابلق و بلقاء فعلم شعيب ان ذلك رزق ساقه الله تعالى الى موسى وأهله فوفى موسى بشرطه وسلم اليه الاغنام التى وهبها منه وقضى موسى أتم الاجلين وأوفاهما فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله منفصلا من أرض مدين وكان في أيام الشتاء ومعه امرأته واغنامه وهى في شهرها لاتدرى أتضع ليلا أو نهارا فانطلق في برية الشأم عادلا عن المدائن والعمران مخافة الملوك الذين كانوا بالشأم وكان اكبر همه يومئذ طلبة أخيه هرون واخراجه من مصر ان استطاع اليه سبيلا فسار موسى في البرية غير عارف بطرقها فالجأه المسير الى جانب الطور الايمن الغربى في عشية شاتية شديدة البرد وأظلم عليه الليل وأخذت السماء ترعد وتبرق وتمطر وأخذ امرأته الطلق فعمد موسى الى زنده فقدحه فلم يور فتحير وقام وقعد اذلم يكن له عهد بمثل ذلك في الزند وأخذ يتأمل ما قرب وما بعد تحيرا وضجرا ثم أخذ يتسمع طويلا هل يسمع حسا أو حركة فبينما هو كذلك اذ آنس من جانب الطور نورا فحسبه نارا فقال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أوأجد على النار هدى يعنى من يدلنى على الطريق وكان قد ضل الطريق فلما أتاها رأى نورا عظيما ممتدا من عنان السماء الى شجرة عظيمة هناك واختلفوا في تلك الشجرة ما كانت فقيل العوسجة وقيل العناب فتحير موسى وارتعدت فرائصه حيث رأى نارا عظيمة ليس لها دخان وهى تلتهب وتشتعل من جوف شجرة خضراء لاتزداد النار الاعظما ولا تزداد الشجرة الاخضرة فلما دنا موسى منها استأخرت عنه فلما رأى ذلك رجع عنها وخاف ثم ذكر حاجته الى النار فرجع اليها ودنت منه فنودى من شاطئ الوادى الايمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى فنظر فلم ير أحدا فنودى انى أنا الله رب العالمين فلما سمع ذلك علم انه ربه تعالى فناداه ربه أن ادن واقرب فلما قرب وسمع النداء ورأى تلك الهيبة خفق قلبه وكل لسانه وضعفت

بنيته وصار حيا كميت الا أن روح الحياة تتردد فيه من غير حراك وارسل الله اليه ملكا يشد ظهره ويقوى قلبه فلما ثاب اليه عقله نودى فاخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى وكان السبب فى أمره بخلع نعليه ما أخبرنا حامد بن عبد الله الاصبهانى قال حدثنا يحيى السدى قال حدثنا أحمد بن نجدة قال حدثنا الحمانى قال حدثنا عيسى ابن يونس عن حميد عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله فاخلع نعليك قال كانتا من جلد حمار ميت وفى بعض الاخبار غير مدبوغ وقال مجاهد وعكرمة انما قال فاخلع نعليك كى تمس راحة قدميه الارض الطيبة فتناله بركتها لانها قدست مرتين وقال سعيد بن جبير انما قال له ذلك لان الحفوة من أمارات التواضع والاحترام فقيل له طا الارض حافيا كما تدخل الكعبة من بركة الوادى وقال أهل الاشاره النعل عبارة عن المرأة وذلك تأويله فى المنام فقيل له فرغ قلبك من شغل أهلك ثم قال له تعالى تسكينا لقلبه واذهابا للدهشة وما تلك بيمينك ياموسى قال هى عصاى الآية فقال الله تعالى ألقها ياموسى فألقاها فاذا هى حية تسعى قد صارت شعبتاها فمها ومحجنها عرفا لها فى ظهرها وهى تهتز لها أنياب وهى كما شاء الله أن تكون فرأى موسى أمرا فظيعا فولى موسى مدبرا ولم يعقب فناداه ربه تعالى أن ياموسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين سنعيدها سيرتها الاولى اى نردها عصا كما كانت ويقال ان الحكمة فى أمر الله تعالى اياه بالقاء العصا قبل أن يصل الى فرعون لكى لا يفزع منها موسى اذا رآها على تلك الحالة عند فرعون فلما أقبل موسى قال له خذها اذ كانت عصاك ولا تخف لانه كان أدعى الملك فقال هى عصاى فنبه على ذلك وكان على موسى جبة من صوف فلف كمه على يده وهو لها هائب فنودى ان احسر يدك فحسر كمه عن يده ثم ادخل يده تحت لحييها فلما ادخل يده قبض فاذا هى عصاه فى يده ويده بين شعبتيها حيث كان يضعها ثم قال له أدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى وانما قال فى جيبك لانه لم يكن لملبوسه كم واسع فضاق عليه فأدخل يده فى جيبه ثم أخرجها فاذا هى نور تلتهب يكل عنه البصر ثم ردها فخرجت كما كانت على لون يده فقال الله تعالى فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملئه الآية ثم قال له اذهب الى فرعون انه طغى فقال موسى رب انى قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون وأخى هرون هو أفصح منى لسانا الى قوله يكذبون فقال له ياموسى انى أوقفتك موقفا لا أجعل بعده لاحد عليك سلطانا دونى ولا ينبغى لمن بعدك أن يسمع كلامى وأنت فى أقرب الاماكن منى وعلى موسى يومئذ مدرعة من صوف قد خللها بخلال وجبة من صوف وثياب من صوف وقلنسوة من صوف والله تعالى يكلمه ويعهد اليه ويقول له ياموسى انطلق برسالتى وأنت بعينى وسمعى ومعك قوتى وبصرى بعثتك الى

خلق ضعيف من خلقي بطر نعمتي وأمن مكري وعبد دوني وغرته الدنيا حتى جحد حقي
وأنكر ربوبيتي وزعم أنه لا يعرفني واني أحلف بعزتي وجلالي لولا الحجة والقدرة اللتان
جعلتهما بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار يغضب لغضبه السموات والارض
والبحار والجبال والشجر والدواب فلو أذنت للسماء لحصبته وللارض لابتلعته
وللجبال لدكدكته وللبحار لغرقته ولكن سقط من عيني وهان علي وصغر عندي
ووسعه حلمي وانا الغني عنه وعن جميع خلقي وحق ذلك لي وأنا خالق الغنى والفقر
لا غنى الا من أغنيته ولا فقير الا من أفقرته فأبلغه رسالتي وادعه الى عبادتي
وتوحيدي والاخلاص لي وحذره نقمتي وبأسي وذكره آياتي وأعلمه انه لا يقوم لغضبي
شئ وقل له فيما بين ذلك قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وبجله في خطابك اياه ولا
يروعك ما ألبسته من لباس الدنيا فان ناصيته بيدي ولا يطرف ولا ينطق ولا
يتنفس عن شئ الا بعلمي وأخبره باني من العفو والمغفرة أسرع مني الى الغضب
والعقوبة وقل له أجب ربك فانه واسع المغفرة وقد أمهلك في طول هذه المدة وفي كلها
تدعي الربوبية دونه وتصدعن عبادته وفي كل ذلك يمطر عليك السماء وينبت لك
الارض ويلبسك العافية حتى لم تهرم ولم تسقم ولم تفتقر ولم تغلب ولو شاء لعاجلك
بالنقمة ولسلبك ما أعطاك ولكنه ذو حلم عظيم ثم أمسك الكلام عن موسى سبعة
أيام بلياليها ثم قيل له بعد سبع ليال أجب ربك ياموسى فيما كلمك فقال رب اشرح لي
صدري الى قوله تعالى بصيرا فقال الله تعالى قد أوتيت سؤلك ياموسى فجاهد بنفسك
وأخيك وكان قد خطر في قلب موسى أن فرعون في بأس عظيم وجند كثير وانا واخي
وحيدان فريدان فقال الله تعالى له انكما جندان عظيمان من جندي وانا معكما أسمع
وأرى وابصركما وا كون معكما فلا تستضعفان ولا تستقلان ولو شئت ان آتيه بجنود
لا قبل له بها فعلت ولكن ليعلم ذلك الشقي الضعيف الذي قد أعجبته نفسه وجنوده
ان الفئة القليلة ولا قليل معي تغلب الفئة الكثيرة باذني ولا يعجبنكما زينته ولا
يهولنكما عدته فلو شئت أن ازينكما من زينة الدنيا وبهجتها مايبهت فرعون وملأه اذا
نظروا اليها ويعلم ان مقدرته تعجز عما آتيتكما فعلت فلا تأسفا عما ازويه عنكما من متاع
الدنيا وزينتها فان ذلك دأبي في اوليائي وأصفيائي اذودهم عن نعيم الدنيا ولذاتها
كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن المراتع الرديئة لكي تستكملوا نصيبكم من
كرامتي في الآجل واعلم انه لا يتزين احد من عبادي بزينة هي أبلغ من الزهد
في الدنيا وهي زينة الابرار ويقال ان الله تعالى كلمه في تلك المدة مائة ألف كلمة
وأربعة عشر ألف كلمة يقول له مع كل كلمة قتلت نفسا بغير حق (وقيل) لموسى
عليه السلام بم عرفت ان الله تعالى هو الذي كلمك فقال لان كلام المخلوق

انما يسمع من جهة واحدة بحاسة واحدة وهى السمع وانى كنت أسمع كلام الله تعالى من جميع الجهات بجوارحى كلها فعرفت انه كلام الله تعالى (قالوا) ولما صعد موسى الجبل لمناجاة الله تعالى صار الجبل عقيقا فلما نزل موسى عنه عاد الى حالته الاولى فلما رجع موسى شيعته الملائكة وكان قلب موسى مشغولا بولده وأراد أن يختنه فأمر الله تعالى ملكا فمد يده ولم تزل قدمه عن موضعها حتى جاء به الملك ملفوفا فى خرقة وناوله الى موسى فأخذ حجرين حك احدهما بالآخر حتى حدده كالسكين من الحديد فختن به ابنه ثم ان الملك عالج المقطوع من المختون فتفل فيه فبرأ من ساعته باذن الله تعالى ثم ان الملك رده الى موضعه الذى جاء به منه ولم يزل أهل موسى مقيمين فى ذلك المكان لا يدرون مافعل موسى حتى مر بهم راع من أهل مدين فعرفهم فاحتملهم وردهم الى مدين فكانوا عند شعيب حتى بلغهم خبر موسى بعد مافلق البحر وجاوزه بنى اسرائيل وأغرق الله فرعون فبعث بهم شعيب الى مصر الى موسى قالوا وخرج موسى من فوره ذلك لما بعثه الله الى مصر لا علم له بالطريق وكان الله تعالى يهديه ويدله وليس معه زاد ولا سلاح ولا حمولة ولا صاحب له ولا شئ من الاشياء غير العصا ومدرعة صوف وقلنسوة صوف ونعلين وكان يظل صائما ويبيت قائما ويستعين بالصيد وبقول الارض حتى ورد مصر فلما قرب من مصر أوحى الله تعالى اليه لا تخف ولا تجزع ثم أوحى الله تعالى الى أخيه هرون يبشره بقدوم موسى ويخبره أنه قد جعله وزيرا له ورسولا معه الى فرعون وأمره ان يمر يوم السبت غرة ذى الحجة متنكرا الى شاطئ النيل ليلتقى بموسى تلك الساعة قال فخرج هرون وأقبل موسى فالتقيا على شاطئ النيل قبل طلوع الشمس واتفق انه كان يوم ورود الاسد الماء وكانت لفرعون أسد تحرسه فى غيضة محيطة بالمدينة من حواليها وكانت ترد الماء غبا وكان فرعون اذذاك فى مدينة حصينة عليها سبعون سورا وكان بين كل سورين بساتين وأنهار ذات مزارع وأرض واسعة فى ربض لكل سور سبعون ألف مقاتل ومن وراء تلك المدينة غيضة تولى فرعون غرسها بيده وعمل فيها وسقاها بالنيل ثم أسكنها الاسد فتناسلت وتوالدت حتى كثرت ثم اتخذها جندا من جنوده تحرسه وجعل خلال تلك الغيضة طرقا تفضى بمن سلكها الى أبواب المدينة معلومة ليس لتلك الابواب طرق غيرها فمن أخطأها وقع فى تلك الغيضة فتأكله الاسود وكانت الاسود اذا وردت النيل ظلت عليه يومها كله ثم تصدر مع الليل قال فلما التقى موسى وهرون كان يوم ورودها فلما رأتهما الاسد مدت أعناقها ورؤسها اليهما وشخصت أبصارها نحوهما وقذف الله فى قلوبها الرعب فانطلقت نحو الغيضة مسرعة هاربة على وجوهها يطأ بعضها بعضا حتى اندست فى الغيضة وكان لها ساسة يسوسونها

ودادة يدودونها أى يغرونها ويسلطونها على الناس فلما أصابها ما أصابها خاف ساستها من فرعون ولم يشعروا من أين أتوا ثم ان موسى وهرون انطلقا فى تلك الغيضة حتى وصلا الى باب المدينة الاعظم الذى هو أقرب أبوابها الى منزل فرعون وكان منه يدخل ويخرج وذلك ليلة الاثنين بعد هلال ذى الحجة بيوم فأقاما عليه سبعة أيام فكلمهما واحد من الحراس وقال لهما هل تدريان لمن هذا الباب فقال موسى ان هذا الباب والارض كلها وما فيها لرب العالمين وأهلها عبيد له فسمع ذلك الرجل كلاما لم يسمع مثله قط ولم يظن ان أحدا من العالمين يفصح بمثله فلما سمع الرجل ما سمع أسرع الى كبرائه الذين فوقه وقال لهم سمعت اليوم قولا وعاينت عجبا من رجلين هما عندى أعظم وأشنع وأفظع مما أصابنا فى الاسد وما كانا يقدران أن يقدما على ما قدما عليه الا بسحر عظيم وأخبرهم بالقصة فلم يزل ذلك الخبر يتداول بينهم حتى انتهى الى فرعون قال السدى باسناده سار موسى بأهله نحو مصر حتى اتاها ليلا فتضيف أمه وهى لا تعرفه فأتاها فى ليلة كانوا يأكلون فيها الطفيشل فنزل فى جانب الدار فجاء هرون فلما أبصر ضيفه سأل عنه أمه فأخبرته انه ضيف فدعاه فأكل معه فلما قعدا وتحدثا سأله هرون من أنت فقال أنا موسى فقام كل واحد منهما الى صاحبه فاعتنقه فلما تعارفا قال له موسى ياهرون انطلق معى الى فرعون فان الله تعالى قد أرسلنا اليه فقال له هرون سمعا وطاعة فقامت أمهما وصاحت وضجت وقالت أنشدكما الله أن لا تذهبا الى فرعون فيقتلكما فأبيا عليها ومضيا لامر الله تعالى فانطلقا اليه ليلا فأتيا الباب والتمسا الدخول عليه ليلا فقرعا الباب ففزع فرعون وفزع البوّاب وقال فرعون من هذا الذى يضرب بابى فى هذه الساعة فأشرف عليهما البوّاب وكلمهما فقال له موسى انى أنا رسول رب العالمين ففزع البوّاب وأتى فرعون وأخبره بما سمع وقال له ان هنا انسانا مجنونا يزعم انه رسول رب العالمين وقال ابن اسحق خرج موسى لما بعثه الله تعالى حين قدم مصر على باب فرعون هو وأخوه هرون يلتمسان الاذن عليه وهما يقولان انا رسول رب العالمين فمكثا فيما بلغنا سنتين يغدوان الى بابه ويروحان وفرعون لا يعلم بهما ولا يجترئ أحد أن يخبره بشأنهما حتى دخل عليه بطال له يلعب معه ويضحكه فقال له أيها الملك ان على بابك رجلين يقولان قولا عجيبا يزعمان ان لهما الها غيرك فقال فرعون أدخلوهما فادخل موسى ومعه هرون عليهما السلام

﴿الباب التاسع فى ذكر دخول موسى وهرون على فرعون﴾

قال الله تعالى فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين وقال تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى وروى عمرو بن عبيد عن الحسن البصرى فى هذه الآية قال قال لهما أعذرا اليه لعله يتذكر أو يخشى فقولا له ان لك ربا ومعادا وان بين يديك جنة ونار

لعله عند ذلك يتذكر أو يخشى وعند كما وهو عندى لا يتذكر ولا يخشى قال لكى لا يقول
أهلكته قبل أن أعذر اليه قال فلما أذن فرعون لموسى وهرون دخلا عليه فلما وقفا
عنده دعا موسى بدعاء وهو لا اله الا الله الحليم الكريم لا اله الا الله العلى العظيم سبحان
رب السموات السبع والارضين السبع ومافيهن ومابينهن ورب العرش العظيم
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين اللهم انى أدرأ بك فى نحره وأعوذ بك من
شره واستعين بك عليه فاكفنيه بما شئت قال فتحوّل مافى قلب موسى من الخوف
أمنا وكذلك كل من دعا بهذا الدعاء وهو خائف أمن الله خوفه ونفس كربته وهوّن
عليه سكرات الموت ثم ان فرعون قال لموسى من أنت فقال أنا رسول رب العالمين
فتأمله فرعون فعرفه فقال له ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت
فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين معنا على ديننا هذا الذى هو الآن نعيبه
قال موسى فعلتها اذا وأنا من الضالين أى من المخطئين ولم أرد بذلك القتل ففررت
منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين ثم أقبل موسى ينكر عليه
ماذكره له من يده عليه فقال وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل أى اتخذتهم
عبيدا تنزع ابناءهم من أيديهم فتسترق من شئت وتقتل من شئت أى انما صيرنى
اليك ذلك قال فرعون ومارب العالمين قال رب السموات والارض ومابينهما ان كنتم
موقنين قال فرعون لمن حوله من ملئه الا تستمعون انكارا لما قال موسى قال موسى
ربكم ورب آبائكم الاولين قال فرعون ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون يعنى ماهذا
بكلام رجل صحيح العقل اذ يزعم ان لكم الها غيرى قال موسى رب المشرق والمغرب
ومابينهما ان كنتم تعقلون ثم قال فرعون لموسى لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من
المسجونين قال أولو جئتك بشئ مبين تعرف به صدقى وكذبك وحقى وباطلك قال
فرعون فات به ان كنت من الصادقين فالقى موسى عصاه فاذا هى ثعبان مبين فاتحة
فاها قد ملأت مابين جانبى القصر واضعة لحيها الاسفل فى الارض والاعلى على سور
القصر حتى رآى بعض من كان خارجا من مدينة مصر رأسها ثم توجهت لنحو فرعون
تأخذه فانفض منها الناس وذعر منها فرعون ووثب عن سريره وأحدث حتى قام من
بطنه فى يومه ذلك أربعين مرة وكان فيما يزعمون لا يسعل ولا يتمخط ولا يتصدع رأسه
ولا تصيبه آفة مما يصيب الناس وما كان يقوم الا فى كل أربعين يوما مرة واحدة وكان
أكثر ما يأكل الموز لانه لا يكون له ثقل فيحتاج الى القيام وكانت هذه الاشياء مما زين
له ان قال ماقال لانه ليس له من الناس شبيه (قالوا) فلما قصدته الحية صاح ياموسى
أنشدك بالله وحرمة الرضاع الا ما أخذتها وأمسكتها عنى وأنا أومن بك وأرسل معك
بنى اسرائيل فاخذها موسى فعادت عصا كما كانت ثم ان موسى نزع يده من جيبه

فاخرجها فقال له فرعون هذه يدك فافيها فادخلها موسى فى جيبه ثم أخرجها ولها نور ساطع فى السماء تكل عنه الابصار قد أضاء ما حولها ودخل ضوءها البيوت ورؤى من الكوى ومن وراء الحجب فلم يستطع فرعون النظر اليها ثم ردها موسى الى جيبه ثم أخرجها فاذا هى على لونها الاول قالوا فهم فرعون بتصديقه فقام اليه هامان وجلس بين يديه ثم انه قال له بينما أنت اله تعبد اذ أنت تابع لعبد فقال فرعون لموسى أمهلنى اليوم وغدا فأوحى الله لموسى أن قل لفرعون انك ان آمنت بالله وحده عمرتك فى ملكك ورددتك شابا طريا فاستنظره فرعون فلما كان من الغد دخل اليه هامان فاخبره فرعون بما وعده موسى من ربه فقال له هامان والله ما تعدل هذا عبادة هؤلاء لك يوما واحدا ونفخ فى منخره ثم قال له هامان أنا أردك شابا فاتى بالوشم فخضبه به فهو أول من خضب بالسواد فلذلك كرهه صلى الله عليه وسلم ونهى عنه فلما دخل عليه موسى ورآه على تلك الحالة هاله ذلك فاوحى الله تعالى اليه لا يهولنك ما رأيت فانه لن يلبث الا قليلا حتى يعود الى حالته الاولى وفى بعض الروايات أن موسى وهرون لما انصرفا من عند فرعون أصابهما مطر فى الطريق فأتيا على عجوز من أقرباء امهما وكان فرعون وجه الطلب فى أثرهما فلما دخل عليهما الليل ناما فى دارها وجاء الطلب الى الباب والعجوز منتبهة فلما أحست بهم خافت عليهما فخرجت العصا من جانب الباب والعجوز تنظر اليها فقاتلتهم فقتلت منهم سبعة أنفس ثم عادت ودخلت الدار فلما انتبه موسى وهرون أخبرتهما العجوز بقصة الطلب ونكاية العصا فيهم ثم ان العجوز آمنت بهما وصدقتهما

﴿الباب العاشر فى قصة موسى وهرون مع فرعون والسحرة وخروجهم يوم الزينة الى الفضاء للمغالبة﴾

قالت العلماء باخبار الانبياء ان موسى وهرون عليهما السلام وضع فرعون أمرهما وما اتيا به من سلطان الله تعالى على السحر فقال للملا حوله ان هذان لساحران عليمان فماذا تأمرون قالوا اقتلهما فقال العبد الصالح حزقيل مؤمن آل فرعون أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله الى قوله تعالى سبيل الرشاد وقال الملأ من قوم فرعون أرجئه وأخاه وابعث فى المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم وكانت لفرعون مدائن فيها سحرة معدة للامر اذا أحزنه (قال ابن عباس) قال فرعون لما رأى من سلطان الله تعالى فى اليد والعصا ما رأى انا لا نغالب موسى الا بمن هو مثله فأخذ غلمانا من بنى اسرائيل فبعث بهم الى قرية يقال لها الغرقاء يعلمونهم السحر كما يعلمون الصبيان فى الكتاب فعلموهم سحرا كثيرا ثم ان فرعون واعد موسى موعدا ثم بعث الى السحرة فجىء بهم ومعهم معلمهم فقال له ماذا صنعت فقال له معلمهم قد علمتهم سحرا عظيما

كبير الا تطيقه سحرة الارض الا ان يكون أمر من السماء فانهم لا طاقة لهم به ثم ان
فرعون بعث الى الشرط في مملكته فلم يتركوا في مملكته ساحرا الا أتوا به واختلفوا
في عدة السحرة الذين جمعهم فرعون فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين ساحرا اثنان
من القبط وهما رأسا القوم وسبعون من بني اسرائيل (وقال الكلبي) كانوا سبعين
ساحرا غير رؤسهم وكان الذي يعلمهم السحر رجلين مجوسيين من أهل نينوى (وقال
كعب) كانوا اثني عشر ألفا وقال السدي كانوا بضعة وثلاثين ألفا وقال عكرمة
سبعين ألفا وقال محمد بن المنكدر ثمانين ألفا والجامع لهذه الاقاويل ما روى أن
فرعون جمع السحرة وهم سبعون ألفا فاختار منهم سبعة آلاف ليس فيهم الا من هو
ساحر ماهر ثم اختار منهم سبعمائة ثم اختار منهم سبعين من كبارهم وعلمائهم قال مقاتل
وكان اسم رأس السحرة شمعون وقال ابن جريج يوحنا وقال عطاء كان رأسا السحرة
باقصى مدائن الصعيد وكانا أخوين فلما جاءهما رسول فرعون قالا لأمهما دلينا على
قبر ابينا فدلتهما عليه فأتيا وصاحا باسمه فاجابهما فقالا له ان الملك وجه الينا رسولا
انقدم عليه لانه أتاه رجلان ليس معهما سلاح ولا رجال ولهما عز ومنعة وقد ضاق
الملك ذرعا من عزهما ومنعتهما ومعهما عصا اذا ألقياها لا يقوم لها شئ حتى تبلع
الحديد والخشب والحجارة فاجابهما أبوهما وقال انظرا اذا هما ناما فاذا قدرتما أن تسلا
العصا فسلاها فان الساحر لا يعمل سحره وهو نائم فان عملت العصا وهما نائمان فذلك
أمر رب العالمين لا طاقة لكما به ولا للملك ولا لجميع أهل الدنيا ثم انهما اتياهما في خفية
وهما نائمان ليأخذا العصا فقصدتهما العصا قالوا ثم انه واعد موسى غدوة يوم
الزينة وكان يوم سوق لهم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان يوم عاشوراء
ووافق ذلك يوم السبت أول يوم من السنة وهو يوم النيروز وكان يوم عيد لهم تجتمع
اليه الناس من جميع الآفاق وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كان مجمعهم بالميقات
بالاسكندرية ويقال بلغ ذنب الحية الجزيرة من وراء البحيرة يومئذ قالوا ثم ان السحرة
قالت لفرعون أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال فرعون نعم وانكم اذا لمن المقربين
يعني في المنزلة فلما اجتمع السحرة والناس جاء موسى متكئا على عصاه ومعه أخوه
هرون حتى أتيا المجمع وفرعون في مجلسه مع أشراف قومه فقال موسى للسحرة حين
جاءهم ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فتناجى
السحرة فيما بينهم فقال بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر فذلك قوله تعالى فتنازعوا
أمرهم بينهم وأسروا النجوى فقالت السحرة لنأتينك اليوم بسحر لم تر مثله وقالوا بعزة
فرعون انا لنحن الغالبون وكانوا قد جاؤا بالعصي والحبال يحملها ستون بعيرا فلما أبوا
الا الاصرار على السحر قالوا لموسى اما أن تلقي واما أن نكون نحن الملقين قال لهم موسى

بل ألقوا أنتم حبالكم وعصيكم فألقوا فاذا هي حيات كأمثال الجبال قد ملأت
الوادي يركب بعضها بعضا تسعى فذلك قوله تعالى يخيل اليه من سحرهم
أنها تسعى الى قوله تعالى خيفة موسى فقال موسى والله انها كانت لعصيا في
أيديهم ولقد عادت حيات وما عصاي هذه فلما حدث نفسه بذلك أوحى الله اليه
لا تخف انك أنت الاعلى وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر
ولا يفلح الساحر حيث أتى ففرح موسى ثم انه ألقى عصاه من يده فاذا هي ثعبان مبين
كأعظم ما يكون من الثعابين أسود مدلهم يدب على أربع قوائم قصار غلاظ شداد
وهو أعظم وأطول من بختي عظيم وله ذنب يقوم عليه فيشرف فوق حيطان المدينة
برأسه وعنقه وكان لا يضرب بذنبه على شئ الا حطمه وقصمه ويكسر بقوائمه الصخور
الصم الصلاب ويطحن كل شئ ويصرم الحيطان والبيوت نفسه نار وله عينان
يلتهبان نارا ومنخراه ينفخان سموما وعلى مفرقه شعر كأمثال الرماح وصارت
الشعبتان له فا سعته اثنا عشر ذراعا وفيه أنياب واضراس لها فحيح وكشيش
وصريف وصرير فاستعرضت ما ألقت السحرة من حبالهم وعصيهم وهي تخيل في
أعين الناس وعين فرعون انها تسعى فجعلت تلقفها وتبلعها واحدا واحدا حتى لم
ير في الوادي لا قليل ولا كثير مما ألقوا وانهزم قوم فرعون هاربين منقلبين فتزاحموا
وتضاغطوا ووطئ بعضهم بعضا حتى مات منهم يومئذ في ذلك الزحام خمسة وعشرون
ألفا وانهزم فرعون فيمن انهزم متخوفا مرعوبا ذاهبا عقله وقد استطلق عليه بطنه من
يومه ذلك أربعمائة مرة فصار يحصل له ذلك أربعين مرة في كل يوم وليلة على الدوام
الى ان هلك فلما انهزم الناس وعاين السحرة ما عاينوا قالوا لبعضهم لو كان ساحرا ما غلبنا
ولا خفي علينا أمره ولو كان سحرا فأين حبالنا وعصينا فألقي السحرة سجدا قالوا آمنا
برب العالمين رب موسى وهرون وكان فيهم اثنان وسبعون شيخا قد انحنت ظهورهم
من الكبر وكانوا علماء رؤساء وكان رؤس السحرة خمسة نفر سابور وعاذور وحفظ
وخطط ومصفا وهم الذين آمنوا حين رأوا ما رأوا من سلطان الله تعالى فلما رأى
فرعون ذلك أسف وقال لهم متجلدا آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذي
علمكم السحر الى قوله تعالى أشد عذابا وأبقى قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات
الآية فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبهم في جذوع النخل وهو أول من فعل
ذلك فأصبحوا سحرة كفرة وامسوا شهداء بررة ورجع فرعون مغلوبا مهزوما مكسورا
ثم أبى الا الاقامة على الكفر والتمادي في الشر فتابع الله عليه الآيات وأخذه
وقومه بالسنين الى أن أهلكهم ثم ان موسى عاد راجعا الى قومه والعصا على حالها
حية تتبعه وتبصبص حوله وتلوذ به كما يلوذ الكلب الالوف بصاحبه والناس

ينظرون اليها ويتعجبون منها وقد ملؤا رعبا فلم تزل العصا على هيئة الحية والناس يتحدثون وينظرون اليها ويتصاعقون ويتضاغطون حتى دخل موسى عليه السلام عسكر بنى اسرائيل فأخذ برأسها فاذا هى عصا كما كانت أول مرة وشتت الله على فرعون أمره ولم يجد الى موسى سبيلا واعتزل موسى مدينته ولحق بقومه وعسكره وكانوا مجتمعين الى أن صاروا ظافرين

﴿الباب الحادى عشر فى قصة حزقيل مؤمن آل فرعون وامرأته ومقتله وأولاده رضى الله عنهم أجمعين﴾

قالت الرواة كان حزقيل من أصحاب فرعون نجارا وهو الذى صنع لام موسى التابوت حين ولدته وألقته فى البحر وقيل انه كان خازنا لفرعون قد خزن له مائة سنة وكان مؤمنا مخلصا يكتم ايمانه الى أن ظهر موسى على السحرة فأظهر حزقيل أمره فأخذ يومئذ وقتل مع السحرة صلبا وهو الذى ذكره الله فى القرآن فى قوله تعالى وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حبيب النجار مؤمن آل يس وحزقيل مؤمن آل فرعون وعلى مؤمن آل محمد صلى الله عليه وسلم وهو أفضلهم وأما امرأة حزقيل فانها كانت ماشطة بنات فرعون وكانت مؤمنة من اماء الله الصالحات الا أنها كانت مع بنات فرعون تخدمهن وكان من قصتها ما أخبرنا به بالاسانيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما أسرى بى مررت برائحة طيبة فقلت لجبريل عليه السلام ماهذه الرائحة قال هذه رائحة ماشطة آل فرعون وأولادها كانت تمشط ذات يوم بنت فرعون فوقع المشط من يدها فقالت بسم الله فقالت بنت فرعون أبى قالت لا بل ربى ورب أبيك فقالت لها لأخبرن بذلك أبى فلما أخبرته دعا بها وبولدها وقال لها من ربك فقالت ان ربى وربك الله فأمر بتنور من نحاس فاحمى وأمر بها وبولدها أن يلقوا فيه فقالت له ان لى اليك حاجة فقال وماهى قالت تجمع عظامى وعظام ولدى فتدفنهما قال ولك ذلك لما لك علينا من الحق ثم أمر بأولادها فألقوا واحدا واحدا فى التنور حتى اذا كان آخر أولادها ولدا صبيا رضيعا فقال اصبرى يا أماه فانك على الحق فالقيت فى التنور مع ولدها فسئل ابن عباس فيمن تكلم فى المهد فقال تكلم فى المهد أربعة عيسى ابن مريم وشاهد يوسف وصاحب جريج وهذا الصبى

(الباب الثانى عشر فى ذكر آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومقتلها رحمها الله تعالى)

قال الله تعالى وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون يقال ان امرأة فرعون آسية كانت من بنى اسرائيل وكانت مؤمنة مخلصة وكانت تعبد الله سرا حتى انها كانت لتتعلل فى قضاء حاجتها فتبرز فتصلى يومها فى منزها خوفا من فرعون وكانت على تلك

الحالة الى أن قتل فرعون امرأة حزقيل وكانت آسية متطلعة من كوة فى قصر فرعون تنظر الى الماشطة امرأة حزقيل كيف تعذب وتقتل فلما قتلت الماشطة عاينت آسية الملائكة وقد عرجت بروحها لما أراد الله تعالى من كرامتها وما أراد لها من الخير فزادت يقينا بالله وتصديقا فبينما هى كذلك اذ دخل عليها فرعون وجعل يخبرها بخبر الماشطة امرأة حزقيل وما صنع بها فقالت له آسية الويل لك يا فرعون ما أجرأك على الله تعالى فقال لها لعلك قد اعتراك الجنون الذى اعترى صاحبتك فقالت ما اعترانى جنون ولكنى آمنت بالله ربى وربك ورب العالمين فدعا فرعون أمها وقال لها ان ابنتك قد أخذها الجنون الذى أخذ الماشطة ثم انه أقسم لتذوقن الموت أو لتكفرن باله موسى فخلت بها أمها وسألتها موافقة فرعون فيما أراد فأبت وقالت تريدين أن أكفر بالله فلا والله ما أفعل ذلك أبدا فأمر بها فرعون فمدت بين أربعة أوتاد ثم ما زالت تعذب حتى ماتت رحمها الله تعالى وذلك قوله تعالى وفرعون ذى الاوتاد عن ابن عباس قال أخذ فرعون امرأته آسية حين ابتدأ بها يعذبها لتدخل فى دينه فمر بها موسى وهو يعذبها فشكت اليه بأصبعها فدعا الله موسى أن يخفف عنها من العذاب فبعد ذلك لم تجد للعذاب ألما الى أن ماتت فى عذاب فرعون فقالت وهى فى العذاب رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى الآية فأوحى الله تعالى اليها أن ارفعى رأسك ففعلت فرأت البيت فى الجنة من در فضحكت فقال فرعون انظروا الى الجنون الذى بها تضحك وهى فى العذاب

﴿ الباب الثالث عشر فى بناء الصرح ﴾

قال الله تعالى وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحا الآية قالت العلماء كان الله تعالى قد أملى لفرعون فى كل باب من أبواب التملك والتسلط والثروة والتنعم والترفع والتمتع ما قد استخف به رعيته من أهل مملكته حتى استعبدهم فعبدوه وادعى الربوبية فقبلوه مع ما أوتى من العمر الطويل والقوة والمنعة والسعة والجنود والشوكة والعدة والعدد وكان قد بلغ من صحة جسمه واعتدال طبيعته وخلقته وقوة تركيبه وبنيته أنه ربما لبث أربعين يوما وليلة لا يخرج منه شئ الا مرة واحدة وهو مع ذلك يأكل ويشرب ولا يبزق ولا يتمخط ولا يتنخع ولا يسعل ولا يأخذه وجع فى بطنه ولا ترمد عيناه ولا يمرض ولا تصيبه آفة فى نفسه ولا كراهة قالوا وبلغ من املاء الله تعالى له أنه كان يركب كل صعب وذلول من دوابه قال سعيد بن جبير ملك فرعون أربعمائة سنة لا يرى مكروها ولو كان فى تلك المدة أدرك جوع يوم أوحمى ليلة لما ادعى الربوبية وقدم على خطب عظيم وخطر جسيم فلم يمسه سوء ولا مكروه ولا تلقاه الا محبوب ومرغوب وكان له قصر من قصوره مشرف منيف على ألف درجة وسخر الله له دابة من دوابه

يركبها

يركبها فيصعد ذلك القصر عليها وكان يركبها صاعدا ونازلا مع ما أنعم الله تعالى به عليه
استدراجا منه له فلما رأى من أمر موسى ما رأى لم يزده ذلك الا عتوا واستكبارا وعلم
من قومه الرعب والخوف فخاف عليهم أن يؤمنوا بموسى ويجعلوه مكانه فاحتال لنفسه
وعزم على بناء صرح يتقوى به سلطانه ويشيد أركانه فقال لوزيره ياهامان ابن لى صرحا
لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع الى اله موسى وانى لاظنه كاذبا فأمر هامان
ببنيانه فجمع له العمال والفعلة ولم يترك أحدا يقدر عليه ممن يعمل البنيان الا جمعه لبنائه
حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى الاتباع والاجراء ممن يطبخ الآجر والجص وينحت
الخشب والابواب والمسامير فلم يزل يبنى الصرح ويسر الله تعالى له أمره استدراجا له
منه وأتاه الامر على ما يريده الى أن فرغ منه فى سبع سنين فارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان
أحد من الخلق منذ خلق الله السموات والارض فشق ذلك على موسى فاوحى الله
تعالى اليه أن دعه وما يريد فانى مستدرجه وآخذه بغتة وانى مبطل كل ما عمله فى
ساعة واحدة وكان ذلك الصرح اذا طلعت الشمس ضرب ظله نحو المغرب واذا غربت
ضرب ظله نحو المشرق بحيث لا يعلمه الا الله تعالى فلما أتم بناءه بعث الله تعالى جبريل
عليه السلام فضرب بجناحه الصرح ضربة فقطعه ثلاث قطع فوقعت قطعة منه فى
البحر وقطعة فى الهند وقطعة فى المغرب قال الضحاك بعث الله جبريل فضرب بجناحه
الصرح فقذف به على عسكر فرعون فقتل منهم ألفى ألف رجل قالوا ولم يبق أحد ممن
عمل فيه الا أصابه موت أو حريق أو عاهة فما من نجار أو حداد أو بناء الا يبست يده
وأما الذين كانوا يطبخون الآجر والجص فانهم احترقوا عن آخرهم وأما القهارمة
والعمال فماتوا وكان تدمير فرعون من امر الله تعالى على ذلك كله ما بين طلوع الفجر الى
طلوع الشمس فلما رأى فرعون ذلك من أمر الله تعالى علم ان حيلته لم تغن عنه شيأ
فعزم على قتال موسى وقومه فامر أصحابه فنصبوا له الحرب ثم ان عسكر فرعون قالوا
لموسى انك لساحر وأنت عبد من عبيد فرعون أبقت منه وكفرت نعمته وتربيته
ونسيت احسانه اليك ومنته عليك حيث ألقتك أمك فى اليم فجاءك وتبغضاك
لما علمت ما أنت صائر اليه من سوء الحال فاستنقذك فرعون من الغرق واستدركك من
الموت فآواك وكفلك ورباك واتخذك ولدا ثم فررت منه آبقا كافرا وجئته عدوا
محاربا فلسنا نمتنع عنك حتى نردك الى عبادته وخدمته أو نذيقك الذل والهوان
فلما رأى الله تعالى ذلك وقد علم أنه لا يغنى عنهم ما جاءهم به موسى لما سبق فيهم من مكر
الله النافذ وحقت عليهم كلمة العذاب ابتلاهم الله بالعذاب وبالآيات

﴿ الباب الرابع عشر فى ذكر الآيات التى ابتلى الله بها فرعون وقومه حين دنا هلاكهم اظهارا لقدرته والزاما لحجته ﴾

قال الله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات قال المفسرون هى العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس وفلق البحر فقال تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات قال قتادة أما السنون فكانت بباديتهم ومواشيهم وأما نقص الثمرات فكان فى أمصارهم قال تعالى فارسلنا عليهم الطوفان الآية واختلف المفسرون فى ذلك الطوفان ماهو قال ابن عباس كان أول الآيات الطوفان وهو الماء أرسل عليهم من السماء وقال مقاتل هو الماء طغى فوق حروثهم فاهلكها وقال الضحاك هو الغرق وقال مجاهد وعطاء هو الموت الذريع الجارف وروى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وهب هو الطاعون بلغة أهل اليمن أرسل الله الطاعون على أبكار آل فرعون فاقتضهن فى ليلة فلم يبق منهن باقية وقال أبو قلابة الطوفان الجدرى فهم أول من عذب به فبقى فى الارض والجراد والقمل واختلفوا فى القمل ماهو فقال سعيد بن جبير عن ابن عباس القمل هو السوس الذى يخرج من الحنطة وروى عن أبى طلحة أنه الذباب وقال مجاهد والسدى وقتادة والكلبى وغيرهم الجراد الطيارة التى لها أجنحة والقمل الصغار التى لا أجنحة لها وروى معمر عن قتادة قال القمل أولاد الجراد وقال عبد الرحمن بن أسلم هو البراغيث وقال عطاء هو القمل دليله قراءة الحسن والقمل بفتح القاف وجزم الميم وقال أبو عبيدة هو الحمنان وهو ضرب من القردان قال أبو العالية أرسل الله الحمنان على دوابهم فاكلها حتى لم يبق منها شئ ولم يقدروا على المسير قال أمية ابن أبى الصلت الثقفى

أرسل الذر والجراد عليهم ✻ وعذابا فاهلكتهم دبورا

﴿باب فى صفة تنزيل هذه الآيات وتفصيلها وكيفيتها﴾

قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن اسحق وغيرهم من أصحاب الاخبار دخل حديث بعضهم فى حديث بعض لما آمنت السحرة وصلبهم عدو الله فرعون ورجع عدو الله مغلوبا مقهورا انصرف موسى وهرون الى عسكر بنى اسرائيل فأمر فرعون قومه ان يكلفوا بنى اسرائيل مالا يطيقون فكان الرجل من القبط يجىء الى الرجل من بنى اسرائيل يقول له انطلق معى فاكنس حشى واعلف دوابى واستق لى وتجىء القبطية الى الكريمة من بنى اسرائيل فتكلفها مالا تطيق ولا يطعمونهم فى كل ذلك خبزا فاذا انتصف النهار يقولون لهم اذهبوا فاكتسبوا لانفسكم ماتأكلون فشكوا ذلك الى موسى فقال لهم استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين قالوا ياموسى أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ماجئتنا كنا نطمع اذا استعملونا من قبل أن تأتينا فلما جئتنا استعملونا ولم يطعمونا فقال موسى عسى

ربكم أن يهلك عدوكم يعني فرعون والقبط ويستخلفكم في الارض يعني الشام ومصر فينظر كيف تعملون فلما أبي فرعون وقومه الا التمادي على الكفر والاقامة على الشر والظلم دعا موسى ربه فقال يارب ان عبدك فرعون قد طغى في الارض وبغى وعتا وان قومه نقضوا عهدك واخلفوا وعدك رب خذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة ولقومي عظة ولمن بعدهم من الامم اعتبارا فتابع الله عليهم الآيات المفصلات بعضها في أثر بعض فأخذهم بالسنين ونقص من الثمرات ثم بعث الله عليهم الطوفان وهو الماء أرسل عليهم من السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط مشتبكة مختلطة بعضها في بعض فامتلأت بيوت القبط حتى قاموا في الماء الى تراقيهم من جلس منهم غرق ولم يدخل بيوت بني اسرائيل من الماء قطرة واحدة وفاض الماء على وجه أراضيهم وركد فلم يقدروا على أن يحرثوا ولا يعملوا شيأ حتى جهدوا ودام ذلك عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا العذاب فنؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا موسى ربه فرفع عنهم الطوفان فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني اسرائيل وعادوا الى أشر ما كانوا عليه فأنبت الله تعالى لهم في تلك السنة من الكلأ والزرع والثمرة مالم ينبت قبل ذلك فاعشبت بلادهم وأخصبت فقالوا هذا كنا نتمنى وما كان هذا الماء الا نعمة لنا وما يسرنا انا لم نمطر فأقاموا شهرا في عافية ثم بعث الله عليهم الجراد فأكل عامة زرعهم وثمارهم وأوراق أشجارهم وزهرها حتى انها كانت لتأكل الابواب والثياب والامتعة وسقوف البيوت والخشب والمسامير من الحديد حتى تساقطت دورهم وابتلى الجراد بالجوع فجعل لا يشبع وكان لا يدخل بيوت بني اسرائيل ولا يصيبهم من ذلك شئ فعجوا وضجوا وقالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فاعطوه عهد الله وميثاقه فسأل موسى ربه فكشف الله عنهم الجراد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت ويقال ان موسى برز الى الفضاء فأشار الى المشرق بالعصا فذهب الجراد من حيث جاء كأن لم يكن

﴿فصل في بعض ماورد من الاخبار الغريبة في الجراد﴾ أخبرني الحسن بن محمد باسناده عن جابر عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو على الجراد يقول اللهم اقطع الجراد اللهم اقطع دابرهم اللهم اقتل كبارهم وأهلك صغارهم وأفسد بيضه وخذ بأفواههم عن معايشنا وارزاقنا انك سميع الدعاء فقال رجل من القوم كيف ذلك يارسول الله تدعو على جند من جنود الله بهلاكه وقطع دابره فقال انما الجراد نثرة حوت من البحر قال ابن علاثة وحدثني من رأى الحوت ينثره وباسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر الجراد مكتوب جند الله

الاعظم وبأسناده عن جابر بن عبد الله قال عدم الجراد في سنة من سني عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فلم يخبر عنه بشئ فاغتم لذلك فأرسل راكبا الى اليمن وراكبا الى الشام
وراكبا الى العراق يسألون هل رأوا شيأ من الجراد أولا فأتاه الراكب الذي دخل
اليمن بقبضة من الجراد فالقاه في يده فلما رآه كبر ثلاثا ثم قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول خلق الله ألف أمة منها ستمائة في البحر وأربعمائة في البر فأول شئ
يهلك من هذه الامم الجراد فاذا هلك الجراد تتابع مثل النظام اذا قطع سلكه وباسناده
عن أبي امامة الباهلي يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان مريم ابنة عمران
سألت ربها أن يطعمها لحما لا دم له فأطعمها الجراد فقالت اللهم أعشه بغير رضاع وتابع
بينه بغير شياع فقلت يا أبا المثنى ءما الشياع قال الصوت وبأسناده عن عبد الله بن
ضمرة السلولي قال لما أخرج الله تعالى ابليس من الجنة قال لاتخذن من عبادك نصيبا
مفروضا قال الله تعالى وانا متخذ من خلقي جندا هو الجراد فقال ابليس وأنا جندي
النساء هن شبكتي التي لاتخطئ أبدا (أخبرنا) الحسين باسناده عن الاوزاعي يقول
كان ببيروت رجل صالح يذكر أنه رأى رجلا صالحا راكبا على جرادة قال وعليه خفان
طويلان أظنهما أحمرين وهو يقول الدنيا باطل باطل مافيها ويقول بيده هكذا فحيث
ما أشار استاق الجراد الى ذلك الموضع فبلغنا ان ذلك الرجل ملك الجراد قال فأقام قوم
فرعون شهرا في عافية ثم بعث الله عليهم القمل وذلك ان موسى أمر أن يمشي الى كثيب
أعفر بقرية من قرى مصر تدعى عين شمس فمشى موسى الى ذلك الكثيب وكان مهيلا
عظيما فضربه بعصاه فانهال عليهم القمل فتتبع مابقي من حروثهم واشجارهم ونباتهم
فأكلها ولحس الارض كلها وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيعضه وكان
يأكل أحدهم الطعام فيمتلئ قملا حتى ان أحدهم ليبني الاسطوانة بالجص ويزلقها
حتى لايرتقي فوقها شئ ثم يرفع فوقها الطعام فاذا صعد اليه ليأكله وجده ملئ قملا فما
أصيبوا ببلاء كان أشد عليهم من القمل وأخذ القمل أشعارهم وابشارهم واشفار
عيونهم وحواجبهم ولزمت جلودهم كأنها الجدري عليها ومنعتهم النوم والقرار ولم
يستطيعوا لها حيلة وقال سعيد بن جبير القمل السوس الذي يخرج من الحبوب
فكان الرجل يخرج عشرة أقفزة الى الرحى فلا يرد منها ثلاثة أقفزة فلما رأوا ذلك شكوا
الى موسى وصاحوا وقالوا يا أيها الساحر أي أيها العالم انا نتوب ولا نعود فادع لنا ربك
بما عهد عندك يكشف عنا هذا العذاب فدعا موسى ربه فكشف عنهم القمل
فانتشروا في أقطار الارض وأطراف البلاد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت
الى السبت ثم نكثوا العهد وعادوا الى أخبث أعمالهم وقالوا ما كنا قط أحق أن
نستيقن أن موسى ساحر لنا الا اليوم فيجعل الرمل دواب فعلى ماذا نؤمن ونرسل معه

بني

بنى اسرائيل فقد أهلك زرعنا وحروثنا وأذهب أموالنا فما عسى أن يفعل أكثر مما فعل وعزة فرعون لا نصدق به أبدا ولا نتبعه فدعا عليهم موسى بعدما أقاموا شهرا فى عافية وقيل أربعين يوما فأوحى الله تعالى اليه وأمره أن يقوم على ضفة النيل فيغرز عصاه فيه ويشير بالعصا الى أدناه وأقصاه وأعلاه وأسفله ففعل ذلك فتتابعت له الضفادع بالنقيق من كل جانب حتى أعلم بعضها بعضا وأسمع أدناها أقصاها ثم انها خرجت من النيل مثل الليل الدامس سراعا تؤم نحو باب المدينة فدخلت عليهم فى بيوتهم بغتة وامتلأت منها أفنيتهم وآنيتهم وأبنيتهم وكان أحدهم لا يكشف ثوبا ولا أناء ولا طعاما ولا شرابا الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل يجلس الى ذقنه فى الضفادع ويهم أن يتكلم فتثب الضفادع فى فيه وكان أحدهم ينام على فراشه وسريره فيستيقظ وقد ركبته الضفادع ذراعا بعضها فوق بعض وتصير عليه ركاما حتى لا يستطيع أن ينصرف الى شقه الايمن ولا الايسر وكان أحدهم يفتح فاه لاكلته فتسبقه الضفدعة الى فيه وكانوا لا يعجنون شيأ من العجين الا انشدخت فيه ولا يطبخون قدرا الا امتلأت منه وكانت تثب فى نيرانهم فتطفئها وفى طعامهم فتفسده فلقوا منها أذى شديدا (روى عكرمة) عن ابن عباس قال كانت الضفادع برية فلما أرسلها الله تعالى على فرعون سمعت وأطاعت فجعلت تقذف أنفسها فى القدور وهى تفور وفى التنانير وهى مسجورة فأثابها الله تعالى بحسن طاعتها برد الماء قال فضجوا الى فرعون من ذلك وضاق عليهم أمرهم حتى كادوا يهلكون وصارت المدينة وطرقها مملوءة جيفا من كثرة ما يطؤنها بأقدامهم وأروحت البقاع كلها منها فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا الى موسى وقالوا اكشف عنا هذا البلاء فانا نتوب هذه المرة ولا نعود فأخذ على هذا عهودهم ومواثيقهم ثم ان موسى دعا ربه فكشف عنهم الضفادع وذلك فيما روى أن موسى أمر أن يهتف بعصاه ويميلها ففعل ذلك فانقشع ما كان منها حيا فلحق بالنيل وأرسل الله على الميتة ريحا فنحتها عن مدينتهم بعدما أقامت عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت فأقاموا شهرا فى عافية وقيل أربعين يوما ثم نقضوا العهد وعادوا الى كفرهم وتكذيبهم فدعا عليهم موسى فأرسل الله عليهم الدم وذلك أن الله تعالى أمر موسى أن يذهب الى شاطئ البحر فيضربه بعصاه ففعل ذلك فسال النيل عليهم دما وصارت مياههم كلها دما وما يستقون من الانهار والآبار الا وجدوه دما أحمر عبيطا فشكوا ذلك الى فرعون وقالوا انا قد ابتلينا بهذا الدم وليس لنا شراب غيره فقال لهم انه قد سحركم موسى فكان يجتمع الرجلان على الاناء الواحد القبطى والاسرائيلى فيكون مايلى الاسرائيلى ماء ومايلى القبطى دما عبيطا وكان القبطى والاسرائيلى يستقيان من ماء واحد فيخرج ماء القبطى دما وماء الاسرائيلى ماء عذبا وكانا يقومان الى الجرة

التي فيها ماء فيخرج للاسرائيلي ماء وللقبطي دم حتى ان المرأة من آل فرعون تأتي الى المرأة من بني اسرائيل حين جهدها العطش فتقول اسقيني من مائك فتسكب لها من جرتها أو تصب لها من قربتها فتعود في الاناء دما حتى انها تقول لها اجعليه في فيك ثم مجيه في في فما تأخذ في فيها ماء فاذا مجته صار دما قالوا والنيل على ذلك يسقي الزرع والشجر فاذا ذهبوا ليستقوا من بين الزرع عاد الماء دما عبيطا وان فرعون اعتراه العطش في تلك الايام حتى انه اضطر الى مضغ الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها ملحا أجاجا ومرازعاقا فمكثوا في ذلك سبعة أيام لا يأكلون ولا يشربون الا الدم وقال زيد بن أسلم كان الدم الذي سلط عليهم الرعاف فلما ضجروا من ذلك قالوا لموسى عليه السلام ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا موسى ربه فكشف عنهم ذلك وذلك ان موسى أمر أن يضرب النيل بعصاه ضربة أخرى فضربه فتحول ماء صافيا كما كان فلم يؤمنوا ولم يفوا بما عاهدوا عليه وذلك قوله تعالى فأرسلنا عليهم الطوفان الآيات قال نوف البكالي ابن امرأة كعب الاحبار مكث موسى في آل فرعون عشرين سنة بعدما غلب السحرة يريهم الآيات الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقال أصحاب الاخبار لما يئس موسى من ايمان فرعون وقومه ورآهم لا يزدادون الا الطغيان والكفر والتمادي والكبر دعا عليهم وأمن هرون عليهما السلام وهو ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة واموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فأجاب الله دعاءهما كما قال تعالى قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان الآية قالوا وكان لفرعون وأصحابه من أثاث الدنيا وزهرتها وزينتها من الذهب والفضة واليواقيت وأنواع الحلي والجواهر مالا يحصيه الا الله تعالى وكان أصل ذلك المال مما جمعه يوسف عليه السلام في زمانه أيام القحط فبقي ذلك في يد القبط فأوحى الله الى موسى عليه السلام أني مورث بني اسرائيل ما في ايدي آل فرعون من العروض والحلي وجاعله لهم جهازا وعيادا الى الارض المقدسة فاجعل لذلك عيدا تعتكف عليه أنت وقومك تشكروني وتذكروني وتعظموني ذلك اليوم وتعبدونني فيه لما أريكم من الظفر ونجاة الاولياء وهلاك الاعداء واستعيروا لعيدكم من آل فرعون الحلي وأنواع الزينة فانهم لا يمنعون عنكم للبلاء الحال بهم في ذلك الوقت ولما قذفت في قلوبهم لكم من الرعب ففعل موسى ذلك كما أمره الله تعالى فأمر فرعون بزينة أهله وولده وما كان في خزائنه من أنواع الحلي فاعيرت لبني اسرائيل لما أراد الله بذلك أن يفيء على موسى وقومه أفضل اموال أعدائهم بغير قتال ولا ايجاف خيل ولا رجل لطفا منه بهم وافضالا عليهم فلما دعا موسى عليهم مسخ الله الاموال التي

بقيت فى أيديهم حجارة كلها حتى المنخل والدقيق (قال) محمد بن كعب القرظى سألنى عمر بن عبد العزيز عن التسع آيات التى أراها الله فرعون وقومه فقلت الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليد البيضاء والطمس وفلق البحر فقال عمر لا يكون الفقه الا هكذا ثم انه دعا بخريطة فيها أشياء مما كان أصيب لعبد العزيز بن مروان اذ كان فيها سابقا بأموال فرعون فأخرج البيضة مشقوقة نصفين وانها الحجر والجوزة مشقوقة وانها الحجر والحمصة والعدسة * وروى محمد بن اسحق عن رجل من أهل الشأم كان بمصر قال قد رأيت نخلة مصروعة وانها الحجر وقال لقد رأيت انسانا وما شككت أنه انسان وانه الحجر وكان ذلك المسخ فى ارقائهم دون أحرارهم اذا العبيد من جملة أموالهم فلم يبق لهم مال الا مسخه الله تعالى ماخلا الذى بأيدى بنى اسرائيل من الحلى والجواهر وأنواع الزينة وقال ابن عباس أول الآيات العصا وآخرها الطمس قالوا وبلغنا ان الدنانير والدراهم صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحا وانصافا وأثلاثا وجعل سكرهم حجارة

﴿الباب الخامس عشر فى قصة اسراء موسى عليه السلام ببنى اسرائيل وخبر فلق البحر لهم﴾

قال الله تعالى وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى انكم متبعون قال العلماء بأخبار الانبياء أوحى الله تعالى الى موسى حين أراد اظهاره على عدوه أن اجمع بنى اسرائيل كل أهل أربعة بيوت فى بيت ثم اذبحوا أولاد الضأن واضربوا بدمائها على الابواب فانى مرسل على أعدائكم عذابا وانى سأرسل الملائكة فلا تدخل بيتا على بابه دم وسآمرها أن تقتل أبكار آل فرعون من أنفسهم وأموالهم فتسلمون أنتم ويهلكون هم ثم اخبزوا فطيرا فانه اسرع لكم ثم أسر بعبادى حتى تنتهى بهم الى البحر فيأتيك امرى فأمر موسى بنى اسرائيل ففعلت ذلك فقالت القبط لبنى اسرائيل لم تجعلون هذا الدم على أبوابكم فقالوا ان الله تعالى ارسل العذاب عليكم فنسلم وتهلكون فقالت لهم القبط فما يعرفكم ربكم الا بهذا العلامة فقالوا هكذا أمرنا نبينا فاصبحوا وقد طعن أبكار آل فرعون وماتوا كلهم فى ليلة واحدة وكانوا سبعين ألفا فاشتغلوا بدفنهم وبما نالهم من حزنهم على المصيبة وسرى موسى وقومه متوجهين الى البحر وهم ستمائة ألف وعشرون ألفا لا يعد فيهم ابن سبعين سنة لكبره ولا ابن عشرين سنة لصغره وهم المقاتلة سوى الذرية وكان موسى على الساقة وهرون على المقدمة فلما فرغ القبط من دفن أبكارهم وبلغهم خروج بنى اسرائيل قال فرعون هذا عمل موسى وقومه قتلوا أبكارنا من أنفسنا ثم انهم خرجوا ولم يرضوا ان ساروا بأنفسهم حتى ذهبوا باموالنا معهم فنادى فرعون فى قومه كما قال الله تعالى فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين ان

هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حذرون ثم ان فرعون تبعهم في قومه وعلى مقدمته هامان في ألف ألف وسبعمائة ألف كل رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وبيده حربة وقال ابن جريج أرسل فرعون في أثر موسى وقومه ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسوّر مع كل ملك ألف رجل ثم خرج فرعون خلفهم في الدهم وكان في عسكر فرعون مائة ألف حصان أدهم سوى سائر الالوان وذلك حين طلعت الشمس وأشرقت كما قال الله تعالى فأتبعوهم مشرقين فلما تراءى الجمعان ورأت بنو اسرائيل غبار عسكر فرعون قالوا يا موسى أين ما وعدتنا من النصر والظفر هذا البحر قدامنا ان دخلنا غرقنا وفرعون خلفنا ان أدركنا قتلنا ولقد أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا فقال موسى لقومه يا قوم استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وقال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون

(فصل) قالوا لما سار موسى ببني اسرائيل من مصر وأرادوا أن يسيروا ضرب الله عليهم التيه فلم يدروا أين يذهبون فدعا موسى عليه السلام مشايخ بني اسرائيل فسألهم عن ذلك فقالوا له أن يوسف عليه السلام لما مات بمصر أخذ على اخوته عهدا أن لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فيضعوه في الارض المقدسة فلذلك نالنا هذا الامر فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموه فقام موسى ينادي أنشد الله كل من يعلم موضع قبر يوسف الا أخبرني ومن لا يعلم صمت أذناه عن قولي فكان يمر بين رجلين ينادي فلا يسمعان قوله حتى سمعته عجوز منهم فقالت له أرأيتك ان دللتك عليه أتعطيني ما سألتك فأبى عليها وقال حتى أستأذن ربي فأمره ربه أن يعطيها مناها فأعطاها ذلك فقالت له اني أريد أن لا تنزل غرفة من الجنة الا نزلتها معك قال نعم قالت فاني عجوز كبيرة لا أستطيع أن أمشي فاحملني فحملها فلما دنت من النيل قالت له انه في جوف هذا الماء فادع الله أن يحسر عنه الماء فدعا الله تعالى فحسره عنه فقالت له احفره هنا ففعل فاستخرجه وهو في صندوق من مرمر فحمله معه ودفنه في الارض المقدسة قال عروة بن الزبير وقد كان الله تعالى أمر موسى ان يسير ببني اسرائيل اذا طلع الفجر فدعا ربه أن يؤخر طلوعه حتى يفرغ من أمر يوسف ففعل فمن ثم تحمل اليهود موتاهم من كل بلد الى الارض المقدسة من فعل نبيهم ذلك أخبرني الحسن بن محمد باسناده عن ابن أبي موسى الاشعري عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزل النبي صلى الله عليه وسلم باعرابي فأكرمه فقال له عليه السلام تعاهدنا فأتاه الاعرابي فقال له عليه السلام ما حاجتك قال له الاعرابي ناقة يا رسول الله برحلها وأعنز يحلبها أهلي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانية ما حاجتك فقال مالي حاجة غيرها فقال عليه

السلام

قوله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الخ هكذا في نسخ الاصل ولا يخفى على من له المام بفن الحديث ان المناسب حذف قوله عن النبي الخ والاقتصار على قوله عن أبيه قال نزل الخ كما في الرواية المارة في قصة يوسف اه

السلام ان عجوز بنى اسرائيل كانت أحسن مسئلة من هذا وذكر الحديث الذى فى قصة يوسف قال فلما انتهى موسى الى البحر هاجت الريح وعادت ترمى بموج كالجبال فقال له يوشع بن نون يا كليم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون والبحر امامنا فقال موسى ههنا فخاض يوشع بن نون الماء فجاز البحر ولم يوار حافر دابته الماء وقال الذى يكتم ايمانه وهو حزقيل مؤمن آل فرعون يا كليم الله أين أمرت قال ههنا فكبح فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شدقه ثم اقتحم البحر فارتسب فى الماء فذهب القوم ليصنعوا مثل ذلك فلم يقدروا فجعل موسى لا يدرى كيف يصنع فأوحى الله اليه أن اضرب بعصاك البحر وكان الماء فى ذلك الوقت فى غاية الزيادة فضرب موسى البحر بعصاه فلم يطعه فأوحى الله تعالى اليه أن كنه فضربه ثانيا وقال انفلق يا أبا خالد بأذن الله تعالى فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم فلما انفلق البحر فاذا بالرجل الذى أقحم فرسه البحر واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبده وظهر فى البحر اثنا عشر طريقا لاثنى عشر سبطا لكل سبط طريق وأرسل الله تعالى الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يبسا كما قال الله تعالى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى قال سعيد بن جبير أرسل معاوية الى ابن عباس يسأله عن مكان لم تطلع فيه الشمس الا مرة واحدة فأرسل اليه أنه المكان الذى انفلق عنه البحر لبنى اسرائيل (أخبرنا) الحسن بن محمد باسناده عن عبد الله بن سلام ان موسى عليه السلام لما انتهى الى البحر قال يا من كان قبل كل شئ والمكون لكل شئ والكائن بعد كل شئ اجعل لنا فرجا ومخرجا فأوحى الله تعالى اليه أن اضرب بعصاك البحر فضرب بعصاه البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم (وروى) الاعمش عن شقيق عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا اعلمكم الكلمات التى تكلم بها موسى حين جاز البحر بنى اسرائيل فقلنا بلى يا رسول الله قال قولوا اللهم لك الحمد واليك المشتكى وأنت المستعان وعليك التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم قال عبد الله فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا فخاض بنو اسرائيل البحر كل سبط فى طريق وعلى جانبيه الماء كالجبل العظيم لا يرى بعضهم بعضا فخافوا وقال كل سبط قد قتل اخواننا فأوحى الله الى جبال الماء أن تشبكى فصار الماء شبكات كهيآت الطاقات فنظر بعضهم بعضا فأخذوا يجاوزون البحر وهم يرون بعضهم بعضا ويسمع بعضهم بعضا حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر أى فلقنا وميزنا لكم الماء يمينا وشمالا فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون وذلك أنه لما خرجت ساقة عسكر موسى من البحر وصلت مقدمة عسكر فرعون اليه فأراد موسى أن يدعو البحر ليرجع الى حالته الاولى فأوحى الله اليه ان اترك البحر

رهوا أي ساكنا على حاله انهم جند مغرقون فلما وصل جند فرعون الى البحر رأوه منفلقا فقال فرعون انظروا الى البحر كيف انفلق لهيبتي حتى أدرك أعدائي وعبيدي اللذين أبقوا مني فاقتلهم فادخلوا البحر فهاب قومه أن يدخلوه ولم يكن في خيل فرعون أنثى وانما كانت ذكورا كلها فجاء جبريل عليه السلام على فرس له أنثى وديق مشتهية للفحل وعليه عمامة سوداء فتقدمهم وخاض البحر فظن أصحاب فرعون ان الفارس منهم فلما شمت الخيول ريحها اقتحمت البحر في أثرها حتى خاضوا كلهم وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يستحثهم ويقول لهم الحقوا بأصحابكم فلما أراد فرعون أن يسلك طريق موسى نهاه وزيره هامان وقال له اني قد اتيت الى هذا الموضع مرارا ومالي عهد بهذا الطريق واني أخاف ولا آمن أن يكون مكرا من الرجل يكون فيه هلاكنا وهلاك أصحابنا فلم يطعه فرعون وذهب معا حلا على حصانه ليدخل البحر فامتنع الحصان فجاء جبريل على رمكة بيضاء فصهلت فحمحم اليها حصان فرعون فخاض جبريل البحر فتبعها حصان فرعون فاقتحمه البحر فلما توافوا في البحر وهم أولهم أن يخرج من البحر أمر الله تعالى البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم فغرقهم أجمعين وذلك بمرأى من بني اسرائيل فذلك قوله تعالى وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون يعني الى مصارعهم وانفرد جبريل عليه السلام بفرعون فلما أدرك فرعون الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين فقال له جبريل آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ثم ان جبريل أراه فتياه وتوقيعه الذي فيه وقال له انما هذا افتياتك الذي افتيت به ثم جعل يدس في فيه من حماء البحر مخافة أن يعيد تلك الشهادة وفي الحديث أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بغضت أحدا من الخلق ما بغضت رجلين أما احدهما فمن الجن وهو ابليس عليه لعنة الله حين أبى أن يسجد لآدم والآخر من الانس وهو فرعون حين قال أنا ربكم الاعلى ولو رأيتني يا محمد وأنا آخذ من حماء البحر وأدسه في فيه مخافة أن يقول كلمة التوحيد فيرحمه الله بها قالوا فلما سمعت بنو اسرائيل صوت التطام البحر قالوا لموسى ما هذه الضوضاء فقال لهم ان الله قد أهلك فرعون وكل من كان معه غرقا فقالوا لموسى ان فرعون لا يموت ألم تر أنه كان يلبث كذا وكذا يوما لا يحتاج الى شئ مما يحتاج اليه الانسان فأمر الله تعالى البحر فألقاه على نجوة من الارض وعليه درعه حتى نظر اليه بنو اسرائيل فذلك قوله تعالى فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية فيقال انه لو لم يخرجه الله ببدنه لشك فيه بعض الناس فلما جاوز موسى بني اسرائيل البحر أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا

يعملون

يعلمون (أخبرني) الحسن بن محمد باسناده عن محمد بن قيس قال جاء يهودي الى علي
ابن أبي طالب كرم الله وجهه فقال يا أبا الحسن ماصبرتم بعد نبيكم خمسا وعشرين سنة
حتى قتل بعضكم بعضا فقال بلى قد كان صبر وخير ولكنكم ما جفت أقدامكم من ماء
البحر حتى قلتم ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة فلما أغرق الله تعالى فرعون ومن
معه ونجى موسى ومن معه بعث موسى جندين عظيمين من بني اسرائيل كل جند
اثنا عشر ألفا الى مدائن فرعون وهي يومئذ خالية من أهلها قد أهلك الله عظماءهم
ورؤساءهم وقادتهم ومقاتلتهم فلم يبق منهم الا النساء والصبيان والمرضى والهرمى
فأمر على الجندين يوشع بن نون وكالب بن يوفنا فدخلوا بلاد فرعون وغنموا ما كان فيها
من أموالهم وكنوزهم فحملوا من ذلك ما استقلت به الحمول منها ومالم يطيقوا حمله باعوه
من قوم آخرين فذلك قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون الى قوله تعالى فاكهين
كذلك وأورثناها قوما آخرين الى آخر القصة ثم ان يوشع بن نون استخلف على قوم
فرعون رجلا منهم وعاد الى موسى بمن معه من المسلمين غانمين شاكرين

﴿ الباب السادس عشر في قصة ذهاب موسى الى الجبل لميقات ربه ﴾
﴿ وصفة ايتاء الله تعالى له الالواح وانزاله التوراة ومايتعلق بذلك ﴾

قال الله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر وقال في موضع آخر واذ
واعدنا موسى أربعين ليلة قال العلماء بقصص النبيين وسير الماضين ان موسى كان
وعد بني اسرائيل وهو بمصر اذا خرجوا منها وهلك عدوهم ان يأتيهم بكتاب فيه ما يأتون
وما يذرون فلما أهلك الله تعالى فرعون وقومه واستنقذ بني اسرائيل من أيديهم
وأمنهم من عدوهم ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون اليها قالوا يا موسى ائتنا
بالكتاب الذي وعدتنا به فسأل موسى ربه ذلك فأمره الله ان يصوم ثلاثين يوما
ثم يتطهر ويطهر ثيابه ويأتي طور سيناء ليكلمه ويعطيه ذلك الكتاب فصام ثلاثين
يوما فلما صعد الجبل أنكر خلوف فيه فتسوك بعود خرنوب وقال أبو العالية أخذ من
لحاء الشجر فمصه فقالت له الملائكة اذا كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدتها
بالسواك فأوحى الله تعالى اليه أن صم عشرة أيام أخر وقال له أما علمت ان خلوف فم
الصائم أطيب عندي من رائحة المسك وكانت فتنتهم في العشرة الايام التي زادها
الله تعالى على موسى فذلك قوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ذا القعدة وأتممناها
بعشر يعني من ذي الحجة (أخبرني) الحسن بن محمد باسناده عن أبي هريرة ان جميع
الشهور تنقص ما خلا ذا القعدة لقوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر
أي من ذي الحجة فتم ميقات ربه أربعين ليلة فلما مضت أربعون ليلة تطهر موسى
وطهر ثيابه لميقات ربه فلما أتى طور سيناء كلمه ربه وناجاه وقربه وأدناه كما قال تعالى

وقربناه نجيا قال وهب كان بين الله وبين موسى سبعون حجابا فرفعها الله كلها الا حجابا
واحدا فتجلى موسى الكلام الله تعالى واشتاق الى رؤيته وطمع فيها فقال رب أرنى
أنظر اليك قال السدى لما كلم الله موسى غاص الخبيث ابليس فى الارض حتى
خرج من بين قدمى موسى فوسوس فى قلبه وقال ان مكلمك الشيطان فعند ذلك
سأل الرؤية فقال الله تعالى لن ترانى وليس يطيق البشر النظر الىّ فى الدنيا من نظر
الىّ مات فقال الهى سمعت كلامك فاشتقت للنظر اليك ولأن أنظر اليك ثم أموت
أحب الىّ من ان أعيش ولا اراك فقال له انظر الى الجبل وهو أعظم جبل فى مدين يقال
له زبير وذلك ان الجبال لما علمت أن الله يريد أن يتجلى لجبل منها تعاظمت وتشامخت
رجاء ان يتجلى الله لها وجعل زبير يتواضع من بينها فلما رأى الله تواضعه رفعه من بينهن
وخصه بالتجلى قوله تعالى فان استقر مكانه فسوف ترانى فتجلى الله تعالى للجبل
واختلف العلماء فى معرفة التجلى قال ابن عباس ظهر نوره للجبل وقال الضحاك أظهر
الله تعالى من نور الحجب مثل منخر الثور وقال عبد الله بن سلام وكعب ما تجلى من
عظمة الله تعالى للجبل الا كسم الخياط حتى صار دكا وقال السدى ما تجلى الا قدر
الخنصر يدل عليه ما روى ثابت عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قرأ هذه
الآية فقال هكذا ووضع الابهام على المفصل الاعلى من الخنصر فساخ الجبل يعنى غار
وقال الحسن أوحى الله تعالى الى الجبل وقال هل تطيق رؤيتى فغار الجبل وساخ
فى الارض وموسى ينظر اليه حتى ذهب أجمع وقال أبو بكر بن عمر الوراق حكى لى عن
سهل بن سعد الساعدى أن الله تعالى أظهر من بين سبعين ألف حجاب نورا قدر درهم
فجعل الجبل دكا قال أبو بكر فعذب اذ ذاك كل ماء وافاق كل مجنون وبرئ كل مريض
وزال الشوك عن الاشجار واخضرت الارض وأزهرت وخمدت نار المجوس وخرت
الاصنام لوجوهها وقال السدى ما تجلى للجبل الا قدر جناح بعوضة فصار الجبل دكا
وقال ابن عباس ترابا وقال سفيان ساخ حتى وقع فى البحر قال عطية العوفى صار رملا
هائلا وقال الكلبى جعله دكا أى مكسرا جبالا صغارا * وبالاسناد عن أنس بن مالك
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال
صار بعظمته ستة أجبل فوقعت ثلاثة فى المدينة أحد وورقان ورضوى ووقعت
ثلاثة بمكة ثور وثبير وحرا وخر موسى صعقا قال ابن عباس مغشيا عليه وقال قتادة ميتا
وقال الكلبى خر موسى صعقا يوم الخميس يوم عرفة واعطى التوراة يوم الجمعة يوم النحر
قال الواقدى لما خر موسى صعقا قالت الملائكة ما لابن عمران وسؤاله الرؤية وفى بعض
الكتب أن ملائكة السموات والارض أتوا موسى وهو مغشى عليه فجعلوا يلكزونه
بأرجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض أطمعت فى رؤية رب العزة وقال وهب لما

سال

سأل موسى الرؤية أرسل الله تعالى الضباب والصواعق والظلمة والرعد والبرق فاحاطت بالجبل الذى عليه موسى وأمر الله تعالى ملائكة السموات أن تعرضوا على موسى أربعة فراسخ من كل ناحية فمرت به الملائكة ملائكة سماء الدنيا كثيران البقر تنبع أفواههم بالتسبيح والتقديس بصوت عظيم كصوت الرعد الشديد ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الثانية أن اهبطوا على موسى فهبطوا عليه مثل الاسود لهم لجب بالتسبيح والتقديس ففزع موسى مما رأى وسمع واقشعرت كل شعرة فى جسده فقال ندمت على مسئلتى فهل ينجينى من مكانى الذى أنا فيه شئ ان خرجت احترقت وان قعدت مت فقال له خير الملائكة ورئيسهم ياموسى اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت ثم هبطت ملائكة السماء الثالثة كأمثال النسور لهم قصف ورجف ولجب شديد وافواههم تنبع بالتسبيح والتقديس والتهليل كلجب الجيش العظيم ألوانهم كلهب النار ففزع موسى عليه السلام واشتد فزعه وأيس من الحياة فقال له رأس الملائكة مكانك يا ابن عمران حتى ترى مالا صبر لك عليه ثم هبطت عليه ملائكة السماء الرابعة لا يشبههم شئ من الذين مروا به ألوانهم كلهب النار وسائر خلقهم كالثلج الابيض أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس لا يقاربهم شئ من أصوات الذين مروا به ثم هبط عليه ملائكة السماء الخامسة فى سبعة ألوان فلم يستطع موسى أن يتبعهم طرفه ولم ير مثلهم ولم يسمع مثل أصواتهم فامتلأ جوف موسى فزعا واشتد خوفه وكثر بكاؤه ثم قال له خير الملائكة وكبيرهم يا ابن عمران مكانك حتى ترى بعض مالا تصبر عليه ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على عبدى الذى أراد رؤيتى فاعترضوا عليه فهبطوا فى يد كل ملك منهم حربة طويلة تلتهب نارا أشد ضوأ من الشمس ولباسهم كلهب النار واذا سبحوا وقدسوا جاوبهم كل من كان قبلهم من ملائكة السموات كلهم يقولون بشدة أصواتهم سبوح قدوس رب العزة أبدا لا يموت وفى رأس كل ملك منهم أربعة أوجه فلما رآهم موسى رفع رأسه وصوته يسبح معهم ويبكى ويقول رب اذكرنى ولا تنس عبدك لا أدرى هل أتخلص مما أنا فيه أولا ان خرجت احترقت وان مكثت احترقت فقال له رئيس الملائكة وكبيرهم أوشك يا ابن عمران أن يشتد خوفك وينخلع قلبك فاصبر للذى سألت ثم أمر الله تعالى أن يحمل عرشه ملائكة السماء السابعة قال الله أروه اياه فلما بدا نور العرش انصدع الجبل من عظمة رب العزة ورفعت ملائكة السموات أصواتهم جميعا يقولون سبحان الملك القدوس رب العزة أبدا لا يموت بشدة أصواتهم فارتج الجبل واندك وخر موسى صعقا على وجهه ليس معه روح فقلب الله الحجر الذى كان موسى عليه وجعله كهيئة القبة لئلا يحترق موسى وأرسل الله عليه روح

الحياة برحمته فقام موسى يسبح الله ويقول آمنت بانك ربي وصدقت بانه لا يراك أحد فيحيا ومن نظر الى ملائكتك انخلع قلبه فما أعظمك وأعظم ملائكتك أنت رب الارباب واله الآلهة وملك الملوك لا يعدلك شئ ولا يقوم لك شئ تبت اليك الحمد لله لا شريك لك أنت رب العالمين قال السدي حف حول الجبل بالملائكة وحف حول الملائكة بالنار وحف حول النار بالملائكة وحف حول الملائكة نارا ثم تجلى ربه للجبل (أخبرني) الحسن باسناده عن عروة بن ديلم اللخمي قال كانت الجبال قبل ان يتجلى الله لموسى صماء ملساء فلما تجلى الله للجبل صار الطور دكا وتفطرت الجبال وصار فيها كهوف وسقوف قالوا ثم بعث الله تعالى جبريل عليه السلام الى جنة عدن فقطع منها شجرة فاتخذ منها تسعة ألواح طول كل لوح منها عشرة أذرع بذراع موسى وكذلك عرضه وكانت الشجرة التي اتخذ منها الالواح من زمرد أخضر ثم أمر جبريل أن يأتيه بتسعة أغصان من سدرة المنتهى فجاء بها فصارت جميعا نورا وصار النور قلما أطول مما بين السماء والارض وكتب التوراة لموسى بيده وموسى يسمع صرير القلم فكتب الله له في الالواح من كل شئ موعظة وتفصيلا وذلك يوم الجمعة وأشرقت الارض بالنور ثم أمر الله موسى أن يأخذها بقوة ويقرئها قومه فوضعت الالواح على السماء فلم تطق حملها لثقل العهود والمواثيق التي فيها فقالت يارب كيف أطيق ان أحمل كتابك الثقيل المبارك وهل خلقت خلقا يطيق حمل ذلك فبعث الله تعالى جبريل عليه السلام وأمره ان يحمل الالواح فبلغها موسى فلم يطق حملها فقال يارب من يطيق حمل هذه الالواح بما فيها من النور والبيان والعهود وهل خلقت خلقا يطيق حملها فأمده الله بملائكة يحملونها بعدد كل حرف من التوراة فحملوها حتى بلغوها موسى وعرضوا الالواح على الجبل فانصدع لها الجبل وخشع وقال يارب من يطيق حمل هذه الالواح بما فيها وضرب الله مثلا في القرآن فقال تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون كما أنزل التوراة على الجبل فلم يطق حملها قال فلما وضعوها على الجبل بين يدي موسى وذلك عند صلاة العصر فقبض موسى على الالواح فلم يطق حملها فلم يزل يدعو حتى هون الله عليه حملها فحملها فذلك قوله ياموسى اني اصطفيتك الآية وقوله تعالى وكتبنا له في الالواح الآية

﴿فصل في نسخة العشر الكلمات التي كتبها الله تعالى لموسى نبيه وصفيه في الالواح وهي معظم التوراة وعليها مدار كل شريعة﴾

وهي بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله الملك الجبار العزيز القهار لعبده ورسوله موسى بن عمران أن سبحني وقدسني لا اله الا أنا فاعبدني ولا تشرك بي شيأ واشكر لي

ولو الذي الى المصير أحيك حياة طيبة ولا تقتل النفس التى حرم الله عليك فأضيق عليك السماء بأقطارها والارض برحبها ولا تحلف باسمى كاذبا فانى لا أطهر ولا أزكى من لا يعظم اسمى ولا تشهد بما لا يعى سمعك ولا تنظر عينك ولا يقف عليه قلبك فانى أوقف أهل الشهادات على شهاداتهم يوم القيامة وأسائلهم عنها ولا تحسد الناس على ما آتيتهم من فضلى ورزقى فان الحاسد عدو نعمتى ساخط لقسمتى ولا تزن ولا تسرق فاحجب عنك وجهى وأغلق دون دعوتك أبواب السموات ولا تذبح لغيرى فانه لا يصعد الى من قربان أهل الارض الا ما ذكر عليه اسمى ولا تفجرن بحليلة جارك فانه أكبر مقتا عندى وأحبب للناس ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك فهذه نسخة العشر الكلمات وقد أعطاها الله جميعا محمدا صلى الله عليه وسلم فى ثمانى عشرة آية وهى قوله تعالى فى سورة بنى اسرائيل وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه الى قوله ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ثم جمعها فى ثلاث آيات من سورة الانعام وهى قوله تعالى قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم الى قوله تعالى ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون (أخبرنا) أبو عمر محمد الفريابى باسناده عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أعطى موسى الالواح نظر فيها فقال يا رب لقد أكرمتنى بكرامة لم تكرم بها أحدا من العالمين قبلى قال يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين أى بقوة وجد ومحافظة وتموت على حب محمد عليه السلام قال موسى يا رب ومن محمد قال أحمد الذى أثبت اسمه على عرشى قبل أن أخلق السموات والارض بألفى عام وانه نبيى وصفيى وخيرتى من خلقى وهو أحب الى من جميع خلقى وجميع ملائكتى فقال موسى يا رب ان كان محمد أحب اليك من جميع خلقك فهل خلقت أمة أكرم عليك من أمتى قال الله تعالى ان فضل أمة محمد عليه السلام على سائر الامم كفضلى على جميع الخلق قال يا رب ليتنى أراه وأراهم قال يا موسى انك لن تراهم ولو أردت ان تسمع كلامهم اسمعتك قال يا رب فانى أريد أن أسمع كلامهم قال الله تعالى يا أمة محمد فأجبنا كلنا من أصلاب آبائنا وارحام أمهاتنا لبيك اللهم لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك فقال الله تعالى يا أمة محمد ان رحمتى سبقت غضبى وعفوى سبق عقابى قد أعطيتكم من قبل ان تسألونى وقد أجبتكم من قبل أن تدعونى وقد غفرت لكم من قبل ان تعصونى من جاء يوم القيامة بشهادة أن لا اله الا الله وان محمدا عبدى ورسولى دخل الجنة ولو كانت ذنوبه أكثر من زبد البحر وهذا قوله تعالى وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين وقوله تعالى وما كنت بجانب الطور اذ نادينا (أخبرنا) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن على بن نصير المكى قال أخبرنا أبو العباس محمد بن اسحق السراج

قال حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا سعيد بن عبد الرحمن المغافري عن أبيه أن كعب الاحبار رأى حبرا من اليهود يبكي فقال له ما يبكيك فقال ذكرت بعض الامر فقال كعب الاحبار أنشدك الله لئن أخبرتك بما أبكاك لتصدقني قال نعم قال أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل على موسى عليه الصلاة والسلام أن موسى نظر في التوراة فقال اني أجد أمة هم خير الامم أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول والآخر ويقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا الاعور الدجال فقال موسى رب اجعلهم أمتي قال هم أمة محمد ياموسى قال له الحبر نعم قال كعب أنشدك الله تعالى هل تجد في كتاب الله المنزل على موسى أن موسى نظر في التوراة فقال اني أجد أمة هم الحامدون رعاة الشمس هم المحكمون اذا أرادوا أمرا قالوا نفعله ان شاء الله تعالى فقال موسى فاجعلهم أمتي فقال هم أمة محمد ياموسى قال له الحبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال يارب اني أجد أمة يأكلون كفاراتهم وصدقاتهم وكان الاولون يحرقون صدقاتهم بالنار غير أن موسى كان يجمع صدقات بني اسرائيل فلا يجد عبدا مملوكا ولا أمة الا اشتراه من تلك الصدقة وما فضل يحفر له حفرة عميقة القعر وألقاه فيها ثم دفنه كي لا يرجعوا فيه وهم المسبحون المستجيبون المستجاب لهم وهم الشافعون والمشفعون قال موسى يارب اجعلهم أمتي قال هي أمة محمد ياموسى قال الحبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال اني أجد أمة اذا أشرف أحدهم على شرف كبر الله تعالى واذا هبط الى واد حمد الله تعالى الصعيد لهم طهور والارض لهم مسجد حيثما كانوا يتطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء غرا محجلين من آثار الوضوء فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد ياموسى قال الحبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد في التوراة أن موسى نظر فيها فقال يارب اني أجد أمة اذا هم أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة واذا عملها كتبت له عشرا الى سبعمائة ضعف واذا هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه واذا عملها كتبت عليه سيئة مثلها فاجعلهم يارب أمتي قال هم أمة محمد ياموسى قال الحبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال يارب اني أجد أمة مرحومة أصفياء يرثون الكتاب فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا أجد أحدا منهم الا مرحوما فاجعلهم أمتي قال هم أمة أحمد ياموسى فقال الحبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال يارب اني أجد أمة مصاحفهم في صدورهم يلبسون ألوان ثياب أهل الجنة يصطفون في صلاتهم صفوفا كصفوف

الملائكة أصواتهم فى مساجدهم كدوى النحل لايدخل النار منهم أحد ومنهم من لايرى الحساب الامثل مايرى الحرمن وراء الشجر فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد ياموسى قال الحبر نعم قال فلما تعجب موسى من الخير الذى أعطاه الله لامة محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين قال موسى ياليتنى من أصحاب محمد فاوحى الله تعالى اليه بثلاث آيات يرضيه بهن فقال تعالى ياموسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين الى قوله تعالى دار الفاسقين وقوله تعالى ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضى موسى كل الرضا (وقال ابن عباس) لما سار موسى الى طور سيناء الى الميقات قال له ربه ماتبتغى قال جئت ابتغى الهدى قال وجدته ياموسى قال موسى يارب أى عبادك أحب اليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فاى عبادك أقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال أى عبادك أعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علمه فيسمع الكلمة تهديه الى هدى أو ترده عن ردى (وقال عبد الله بن مسعود) لما قرب الله تعالى موسى الى طور سيناء رأى عبدا فى ظل العرش جالسا قال يارب من هذا قال عبد لايحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله برّ بوالديه لايمشى بالنميمة قال موسى يارب اغفر لى ماجرى من ذنبى وماغبر وما بين ذلك وما أنت أعلم به منى أعوذ بك من وسوسة نفسى وأعوذ بك من سوء عملى قال قد كفيت ذلك ياموسى قال موسى يارب اى الاعمال احب اليك أن أعمل به قال تذكرنى ولا تنسانى قال أى عبادك خير عملا قال من لايكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزنى فرجه مؤمن فى خلق حسن قال فاى عبادك شر عملا قال فاجر فى خلق سيئ جيفة بالليل بطال بالنهار قال فلما رجع موسى الى قومه وقد أتاهم بالتوراة أبوا أن يقبلوها ويعملوا بما فيها من الاثقال والاغلال التى كانت عليهم فيها وكانت شريعة ثقيلة فأمر الله جبريل فقلع جبلا على قدر عسكرهم وكان فرسخا فى فرسخ فرفعه فوق رؤسهم مثل الظلة مقدار قامة الرجل وقال أبو صالح عن ابن عباس أمر الله تعالى جبلا من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتى قام على رؤسهم مثل الظلة فذلك قوله تعالى واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور وقوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وقال عطاء عن ابن عباس رفع الله تعالى فوق رؤسهم الطور وبعث نارا من قبل وجوههم وأتاهم البحر الملح من خلفهم وقيل لهم خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا فان قبلتموه وفعلتم ما أمرتكم به والا رضختكم بهذا الجبل وأغرقتكم فى هذا البحر وأحرقتكم بهذه النار فلما رأوا أن لامهرب لهم منها قبلوا ذلك وسجدوا على شق وجوههم يلاحظون الجبل وهم سجود فصارت سنة فى اليهود لايسجدون الاعلى أنصاف وجوههم فلما زال الجبل قالوا ياموسى سمعنا وأطعنا ولولا الجبل

ما أطعناك * وروى قتادة عن الحسن قال مكث موسى بعدما تغشاه نور رب العالمين وأنصرف الى قومه أربعين ليلة لا يراه أحد الا مات حتى انه اتخذ لنفسه برنسا وعليه برقع لا يبدي وجهه لاحد مخافة أن يموت (وأخبرني) أبو عبد الله الحسين بن محمد ابن الحسين الثقفي قال حدثنا محمد بن أبي شيبة قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله القزويني قال حدثنا محمد بن مرزوق النصري قال حدثنا هانئ بن يحيي السلمي قال حدثنا الحسن بن أبي سهل عن جعفر عن قتادة عن يحيي بن وثاب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كلم الله موسى كان يبصر بعد ذلك دبيب النملة في الليلة المظلمة على الصفا من مسيرة عشرة فراسخ (وأخبرنا) أبو عبد الله الثقفي قال حدثنا عبد الله بن شيبة قال حدثنا أبو حامد المستملي قال حدثنا اسحق قال حدثنا خالد بن خراش قال حدثنا عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه أن موسى كان اذا غضب اشتعلت قلنسوته نارا لشدته

﴿باب في ذكر قصة بني اسرائيل وهرون مع السامري حين اتخذ لهم العجل﴾

قال أهل السير وأصحاب التواريخ لما أهلك الله فرعون وقومه قال موسى اني ذاهب الى الجبل لميقات ربي وآتيكم بكتاب فيه بيان ما تأتون وما تذرون وواعدهم ثلاثين ليلة واستخلف عليهم أخاه هرون فجاء جبريل عليه السلام على فرس يقال لها فرس الحياة وهي بلقاء أنثى لا تصيب شيأ الا حيي فلما رآه السامري على تلك الفرس عرفه وقال ان لهذه الفرس لشأنا عظيما وأخذ قبضة من تراب حافر فرس جبريل هذا قول السدي وقال الكلبي انما اتخذ السامري من تراب حافر فرس جبريل العجل حين عبروا البحر وبعث الله تعالى جبريل على فرس بلقاء خطوتها مد البصر عليها تركب الانبياء كلهم وخاض البحر وشمت خيول قوم فرعون ريحها فخاضت في أثرها قالوا وانما عرف السامري جبريل دون بني اسرائيل لان فرعون حين أمر بذبح أولاد بني اسرائيل جعلت المرأة اذا ولدت الغلام انطلقت به سرا في جوف الليل الى صحراء أو واد أو غار في جبل فاخفته فيقيض الله له ملكا من الملائكة يطعمه ويسقيه حتى يختلط بالناس وكان الذي ربى السامري جبريل عليه السلام فجعل يمص من احد ابهاميه سمنا ومن الآخر عسلا فمن ثم عرفه ومن ذلك الوقت اذا جاع الطفل يمص ابهامه فيروى من المص لانه جعل له فيه رزق ويقال ان جبريل عليه السلام وكل بالسامري وعلا لبونا تسقيه اللبن بالغداة والعشي حتى كبر واختلط بالناس فلذلك عرفه دون سائر بني اسرائيل لانه هو الذي رباه وكان أبو عمرو السكندري يقول دابة موسى وفرعون دابة موسى أز أهل بهشت وفرعون أز أهل دوزخ ودابة السامري وجبريل دابة جبريل أز أهل بهشت والسامري أز أهل دوزخ بود قال قتادة والسدي

كان

قوله وكان أبو عمرو الخ عبارة فارسية معناها دابة موسى وجبريل عليهم السلام من أهل الجنة ودابة فرعون والسامري من أهل جهنم. انتهى

كان عظيما من عظماء بنى اسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة ولكن عدو الله نافق وقال
سعيد بن جبير كان السامرى من أهل كرمان وقال غيرهما كان رجلا صائغا من أهل
باجرمى واسمه منجا وقال ابن عباس اسمه موسى ظفر وكان رجلا منافقا قد أظهر
الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فدخل فى قلبه حب البقر فلما ذهب موسى
لميقات ربه وكان قد وعد قومه ثلاثين ليلة وأتمها الله بعشر حتى صارت أربعين فعد بنو
اسرائيل ثلاثين ليلة فلما لم يرجع اليهم افتتنوا وقالوا ان موسى خلفنا الوعد فاغتنمها
السامرى حتى فعل مافعل وقال قوم انهم عدوا الليل يوما والنهار يوما وكان موسى قد
وعدهم أربعين ليلة فلما مضت عشرون يوما افتتنوا فأتاهم السامرى وقال لهم ان
موسى قد احتبس عنكم فينبغى لكم أن تتخذوا الها فان موسى ليس براجع اليكم وقد
تم الميقات فينبغى لكم أن تتخذوا الها وانما طمع فيهم السامرى لانهم يوم عبر موسى
البحر مروا على قوم من العمالقة وهم يعكفون على أصنام لهم فقالوا ياموسى اجعل لنا
الها كما لهم آلهة الآية فاغتنمها السامرى فلما كان ذلك اليوم وخرج موسى ومضى
من خروجه عشرون يوما وكانوا قد استعاروا حليا كثيرا من آل فرعون حين أرادوا
الخروج من مصر بعلة العيد وأهلك الله فرعون وقومه وبقى ذلك الحلى بايدى بنى
اسرائيل فلما خرج موسى قال هرون لبنى اسرائيل ان حلى القبط الذى استعرتموه منهم
غنيمة ولا يحل لكم فاجمعوه جميعا واحفروا له حفرة وادفنوه فيها حتى يرجع موسى
فيرى فيه رأيه ففعلوا ذلك فجاء السامرى بالقبضة التى أخذها من تحت حافر فرس
جبريل عليه السلام فقال لهرون يانبى الله هل أقذفها فيه فظن هرون أنه من الحلى
يريد به ما يريد أصحابه فقال له اقذف فقذفها فى الحفرة على الحلى فصارت عجلا جسدا
له خوار (وقال ابن عباس) أوقد هرون نارا وأمرهم ان يقذفوها فيه فقذف
السامرى تلك القبضة فيها فقال كن عجلا جسدا له خوار وكان البلاء والفتنة حين
صار كذلك وذلك أن السامرى قال لهرون أألقى مافى يدى وهو يظن أنه من تلك الحلى
فقال نعم ويقال ان الذى قال لبنى اسرائيل ان الغنيمة لا تحل لكم هو السامرى
فصدقوه وجمعوها ودفعوها اليه فصاغ منها عجلا فى ثلاثة أيام ثم ألقى فيه القبضة فجثا
وخار خورة ثم لم يعد وقال السدى كان يخور ويمشى فلما أخرج السامرى العجل وكان
من ذهب مرصع بالجوهر كاحسن مايكون وقال هذا الهكم واله موسى فنسى أى أخطأ
الطريق فتركه ههنا وخرج يطلبه فلذلك أبطأ عليكم واختلف الموعد وفى بعض
الروايات أن السامرى لما صاغ العجل وقذف القبضة فيه أشعر العجل وعد اوخار
وصار له لحم ودم ويروى أن ابليس خار فى وسطه ويقال ان السامرى جعل مؤخر
العجل الى حائط وحفر فى الجانب الآخر فى الارض وأجلس فيه انسانا فوضع فمه فى

دبره بخار وتكلم بما تكلم به وقال هذا الهكم واله موسى فلبس السامرى على أوعاد
بنى اسرائيل وجهالهم حتى أضلهم وقال لهم ان موسى قد اخطأ ربه فأتاكم ربه أراد أن
يريكم أنه قادر على أن يدعوكم الى نفسه بنفسه وأنه لم يبعث موسى لحاجة منه اليه وأنه
قد أظهر اليكم العجل ليكلمكم من وسطه كما كلم موسى من الشجرة قال على بن أبى
طالب رضى الله عنه انما سمى العجل لانهم تعجلوه قبل رجوع موسى اليهم وقال الحسن
البصرى اسم عجل بنى اسرائيل الذى عبدوه يهموت قالوا فلما رأوا العجل وسمعوا قول
السامرى افتتنوا به غير اثنى عشر ألفا وكان مع هرون ستمائة ألف فعكفوا عليه
يعبدونه من دون الله وأحبوه حبا ما أحبوا مثله شيأ قط فقال لهم هرون يابنى
اسرائيل انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى قالوا لن نبرح عليه
عاكفين حتى يرجع الينا موسى فأقام هرون فيمن معه من المسلمين وأقام من يعبد
العجل على عبادته وتخوف هرون ان سار بمن معه من المسلمين الى المفتونين الضالين
أن يقول له موسى فرقت بين بنى اسرائيل وكان له هائبا مطيعا وقال قتادة فى هذه
القصة قد كره الصالحون الفرقة قبلكم (أخبرنى) الحسن بأسناده عن راشد بن
سعيد قال لما واعد الله موسى أربعين يوما قال الله تعالى ياموسى ان قومك قد افتتنوا
من بعدك قال يارب كيف يفتتنون وقد نجيتهم من فرعون ومن البحر وأنعمت عليهم
قال انهم اتخذوا العجل الها من دونى وهو عجل ذو جسد له خوار قال يارب من نفخ فيه
الروح قال أنا قال أنت وعزتك فتنتهم ان هى الا فتنتك الآية فقال الله تعالى ياموسى
يارأس النبيين ياأبا الاحكام انى رأيت ذلك فى قلوبهم فيسرته لهم فلما رجع موسى
من الميقات الى قومه وقرب منهم سمع اللغط حول العجل وكانوا يزفنون ويرقصون
حوله ولم يخبر موسى أصحابه السبعين بما أخبره ربه من حديث العجل فقالوا هذا قتال
فى المحلة فقال موسى لهم لا ولكنه صوت الفتنة افتتن القوم بعدنا بعبادة غير الله
فذلك قوله تعالى ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا فلما رآهم حول العجل وما
يصنعون به ألقى الالواح من يده فتكسرت فصعد عامة الكلام الذى كان فيها ولم
يبق فيها الا سدسها ثم أعيدت له فى لوحين * عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليس المعاين كالمخبر قال الله تعالى لموسى ان القوم قد فتنوا فلم يلق
الالواح فلما عاين ألقى الالواح فكسرها * عن تميم الدارى قال قلت يارسول الله مررت
بمدينة صفتها كيت وكيت قريبة من ساحل البحر فقال عليه الصلاة والسلام تلك
انطاكية أما ان فى غار من غيرانها رضاضا من ألواح موسى ومامن سحابة شرقية ولا
غربية تمر بها الا ألقت عليها من بركاتها ولن تذهب الايام والليالى حتى يسكنها رجل
من أهل بيتى يملأها عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما قالوا فلما رأى موسى ماصنع

قومه من بعده من عبادة العجل أخذ بشعر رأس أخيه هرون بيمينه ولحيته بشماله وكان هرون قد اعتزلهم في اثني عشر ألفا لم يعبدوا العجل فقال لهرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا أن لا تتبعن أفعصيت أمري هلا قاتلتهم اذ علمت أني لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم فقال هرون يا ابن أم الآية قال المفسرون كان هرون أخا موسى لابيه وأمه ولكنه أراد بقوله يا ابن أم ترقيقه واستعطافه عليه لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي أي بذوائبي اني خشيت ان قاتلتهم أن يصيروا احزابا يقتل بعضهم بعضا فتقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي أي ولم تحفظ وصيتي حين قلت لك اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ثم ان موسى أقبل على السامري وقال له ما خطبك يا سامري اي ما أمرك وشأنك فقال السامري بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول يعني أخذت ترابا من أثر فرس جبريل فنبذتها وطرحتها في العجل وكذلك سولت لي نفسي أي زينت لي قالوا فلما علم بنو اسرائيل أنهم قد أخطؤا وضلوا في عبادتهم العجل ندموا على ذلك واستغفروا الله تعالى كما قال تعالى ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين فقال لهم موسى يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل قالوا فاي شئ نصنعه وما الحيلة قال توبوا الى بارئكم أي ارجعوا الى خالقكم قالوا فكيف نتوب قال فاقتلوا أنفسكم أي ليقتل البرىء المجرم ذلكم يعني القتل خير لكم عند بارئكم قال ابن عباس أبى الله أن يقبل توبة بني اسرائيل الا بالحال الذي كرهوا أن يقاتلوهم حين عبدوا العجل وقال قتادة جعل الله توبة عبدة العجل القتل لانهم ارتدوا وكفروا والكفر مبيح الدم فلما أمرهم موسى بالقتل استسلموا الامره وقالوا نصبر لامر الله فجلسوا في الافنية محتبين وأظلت عليهم القوم بالسيوف والخناجر فكان الرجل يرى أخاه وابنه وأباه وقريبه وجاره فلم يمكنه الا امضاء أمر الله تعالى فقالوا يا موسى كيف نصنع فأرسل الله ضبابة وسحابة سوداء حتى لا يبصر بعضهم بعضا وقيل لهم من حل حبوته أومد طرفه الى قاتله أو اتقاه بيد أو رجل فهو ملعون مردود توبته فكانوا يقتلونهم الى المساء فلما كثر فيهم القتل وبلغ عدة القتلى سبعين ألفا دعا موسى وهرون ربهما وجزعا وتضرعا وقالا يارب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشف الله السحابة عنهم وأمرهم أن يرفعوا السلاح ويكفوا القتل عنهم فلما انكشفت السحابة عن القتلى اشتد ذلك على موسى فأوحى الله تعالى اليه أما يرضيك أن أدخل القاتل والمقتول الجنة فكان من قتل منهم شهيدا ومن بقي منهم مكفرا ذنبه فلذلك قوله تعالى فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم وقالوا أمر الله تعالى موسى أن يبرد العجل بالمبرد ويحرقه ثم يذروه في النيل فمن شرب ماءه من عبدة العجل اصفر لون وجهه واسودت

شفتاه وقيل نبت على شاربه الذهب فكان علما لجرمه فأخذ موسى العجل فذبحه ثم
برده بالمبرد ثم أحرقه وجمع رماده وأمر السامرى بالبول عليه استخفافا به وتصغيراله ثم
ذراه فى الماء فذلك قوله تعالى وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا الآية قالوا ثم
ان موسى أمرهم بالشرب من ذلك الماء فشربوا منه فاصفرت وجوه الذين عبدوه
واسودت شفاههم فاقروا بحب العجل وعبادته وقالوا ياموسى انا قدندمنا على ماصنعنا
وتبنا الى الله فلو أمرنا أن نقتل نفوسنا لتقبل توبتنا قتلناها فقيل لهم فاقتلوا أنفسكم
ثم ان موسى هم بقتل السامرى فأوحى الله تعالى اليه لاتقتله فانه سخى فلعنه موسى
وقال له فاذهب فان لك فى الحياة أن تقول لامساس وان لك موعدا لن تخلفه أى
بعذابك فى القيامة ثم أمر موسى بنى اسرائيل أن لايخالطوه ولا يقربوه فصار السامرى
وحشيا لا يألف أحدا ولا يؤلف ولا يدنو من الناس ولا يمس أحدا منهم فمن مسه
قرض ذلك الموضع بالمقراض وكان كذلك حتى هلك قال قتادة ان بقاياهم الى اليوم
يقولون ذلك أى لامساس وفى بعض الكتب أنه ان مس أحدا من غيرهم أو احدا
منهم حم كلاهما فى الوقت قالوا ثم ان الله تعالى أمر موسى أن يأتيه فى ناس من خيار
بنى اسرائيل ليعتذروا اليه من عبادة قومهم العجل فاختار موسى سبعين رجلا
لمنطلقوا معه الى الجبل كما أمر الله تعالى وأمره أن يكونوا شيوخا فلم يصب الاستين شيخا
فأوحى الله تعالى اليه أن يختار من الشباب عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا (وروى)
أنه اختار من كل سبط ستة نفر فصاروا اثنين وسبعين رجلا فقال انما أمرت بسبعين
رجلا فليتخلف منكم رجلان فتشاحوا على ذلك فقال موسى ان لمن قعد مثل أجر من
خرج فقعد يوشع بن نون وكالب بن يوفنا فأمر موسى السبعين أن يصوموا ويتطهروا
ويطهروا أثوابهم ثم خرج بهم الى الطور لميقات ربه وذلك قوله تعالى واختار موسى
قومه سبعين رجلا لميقاتنا الآية وكان لايأتيه الا باذن منه فلما دنا موسى الى الجبل
وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا
وكان موسى اذا كلمه الله وقع على وجهه نور ساطع لايستطيع أحد من بنى اسرائيل
أن ينظر اليه فضرب دونه الحجاب ودنا القوم حتى دخلوا فى الغمام وخروا سجدا وسمعوا
الله تعالى وهو سبحانه وتعالى يكلم موسى ويأمره وينهاه وأسمعهم الله تعالى انى أنا
الله لا اله الا أنا ذو بكة أخرجتكم من أرض مصر فاعبدونى ولا تعبدوا غيرى فلما فرغ
موسى من الكلام وانكشف الغمام أقبل اليهم فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله
جهرة فأخذتهم الصاعقة وهى نار جاءت من السماء فاحرقتهم جميعا قال وهب بل أرسل
الله عليهم جندا من السماء فلما سمعوا احسهم ماتوا يوما وليلة فذلك قوله تعالى واذ قلتم
ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون فلما ماتوا

قال موسى رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا يارب كيف أرجع الى بنى اسرائيل وقد أهلكت خيارهم ولم يزل موسى يناشد ربه حتى أحياهم الله له جميعا رجلا بعد رجل ينظر بعضهم بعضا كيف يحيون فذلك قوله تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم الآية (أخبرنى) الحسن باسناده عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا راح منا الى الجمعة سبعون كانوا كالسبعين الذين وفدوا مع موسى الى ربهم وأفضل

﴿باب فى قصة قارون حين عصى ربه وموسى واستكبر وأورثه ماله الطغيان والبطر حتى أهلكه الله تعالى﴾

قال الله تعالى ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم الآية قالت العلماء بأخبار القدماء قارون كان ابن عم موسى لانه قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وموسى هو ابن عمران بن قاهث هذا قول أكثر العلماء (وقال) ابن اسحق تزوّج يصهر ابن قاهث سمين بنت ماويب بن بركيا بن يقشان بن ابراهيم فولدت له عمران بن يصهر وقارون بن يصهر فنكح عمران نحيب بنت شمويل بن بركيا بن يقشان فولدت هرون وموسى ابنى عمران فموسى على قول ابن اسحق ابن أخى قارون وقارون عمه لابيه وأمه وعلى قول الآخرين ابن عمه وعليه أصحاب التواريخ وكان قارون أعلم بنى اسرائيل بعد موسى وهرون وأفضلهم وأجملهم قال قتادة كان يسمى المنور لحسن صورته ولم يكن فى بنى اسرائيل أقرأ للتوراة منه ولكن عدوّ الله نافق كما نافق السامرى فبغى على قومه كما قال تعالى فبغى عليهم واختلفوا فى معنى هذا البغى قال ابن عباس رضى الله عنهما كان فرعون قد ملك قارون على بنى اسرائيل حين كانوا بمصر (وأخبرنى) الحسين باسناده عن المسيب بن شريك ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم قال كان عاملا لفرعون على بنى اسرائيل وكان يبغى عليهم ويظلمهم وقال عطاء الخراسانى وشهر بن حوشب زاد عليهم فى الثياب شبرا وروى شيبان عن قتادة قال بغى عليهم بالكبر والبذخ وبكثرة ماله وكان أغنى أهل زمانه وأثراهم كما قال تعالى وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه الآية أى لتثقل وتميل بهم اذا حملوها لثقلها واختلف المفسرون فى عدد العصبة فى هذا الموضع فقال مجاهد ما بين العشرة الى الخمسة عشر وعن قتادة ما بين العشرة الى الاربعين وعن عكرمة منهم من يقول أربعون ومنهم من يقول سبعون وعن الضحاك ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل هم ستون (وروى) جرير عن خيثمة قال وجدت فى الانجيل أن مفاتيح خزائن قارون وقر ستين بغلا غرا محجلة ما يزيد منها مفتاح على أصبع لكل مفتاح منها كنز ويقال ان قارون كان أينما ذهب يحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من حديد فلما ثقلت عليه جعلها من

خشب فثقلت عليه فجعلها من جلود البقر على طول الاصابع فكانت تحمل معه
اذا ركب على أربعين بغلا واختلفوا فى سبب جمع تلك الاموال له فقيل كان عنده
علم الكيمياء قال سعيد بن المسيب كان موسى يعلم الكيمياء فعلم يوشع بن نون ثلث
ذلك العلم وعلم كالب بن يوفنا مثله وعلم قارون مثله فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما
الى علمه وفى الخبر ان الله تعالى علم موسى الكيمياء فعلم موسى أخته فعلمته قارون
فكان ذلك سبب أمواله فذلك قوله تعالى انما أوتيته على علم عندى أو بالتصرف
فى التجارات والزراعات وسائر أنواع المكاسب والمطالب (وقيل) فى سبب جمعه
تلك الاموال ما أخبرنا الثقفى باسناده عن أبى الحوارى قال سمعت أبا سليمان الدارانى
كان يقول تبدى ابليس لقارون وكان قارون قد أقام على جبل أربعين سنة يتعبد
حتى اذا غلب جميع بنى اسرائيل فى العبادة بعث اليه ابليس شياطينه فلم يقدروا
عليه فتقدم هوله وجعل يتعبد مع قارون وجعل ابليس يقهره بالعبادة و يفوقه
فخضع له قارون وقال له ابليس يا قارون قد رضينا بهذا الذى نحن فيه لا نشهد لبنى
اسرائيل جماعة ولا نعود لهم مريضا ولا نشهد جنازة قال فأحدره من الجبل الى
البيعة فكانوا يؤتون بالطعام فقال له ابليس يا قارون قد رضينا أن نكون هكذا كلا
على بنى اسرائيل فقال له قارون فاى رأى عندك قال نكتسب يوما فى الجمعة ونتعبد
بقية الجمعة قال فتكسبا فى يوم الجمعة وتعبدا بقيتها فقال ابليس قد رضينا ان نكون
هكذا قال قارون فاى الرأى عندك قال نكتسب يوما ونتعبد يوما فنتصدق ونعطى
قال فلما كسبا يوما وتعبدا يوما جلس ابليس وتركه ففتحت على قارون أبواب الدنيا
فبلغ ماله ما أخبرنا به ابن فنجويه باسناده عن المسيب بن شريك قال مائة مفاتحه
لتنوء بالعصبة وكانت أربعمائة ألف فى أربعين خزانة فصار فى الثروة وكثرة المال بحيث
يضرب به الامثال أنشدنى أبو العباس سهل بن محمد المروزى عن بعضهم

وعدتنى وعدك حتى اذا ❊ أطمعتنى فى كنز قارون
جئت من الليل بغسالة ❊ تغسل ما قلت بصابون

فبغى قارون وطغى وتجبر حين استغنى وأثرى حتى هلك فصار عبرة للغابرين وعظة
للباقين وكان أول طغيانه وعصيانه أنه تكبر واستطال على الناس بكثرة الاموال
فكان يخرج فى زينته وهيئته ويختال كما قال تعالى فخرج على قومه فى زينته الآية
قال مجاهد خرج على براذين بيض عليها سروج الارجوان وعليها المعصفرات وقال
عبد الرحمن بن زيد بن أسلم خرج فى سبعين ألفا عليهم المعصفرات قال وكان ذلك أول
يوم ظهرت المعصفرات فى الارض * فيما كان أبى يذكر لى عن مقاتل أنه خرج على بغلة
شهباء عليها سرج من الذهب عليه الارجوان ومعه ألف فارس عليهم وعلى دوابهم

الارجوان ومعه ستمائة جارية بيض عليهن الحلى والثياب الحمر على البغال الشهب فتمنى أهل الخسارة والجهالة مثل الذى أوتيه فقالوا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم فأنكر عليهم أهل العلم بالله وقالوا لهم اتقوا الله واعملوا بما أمركم الله به وانتهوا عما نهاكم عنه فان ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون عن لذات الدنيا وشهواتها قال الله تعالى وما يلقاها الا الذين صبروا أى لا يوفق لهذه الكلمة الا الصابرون على طاعة الله وعن زينة الحياة الدنيا (قالوا) ثم ان الله أوحى الى نبيه موسى عليه السلام أن يأمر قومه ان يعلقوا فى أرديتهم خيوطا أربعة فى كل طرف خيط أخضر لونه كلون السماء فقال موسى يارب لم أمرت بنى اسرائيل بتعليق هذه الخيوط الخضر فى أرديتهم فقال الله تعالى ان بنى اسرائيل فى غفلة وقد أردت أن أجعل لهم علما فى ثيابهم ليذكرونى به اذا نظروا اليه ويذكرون اله السماء ويعلمون أنى منزل منها كلامى فقال موسى يارب أفلا تأمرهم أن يجعلوا أرديتهم كلها خضرا فان بنى اسرائيل تحقر هذه الخيوط قال له ياموسى ان الصغير من أمرى ليس بصغير وان لم يطيعونى فى الامر الصغير لم يطيعونى فى الامر الكبير قال فدعا موسى بنى اسرائيل ثم قال لهم ان الله أمركم أن تعلقوا فى أرديتكم خيوطا خضرا كلون السماء لتذكروا ربكم اذا رأيتموها ففعلت بنو اسرائيل ما أمرهم به موسى واستكبر قارون فلم يطعه وقال ما يفعل هذه الاارباب بعبيدهم لكى يتميزوا عن غيرهم فكان أيضا هذا من بغيه وعصيانه (قالوا) فلما قطع موسى ببنى اسرائيل البحر جعلت الحبارة وهى رياسة المذبحة وبيت القربان لهرون فكانت بنو اسرائيل يأتون بهديهم فيدفعونه الى هرون فيضعه على المذبح فتنزل نار من السماء فتأكله فوجد قارون فى نفسه من ذلك فأتى موسى وقال ياموسى لك الرياسة والرسالة ولهرون الحبارة ولست أنا فى شئ من ذلك وأنا أقرأ للتوراة منكما ولا صبر لى على هذا فقال موسى والله ما جعلتها أنا فى هرون بل الله جعلها له فقال له قارون والله لا أصدقك فى ذلك حتى ترينى بيانه قال فجمع موسى رؤساء بنى اسرائيل وقال هاتوا عصيكم فمن أصبحت عصاه خضراء فهو أحق بالحبارة فجمعوا العصى وجاؤا بها وكتب كل واحد اسمه على عصاه فحزمها موسى وألقاها فى القبة التى كان يعبد الله فيها وجعلوا يحرسون عصيهم حتى أصبحوا فأصبحت عصا هرون قد اهتزت ولها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى ياقارون ترى هذا من فعلى فقال قارون والله ما هذا بأعجب مما تصنع السحرة وذهب قارون مغاضبا واعتزل موسى بأتباعه وجعل موسى يداريه للقرابة التى بينهما وهو يؤذيه فى كل وقت ولا يزيد كل يوم الا عتوا وتجبرا ومخالفة ومعاداة لموسى حتى انه بنى دارا وجعل بابها من الذهب

الاحمر وضرب على جدرانها صفائح الذهب وكان الملأ من بني اسرائيل يغدون عليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه (قال ابن عباس) ثم ان الله أنزل الزكاة على موسى فلما أوجب الله الزكاة عليهم أتى قارون موسى فصالحه على كل ألف دينار دينار واحد وعن كل ألف درهم درهم واحد وعن كل ألف شاة شاة واحدة وعن كل شئ شئ ثم رجع قارون الى بيته وحسبه فوجده كثيرا فلم تسمح نفسه بذلك فجمع بني اسرائيل وقال لهم ياقوم ان موسى قد أمركم بكل شئ فاطعتموه وهو الآن يريد ان يأخذ أموالكم فقالوا له أنت كبيرنا وسيدنا فمرنا بما شئت فقال آمركم أن تجيؤا بفلانة البغي فنجعل لها جعلا على أن تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك خرجت عليه بنو اسرائيل فرفضوه فاسترحنا منه فأتوا بها فجعل لها قارون ألف درهم وقيل ألف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل حكمها وقال لها أنا أمونك وأخلطك بنسائي على ان تقذفي موسى بنفسك غدا اذا حضر بنو اسرائيل فلما كان من الغد جمع قارون بني اسرائيل ثم أتى موسى فقال ان بني اسرائيل اجتمعوا ينظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم وتبين لهم اعلام دينهم وأحكام شرعهم فخرج اليهم موسى وهم فى براح من الارض فقام فيهم خطيبا ووعظهم وقال فيما قال يابني اسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين جلدة ومن زنى وليس له امرأة جلدناه مائة جلدة وان كان له امرأة رجمناه حتى يموت فقال له قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال ان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة قال أنا قال نعم قال ادعوها فان قالت فهو كما قالت فدعوها فلما جاءت قال لها موسى يافلانة أنا فعلت بك مايقول هؤلاء وعظم عليها وسألها بالذى فلق البحر لموسى و بنى اسرائيل وأنزل التوراة على موسى الا صدقت فلما ناشدها تداركها الله بالتوفيق وقالت فى نفسها لأن أحدث اليوم توبة أفضل من أن أوذى رسول الله فقالت لا بل كذبوا ولكن جعل لى قارون جعلا على أن أقذفك بنفسى فلما تكلمت بهذا الكلام سقط فى يد قارون ونكس رأسه وسكت الملأ وعرف أنه قد وقع فى مهلكة فخر موسى ساجدا لله يبكى و يقول يارب ان عدوك هذا قد آذاني وأراد فضيحتى وشينى اللهم ان كنت رسولك فاغضب لى وسلطنى عليه فأوحى الله تعالى اليه أن ارفع رأسك وأمر الارض بما شئت تطعك فقال موسى يابنى اسرائيل ان الله تعالى قد بعثنى الى قارون كما بعثنى الى فرعون فمن كان معه فليلبث مكانه ومن كان معى فليعتزل عنه فاعتزلوا عن قارون ولم يبق معه الا رجلان ثم قال موسى ياأرض خذيهم فأخذتهم الى كعابهم ثم قال ياأرض خذيهم فأخذتهم الى ركبهم ثم قال ياأرض خذيهم فأخذتهم الى جنوبهم ثم قال ياأرض خذيهم فأخذتهم الى أحقابهم ثم قال ياأرض

خذيهم

خذيهم فأخذتهم الى أعناقهم وقارون وصاحباه في كل ذلك يتضرعون الى موسى ويناشده قارون بالله والرحم حتى روى في بعض الاخبار أنه ناشده سبعين مرة وموسى في جميع ذلك لا يلتفت اليه لشدة غضبه عليه ثم قال يا أرض خذيهم فانطبقت الارض عليهم وأوحى الله الى موسى يا موسى ما أفظك استغاثوا بك سبعين مرة فلم تغثهم ولم ترحمهم أما وعزتي وجلالي لو اياي دعوا لوجدوني قريبا مجيبا قال قتادة ذكر لنا أن الله تعالى يخسف بهم في كل يوم قامة وأنه يتجلجل بهم فيها لا يبلغون قعرها الى يوم القيامة (أخبرنا) محمد بن عبد الله بن حمدون بقراءتي عليه قال أحمد بن محمد بن الحسن قال أخبرنا محمد بن يحيى وعبد الرحمن بن بشير وأحمد بن يونس قالوا أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر بن راشد عن همام بن منبه قال أخبرنا أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما رجل يتبختر في برديه وينظر في عطفيه وقد أعجبته نفسه اذ خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة قالوا فلما خسف الله بقارون وصاحبيه الارض أصبحت بنو اسرائيل يتناجون فيما بينهم أن موسى انما دعا على قارون ليستبد بداره وأمواله وكنوزه فدعا الله موسى حتى خسف الله بداره وأمواله الارض وأوحى الله تعالى اليه أني لا أعبد الارض لاحد بعدك أبدا فذلك قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين فلما حلت نقمة الله بقارون حمد الله تعالى المؤمنون الذين وعظوه وأنذروه بأس الله كما أخبر الله تعالى اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين أي لا تبطر ولا تأشر وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة الآية وندم الذين كانوا يتمنون مكانه بالامس وماله وحاله كما قال الله وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر فنجى الله نبيه موسى صلوات الله على سيدنا محمد وعليه وسلامه والمؤمنين من كل بلاء ومحنة وأهلك أعداءهم فرعون وهامان وقارون كما قال تعالى وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض الآيات

﴿باب في قصة موسى حين لقي الخضر وما جرى بينهما من العجائب الى أن بلغ من أمرهما ما بلغ﴾

قال الله تعالى واذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا قال الاستاذ الامام اختلف العلماء في السبب الذي قصد موسى لاجله الخضر فروى الحسن بن عمارة عن الحكم بن عيينة عن سعيد بن جبير قال جلست عند ابن عباس وعنده نفر من أهل الكتاب فقال بعضهم يا ابن عباس ان نوفا ابن امرأة كعب يزعم عن كعب أن موسى عليه السلام الذي طلب العلم انما هو موسى بن ميشا قال ابن

عباس كذب نوف حدثني أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن موسى نبي بني اسرائيل سأل ربه فقال يارب ان كان في عبادك أحد هو أعلم مني فدلني عليه فقال الله عز وجل نعم في عبادي من هو أعلم منك ثم نعت له مكان الخضر عليه السلام وأذن له في لقائه وروى هرون بن عنترة عن أبيه عن ابن عباس قال سأل موسى ربه فقال يارب أي عبادك أحب اليك فقال الذي يذكرني ولا ينساني قال فأي عبادك أقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال يارب أي عبادك أعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى أن يصيب كلمة تهديه الى هدى أو ترده عن ردى قال فهل في الارض احد أعلم مني قال نعم قال يارب من هو قال الخضر قال فأين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة التي يفلت عندها الحوت وجعل الحوت علما له ودليلا وقال اذا حيي هذا الحوت فان صاحبك هناك وكان قد تزود سمكا مملحا وروى عطية العوفي عن ابن عباس قال لما ظهر موسى وقومه على مصر واستقرت بهم الدار أنزل الله عليهم المن والسلوى فخطب موسى قومه فذكرهم ما آتاهم الله من الخير والنعمة اذ نجاهم من آل فرعون وأهلك عدوهم واستخلفهم في الارض قال وكلم الله نبيكم تكليما واصطفاه لنفسه وألقى عليه محبة منه وآتاكم من كل ما سألتموه فنبيكم أفضل أهل الارض وأنتم تقرؤن التوراة فلم يترك نعمة أنعمها الله عليهم الا ذكرها وعرفهم اياها فقال له رجل منهم من بني اسرائيل قد عرفنا الذي تقول فهل على وجه الارض أحد أعلم منك يانبي الله قال لا فعتب الله عليه حيث لم يرد العلم اليه فبعث اليه جبريل عليه السلام فقال له ياموسى مايدريك أين أضع علمي بل ان لي عبدا بمجمع البحرين أعلم منك فسأل موسى ربه أن يريه اياه فأوحى الله اليه أن ائت البحر فانك تجد على شاطئ البحر حوتا فخذه وادفعه الى فتاك ثم الزم شاطئ البحر فاذا نسيت الحوت وهلك منك فثم تجد العبد الصالح قال فخرج موسى وفتاه يقصدان مجمع البحرين للقاء الخضر عليه السلام ومعهما حوت مالح فذلك قوله تعالى واذ قال موسى يعني ابن عمران لفتاه اي لصاحبه يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف عليه السلام لاأبرح اي لاأزال أسير حتى أبلغ مجمع البحرين يعني بحر فارس والروم مما يلي المشرق قال قتادة وقال ابي بن كعب هو افريقية وقال محمد بن كعب طنجة أو أمضي حقبا دهرا وزمانا طويلا فقدما ومعهما الخبز والسمك المملوح وسارا حتى انتهيا الى الصخرة عند مجمع البحرين ليلا قال معقل بن زياد وهي الصخرة التي دون نهر الزيت قال وعنده عين تسمى ماء الحياة ولا يصيب ذلك الماء شيئا الا عاد حيا فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده اضطربت في المكتل وعاشت ودخلت البحر فذلك قوله تعالى فلما بلغا يعني موسى وفتاه مجمع بينهما يعني البحرين نسيا تركا حوتهما وانما كان الحوت مع يوشع

وهو الذي نسيه يدل عليه قوله تعالى انى نسيت الحوت ولكنه صرف النسيان اليهما
والمراد به أحدهما كما قال تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرجان من المالح دون
العذب فاتخذ الحوت سبيله فى البحر سربا أى مذهبا ومسلكا واختلفوا فى كيفية ذلك
فروى أبى بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انجاب الماء عن مسلك
الحوت فصار كوة فلم يلتئم فدخل موسى الكوة على أثر الحوت فاذا هو بالخضر عليه
السلام وقال ابن عباس رأى أثر جناحيه فى الطين حين وقع فى الماء وجعل الحوت
لا يمس شيأ من البحر الا يبس حتى يصير صخرة وروى ابن عباس عن أبى بن كعب عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما انتهيا الى الصخرة وضعا رؤسهما فناما فاضطرب
الحوت فى المكتل فخرج منه وسقط فى البحر هاربا فاتخذ سبيله فى البحر سربا فأمسك
الله تعالى عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ موسى عليه السلام
نسى صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد قال
موسى لفتاه آتنا غداءنا الآية وقال قتادة رد الله الى الحوت روحه فسرب حتى أفضى
الى البحر ثم سلكه جعل لا يسلك منه موضعا الا صار ماء جامدا طريقا يابسا وقال
الكلبى توضأ يوشع بن نون من عين الحياة فانتضح على الحوت المملح من ذلك الماء وهو فى
المكتل فعاش ووثب فى الماء فجعل يضرب بذنبه الماء فلا يضرب بذنبه شيأ من الماء
وهو ذاهب الا يبس قال الحكماء كان لموسى عليه السلام خمسة أسفار الاول سفر
الهرب وهو قوله تعالى ففررت منكم لما خفتكم الآية والثانى سفر الطور وهو قوله تعالى
فلما أتاها نودى أن بورك من فى النار ومن حولها الآية وقوله تعالى فلما أتاها نودى
من شاطئ الوادى الايمن الآية والثالث سفر الطلب وذلك عند خروجه من مصر
قال الله تعالى وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى والرابع سفر الحرب وهو قوله
تعالى اخبارا عن قول قومه فاذهب أنت وربك فقاتلا الآية والخامس سفر النصب
وهو قوله تعالى لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا وذلك أنه لما ألقى على موسى الجوع بعد
ما جاوز الصخرة ليتذكر الحوت ويرجع الى موضع مطلبه فقال له فتاه وتذكر أرأيت
اذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت أى تركته وفقدته وقيل فيه اضمار تقديره فانى
نسيت أن أذكر أمر الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله فى البحر
عجبا قال عبد الرحمن بن زيد أى شئ أعجب من حوت كان دهرا من الدهور يؤكل منه
ثم صار حيا حتى حشر فى البحر قال وكان شق حوت وقال وهب بن منبه ظهر فى الماء من
أثر جرى الحوت أخدود شبه نهر من حيث دخل الى حيث انتهى فرجع موسى حتى
انتهى الى مجمع البحرين واذا هو بالخضر فذلك قوله تعالى قال ذلك ما كنا نبغ أى
نطلب فارتدا فارتجعا على آثارهما الذى جاآ منه قصصا أى بقصان الاثر فوجدا عبدا

من عبادنا يعني الخضر عليه السلام

﴿ فصل في ذكر جمل من أخبار الخضر عليه السلام وأحواله ﴾

واسمه بليان بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وانما لقب بالخضر كما أخبرنا به أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون بقراءتي عليه قال أخبرنا أبو حامد أحمد ابن محمد بن الحسين الشرقي قال حدثنا محمد بن يحيى وعبد الرحمن بن بشر وأحمد بن يوسف قالوا أنبأنا عبد الرزاق أنبأنا عبد الله بن حامد الوراق قال أنبأنا مكي بن عبدان قال أنبأنا أبو الازهر قال حدثنا عبد الرزاق قال أنبأنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تهتز تحته خضراء وأخبرنا أبو نصر محمد بن علي بن الفضل الخزاعي قال أنبأنا أبو بكر محمد بن الحسن القصار قال أنبأنا أحمد بن يوسف السلمي قال أنبأنا محمد بن يوسف الفريابي قال ذكر سفيان عن منصور عن مجاهد قال انما سمي الخضر لانه أينما صلى اخضر حوله

﴿ فصل في بدء أمر الخضر عليه السلام ﴾

يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اسري به الى السماء بينما هو على البراق وجبريل يمر به اذ وجد رائحة طيبة فقال يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة قال انه كان ملك في الزمان الاول له سيرة حسنة في أهل مملكته وكان له ابن ولم يكن له ولد غيره قال أصحاب الاخبار وكان أبوه ملكا عظيما فسلمه الى المؤدب يؤدبه وكان يختلف اليه وكان بين منزله ومؤدبه رجل عابد كان يمر به فأعجبه حاله فألفه وكان يجلس عنده والمعلم يظن أنه في المنزل وأبوه يظن أنه عند المعلم حتى شب ونشأ وأخذ من العابد شمائله وعبادته فقالوا لابيه ليس لك ولد غيره يرث ملكك فلو زوجته لعله يرزق أولادا فعرض عليه أبوه التزويج فأبى ثم عاوده فعرض عليه فرضي فزوجه جارية من بنات الملوك فزفت اليه فلما بقيت عنده قال لها اني مخبرك بأمر ان أنت سمعته صرف الله عنك شر الدنيا وعذاب الآخرة وان أفشيت سري عذبك الله في الدنيا وفي الآخرة قالت وما ذاك قال اني رجل مسلم لست على دين أبي وليست النساء من حاجتي فان رضيت أن تقيمي معي على ذلك وتتابعيني على ديني فذاك اليك وان أنت أبيت لحقت بأهلك فقالت المرأة بل أقيم معك فلما أتت عليها مدة قالوا لابيه ما نظن ابنك الا عاقرا لا يولد له ولد فسأله أبوه فقال ما ذلك بيدي وانما ذلك بيد الله يؤتيه من يشاء فدعا المرأة وسألها فردت عليه مثل ما رد عليه الخضر فمكث أبوه زمانا ثم دعا ابنه اليه فقال له أحب أن تطلق امرأتك هذه وأزوجك امرأة غيرها ولودا لعلك ترزق منها ولدا فكره ذلك الخضر وألح عليه أبوه حتى فرق بينهما وزوجه امرأة غيرها ولودا ثيبا فعرض عليها

الخضر

الخضر مقالته الاولى فرضيت وقالت أقيم معك فلم يشاز ما ثم ان أباه استبطأ الولد منه
فدعاه وقال له ليس يولد لك فقال ليس ذلك بيدى ولكنه بيد الله ثم انه دعا امرأته
وقال لها أنت امرأة شابة ولود وقد كنت ولدت عند غير ابنى ولست تلدين عند ابنى
فقالت ما مسنى منذ صحبته وكذلك المرأة الاولى فدعاها وسألها فقالت مثل ذلك
فدعا ابنه وعيره وعنفه ففزع من أبيه ولم يأمن على نفسه منه فخرج من عنده فهام
على وجهه ولم يدر أحد من خلق الله تعالى أين توجه فندم أبوه على ما فعل فأرسل فى
طلبه مائة رجل من طرق شتى مختلفة فانطلقوا فى طلبه فادركه منهم عشرة فى جزيرة
من جزائر البحر فقال لهم انى أقول لكم شيأ فاكتموه عنى فان كتمتموه صرف الله عنكم
شر الدنيا وعذاب الآخرة وان أبيتم ذلك وافشيتم سرى عذبكم الله فى الدنيا وفى
الآخرة قالوا له قل ما شئت قال هل بعث أبى فى طلبى أحدا غيركم قالوا نعم فقال لهم اذا
فاكتموا أمرى ولا تخبروا أبى أنكم رأيتمونى وقولوا مثل قول نظرائكم الذين أرسلهم
فى طلبى فلم يرونى لانكم لو أخبرتموه بى أو ذهبتم بى اليه قتلنى وصرتم أنتم مؤاخذين
بدمى قال فخلوا عنه وانصرفوا فلما دخلوا على أبيه قال تسعة منهم قد وجدناه وقال لنا
كيت وكيت فخلينا عنه وقال العاشر ما لنا به علم ومالى به خبر والتسعة قالوا بلى قد
ظفرنا به وان شئت أتيناك به فقال لهم ارجعوا فى طلبه واتونى به وان الخضر خاف ان
يظفروا به فانحاز من ذلك الموضع الى موضع آخر فأتوا اليه فلم يجدوه فرجعوا وقالوا لم نره
فقتلهم أبوه قال وان أباه دعا بالمرأة الثيب وقال لها أنت صنعت هذا بابنى حتى هرب
فقتلها وسمعت المرأة الاولى بذلك فهربت مخافة القتل وقال العاشر الذى أنكر رؤية
الخضر ما يؤمننى أن يقتلنى كما قتل التسعة فهرب حتى أتى قرية فاذا المرأة الهاربة أيضا
فى تلك القرية فكانت تحتطب فقالت يوما بسم الله فسمعها الرجل الهارب فقال لها
من أنت فاخبرته خبرها فقال يا هذه أنا العاشر خرجت خوف القتل فهل لك ان
أتزوجك ونعبد الله حتى نموت فقالت نعم ثم انهما انطلقا حتى أتيا قرية فيها بعض من
الفراعنة فاتخذا بيتا من قصب ومكثا فيه ورزقا فيه ثلاثة أولاد فقال لها الرجل اذا أنا
مت فادفنينى فى هذا البيت وكذلك كل من مات منكم فانى لا أحب أن تكون قبورنا
مع هؤلاء فاذا كان آخرنا موتا يوصى أن يهدم عليه البيت فمات الرجل فدفنته امرأته ثم
انه بلغ فرعون زمانهم أنهم يوحدون الله ويعبدونه فجىء بالمرأة الى حضرته فأمرها أن
ترجع عن دينها فابت فأمر بقدر من نحاس فلئت ماء واغلى غليانا شديدا وأمر بالمرأة
وولدها فلما أحضروا قال لها ارجعى عن دينك والا القيتك أنت وأولادك فى هذا القدر
فابت عليه فأمر بولدها الاكبر فالقى فيه فتفسخ فمه وكذلك الثانى وكان فى حجرها ابن
رضيع فأرادوا القاءه فرقت المرأة ونازعتهم فى شأنه فتكلم الغلام الرضيع وقال لها

اصري فانا جميعا في الجنة فلما أرادوا ان يلقوها في القدر قالت لهم لي اليكم حاجة يسيرة قالوا وماهي قالت اذا رميتموني في القدر فادفنوها بما فيها من عظامنا في بيتنا واهدموه علينا ففعلوا ذلك فلما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم وجد رائحة طيبة فقال ماهذه ياجبريل فأخبره بقصتهم وقال هذه رائحتهم ويروى أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوما من أهل تلك المدينة ركبوا البحر في تجارتهم فضربتهم الامواج فتكسرت بهم سفينتهم فانفلت منهم رجلان على لوح من ألواحها فضربتهم الامواج حتى اسندتهما الى جزيرة من جزائر البحر فخرجا يجولان في الجزيرة فاذاهما بالخضر عليه السلام وعليه ثياب بيض وهو قائم يصلي فجلسا حتى فرغ من صلاته فالتفت اليهما وقال لهما من أنتما قالا نحن من مدينة كذا وكذا خرجنا في هذا البحر لطلب التجارة فانكسرت بنا هذه السفينة ودفعنا الى هذه الجزيرة فقال اختارا ان شئتما ان تقيما في هذا الموضع تعبدان الله تعالى وتأتيكما ارزاقكما وان شئتما أردكما الى منازلكما قالا بل تردنا الى منازلنا فقال لهما على أن تعطياني عهد الله وميثاقه على انكما لاتخبران بشئ مما رأيانه فأعطياه العهد والميثاق على الكتمان فنظر فاذا سحائب تمر فدعاهن وسألهن فقالت كل واحدة منهن أريد بلد كذا وكذا فدعا التي تريد بلادهما فقال لها احملي هذين حتى تضعيهما على سطوحهما فسقطت السحابة وانشقت لهما ثم رفعتهما ومضت حتى وضعتهما على سطوحهما فعزم أحدهما على الكتمان ونزل الى منزله وعزم الآخر على اذاعته فنزل من سطحه وخرج من بابه وانطلق الى باب المدينة ونادى النصيحة فادخل على الملك فقال له ما نصيحتك فقال رأيت ابنك في موضع كذا وكذا وصنع بي كذا وكذا فقال له من يعلم ذلك قال فلان كان رفيقي فبعث اليه وسأله عما قال فقال أما ركوب البحر فقد ركبنا جميعا وقد انكسرت بنا السفينة وصرنا على لوح من ألواحها فلم تزل الامواج تضربنا حتى صرنا الى الساحل فخرجنا من البحر فلم نزل نعيش من الشجر ونبات الارض والثمر ترفعنا أرض وتضعنا أخرى حتى انتهينا الى منازلنا فقال له الغادر ابعث معي رسلك حتى أدفعه اليك وتعلم ان هذا قد كذب فأمر بالرجل الكاتم فحبس وتوعده بالصلب ان وفى صاحبه بما قال وأوعد الغادر بالصلب ان هو كذب ولم يأت به فبعث معه رسلا فركبوا البحر حتى انتهوا الى الجزيرة فطلبوا الخضر فلم يجدوا شيأ فرجعوا بالرجل الى الملك وقالوا هذا اكذب خلق الله ما رأينا مما قال شيأ فصلبه وخلى عن الآخر ثم ان أهل تلك المدينة لم يزالوا يعملون المعاصي حتى غضب الله عليهم قال جبريل عليه السلام فبعثني الله تعالى اليهم فادخلت جناحي تحتها واقتلعتها فرفعتها حتى سمع أهل سماء الدنيا نباح الكلاب وصياح الديوك ثم أمرني فقلبتها فجاءت تهوي بمن فيها

حتى انتهت الى وجه الارض فبقى بيت الرجل الكاتم والمرأة الكاتمة من جانب
سالمين ثم انطبقت الارض بمن فيها فلم ينج منهم غيرهما فجعلا يدوران فى حدود المدينة
فلا يلقى كل واحد منهما غير صاحبه فلما أن كثر ذلك قال الرجل أيتها المرأة قد رأيت
ما أصاب القوم وانه لم يفلت غيرى وغيرك فبأى شئ نجونا فأخبرينى وأنا اخبرك فعاهد
كل واحد منهما صاحبه على الكتمان فتصادقا فاذا قصتهما واحدة وانما نجاهما الكتمان
فقال لها هل لك أن تزوجينى نفسك ونخرج الى مدينة من هذه المدائن فأكتسب
عليك وتكتسبين على حتى يقضى الله من أمرنا ما يشاء ففعلت فذهبا الى مدينة
فرعون من الفراعنة فاتخذا لهما بيتا وولد لهما أولاد وتلطفت المرأة لآل فرعون
وصارت ماشطة لهم فحظيت عندهم فبينما هى ذات يوم قاعدة تسرح رأس بنت الملك
اذ سقط المشط من يدها فقالت بسم الله تعس من كفر بالله ففزعت الجارية من ذلك
وقالت لها من الله قالت ربى فقالت لها وان لك ربا غير أبى فقالت نعم هو ربى ورب أبيك
ورب كل شئ فهبطت الجارية ودخلت على أبيها وقالت تعلم أن فلانة تقول قولا عجيبا
تقول كذا وكذا فأرسل اليها فحضرت فقال لها ما هذا الذى بلغنى عنك فقالت هو
ما بلغك قال فهل أحد يقول بقولك قالت نعم بعلى وصبيتى فبعث اليهم وامتحنهم
فاذا هم يقولون قولا واحدا فقال لهم انا لا نقركم على ما أنتم عليه حتى ترجعوا الى ديننا
فقالوا له اصنع ما أنت صانع فأمر بقدر من نحاس عظيمة فملئت ماء ثم أشعل تحتها
حتى اضطرب الماء ثم دعا بالصبية فعرض عليهم واحدا واحدا الكفر وأبوا أن يكفروا
فأخذهم وطرحهم فى القدر ثم انه دعا بالزوج وعرض عليه الكفر فأبى فألقاه فى القدر
ثم دعا بالمرأة وقال لها ان لك علينا حقا فان أنت رجعت الى ديننا والا ألقيناك
فى القدر فقالت له اصنع ما أنت صانع ثم انها قالت له لى اليك حاجة قال وما هى قالت
اذا صنعت ما أنت صانع فى بيتنا أن تحفر فيه حفرة ثم تأمر بالقدر فتحمل بما فيها
ثم يأتون بها منزلنا فيسكب ما فى القدر فى الحفرة ثم يعاد علينا التراب ثم يهدم علينا
البيت ففعل ذلك فهذه الرائحة رائحة المسك تسطع من بيتهم الى يوم القيامة فهذه
قصة الخضر مع أبيه وبدء أمره وكان فى زمن أفريدون الملك بن القباء على قول عامة
أهل الكتب الاولى وقيل انه كان على مقدمة ذى القرنين الاكبر الذى كان فى زمن
ابراهيم عليه السلام وهو الذى قضى ببئر اليسع وهى بئر كان احتفرها ابراهيم عليه
السلام لماشيته فى صحراء الاردن وان قوما من أهل الاردن ادعوا الارض التى
احتفرها فيها ابراهيم عليه السلام فخاصمهم ابراهيم عليه السلام الى ذى القرنين
الذى كان الخضر على مقدمته أيام مسيره فى البلاد وانه بلغ مع ذى القرنين نهر الحياة
وشرب من مائه وهو لا يعلم به ولا يعلم ذو القرنين ومن معه فى ظلمة فخلد وهو فى الحياة

الى الآن وقيل ان ذا القرنين الذى كان على عهد ابراهيم عليه السلام وكان الخضر
عليه السلام على مقدمته هو أفريدون الملك وزعم بعضهم أن الخضر من ولد من كان
آمن بابراهيم خليل الرحمن واتبعه على دينه وهاجر معه من أرض بابل وروى محمد
ابن اسحق بن يسار عن وهب بن منبه ان الخضر هو أرميا بن خلقيا وكان من سبط
هرون بن عمران وهو الذى بعثه الله نبيا فى أيام ناشئة بن اموص ملك بنى اسرائيل
والقول الاول أشبه بالحق وأولى بالعدل والصدق لان ناشئة بن أموص كان فى عصر
كرفشت بن كراراشت فى أيام بختنصر وبين أفريدون وكرفشت من الدهور والازمان
مالا يجهله ذو علم بأيام الناس وأخبارهم * وقد صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى حديث أبى بن كعب ان صاحب موسى بن عمران الذى أمر بطلبه
وبالاقتباس منه هو الخضر عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم الخلق
بالامور الماضية والباقية وموسى بن عمران انما فى عصر منوشهر الملك وكان منوشهر
الملك بعد ملك جده أفريدون فدل هذا على خطا من قال انه أرميا بن خلقيا الان أرميا
كان فى أيام بختنصر وبين عهد موسى وبختنصر من المدة مالا يخفى على أهل العلم اللهم
الا أن يكون الامر كما قاله من قال انه كان على مقدمة ذى القرنين صاحب ابراهيم عليه
السلام فشرب من ماء عين الحياة فخلد ولم يبعث فى أيام ابراهيم ومن بعده الى أيام
ناشئة بن أموص فبعث حينئذ نبيا والله أعلم والصحيح انه نبى معمر محجوب عن الابصار
وروى محمد بن المتوكل عن ضمرة بن عبيد الله بن سوار قال الخضر من ولد فارس
والياس من بنى اسرائيل يلتقيان فى كل عام فى الموسم (وأخبرنى) محمد بن القاسم
أخبرنا أبو بكر محمد بن القاسم قال أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن يعقوب قال أخبرنا يزيد
ابن سمعان بن حبان الواسطى أخبرنا على بن المنذر عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن
دينار قال ان الخضر والياس لا يزالان حيين فى الارض مادام القرآن فيها فاذا رفع
القرآن ماتا وأخبرنى أبو عمرو العمرانى أخبرنا أبو أحمد محمد بن على الرازى أخبرنا
ابراهيم بن اسحق الانماطى أخبرنا أبو همام الوليد بن شجاع السلمى أخبرنا عمر بن عبد
الواحد السلمى عن ابن ثوبان عن بعض أهل العلم عن أنس بن مالك قال خرجت مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا بصوت يجىء من شعب فقال يا أنس انطلق فابصر
ماهذا الصوت قال فانطلقت فاذا رجل يصلى ويقول اللهم اجعلنى من أمة محمد
المرحومة المغفور لها المستجاب لها المتاب عليها فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأعلمته بذلك فقال لى انطلق فقل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئك السلام
ويقول لك من أنت فأتيته فأعلمته بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى أقرئ
رسول الله صلى الله عليه وسلم منى السلام وقل له أخوك الخضر يقول لك ادع الله ان

يجعلني من أمتك المرحومة المغفور لها المستجاب لها المتاب عليها

﴿رجعنا الى حديث موسى وفتاه﴾ قالوا فانتهى موسى وفتاه الى الخضر وهو قائم
يصلي على طنفسة خضراء على وجه الماء وهو متشح بثوب أخضر فسلم عليه موسى
فقال الخضر وأنى بارضك السلام فقال أنا موسى فقال موسى بني اسرائيل قال نعم قال
يا موسى لقد كان لك في بني اسرائيل شغل قال موسى ان ربي أرسلني اليك لاتبعك
وأتعلم من علمك ثم جلسا يتحدثان فجاءت خطافة وحملت بمنقارها من الماء فقال الخضر
يا موسى خطر ببالك أنك أعلم أهل الارض ما علمك وعلمي وعلم جميع الاولين
والآخرين في جنب علم الله تعالى الا أقل من الماء الذي حملته الخطافة بمنقارها فذلك
قوله تعالى فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا اي نبوة وحكمة وعلمناه من لدنا
علما (وقال ابن عباس) كان الخضر يعلم علم الغيب فقال له موسى هل أتبعك على أن
تعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا لاني أعلم علم الباطن علما علمنيه
الله تعالى وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا يعني على مالم تعلمه قال موسى ستجدني
ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا قال فان أتبعتني فلا تسألني عن شيء علمته مما تنكره
حتى أحدث لك منه ذكرا وأبين لك شأنه فانطلقا يسيران يلتمسان سفينة يركبان فيها
فمرت بهما سفينة جديدة وثيقة فركباها فقال أصحاب السفينة هؤلاء لصوص
وأمروهم بالخروج منها فقال صاحب السفينة ما هؤلاء بلصوص ولكني أرى وجوههم
وجوه الانبيا وقال أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقا يمشيان على
ساحل البحر اذ مرت بهم سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير
نول فلما لججوا في البحر أخذ الخضر عليه السلام فأسا فخرق لوحا من السفينة حتى
دخلها الماء فحشاها موسى بثوبه وقال له أخرقتها لتغرق أهلها وقد حملونا وأحسنوا
الينا فخرقت سفينتهم ما هذا جزاؤهم منا لقد جئت شيأ امرا أي عجبا منكرا قال الخضر
ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا قال موسى لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من
أمري عسرا يعني لا تكلفني ولا تضيق علي أمري (قال ابن عباس) لما خرق الخضر
السفينة تنحى موسى ناحية وقال في نفسه ما كنت أصنع بمصاحبة هذا الرجل كنت
في بني اسرائيل أتلوا عليهم كتاب الله غدوة وعشية وآمرهم فيطيعوني فقال له الخضر
يا موسى أتريد أن أخبرك بما حدثت به نفسك قال نعم قال قلت كذا وكذا قال صدقت
فانطلقا يمشيان حتى اتيا أيلة فاذا هما بغلمان عشرة فيهم غلام هو أظرفهم وأضوأهم
وجها قال ابن عباس كان غلاما لم يبلغ الحلم وقال الضحاك كان غلاما يعمل الفساد
يتأذى منه أبواه وقال الكلبي كان الغلام يسرق المتاع بالليل فاذا أصبح لجأ الى أبويه
فيحلفان دونه شفقة عليه ويقولان لقد بات عندنا واختلفوا في اسمه فقال الضحاك

كان اسمه حسنود وقيل الحسين وقال وهب بن منبه كان اسم أبيه ملاس واسم أمه
رحمة قال فأخذه الخضر عليه السلام فقتله واختلفوا في كيفية قتله قال سعيد
ابن جبير أخذه فأضجعه ثم ذبحه بالسكين وقال الكلبي صرعه ثم نزع رأسه وقال قوم
رفسه برجله فقتله وقال آخرون ضرب رأسه بالجدار حتى قتله وفي رواية أخرى أدخل
أصبعه في سرة الصبي فاقتلعها فمات فلما قتله قال موسى أقتلت نفساً زكية يعني
طاهرة لم تذنب ولم تستوجب القتل بغير نفس لقد جئت شيأ نكرا أي منكرا قال
قتادة المنكر أشد وأعظم من الامر قال فغضب الخضر واقتلع كتف الصبي الايسر
وقشر اللحم عنه فاذا في عظم كتفه مكتوب كافر لا يؤمن بالله أبدا * ويدل على صحة هذا
القول ما أخبرناه عبد الله بن حامد أخبرنا أحمد بن عبيد الله أخبرنا محمد بن عبد الله
ابن سليمان أخبرنا يحيى أخبرنا قيس عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
عن أبي بن كعب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان الغلام الذي
قتله الخضر طبع كافرا فقال الخضر لموسى ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال
ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا أي في فراقي
(أخبرنا) عبد الواحد بن حامد الوزان أخبرنا مكي بن عبدان أخبرنا عبد الرحمن بن بشر
اخبرنا حجاج بن محمد أخبرنا حمزة الزيات عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس عن أبي بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر أحدا ندعا له
بدأ بنفسه فقال ذات يوم رحمة الله علينا وعلى أخي موسى لو لبث مع صاحبه لأبصر
العجب العجاب ولكنه قال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني
عذرا فانطلقا يمشيان حتى أتيا أهل قرية واختلفوا في القرية قال ابن عباس هي
انطاكية وقال محمد بن سيرين هي أيلة وهي أبعد أرض الله من السماء وقيل هي قرية
من قرى الروم يقال لها ناصرة واليها ينسب النصارى قالوا فوافياها قبل غروب
الشمس فاستطعما أهلها واستضافاهم فأبوا أن يضيفوهما قالوا كانوا أهل قرية لئاما
وقال قتادة في هذه الآية شر القرى التي لا تضيف الضيف ولا تعرف لابن السبيل
حقه قالوا فلم يجدوا تلك الليلة في تلك القرية قرى ولا ماء ولا مأوى وكانت ليلة باردة
فالتجؤا الى حائط على شارع الطريق يريد أن ينقض أي يكاد ينهدم ويسقط ولم يكن يمر
به أهل القرية ولا غيرهم من الناس الا على خوف منه وكان قد بناه رجل صالح وفي
بعض الاخبار ان سمك ذلك الحائط كان ثلاثين ذراعا بذراع ذلك القرن وكان طوله
على وجه الارض خمسمائة ذراع وعرضه خمسون ذراعا فأقامه الخضر أي سواه وقال
ابن عباس هدمه وبناه وقال سعيد بن جبير مسح الجدار وسواه بيده ومنكبيه
فاستقام فقال له موسى لو شئت لاتخذت عليه أجرا ليكون لنا قوتا وبلغة على سفرنا

اذا استضفناهم فلم يضيفونا فقال له الخضر هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل مالم
تستطع عليه صبرا ثم أخذ يفسر له فقال أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في
البحر الآية قال كعب وغيره كانت لعشرة أخوة زمنى لم يكن لهم معيشة غيرها ورثوها
من أبيهم خمسة منهم يعملون في السفينة في البحر وخمسة لا يطيقون العمل فاما
العمال منهم فأحدهم كان مجذوما والثاني أعور والثالث أعرج والرابع آدر
والخامس محموم لا تنقطع عنه الحمى الدهر كله وهو أصغرهم والخمسة الذين لا يطيقون
العمل أعمى وأصم وأخرس ومقعد ومجنون وكان البحر الذي كانوا يعملون فيه ما بين
فارس الى بحر الروم (وروى) عن عكرمة قال قلت لابن عباس في قوله أما السفينة
فكانت لمساكين كانوا مساكين والسفينة تساوي ألف دينار فقال ان المسافر
مسكين وان كان معه ألف دينار ولهذا قيل ان المسافر وماله على قلة الا ما وقى الله
تعالى فأردت أن أعيبها اقطع الطمع الطامعين فيها ودفعا لشرهم وكان وراءهم ملك
يأخذ كل سفينة غصبا وراءهم أي أمامهم قال الله تعالى من ورائه جهنم ومن
ورائهم برزخ الى يوم يبعثون أي أمامهم وقيل خلفهم لانه كان رجوعهم في طريقهم
عليه ولم يكونوا يعلمون خبره فاعلم الله تعالى الخضر خبره وكان يأخذ كل سفينة
صالحة غصبا وكذلك كان يقرأها ابن عباس فخرقتها وعبتها كي لا يتعرض لها ذلك
الملك واختلفوا في اسم ذلك الملك فقال أكثر العلماء اسمه جلندى وكان كافرا وقال
ابن اسحق كان اسمه منواه بن جلندى الازدي وقال شعيب الجبائي كان اسمه هدد
ابن بدد وقيل كان لهذا الملك ثلثمائة وستون قصرا في كل قصر امرأة قال فلما جاوزوا
الملك سد الخضر خرق السفينة ورمها وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أي
فعلمنا أن يرهقهما يغشاهما طغيانا وكفرا فيهلكهما وقيل خشي أن يدرك فيدعو
أبويه الى الكفر فيجيباه ويدخلا معه في دينه لفرط محبتهما له وقيل خشي على الغلام
أن يعمل عمل الفساق فيتغافل أبواه فيدخلان النار فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا
منه زكاة وصلاحا وأقرب رحما (قال ابن عباس) يعني واصلا للرحم وبرا بوالديه
فأبدلهما الله جارية مؤمنة أدركت يونس بن متى وتزوجها نبي من الانبياء فولدت
له نبيا فهدى الله على يديه أمة من الامم (وأخبرنا) عبد الله بن حامد قال أخبرنا
حامد بن أحمد قال أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يحيى بن الحرث أخبرنا عبد الوهاب بن
فليح أخبرنا ميمون بن عبد الله القداح عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه في هذه
الآية قال أبدلهما جارية فولدت سبعين نبيا وقال ابن جريج أبدلهما بغلام مسلم وكان
المقتول كافرا وقال قتادة في هذه الآية قد فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل
ولو بقي كان فيه هلاكهما فرضا المؤمن بقضاء الله تعالى فيما يكره خير له من رضاه فيما

بحمه وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة واسمهما اصرم وصريم وكان تحته كنز لهما واختلفوا فى ذلك الكنز ما هو فقال ابن عباس وسعيد بن جبير كان صحفا مدفونة تحته فيها علم وقال الحسن وجعفر بن محمد كان لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبا لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبا لمن يوقن بالرزق كيف يتعب وعجبا لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجبا لمن يؤمن بالحساب كيف يجمع وعجبا لمن يعرف الدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال آخرون كان ذلك الكنز مالا يدل عليه ما أخبرنا أبو بكر الجشادى المزكى أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن قيدوس الطرائفى أخبرنا عثمان بن سعيد أخبرنا صفوان بن صالح الدمشقى أخبرنا يزيد بن مسلم الصنعانى عن يزيد بن يزيد عن مكحول عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال كان ذهبا وفضة وكان أبوهما اسمه كاشح وكان صالحا تقيا أمينا فحفظا لصلاح أبيهما ولم يذكر منهما صلاح وكان بينهما وبين الاب الذى حفظا به سبعة آباء (أخبرنا) عبد الله بن حامد بن محمد قال أخبرنا بشر بن موسى أخبرنا الحميدى أخبرنا سفيان أخبرنا محمد بن سوقة عن محمد بن المنكدر قال ان الله عز وجل ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده وبقعته التى هو فيها والدويرات التى حوله فما يزالون فى حفظ الله وستره وعن سعيد بن المسيب انه كان اذا رأى ابنه قال يا بنى لأزيدن فى صلاتى من أجلك لعلى أحفظ فيك ويتلو هذه الآية (أخبرنا) يحيى بن اسمعيل بن سلمة قال كانت لى أخت أسن منى فاختلطت وذهب عقلها فتوحشت وكانت فى غرفة فى أقصى سطوحنا فلبثت كذلك بضع عشرة سنة وكانت مع ذهاب عقلها تحرص على الصلاة والطهور فبينما أنا نائم ذات ليلة اذا أنا بباب بيتى يدق نصف الليل فقلت من هذا فقالت بحة فقلت أختى قالت أختك فقلت لبيك فقمت ففتحت الباب فدخلت ولا عهد لها فى البيت أكثر من عشرين سنة فقلت يا أختى خيرا فقالت خيرا يا أخى بت الليلة فأتانى آت فى منامى فقال لى السلام عليك يا بحة فقلت وعليك السلام فقال لى ان الله قد حفظ أباك اسمعيل بن سلمة بن كهيل بسلمة جدك وحفظك بأبيك اسمعيل فان شئت دعوت الله لك فيذهب ما بك وان شئت صبرت ولك الجنة فان أبا بكر وعمر رضى الله عنهما قد تشفعا لك الى الله تعالى بحب أبيك وجدك اياهما فقلت ان كان ولا بد من اختيارى أحدهما فالصبر على ما أنا فيه والجنة وان الله لواسع الفضل لخلقه لا يتعاظمه شئ فى حكمه لو شاء لجمعهما لى قالت فقيل لى قد جمعهما الله لك ورضى عن أبيك وجدك بحبهما أبا بكر وعمر فانزلى فان الله أذهب ما كان بك * ويحكى عن بعض العلوية انه دخل على هرون الرشيد وقد هم بقتله فلما دخل عليه أكرمه وخلى

سبيله

سبيله فقيل له بم دعوت حتى نجاك الله قال قلت يا من حفظ الكنز على الصبيين لصلاح أبيهما احفظني منه لصلاح آبائي فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما المدفون تحت الجدار وما فعلته عن أمري وانما فعلته بأمر الله تعالى ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا ويقال لما عاب موسى على الخضر خرق السفينة وقتله الغلام واقامته الجدار محتسبا مجانا قال له ياموسى أتلومني على خرق السفينة مخافة غرق أهلها ونسيت نفسك حين القتك أمك وأنت صغير في اليم ضعيف فحفظك الله وتلومني على قتل الغلام الكافر بلا أمر ونسيت نفسك حين قتلت القبطي بغير أمر وتلومني على ترك أخذ الاجرة في اقامة الجدار ونسيت نفسك حين سقيت غنم شعيب محتسبا لاجل الملك الجبار قال بعض أهل الاخبار هذا ما كان من قصة موسى وفتاه وقصدهما الخضر حيث كانوا في التيه فلما فارق موسى الخضر رجع الى قومه وهم في التيه (وروى) عن علي بن أبي طالب وغيره أن موسى لما أراد فراق الخضر قال له الخضر استودعتك الله ثم قال له موسى أوصني فقال له الخضر لا تكن مشاء في غير حاجة واياك واللجاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير الخاطئين بخطاياهم وابك على خطيئتك ولا تؤخر عمل اليوم الى غد (وروى) أبو امامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ألا أحدثكم عن الخضر قالوا بلى يارسول الله قال بينما الخضر يمشي في سوق من اسواق بني اسرائيل اذ لقيه مكاتب فقال له تصدق علي بارك الله لك فقال آمنت بالله وما يقضي الله من أمر سيكون مامعي من شئ اعطيكه فقال له الرجل تصدق علي بارك الله عليك فاني أرى الخير في وجهك فرجوت الخير من قبلك فقال له الخضر آمنت بالله وما يقضي الله من أمر سيكون مامعي شئ اعطيكه فقال له السائل أسألك بالله لما تصدقت علي فقال له الخضر آمنت بالله ما يقضي الله من أمر سيكون مامعي شئ اعطيكه الا أن تأخذ بيدي وتدخلني في السوق فتبيعني قال الرجل وهل يكون مثل هذا قال الحق أقول انك سألتني بعظيم سألتني بوجه ربي وقد أجبتك فخذ بيدي وأدخلني السوق فبعني فأخذ بيد الخضر فأدخله السوق فباعه بأربعمائة درهم فلبث عند المبتاع أياما لا يستعمله في شئ فقال له الخضر استعملني فقال له انك شيخ كبير واكره أن أشق عليك قال لا يشق علي ذلك قال فقم فانقل هذه الحجارة من ههنا الى ههنا وكانت الحجارة لا ينقلها الا ستة نفر في يوم تام فقام ونقلها في ساعة واحدة وأمده الله تعالى على نقلها ملك من الملائكة فتعجب الرجل منه وقال أحسنت ثم عرض للرجل سفر فقال للخضر اني أراك أمينا صالحا نا صحا فاخلفني في أهلي قال نعم ان شاء الله تعالى فاستعملني في شئ قال أكره أن أشق عليك قال لا يشق ذلك علي فقال اضرب لي لبنا أريده لقصر لي ووصفه له ثم خرج لسفره فلما قضى حاجته ورجع

من سفره اذا هو بالخضر عليه السلام قد شيد بنيانه على ما اراد فازداد منه تعجبا وقال له
من أنت قال أنا المملوك الذى كنت اشتريتنى فقال له سألتك بوجه الله أن تخبرنى من
أنت فقال الخضر ان هذا القسم هو الذى اوقعنى فى العبودية أما انا فسأخبرك أنا الخضر
سألنى سائل بوجه ربى أن أعطيه ولم يكن معى شئ أعطيه فأمكنته من نفسى حتى
باعنى وبلغنى ان من سئل بوجه الله ورد سائله وهو يقدر على قضاء حاجته وقف يوم
القيامة بين يدى ربه وليس على وجهه لحم ولا جلد الا عظم يتقعقع قال فبكى ذلك
الرجل وانكب عليه يقبله ويقول له بأبى أنت وأمى شققت عليك ولم أعرفك فاحكم
علىّ فى مالى وأهلى وان أحببت ان أخلى سبيلك فعلت قال نعم بل أحب أن تخلى
سبيلى اعبد ربى وكان الرجل كافرا فأسلم على يديه وأعطاه اربعمائة دينار وخلى
سبيله فأوحى الله اليه قد نجيتك من الرق واسلم الكافر على يديك وأعطاك مكان
كل درهم دينارا لتعلم أن لا يخسر أحد فى معاملتى فهذا آخر قصة الخضر وموسى وفتاه
والله أعلم ﴿ باب فى ذكر قصة عاميل قتيل بنى اسرائيل وقصة البقرة ﴾
قال الله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قال المفسرون وجد
قتيل فى بنى اسرائيل اسمه عاميل لم يدر من قتله واختلفوا فى قاتله وسبب قتله فقال
عطاء والسدى كان فى بنى اسرائيل رجل كثير المال وله ابن عم مسكين ولا وارث
له غيره فلما طالت عليه حياته قتله ليرثه وقال بعضهم كان تحت عاميل ابنة عم له
ما لها فى بنى اسرائيل مثل فى الحسن والجمال فقتله ابن عم لها لينكحها فلما قتله
حمله من قرية الى قرية أخرى فألقاه هناك وقال عكرمة كان لبنى اسرائيل مسجد له
اثنا عشر بابا لكل سبط منهم باب فوجد قتيل على باب سبط جر الى باب سبط آخر
فاختصم فيه السبطان وقال ابن سيرين قتله القاتل ثم احتمله ووضعه على باب رجل
منهم ثم اصبح يطلب ثاره ودمه ويدعيه عليه وقيل ألقاه بين القريتين فاختصم
أهلهما وجاء أولياؤه الى موسى وأتوه بناس وادعوا عليهم القتل وسألوه القصاص
فسألهم موسى عن ذلك فجحدوا ولم يكن لهم بينة فاشتبه أمر القتيل على موسى ووقع
بينهم قتال واختلاف وذلك قبل نزول القسامة فى التوراة فسألوا موسى أن يدعو الله
ليبين لهم أمر ذلك القتيل فسأل موسى ربه فأمرهم بذبح البقرة فقال لهم موسى ان الله
يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا جئناك لنسألك عن القتيل فتأمرنا بذبح بقرة
وانما قالوا ذلك لتباعد الامرين فى الظاهر ولم يدروا وجه الحكمة فيه فقال موسى
أعوذ بالله ان أكون من الجاهلين أى من المستهزئين بالمؤمنين فلما علم القوم ان
ذبح البقرة أمر من الله تعالى قد لزمهم سألوه الوصف فقالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى
ولو أنهم عمدوا الى أدنى بقرة فذبحوها لاجزأت عنهم لكنهم شددوا الامر على أنفسهم

فشدد

فشدد الله عليهم وانما كان تشديدهم تقديرا من الله وحكمة وكان السبب فيه على
ما ذكره السدى وغيره أن رجلا فى بنى اسرائيل كان بارا بأبيه و بلغ من بره ان رجلا
أتاه بلؤلؤة فابتاعها بخمسين ألفا وكان فيها فضل وربح فقال البائع اعطنى ثمن اللؤلؤة
فقال ان أبى نائم ومفتاح الصندوق تحت رأسه فامهلنى حتى يستيقظ وأعطيك
الثمن فقال أيقظ أباك وأعطنى المال فقال ما كنت لافعل ولكن أزيدك عشرة
آلاف وأنظرنى حتى ينتبه أبى فقال الرجل أنا أحط عنك عشرة آلاف ان أيقظت
أباك وعجلت النقد فقال أنا أزيدك عشرين ألفا ان انتظرت انتباهه فقال قبلت
فقعد ولم يوقظ أباه فلما استيقظ أبوه أخبره بذلك فدعا له وجزاه خيرا وقال له أحسنت
يا بنى وهذه البقرة لك بما صنعت وكانت بقية بقر كانت لهم وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى هذه القصة انظروا ما صنع الله به لاجل البر (وقال ابن عباس ووهب
وغيرهما من أهل الكتب) كان فى بنى اسرائيل رجل صالح وله ابن طفل وكان له عجلة
فأتى بالعجلة الى غيضة وقال اللهم انى استودعتك هذه العجلة لابنى حتى يكبر ثم مات
الرجل وشبت العجلة فى الغيضة حتى صارت عوانا وكانت تهرب من كل من رآها فلما
كبر الابن وكان بارا بوالدته وكان يقسم الليل ثلاثة أثلاث يصلى ثلثا وينام ثلثا
ويجلس عند رأس أمه ثلثا فاذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتى به السوق
فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه ويأكل بثلثه ويعطى والدته ثلثه قالت له أمه
يوما يا بنى ان اباك ورثك عجلة وذهب بها الى غيضة كذا وكذا واستودعها الله تعالى
فانطلق اليها وادع اله ابراهيم واسمعيل واسحق أن يردها عليك وعلامتها
انك اذا نظرت اليها يخيل لك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت اسمها
المذهبة لحسن خلقها وصفاء لونها وصفرتها فأتى الغيضة فرآها وهى ترعى فصاح بها
الفتى وقال لها أعزم عليك باله ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب أن تردى على
فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها وقادها فتكلمت البقرة باذن
الله تعالى وقالت أيها الفتى البار بوالدته اركبنى فان ذلك اهون لك فقال الفتى ان امى لم
تأمرنى بذلك وانما قالت خذ بعنقها فقالت البقرة واله بنى اسرائيل لو ركبتنى ما كنت
تقدر علىّ ابدا فانطلق فانك لو اشرت الى الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق لفعل لبرك
بوالدتك فانطلق الفتى بها فاستقبله عدوّ الله ابليس فى صورة راع فقال له أيها الفتى
انى راع من رعاة البقر اشتقت الى أهلى فأخذت ثورا من ثيرانى وحملت عليه زادى
ومتاعى حتى اذا بلغت شطر هذه الطريق ذهبت لاقضى حاجتى فغدا وسط الجبل
فما قدرت عليه وانى لاخشى على نفسى الهلكة فان رأيت أن تحملنى على بقرتك هذه
فتنجينى من الموت وأعطيك بقرتين مثل بقرتك فلم يفعل الفتى وقال اذهب فتوكل

على الله فلو علم الله منك اليقين لبلغك بلا زاد ولا راحلة فقال له ابليس لعنه الله ان
شئت فبعنيها بحكمك وان شئت فاحملني عليها وأعطيك عشرة أمثالها فقال له الفتى ان
أمي لم تأمرني بهذا فبينما الفتى كذلك اذ طار طائر من بين يدي البقرة فنفرت البقرة
هاربة في الفلاة وغاب الراعي فدعاها الفتى وقال بسم اله ابراهيم فرجعت اليه
البقرة وقالت أيها الفتى البار بوالدته ألم تر الى الطائر الذي طار فانه ابليس عدو الله
اختلسني أما انه لو ركبني لما قدرت علي أبدا فلما دعوت باله ابراهيم جاءني ملك
انتزعني من يد ابليس وردني اليك لبرك بأمك وطاعتك لها فجاء بها الفتى الى أمه
فقالت له انك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق
فبع هذه البقرة وخذ ثمنها فقال بكم أبيعها فقالت بثلاثة دنانير ولا تبعها بغير رضاي
ومشورتي وكان ثمن البقرة في ذلك الوقت ثلاثة دنانير فانطلق بها الى السوق فبعث
الله الى الفتى ملكا ليري خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف بره بوالدته وكان الله به خبيرا
فقال له الملك بكم تبيع هذه البقرة فقال بثلاثة دنانير وأشترط عليك رضا والدتي فقال
له الملك أنا أعطيك ستة دنانير ولا تستأمر أمك فقال له الفتى لو أعطيتني وزنها ذهبا
لم آخذه الا برضا أمي فردها الى أمه وأخبرها بالثمن فقالت ارجع فبعها بستة دنانير
على رضاي فانطلق الفتى بالبقرة الى السوق فأتى الملك فقال له الملك استأمرت والدتك
قال الفتى نعم أمرتني أن لا أنقصها عن ستة دنانير على ان أستأمرها فقال له الملك اني
أعطيك اثني عشر دينارا على أن لا تستأمرها فأبى الفتى ورجع الى أمه فأخبرها بذلك
فقالت ان ذلك الرجل الذي يأتيك هو ملك من الملائكة يأتيك في صورة آدمي
ليختبرك فاذا أتاك فقل له أتأمرني أن أبيع هذه البقرة أم لا ففعل الفتى ذلك فقال
الملك اذهب الى أمك وقل لها أمسكي هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منك
لقتيل يقتل في بني اسرائيل ولا تبيعيها الا بملء مسكها دنانير فأمسكا البقرة وقدر الله
على بني اسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها مكافأة له على بره بوالدته فضلا منه ورحمة فذلك
قوله تعالى قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي وما سنها قال موسى انه يعني الله يقول انها
بقرة لا فارض ولا بكر أي لا كبيرة ولا صغيرة عوان بين ذلك نصف بين السنين فافعلوا
ما تؤمرون من ذبح البقرة ولا تكثروا السؤال قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال
انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين اليها وتعجبهم من حسنها وصفائها
لان العين تسر وتولع بالنظر الى الشئ الحسن وقال علي بن ابي طالب من لبس نعلا
صفراء قل همه لان الله تعالى يقول صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك
يبين لنا ماهي أسائبة أم عاملة ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون الى
وصفها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وايم الله لو لم يستثنوا لما قبلت منهم الى آخر

الابد قال انه يقول انها بقرة لا ذلول مذللة بالعمل تثير الارض تقلبها للزراعة ولا تسقى الحرث مسلمة بريئة من العيوب لا شية فيها قال عطاء لا عيب فيها وقال قتادة لا بياض فيها أصلا وقال محمد بن كعب لا لون فيها يخالف معظم لونها قال فلما قال لهم موسى هذا قالوا الآن جئت بالحق أى بالوصف الثابت التام المبين فطلبوها فلم يجدوها بكمال وصفها الا عند الفتى البار بأمه فاشتروها منه بملء مسكها ذهبا وقال السدى اشتروها بوزنها عشر مرات ذهبا فذبحوها وما كادوا يفعلون من غلو ثمنها وقال القرطبى وما كادوا يذبحونها باجتماع أوصافها وذلك قوله تعالى واذ قتلتم نفسا يعنى عاميل وهذه الآية أول القصة فادارأتم فيها أى فاختلفتم فيها والله مخرج أى مظهر ما كنتم تكتمون أى تخفون فقلنا اضربوه يعنى القتيل ببعضها أى بعض البقرة واختلفوا فى هذا البعض ما هو قال ابن عباس ضربوه بالعظم الذى يلى الغضروف وهو المقتل وقال الضحاك بلسانها قال حسين بن الفضل وهذا أولى الاقاويل لان المراد من احياء القتيل كلامه واللسان آلة وقال سعيد بن جبير بعجب ذنبها قال غياث وهو أولى التأويلات بالصواب لان عجب الذنب أساس البدن الذى ركب عليه الخلق وهو أول ما يخلق الله وآخر ما يبلى قال مجاهد بذنبها وقال عكرمة والكلبى بفخذها الايمن وقال السدى بالبضعة التى بين كتفيها وقيل باذنها ففعلوا ذلك فقام القتيل حيا باذن الله تعالى وأوداجه تشخب دما وقال قتلنى فلان ثم سقط ومات مكانه قال الله تعالى كذلك يحيى الله الموتى كما أحيا عاميل بعد موته ويريكم آياته دلائل قدرته وشواهد حكمته لعلكم تعقلون قالوا فلما كان من أمر عاميل ما كان أوحى الله تعالى الى موسى أن يتوجه الى الارض المقدسة ببنى اسرائيل لينظر الى كل قتيل يوجد بين قريتين أو محلتين فيأخذ أقرب القريتين اليه ويلزمهم الدية فان علموا قاتله سلموه الى أهله وان لم يعلموا تخيروا خمسين رجلا من شيوخهم وصلحائهم ثم ليأخذوا بقرة حولية ويذبحوها ببطن واد يسميه لهم ثم لتضع الخمسون رجلا أيديهم عليها ثم يحلفوا بالله العظيم رب السموات والارض اله بنى اسرائيل واسحق ويعقوب واسمعيل انا ما قتلناه ولا علمنا له قاتلا فاذا حلفوا برئوا من دمه وأدوا ديته الى أوليائه فلم يزل موسى يقضى بالقسامة بينهم الى أن مات وكذا بنوا اسرائيل حتى جاء الاسلام فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقسامة والله أعلم

﴿باب فى ذكر بناء بيت المقدس والقربان والتابوت والسكينة وصفة النار التى كانت تأكل القربان وما أمر به موسى عليه السلام من ذلك﴾

قال الله تعالى الذين قالوا ان الله عهد الينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار الآية أنبأنى محمد بن حمدويه باسناده عن وهب بن منبه قال أوحى الله الى موسى

أن يتخذ مسجدا لجماعتهم وبيت قدس للتوراة ولتابوت السكينة وقبابا للقربان
وأن يجعل لذلك المسجد سرادقات باطنها وظاهرها من الجلود المدبغة علمها وأن تكون
تلك الجلود من جلود ذبائح القربان وحبالها التى تمد بها من اصواف تلك الذبائح وعهد
اليه أن لا تغزل تلك الحبال حائض ولا يدبغ تلك الجلود جنب وأمره أن ينصب تلك
السرادقات على عمد من نحاس طول كل عمود منها أربعون ذراعا ويجعل فيها اثنى عشر
قسما مسرجا فاذا انقضى وصار اثنى عشر جزأ جعل على كل جزء بما فيه من العمد سبطا
من أسباط بنى اسرائيل وأمره أن يجعل سعة تلك السرادقات ستمائة ذراع فى ستمائة
ذراع وأن ينصب فيه سبع قباب ستة منها مشتبكة بقضبان الذهب والفضة كل
واحدة منهن منصوبة على عمود من فضة طوله أربعون ذراعا وعليها أربعة دسوت
من ثياب محلاة الباطن الاول سندس أخضر والثانى ارجوان أحمر والثالث ديباج
والرابع من جلود القربان وقاية لها من المطر والغبار وحبالها التى تمد بها من صوف
القربان وأن يجعل سعتها أربعين ذراعا وأن ينصب فى جوفها موائد من فضة مربعة
يوضع عليها القربان سعة كل مائدة منها أربعة أذرع فى أربعة أذرع كل مائدة منها على
اربع قوائم من فضة كل قائمة ثلاثة أذرع لا ينال الرجل منها الا قائمة وأمره أن
ينصب بيت المقدس على عمود من ذهب طوله سبعون ذراعا يضعه على سبيكة من
ذهب أحمر طولها تسعون ذراعا مرصع بأنواع الجواهر وأن يجعل أسفله مشتبكا
بقضبان الذهب والفضة وأن يجعل حبالها التى تمد لها من أصواف القربان وأن يجعله
مصبوغا بألوان من أحمر وأصفر وأخضر وأن يلبسه سبعة من الجلال محلاة الباطن
الاول منها سندس أخضر والثانى ارجوان احمر والثالث من الديباج الاصفر والرابع
من الحرير الاصفر وكذلك اثواب نحوها وسائرها من الديباج والوشى والظاهر له غاشية
من جلود القربان وقاية من الاذى والندى وأمره أن يجعل سعته سبعين ذراعا وأن
يفرش القباب بالقز الاحمر وأمره أن ينصب فيه تابوتا من ذهب كتابوت الميثاق
مرصع بألوان الجواهر واليواقيت الاحمر والاشهب والزمرذ الاخضر وقوائمه من
ذهب وأن يجعل سعته سبعة أذرع فى أربعة أذرع وعلوه قامة موسى وأن يجعل له أربعة
أبواب باب تدخل منه الملائكة وباب يدخل منه موسى وباب يدخل منه هرون
وباب يدخل منه اولاد هرون وهم سدنة ذلك البيت وخزان التابوت وأمر الله نبيه
موسى عليه السلام أن يأخذ من كل محتلم فيهما من بنى اسرائيل مثقالا من ذهب
فينفقه على هذا البيت وأن يجعل باقى ذلك المال الذى لا يحتاج اليه من الحلى والحلل
التى ورثها الله بنى اسرائيل وموسى وأصحابه من فرعون وقومه دفينا فى أرض بيت
المقدس ففعل ذلك فبلغ عدد بنى اسرائيل ستمائة ألف وسبعة وخمسين رجلا فأخذ

منهم ذلك المال وأوحى الله اليه انى منزل عليكم من السماء نارا لادخان لها ولا تحرق شيأ ولا تطفأ ابدا لتأكل القرابين المتقبلة وتسرج القناديل التى فى بيت المقدس وهى من ذهب معلقة بسلاسل من الذهب منظومة من اليواقيت واللآلى وأنواع الجواهر وأمره أن يضع فى وسط البيت صخرة عظيمة من الرخام وينقر فيها نقرة لتكون كانون تلك النار التى تنزل من السماء فدعا موسى أخاه هرون وقال له ان الله قد اصطفانى بنار تنزل من السماء تأكل القرابين المتقبلة وتسرج منها القناديل وأوصانى بها وانى قد اصطفيتك بها وأوصيتك بها فدعا هرون ابنيه وقال لهما ان الله تعالى قد اصطفى موسى بأمر وأوصاه به وانه قد اصطفانى له وأوصانى به وانى قد اصطفيتكما له وأوصيتكما به وكان أولاد هرون هم الذين يلون سدنة هذا البيت وأمر القربان والنيران فشربوا ذات ليلة حتى ثملوا ثم دخلوا البيت وأسرجوا القناديل من هذه النار التى فى الدنيا فغضب الله عليهم وسلط عليهم تلك النار فاحرقتهما وموسى وهرون يدفعان عنهما النار فلم تغنيا عنهما من امر الله شيأ فأوحى الله تعالى الى موسى هكذا أفعل بمن عصانى ممن يعرفنى فكيف أفعل بمن لا يعرفنى من أعدائى وهذا آخر القصة والله أعلم

﴿باب فى ذكر مسير بنى اسرائيل الى الشام حتى جاوزوا البحر وصفة﴾
﴿حرب الجبارين وقصة التيه وما يتعلق بذلك﴾

قال الله تعالى واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا الآيات اختلفت عبارات المفسرين فى الارض المقدسة ماهى فقال مجاهد هى الطور وما حوله وقال مقاتل هى ايليا وبيت المقدس وقال عبد الله بن عمر الحرم محرم بمقداره من السموات والارض والبيت المقدس مقدس بمقداره من السموات والارض وقال عكرمة والسدى هى اريحا وقال الكلبى هى دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقال الضحاك هى الرملة والاردن وفلسطين وقال قتادة هى الشام كله

﴿فصل فى فضل الشام وأهله﴾

قال زيد بن ثابت بينما نحن جلوس عند النبى صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع اذ قال طوبى لاهل الشام قيل يا رسول الله ولم ذلك قال ان ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليهم عن عبد الله بن حوالة قال كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال والله لا يزال هذا الامر فيكم حتى يفتح الله لكم أرض فارس والروم وأرض حمير وحتى تكونوا اجنادا ثلاثة جند بالشام وجند بالعراق وجند باليمن فقلت يا رسول الله اختر لى ان أدركنى ذلك فقال أختار لك الشام فانها صفوة الله تعالى من بلاده

والهاجتبى صفوته من عباده يا أهل الاسلام عليكم بالشام فان صفوة الله من الارض الشام وان الله تعالى قد تكفل لى بالشام وأهله وقال عبد الله بن مسعود حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قسم الله الخير عشرة أجزاء فجعل منه تسعة أجزاء فى الشام وواحدا فى العراق وقسم الله الشر عشرة أجزاء فجعل منه تسعة فى العراق وواحدا بالشام ودخل الشام عشرة آلاف عين رأت النبى صلى الله عليه وسلم ونزل حمص تسعمائة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فيهم سبعون بدريا وقال الكلبى صعد ابراهيم عليه السلام جبل لبنان وقيل له انظر فما أدركه بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك من بعدك فذلك قوله تعالى يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم يعنى كتب الله فى اللوح المحفوظ انها لكم مساكن وقال ابن اسحق وهبها الله لكم مساكن وقال السدى أمركم أن تدخلوها

﴿ذكر قصة بلعام بن باعوراء﴾

قال الله تعالى واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها الآية واختلفوا فيه فقال أكثر المفسرين هو بلعام بن باعوراء بن باعر بن ايد بن مارث بن لوط وكان من الكنعانيين من مدينة بلقاء وهى مدينة الجبارين وسميت بلقاء لان ملكها رجل يقال له بالق بن صافورا وكانت قصة بلعام على ما ذكره ابن عباس وابن اسحق والسدى والكلبى وغيرهم أن موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين ونزل أرض بنى كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعام الى بلعام وكان عنده اسم الله الاعظم فقالوا له أن موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة وانه قد جاء ليخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بنى اسرائيل وانا قومك وبنو عمك وجيرانك وليس لنا منزل وأنت رجل مجاب الدعوة فاقدم الينا وأشر علينا فى هذا الرجل العدو الذى قد أرهقنا فادع الله أن يردعنا موسى وقومه فقال لهم بلعام ويلكم هذا نبى الله ومعه الملائكة والمؤمنون كيف ادعو عليهم وأنا اعلم من الله ما أعلم وانى ان فعلت ذلك ذهبت دنياى وآخرتى فلم يزالوا به حتى قال لهم اصبروا حتى أستأمر ربى وكان لا يدعو حتى ينظر ما يؤمر به فى المنام فتآمر فى الدعاء عليهم فى المنام فقيل له لا تدع عليهم فقال لقومه انى قد آمرت ربى فى الدعاء عليهم فنهيت عن ذلك فراجعوه فقال حتى أؤامر ثانيا فآمر فلم يجب فقال قد آمرت فلم يجب لى شيأ فقالوا لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما فعل فى المرة الاولى فلم يزالوا يرفقون به ويناشدونه ويتضرعون اليه حتى فتنوه فافتتن فقالوا لبعضهم اهدوا اليه فيقال انهم أهدوا اليه هدية فقبلها ويقال ان بلعام ابن باعوراء لما أبى أن يدعو على موسى وقومه اجتمع آراء قومه على أن يحملوا شيأ الى امرأته وقالوا انها فقيرة وانه يصغى الى رأيها فانطلق عشرة من عظمائهم وحمل كل واحد

منهم صحيفة من ذهب مملوءة ورقا فاهدوها لها فأقبلت على صاحبها وألحت عليه حتى
قالت له ارجع الى ربك فاسأله أن يأذن لك في مؤازرتهم والدعاء على عدوهم فلم تزل
به حتى استجاب فلم يجب اليه بشئ فقالت له انه قد خيرك في الدعاء عليهم فلو لم يأذن
لك لنهاك قالوا فركب أتانا له متوجها الى جبل يطلعه على عسكر بني اسرائيل يقال له
حسان وكانت مراكب العباد الاولين الاتن فسار عليها غير بعيد حتى ربضت به
فنزل عنها وضربها حتى أذلقها فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت به ففعل
بها مثل ذلك فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت به فضربها حتى اذا أذلقها
أذن الله تعالى لها في الكلام حجة عليه فقالت له ويحك يابلعام أين تذهب ألا ترى
أن الملائكة أمامي تردني عن وجهي هذا أتذهب الى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم
فلما سمع ذلك خر ساجدا فلم يزل باكيا متضرعا حتى غابت عنه الملائكة ثم رفع رأسه
فجاءه الشيطان وقال له امض لوجهك فان ربك يستجيب لك ولو لم يرد ذلك لما برحت
عنك الملائكة ولما خلوا سبيلك فركب أتانه وخلى الله سبيلها فانطلقت به حتى
أشرفت على جبل حسان فجعل لايدعو عليهم بشئ من الشر الا صرف الله به لسانه
الى قومه ولا يدعو لقومه بخير الا صرف الله به لسانه الى بني اسرائيل فقال له قومه
أتدري ما تصنع يابلعام انما تدعو لهم وتدعو علينا فقال هذا أمر لا أملك منه شيأ قد
غلبني الله عليه فاندلع لسانه فوقع على صدره فعلم ما حل به فقال لقومه قد ذهبت مني
الدنيا والآخرة ولم يبق الا المكر والحيلة فسأمر لكم وأحتال فجملوا النساء وزينوهن
وأعطوهن السلع ثم أرسلوهن الى المعسكر يبعن فيه ويشترين وأمروهن أن لاتمنع
مرأة نفسها من رجل أرادها فانهم لو زنى رجل منهم كفيتموهم ففعلوا ذلك فلما دخلت
النساء المعسكر مرت امرأة من الكنعانيين اسمها كبشا بنت صوريا برجل من عظماء
بني اسرائيل يقال له زمري بن سلوم من سبط شمعون بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم
فقام اليها وأخذ بيدها حين أعجبه حسنها وجمالها ثم وقف على موسى وقال اني
سأظنك أن تقول هذه حرام عليك فقال أجل هي حرام عليك لاتقربها قال والله
لا أطيعك في هذا ثم انه دخل بها قبته فواقعها فأرسل الله الطاعون على بني اسرائيل
في الوقت وكان فنحاص بن عيزار بن هرون صاحب موسى رجلا قد أعطى بسطة في
الخلق وقوة في البطش وكان غائبا حين صنع زمري بن سلوم ما صنع فجاء والطاعون
يحوس في بني اسرائيل فأخبر الخبر فأخذ حربته وكانت حديدا كلها ثم دخل عليهما
القبة وهما متضاجعان فانتظمهما في حربته ثم خرج بهما رافعهما بيده الى السماء
والحربة قد أخذها بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته وأسند الحربة على لحيته وكان
بكر العيزار وجعل يقول اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك فرفع الطاعون عنهم فحسب

من هلك من بني اسرائيل من الطاعون فيما بين أن أصاب زمري المرأة الى أن قتله فنحاص فوجدوه قد أهلك منهم سبعين ألف نفس في ساعة واحدة فمن هنالك يعطي بنو اسرائيل لبنيه من كل ذبيحة ذبحوها الخاصرة والذراع واللحي لاعتماده بالحربة على خاصرته وأخذه اياها بذراعه واسناده اياها الى لحيته والبكر من كل أموالهم لانه كان بكر العيزار بن هرون ففي بلعام أنزل الله تعالى واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا الآية (قال مقاتل) ان ملك البلقاء قال لبلعام ادع الله على موسى والا قتلتك فقال انه من أهل ديني ولا أدعو عليه فنحى خشبة ليصلبه فلما رأى ذلك خرج على أتان له ليدعو عليه فلما عاين عسكرهم قامت به الاتان ووقفت فضربها فقالت له لم تضربني وأنا مأمورة فلا تظلمني وهذه نار أمامي قد منعتني أن أمشي فرجع فأخبر الملك فقال له لتدعون عليه والا صلبتك فدعا على موسى باسم الله الاعظم أن لا يدخل المدينة فاستجيب له ووقع موسى وبنو اسرائيل في التيه بدعائه فقال موسى يارب باي ذنب وقعنا في التيه قال بدعاء بلعام فقال موسى يارب كما سمعت دعاءه علي فاسمع دعائي عليه أن تنزع منه الاسم الاعظم والايمان فسلخه الله مما كان عليه ونزعت منه المعرفة فخرجت كحمامة بيضاء وأنزل الله تعالى هذه الآية (وقال آخرون) هو نبي من بني اسرائيل يقال له بلعام أوتي النبوة فرشاه قومه على أن يسكت ففعل وتركهم على ماهم عليه (وقال) عبد الله بن عمرو زيد بن أسلم وأبو روق أنزلت هذه الآية في أمية بن أبي الصلت الثقفي وكانت قصته أنه كان في ابتداء أمره قد قرأ الكتب السالفة وعلم أن الله تعالى مرسل رسولا في ذلك الوقت ورجا أن يكون هو ذلك الرسول فلما أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم حسده وكان قصد بعض الملوك فلما رجع مر بقتلى بدر فسأل عنهم فقيل له قتلهم محمد فقال لو كان نبيا ما قتل أقرباءه فلما مات أمية أتت أخته فارعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن وفاة أخيها فقالت بينما هو راقد اذ أتاه رجلان فكشطا سقف البيت ونزلا فقعد أحدهما عند رجليه والآخر عند رأسه فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه أوعى قال وعى قال أزكا قال زكا قالت فسألته عن ذلك فقال خير أريد بي ثم قطرت عينه ثم غشي عليه فلما أفاق قال

كل عيش وان تطاول دهرا ✽ صائر أمره الى ان يزولا
ليتني كنت قبل ما قد بدا لي ✽ في قلال الجبال أرعى الوعولا
ان يوم الحساب يوم عظيم ✽ شاب فيه الصغير يوما ثقيلا

ثم قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أطيبه من شعر سألتك بالله أن تنشدي شعر أخيك فأنشدته

لك الحمد والنعماء والفضل ربنا ✽ فلا شيء أعلى منك جدا وأمجد

مليك

مليك على عرش السماء مهيمن ❊ لعزته تعنو الوجوه وتسجد

وهي قصيدة طويلة وأنشدته حتى أتت على آخرها ثم انها أنشدته قصيدته التي يقول فيها

عند ذي العرش يعرضون عليه ❊ يعلم الجهر والكلام الخفيا
يوم نأتيه وهو رب رحيم ❊ انه كان وعده مأتيا
يوم نأتيه مثل ما قال فردا ❊ لم يذر فيه راشدا وغويا
أسعيد سعادة أنا أرجو ❊ أم مهان بما كسبت شقيا
رب أن تعف فالمعافاة ظني ❊ أو تعاقب فلم تعاقب بريا
ان أؤاخذ بما اجترمت فاني ❊ سوف ألقى من العذاب فريا

فقال صلى الله عليه وسلم آمن شعره وكفر قلبه فأنزل الله تعالى فيه واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا الآية وقال سعيد بن المسيب نزلت فى أبي عامر بن النعمان بن صيفى الراهب الذى سماه النبي صلى الله عليه وسلم الفاسق وكان قد ترهب فى الجاهلية ولبس المسوح فقدم المدينة فقال للنبى صلى الله عليه وسلم ما هذا الذى جئت به قال جئت بالحنيفية دين ابراهيم قال فأنا عليها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لست عليها ولكنك أدخلت فيها ما ليس منها فقال أبو عامر امات الله الكاذب منا فى مناظرته طريدا فريدا وحيدا فخرج الى الشام وأرسل الى المنافقين أعدوا القوة والسلاح وابنوا لى مسجدا فانى ذاهب الى قيصر وآتى بجند لنخرج محمدا وأصحابه من المدينة فذلك قوله تعالى وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل يعنى انتظار المجيئه فمات فى الشام طريدا وحيدا فريدا ومنهم من قال انها نزلت فى البسوس وكان رجلا قد أعطى ثلاث دعوات مستجابات وكان له امرأة وله منها ولد فقالت له اجعل لى منها واحدة فقال لك منها دعوة فما تريدين قالت ادع الله أن يجعلنى أجمل امرأة فى بنى اسرائيل فدعا فجعلت أجمل امرأة فى بنى اسرائيل فلما علمت أن ليس فيهم مثلها رغبت عنه فغضب الرجل فدعا عليها فصارت كلبة نباحة فذهبت فيها دعوتان فجاء بنوها فقالوا ليس لنا على هذا قرار ولا صبر صارت أمنا كلبة نباحة وان الناس يعيروننا بها فادع الله أن يردها الى الحال التى كانت عليها فدعا الله فصارت كما كانت فذهبت فيها الثلاث دعوات كلها

❊باب فى ذكر النقباء الذين اختارهم موسى ليكونوا كفلاء على قومهم❊
❊حين بعثه اياهم الى أرض كنعان جواسيس له ولقومه❊

قال الله تعالى ولقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا الآية وذلك أن الله تعالى وعد موسى أن يورثه وقومه الارض المقدسة وهى الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون وهم العمالقة من ولد عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح

ووعده الله أن يهلكهم ويجعل أرض الشام مساكن بني اسرائيل فلما استقرت ببني اسرائيل الدار بمصر أمرهم الله بالمسير الى اريحاء من أرض الشام وهي الارض المقدسة فقال ياموسى اني قد كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرج اليها وجاهد من فيها من العدو فاني ناصركم عليهم خذ من قومك اثنى عشر رجلا من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما أمروا به فاختار موسى من كل سبط نقيبا وأمرهم عليهم وهذه أسماؤهم من سبط روبيل شموع بن زكور ومن سبط شمعون شوقط بن حوري ومن سبط يهوذا كالب بن يوفنا ومن سبط جاد حاذ بن يوسف ومن سبط ريالون حدى بن سوري ومن سبط أشير شابون بن مليكيل ومن سبط يقالى حي بن وقسى ومن سبط دان حمل بن وكيل بن خمل ومن سبط لاوى خولان بن مليكا ومن سبط يوسف افرائيم ومن سبط افرائيم يوشع بن نون وهما سبطان لموسى ومن سبط ميشا حي بن سوسى ومن سبط بنيامين ناطم بن زقون ثم انه سار بنى اسرائيل قاصدا أريحاء فبعث موسى اليها هؤلاء النقباء يتجسسون الاخبار له ويعلمون حالها وحال أهلها فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عوج بن عنق

﴿فصل في ذكر جمل من أخبار عوج بن عنق واحواله﴾

قال ابن عمر كان طول عوج ثلاثة وعشرين ألف ذراع وثلثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعا بالذراع الاول وكان عوج يحتجز السحاب ويشرب منه الماء ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه اليها ثم يأكله ويروى انه أتى نوحا في أيام الطوفان فقال له احملني معك في سفينتك فقال له اذهب يا عدو الله فاني لم أومر بك فطبق الماء الارض من سهل ومن جبل وما جاوز ركبتيه وعاش ثلاثة آلاف سنة حتى أهلكه الله على يد موسى وكان لموسى عسكر فرسخ في فرسخ فجاء عوج ونظر اليهم ثم جاء الى الجبل وقور منه صخرة على قدر العسكر ثم حملها ليطبقها عليهم فبعث الله عليه الهدهد ومعه الطيور فجعلت تنقر بمناقيرها حتى قورت الصخرة وانثقبت فوقعت في عنق عوج بن عنق فطوقته وصرعته فأقبل موسى وطوله عشرة أذرع وطول عصاه عشرة أذرع وقفز الى فوق عشرة أذرع فما أصاب منه الا كعبه وهو مصروع في الارض فقتله قالوا فأقبل جماعة كثيرة ومعهم الخناجر فجهدوا حتى حزوا رأسه فلما قتل وقع على نيل مصر فجسره سنة قالوا وكانت أمه عنق هي احدى بنات آدم من صلبه ويقال انها كانت أول من بغى على وجه الارض وكان كل أصبع من اصابعها طوله ثلاثة أذرع في عرض ذراعين في كل أصبع ظفران حادان مثل المنجلين وكان موضع مقعدها جريبة من الارض ولما بغت بعث الله اليها أسودا كالفيلة وذئابا ونمورا كالابل ونسورا كالحمر وسلطهم عليها فقتلوها وأكلوها (قالوا) فلما لقيهم عوج يعني أصحاب موسى وكان على رأسه حزمة حطب أخذ الاثنى عشر نقيبا وجعلهم في حزمته وانطلق بهم الى

امرأته

امرأته وقال لها أنظرى الى هؤلاء الذين يزعمون أنهم يريدون قتالنا وطرحهم بين يديها وقال لاطحننهم برجلى فقالت له امرأته لا تفعل بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا ففعل ذلك وخلى سبيلهم فجعلوا يتعرفون أحوالهم وكان لا يحمل عنقود عنبهم الا خمسة نفر بينهم فى خشبة ويدخل فى قشرة الرمانة اذا نزع حبها خمسة أنفس أو أربعة فلما خرجت النقباء قال بعضهم لبعض ياقوم انكم ان أخبرتم بنى اسرائيل خبر القوم فشلوا وارتدوا عن نبى الله ولكن اكتموا شأنهم وأخبروا موسى وهرون فيريان رأيهما فيهم فاخذ بعضهم على بعض الميثاق بذلك ثم انهم انصرفوا الى موسى وجاؤا بحبة من عنبهم وقشرة من قشور رمانهم وأخبروه بما رأوا ثم ان النقباء نكثوا العهد وجعل كل واحد منهم ينهى سبطه وقومه عن قتالهم وأخبروهم بما رأوا من حالهم الا رجلين منهم وفيا بما قالا وهما يوشع بن نون بن افرائيم فتى موسى وكالب بن يوفنا ختن موسى على أخته مريم بنت عمران فلما سمع القوم ذلك من الجواسيس رفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا ياليتنا متنا فى أرض مصر اوليتنا نموت فى هذه البرية ولا يدخلنا الله أرضهم فتكون نساؤنا وأولادنا وأموالنا غنيمة لهم وجعل الرجل منهم يقول لاصحابه تعالوا نجعل علينا رئيسا وننصرف الى مصر فذلك قوله تعالى اخبارا عنهم قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين الآية قال قتادة كان لهم اجسام وخلق عجيب ليس لغيرهم مثله وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون قال موسى ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم فان الله سيفتحها عليكم وان الذى أنجاكم من آل فرعون وفلق لكم البحر هو الذى يبلغكم ويظفركم عليهم فلم يقبلوا قوله ولم يفعلوا وردوا عليه أمره وهموا بالانصراف الى مصر فخرج يوشع بن نون وكالب بن يوفنا الى القوم وهما اللذان أخبر الله عنهما بالتوفيق والعصمة فى قوله تعالى قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما بالتوفيق والعصمة ادخلوا عليهم الباب يعنى باب مدينة الجبارين فاذا دخلتموه فانكم غالبون لان الله منجز وعده فانا رأيناهم وخبرناهم فكانت جسومهم عظيمة قوية وقلوبهم ضعيفة فلا تخشوهم وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين فاراد بنوا اسرائيل أن يرجموهما بالحجارة وعصوهما وقالوا ياموسى انا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون (وروى) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم الحديبية حين صد عن البيت انى ذاهب بالهدى فناحره عند البيت فاستشار أصحابه فى ذلك فقال المقداد بن الاسود الكندى اوالله لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكنا نقول انا معك مقاتلون والله لنقاتلن عن يمينك وشمالك وبين يديك ولو خضت بحرا لخضناه ولو تسنمت جبلا لعلوناه ولو ذهبت بنا الى برك الغماد يعنى

مدينة بالحبشة لتعبدنك فلما سمع ذلك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم تابعوه على ذلك فاشرق لذلك وجه النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس لان أكون صاحب هذا المشهد أحب الى من الدنيا ومافيها (قالوا) فلما فعلت بنواسرائيل مافعلت من معصيتهم نبيهم ومخالفتهم أمر ربهم سوى يوشع وكالب غضب موسى فدعا عليهم وقال رب انى لاأملك الانفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين اى العاصين وكانت عجلة عجلها موسى فظهر الغمام على باب قبة موسى وأوحى الله تعالى الى موسى الى متى تعصينى هذا الشعب والى متى لايصدقون بهذه الآيات لاهلكنهم جميعا ولاجعلن لك شعبا أقوى واكثر منهم فقال موسى الهى لوأنك قتلت هذا الشعب كلهم لرجل واحد لقالت الامم الذين سمعوا ذلك انما قتل هذا الشعب من أجل أنه لم يستطع أن يدخلهم الارض المقدسة قتلهم فى البرية وانك طويل صبرك كثيرة نعمتك وأنت تغفر الذنوب وتحفظ الآباء على الابناء وأبناء الابناء فاغفر لهم ولاتوبقهم فقال الله تعالى لموسى انى قدغفرت لهم بكلمتك ولكن بعدماسميتهم فاسقين ودعوت عليهم حلفت بعزتى لاحرمن عليهم دخول الارض المقدسة غير عبدى يوشع بن نون وكالب ولاتيهنهم فى هذه البرية أربعين سنة مكان كل يوم من الايام التى تجسسوا فيها سنة وكانت أربعين يوما ولياتينهم حتفهم فى هذه القفار وأما بنوهم الذين لم يعصونى ولم يعلموا الخير ولاالشر فانهم يدخلون الارض المقدسة فذلك قوله تعالى فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الارض متحيرين فلاتأس على القوم الفاسقين فلبثوا أربعين سنة فى ستة فراسخ وكانوا ستمائة ألف مقاتل وكانوا كل يوم يسيرون جادين حتى أذاهم أمسوا فاذاهم بالموضع الذى منه ارتحلوا وسئموا الموضع الذى هم فيه فارتحلوا ومات أولئك النقباء العشرة الذين أفشوا الخبر وكل من دخل التيه ممن جاوز عشرين سنة مات فى المدة غير يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ولم يدخل أحد اريحاء ممن قال انا لن ندخلها أبدا فلما هلكوا وانقضت أربعون سنة ونشأت النواشئ من ذراريهم ساروا الى حرب الجبارين وفتح الله لهم

﴿باب فى ذكر النعمة التى أنعم الله بها على بنى اسرائيل فى التيه وخصهم بذلك ورفع عنهم الهلاك كرامة لنبيه وصفيه موسى عليه السلام﴾

قال الله تعالى يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم الآية كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها والعدل لايقع على الواحد التى أنعمت عليكم أى على أجدادكم واسلافكم وذلك ان الله تعالى فلق لهم البحر وأنجاهم من آل فرعون وأهلك عدوهم وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم وأنزل عليهم التوراة فيها بيان كل شئ يحتاجون اليه وأعطاهم ما أعطاهم فى التيه وذلك انهم قالوا لموسى أهلكتنا

وأخرجتنا من العمران والبنيان الى مفازة لاظل فيها ولا كن فانزل الله تعالى عليهم غمامة بيضاء رقيقة ليست بغمام المطر بل أرق واطيب وأبرد منه فاظلتهم وكانت تسير بسيرهم اذا ساروا وتدور عليهم من فوقهم اذا نزلوا وذلك قوله تعالى وظللنا عليكم الغمام يعني في التيه تقيكم حر الشمس ومنها انه جعل لهم عمودا من نور يضيء لهم بالليل اذا لم يكن ضوء للقمر فقالوا هذا الظل والنور قد حصل فاين الطعام فانزل الله عليهم المن واختلفوا فيه فقال مجاهد هو شيء كالصمغ يقع على الاشجار وطعمه كالشهد وقال الضحاك هو الترنجبين وقال وهب هو الخبز الرقاق وقال السدي كان عسلا يقع على الشجر من الليل فيأكلون منه وقال عكرمة هو شيء أنزله الله عليهم مثل الرب الغليظ وقال الزجاج المن ما يمن الله به مما لا تعب فيه ولا نصب وقال النبي صلى الله عليه وسلم الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين قالوا وكان الله ينزل هذا المن كل ليلة يقع على الاشجار مثل الثلج لكل انسان منهم صاع كل ليلة فقالوا ياموسى قتلنا هذا المن بحلاوته فادع الله ربك لنا يطعمنا اللحم فدعا موسى فانزل الله عليهم السلوى واختلفوا فيه فقال ابن عباس وأكثر الناس هو طائر يشبه السماني وقال أبو العالية ومقاتل هو طير أحمر بعثه الله عليهم فأمطر به السماء في عرض ميل قدر رمح في السماء بعضها على بعض وكانت السماء تمطره لهم ذلك وقيل انه كان طيرا مثل فراخ الحمام طيبا سمينا قد تمعط ريشه وزغبه وكانت الريح تأتي به اليهم فيصبحون وهو في معسكرهم وقيل انه كان يأتيهم فيسترسل اليهم فيأخذونه بأيديهم وقال عكرمة هو طير يكون بالهند أكبر من العصفور وقال المؤرج هو العسل بلغة كنانة قال شاعرهم

وقاسمها بالله جهدا لانتم * الذ من السلوى اذا ما نشورها

فكان الله ينزل عليهم المن والسلوى وكان أحدهم يأخذ ما يكفيه يومه وليلته فاذا كان يوم الجمعة أخذ كل واحد ما يكفيه ليومين لانه لم يكن ينزل عليهم يوم السبت فذلك قوله تعالى وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا أي قلنا لهم كلوا من طيبات حلال ما رزقناكم ولا تدخروا لغد فخبؤا لغد فدود وفسد ما ادخروا وقطع الله عنهم ذلك قال تعالى وما ظلمونا أي اضرونا بالمعصية ومخالفة الامر ولكن كانوا أنفسهم يظلمون باستحبابهم الغداء وقطع عنهم مادة الرزق الذي كان ينزل عليهم بلا مؤونة ولا مشقة في الدنيا ولا حساب ولا تبعة في العقبى (أخبرنا) شعيب بن محمد قال اخبرنا مكي بن عبدان قال اخبرنا أحمد بن الازهر قال حدثنا روح بن عبادة قال حدثنا عون بن عبد الله عن جلاس بن عمر عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنو اسرائيل لم يخنز اللحم ولم يخبث الطعام ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها (ومنها) أنهم عطشوا في التيه فقالوا ياموسى من اين نشرب فاستسقى لهم موسى فأوحى الله اليه

أن اضرب بعصاك الحجر واختلف العلماء فيه فقال وهب كان موسى يقرع لهم أقرب
حجر فى ارض الحجارة فينفجر منه عيون لكل سبط منهم عين وكانوا اثنى عشر سبطا ثم
تسيل كل عين فى جدول السبط الذى أمر بسقيهم فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا
عطشا فاوحى الله تعالى اليه لاتقرع الحجارة بالعصا ولكن كلمها تطعك لعلهم يعتبرون
وكان يفعل ذلك فقالوا كيف بنا اذا مضينا الى الرمل والى الارض التى ليس فيها
حجارة فامر موسى أن يحمل معه حجرا فحيث ما نزل ألقاه وقال آخرون كان حجرا مخصوصا
بعينه والدليل عليه قوله تعالى الحجر فأدخل الالف واللام للتعريف والتخصيص
كقوله رأيت الرجل ثم اختلفوا فى ذلك الحجر ماهو فقال ابن عباس كان حجرا خفيفا
مربعا مثل رأس الرجل أمر ان يحمله فحمله فكان يضعه فى مخلاته فاذا احتاجوا الى
الماء أخرجه وضربه بعصاه فيتفجر عيونا كما ذكرنا فسقاهم قال أبو روق كان الحجر من
الكدان وكان فيه اثنتا عشرة عينا أى حفرة ينبع من كل حفرة عين ماء عذب
فيأخذونه فاذا فرغوا وأراد موسى حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء وكان كل يوم يسقى
ستمائة ألف من جميع الاجناس وقال سعيد بن جبير هو الحجر الذى وضع موسى
عليه ثوبه ليغتسل ففر الحجر بثوبه فلما وقف الحجر أتاه جبريل عليه السلام فقال
ياموسى ان الله يقول لك ارفع هذا الحجر فلى فيه قدرة ولك فيه معجزة وهو الذى ذكره
الله تعالى فى قوله يا أيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما
قالوا الآية وهو ما اخبرنا به الحسن بن احمد الخلدى باسناده عن أبى هريرة رضى الله
عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال كانت بنو اسرائيل يغتسلون عراة ينظر
بعضهم الى سوأة بعض وكان موسى يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى أن يغتسل
معنا الا انه آدر قال فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فجمع فى اثره
موسى يقول ثوبى ياحجر ثوبى ياحجر حتى نظر بنو اسرائيل الى سوأة موسى فقالوا والله
ما بموسى من بأس قال فقام الحجر بعد مانظر اليه بنو اسرائيل فأخذ ثوبه وطفق بالحجر
ضربا فقال أبو هريرة والله ان أثر ضرب موسى بالحجر ستة اوسبعة قال عبد العزيز
السكنانى كان موسى ضرب الحجر اثنتى عشرة ضربة فكان يظهر فى كل موضع ضربة
مثل ثدى المرأة ثم يتفجر بالانهار المطردة فذلك قوله تعالى فانفجرت منه اثنتا عشرة
عينا (ومنها) أنهم قالوا لموسى فى التيه من أين لنا اللباس فخلد الله تعالى ثيابهم التى
عليهم حتى لاتزيد على الايام ومرور الاعوام الاجدة وظرافة ولا تخلق ولا تبلى وتنمو
على صبيانهم كما تنمو فمكثوا على ذلك زمانا طويلا والله أعلم

باب فتح اريحاء ونزول بنى اسرائيل الشام

اختلف العلماء فيمن تولى حرب الجبارين وفيمن كان على يده الفتح فقال قوم انما فتح اريحاء

موسى ويوشع وكان يوشع على مقدمته فسار موسى اليهم بمن بقى من بني اسرائيل في التيه ولم يمت في التيه فدخلها بهم يوشع وقتل الجبارين الذين كانوا بها فدخلها موسى ببني اسرائيل فقام فيها ماشاء الله ان يقيم ثم قبضه الله تعالى ولم يعلم أحد قبره من الناس وهذا أولى الاقاويل بالصدق واقربها الى الحق لاجماع العلماء بأخبار الأنبياء ان عوج ابن عنق قتله موسى وقال آخرون ماقاتل الجبارين الايوشع بن نون ولم يسر اليهم الابعد موت موسى وهلاك من كان ابى المسير اليها وقالوا مات موسى وهرون عليهما السلام في التيه

﴿قصة وفاة هرون عليه السلام﴾

قال السدى أوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام أني متوف هرون فأت به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهرون نحو ذلك الجبل واذا هما بشجرة لم ير مثلها وبيت مبنى وفيه سرير عليه فرش واذا فيه ريح طيبة فلما نظر هرون الى ذلك أعجبه وقال ياموسى انى أحب ان أنام على هذا السرير فقال نم عليه فقال انى أخاف أن يأتي رب هذا البيت فيغضب على قال له موسى لاتخف أنا أكفيك رب هذا البيت فنم فقال ياموسى نم معي فان جاء رب هذا البيت غضب علينا جميعا فنام موسى وأخذ هرون الموت فلما وجد حسه قال ياموسى خدعتني فلما قبض رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير الى السماء فلما رجع موسى الى بنى اسرائيل وليس معه هرون قالوا قتل موسى هرون وحسده لحبنا اياه فقال موسى ويحكم ان هرون أخي ووزيري فكيف أقتله فلما أكثروا عليه قام وصلى ركعتين ثم دعا الله تعالى فنزل السرير حتى نظروا اليه بين السماء والارض فصدقوه وقال عمرو بن ميمون مات موسى وهرون في التيه ومات هرون قبل موسى وكانا خرجا في التيه الى بعض الكهوف فمات هرون ودفنه وانصرف الى بني اسرائيل فقالوا أين هرون قال مات قالوا كذبت ولكنك قتلته لحبنا اياه وكان محببا في بنى اسرائيل فتضرع موسى الى ربه وشكى الى ربه مالقى من بنى اسرائيل فأوحى الله اليه ان انطلق بهم الى قبره فانى باعثه حتى يخبرهم أنه مات موتا ولم تقتله فانطلق بهم الى قبر هرون فناداه ياهرون فخرج من قبره ينفض التراب عن رأسه فقال له أنا قتلتك قال لاوالله ولكني مت فعادوا وانصرفوا والله أعلم

﴿ذكر وفاة موسى عليه السلام﴾

قال ابن اسحق كان موسى قد كره الموت واستعظمه فلما كرهه أراد الله أن يحبب اليه الموت ويكره اليه الحياة وكان يوشع بن نون يغدو اليه ويروح فيقول له موسى يانبي الله ما احدث الله اليك فيقول له يوشع يانبي الله ألم أصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت أسألك عن شئ مما أحدث الله اليك حتى تكون أنت الذى تبتدئ به وتذكره ولا يذكر له شيأ فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب الموت قال الاستاذ باسناده حدثني

عبد الصمد بن معقل قال سمعت وهبا يقول وذكر من كرامة موسى عليه السلام أنه
ضاق ببني اسرائيل ذرعا لما كثروا عليه فبعث الله اليه ألف نبي يكونون أعوانا له فلما
مال الناس اليهم وجد موسى في نفسه غيرة فأماتهم الله لكرامته في يوم واحد
واختلفوا في صفة موت موسى عليه السلام حدثنا أبو سعيد محمد بن عبد الله بن
حمدون بأسناده عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاء ملك الموت
الى موسى فقال له أجب ربك فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها قال فرجع ملك
الموت الى الله عز وجل فقال يارب انك أرسلتني الى عبد لا يريد الموت وفقأ عيني فرد
الله عليه عينه وقال ارجع الى عبدي وقل له الحياة تريد فان كنت تريد الحياة فضع
يدك على متن ثور فما وارت يدك من شعره فانك تعيش بعدد كل شعرة من ذلك سنة
قال ثم ماذا قال ثم تموت قال فالآن من قريب قال يارب فأدنني من الارض المقدسة
رمية حجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت عنده لاريتكم قبره الى جانب
الطور عند الكثيب الاحمر قال سمعت أبا سعيد بن حمدون يقول سمعت أبا حامد
الشرقي يقول سمعت محمد بن يحيى يقول قد صح هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعني قصة ملك الموت وموسى عليه السلام لا يردها الا كل مبتدع ضال وفي حديث
آخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ملك الموت كان يأتي الناس عيانا حتى
أتى موسى ليقبضه فلطمه ففقأ عينه فجاء ملك الموت بعد ذلك خفية قال السدي في
خبر ذكره عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني وعن ابن
مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا بينما موسى عليه السلام
يمشي وفتاه يوشع بن نون اذ أقبلت ريح سوداء فلما نظر اليها يوشع ظن أنها الساعة
فقال ياقوم أظن أنها الساعة واني ملتزم بموسى نبي الله فانسل من تحت القميص
وترك القميص في يدي يوشع فلما جاء يوشع بالقميص أخذته بنو اسرائيل وقالوا قتلت
نبي الله فقال والله ما قتلته ولكنه انسل مني فلم يصدقوه وأرادوا قتله فقال لهم اذا لم
تصدقوني فأخروني ثلاثة أيام فدعا الله تعالى فأتى كل رجل ممن كان يحرسه آت في المنام
وأخبره أن يوشع لم يقتل موسى وانما قد رفعناه اليناً فتركوه قال وهب بن منبه خرج
موسى ليقضي حاجة فمر برهط من الملائكة فعرفهم فأقبل اليهم حتى وقف عليهم فاذا
هم يحفرون قبرا لم ير شيأ قط أحسن منه ولم ير مثله قط في الخضرة والنضرة والبهجة
فقال لهم ياملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا انحفره لعبد صالح كريم على ربه
فقال موسى ان هذا العبد لمن الله بمنزلة عظيمة ما رأيت كاليوم أحسن منه مضجعا
فقالت الملائكة ياصفي الله أتحب أن يكون لك قال وددت ذلك قالوا فانزل واضطجع
فيه وتوجه الى ربك ثم تنفس اسهل نفس تتنفسه فنزل فاضطجع فيه ثم توجه الى ربه

قوله قال ثم ماذا الخ لعل فيه سقطا لعلم من مراجعة الحديث في محله اه

ثم تنفس فقبض الله روحه ثم سوت الملائكة عليه التراب وقيل انه أتاه ملك الموت بتفاحة من الجنة فشمها فقبض الله روحه وروى ان يوشع بن نون رآه بعد موته فى المنام فقال له كيف وجدت الموت يانبى الله قال كشاة تسلخ وهى فى الحياة وروى ان موسى لما مات قالت الملائكة بعضهم لبعض مات صفى الله موسى بن عمران فمن الذى يطمع فى البقاء وكان عمر موسى مائة وعشرين سنة عشرون منها فى ملك افريدون ومائة سنة فى ملك منوجهر (قال الاستاذ رجعنا الى قصة حرب أريحاء وخبرالفتح) قال فلما انقضت أربعون سنة ومات موسى بعث الله يوشع بن نون نبيا فأخبرهم أنه نبى الله وأن الله قد أمره بقتال الجبارين فصدقوه وبايعوه فتوجه ببنى اسرائيل الى أريحاء ومعه تابوت الميثاق فأحاط بمدينة أريحاء ستة أشهر فلما كان فى الشهر السابع نفخوا فى القرون وصاحوا صيحة واحدة فسقط سور المدينة فدخلوها وقاتلوا الجبارين وهزموهم وهجموا عليهم وجعلوا يقتلونهم فكانت العصابة من بنى اسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضربونها لا يقطعونها وكان القتال يوم الجمعة فبقى منهم بقية وكادت الشمس أن تغرب وتدخل ليلة السبت فخشى يوشع أن يعجزوه فقال اللهم اردد الشمس على وأنه قال للشمس انك فى طاعة الله وأنا فى طاعة الله فسأل الشمس أن تقف والقمر أن يقيم حتى ينتقم من أعداء الله قبل غروب الشمس فردت له الشمس وزيد له فى النهار ساعة واحدة حتى قتلهم أجمعين أخبرنا أحمد بن عبد الله بن حامد الاصفهانى باسناده عن عروة بن عبد الله قال دخلت على فاطمة بنت على رضوان الله عليهما فرأيت فى عنقها خرزا ورأيت فى يدها مسكتين غليظتين وهى عجوز كبيرة فقلت لها ماهذا فقالت انه يكره للمرأة ان تتشبه بالرجل ثم حدثتنى أن أسماء بنت عميس الخثعمية حدثتها ان على بن أبى طالب رضى الله عنه كان مع نبى الله وقد أوحى الله اليه فجلله بثوبه ولم يزل كذلك حتى ادبرت الشمس تقول غابت أو ارادت أن تغيب ثم ان نبى الله سرى عنه فقال أصليت ياعلى قال لا فقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم اردد عليه الشمس فرجعت حتى بلغت نصف المسجد قال ثم أرسل ملوك الارامنة وكانوا خمسة فأرسل بعضهم الى بعض فجمعوا كلمتهم على يوشع وقومه فهزمت بنو اسرائيل الملوك حتى أهبطوهم الى ثنية حوران ورماهم الله بأحجار البرد فكان من قتله البرد أكثر ممن قتله بنو اسرائيل بالسيف وهرب الملوك الخمسة واختفوا فى غار فأمر بهم يوشع فأخرجهم وصلبهم ثم أنزلهم فطرحهم فى ذلك الغار وتتبع ملوك الشام فاستباح منهم أحدا وثلاثين ملكا حتى غلب على جميع أرض الشام وصار الشام كله لبنى اسرائيل وفرق عماله فى نواحيها ثم جمع الغنائم فلم تنزل النار فأوحى الله تعالى الى يوشع ان فيها غلولا فأمرهم أن يبايعوك فبايعوه فالتصقت

يد رجل بيده فقال له هلم ما عندك فأتاه برأس ثور من ذهب مكلل بالدر والياقوت والجوهر كان قد غله فجعله في القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فأكلت الرجل والقربان عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا نبي من الانبياء فقال للقوم لا يتبعني رجل كان قد ملك بضع امرأة هو يريد أن يبني بها ولا آخر قد بنى له بيتا ولم يرفع سقفه ولا آخر قد اشترى غنما أو خلفات وهو ينتظر أولادها قال فدنا من القوم صلاة العصر أو قريبا من ذلك فقال للشمس أنت مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها على ساعة فحبست له ساعة حتى فتح الله عليه قال ثم وضعت الغنيمة فجاءت النار فلم تأكلها فقال ان فيكم غلولا فلميبايعني من كل قبيلة منكم رجل فبايعوه فالتصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول أنتم غللتم قال فاخرجوا مثل رأس البقرة من ذهب فألقوه في الغنيمة وهي بالصعيد فجاءت النار فأكلتها قال النبي صلى الله عليه وسلم لم تحل الغنائم لاحد قبلنا وذلك أن الله تعالى رأى عجزنا وضعفنا فوهبها لنا قالوا ثم أمرهم الله أن يدخلوا أريحاء متواضعين مستغفرين خافضين رؤسهم وذلك قوله تعالى واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وكان لهم سبعة أبواب سجدا أي منحنين متواضعين وقولوا حطة أي حط عنا خطايانا قال وهب انهم أذنبوا ذنبا فأثموا وكان توبتهم اذ أذنبوا دخول أريحاء فلما فصلوا من التيه أحب الله أن يستنقذهم من الخطيئة قال ابن عباس حطة قول لا اله الا الله سميت بذلك لأنها تحط الذنوب نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين احسانا فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم وذلك أنهم دخلوا متزحفين على استاههم وقالوا هطا سمقاثا يعني حنطة حمراء استخفافا بأمر الله تعالى فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء أي عذابا من السماء بما كانوا يفسقون وذلك ان الله تعالى أرسل عليهم طاعونا وظلمة فهلك منهم سبعون ألفا في ساعة واحدة ثم رفعه الله عنهم ورحمهم قالوا فلما استقرت بنو اسرائيل بالشام وصفت لهم توفى الله نبيه يوشع ودفن في جبل افرائيم وكان عمره مائة وعشرين سنة وتدبيره أمر بني اسرائيل بعد موت موسى سبعا وعشرين سنة

﴿مجلس في ذكر الانبياء والملوك الذين قاموا بأمور بني اسرائيل بعد يوشع﴾
﴿وقصة كالب عليه السلام﴾

قالت العلماء بأخبار الماضين وأمور الامم السالفين لما حضرت الوفاة يوشع بن نون استخلف على بني اسرائيل كالب بن يوفنا ختن موسى عليه السلام وهو أحد الرجلين اللذين أنعم الله عليهما قال الله تعالى قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما فأحسن الخلافة حتى قبضه الله عز وجل واستخلف على بني اسرائيل ابنه يوساقوس

وكان فيما ذكر يشبه يوسف عليه السلام في الحسن والجمال والبهاء وكانوا يفتتنون به وكانوا من شغفهم به يأتونه وينظرون اليه ويقولون له يا أيها العبد الصالح جئنا نسلم عليك وهو يستحي أن يردهم فلما أكثروا خاف الفتنة فسأل الله أن يغير صورته مع سلامة حواسه وجوارحه فأصابه الجدري فصار مجدورا ملوحا فلبث فيهم مائة وأربعين سنة ثم قبضه الله اليه والله أعلم

ذكر خبر حزقيل عليه السلام

قالت العلماء بأخبار الانبياء عليهم السلام لما قبض الله كالب وانه بعث الله تعالى حزقيل الى بني اسرائيل نبيا وهو حزقيل بن بوري ويلقب بابن العجوز وانما لقب بابن العجوز لان أمه سألت الله تعالى الولد وهي عجوز وقد كبرت وعقمت عن الولد فوهبه الله تعالى لها وهو الذي أحيا الله تعالى به القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فأحياهم الله تعالى بعد موتهم بدعوته في قوله تعالى ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت الآية قال اكثر المفسرين كانت قرية يقال لها داوردان قرية قبل واسط وقع بها الطاعون فخرج منها طائفة هاربين من الطاعون وبقيت طائفة فهلك أكثر من بقي في القرية وسلم الذين خرجوا فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين فقال الذين بقوا ان أصحابنا كانوا احزم منا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا ولئن وقع بها الطاعون ثانية لنخرجن الى الارض التي لا وباء فيها فوقع الطاعون من قابل فهرب عامة أهلها وخرجوا حتى نزلوا واديا أفيح فلما نزلوا المكان الذي يبتغون فيه النجاة والحياة اذاهم بملك من أسفل الوادي وآخر من أعلاه يناديهم كل واحد منهما أن موتوا فماتوا جميعا عن محمد بن زكريا قال سمعت الاصمعي يقول لما وقع الطاعون بالبصرة خرج رجل من أهلها عنها على حمار له ومعه ولده وخلفه عبد حبشي يسوق الحمار فطفق العبد يرتجز ويقول

لن يسبق الله على حمار * ولا على ذي منعة خطار * قد أصبح الله امام الساري

فرجع الرجل لما سمع من قوله بعياله وروى عبد الرحمن بن عوف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا سمعتم بالوباء في بلدة فلا تقدموا عليه واذ وقع وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه وقال الضحاك ومقاتل والكلبي انما فر هؤلاء من الجهاد وذلك ان ملكا من ملوك بني اسرائيل أمرهم أن يخرجوا الى قتال عدوهم فخرجوا فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت واعتلوا وقالوا للملك ان الارض التي نأتيها الوباء فلا نأتيها حتى ينقطع الوباء عنها فأرسل الله عليهم الموت فلما رأوا ان الموت قد كثر فيهم خرجوا من ديارهم فرارا من الموت فلما رأى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب واله موسى قد ترى معصية عبادك فارهم آية في أنفسهم حتى يعلموا أنهم لا يستطيعون الفرار من

حكمك وقضائك فلما خرجوا قال الله لهم موتوا فماتوا جميعا وماتت دوابهم كموتهم موتة رجل واحد فما أتى عليهم ثلاثة أيام حتى انتفخوا وأروحوا وأروحت أجسادهم فخرج اليهم الناس فعجزوا عن دفنهم فحظروا عليهم حظيرة دون السباع وتركوهم فيها واختلفوا فى مبلغ عددهم فقال عطاء الخراسانى كانوا ثلاثة آلاف وقال ابن عباس ووهب كانوا أربعة آلاف وقال مقاتل والكلبى ثمانية آلاف وقال أبو روق عشرة آلاف وقال أبو مالك ثلاثين ألفا وقال السدى بضعا وثلاثين ألفا وقال ابن جريج أربعين ألفا وقال عطاء بن أبى رباح سبعين ألفا قال فأتى على ذلك مدة وقد بليت أجسادهم وعريت عظامهم وتقطعت أوصالهم فمر عليهم حزقيل النبى عليه الصلاة والسلام فوقف متفكرا متعجبا فأوحى الله تعالى اليه يا حزقيل تريد ان أريك كيف أحيى الموتى قال نعم يارب فأحياهم الله جميعا هذا قول السدى وجماعة من المفسرين وقال مقاتل والكلبى بل كانوا قوم حزقيل فلما أصابهم ذلك بكى حزقيل وقال يارب كنت فى قوم يعبدونك ويذكرونك فبقيت وحيدا لا قوم لى فلو شئت أحييت هؤلاء فيعمرون بلادك ويعبدونك قال الله تعالى أو تحب أن أفعل ذلك قال نعم يارب قال الله تعالى قد جعلت حياتهم اليك فقال لهم حزقيل احيوا باذن الله تعالى فعاشوا وقال وهب أصابهم بلاء وشدة من الزمان فشكوا ما أصابهم وقالوا ياليتنا قد متنا واسترحنا مما نحن فيه فأوحى الله الى حزقيل ان قومك قد صحوا من البلاء وزعموا أنهم ودوا لو ماتوا استراحوا وأى راحة لهم فى الموت أيظنون انى لا أقدر أبعثهم بعد الموت فانطلق الى جبانة كذا فان فيها أقواما ماتوا فأتاهم فأوحى الله تعالى اليه يا حزقيل قم فنادهم وكانت أجسامهم وعظامهم قد تفرقت ومزقتها الطير والسباع فنادى حزقيل أيتها العظام ان الله يأمرك أن تعودى وتكتسى اللحم فاكتست جميعا اللحم وبعد اللحم جلودا ودما وعصبا وعروقا فكانت أجسادا فنادى أيتها الارواح ان الله تعالى يأمرك أن تعودى الى أجسادك فقاموا جميعا وعليهم ثيابهم التى ماتوا فيها وكبروا تكبيرة واحدة * وروى منصور بن المعتمر عن مجاهد انهم قالوا حين أحيوا سبحانك اللهم ربنا وبحمدك لا اله الا أنت فرجعوا الى قومهم وتناسلوا بعد ما أحياهم الله وعاشوا دهرا يعرفون انهم كانوا موتى بسحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا الا عاد رميما مثل الكفن حتى ماتوا لآجالهم التى كتب الله لهم * قال ابن عباس فانه ليوجد فى ذلك السبط من اليهود تلك الريح قال قتادة مقتهم الله على فرارهم من الموت وتقصيرهم فى الجهاد فأماتهم الله عقوبة لهم ثم بعثهم لبقية آجالهم ليوفوها ولو كانت آجال القوم قد جاءت ما بعثوا بعد موتهم فلما أحياهم الله تعالى أمرهم بالجهاد قال وقاتلوا فى سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم

﴿ باب

﴿ باب في قصة الياس عليه السلام ﴾

قال الله تعالى وان الياس لمن المرسلين الى آخر القصة قال ابن اسحق والعلماء من أصحاب الاخبار لما قبض الله تعالى حزقيل عليه السلام عظمت الاحداث في بني اسرائيل وظهر فيهم الفساد ونسوا عهد الله الذي عهد اليهم في التوراة حتى نصبوا الاوثان وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله تعالى اليهم الياس نبيا وهو الياس بن ياسين بن فنحاص بن عيزار بن هرون بن عمران وانما كانت الانبياء بعد موسى يبعثون اليهم بتجديد مانسوا وضيعوا من أحكام التوراة وبنو اسرائيل يومئذ متفرقون في أرض الشام وفيهم ملوك كثيرة وكان سبب ذلك ان يوشع بن نون لما فتح أرض الشام وملكها بوأها بني اسرائيل وقسمها بينهم فاخذ سبط منهم بعلبك ونواحيها وهم سبط الياس فبعث الله تعالى اليهم نبيا وعليهم يومئذ ملك يقال له لاجب قد ضل وأضل قومه وجبرهم على عبادة الاصنام وكان هو وقومه يعبدون صنما يقال له بعل وكان طوله عشرين ذراعا وكان له أربعة وجوه وقال ابن اسحق قد سمعت بعض أهل العلم يقولون ما كان البعل الا امرأة كانوا يعبدونها من دون الله تعالى فذلك قوله تعالى اذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين قال فجعل الياس يدعوهم الى الله تعالى ولا يطيعونه ولا يجيبونه الى ذلك الا ما كان من أمر لاجب الملك الذي كان ببعلبك فانه آمن به وصدقه وكان الياس يقوم أمره ويسدده ويرشده وكان للاجب امرأة يقال لها أربيل وكان يستخلفها على رعيته اذا غاب عنهم في غزاة أو غيرها فكانت تبرز بين الناس كما يبرز زوجها وتركب كما يركب وتجلس كما يجلس في مجلس القضاء وتقضي بين الناس وكانت قتالة للانبياء وكان لها كاتب رجل مؤمن حكيم يكتم ايمانه وكان قد خلص من بين يديها ثلثمائة نبي كانت تريد قتل كل واحد منهم اذا بعث سوى الذين قتلتهم وكانت في نفسها غير محصنة ولم يكن على وجه الارض أفحش منها وهي مع ذلك قد تزوجت سبعة ملوك من ملوك بني اسرائيل وقتلتهم كلهم بالاغتيال وكانت معمرة ويقال انها ولدت سبعين ولدا قال وكان للاجب هذا جار من بني اسرائيل رجل صالح يقال له مزدكي وكانت له جنينة يعيش منها ويقبل على عمارتها ويزينها وكانت الجنينة الى جانب قصر الملك وامرأته وكانا يشرفان على تلك الجنينة يتنزهان فيها ويأكلان ويشربان ويقيلان فيها حينا وكان لاجب مع ذلك يحسن جوار صاحبها مزدكي وامرأته أربيل تحسده على ذلك لاجل تلك الجنينة وتحتال على غصبها لما سمعت الناس يذكرون الجنينة من حسنها ويقولون ما أحرى ان تكون هذه الجنينة لاهل هذا القصر ويتعجبون من أمر الملك وامرأته كيف لم يغصباها فلم تزل امرأة

الملك تحتال على العبد الصالح مزدكى فى أن تقتله وتأخذ جنينته والملك ينهاها عن
ذلك فلا تجد اليه سبيلا ثم انه اتفق خروج الملك الى سفر بعيد فلما طالت غيبته
اغتنمت امرأته اربيل أن تتم لها الحيلة على العبد الصالح مزدكى فى أن تقتله وتأخذ
جنينته وهو غافل عما تريده مقبل على عبادة ربه واصلاح معيشته فجمعت اربيل
جمعا من الناس وأمرتهم أن يشهدوا على مزدكى بالزور وأنه يسب لاجب الملك
فاجابوها الى ماسألتهم من الشهادة بالزور وكان حكمهم فى ذلك الزمان على من يسب
الملك القتل ان قامت البينة فاحضرت مزدكى وقالت له بلغنا عنك انك شتمت الملك
واغتبته فأنكر مزدكى ذلك فاقامت البينة فشهدوا بالزور عليه بحضرة الناس فأمرت
بقتله فقتل وأخذت جنينته غصبا فغضب الله عليهم بقتل العبد الصالح فلما قدم
الملك من السفر أخبرته الخبر فقال لها ما أصبت خيرا ولا وفقت ولا أرانا نفلح بعدها أبدا
وانا كنا عن جنينته لأغنياء وقد كنا نتنزه فيها وقد جاورنا وتحرم بنا منذ زمان طويل
فاحسنا جواره وكففنا عنه الاذى لوجوب حقه علينا فقبح بنا الجوار وما حملك
على اجترائك عليه الا سفهك وسوء رأيك وقلة تفكرك فى العواقب فقالت انما
غضبت لك وحكمت بحكمك فقال لها اما كان يسع حلمك وعظيم خطرك العفو عن رجل
واحد فتحفظين جواره فقالت قد كان ما كان فبعث الله تعالى الياس عليه السلام
الى لاجب وقومه وأمره أن يخبرهم أن الله تعالى قد غضب عليهم لوليه حين قتلوه بين
أظهرهم ظلما وقد آلى على نفسه انهما ان لم يتوبا من صنعهما ويردا الجنينة على ورثة
مزدكى والا يهلكهما يعنى لاجب وامرأته فى جوف الجنينة أشر مايكون ويسفك
دمهما ثم يدعهما جيفتين ملقاتين فيها حتى تتعرى عظامهما عن لحومهما ولا يتمتعان
بها الا قليلا قال فجاء الياس وأخبر الملك بما أوحى الله اليه فى أمره وأمر امرأته
والجنينة فلما سمع الملك ذلك اشتد غضبه ثم قال له يا الياس والله ما أرى ماتدعونا اليه
الا باطلا والله ما أرى فلانا وفلانا وسمى ملوكا منهم عبدوا الاوثان الا على مثل مانحن
عليه يأكلون ويشربون ويتمتعون ممكنين ما ينقص من دنياهم ولا من أمرهم الذى
تزعم انه باطل شئ ومانرى لكم علينا من فضل قال ثم هم بتعذيب الياس وقتله قال
فلما سمع الياس ذلك واحس بالشر رفضه وخرج عنه فلحق بشواهق الجبال وعاد
الملك الى عبادة بعل فارتقى الياس الى أصعب جبل واشمخه فدخل مغارا فيقال
انه بقى فيه سبع سنين شريدا وحيدا فريدا خائفا يأوى الى الشعاب والكهوف
ويأكل من نبات الارض وثمار الشجر وهم فى طلبه وقد وضعوا عليه العيون يتوقعون
أخباره ويجتهدون فى أخذه والله تعالى يستره ويحفظه ويدفع عنه البلاء فلما تمت
له سبع سنين أذن الله تعالى فى اظهاره عليهم وشفاء غيظه منهم فأمرض الله تعالى

ابن الملك لاجب وكان احب أولاده اليه وأعزهم عليه وأشبههم به فادنف حتى
يئس منه فدعا صنمه بعلا وكانوا قد افتتنوا ببعل فعظموه حتى انهم سموا مدينتهم به
فقالوا الحماء بعلبك وجعلوا الدار بعمائة سادن فوكلوهم به وجعلوهم أمناء وجعل
الشيطان يدخل فى جوف الصنم فيكلمهم بأنواع الكلام والاربعمائة يصغون
بآذانهم الى مايقول الشيطان ويوسوس لهم شريعة من الضلال فيكتبونها
للناس ويعملون بها ويسمونهم الانبياء فلما اشتد مرض ابن الملك طلب الملك أن
يشفعوا له الى بعل ويطلبون منه لابنه الشفاء والعافية فدعوه فلم يجبهم ومنع الله
تعالى بقدرته الشيطان عن صنمهم فلم يمكنه الولوج فى جوفه ولا الكلام وهم
مجتهدون فى التضرع اليه والمريض لايزداد بذلك الا ألما وجهدا فلما طال عليهم
ذلك قالوا للاجب أيها الملك ان فى ناحية الشام آلهة أخرى وهى فى العظم مثل
الهك فابعث اليها الانبياء يشفعون لك اليها فلعلها أن تشفع لك الى بعل فانه
غضبان عليك ولولا غضبه عليك كان قد أجابك وشفى مرض ابنك فقال
لاجب لاى شئ غضب على وأنا أطيعه واطلب رضاه ولم أسخطه ساعة قط قالوا من
أجل انك لم تقتل الياس وفرطت فيه حتى نجا سالما وهو كافر بالهك يعبد غيره
فذلك الذى أغضبه عليك قال لاجب وكيف لى ان أقتله فى يومى هذا وأنا
مشغول عن طلبه بوجع ابنى وليس لالياس مطلب ولا يعرف له موضع فيقصد
فلو قد شفى ابنى تفرغت لطلبه ولم يكن لى هم ولا شغل غيره حتى آخذه واقتله
واريح الهى منه وارضيه قال ثم انه بعث الاربعمائة نبى ليشفعوا الى الآلهة التى
بالشام ويسألوها أن تشفع الى صنم الملك ليشفى ابنه فانطلقوا الى الاصنام وكلموها فمنع
الله عز وجل الشيطان الولوج فى الاصنام ولم تكلمهم فرجعوا الى الملك وأخبروه
بذلك فقال الملك وكيف لى أن اقتل الياس فى هذا اليوم قال فخرج أربعمائة حتى اذا
كانوا بحيال الجبل الذى فيه الياس أوحى الله اليه أن يهبط من الجبل ويعارضهم
ويستوقفهم ويكلمهم وقال له لاتخف فانى سأصرف عنك شرهم وألقى الرعب فى
قلوبهم فنزل الياس من الجبل فلما لقيهم استوقفهم فلما وقفوا قال لهم ان الله أرسلنى
اليكم والى من وراءكم فاسمعوا أيها القوم رسالة ربكم لتبلغوها صاحبكم ارجعوا
اليه وقولوا له ان الله تعالى يقول لك ألست تعلم يالاجب اننى أنا الله لا اله الا أنا اله بنى
اسرائيل الذى خلقهم ورزقهم وأحياهم وأماتهم فلا يحملنك جهلك وقلة عقلك على
أن تشرك بى وتطلب الشفاء لابنك من غيرى ممن لايملكون لانفسهم شيأ الا ماشئت
وانى آليت باسمى لاغيظنك فى ابنك ولا أميتنه من فوره هذا حتى تعلم ان أحدا
لايملك له شيأ دونى فلما قال لهم ذلك رجعوا وقد ملئوا منه رعبا فلما صاروا الى الملك

ووصلوا اليه قالوا له ماقال لهم الياس وأخبروه بأن الياس انحط عليهم من الجبل وهو رجل نحيف طويل وقد قشف وقحل وتمعط شعره ويبس جلده وعليه جبة من شعر وعباءة قد خللها على صدره بخلال فاستوقفنا فلما وقفنا صار معنا فقذف له في قلوبنا الرعب والهيبة وتقطعت ألسنتنا ونحن في هذا العدد الكثير وهو واحد فلم نقدر أن نكلمه ونراجعه وغلا أعيننا منه حتى رجعنا اليك ثم انهم قصوا عليه كلام الياس فقال لاجب لا ننتفع بالحياة ما دام الياس حيا ما الذى منعكم أن تبطشوا به حين لقيتموه وتوثقوه وتأتونى به وأنتم تعلمون أنه طلبنى وعدوى قالوا له قد أخبرناك بالذى منعنا عنه ومن كلامه والبطش به فقال لاجب اذا ما نطيق الياس الا بالمكر والخديعة فقيض له خمسين رجلا من قومه من ذوى القوة والبأس وعهد اليهم عهده وأمرهم بالاحتيال عليه وأن يطمعوه بأنهم قد آمنوا به هم ومن وراءهم ليطمئن اليهم ويغتر بهم ويمكنهم من نفسه فيأتون به ملكهم فانطلقوا حتى ارتقوا ذلك الجبل الذى فيه الياس عليه السلام ثم انهم تفرقوا فيه وهم ينادون بأعلى أصواتهم ويقولون يانبى الله ابرز لنا وأشرف علينا بنفسك فانا قد آمنا بك وصدقناك وملكنا لاجب وكذلك جميع قومنا مقرون بذلك ويقرؤن عليك السلام ويقولون قد بلغتنا رسالتك وعرفنا ما قلت وآمنا بك وأجبناك الى ما دعوتنا اليه فهلم الينا فأنت نبينا ورسول ربنا فأقم بين أظهرنا واحكم بيننا فاننا ننقاد الى ما أمرتنا وننتهى عما نهيتنا وليس يسعك أن تتخلف عنا بعد ايماننا بك وطاعتنا لك فتداركنا وارجع الينا وكل هذا كان مكرا منهم وخديعة فلما سمع الياس مقالتهم وقع فى قلبه ايمانهم وخاف الله وأشفق من سخطه ان هو لم يظهر لهم ولم يجبهم بعد الذى سمع منهم فلما صمم على البروز اليهم رجع الى نفسه وقال لو انى دعوت الله تعالى فسألته أن يعلمنى ما فى نفوسهم ويطلعنى على حقيقة أمرهم وكان ذلك الهاما من الله تعالى وتوفيقا له فقال اللهم ان كانوا صادقين فيما يقولون فاذن لى فى البروز اليهم وان كانوا كاذبين فاكفنيهم وارمهم بنار تحرقهم جميعا فما استتم قوله حتى حصبوا بالنار من فوقهم فاحرقوا أجمعين قال وبلغ لاجب وقومه الخبر فلم يرتدع عن ضمير السوء واحتال ثانيا فى أمر الياس فقيض له فئة أخرى مثل عدد أولئك وأقوى منهم وأمكن فى الحيلة والرأى فاقبلوا حتى وافوا ذلك الجبل وارتقوه متفرقين وجعلوا ينادون يانبى الله انا نعوذ بالله وبك من غضب الله وسطوته انا لسنا كالذين أتوك قبلنا أولئك فرقة نافقوا وخالفوا فصاروا اليك ليمكروا بك من غير رأينا ولا علمنا ولو علمنا بهم لقتلناهم والآن قد كفاك الله أمرهم وأهلكهم بسوء نياتهم وانتقم لنا ولك منهم فلما سمع الياس مقالتهم دعا الله بدعوته الاولى فأمطر عليهم نارا

فاحرقوا جميعا عن آخرهم كل ذلك وابن الملك في البلاء الشديد من وجعه كما وعده الله
تعالى على لسان نبيه الياس لا يقضى عليه فيموت ولا يخفف عنه من عذابه فلما سمع
الملك بهلاك أصحابه ثانيا ازداد غيظا الى غيظه وأراد أن يخرج في طلب الياس بنفسه
الا انه شغله عن ذلك مرض ابنه فوجه نحو الياس الكاتب المؤمن الذى هو كاتب امرأته
رجاء أن يأنس اليه فينزل معه وأظهر للكاتب أنه لا يريد بالياس سوأ ولا مكروها وانما
أظهر له ذلك لما اطلع عليه من ايمانه وكان الملك مع اطلاعه على ايمانه مغضيا عنه
لما هو عليه من الكفاية والامانة والحكمة وسداد الرأى والبصارة بالامور فلما
وجهه نحوه ارسل معه فئة من أصحابه وعهد اليهم دون الكاتب أن يوثقوا الياس
ويأتوه به ان أراد التخلف عنهم وان جاء معهم آنسا بالكاتب وانتقاءا كانتهم لم
يوحشوه ولم يروعوه ثم انه أظهر للكاتب الانابة فقال له انه قد آن لى ان أتوب واتعظ
فقد أصابتنا بلايا من حريق أصحابنا والبلاء الذى فيه ابنى وقد عرفت ان ذلك بدعوة
الياس ولست آمن أن يدعو على وعلى جميع قومى فنهلك بدعوته فكن رسولنا اليه
وأخبره أنا قد تبنا وانبنا وانه لا يصلحنا فى توبتنا وما نريد من رضا ربنا وخلع أصنامنا
الا أن يكون الياس بين أظهرنا يأمرنا وينهانا ويخبرنا بما رضى ربنا قال ثم انه أمر قومه
أن يعتزلوا الاصنام وقال له أخبر الياس بانا قد خلعنا آلهتنا التى كنا نعبد وقد أهملنا
أمرها حتى ينزل الينا فيكون هو الذى يحرقها ويهلكها وكان ذلك كله مكرا من الملك
قال فانطلق الكاتب والفئة معه حتى علوا الجبل الذى فيه الياس فناداه الكاتب
فعرف الياس صوته فتاقت نفسه اليه وأنس به وكان مشتاقا الى لقائه فأوحى الله
تعالى الى الياس عليه السلام أن ابرز الى أخيك الصالح فالقه وجدد منه العهد فبرز
اليه وصافحه وسلم عليه وقال له ما الخبر فقال له المؤمن انه قد بعثنى اليك هذا الجبار
الطاغى وقومه وقص عليه ما قال له وقال له وانى لخائف ان رجعت اليه ولست معى
أن يقتلنى فامرنى بما شئت ان أفعله وانتهى اليه ان شئت انقطعت اليك وكنت معك
وتركته وان شئت جاهدته معك وان شئت أرسلتنى اليه بما تحب فابلغه رسالتك
وان شئت دعوت ربك يجعل لنا من أمرنا فرجا ومخرجا قال فاوحى الله تعالى الى الياس
ان كل ما جاءك منهم مكر وكذب ليظفروا بك وان لاجب ان أخبرته رسله انك قد
لقيت هذا الرجل ولم يأت بك اليه فانه يتهمه ويعرف انه قد داهن فى أمرك ولم يأمن
أن يقتله فانطلق معه فان انطلاقك معه عذره وبراءته عند لاجب وانى ساشغله
عنكما وأضاعف على ابنه البلاء حتى لا يكون له هم غيره ثم أميته على شر حال فاذا
مات هو فارجع أنت ولا تقم عنده قال فانطلق الياس معهم حتى قدموا على لاجب
فلما دخلوا عليه شدد الله على ابنه الوجع وأخذ الموت يكظمه فشغل الله بذلك

لاجب وأصحابه عن الياس ورجع الياس سالما الى مكانه فلما مات ابن لاجب
وفرغوا من أمره وقر جزعه انتبه لالياس وسأل عنه الكاتب المؤمن الذى جاء به
فقال له ليس لى به علم وذلك انه قد شغلنى عنه موت ابنك والجزع عليه ولم أكن
احسبك الا قد استوثقت منه فاطرق عنه لاجب وتركه لما كان به من الحزن على
ابنه فلما طال الامر على الياس مل المكث فى الجبل والمقام به واشتاق الى العمران
والناس فنزل من الجبل وانطلق حتى نزل بامرأة من بنى اسرائيل وهى أم يونس بن
متى ذى النون فاستخفى عندها ستة أشهر ويونس ابنها يومئذ مولود رضيع وكانت أم
يونس تخدمه بنفسها وتواسيه بذات يدها ولا تدخر عنه كرامة تقدر عليها ثم ان
الياس عليه السلام سئم ضيق البيوت بعد قعوده فى الجبال ووحدها فاحب اللحوق
بالجبال فعاد الى مكانه فى الجبال فجزعت أم يونس لفراقه وأوحشها فقده ثم لم يلبث
الا قليلا حتى مات ابنها يونس حين فطمته فعظمت مصيبتها به فخرجت فى طلب
الياس فلم تزل ترقى الجبال وتطوف فيها حتى عثرت عليه ووجدته فسلمت عليه
وقالت له انى فجعت بعدك بموت ابنى وعظمت به مصيبتى واشتد لفقده بلائى وليس
لى ولد غيره فارحمنى وادع ربك تعالى أن يحيى لى ابنى ويجبر مصيبتى فانى قد تركته
مسجى لم أدفنه وقد أخفيت مكانه فقال لها الياس عليه السلام ليس هذا مما أمرت
به وانما أنا عبد مأمور أعمل بما أمرنى ربى به ولم يأمرنى بهذا فجزعت المرأة وتضرعت
فعطف الله قلب الياس عليها فقال لها ومتى مات ابنك فقالت منذ سبعة أيام
فانطلق الياس عليه السلام معها وسار سبعة أيام حتى أتى الى منزلها فوجد ابنها
يونس ميتا منذ أربعة عشر يوما فتوضأ الياس وصلى ودعا فاحيا الله يونس بن متى
فلما عاش وجلس وثب الياس وانصرف وتركه وعاد الى موضعه قال فلما طال
عصيان قومه ضاق الياس بذلك ذرعا واجهده البلاء فاوحى الله اليه بعد سبع سنين
وهو خائف مذعور مجهود يا الياس ما هذا الحزن والجزع الذى أنت فيه ألست أمينى
على وحيى وحجتى فى أرضى وصفوتى من خلقى فاسألنى أعطك فانى ذو الرحمة الواسعة
والفضل العظيم قال الياس عليه السلام تميتنى وتلحقنى بآبائى فانى قد مللت بنى
اسرائيل وملونى وابغضتهم فيك وأبغضونى فاوحى الله اليه يا الياس ما هذا اليوم
الذى أعرى منك الارض وأهلها وانما قوامها وصلاحها بك وأشباهك ولكن سلنى
اعطك قال الياس فان لم تمتنى يا الهى فاعطنى ثارى من بنى اسرائيل فاوحى الله تعالى
اليه فاى شئ تريد أن أعطيك يا الياس قال تمكننى من خزائن السماء سبع سنين
فلا تنشئ عليهم سحابة الا بدعوتى ولا تمطر عليهم سبع سنين قطرة الا بشفاعتى
فانهم لا يذلهم الا ذلك قال الله تعالى يا الياس أنا أرحم بعبادى من ذلك وان كانوا

ظالمين قال فست سنين قال أنا أرحم بخلقي من ذلك وان كانوا ظالمين قال فخمس سنين قال أنا أرحم بخلقي من ذلك وان كانوا ظالمين قال فاربع سنين قال أنا أرحم بخلقي من ذلك وان كانوا ظالمين ولكنني أعطيك ثارك منهم ثلاث سنين أجعل خزائن المطر بيدك ولا أنشئ عليهم سحابة الا بدعوتك ولا أنزل عليهم قطرة الا بشفاعتك قال الياس فبأي شئ أعيش قال أسخر لك جيشا من الطير تنقل اليك طعامك وشرابك من الريف والارض التي لم تقحط قال الياس قد رضيت فامسك الله المطر عنهم ثلاث سنين حتى هلكت المواشي والدواب والهوام والشجر وجهد الناس جهدا شديدا والياس على حاله مختف من قومه بموضع ينساق له فيه الرزق ويأتيه حيثما كان وقد عرفه بذلك قومه فكانوا اذا وجدوا ريح الخبز في بيت قالوا لقد دخل الياس هذا المكان فيطلبونه ويلقى منهم اهل ذلك المكان شرا قال ابن عباس اصاب بني اسرائيل القحط ثلاث سنين متواليات فمر الياس بعجوز فقال لها اهل عندك طعام فقالت نعم شئ من دقيق وزيت قليل فجاءته بشئ من الدقيق والزيت فدعا فيهما بالبركة ومسهما فبارك الله في ذلك حتى ملأت جرابها دقيقا وملأت خوابيها زيتا فلما رأى بنو اسرائيل ذلك عندها قالوا لها من اين لك هذا قالت مر بي رجل من حاله كذا وكذا ووصفته بصفته فعرفوه وقالوا لها ذلك الياس ثم انهم طلبوه فوجدوه وهرب منهم الى الجبال والله اعلم

﴿قصة اليسع عليه السلام﴾

ثم ان الياس أتى الى بيت امرأة من بني اسرائيل لها ابن يسمى اليسع بن أخطوب وكان به ضر فآوته وأخفت أمره فدعا له فعوفي من الضر الذي كان به واتبع اليسع الياس وآمن به وصدقه ولزمه فكان يذهب معه حيثما ذهب وكان الياس قد أسن وكبر وكان اليسع غلاما شابا ثم ان الله تعالى أوحى الى الياس عليه السلام انك قد أهلكت كثيرا من الخلق ممن لم يعصوني سوى بني اسرائيل من البهائم والدواب والهوام والشجر والنبات بحبس المطر عن بني اسرائيل فيزعمون والله أعلم أن الياس قال رب دعني أكون الذي أدعو لهم وآتيهم بالفرج مما هم فيه من البلاء الذي أصابهم لعلهم يرجعون عما هم عليه من عبادة غيرك فقيل له نعم فجاء الياس الى بني اسرائيل وقال لهم ويلكم انكم قد هلكتم جوعا وجهدا وقد هلكت البهائم والدواب والطير والشجر والنبات بحبس المطر عنكم بخطاياكم وانكم على باطل وغرور فان كنتم تحبون أن تعلموا ان أصنامكم التي تدعونها من دون الله لن تغني عنكم شيأ فاخرجوا باصنامكم هذه فان استجابت لكم فذلك كما تقولون وان هي لم تفعل علمتم انكم على باطل وغرور فنزعتم عنها ودعوت الله تعالى لكم أن يفرج عنكم ما أنتم فيه من البلاء قالوا انصفت فخرجوا ومعهم أوثانهم فدعوها فلم تستجب لهم ولم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء فقالوا

يا الياس انا قد هلكنا فادع الله لنا فدعا الله الياس ومعه اليسع عليهما السلام بالفرج مما هم فيه وان يسقوا فخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون اليها فأقبلت نحوهم وطبقت عليهم الافق ثم أرسل الله عليهم المطر فأغاثهم وأحييت بلادهم قال فشكوا الى الياس هدم الجدران وعدم البذر وقالوا ليست لنا حبوب فأوحى الله تعالى اليه أن يأمرهم بان يبذروا الملح فى الارض ففعلوا فأنبت الله لهم منه الحمص وأمرهم أن يبذروا الرمل فأنبت الله لهم منه الدخن فلما كشف الله عنهم الضر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم ولم يقلعوا عن ضلالتهم وأقاموا على أخبث ما كانوا عليه فلما رأى الياس ذلك دعا ربه أن يريحه منهم فقيل له انتظر يوم كذا وكذا فاخرج الى موضع كذا وكذا فاذا جاءك شئ فاركبه ولا تهبه فخرج الياس ومعه اليسع بن أخطوب حتى اذا كانا بالموضع الذى أمر بالخروج اليه أقبل فرس من نار حتى وقف بين يديه فوثب عليه الياس فانطلق به الفرس فناداه اليسع يا الياس ما تأمرنى به فقذف اليه كساءه من الجو الاعلى فكان ذلك علامة على استخلافه اياه على بنى اسرائيل وذهب الياس فكان ذلك آخر العهد به ورفع الله الياس من بين أظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش وكان انسيا ملكيا سماويا أرضيا وسلط الله تعالى على لاجب الملك وامرأته وقومه عدوا لهم فقصدهم من حيث لا يشعرون به حتى رهقهم فقتل لاجب الملك وامرأته فى بستان مزدكى فلم تزل جيفتاهما ملقاتين فى تلك الجنينة حتى بليت لحومهما ورمت عظامهما ونبأ الله تعالى بفضله اليسع عليه السلام وبعثه نبيا ورسولا الى بنى اسرائيل وأوحى الله تعالى اليه وأيده بمثل ما أيد به عبده الياس فآمنت به بنو اسرائيل وكانوا يعظمونه وينتهون الى رأيه وأمره وحكم الله تعالى فيهم قائم الى أن فارقهم اليسع * أخبرنا أبو عبد الله الحسن بن محمد الحافظ عن عبد العزيز بن أبى داود قال ان الخضر والياس عليهما السلام يصومان شهر رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم فى كل عام (وأخبرنى) ابن فتحويه عن رجل من أهل عسقلان أنه كان يمشى بالاردن عند نصف النهار فرأى رجلا فقال يا عبد الله من أنت فقال أنا الياس فوقعت على رعدة شديدة فقلت له ادع الله لى أن يرفع عنى ما أجد حتى أفهم حديثك وأعقل عنك قال فدعا لى بثمان دعوات وهن يا بر يا رحيم يا حنان يا منان يا حى يا قيوم ودعوتين بالسريانية لم أفهمهما وقيل هما باهيا شراهيا فرفع الله عنى ما كنت أجد ووضع كفه بين كتفى فوجدت بردها بين يدى فقلت له أيوحى اليك اليوم فقال منذ بعث محمد صلى الله عليه وسلم رسولا فانه لا يوحى الى قال فقلت له فكم من الانبياء اليوم أحياء قال أربعة اثنان فى الارض واثنان فى السماء أما اللذان فى السماء فعيسى وادريس عليهما السلام وأما اللذان فى الارض فالياس والخضر

عليهما السلام قلت كم الابدال قال ستون رجلا خمسون منهم من لدن عريش مصر الى شاطئ الفرات ورجلان بالمصيصة ورجل بعسقلان وسبعة فى سائر البلدان كلما أذهب الله واحدا منهم جاء بآخر مكانه وبهم يدفع الله عن الناس البلاء وبهم يمطرون قلت فالخضر أين يكون قال فى جزائر البحر فقلت هل تلقاه قال نعم قلت أين قال بالموسم قلت فما يكون حديثكما قال يأخذ من شعري وآخذ من شعره قال وكان ذلك حين جرى بين مروان بن الحكم وبين أهل الشام القتال قلت فما تقول فى مروان ابن الحكم قال رجل جبار عات على الله تعالى والقاتل والمقتول والشاهد فى النار قلت فانى قد شهدت ولم أطعن برمح ولا رميت بسهم ولم أضرب بسيف وأنا أستغفر الله من ذلك المقام ان أعود الى مثله ابدا قال أحسنت فهكذا فكن قال فبينما أنا واياه قاعدان اذ وضع بين يديه رغيفان أشد بياضا من الثلج فأكلت أنا وهو رغيفا وبعض الآخر ثم رفعت رأسي وقد رفع باقي الرغيف الآخر فما رأيت أحدا وضعه ولا رأيت أحدا رفعه قال وله ناقة ترعى فى وادي الاردن فرفع رأسه اليها فلما دعاها جاءت وبركت بين يديه فركبها فقلت له انى أريد أن أصحبك قال انك لا تقدر على صحبتي قال فقلت له انى خلو لا زوجة لى ولا عيال قال تزوج واياك والنساء الاربع الناشزة والمختلعة والملاعنة والبرزة وتزوج ما بدا لك من النساء قال فقلت انى أحب أن ألقاك قال اذا رأيتني فقد لقيتني انى أعتكف فى بيت المقدس فى شهر رمضان ثم حالت بيني وبينه شجرة فوالله ما أدرى كيف ذهب وهذا آخر القصة

﴿مجلس فى قصة ذى الكفل عليه السلام﴾

قال الله تعالى واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين قال مجاهد لما كبر اليسع قال لو أنى استخلفت رجلا على الناس يعمل عليهم فى حياتى حتى أنظر كيف يعمل فجمع الناس ثم قال من يتكفل لى بثلاث استخلفته يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب فقام اليه رجل شاب تزدريه العيون فقال أنا فرده ذلك اليوم وقال مثلها فى اليوم الثانى فسكت الناس فقام ذلك الرجل وقال أنا أعمل ذلك فاستخلفه قال فلما راى ابليس ذلك جعل يقول للشياطين عليكم بفلان فأعياهم فقال دعوني واياه فأتاه فى صورة شيخ كبير فقير حين أخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام بالليل والنهار الا تلك النومة فدق ابليس الباب فقال من هذا فقال شيخ كبير مظلوم ففتح الباب فجعل يقص عليه القصة ويقول ان بيني وبين قومى خصومة وانهم ظلمونى وفعلوا وفعلوا وجعل يطول عليه حتى حضر وقت الرواح وذهبت القائلة فقال له اذا رحت فانى آخذ لك بحقك فانطلق وراح الى مجلسه فلما جلس جعل ينظر ليرى الشيخ فلم يره وقام يتبعه فلما كان الغد جعل يقضى بين الناس وينتظره فلم يره فلما رجع الى القائلة وأخذ

مضجعه أتاه فدق الباب فقال من هذا فقال أنا الشيخ المظلوم ففتح له وقال ألم أقل لك اذا قعدت فأتني فقال انهم أخبث قوم اذا عرفوا انك قاعد يقولون نحن نعطيك حقك واذا قمت جحدوني قال فانطلق فاذا رحت فأتني وفاتته القائلة فراح وأقبل وجعل ينظره فلا يراه فشق عليه النعاس فقال لبعض أهله لا تدعن أحدا يقرب هذا الباب حتى أقوم فانه قد شق على عدم النوم فلما كانت تلك الساعة جاء فلم يأذن له أحد فلما أعياه نظر فاذا كوة في البيت فتسور منها فاذا هو في البيت واذا به يدق الباب من داخل فاستيقظ الرجل وقال يا فلان ألم آمرك أن لا تأذن لاحد علي فقال أما من قبلي فما أتيت فانظر من قبل من أتيت فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما أغلقه واذا الشيخ معه في البيت فقال له أتنام والخصوم ببابك فعرفه فقال له يا عدو الله ما ألجأك على هذه الفعال فقال له انك اعييتني في كل شيء أردت بك ففعلت معك ما ترى لاغضبك فعصمك الله مني فسمي ذا الكفل لانه تكفل بامر فوفى به (أخبرنا) ابن فنجويه قال حدثنا عمر بن الفضل عن أبي هاشم أخبرنا ابن الفضل قال أخبرنا الاعمش عن عبد الله بن عبيد الله الداري عن سعيد عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو لم أسمعه الا مرة أو مرتين لم أحدث به سمعت منه أكثر من سبع مرات يقول كان في بني اسرائيل رجل يقال له ذو الكفل لا ينزع عن ذنب عمله فاتبع امرأة فاعطاها ستين دينارا على أن تعطيه نفسها فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة ارتعدت وبكت فقال لها ما يبكيك فقالت من هذا الفعل ما فعلته قط فقال لها أأكرهتك قالت لا ولكن حملتني عليه الحاجة فقال لها اذهبي فهي لك ثم انه قال والله لا أعصى الله بعدها قط أبدا فمات من ليلته فقيل مات ذو الكفل فوجدوا على باب داره مكتوبا بان الله تعالى قد غفر لذي الكفل وقال أبو موسى الاشعري ان ذا الكفل لم يكن نبيا وانما كان عبدا صالحا تكفل بعمل رجل صالح وكان يصلي لله تعالى في كل يوم مائة صلاة فاحسن الله عليه الثناء وقيل هو الياس وقيل هو زكريا والله أعلم بالصواب

﴿ مجلس في قصة عيلي وشمويل وهو اسمعيل بالعبرانية وقصة التابوت وخبر طالوت وجالوت وهذه قصة كبيرة تشتمل على أبواب كثيرة ﴾

قال الله تعالى ألم تر الى الملأ من بني اسرائيل الآية

﴿ فصل في سياق الآية ومقدمة القصة ﴾

قال وهب بن منبه لما نبأ الله تعالى اليسع بعد الياس عليهما السلام واستخلفه على بني اسرائيل وكان فيهم ماشاء الله أن يكون ثم قبضه الله تعالى اليه وخلف فيهم الخلوف عظمت فيهم الخطايا وكان عندهم التابوت يتوارثونه كابرا عن كابر فيه

السكينة

السكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون وكانوا لا يلقاهم عدو فيقدموا التابوت
ويرجعون به معهم الا هزم الله تعالى ذلك العدو وكان الله تعالى قد بارك لهم في
أرزاقهم فكان أحدهم فيما يذكرون يجمع التراب على صخرة ثم يبذر فيه الحب فيخرج
الله له ما يأكله منه هو وعياله ويكون لاحدهم الزيتونة فيعصر منها ما يأكل هو وعياله
سنة فلما كثرت احداثهم وعظمت ذنوبهم وتركوا ما عهد الله اليهم سلط الله عليهم
العمالقة وهم قوم كانوا يسكنون غزة وعسقلان وساحل البحر ما بين مصر وفلسطين
وكان جالوت الملك فيهم فظهروا على بني اسرائيل وغلبوهم على كثير من أراضيهم
وسبوا كثيرا من ذراريهم وأسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة وأربعين غلاما وضربوا
عليهم الجزية وأخذوا توراتهم وبقوا على اضطراب من أمرهم واختلاف من حالهم
يتمادون احيانا في غيهم وضلالتهم فسلط الله تعالى عليهم من ينتقم له منهم ليرجعوا
الى التوبة احيانا ويكفيهم الله شر من بغى عليهم حتى بعث الله فيهم طالوت ملكا ورد
عليهم توراتهم فانتظم أمرهم واستوثق ملكهم وكان مدة ما بين وفاة يوشع بن نون التي
آل امر بني اسرائيل في بعضها الى السياسة فيهم وفي بعضها الى غيرهم ممن يقهرهم
ويتملك عليهم الى ان ثبت الملك فيهم ورجعت النبوة اليهم بشمويل النبي عليه
السلام اربعمائة سنة وستين سنة وكان آخر من ملكهم في هذه المدة رجل يقال له
ايلاف وكان يدبر امرهم في ملكه شيخ كبير يقال له عيلى الكاهن كان حبرهم وصاحب
قربانهم وكانوا ينتهون الى رأيه فلما مضى من وقت قيامه بأمرهم مدة بعث الله شمويل
نبيا

﴿ القول في بدء أمر شمويل وصفة نبوته صلى الله على نبينا وعليه وسلم ﴾

قال وهب بن منبه كان لابي شمويل امرأتان احداهما عجوز عاقر لم تلد له ولدا وهي أم
شمويل والاخرى قد ولدت له عشرة أولاد قال وكان لبني اسرائيل عيد من أعيادهم
أقاموا فيه شرائطه وقربوا القرابين فحضر أبو شمويل وامرأتاه وأولاده العشرة ذلك
العيد فلما قربوا قربانهم أخذ كل واحد منهم نصيبا وكان لام الاولاد عشرة انصباء
وللعجوز نصيب واحد فعمل الشيطان بينهما ما يعمل بين الضرائر من الحسد والبغي
فقالت ام الاولاد للعجوز الحمد لله الذي كثرني بولدي وقللك فوجمت العجوز وجوما
شديدا فلما كان عند السحر عمدت الى متعبدها فقالت اللهم بعلمك وسمعك كانت
مقالة صاحبتي واستطالتها علي بنعمتك التي انعمتها عليها وانت ابتدأتها بالنعمة
والاحسان فارحم ضعفي وارزقني ولدا تقيا رضيا واجعله لك ذخرا في مسجد من
مساجدك يعبدك ولا يكفرك ويطيعك ولا يجحدك فاذا رحمت ضعفي ومسكنتي
واجبت دعوتي فاجعل لي علامة اعرف بها قبول دعائي فلما اصبحت حاضت وكانت
قبل ذلك قد يئست من الحيض فجعله الله علامة لما سألته فألم بها زوجها فحملت

وكتمت امرها ولقي بنو اسرائيل في ذلك الوقت من عدوهم بلاء وشدة ولم يكن لهم نبي يدبر امرهم فكانوا يسألون الله تعالى ان يبعث لهم نبيا نشير عليهم ويجاهدون عدوهم معه وكان سبط النبوة قد هلك ولم يبق منه الا تلك المرأة الحبلى فلما علموا بحملها تعجبوا من امرها وقالوا اما حملت هذه الابنى لان اليائسات لا يحملن الا بالانبياء كسارة امرأة ابراهيم عليه السلام حملت باسحق وايشاع امرأة زكريا حملت بيحيى عليه السلام فأخذوها وحبسوها في بيت رهبة ان تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني اسرائيل في ولدها فجعلت المرأة تدعو الله تعالى أن يرزقها ولدا ذكرا فولدت غلاما وسمته شمويل تقول سمع الله دعائي فلما شب الغلام اسلمته ليتعلم التوراة فكفله عيلي وتبناه فلما بلغ الغلام الوقت الذي يبعثه الله فيه نبيا أتاه جبريل عليه السلام وهو نائم الى جانب الشيخ عيلي الكاهن وكان لا يأمن عليه احدا فدعاه جبريل بلحن الشيخ ياشمويل فقام الغلام فزعا مرعوبا الى الشيخ وقال يا أبتاه أدعوتني فكره الشيخ أن يقول لا فيفزع الغلام فقال يابني ارجع فنم فرجع الغلام فنام ثم دعاه جبريل ثانيا فانتبه الغلام وقال أدعوتني يا ابتاه فقال الشيخ ماشأنك قال اما دعوتني قال لا فقال شمويل فاني سمعت صوتا في البيت وليس فيه غيرنا فقال له الشيخ ارجع فتوضأ وصل فانك ان دعيت باسمك فأجب وقل لبيك انا طوعك فأمرني بما شئت افعل ما تأمرني به ففعل ذلك الغلام فنودي ثالثة فقال لبيك أنا طوعك فأمرني بأمرك افعل ما تأمرني به فظهر له جبريل عليه السلام فقال له اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله سبحانه عز وجل قد بعثك فيهم نبيا وان الله قد ذراك يوم ذراك للنبوة ورحم وحدة امك ذلك اليوم الذي تاهت عليها ضرتها فيه فلا أحد اليوم اشد منها عضدا ولا ملاذا فانطلق الى عيلي فقل له انك كنت خليفة الله على عباده ودينه فقمت زمانا بأمره كما يكتبانه محافظا على حدوده فلما امتدت مدتك ودق عظمك وذهبت قوتك وفني عمرك وقرب اجلك وصرت افقر ما يكون الى الله تعالى ولم تزل فقيرا اليه عطلت الحدود وجرت بين الخصوم وعملت بالرشا والمصانعات واضعفت حكم الحق حتى عز الباطل واهله وذل الحق وحزبه وظهر المنكر وخفي المعروف وفشا الكذب وقل الصدق وما كان الله عاهدك على هذا ولا عليه استخلفك فبئسما ختمت به عملك والله لا يحب الخائنين بلغه هذه الرسالة وقم بعده بالخلافة فلما بلغه شمويل هذه الرسالة فزع وجزع وكان السبب فيما عاتب الله عبده عيلي ووبخه عليه انه كان له ابنان شابان فأحدثا شيأ في القربان لم يكن فيه وذلك انه كان مسواط القربان الذي كانوا يسوطونه به كلابين فآخرجا كان للكاهن الذي كان يسوطه فجعل ابناه كلاليب فأوحى الله الى شمويل أن انطلق الى عيلي فقل له منعك حب الولد ان تزجر

ابنيك أن يحدثا في قرباني وان يعصياني فلانزعن الكهانة منك ومن ولديك ولا هلكنك واياهما فأخبر شمويل عيلي ففزع فزعا شديدا وسار اليهم عدوهم ومن حولهم فأمر عيلي ابنيه أن يخرجا بالناس فيقاتلا ذلك العدو فخرجا وأخرجا معهما التابوت فلما تأهبوا للقتال جعل عيلي يتوقع ماذا اصنع القوم فجاءه رجل وهو قاعد على كرسيه فأخبره بان الناس قد انهزموا وان ابنيك قد قتلا قال فما فعل بالتابوت قال ذهب به العدو قال فشهق ووقع على قفاه من كرسيه فمات فلما بلغ ملكهم ايلاف الخبران التابوت قد سلب وان عيلي قد مات فمات كمدا فلما مات الامير والوزير وأخذ التابوت مرج أمر بني اسرائيل واختل واجترأ عليهم عدوهم فقالوا لشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله وذلك بعد ما دبر شمويل أمرهم عشر سنين فلما نالهم الذل والهوان والقتل والسبي من عدوهم بشؤم معصيتهم سألوا نبيهم شمويل ان يبعث لهم ملكا يقاتلون معه في سبيل الله وانما كان قوام أمر بني اسرائيل بالاجتماع على الملك واطاعة الملك للانبياء وكان الملك هو الذي يسير بالجيوش ويقاتل العدو وكان النبي منهم هو الذي يقيم له أمره ويشير عليه ويرشده ويأتيه بالخبر من عند الله تعالى قال وهب بن منبه بعث الله شمويل نبيا فلبثوا أربعين سنة في أحسن حال ثم كان من أمر جالوت والعمالقة ما كان فسألوا شمويل عليه السلام ان يبعث لهم ملكا فذلك قوله تعالى ألم تر الى الملا من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله يعني شمويل وهو بالعبرانية اسمعيل بن بالي بن علقمة بن ماجد بن عموصا ابن النهر بن ضون بن علقمة صاحب عموصا بن عزريا وقال مجاهد هو شمويل بن هلفاقا ولم ينسبه اكثر من ذلك وقال مقاتل هو من نسل هرون عليه السلام فقال لهم نبيهم هل عسيتم ان كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا فأجابوا بما قص الله في كتابه قالوا وما لنا أن لا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا الآية فلما أخذ شمويل عليهم الميثاق على الطاعة والجماعة والجهاد سأل الله تعالى أن يبعث لهم ملكا

﴿ذكر قصة الملك طالوت واتيان التابوت وحرب جالوت وما يتعلق به﴾

قال الله تعالى وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا الآية قال المفسرون ان شمويل لما قالوا له ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله سأل الله تعالى ان يبعث لهم ملكا فأتي بعصا وقرن فيه دهن القدس وقيل له ان صاحبكم الذي يكون ملكا طوله طول هذه العصا وانظر الى القرن الذي فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذي في القرن فهو ملك بني اسرائيل فادهن به رأسه وملكه عليهم ثم انهم قاسوا أنفسهم بالعصا فلم يكونوا امثالها وكان طالوت بطولها واسمه بالسريانية سادل وبالعبرانية شاول بن قيش بن أفيل بن صارو بن نحورت بن أفيح بن أنيس بن بنيامين بن يعقوب بن

اسحق بن ابراهيم الخليل عليه السلام وكان رجلا دباغا يعمل الادم قال وهب بن منبه كان يدبغ الجلود وعكرمة والسدى يقولان كان سقاء يستقى على حمار له من النيل فضل حماره فخرج فى طلبه قال وهب بن منبه بل ضاعت حمر لأبى طالوت فارسله وغلاما له يطلبانها فرا ببيت شمويل عليه السلام فقال الغلام لطالوت لو دخلنا على هذا النبى فسألناه فى أمر الحمر ليرشدنا و يدعو لنا فيها بخير فقال له نعم فدخلا عليه فبينما هما عنده يذكران له خبر الحمر اذ نش الدهن فى القرن فقام شمويل وقاس طالوت بالعصا فكانت على طوله فقال له شمويل قرب رأسك الى فدهنه بدهن القدس ثم انه قال له أنت ملك بنى اسرائيل وقد أمرنى ربى ان أملكك عليهم فقال طالوت أنا فقال نعم قال أوما علمت ان سبطى أدنى أسباط بنى اسرائيل قال بلى قال أوما علمت ان بيتى أدنى بيت فى بنى اسرائيل قال بلى قال فبأى آية قال بآية انك ترجع وقد وجد أبوك الحمر فكان كذلك ثم ان شمويل قال لبنى اسرائيل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قال مجاهد أميرا على الجيش فقالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال وانما قالوا ذلك لانه كان فى بنى اسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط مملكة وكان سبط النبوة سبط لاوى بن يعقوب ومنهم موسى وهرون وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنهم داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من سبط النبوة ولا من سبط المملكة وانما كان من سبط بنيامين بن يعقوب وكانوا عملوا ذنبا عظيما كانوا ينكحون النساء على ظهر الطريق نهارا فغضب الله عليهم ونزع النبوة والملك منهم فلما قال لهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا أنكروا ذلك لانه كان من ذلك السبط فقالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ومع ذلك انه فقير لم يؤت سعة من المال فقال لهم شمويل ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم بالحرب والجسم يعنى بالطول فى قومه والقوة وانما سمى طالوت لطوله ولذلك كان يفوق الناس برأسه ومنكبيه وقال ابن كيسان بالجمال وكان طالوت أجمل رجل فى بنى اسرائيل واعلمهم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم قالوا فما آية ذلك قال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت الآية

﴿قصة التابوت وصفته وابتداء أمره الى انتهائه﴾

قال أهل التفسير وأصحاب الأخبار ان الله تعالى أهبط تابوتا على آدم عليه السلام من الجنة حين أهبط الى الأرض فيه صور الانبياء من أولاده وفيه بيوت بعدد الرسل منهم وآخر البيوت بيت محمد صلى الله عليه وسلم من ياقوتة حمراء واذا هو قائم يصلى وعن يمينه الكهل المطيع مكتوب على جبينه هذا أول من يتبعه من أمته أبو بكر الصديق رضى الله عنه وعن يساره الفاروق وعلى جبهته مكتوب قرن من حديد

لا تأخذه فى الله لومة لائم ومن ورائه ذو النورين آخذ بحجزته مكتوب على جبهته بار
من البررة ومن بين يديه على بن ابى طالب كرم الله وجهه شاهر سيفه على عاتقه ومكتوب
على جبهته هذا أخوه وابن عمه المؤيد بالنصر من عند الله وحوله عمومته والخلفاء
والنقباء والكبكبة الخضراء أنصار الله وأنصار رسوله نور حوافر دوابهم يوم القيامة
مثل نور الشمس فى دار الدنيا وكان التابوت نحوا من ثلاثة أذرع فى ذراعين وكان من
عود الشمشاذ الذى يتخذ منه الامشاط مموه بالذهب وكان عند آدم عليه السلام الى
أن مات ثم عند شيث الى أن مات ثم توارثه أولاد آدم الى أن بلغ الى ابراهيم عليه
السلام فلما مات كان عند اسمعيل لانه أكبر ولده فلما مات اسمعيل كان عند ولده
قيذار فنازعه فيه ولد اسحق وقالوا له ان النبوة صرفت عنكم وليس لكم الا هذا النور
الواحد يعنى نور محمد صلى الله عليه وسلم فاعطنا التابوت فكان يمتنع عليهم ويقول انه
وصية أبى ولا أعطيه لاحد من العالمين قال فذهب ذات يوم ليفتح ذلك التابوت فعسر
عليه فتحه فناداه مناد من السماء مهلا يا قيذار فليس لك الى فتح هذا التابوت سبيل
انه وصية نبى ولا يفتحه الا نبى فادفعه الى ابن عمك يعقوب اسرائيل الله فحمل قيذار
التابوت على عنقه وخرج يريد أرض كنعان وكان بها يعقوب عليه السلام قال فلما
قرب قيذار صر التابوت صرة سمعها يعقوب عليه السلام فقال لبنيه أقسم بالله لقد
جاءكم قيذار بالتابوت فقوموا نحوه فقام يعقوب وأولاده جميعا فلما نظر يعقوب الى
قيذار سعى اليه باكيا وقال يا قيذار مالى أرى لونك متغيرا وقوتك ضعيفة أأرهقك
عدو أم أتيت بمعصية بعد أبيك اسمعيل قال ما أرهقنى عدو ولا أتيت معصية ولكن
أثقل ظهرى نور محمد صلى الله عليه وسلم فلذلك تغير لونى وضعف ركنى قال يعقوب أفى
بنات اسحق قال لا ولكن فى العربية الجرهمية وهى العامرية فقال يعقوب بخ بخ شرفا
لمحمد صلى الله عليه وسلم لم يكن الله ليخرجه الا فى العربيات الطاهرات يا قيذار وأنا
مبشرك ببشارة قال وما هى قال اعلم ان العامرية قد ولدت لك البارحة غلاما قال
قيذار وما علمك يا ابن عمى وانت بأرض الشام وهى بأرض الحرم قال يعقوب قد علمت
ذلك لانى رأيت أبواب السماء قد فتحت ورأيت نورا كالقمر المدور بين السماء
والارض ورأيت الملائكة ينزلون من السماء بالبركات والرحمة فعلمت أن ذلك من
أجل محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان قيذار دفع التابوت الى ابن عمه يعقوب ورجع الى
أهله فوجدها قد ولدت غلاما فسماه حملا وفيه نور محمد صلى الله عليه وسلم قالوا وكان
التابوت فى بنى اسرائيل الى أن وصل الى موسى وكان موسى يضع فيه التوراة ومتاعا
من متاعه وكان عنده الى أن مات ثم تداولته أنبياء بنى اسرائيل الى وقت شمويل
عليه السلام فوصل الى شمويل وقد تكامل أمر التابوت بما فيه وكان فيه مما ذكر

الله فى كتابه فيه سكينة من ربكم واختلفوا فى السكينة ماهى فقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه السكينة ريح خجوج هفافة لها رأسان ووجهها كوجه الانسان وقال مجاهد لها رأس كرأس الهرة وذنب كذنب الهرة وجناحان وقال محمد بن اسحق عن وهب بن منبه عن بعض علماء بنى اسرائيل السكينة رأس هرة كانت اذا صرخت فى التابوت صرخة أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتح وروى السدى عن أبى مالك عن ابن عباس قال هى طشت من ذهب الجنة يغسل فيه قلوب الانبياء وروى بكار ابن عبد الرحمن عن وهب بن منبه هى روح من الله تكلمهم اذا اختلفوا فى شئ فتخبرهم ببيان مايريدون و بقية مما ترك آل موسى وآل هرون قال المفسرون فيه عصا موسى ورضاض الالواح وذلك ان موسى لما ألقى الالواح تكسرت فرفع بعضها وجمع مابقى فجعله فى التابوت وكان فيه أيضا لوحان من التوراة وقفيز من المن الذى كان ينزل على بنى اسرائيل ونعلا موسى وعمامة هرون وعصاه قالوا وكان التابوت عند بنى اسرائيل اذا اختلفوا فى شئ تكلم وحكم بينهم واذا حضروا القتال أقاموه بين أيديهم يستفتحون به على عدوهم فلما عصوا وأفسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوهم اياه وذلك فى أيام عيلى الكاهن الذى ربى شمويل وقد مضت القصة فيه وكان جالوت يوم سبى قومه التابوت صغيرا فلما ذهب التابوت اختل أمر بنى اسرائيل الى أن بعث الله طالوت ملكا فسألوه الآية على ملكه فقال لهم شمويل ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت وكانت قصة ذلك التابوت ان القوم الذين سبوا التابوت أتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها اردن وجعلوه فى بيت صنم لهم ووضعوه تحت الصنم الاعظم فاصبحوا من الغد واذا الصنم تحته فأخذوه وجعلوه فوقه وسمروا قدمى الصنم على التابوت فأصبحوا من الغد وقد قطعت يدا الصنم ورجلاه واصبح ملقى تحت التابوت فاصبحت الاصنام كلها منكسة فاخرجوه من بيت الاصنام ووضعوه فى ناحية من مدينتهم فأخذ أهل تلك الناحية وجع فى أعناقهم حتى هلك أكثرهم فقال بعضهم لبعض أليس قد علمتم ان اله بنى اسرائيل لايقوم له شئ فاخرجوه من مدينتكم قال فأخرجوه الى قرية أخرى فبعث الله على أهل تلك القرية فارا يبيت الرجل صحيحا فيقرضه الفار فيصبح ميتا وقد أكلت مافى جوفه فاخرجوه منها الى الصحراء ودفنوه فى مخرى لهم فكان كل من تبرز هناك أخذه الباسور والقولنج فاخرجوه ووضعوه فى بيت فمكث فيهم عشر سنين وسبعة أشهر لايدنوا أحد منه الا احترق وأصابهم فى المدينة الآفات والعاهات وفى مواشيهم الموت وفى نسائهم الطاعون فتحيروا وكانت عندهم امرأة من نساء بنى اسرائيل من أولاد الانبياء فقالت انكم لاتزالون ترون ماتكرهون مادام هذا التابوت فيكم فاخرجوه عنكم فاتوا بعجلة باشارة تلك المرأة فحملوا

عليها التابوت ثم علقوها على ثورين وضربوا جنوبهما فاقبل الثوران يسيران ووكل الله بهما أربعة من الملائكة يسوقونهما فلم يمر التابوت بأرض الا كانت مقدسة فاقبلا حتى وقفا على أرض فيها حصاد لبنى اسرائيل فكسرتهما وقطع حبالهما ووضع التابوت فيها ورجع الثوران الى أرضهما فلم تدر بنو اسرائيل الا والتابوت عندهم فكبروا وحمدوا الله تعالى واجتمعوا على طالوت فذلك قوله تعالى تحمله الملائكة أى تسوقه الملائكة * وقال ابن عباس جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والارض وهم ينظرون اليه حتى وضعته فى دار طالوت فأقروا بملكه قال الله تعالى ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين قال ابن عباس ان التابوت وعصا موسى فى بحيرة طبرية وانهما يخرجان قبل القيامة والله أعلم

﴿باب فى قصة شمويل حين أوحى الله اليه أن يأمر طالوت بالمسير الى قتال جالوت مع بنى اسرائيل وصفة نهر الابتلاء﴾

قال الله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر الآية قال فلما أوحى الله الى شمويل عليه السلام أن يأمر طالوت بالمسير الى جالوت من بيت المقدس بالجنود لم يتخلف عنه الا كبير لهرمه أو مريض لمرضه أو ضرير لضرره أو معذور لعذره وذلك انهم لما رأوا التابوت قالوا قد أتانا التابوت وهو النصر لاشك فيه فسارعوا الى الجهاد فقال طالوت لاحاجة لى فيما أرى لايخرج معى رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا صاحب تجارة مشتغل بها ولا رجل عليه دين ولا رجل تزوج بامرأة ولم يدخل بها ولا يتبعنى الا الشاب النشط الفارغ فاجتمع ثمانون الفا على شرطه فخرج بهم وكان فى حر شديد فشكوا قلة المياه بينهم وبين عدوهم وقالوا ان المياه لاتحملنا فادع الله تعالى أن يجرى لنا نهرا فقال لهم طالوت بأمر شمويل عليه السلام ان الله مبتليكم بنهر مختبركم ليرى طاعتكم وهو أعلم بكم وهو نهر بين الاردن وبين فلسطين عذب يقال له أدمى فمن شرب منه فليس منى أى من أهل دينى وطاعتى ومن لم يطعمه لم يشربه فانه منى ثم استثنى فقال الا من اغترف غرفة بيده وهو ملء الكف ومن فتح الغين أراد المرة الواحدة فشربوا منه الا قليلا منهم (قال السدى) كانوا أربعة آلاف وقال غيره كانوا ثلثمائة وبضعة عشر رجلا وهو الصحيح يدل عليه حديث البراء بن عازب قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر أنتم اليوم على عدة أصحاب طالوت حين عبروا النهر وما جاوز معه الا مؤمن قال وكانوا يومئذ ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا فمن اغترف غرفة بيده كما أمر الله تعالى قوى قلبه وصح ورجح ايمانه وعبر النهر سالما وكفته تلك الغرفة الواحدة لشربه وحمله ودوابه والذين شربوا وخالفوا أمر الله تعالى اسودت شفاههم وغلبهم العطش فلم يرووا وبقوا على شاطئ النهر وجبنوا عن لقاء العدو ولم يشهدوا الفتح فلما جاوز النهر

مع طالوت القليل الذين ثبتوا معه قالوا يعني الذين شربوا وخالفوا أمر الله تعالى لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده وانصرفوا عن طالوت ولم يشهدوا قتال جالوت وقال الذين يظنون أي يعلمون ويوقنون أنهم ملاقوا الله وهم القليل الذين ثبتوا مع طالوت كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله الآية ومروا قاصدين الجهاد

﴿ باب في ذكر أمر داود عليه السلام وخبر جالوت وصفة قتله ﴾

قال الله تعالى ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا الى قوله تعالى وقتل داود جالوت قال المفسرون والمخبرون بألفاظ مختلفة ومعان متفقة عبر النهر مع طالوت فيمن عبر ايشا أبو داود ومعه ثلاثة عشر ابناله وكان داود أصغرهم وأحقرهم فأتى ذات يوم أباه فقال يا أبتاه ماقذفت بمقلاعي هذه شيأ الا أصبته وصرعته فقال أبشر يابني فان الله قد جعل رزقك في قذافتك يعني في مقلاعك ثم أتاه يوما آخر فقال يا أبتاه لقد دخلت بين الجبال فرأيت أسدا رابضا فركبته وقبضت بأذنيه فلم يهمني فقبضت على فكيه ففطرتهما برأسه وعنقه الى لبته بيدي من غير سكين ولا ضرب بحديد وتراه هنالك مقتولا فقال له أبوه أبشر يابني فان هذا خير اعطاكه الله ثم أتاه يوما آخر وقال يا أبتاه اني لامشي بين الجبال فاسبح فما يبقى جبل الا سبح معي قال أبشر يابني فان هذا خير اعطاكه الله وسيكون لك شأن عظيم قال فلما وصلت غزاة بني اسرائيل مع طالوت الى عسكر جالوت أرسل جالوت الى طالوت أن ابرز الي أو أبرز الي من يقاتلني فان قتلني فلكم ملكي وان قتلته فلي ملككم فشق ذلك على طالوت فنادى في عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتي وناصفته مملكتي فهاب الناس قتال جالوت فلم يجبه أحد فسأل طالوت نبيهم شمويل عليه السلام فدعا الله تعالى في ذلك فأتى بقرن فيه دهن القدس وشبه تنور من حديد وقيل له ان الذي يقتل جالوت هو الذي يوضع هذا القرن على رأسه فيغلي الدهن حتى يدهن منه رأسه ولا يسيل على وجهه بل يكون على رأسه كهيئة الاكليل ويدخل في هذا التنور فيملؤه ولا يتقلقل فيه فدعا طالوت أشداء بني اسرائيل وأقوياءهم فجربهم فلم يوافقه منهم أحد فأوحى الله الى شمويل عليه السلام ان في ولد ايشا من يقتل جالوت واني أريد أن اجعله خليفة في الارض من بعدك أعلمه فصل الخطاب وهو راعي الغنم فقال لايشا يعرض عليك بنيه واحدا واحدا فدعا ايشا وقال له اعرض علي بنيك فأخرج له اثني عشر ولدا أمثال السواري وفيهم رجل بارع فجعل يعرضهم على القرن والتنور فلا يرى شيأ ويقول لذلك الجسيم ارجع فيردده على التنور فأوحى الله تعالى اليه انا لانأخذ الرجال على صورهم ولكننا نأخذهم على صلاح هممهم وقلوبهم فقال لايشا هل بقي لك ولد غيرهم قال لا قال شمويل رب قد زعم أنه ليس له ولد غيرهم فقال كذب فقال شمويل يا ايشا ان ربي كذبك قال صدق الله

يانبي الله ان لي ابنا صغيرا يقال له داود استحييت أن يراه الناس لقصر قامته وحقارته وخلقته في الغنم يرعاها وهو في شعب كذا وكذا وكان داود عليه السلام قصيرا سقيما مصفرا أزرق العينين فدعاه طالوت ويقال خرج اليه فوجد الوادي قد حال بالماء بينه وبين الزريبة التي كان يتروح اليها فوجده يحمل الغنم شاتين شاتين يعبر بهما السيل ولا يخوض بهما الماء فلما رآه شمويل قال هذا هو لا شك فيه هذا يرحم البهائم فهو أرحم بالناس فدعاه فوضع القرن على رأسه ففاض وأجلسه في التنور فملأه فلما رأى طالوت ذلك قال له هل لك أن تقتل جالوت وأزوجك ابنتي وأجري حكمك في مملكتي قال نعم قال فهل لقيت من نفسك شيأ تتقوى به على قتله قال نعم أنا راعي الغنم فيجيء الاسد والنمر والذئب ليأخذ شيأ فأقوم اليه وأقبضه وافتح لحييه عنها وأخرقهما الى قفاه فلما سمع طالوت منه ذلك رده الى عسكره فمر داود عليه السلام في الطريق بحجر فناداه ياداود احملني فاني حجر هرون الذي قتل به ملك كذا وكذا فوضعه في مخلاته ثم مر بحجر آخر فناداه ياداود احملني فاني حجر موسى عليه السلام الذي قتل به ملك كذا وكذا فحمله في مخلاته ثم مر بحجر آخر فقال احملني فاني حجرك الذي تقتل به جالوت وقد خبأني الله لك فوضعه في مخلاته فلما تصافوا للقتال برز جالوت وسأل المبارزة فانتدب له داود وكان طالوت أعطاه فرسا ودرعا وسلاحا فركب الفرس ولبس السلاح وسار قليلا فوجد في نفسه زهوا فانصرف وعاد سريعا الى الملك فقال من حوله جبن الغلام فجاء حتى وقف على الملك فقال له ماشأنك فقال له داود ان الله تعالى ان لم ينصرني فما يغني عني هذا السلاح شيأ فدعني أقاتل كما أريد فقال له طالوت افعل ما تريد فأخذ داود عليه السلام مخلاته فتقلدها وأخذ المقلاع ومضى نحو جالوت وكان جالوت من أشد الناس وأقواهم وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة وزنها ثلثمائة رطل حديد وكان له فرس أبلق مثله في الشدة والقوة وعظم الخلق فلما برز جالوت الى داود ألقى الله تعالى في قلبه الرعب فقال له أنت تبرز الي قال نعم وكان جالوت راكبا على فرس أبلق وعليه السلاح التام فقال له يابني تأتيني بالحجر بالمقلاع كما يؤتى الكلب بالحجر قال نعم أنت أشر من الكلب قال لاجرم لأقسمن لحمك بين سباع الارض وطير السماء فقال داود بسم الله ويقسم الله لحمك بين السباع وطير السماء وأخذ حجرا منها وقال بسم الله اله ابراهيم ووضعه في مقلاعه وأخذ حجرا ثانيا وقال بسم الله اله اسحق ووضعه في مقلاعه ثم أخرج ثالثا وقال بسم الله اله يعقوب ووضعه في مقلاعه قال فصارت الاحجار الثلاث كلها حجرا واحدا وأدار المقلاع ورمى به فسخر الله له الريح حتى أصاب الحجر أنف البيضة فخالط دماغه وخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلاثين رجلا ويقال انه من بعد ما خرج من قفاه تكسر وتفتت باذن الله

تعالى حتى عم جميع جنود جالوت فلم يبق منهم أحد الا وقد أصابته منه قطعة ومثل ذلك صار كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين حثا الحثوة من التراب فانهزم الجيش وخر جالوت قتيلا وأسرع داود عليه السلام اليه فحز رأسه وانتزع من يده خاتمه وأقبل برأسه يجره حتى ألقاه بين يدى طالوت ففرح المسلمون فرحا شديدا وانصرفوا الى مدينتهم سالمين غانمين بحمد الله رب العالمين

﴿ذكر بقية قصة طالوت وما كان منه الى داود عليه السلام بعد قتل جالوت﴾

قالوا لما قتل داود جالوت ذكر الناس داود وعظم فى أنفسهم فجاء داود الى طالوت وقال له أنجز الى ما وعدتنى واعطنى امرأتى فقال له طالوت أتريد ابنة الملك بغير صداق عجل صداق ابنتى وشأنك بها فقال داود لطالوت ما شرطت على صداقا وليس لى شئ فتحكم فى الصداق بما تريد وأقرضنى مهرها وعلى الاداء والوفاء لك به فقال طالوت أصدقها نصيبك من الملك فقال له بنو اسرائيل لا تظلمه وأنجز له ما وعدته فلما رأى طالوت ميل بنى اسرائيل الى داود أحسن ثناء عليه وقال لا حاجة لابنتى فى المال ولا أكلفك ما لا تطيق أنت رجل جرىء وفى جبالنا أعداء من المشركين فانطلق فجاهدهم فاذا قتلت منهم مائتى رجل وجئتنى برؤسهم زوجتك ابنتى فاتاهم داود عليه السلام وجعل كلما قتل منهم رجلا احتز رأسه ونظمه فى خيط حتى نظم رؤسهم ثم جاء بهم الى طالوت وألقاهم بين يديه وقال له ادفع الى امرأتى فزوجه امرأته وأجرى خاتمه فى ملكه فمال الناس الى داود عليه السلام وأحبه بنو اسرائيل وأكثروا من ذكره فوجد طالوت من ذلك فى نفسه فأراد قتله قال وهب بن منبه كانت الانبياء والملوك يومئذ يتوكؤن على العصى ويغرزون فى أطراف العصى أزجة من حديد وكان داود عليه السلام جالسا فى ناحية البيت فدخل طالوت فرماه بالعصا بغتة ليقتله بها صبرا فلما أحس داود بذلك حاد عن رميته وأمال نفسه من غير أن يبرح من مكانه فارتكزت العكاز فى الجدار فقال له داود أردت قتلى قال له طالوت لا بل أردت أن أقف على ثباتك عند الطعان ورباطة جاشك للاقران فقال له داود عليه السلام أفلقيته على ما قدرته فى قال نعم ولكنك لعلك فزعت قال معاذ الله أن أخاف الا الله ولا ألجأ الا اليه ولا يدفع الشر الا هو ثم ان داود انتزعها من الجدار وهزها هزة منكرة وقال له اثبت لى كما ثبت لك فأيقن طالوت بالهلاك فقال له أنشدك بالله وبحرمة المصاهرة التى بينى وبينك وما كان هذا القول من داود عن قصد قتل طالوت ولكن كان مقال تخويف وتحذير فقال داود لطالوت ان الله قد كتب فى التوراة جزاء السيئة سيئة مثلها واحدة والبادى أظلم قال طالوت أفلا تقول قول هابيل لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى اليك لاقتلك انى أخاف الله رب العالمين فقال داود

انى

انى قد عفوت عنك لوجه الله تعالى فلبث طالوت زمانا يريد قتل داود عليه السلام
فعزم على أن يأتيه ويقتله فى داره فأخبرت بذلك بنت طالوت زوجة داود أخبرها رجل
يقال له ذو العينين فقالت لداود انك لمقتول الليلة قال ومن يقتلني قالت أبى قال
وهل أجرمت جرما قالت حدثنى من لا يكذب ولا عليك بأس أن تغيب الليلة حتى
تنظر مصداق ذلك فقال لئن كان أراد ذلك لا استطيع خروجا ولكن ائتينى بزق من
خمر فأتته به فوضعه فى مضجعه على السرير وسجاه ودخل تحت السرير قال فدخل
طالوت نصف الليل وأراد أن يقتل داود فلم يجده فقال لابنته أين بعلك فقالت هو نائم
على السرير فضربه بالسيف فسال الخمر فلما وجد ريح الخمر قال رحم الله داود ما كان
أكثر شربه للخمر وخرج فلما أصبح علم انه لم يفعل شيأ فقال ان رجلا طلبت منه
ماطلبت لخليق أن لا يدعنى حتى يدرك ثاره منى ثم انه استتر بحجابه وحراسه وأغلق
دونه الابواب قال فأتى داود ذات ليلة وقد هدأت العيون وأعمى الله عنه الحجاب
وفتح الله له الابواب فدخل عليه وهو نائم على فراشه فوضع سهما عند رأسه وسهما
عند رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن شماله ثم خرج فلما استيقظ طالوت وجد
السهام فعرفها فقال رحم الله داود هو خير منى ظفرت به فقصدت قتله وظفر بى
فكف عنى لو شاء لوضع هذا السهم فى حلقى وما أنا بالذى آمنه فلما كانت الليلة
القابلة أتاه داود ثانيا وأعمى الله عنه أعين الحجاب فدخل وهو نائم على فراشه فأخذ
ابريق طالوت الذى كان يتوضأ منه وكوزه الذى كان يشرب به وقطع شعرات من
لحيته وشيأ من هدب ثيابه ثم خرج وهرب وتوارى فلما أصبح طالوت ورأى ذلك
سلط على داود العيون وشدد فى طلبه فلم يقدر عليه ثم ان طالوت ركب ذات يوم
فوجد داود عليه السلام يمشى فى البرية فقال طالوت فى نفسه اليوم أقتل داود انا
راكب وهو ماش وكان داود اذا فزع لم يدرك فركض طالوت فى أثره واشتد داود فى
الجرى فدخل غارا فأوحى الله الى العنكبوت فنسجت عليه بيتا فلما انتهى طالوت
الى الغار ونظر الى بناء العنكبوت قال لو كان ههنا لخرق بيت العنكبوت فتركه ومضى
فلما مضى خرج داود من الغار وانطلق الى الجبل مع المتعبدين فجعل يتعبد فيه فطعن
العلماء والعباد على طالوت فى شأن داود فجعل طالوت لا ينهاه أحد عن قتل داود
الا قتله فجعل يقتل العلماء فلم يكن يقدر فى بنى اسرائيل على عالم و يطيق قتله الا قتله
ولم يكن يحارب جيشا الا هزمه حتى أتى بامرأة تعلم الاسم الاعظم فأمر خبازه بقتلها
فرحمها الخباز وقال لعلنا نحتاج الى عالم فتركها ووضع الله فى قلب طالوت التوبة فندم
على مافعل وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج الى القبور فيبكى
وينادى أنشد الله عبدا يعلم لى توبة الا أخبرنى بها فلما كثر عليهم بكاؤه ناداه مناد من

القبور يا طالوت أما ترضى انك قتلتنا أحياء حتى تؤذينا أمواتا فازداد حزنا وبكاء فرحمه الخباز فقال له مالك أيها الملك فقال هل تعلم لى فى الارض عالما اسأله هل لى من توبة فقال له الخباز أيها الملك هل تدرى ما مثلك قال لا قال ما مثلك الا كمثل ملك نزل قرية عشاء فصاح الديك فتطير منه فقال لا تتركوا فى هذه القرية ديكا الا ذبحتموه فلما أراد أن ينام قال لاصحابه اذا صاح الديك فايقظونا حتى ندلج فقيل له وهل تركت ديكا يسمع صوته وأنت هل تركت عالما فى الارض فازداد حزنا وبكاء فلما رأى الخباز ذلك قال أرأيت ان دللتك على عالم لعلك تقتله قال لا فتوثق منه الخباز بالايمان فاخبره ان المرأة العالمة عنده فقال له انطلق بنا اليها اسألها هل لى من توبة وكانت تعلم الاسم الاعظم وكان انما يعلم هذا الاسم أهل بيت لها ففنيت رجالهم وعلمت نساؤهم فلما بلغ طالوت الباب قال له الخباز انها ان رأتك فزعت منك ثم جعله خلفه ودخل عليها الخباز فقال ألست أعظم الناس عليك منة انجيتك من القتل وأويتك عندى قالت بلى قال لى اليك حاجة هذا طالوت يسأل هل له من توبة فلما سمعت بذكره غشى عليها من الفرق فلما أفاقت قال لها انه لا يريد قتلك ولكن يسألك هل له من توبة قالت لا والله ماله من توبة ولكن هل تعلمون قبر شمويل عليه السلام قالوا نعم قالت فانطلقوا بنا الى قبره فلما وصلوا اليه صلت عنده ركعتين ثم انها نادت يا صاحب القبر فخرج شمويل عليه السلام من القبر ينفض التراب عن رأسه فلما نظر الى الثلاثة المرأة والخباز والملك فقال لهم اقامت القيامة قالوا لا ولكن هذا طالوت يسألك هل له من توبة فقال له شمويل ما فعلت يا طالوت بعدى قال لم ادع شيأ من الشر الا فعلته وقد جئت اطلب التوبة قال كم لك من ولد قال عشرة رجال قال ما أعلم لك من توبة الا أن تتخلى من ملكك وتخرج أنت وولدك تجاهد فى سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم انك تقاتل حتى تقتل آخرهم ثم رجع شمويل عليه السلام الى القبر فسقط ميتا ورجع طالوت أحزن ما يكون وخاف أن لا يتابعه ولده فبكى حتى ذهبت أشفار عينيه ونحل جسمه فدخل عليه أولاده فقال لهم أرأيتم لو دفعت الى النار أكنتم تفدوننى قالوا نعم نفديك بما قدرنا عليه قال فانها النار ان لم تفعلوا ما أقول لكم قالوا فاعرض علينا ما قالت فذكر لهم القصة فقالوا وانك لمقتول بعدنا قال نعم قالوا لا خير لنا فى الحياة بعدك قد طابت أنفسنا بالذى سألت فتجهز بأولاده الى الغزو وكانوا عشرة فقاتلوا بين يديه حتى قتلوا ثم شد بعدهم فقاتل حتى قتل فجاء قاتله الى داود يبشره بقوله له قد قتلت عدوك فقال داود ما كنت بالذى تحيا بعده فضرب عنقه .

﴿ مجلس فى خلافة داود عليه السلام وما يتعلق بها ﴾

قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض الآية قالت العلماء باخبار

الانبياء لما استشهد طالوت أتى بنو اسرائيل الى داود فاعطوه خزانة طالوت وملكوه على أنفسهم وذلك بعد قتل داود جالوت بسبع سنين ولم تجتمع بنو اسرائيل على ملك واحد بعد يوشع بن نون الا على داود عليه السلام فذلك قوله عز وجل وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة الآية

﴿ باب فى ذكر نسبه ﴾

هو داود بن ايشا بن عوفيذ بن بوعز بن سلمون بن نخشون بن عمينوذب بن رم بن حصرون بن بارص بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليهم أجمعين

﴿ باب فى ذكر صفته وحليته ﴾

اخبرنى الحسن بن محمد الدينورى باسناده عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زرقة العينين يمن وكان داود عليه السلام أزرق العينين أحمر الوجه دقيق الساقين سبط الشعر أبيض الجسم طويل اللحية فيها جعودة حسن الصوت والخلق طاهر القلب نقيه

﴿ باب فى ذكر ما خص الله تعالى به نبيه داود عليه السلام من الفضل والكرامات حين اعطاه الله النبوة والملك ﴾

(فمنها) انه أنزل عليه الزبور بالعبرانية مائة وخمسين سورة فى خمسين منها ذكر ما يكون من بختنصر وأهل بابل وفى خمسين منها ذكر ما يلقون من الروم من أهل ايرون وفى خمسين منها موعظة وحكمة ولم يكن فيها حلال ولا حرام فذلك قوله تعالى وآتينا داود زبورا (ومنها) الصوت الطيب والنغمة الطيبة اللذيذة والترجيع والالحان ولم يعط الله أحدا من خلقه مثل صوته وكان يقرأ الزبور بسبعين لحنا بحيث يعرق المحموم ويفيق المغمى عليه وكان اذا قرأ الزبور برز الى البرية فيقوم وتقوم معه علماء بنى اسرائيل خلفه وتقوم الناس خلف العلماء وتقوم الجن خلف الناس وتقوم الشياطين خلف الجن وتدنو الوحوش والسباع و يؤخذ باعناقها وتظله الطيور مصخية و يركد الماء الجارى و يسكن الريح وما صنعت المزامير والبرابط والصنوج الا على صوته وذلك ان ابليس لعنه الله حسده واشتد عليه فقال لعفاريته ألا ترون ما دهاكم فقالوا له مرنا بما شئت فقال انه لا يصرف الناس عن داود الا ما يضاده و يحاده فى مثل حاله فهيؤا المزامير والعيدان والاوتار والملاهى على اجناس أصوات داود فسمعها سفهاء الناس فمالوا اليها فاغتروا بها و يقال ان داود عليه السلام كان اذا قرأ الزبور بعد ما قارف الذنب لا يقف له الماء ولا تصغى له الوحوش ولا البهائم ولا الطيور كما كانت قبلها ونقصت نعمته فقال الهى ما هذا فأوحى تعالى اليه ذلك أنس الطاعة وهذه وحشة المعصية يا داود ان الخطيئة هى التى غيرت صوتك وحالك فقال الهى أوليس قد غفرتها لى قال بلى ولكن ارتفعت الحالة التى بينى و بينك من الود والقرب فلن

تدركها أبدا (أخبرنا) أبو سعيد بن أحمد بن حمدون عن وهب بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خفف الله على داود القرآن فكان يأمر بدوابه أن تسرج فكان يقرأ القرآن قبل أن تسرج دابته وكان لا يأكل الا من عمل يده قال الاستاذ الامام أراد بالقرآن الزبور وبالاسناد أخبرنا أبو بكر الجوزقي عن أبي موسى الاشعري قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أعطيت مزمارا من مزامير آل داود فقلت أما والله يا رسول الله لو علمت انك تسمع لحبرته لك تحبيرا وأخبرنا أبو بكر قال اخبرنا أبو العباس بالاسناد عن البراء بن عازب قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم صوت أبي موسى فقال كأن صوت هذا من صوت آل داود (ومنها) تسخير الجبال والطير له يسبحن معه اذا سبح كما قال الله تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد وقوله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق ويقال ان داود عليه السلام كان اذا تخلل الجبال فسبح الله تعالى جعلت الجبال تجاوبه بالتسبيح نحو ما يسبح ثم قال في نفسه ليلة من الليالي لاعبدن الله تعالى عبادة لم يعبده أحد بمثلها فصعد الجبل فلما كان في جوف الليل داخلته وحشة فاوحى الله تعالى الى الجبال ان آنسي داود فاصطكت الجبال بالتسبيح والتقديس والتهليل فقال داود في نفسه كيف يسمع صوتي مع هذه الاصوات فهبط عليه جبريل عليه السلام وأخذ بعضده حتى انتهى به الى البحر فوكزه برجله فانفرج له البحر فانتهى به الى الارض فوكزها برجله فانفجرت له الارض فانتهى به الى الحوت فوكزه برجله فانتهى به الى الصخرة فوكزا الصخرة برجله فانفلقت فخرج منها دودة تنش فقال له جبريل ان ربك يسمع نشيش هذه الدودة في هذا الموضع * قوله تعالى يسبحن بالعشي والاشراق قال المفسرون يعني صلاة الضحى وصلاة الاوابين بين العشاءين قال ابن عباس وكان داود يفهم تسبيح الحجر والشجر والمدر (ومنها) انه أكرمه الله تعالى بالحكمة وفصل الخطاب فالحكمة هي الاصابة في الامور وأما فصل الخطاب فاختلفوا فيه فقال ابن عباس بيان الكلام وقال ابن مسعود والحسن المعنى علم الحكم والنظر في القضاء كان لا يتتعتع في القضاء بين الناس وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه هو البينة على من ادعى واليمين على من أنكر (اخبرنا) أبو عبد الله قال سمعت زيادا يقول فصل الخطاب الذي أعطي داود عليه السلام ما أخبرنا أبو حفص عن الاعمش عن أبي صالح عن كعب الاحبار في قوله وفصل الخطاب قال الشهود والايمان عن الشعبي قال سمعت زيادا يقول فصل الخطاب الذي أعطي داود أما بعد قال الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وهو أول من قالها (ومنها) السلسلة التي أعطاها الله تعالى له ليعرف المحق من المبطل في المحاكمة اليه وهو ما روى الضحاك عن ابن عباس قال

ان

ان الله تعالى أعطى داود سلسلة موصولة بالمجرة والفلك ورأسها عند محراب داود عليه السلام حيث يتحاكم الناس اليه وكانت قوتها قوة الحديد ولونها لون النار وحلقها مستديرة مفصلة بالجوهر ومدسرة بقضبان اللؤلؤ الرطب فلا يحدث في السماء حادث الا صلصلت السلسلة فيعلم داود ذلك الحادث ولا يمسها ذو عاهة الا برأ وكان علامة دخول قومه في الدين أن يمسوها بأيديهم ثم يمسحون بأكفهم على صدورهم وكانوا يتحاكمون اليها فمن اعتدى على صاحبه أو أنكر ماله من حق أتى السلسلة فمن كان صادقا محقا مد يده الى السلسلة فمنالها ومن كان كاذبا ظالما لم ينلها فكانت فيهم الى أن ظهر فيهم المكر والخديعة قال بلغنا أن بعض ملوكهم أودع رجلا جوهرة ثمينة فلما جاء يستردها أنكرها فتحاكما الى السلسلة فعلم الرجل الذي كانت عنده الجوهرة أن يده لا تنال السلسلة فعمد الى عكازة له فنقرها ثم ضمنها الجوهرة واعتمد عليها حتى حضر معه غريمه عند السلسلة فقال صاحب الجوهرة ان لي عندك وديعة فقال خصمه ما أعرف لك وديعة فان كنت صادقا فتناول السلسلة فتناولها بيده ثم قيل للمنكر قم أنت ايضا فتناولها فقال لصاحب الجوهرة الزم أنت عكازتي هذه فاحفظها حتى أتناول السلسلة فأخذها وقام الرجل وقال اللهم ان كنت تعلم ان هذه الوديعة التي يدعيها قد وصلت اليه فقرب مني السلسلة فمد يده فتناولها فتعجب القوم وتفكروا فيها فاصبحوا وقد رفع الله تلك السلسلة وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا اشتبه عليه الامر بين الخصمين اللذين يتحاكمان اليه يقول ما أحوجكما الى سلسلة بني اسرائيل كانت تأخذ بعنق الظالم فتجره الى الحق جرا (ومنها) القوة في العبادة وشدة الاجتهاد كما قال الله تعالى واذكر عبدنا داود ذا الأيد يعني القوة في العبادة انه أواب أي تواب مسبح مطيع وكان يصوم يوما ويفطر يوما يصوم النهار ويقوم الليل وما مرت به ساعة من الليل الا وفيها من آل داود قائم يصلي ولا يوم من الايام الا وفيه منهم صائم (ومنها) قوة المملكة كما قال الله تعالى وشددنا ملكه أي قويناه وقرأ الحسن وشددنا ملكه بالتشديد (وقال ابن عباس) كان أشد ملوك الارض سلطانا وكان يحرس محرابه كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألف رجل قال السدي كان يحرسه كل ليلة أربعة آلاف رجل (أخبرنا) عبد الله بن حامد عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلا من بني اسرائيل تعدى على رجل من عظمائهم فاجتمعا على داود عليه السلام فقال المتعدى ان هذا قد غصبني بقرتي فسأل داود الرجل عن ذلك فجحد وسأل الآخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داود قوما حتى انظر في أمركما فقاما من عنده فأوحى الله تعالى له في منامه أن يقتل الرجل الذي تعدى فقال هذه رؤيا ولست أعجل حتى أتبين فأوحى الله تعالى اليه مرة أخرى أن يقتله فقال هذه رؤيا فأوحى الله تعالى اليه مرة ثالثة أن يقتله

فأرسل داود الى الرجل فقال له ان الله تعالى قد أوحى الى أن أقتلك فقال له الرجل تقتلني بغير ذنب ولا بينة فقال داود نعم والله لا نفذن أمر الله فيك فلما عرف الرجل انه قاتله قال لا تعجل على حتى أخبرك انى والله ما أخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت والد هذا فقتلته فأمر به داود فقتل فاشتدت هيبة بنى اسرائيل عند ذلك لداود واشتد له ملكه فذلك قوله تعالى وشددنا ملكه ويقال كان داود اذا جلس للحكم كان على يمينه ألف رجل من الانبياء وعن يساره ألف رجل من الاجناد (ومنها) شدة البطش فيروى انه ما فر ولا انحاز من عدوله قط (ومنها) الانة الحديد له وكان سبب ذلك على ماروى فى الاخبار أن داود عليه السلام لما ملك بنى اسرائيل كان من عادته أن يخرج الى الناس متنكرا فاذا رأى رجلا لا يعرفه تقدم اليه فيسأله عن داود فيقول له ما تقول فى داود واليكم هذا أى الرجل هو فيثنون عليه ويقولون خيرا فبينما هو كذلك يوما من الايام اذ قيض الله له ملكا فى صورة الآدميين فلما رآه تقدم اليه داود على عادته فسأله فقال له الملك نعم الرجل هو لولا خصلة فيه فراع داود ذلك فقال ماهى ياعبدالله قال ان داود يأكل ويطعم عياله من بيت المال قال فتنبه لذلك وسأل الله تعالى أن يسبب له سببا يستغنى به عن بيت المال فينفق منه ويطعم عياله فألان له الحديد فصار فى يده مثل الشمع والعجين والطين المبلول وكان يصرفه بيده كيف يشاء من غير ادخال نار ولا ضرب بحديد وعلمه الله تعالى صنعة الدروع فكان يتخذ الدروع وهو أول من عملها وكانت قبل ذلك صفايح فيقال انه كان يبيع كل درع منها بأربعة آلاف درهم فيأكل ويطعم عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين فذلك قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم وقوله تعالى وألنا له الحديد أن اعمل سابغات أى دروعا كوامل واسعات وقدر فى السرد أى لا تجعل المسامير دقاقا فتعلق ولا غلاظا فتكسر الحلق فكان يفعل ذلك حتى اعتد من ذلك مالا (وروى) أن لقمان الحكيم رأى داود عليه السلام وهو يعمل درعا فتعجب من ذلك ولم يدر ماهو فاراد أن يسأله فسكت حتى فرغ داود من نسج الدرع فقام فلبسه وقال نعم القميص هذا للرجل المحارب فعلم لقمان مااراد به فقال الصمت حكمة وقليل فاعله

﴿باب فى قصة داود عليه السلام حين ابتلى بالخطيئة ومايتصل بذلك﴾

قال الله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم الآيات اختلف العلماء بأخبار الانبياء فى سبب امتحان الله تعالى نبيه داود عليه السلام بما امتحنه الله به من الخطيئة فقال قوم كان سبب ذلك أنه تمنى يوما من الايام على ربه تعالى منزلة آبائه ابراهيم واسحق ويعقوب وسأله أن يمتحنه بمثل الذى كان يمتحنهم ويعطيه من الفضل مثل الذى أعطاهم فروى السدى والكلبى ومقاتل عن

أشياخهم دخل حديث بعضهم في بعض قالوا كان داود عليه السلام قد قسم الدهر
ثلاثة أيام يوما يقضي فيه بين الناس ويوما يخلو فيه بنسائه ويوما لعبادة ربه وقراءة
الكتب وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم السلام
فيقول يارب أرى الخير قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي فأوحى الله تعالى اليه انهم
ابتلوا ببلايا لم يبتل بها أحد فصبروا عليها ابتلي ابراهيم عليه السلام بنار النمروذ وبذبح
ولده وابتلي اسحق بالذبح وابتلي يعقوب بالحزن وذهاب بصره على يوسف وانك لم
تبتل بشئ من ذلك فقال داود عليه السلام يارب فابتلني كما ابتليتهم واعطني كما
أعطيتهم فأوحى الله تعالى اليه انك مبتلى في شهر كذا في يوم كذا فاحترس على الصبر
فلما كان في اليوم الذي وعده الله دخل داود محرابه وأغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ
الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءه الشيطان وتمثل له في صورة حمامة من ذهب فيها من كل
لون حسن فوقعت بين يديه فمد يده ليأخذها وفي بعض الروايات ليدفعها الى ابن له
صغير فلما أهوى اليها طارت غير بعيد من غير ان تؤيسه من نفسها فامتد اليها
ليأخذها فتنحت فتبعها فطارت فوقعت في كوة فذهب ليأخذها فطارت من الكوة
فنظر داود أين تقع فيبعث اليها من يصيدها فنظر الى امرأة في بستان على شط بركة
تغتسل هذا قول الكلبي وقال السدي رآها تغتسل على سطح لها فرأى امرأة من
أحسن النساء خلقا فعجب داود من حسنها وحانت منها التفاتة فأبصرت ظل داود
عليه السلام فنشرت شعرها فغطى بدنها كله فزاد بذلك اعجابا بها فسأل عنها فقيل له
هي سابغ بنت شائع امرأة أورياء بن حنان وزوجها في غزاة البلقاء مع أيوب بن
صوريا ابن أخت داود فكتب داود الى ابن أخته أيوب صاحب بعث البلقاء ان
ابعث أورياء الى موضع كذا وكذا وقدمه على التابوت وكان المقدم على التابوت لا يحل
له ان يرجع الى ورائه حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد فبعث به ففتح له فكتب الى
داود بذلك فكتب اليه داود أيضا ان ابعثه الى غزوة كذا وكان رئيسها أشد منه بأسا
فبعثه فقتل في المرة الثانية فلما انقضت عدتها تزوجها داود فهي أم سليمان عليه
السلام وقال آخرون انما سبب امتحانه أن نفسه حدثته انه يطيق قطع يوم بغير مقارفة
سيئة وعن الحسن أخبرنا شعيب بن محمد قال ان داود عليه السلام جزأ الدهر أربعة
أجزاء يوما لنسائه ويوما لعبادة ربه ويوما للقضاء حوائج المسلمين ويوما لبني اسرائيل
يذاكرهم ويذاكرونه يسألهم ويسألونه فلما كان يوم بني اسرائيل ذكروا فقالوا هل
يأتي على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنبا فأضمر داود في نفسه انه سيطيق ذلك فلما كان
يوم عبادة ربه غلق أبوابه وأمر أن لا يدخل عليه أحد وانكب على التوراة فبينما
هو يقرأ اذ هو بحمامة من ذهب فيها كل شئ حسن قد وقعت بين يديه فأهوى اليها

لما أخذها فطارت فوقعت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها فما زال يتبعها حتى أشرف على امرأة تغتسل فأعجبه خلقها وحسنها فلما رأت ظله فى الارض جللت جسدها بشعرها فزاده ذلك اعجابا بها وكان قد بعث زوجها فى بعض جيوشه فكتب اليه أن سر الى مكان كذا وكذا مكانا اذا وصل اليه قتل ولم يرجع ففعل فأصيب فخطبها داود وتزوجها وقال بعضهم فى سبب ذلك كما أخبرنا قتادة عن الحسن بن محمد ان داود عليه السلام قال لبنى اسرائيل حين ملك والله لاعدلن فيكم ولم يستثن فابتلى وقال ابو بكر بن محمد بن عمر الوراق كان سبب ذلك ان داود عليه السلام كان كثير العبادة فأعجب بعمله فقال هل فى الارض أحد يعمل عملى فأتاه جبريل عليه السلام فقال ان الله تعالى يقول اعجبت بعبادتك والعجب يأكل العبادة فان أعجبت ثانيا وكلتك الى نفسك فقال داود يارب كلنى الى نفسى سنة فقال انها لكثير قال فشهرا فقال انه لكثير قال فاسبوعا فقال انه لكثير قال فيوما قال انه لكثير قال فساعة قال فشأنك بها قال فوكل الحراس ولبس الصوف ودخل المحراب ووضع الزبور بين يديه فبينما هو فى نسكه وعبادته اذ وقع الطائر بين يديه وكان من أمر المرأة ما كان قالوا فلما دخل داود بامرأة أوريا لم يلبث الا يسيرا حتى بعث الله تعالى ملكين فى صورة رجلين فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه فى يوم عبادته فمنعهم الحراس أن يدخلا عليه فتسوروا المحراب وهو يصلى فما شعر الا وهما بين يديه جالسان فذلك قوله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم حين هجما عليه فى محرابه بغير اذنه قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط أى ولا تجر ولا تفرط واهدنا الى سواء الصراط ارشدنا الى وسط الطريق المستقيم ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة وهذا من أحسن التعريض حيث كنى بالنعاج عن النساء والعرب تفعل ذلك كثيرا تورى عن النسا وتكنى عنها بألقاب كالظباء والنعاج والبقر وهو كثير فاش فى أشعارهم فقال اكفلنيها وعزنى فى الخطاب قال الضحاك اعطنيها وتحول لى عنها واجعلها كفلى أى نصيبى وعزنى فى الخطاب قال الضحاك يقول ان تكلم كان أفصح منى وان حارب كان أبطش منى فقال داود لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه قال السدى بأسناده ان أحدهما لما قال ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة قال داود للآخر ما تقول قال ان لى تسعا وتسعين نعجة وله نعجة واحدة فاريد أن آخذها منه وأكمل نعاجى مائة قال وهو كاره قال نعم قال اذا لا ندعك وان رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا يعنى طرف الانف واصل الجبهة فقال الرجل يا داود أنت أحق بضرب هذا منى حيث كان لك تسع وتسعون امرأة ولم يكن لاوريا الا امرأة واحدة فلم تعرضه للقتال حتى قتل وتزوجت

امراته

امرأته فهذا وجه الآية لان دواد حكم قبل أن يسمع كلام الخصم الآخر قالوا ثم ان
داود نظر فلم ير أحدا فعرف ما قد وقع فيه فذلك قوله تعالى وظن داود انما فتناه أى
ابتليناه وقال سعيد بن جبير انما كانت فتنة داود بالنظر قال الاستاذ رحمه الله تعالى
ولم يتعمد داود عليه السلام النظر الى المرأة ولكنه أعاد النظر اليها فصارت عليه
وبالا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى
وعليك الاخيرة فهذه أقاويل السلف الصالحين من أهل التفسير فى قصة داود عليه
السلام وقد روى الحرث الاعور عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال من حدث
بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص معتقدا صحته جلدته حدين لعظيم
ما ارتكب وجليل ما احتقب يعنى ما اكتسب من الوزر والاثم برمى من قد رفع الله محله
وأرسله من خلقه رحمة للعالمين وحجة للمجتهدين وقال القائلون بتنزيه المرسلين فى هذه
القصة ان لا ذنب انما كان تمنى ان تكون له امرأة أورياء حلالا وحدث نفسه بذلك
فاتفق له غزوة فأرسل أورياء فقدمه امام الحرب فاستشهد فلما بلغه قتله لم يجزع عليه
ولم يتوجع له كما كان يجزع على غيره من جنده اذا هلك ووافق قتله مراده ثم تزوج
امرأته فعاتبه الله على ذلك لان ذنوب الانبياء وان صغرت فهى عظيمة عند الله وقال
بعضهم كان ذنب داود ان أورياء كان قد خطب تلك المرأة ووطن نفسه عليها فلما
غاب فى غزاته خطبها داود فتزوجت منه لجلالته فاغتم لذلك أورياء غما شديدا
فعاتبه الله على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لخاطبها الاول وقد كان عنده تسع
وتسعون امرأة ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يبع أحدكم على بيع أخيه
ولا يخطب على خطبة أخيه ومما يصدق ما ذكرناه ما قيل عن المفسرين المتقدمين مما
أخبرنا به عقيل بن محمد الفقيه المغافرى عن زكريا عن أنس بن مالك قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان داود عليه السلام حين نظر الى المرأة قطع على
بنى اسرائيل بعثا وأوصى صاحب البلقاء اذا حضر العدو فقدم فلانا بين يدى التابوت
وكان التابوت فى ذلك الزمان يستنصر به ومن قدم بين يديه لم يرجع حتى يقتل
أو ينهزم الجيش عنه فقتل زوج المرأة ونزل الملكان ليقصان عليه قصته ففطن داود
وسجد فمكث أربعين ليلة ساجدا يبكى حتى نبت الزرع من دموعه حول رأسه
وأكلت الارض جبينه وهو يقول فى سجوده زل داود زلة هى ابعد مما بين المشرق
والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود وتغفر له ذنبه جعلت ذنبه حديثا فى الخلائق
من بعده فجاء جبريل عليه السلام بعد اربعين ليلة فقال يا داود ان الله تعالى قد
غفر لك الهم الذى هممت به فقال داود قد علمت ان الله قادر على ان يغفر الهم
الذى هممت به وقد عرفت ان الله عدل لا يحيف فكيف بفلان يعنى اورياء اذا

جاء يوم القيامة فقال يارب دمي الذي عند داود قال جبريل ما سألت ربك عن
ذلك ولئن شئت لافعلن قال نعم فرجع جبريل عليه السلام وسجد داود فمكث
ماشاء الله ثم نزل فقال قد سألت الله ياداود عن الذي ارسلتني فيه فقال الله
تعالى قل لداود ان الله يجمعكما يوم القيامة فيقول له هب لي دمك الذي عند داود
فيقول هو لك يارب فاقول ان لك في الجنة ماشئت وما اشتهيت عوضا عن دمك
أخبرنا ابن فنجويه باسناده عن كعب الاحبار عن وهب بن منبه قالوا جميعا ان
داود عليه السلام لما دخل عليه الملكان وقضى على نفسه تحولا في صورتهما
فعرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه وعلم داود انما فتناه فخر ساجدا أربعين
يوما لا يرفع رأسه الا لحاجة لا بد منها أو صلاة مكتوبة ثم يعود فيسجد تمام أربعين
يوما لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادي
ربه تعالى ويسأله التوبة وكان يقول في سجوده * سبحان الملك الاعظم الذي يبتلى
الخلائق بما يشاء سبحان خالق النور * سبحان الحائل بين القلوب * الهي خليت
بيني وبين عدوي ابليس فلم اتنبه لفتنته اذ زل بي قدمي سبحان خالق النور * الهي
تبكي الثكلى على ولدها اذا فقدته ويبكي داود على خطيئته سبحان خالق النور *
تغسل الثوب فيذهب درنه ووسخه والخطيئة لازمة لي لا تذهب عني سبحان خالق
النور * الهي لم أتعظ بما وعظت به غيري سبحان خالق النور * الهي أمرتني أن اكون
لليتيم كالاب الرحيم وللارملة كالزوج العطوف فنسيت عهدك سبحان خالق النور *
الهي خلقتني وفي سابق علمك كان ما أنا صائر اليه سبحان خالق النور * الهي الويل
لداود اذا كشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطئ سبحان خالق النور * الهي بأي
عين أنظر اليك يوم القيامة وانما ينظر الظالمون من طرف خفي سبحان خالق النور *
الهي بأي قدم أقوم امامك يوم تزل أقدام الخاطئين يوم القيامة من سوء الحساب
سبحان خالق النور * الهي مضت النجوم وكنت اعرفها باسمائها فتؤنسني فتركتني
والخطيئة لازمة لي سبحان خالق النور * الهي أمطرت السماء ولم تمطر حولي واعشبت
الارض ولم تعشب حولي بخطيئتي سبحان خالق النور * الهي انا الذي لا أطيق حر
شمسك فكيف أطيق حر نارك سبحان خالق النور * الهي انا الذي لا أطيق صوت
رعدك فكيف أطيق صوت جهنم سبحان خالق النور * الهي كنت تستر الخاطئين
بخطاياهم وأنت شاهد حيث كانوا سبحان خالق النور * الهي فرق القلب وجمدت
العينان من مخافة الحريق على جسدي سبحان خالق النور * الهي الطير تسبح لك
وأنا العبد الخاطئ الضعيف الذي لم ارع وصيتك سبحان خالق النور * الهي
الويل لداود من الذنب العظيم الذي أصاب ولا علم له بذلك سبحان خالق النور *

الهي

الهى انا المستغيث وأنت المغيث فمن يدعو المغيث الا المستغيث سبحان
خالق النور ❊ الهى أسألك بأبى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب أن تعطينى سؤلى
سبحان خالق النور ❊ اللهم برحمتك اغفرلى ذنوبى ولاتباعدنى من رحمتك لهوانى
فانك أرحم الراحمين سبحان خالق النور ❊ الهى انى اعوذبك من دعوة لاتستجاب
وصلاة لاتقبل وذنب لايغفر وعذاب لايفتر سبحان خالق النور ❊ الهى انى أعوذبك
بنور وجهك الكريم من ذنوبى التى أوبقتنى سبحان خالق النور ❊ الهى فررت اليك
من ذنوبى واعترفت بخطيئتى فلاتجعلنى من القانطين ولاتخزنى يوم يبعثون سبحان
خالق النور ❊ الهى فرغ الحنين وفرغت الدموع وتناثر الدود من ركبتى وخطيئتى
الزم لى من جلدى سبحان خالق النور ❊ قالوا فأتاه النداء أجائع أنت فتطعم اوظمآن
أنت فتسقى اومظلوم أنت فتنصر ولم يجبه فى ذكر خطيئته بشئ فصاح صيحة فهاج
منها ماحوله ثم نادى يارب الذنب الذى أصبته فنودى ياداود ارفع رأسك فقد
غفرت لك فلم يرفع رأسه حتى أتاه جبريل عليه السلام فرفعه قال وهب بن منبه ان
داود عليه السلام أتاه نداء انى قد غفرت لك فقال يارب كيف وأنت لاتظلم أحدا
فقال اذهب الى قبر أروياء فناده وأنا اسمعه نداءك فتحلل منه قال فانطلق داود عليه
السلام حتى أتى قبره وقد لبس المسوح فجلس عند قبره ثم ناداه ياأروياء فقال لبيك
من هذا الذى قطع على لذتى وأيقظنى قال أناداود قال ماجاءبك يانبى الله قال جئت
أتحلل مماكان منى اليك قال وماكان منك الى قال عرضتك للقتل قال عرضتنى للجنة
وأنت فى حل فاوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ألم تعلم أنى حكم عدل لاأقضى
الا بالحق ألا اعلمته انك تزوجت امرأته قال فانطلق داود اليه فناداه ياأروياء فاجابه
فقال من هذا الذى قطع على لذتى قال أناداود قال يانبى الله ماحاجتك أليس قد
عفوت عنك قال نعم لكن أنا مافعلت بك ذلك الا لمكان امرأتك وانى قد تزوجتها
قال فسكت أروياء ولم يجبه فدعاه فلم يجبه فقام عند قبره وحثا التراب على رأسه ثم
نادى الويل ثم الويل لداود سبحان خالق النور ❊ الويل لداود ثم الويل الطويل لداود
سبحان خالق النور ❊ الويل لداود ثم الويل الطويل له اذا نصبت الموازين القسط ليوم
القيامة سبحان خالق النور ❊ الويل لداود ثم الويل الدائم له حين يؤخذ برقبته ثم
يدفع الى المظلوم سبحان خالق النور ❊ الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب
على وجهه مع الخاطئين الى النار سبحان خالق النور ❊ الويل لداود ثم الويل الطويل
له حين تقربه الزبانية مع الظالمين الى النار سبحان خالق النور ❊ قال فاتاه النداء من
السماء ياداود قد غفرت لك ذنبك ورحمتك ورثيت لطول مكانك واستجبت دعاءك
وأقلت عثرتك قال يارب كيف لى أن تعفوعنى وصاحبى لم يعف عنى قال ياداود ان

يعف أولم يعف فأنا أعطيه يوم القيامة مالم ترعيناه ولم تسمع أذناه فأقول له قد رضيت
عبدي فيقول يارب من أين هذا ولم يبلغه عملي فأقول هذا عوض من أجل عبدي
داود فاستوهبك منه فيهبك لي فقال داود يارب الآن قد عرفت انك قد غفرت
لي فذلك قوله عز وجل فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا
لزلفى وحسن مآب (وروى أبو معشر) عن محمد بن كعب ومحمد بن قيس قالا
في قوله تعالى وان له عندنا لزلفى وحسن مآب ان أول من يشرب الكأس يوم
القيامة داود عليه السلام أخبرنا أبو الحسين بن محمد حدثنا محمد بن علي أخبرنا بكر
ابن أحمد بن معقل أخبرنا عمر بن محمد الشرقي قال النصر الكعبي قال حدثنا أبو سعيد
عبد الله المزني قال حدثنا محمد بن المنكدر عن محمد بن عبد الرحمن بن عوف
حدثني أبو سعيد الخدري قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول
الله اني رأيت الليلة في منامي كأني تحت شجرة والشجرة تقرأ سورة ص فلما بلغت
الشجرة الى السجدة سجدت فسمعتها تقول في سجودها اللهم اكتب لي بها أجرا
واحطط عني بها وزرا وارزقني بها شكرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود عليه
السلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أفسجدت أنت يا أبا سعيد قال
قلت لا يارسول الله فقال أنت احق بالسجدة من الشجرة ثم قرأ رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى بلغ السجدة فسجد ثم قال مثل قول الشجرة (قال وهب بن منبه) ان
داود عليه السلام لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا ترقأ له دمعة
ليلا ولا نهارا وكان أصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة وقسم الدهر بعد الخطيئة على
أربعة أقسام يعني أربعة أيام فجعل يوما للقضاء بين الناس ويوما لنسائه ويوما يسيح
في الفيافي والجبال والقفار والسواحل ويوما يخلو في داره وفيها أربعة آلاف محراب
فيجتمع اليه الرهبان فينوح بعضهم على بعض ويساعدونه على ذلك فاذا كان يوم
سياحته يخرج الى الفيافي فيرفع صوته كالمزامير ويبكي فيبكي معه الشجر والمدر
والطير والوحش حتى يسيل من دموعه مثل الأنهار ثم يجيء الى الجبال فيرفع صوته
كالمزامير فيبكي وتبكي معه الجبال والحجارة والدواب والطير حتى تسيل الأودية من
بكائهم ثم يجيء الى الساحل فيرفع صوته كالمزامير فيبكي وتبكي معه الحيتان ودواب
البحر والطير والماء والسباع فاذا أمسى رجع فاذا كان يوم نوحه على نفسه نادى
مناديه ان اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضر من يساعده (قال) فيدخل الدار
التي فيها المحاريب فيبسط له ثلاث فرش من مسوح حشوها الليف ليجلس عليها
وتجيء الرهبان أربعة آلاف راهب عليهم البرانس وعليهم المسوح وفي أيديهم
العصي ثم يجلسون في تلك المحاريب ثم يرفع صوته بالبكاء والنوح فيرفع الرهبان معه

اصواتهم

أصواتهم فلا يزال يبكي حتى يغرق الفرش من دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب فيجيء ابنه سليمان عليه السلام فيحمله فيأخذ داود من تلك الدموع بكفه ثم يمسح بها وجهه ويقول يارب اغفر لي ما ترى فلو عدل بكاء داود ودموعه بكاء أهل الارض ودموعهم لعدلها (أخبرنا) ابن فنجويه عن عثمان ابن أبي عاتكة انه قال كان من دعاء داود عليه السلام سبحانك الهي اذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي الارض برحبها واذا ذكرت رحمتك ارتدت الي روحي الهي أتيت أطباء عبادك ليداووني فكلهم عليك دلوني وقال صلى الله عليه وسلم خد الدمع في وجه داود مثل خد الماء في الارض (أخبرنا) ابن فنجويه عن الحسن بن عبد الله القرشي قال لما أصاب داود الخطيئة فزع الى العباد فأتى راهبا في قلة جبل فناداه بصوت عال فلم يجبه فلما أكثر عليه الصوت قال الراهب من هذا الذي يناديني قال أنا داود نبي الله قال صاحب القصور الحسنة الحصينة والخيول المسومة والنساء والشهوات لئن نلت الجنة بهذا لانت أنت قال داود فمن أنت قال أنا راهب راغب منزو مترقب قال فمن أنيسك ومن جليسك قال اصعد تره ان كنت تريد ذلك قال فتخلل داود الجبل ورقى الى القبلة فاذا هو بميت مسجى فقال له هذا أنيسك هذا جليسك قال نعم قال وما هذا قال تلك قصته مكتوبة في لوح من نحاس عند رأسه فقرأ داود الكتاب فاذا فيه أنا فلان بن فلان ملك الملوك عشت ألف عام وبنيت ألف قصر وألف مدينة وهزمت ألف عسكر وتزوجت ألف امرأة وافتضضت ألف بكر فبينما أنا في ملكي اذ أتاني ملك الموت فاخذني وأخرجني مما كنت فيه فهذا التراب فراشي والدود جيراني قال فخر داود عليه السلام مغشيا عليه ❊ وعن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يعودون داود عليه السلام فيظنون انه مريض وما به الا الحياء والخوف من الله تعالى (قال وهب بن منبه) لما تاب الله على داود كان يبدأ اذا دعا فيستغفر للخاطئين قبل نفسه فيقول اللهم اغفر للخاطئين فعساك أن تغفر لداود معهم (وعن قتادة) عن الحسن قال كان داود بعد الخطيئة لا يجالس الا الخاطئين ثم يقول تعالوا الى داود الخاطئ ولا يشرب شرابا الا وهو ممزوج بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصعته ولا يزال يبكي حتى يبتل بدموعه وكان يذر عليه الملح والرماد فيأكل ويقول هذا أكل الخاطئين قال وكان داود عليه السلام قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله (وقال وهب) ان داود عليه السلام لما تاب الله عليه قال يارب أغفرت لي قال نعم قال فكيف لي أن لا أنسى خطيئتي فاستغفر منها لي وللخاطئين الى يوم القيامة قال فوسم الله خطيئته في يده اليمنى فما رفع بها طعاما ولا شرابا الا بكى اذا رآها وما قام

خطيبا فى الناس الابسط راحته فاستقبل الناس ليروا وسم الخطيئة (وأخبرنا) عبد الله بن حامد عن ثابت قال كان داود عليه السلام اذا ذكر عقاب الله تعالى تخلعت اوصاله ولا يشدها الا الانين فاذا ذكر رحمة الله تعالى تراجعت (وعن أبى عبد الله ألجلى) قال ما رفع داود بعد الخطيئة رأسه الى السماء قط حتى مات صلى الله على نبينا محمد وعليه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

﴿باب فى ذكر خروج ابن داود على أبيه وما كان من أمرهما﴾

قال وهب وغيره من أهل الكتب ان داود عليه السلام لم يزل قائما بالملك بعد طالوت الى أن كان من أمره وأمر امرأة أوريا ما كان فلما واقع الخطيئة واشتغل بالتوبة منها استخفت به بنوا اسرائيل واستضعفوه واجتمع أهل الزيغ من بنى اسرائيل وذهبوا الى ابن لداود من ابنة طالوت يقال له شالون وقيل انشا وقالوا له قد كبر أبوك واشتغل بخطيئته وتوبته وضاعت حقوق الناس وضعف أمر الملك فلم يزالوا به حتى بايعوه وخلعوا داود وعدلوا عنه ودعا هذا الابن الى نفسه فلما رأى ذلك داود خرج من بين أظهرهم مع ابن أخ له يقال له ثواب وتوغل فى الجبال فأشار قومه على ابنه أن يقتل أباه فلما بلغ ذلك داود أرسل اليه رفيقه وقال له قل له هل سمعت بابن قتل أباه فقال له الابن وهل سمعت أنت بنبى أذنب فلم تقبل توبته فقال له الرسول ان كان الله تعالى قد أذن لك فى هلاكه فلا تباشره أنت فانه لا يحمل فى الآخرة حدوثه منك فقبل منه ذلك فكف عن قتل أبيه داود وبقى ابنه ملكا سنتين فلما تاب الله على داود وصارت الناس تأتيه حارب ابنه فهزمه ووجه فى طلبه قائدا من قواده وأوصاه أن يتوقى حتفه ويتلطف فى أسره فطلبه القائد وهو منهزم فاضطره الى شجرة فربض بها وكان الغلام ذا جمة فتعلق بغصن من أغصانها بشعره فحبسه ولحقه القائد فقتله مخالفا لامر داود عليه السلام فحزن عليه داود حزنا شديدا وتنكر للقائد وكان له بأس شديد فى ملاقاة العدو فكره داود أن يقتله فتركه لاجل مجاهدة العدو فلما حضر داود الموت أوصى ولده سليمان عليهما السلام بقتل القائد فقتله حين فرغ من دفن أبيه وكانت مدة داود من يوم خرج من ملكه وانقطع عنه الوحى الى أن قبل الله توبته ورد عليه ملكه ورجع الى قومه سنتين

﴿باب فى قصة أصحاب السبت﴾

قال الله تعالى واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر اذ يعدون فى السبت الآية (قال) ابن عباس ووهب بن منبه ان قوما من بنى اسرائيل سكنوا قرية على شاطئ البحر بين مصر ومدين يقال لها ايلة حرم الله عليهم صيد الحيتان وسائر العمل يوم السبت وأمرهم أن يتفرغوا العبادته ذلك اليوم وذلك فى زمان داود عليه السلام فكان اذا دخل يوم السبت لم يبق حوت فى البحر الا اجتمع هناك ويخرجن

من الماء خراطيمهن حتى لا يرى الماء من كثرتهن حتى اذا مضى السبت تفرقن
ولزمن مقر البحر لا يرى منهن الا القليل فذلك قوله تعالى اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم
شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم الآية (سمعت أبا القاسم) قال سمعت
أبي يقول سئل الحسن بن الفضيل هل تجد في كتاب الله الحلال لا يأتيك الا قوتا
والحرام يأتيك جزافا قال نعم في قصة داود عليه السلام وأهل ايلة اذ تأتيهم حيتانهم
يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم قال فعمد رجال منهم فحفروا الحياض حول
البحر وشرعوا اليها من الانهار فاذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الانهار فيقبل الموج
بالحيتان الى الحياض فلا تطيق الخروج منها لبعد عمقها وقلة الماء فاذا كان يوم الاحد
أخذوها وقيل انهم كانوا ينصبون الحبال والشصوص يوم الجمعة ويخرجونها يوم الاحد
قال وكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت كثيرا وفي غير يوم السبت لا يأتيهم حوت واحد
فأخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا ثم ربطه الى خشبة في الساحل ثم تركه في
الماء الى يوم الاحد فأخذه فشواه فوجد جاره ريح الحوت فقال له يا فلان اني أجد في
بيتك ريح الحوت فانكره فاطلع الجار في تنوره فاذا هو في بيته فقال له اني أرى الله
سيعذبك فلما رأى العذاب لم يأخذه أخذ في السبت الآخر حوتين فلما رأوا العذاب
لا ينزل عليهم أخذوا وملحوا وأكلوا وباعوا فأثروا وكثرت أموالهم ولم تنزل عليهم
عقوبة فقست قلوبهم وتجبروا وتجرؤا على الذنب وقالوا ما نرى السبت الا قد أحل
لنا وانما حرم ذلك على آبائنا لانهم قتلوا أنبياءهم فلما فعلوا ذلك صار أهل تلك القرية
وكانوا نحوا من سبعين ألفا ثلاثة أصناف صنف أمسك ونهى وصنف أمسك ولم ينه
وصنف انتهكوا الحرمة فكان الذين نهوا اثنى عشر ألفا فلما أبى المجرمون قبول
النصيحة قال الناهون والممسكون والله لنخرجن من القرية ولا نساكنكم في قرية
واحدة ثم قسموا القرية بينهم بجدار ومكثوا على ذلك سنين فلعنهم الله على لسان
داود عليه السلام وغضب عليهم لاصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من
بابهم والمجرمون لم يفتحوا بابهم ولا خرج منهم أحد فلما أبطؤا تسوروا عليهم الحائط
فاذا هم جميعهم قد مسخوا قردة فذلك قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين
ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس أى شديد بما كانوا يفسقون فلما
عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين أى صاغرين نظيره قوله تعالى لعن
الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود يعني عصاة أهل ايلة وعيسى بن مريم
يعني كفار أصحاب المائدة ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون قالوا فلما دخلوا عليهم ورأوا أنهم
قد مسخوا عرفت القردة انسباءهم من الانس ولم تعرف الانس انسباءهم من
القردة فجعل القرد يأتي نسيبه من الانس فيشم ثيابه ويبكي فيقول له الرجل ألم ننهكم

فيقول القرد برأسه نعم قال قتادة صارت الشباب قردة والشيوخ خنازير فما نجا الا الذين نهوا وهلك سائرهم ثم خرج الممسوخون من المدينة وهاموا على وجوههم متحيرين ومكثوا كذلك ثلاثة أيام ثم هلكوا وكذلك لم يبق قوم مسخوا أكثر من ثلاثة أيام ولم يتوالدوا ولم يتناسلوا ثم بعث الله عليهم ريحا ومطرا فقذفهم فى البحر فاذا كان يوم القيامة أعادهم الله تعالى الى صورهم البشرية فيدخلهم النار (وروى) أبو نصر عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أهلك الله قوما ولا قرنا ولا أمة بعذاب من السماء بعدما أنزل الله التوراة على وجه الارض غير أهل القرية التى كانت حاضرة البحر الذين مسخوا قردة ألم تسمع قول الله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى الآية

﴿باب فى قصة داود وسليمان عليهما السلام فى الحرث﴾

قال الله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين (قال ابن عباس) وقتادة كان الحرث زرعا وقال ابن مسعود وشريح كان الحرث كرما قد تدلت عناقيده اذ نفشت فيه غنم القوم رعته ليلا فافسدته والنفش بالليل والهمل بالنهار وهما جميعا الرعى بلا راع وكنا لحكمهم شاهدين لا يخفى علينا منه شئ قال ابن عباس وقتادة ان رجلين دخلا على داود احدهما صاحب غنم والآخر صاحب حرث فقال صاحب الزرع ان هذا انفلتت غنمه ليلا فوقعت فى حرثى فلم تبق منه شيأ فقال له داود اذهب فان الغنم لك فاعطاه رقاب الغنم بالحرث فمرا على سليمان فقال لهما كيف قضى بينكما فاخبراه فقال سليمان لو وليت أمركما لقضيت بغير هذا فاخبر بذلك داود فدعاه فقال له كيف كنت تصنع فى القضاء بينهما قال كنت أدفع الغنم الى صاحب الحرث سنة فيكون له نسلها وصوفها ومنافعها ويبذر صاحب الغنم لاهل الحرث مثل حرثهم فاذا كان العام المقبل وصار الحرث كهيئته يوم أكل فيدفع الى أهله ويأخذ صاحب الغنم غنمه (وقال) ابن مسعود وشريح ان راعيا نزل ذات ليلة بجنب كرم فدخلت الاغنام الكرم وهو لا يشعر فأكلت القضبان وأفسدت الكرم فصار صاحب الكرم من الغد الى داود فقضى بالاغنام لصاحب الكرم لانه لم يكن بين ثمن الاغنام وثمن الكرم تفاوت قال فمرا بسليمان وهو ابن احدى عشرة سنة فقال لهما ما قضى بينكما داود فقصا عليه القصة فقال سليمان غير هذا ارفق بالفريقين فعادا الى داود فاخبراه بذلك فدعا سليمان وقال له بحق النبوة والابوة الا ما أخبرتنى بالذى هو أرفق بالفريقين فقال سليمان تسلم الاغنام الى صاحب الكرم لينتفع بنسلها وصوفها ومنافعها ويعمل الراعى فى اصلاح الكرم الى أن تعود كهيئته ثم يتسلمه صاحبه وترد الاغنام الى صاحبها فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك

فذلك قوله تعالى ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما قال الحسن كان الحكم ماقضى به سليمان ولم يعنف الله داود فى حكمه قال الاستاذ وهذا يدل على ان كل مجتهد مصيب

باب فى قصة استخلاف داود ابنه سليمان عليهما السلام وذكر بدء أمر الخاتم

قال أبو هريرة رضى الله عنه أنزل الله تعالى كتابا من السماء على داود عليه السلام مختوما بخاتم من ذهب فيه ثلاث عشرة مسئلة فأوحى الله تعالى اليه ان سل عنها ابنك سليمان فان هو أخرجها فهو الخليفة من بعدك قال فدعا داود عليه السلام سبعين قسا وسبعين حبرا واجلس سليمان بين أيديهم وقال يابنى ان الله تعالى أنزل على كتابا من السماء فيه مسائل وأمرنى ان أسألك عنها فان اخرجتها فأنت الخليفة من بعدى فقال سليمان ليسأل نبى الله عما بداله وماتوفيقى الا بالله قال داود يابنى ما أقرب الاشياء وما أبعدها وما آنس الاشياء وما أوحشها وما أحسن الاشياء وما أقبحها وما أقل الاشياء وما أكثرها وما القائمان وما الساعيان وما المشتركان وما المتباغضان وما الامر الذى اذا ركبه الرجل حمد آخره وما الامر الذى اذا ركبه الرجل ذم آخره فقال سليمان عليه السلام أما أقرب الاشياء فالآخرة وأما أبعد الاشياء فما فاتك من الدنيا وأما آنس الاشياء فجسد فيه روح وأما أوحش الاشياء فجسد لاروح فيه وأما أحسن الاشياء فالايمان بعد الكفر وأما أقبح الاشياء فالكفر بعد الايمان وأما أقل الاشياء فاليقين وأما أكثر الاشياء فالشك وأما القائمان فالسماء والارض وأما الساعيان فالشمس والقمر وأما المشتركان فالليل والنهار وأما المتباغضان فالموت والحياة وأما الامر الذى اذا ركبه الرجل حمد آخره فالحلم عند الغضب وأما الامر الذى اذا ركبه الرجل ذم آخره فالحدة عند الغضب *قال ففكوا الخاتم فاذا جواب المسائل سواء على ما نزل من السماء فقال القسيسون والرهبان لانرضى حتى نسأله عن مسئلة فان أخرجها فهو الخليفة من بعدك فقال سليمان عليه السلام سلونى وماتوفيقى الا بالله فقالوا له ما الشئ الذى اذا صلح صلح كل شئ من الانسان واذا فسد فسد كل شئ من الانسان فقال هو القلب فقام داود فصعد المنبر فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال ان الله تعالى يأمرنى أن أستخلف عليكم سليمان قال فضجت بنو اسرائيل وقالوا غلام حدث يستخلف علينا وفينا من هو أفضل منه وأعلم فبلغ ذلك داود عليه السلام فدعا رؤساء أسباط بنى اسرائيل وقال لهم انه قد بلغنى مقالتكم فارونى عصيكم فأى عصاة أثمرت فان صاحبها ولى هذا الامر بعدى قالوا قد رضينا فجاؤا بعصيهم فقال لهم داود ليكتب كل رجل منكم اسمه على عصاه فكتبوا ثم جاء سليمان بعصاه فكتب عليها اسمه ثم أدخلت بيتا وأغلق عليها

الباب وسد بالاقفال وحرسه رؤس أسباط بني اسرائيل فلما أصبح صلى بهم الغداة ثم أقبل ففتح الباب فأخرج عصيهم كما هي وأما عصا سليمان فقد أورقت وأثمرت قال فسلموا الامر في ذلك لداود عليه السلام فلما رأى ذلك داود حمد الله وجعل سليمان خلفه ثم ساربه في بني اسرائيل فقال ان هذا خليفتي عليكم من بعدي (قال وهب ابن منبه) لما استخلف داود ابنه سليمان عليهما السلام وعظه فقال يابني اياك والهزل فان نفعه قليل ويهيج العداوة بين الاخوان واياك والغضب فان الغضب يستخف بصاحبه وعليك بتقوى الله وطاعته فانهما يغلبان كل شئ واياك وكثرة الغيرة على أهلك من غير شئ فان ذلك يورث سوء الظن بالناس وان كانوا برآء واقطع طمعك عن الناس فان ذلك هو الغنى واياك والطمع فانه الفقر الحاضر واياك ومايعتذر منه من القول والفعل وعود نفسك ولسانك الصدق والزم الاحسان فان استطعت أن يكون يومك خيرا من أمسك فافعل وصل صلاة مودع ولا تجالس السفهاء ولا ترد على عالم ولا تماره في الدين واذا غضبت فألصق نفسك بالارض وتحول من مكانك وارج رحمة الله فانها وسعت كل شئ * قالوا ثم ان سليمان بعد ان استخلف أخذ في أمره وتزوج بامرأة واستتر عن الناس وأقبل على العلم والعبادة ثم ان امرأته قالت له ذات يوم بأبي أنت وأمي ما أكمل خصالك وأطيب رائحتك ولا أعلم لك خصلة أكرهها الا انك في مؤنة أبي فلو دخلت السوق فتعرضت لرزق الله لرجوت ان لا يخيبك الله فقال سليمان اني ماعملت عملا قط ولا أحسنه ثم انه دخل السوق صبيحة يومه ذلك فلم يقدر على شئ فرجع فأخبرها فقالت غدا يكون ان شاء الله فلما كان اليوم الثاني مضى حتى انتهى الى ساحل البحر فاذا هو بصياد فقال له هل لك ان اعينك وتعطيني شيأ قال نعم فأعانه فلما فرغ اعطاه الصياد سمكتين فأخذهما وحمد الله تعالى ثم انه شق بطن احداهما فاذا هو بخاتم في بطنها فأخذه وصره في ثوبه وحمد الله عز وجل وأخذ السمكتين وجاء بهما الى منزله ففرحت امرأته بذلك فاخرج الخاتم ولبسه في أصبعه فعكفت عليه الطير والريح ووقع عليه بهاء الملك ثم لم يلبث أبوه ان مات فلما مات حمل المرأة وأباها الى اصطخر والله أعلم

﴿ باب في ذكر وفاة داود عليه السلام ﴾

(قال الشيخ أبو يزيد) سمعت الشيخ أبا عمرو الفارابي يروى ان داود عليه السلام كانت له وصيفة تغلق الابواب كل ليلة وتأتيه بالمفاتيح ثم تنام ويقبل داود على ورده في العبادة فأغلقت ذات ليلة الابواب وجاءت بالمفاتيح ثم ذهبت لتنام فرأت رجلا قائما في وسط الدار فقالت له ما أدخلك هذه الدار فان صاحبها رجل غيور فخذ حذرك فقال لها أنا الذي أدخل الدور على الملوك بغير اذنهم قال فلما سمع داود ذلك وكان في المحراب

واقفا يصلى فزع واضطرب وقال لما على به فأتاه فقال له داود ما أدخلك هذه الدار فى هذا الوقت بغير اذن فقال له أنا الذى أدخل الدور على الملوك بغير اذن فقال له اذا فانت ملك الموت قال نعم قال أجئت داعيا أم ناعيا فقال بل ناعيا فقال داود عليه السلام فهلا أرسلت الى قبل ذلك وآذنتنى لاستعد للموت فقال كم أرسلت اليك فلم تنتبه قال ومن كانت رسلك التى أرسلت الى فقال يا داود أين ابوك ايشا وابن أمك أين اخوك وأين جارك أين قهارمتك أين فلان وفلان فقال ماتوا كلهم فقال أما علمت انهم رسلى اليك وان النوبة تبلغك (قال) الاستاذ رضى الله عنه وفى هذا المعنى قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لا يزال المرء ينعى أخاه حتى يكونه وقد يرجو الرجاء فيحول الموت دونه وقد نظمه بعض الشعراء فقال

واذا حملت الى القبور جنازة ❁ فاعلم بأنك بعدها محمول

واذا وليت أمور قوم مدة ❁ فاعلم بأنك عنهم معزول

وقال أهل التاريخ كان عمر داود عليه السلام مائة سنة وكانت مدة ملكه أربعين سنة وقد مضى فى قصة آدم وما وهب لداود من عمره عليهما السلام

﴿مجلس فى قصة سليمان عليه السلام وما يتعلق به﴾

قال الله تعالى وورث سليمان داود يعنى نبوته وحكمته وعلمه وملكه دون سائر أولاده وكان لداود عليه السلام تسعة عشر ابنا (وقال مقاتل) كان سليمان عليه السلام أعظم ملكا من أبيه داود وأقضى منه وكان داود عليه السلام أشد تعبدا من ابنه سليمان وكان سليمان حين آتاه الله الملك والحكمة ابن ثلاث عشرة سنة وكان ملكه ما بين الشام الى اصطخر وقيل انه ملك الارض كلها (وروى) مجاهد عن ابن عباس قال ملك الارض أربعة مؤمنان وكافران فاما المؤمنان فسليمان عليه السلام وذو القرنين وأما الكافران فالنمروذ بن كنعان وبختنصر

﴿باب فى صفة حليته عليه السلام﴾

(قال وهب بن منبه وكعب الاحبار) كان سليمان أبيض جسيما وضيئا جميلا كثير الشعر يلبس من الثياب البياض وكان خاشعا متواضعا يخالط المساكين ويجالسهم و يقول مسكين جالس مسكينا وكان أبوه فى أيام ملكه يشاوره فى كثير من أموره مع صغر سنه ووفور عقله وعلمه صلى الله على نبينا محمد وعليه وسلم

﴿باب فيما خص الله به نبيه سليمان عليه السلام حين ملكه من أنواع المناقب والمواهب وغير ذلك﴾

قال الله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وقال الله تعالى اخبارا عنه رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد

من بعدى انك أنت الوهاب فأجاب الله دعاءه وأكرمه بخصائص لم يكرم بها أحدا من خلقه قبله ولا بعده فمنها تسخير الله له الريح كما قال عز وجل فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب اى أراد بلغة حمير (قال) محمد بن اسحق وغيره من أصحاب الاخبار كان سليمان عليه السلام رجلا غزاء لا يكاد يقعد عن الغزو وكان لا يسمع بملك فى ناحية من الارض الا أتاه حتى يذله ويقهره وكان اذا أراد الغزو أمر بعسكره فيضرب له خشب ثم ينصب له على الخشب سرير ثم يحمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب كلها حتى اذا حمل معه ما يريد أمر العاصف من الريح فدخلت تحت تلك الخشب فحملتها حتى اذا استقلتها أمر الرخاء فمرت به شهرا فى غدوته وشهرا فى روحته الى حيث أراد كما قال تعالى ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وقال ابن اسحق ذكر لى ان رجلا نزل منزلا من ناحية الدجلة فوجد فيه كتابا مكتوبا كتبه بعض أصحاب سليمان امامن الجن أو من الانس نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون ان شاء الله تعالى فبائتون الشام قال وكان فيما بلغنى تمر بعسكره الريح الرخاء تهوى به الى حيث أرادوانها لتمر بالمزرعة فلا تحركها (وأخبرنا) الحسن بن محمد بن فنحويه باسناده عن وهب بن منبه عن أبيه قال ان سليمان عليه السلام ركب الريح يوما فمرت بحراث فنظر اليها الحراث وقال لقد أوتى آل داود ملكا عظيما فحملت الريح كلامه وألقته فى أذن سليمان عليه السلام فنزل حتى أتى الحراث وقال له انى سمعت قولك وانما نزلت اليك لئلا تتمنى مالا تقدر عليه ان تسبيحة واحدة يقبلها الله منك خير مما أوتى آل داود فقال له الحراث أذهب الله همك كما أذهبت همى * وقال مقاتل نسجت الشياطين لسليمان عليه السلام بساطا فرسخا فى فرسخ ذهبا فى ابريسم وكان يوضع له منبر من الذهب فى وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسى من الذهب والفضة فيقعد الانبياء على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظلهم الطير بأجنحتها لئلا تقع عليهم الشمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح ومسيرة شهر من الرواح الى الصباح (أخبرنا) ابن فنحويه باسناده عن محمد ابن كعب القرظى قال بلغنى ان عسكر سليمان عليه السلام كان مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون منها للجن وخمسة وعشرون منها للوحوش وخمسة وعشرون منها للطيور وكان له ألف بيت من القوارير على الخشب فيها ثلثمائة سرية وسبعمائة امرأة فيأمر الريح العاصفة فتحمله ويأمر الرخاء فتسير به فأوحى الله تعالى اليه وهو سائر بين السماء والارض انى قد زدت فى ملكك انه لا يتكلم أحد

من

من الخلائق بشئ الا جاءت الريح به اليك فاخبرتك به (ومنها) تعليم الله له كلام الطير حتى النمل كما قال تعالى يا أيها الناس علمنا منطق الطير الآية (قال ابن فنجويه) باسناده عن كعب الاحبار قال صاح ورشان عند سليمان فقال أتدرون ما يقول قالوا لا فقال انه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب وصاحت فاختة عند سليمان فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول استغفروا الله يا مذنبين فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله قال وصاح الطيطوا فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كل حي ميت وكل جديد بال قال وصاح خطاف فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول قدموا خيرا تجدوه فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله وهدرت حمامة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وملء أرضه وصاح قمري فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول سبحان الحي الذي لا يموت أبدا وصاح غراب فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يلعن العشارين والحدأة تقول كل شئ هالك الا وجهه والقطا تقول من سكت سلم والعنقاء تقول ويل لمن الدنيا همه والبازي يقول سبحان ربي الاعلى وبحمده والضفدع يقول سبحان ربي القدوس والعصفور يقول سبحان المذكور بكل مكان (وأخبرنا ابن ميمون) باسناده عن مكحول قال صاح دراج عند سليمان عليه السلام فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول الرحمن على العرش استوى وباسناده عن صالح المري عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الديك اذا صاح يقول اذكروا الله يا غافلين وروى عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده عن الحسين بن علي عليهم السلام انه قال اذا صاح النسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت فان آخرك الموت واذا صاح العقاب قال في البعد عن الناس أنس واذا صاح القنبر قال اللهم العن مبغضي آل محمد واذا صاح الخطاف قرأ الحمد لله رب العالمين ويمد الضالين كما يمدها القارئ (وقال فرقد السبخي) مر سليمان ببلبل فوق شجرة وهو يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه أتدرون ما يقول هذا البلبل قالوا الله ورسوله أعلم قال انه يقول أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفا (وأخبرنا) أبو عبد الله بن حامد باسناده عن ابن مسعود عن أبيه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفرة فمررنا بشجرة فيها فرخا حمامة فاخذناهما فجاءت الحمامة وشكت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم من فجع هذه الحمامة بفرخيها فقلنا نحن فقال ردوهما الى موضعهما (وروى)

قوله يا مذنبين هكذا في نسخ الاصل ولعلها الرواية ولينظر وجهها كما ينظر وجه قوله يا غافلين في الحديث الآتي فتدبر اه

ان قنبرة باضت فى طريق سليمان عليه السلام فقال الذكر للانثى ألم أنهك أن
تبيضى فى طريق سليمان الملك لو ركب الينا لحطم بيضنا فقالت الانثى ويحك ان
نبى الله أرحم بنا من ذلك فسمع سليمان قولهما فبعث اليهما جنيا حين أراد أن
يركب وقال اجعل بيضهما تحت رجليك واياك أن تصيبه بشئ فلما مر سليمان فى
موكبه وجاوزهما قالت الانثى ألم أقل لك ان نبى الله أرحم بنا من ذلك فقال الذكر
للانثى عندى للملك هدية قالت وما عندك قال عندى جرادة ادخرتها الولدى فقالت
الانثى عندى تمرة ادخرتها الولدى قال فأخذ التمرة والجرادة ثم طارا حتى وقفا
بين يدى سليمان وهو على سريره فى مجلسه فوضعاهما بين يديه وسجدا له فدعا لهما
ومسح بيده على رؤسهما فيروى ان هذه القشرة التى على رأس القنبر من مسح سليمان
عليه السلام اياهما * قال ومر سليمان بموكبه على نملة فقالت النملة سبحان الله
العظيم ما أعظم ما أوتى آل داود فتبسم سليمان من قولها وفسر قولها لجنوده ثم قال
ألا أنبئكم بخبر هو أعجب من هذه النملة قالوا بلى قال تقول اتقوا الله فى السر
والعلانية والقصد فى الغنى والفقر والعدل فى الغضب والرضا (وروى) ان سليمان
عليه السلام خرج يوما يستسقى ومعه الانس والجن فمر بنملة عرجاء ناشرة جناحيها
رافعة يديها وهى تقول اللهم انا خلق من خلقك لاغنى لنا عن رزقك فلا تؤاخذنا
بذنوب بنى آدم واسقنا فقال سليمان لمن معه ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم (وحكى)
ان نملة دبت على سليمان فحملها ورمى بها فوقعت النملة فقالت ما هذه الصولة
وما هذا البطش أما علمت انى أمة من أنت عبده فغشى على سليمان فلما أفاق قال
ائتونى بها فأتوه بها فسألها فقالت له جلدى رقيق وبدنى ضعيف وأخذتنى ورميتنى
فقال لها سليمان اجعلينى فى حل فانى لم أقصد ذلك فقالت بشرط أن لا تنظر الى
الدنيا بعين الشهوة ولا تستغرق فى شهواتك وضحكك ولا يستعين أحد بجاهك الا
بذلته له قال قد فعلت ذلك قالت فأنت فى حل (ومنها قصة وادى النمل) قال الله
الله تعالى وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون أى يحبس
أولهم على آخرهم حتى اذا أتوا على وادى النمل الآية قال الشعبى وكعب
وغيرهما من أهل الكتب ان سليمان عليه السلام كان اذا ركب حمل أهله
وحشمه وخدمه وكتابه فى مركبه الذى هيئ له وقد اتخذ فيه مطابخ ومخابز يحمل
فيها تنانير الحديد وقدورا عظاما يسع كل قدر عشرة من الجزر وقد اتخذ ميادين
للدواب امامه فيطبخ الطباخون ويخبز الخبازون وتجرى الدواب بين يديه بين السما
والارض والريح تهوى بهم فسار من اصطخر الى اليمن وتوغل فى البادية فسلك عل
مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال سليمان هذه دار هجرة نبى يبعث فى آخر الزما

طوبى لمن آمن به واتبعه ثم اتى أرض الحرم فرأى حول البيت أصناما تعبد من دون الله فجاوز البيت فلما جاوزه سليمان بكى البيت فاوحى الله تعالى الى البيت ما يبكيك فقال يارب هذا نبي من انبيائك وقوم من اوليائك مروا على فلم يهبطوا بي ولم يصلوا عندي ولم يذكروك بحضرتي وهذه الاصنام تعبد حولي من دونك قال فاوحى الله تعالى اليه لاتبك فاني سوف املؤك وجوها سجدا الي وأنزل فيك قرآنا جديدا وأبعث منك في آخر الزمان نبيا هو احب الانبياء الي وأجعل فيك عبادا من خلقي يعبدونني وأفرض على عبادي فريضة يزفون بها اليك زفا مثل زفيف النسور الى اوكارها ويحنون اليك حنين الناقة الى ولدها والحمامة الى بيضها وأطهرك من الاوثان وعبدة الشيطان ثم أمر الله سليمان عليه السلام ان ينزل عليه ويصلي فيه ويقرب عنده قربانا ففعل ذلك قال فذبح عند الكعبة خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة وقال لمن حضر من أشراف قومه ان هذا المكان يخرج منه نبي عربي ويعطى النصر على جميع من ناواه ويكون السيف على رقبة من خالفه وتبلغ هيبته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده سواء لاتأخذه في الله لومة لائم فطوبى لمن أدركه وصدقه قالوا فكم بيننا وبين خروجه يانبي الله قال قريب من ألف عام (قال) ثم ان سليمان مضى حتى أتى على وادي السدير واد من الطائف فأتى على وادي النمل فقامت نملة تمشي وكانت عرجاء تتكاوس وكانت مثل الذئب العظيم وقال الشعبي كانت ذات جناحين واختلفوا في اسمها فأخبرني ابن ميمونة باسناده عن الضحاك قال كان اسم نملة سليمان طاخية وقيل حرمي فنادت لما رأت سليمان في موكبه ياأيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون وكان لايتكلم خلق الاحملته الريح وألقته في مسامع سليمان قال مقاتل فسمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي الآية وفي بعض الاخبار ان سليمان لما سمع قولها نزل عليها وقال ائتوني بها فأتوه بها فقال لها لم حذرت النمل هل سمعتم انى ظالم أما علمتم اني نبي عدل فلم قلت لايحطمنكم سليمان وجنوده قالت النملة يانبي الله أما سمعت قولي وهم لايشعرون مع اني ما أردت حطم النفوس وانما أردت حطم القلوب خشيت ان يتمنين ما أعطيت فيفتتن ويشتغلن بالنظر اليك عن التسبيح فقال لها عظيني فقالت له النملة هل علمت لم سمي أبوك داود قال لا قالت لانه داوى جراحة قلبه ثم قالت وهل تدري لم سميت سليمان قال لا قالت لانك سليم ركنت الى ما أوتيت بسلامة صدرك وحق لك ان تلحق بأبيك داود ثم قالت أتدري لم سخر الله تعالى لك الريح قال لا قالت ليخبرك ان الدنيا كلها ريح فتبسم ضاحكا من قولها متعجبا وقال

رب اوزعني ان أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي الآية (أخبرني) ابن ميمونة باسناده عن ابن عباس قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أربعة من الدواب الهدهد والصرد والنحلة والنملة (ومنها قصة العنقاء في اثبات القضاء والقدر) أخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد باسناده عن محمد بن جعفر الصادق قال عاتب سليمان الطير في بعض عتابه فقال لها انك تأتين كذا وتفعلين كذا فقالت والله رب السماء والثرى انا لنحرص على الهدى ولكن قضاء الله يأتي الى منتهى علمه وقدره قال صدقت لا حيلة في القضاء فقالت العنقاء لست أومن بهذا فقال لها سليمان الا أخبرك بأعجب العجب قالت بلى قال انه ولد الليلة غلام بالمغرب وجارية بالمشرق هذا ولد ملك كبير وهذه ابنة ملك والجارية والولد يجتمعان في امنع المواضع بقدرة الله تعالى وأهولها على سفاح في جزيرة في وسط البحر فقالت العنقاء يا نبي الله أو قد ولد هذان الولدان المذكوران قال نعم الليلة قالت فهل أخبرت بهما من هما وما اسمهما واسم ابيهما قال بلى اسمهما كذا وكذا واسم ابيهما كذا وكذا فقالت العنقاء يا نبي الله أنا أبطل القدر وأفرق بينهما فقال لها سليمان انك لا تقدرين على ذلك قالت بلى فأشهد سليمان عليها الطير وكفلتها البومة فمرت العنقاء وكانت في كبر الجمل عظما ووجهها وجه انسان ويداها يدا انسان وثدياها ثديا امرأة وأصابعها كذلك فحملت في الهواء حتى أشرفت على الدنيا فابصرت كل دار وما فيها وكل انسان وأبصرت الجارية وهي في مهدها وقد أجلسوها فاختلست الجارية من المهد وطارت بها حتى انتهت الى جبل شاهق في السماء في جوف البحر ووسط جزيرة وفي الجزيرة شجرة عالية لا ينالها طائر الا بجهد طيرانه ولها أغصان عظيمة تزيد على ألف غصن كل غصن كأعظم ما يكون من شجر الارض كثيرة الورق فاتخذت لها وكرا في وسط الشجرة عجيبا واسعا مضيأ وطيأ وأرضعتها وحضنت الجارية تحت جناحها وصارت تأتيها بأنواع الطعام والشراب وتحفظها من البرد والحر وتؤنسها بالليل ولا تخبر أحدا بشأنها كي يتم أمرها وهي تغدو الى سليمان وتروح الى وكرها فعلم سليمان بذلك ولم يبده لها فبلغ الغلام مبلغ الرجال وصار ملكا من ملوك الدنيا وكان يلهو بالصيد ويحبه ويطلبه فصار لا يقر ليلا ولا نهارا وكان أبوه ملكا عظيما فلما رأى الملك ولده لاهيا بالصيد لم يزجره عنه حتى نال منه منالا طويلا وأمرا عظيما فقال يوما لاصحابه كل صيد البر وفلواته ومفازاته قد نلت منه فلو ركبت البحر فأنال من صيده فانه كثير الصيد وكثير العجائب فقال له المشيرون من وزرائه نعم ما رأيت وهو أكثر شيء من خلق الله صيدا وعجائب فامر الغلمان بتجهيز ما يحتاجون اليه وهيأ السفن وجعل يأخذ من كل شيء يملكه وأخذ من الوزراء والندماء والمشيرين والغلمان والجواري والطباخين والخبازين والدواب

والبزاة والصقور وكلاب الماء وجميع ما يحتاجون اليه مما يريده ويشتهيه من الملاهي
وركب السفن ومر في البحر كذلك يتصيد ويتلذذ بالفرح ولا يعرف شيأ غير ذلك حتى
سار مسيرة شهر فأرسل الله تعالى على سفينته ريحا خفيفة فضربتها وساقتها حتى
قربت من جزيرة العنقاء والجارية وهي مسيرة خمسين سنة في منتهى خمسين ليلة كل
ليلة مسيرة سنة ثم ركدت سفينته باذن الله تعالى وأصبح الغلام فرأى سفينته راكدة
فأخرج رأسه من ناحية ونظر فاذا هو بجبل شاهق في وسط جزيرة في البحر في لون
الزعفران طويلة لا يدرى أين منتهاها ولا عرضها واذا هو بشجرة خضراء في رأس
الجبل ملتفة كثيرة الاغصان والاوراق ورقها في عرض آذان الفيلة تفوح بريح
الاقحوان ليس لها ثمر بيضاء الساق فقال لاصحابه اني أرى عجبا أرى جبلا شاهقا
في وسط جزيرة لم أر مثله ولا مثل طوله ولا عرضه وأرى شجرة فيها كل حسن قد أعجبني
منظرها ثم انه حرك سفينته وجاء بها الى الجزيرة التي فيها الجبل وأرساها عندها وقال
لاصحابه أقيموا ههنا حتى أمشي وأبصر هذه الجزيرة وهذا الجبل الذي في وسطها هل
فيها عمارة أو أثر آدمي في تلك الجزيرة وآتيكم بخبرها ثم انه نزل من السفينة هو ورفقته
وداروا في الجزيرة فلم يروا فيها أثر عمارة ولا عبرها آدمي قبله ثم انه صعد الى رأس الجبل
فرأى أصل الشجرة وكانت الجارية قد نظرت الى السفينة وهي جارية فلم تعرف ماهي
لانها أخذت صغيرة ولم تدر ما السفن فبقيت متعجبة وليس عندها أحد تسأله عن
ذلك فبينما هي متفكرة في أمر السفينة اذ احس حديث الآدميين فأخرجت رأسها
من الوكر فنظرت يمينا وشمالا فلم تر أحدا فنظرت الى أصل الشجرة فاذا بالغلام ورفقته
فتعجبت منهم لما رأت من حسنهم وجمالهم وكيف وصلوا الى ذلك الموضع وان الغلام
لما بلغ أصل الشجرة نظر يمينا وشمالا وبقي متعجبا من عظم تلك الشجرة ورفعها
في السماء وصار ينظر الى أغصانها وكانت الجارية قد أخرجت رأسها لتنظر الى
السفينة فحانت منها التفاتة الى أصل الشجرة فوقعت عينها في عين الغلام فرأى
الغلام صورتها ورأى عجبا من عظم جمالها وكثرة شعرها وذوائبها فقال
لها الغلام بلسان فصيح أجنية أنت أم أنسية قالت لا والله أنا من خيار الانس
فمن أنت فأفهمها لغته فقالت لا أدري ما تقول وما أنت الا اني أرى وجهك
كوجهي وكلامك ككلامي واني لا أعرف شيأ غير العنقاء وهي أمي
التي ربتني وحضنتني وهي تأتيني كل ليلة وتسميني بنتها فقال لها الغلام
وأين العنقاء فقالت هي في نوبتها فقال الغلام وما نوبتها قالت تغدو كل يوم الى
ملكها سليمان فتسلم عليه وتقيم عنده الى الليل ثم تجيئني وتحدثني بكل ما يحكم به
سليمان وانه لملك عظيم على ما تصفه لي أمي العنقاء من ملكه وانها تخبرني انه أحسن

الناس وجها وأتم خلقا مني قال فارتعد الغلام ثم قال عرفته وهو الذي قتل أبي وسبى
دولته واني لمن طلقائه وممن يؤدي اليه الخراج وقد سخر الله له الطير والرياح ثم بكى
الغلام ساعة فقالت له الجارية ما يبكيك قال على وحدتك في مثل هذا الموضع الذي
لا انس فيه ولا أحد وان مثلك في الدنيا عدد الشجر والمدر وكلهم في مقاصير الذهب
والفضة والعيش الهنيء والرغد واللذة الحسنة مع الازواج يتعانقون ويتنعمون
ويتوالدون الاولاد مثل خلقك وخلقي ارأيت ان هاجت الريح فازعجتك من وكرك
من يمنعك أن تقعي في البحر وان وقعت في البحر فمن ذا الذي يخرجك قال ففزعت
الجارية من قوله وقالت وكيف لي أن يكون معي انسي مثلك يحدثني بمثل حديثك
ويحفظني مما ذكرت فقال لها الغلام أولا تعلمين أن الله اتخذ سليمان نبيا وسخر له
الريح والطير هو الذي رحلك وساقني اليك لا كون لك الفا وصاحبا وانيسا واني لمن
أولاد الملوك فقالت له الجارية وكيف تصير الي وأصير اليك وان العنقاء هذه تروح
وتجيء وتحضنني الى صدرها بين جناحيها فقال لها الغلام تكثرين جزعك ووحشتك
وبكاءك على العنقاء ليلتك هذه فاذا جاءت اليك وقالت لك ما تحبين وما تريدين
وما شأنك فاخبريها بوحدتك في نهارك ثم انظري ما يكون من ردها عليك فاخبريني
بذلك ففعلت وان العنقاء رجعت اليها فوجدتها باكية حزينة فقالت لها يا بنية
مالك فقالت الوحدة والوحشة قتلتني واني لمنزعجة على نفسي من ذلك فقالت لها يا بنية
لا تخافي ولا تحزني فاني أستأمر سليمان عليه السلام أن آتيه يوما ويوما لا آتيه
فيكون ذلك أنسا لك فلما أصبحت أخبرت الغلام بجوابها فقال لها أو تصبرين على
ذلك لا ولكني سأنحر من دوابي هذه فرسا وابقر بطنه وأخرج ما فيه وأطيبه بطيب
معي وأدخل أنا في جوفه وألقيه على رأس سفينتي هذه فاذا جاءتك العنقاء تقولين لها
أرى عجبا أرى خلقة ملقاة على كوثل هذه السفينة فلو اختطفتيها وحملتيها الي
فكانت معي في وكري فانظر اليها وآنس بها كان أحب الي من كونك عندي
نهارا وامساكك عن أخبار سليمان وأخبار المسلمين فلما رجعت العنقاء وجدتها على
حالتها وكان سليمان قد شغل عنها فلم تصل اليه في استئذانها اياه في المقام يوما والغدو
يوما فقالت لها يا بنية ان نبي الله قد اشتغل عني اليوم بالحكم بين الآدميين فلم أصل
اليه قالت لها اني لا أريد أن تتخلفي عنه نهارا المكان أخبار سليمان وأخبار المسلمين
واني أرى عجبا في البحر أرى شيئا مرتفعا فما هو قالت لها العنقاء هذه سفينة قوم
سيارة راكبين في البحر قالت فما الذي أراه ملقى على رأس هذه السفينة قالت
دابة ميتة ألقوها قالت فاحمليها الي لاستأنس بها وانظر اليها فانقضت العنقاء
فاختطفت الفرس وكان الغلام في بطنها فحملتها الى عشها فقالت الجارية يا أماه

ما أحسنه وضحكت ففرحت العنقاء بذلك وقالت يا بنية لو علمت لكنت
أتيتك بمثل هذا منذ حين ثم انها طارت الى نوبتها عند سليمان فخرج الغلام من
بطن الفرس فلاعبها ولامسها واقتضها وأحبلها من ساعتها وفرح كل واحد منهما
بصاحبه واستأنس به وكان سليمان عليه السلام قد جاءه الخبر باجتماعهما من
قبل الريح وان العنقاء راحت وكان مجلس سليمان يومئذ مجلس الطير وحكمهم
فجلس سليمان عليه السلام للطير في مرتبته ودعا بعرفاء الطير وأمرها أن لا تدع
طيرا الا حشرته اليه فحشرت اليه جميع الطيور ثم أمر عرفاء الجن أن يحشروا قبائل
الجن من سكان البحار وسكان الجزائر والهواء والمغارات والفلوات والامصار
فحشروا اليه وأمر الشياطين فاحضرت كذلك وكذلك الانس كهيئتهم ثم كل
دابة تدب على وجه الارض فاشتد الخوف وقالوا في أنفسهم نشهد بالله ان نبي الله
قد أهمه أمر عظيم فأول سهم قد خرج في تقديم الطير سهم الحدأة وكانت الطير لا تتقدم
الا بالسهام وكذلك الجن والشياطين فتقدمت الحدأة تدعي على زوجها وكان
قد جحدها ولدها فقالت يا نبي الله انه سفدني حتى اذا احتضنت بيضي وأخرجت
ولدي جحدنيه فقال سليمان للذكر ما تقول فقال يا نبي الله انها لا تمتنع من الطير وهي
تحوم البراري فلا أدري هل هو مني أو من غيري قال فأمر سليمان بولدها فجيء به
فوجد الشبه واحدا فألحقه بالذكر ثم قال لها لا تمكنيه من السفاد حتى
تشهدي عليه بذلك الطير بالصراخ فانه لا يجحدك بعدها أبدا الى يوم القيامة فهي
اذا سفدها ذكرها صاحت وقالت يا طيور سفدني اشهدوا معاشر الطيور اشهدوا ثم
خرج سهم العنقاء فتقدمت اليه فقال لها سليمان ما قولك في القدر فقالت يا نبي الله
لي من القوة والاستطاعة ما أدفع الشر وأفعل الخير فقال لها سليمان فأين الشرط
الذي كان بيني وبينك زعمت انك تفرقين بقوتك واستطاعتك بين الجارية والغلام
فقالت قد فعلت قال سليمان الله أكبر فأتيني بها الساعة والخلق شهود لاعلم صدق
قولك ثم أمر عريف الطير أن يكون معها لا يفارقها حتى تأتي بها فمرت العنقاء حتى
قربت من الجارية وكانت الجارية اذا قربت منها العنقاء تسمع حفيف اجنحتها
فيبادر الغلام ويدخل جوف الفرس فلما رأتها البنت قالت لها كالفزعة ان لك شأنا
اذ رجعت من ساعتك قالت لها اي لعمري ان لي شأنا هذا سليمان قد أمر باحضارك
الساعة لامر كان بيني وبينه في أمرك واني لارجو نصري اليوم فيك قالت لها كيف
تحملينني قالت على ظهري قالت وهل أستقر على ظهرك واني أرى أهوال البحر فلا
آمن أن أزل فاسقط وأهلك قالت في منقاري قالت فكيف أصبر في منقارك قالت
لها وكيف أصنع ولا بد لي من احضارك عند سليمان وهذا عريف الطير معي وقد دعا

بكفلني البومة فقالت لها أدخل في جوف هذا الفرس ثم ترفعينه على ظهرك أو في منقارك فلا أرى شيأ ولا أسقط ولا أفزع من شئ قالت أصبت قال فدخلت جوف الفرس واجتمعت مع الغلام وحملت العنقاء الفرس في منارها وطارت حتى وضعت الفرس بين يدى سليمان عليه السلام فقالت يانبى الله هى الآن فى جوف الفرس فاين الغلام فتبسم سليمان طويلا ثم قال لها أتؤمنين بقضاء الله وقدره وانه لا حيلة لاحد فى دفع قضائه وقدره وعلمه السابق الكائن من خير وشر فقالت أؤمن بالله وأقول ان المشيئة الى العباد والقوة فمن شاء فليفعل خيرا أو شرا قال سليمان كذبت ما جعل الله من المشيئة للعباد شيأ ولكن من شاء الله أن يكون سعيدا كان سعيدا ومن شاء أن يكون كافرا كان كافرا ولا يقدر أحد أن يدفع قضاء الله وقدره بحيلة لا بفعل ولا بعلم وان الغلام الذى قد ولد بالمغرب مع الجارية التى ولدت بالمشرق قد اجتمعا الآن فى مكان واحد على سفاح وقد حملت الجارية من الغلام بولد فقالت العنقاء لا تقل يانبى الله هذا فان الجارية معى فى جوف هذا الفرس فقال سليمان الله أكبر اين البومة المتكفلة بالعنقاء قالت ها أنا يانبى الله قال سليمان أنت على مثل قول العنقاء قالت نعم فقال سليمان قدر الله السابق قبل الخلق أخرجهما على قضائه ومشيئته قال فأمر البومة ففتحت جوف الفرس وأخرجتهما جميعا من جوف الفرس فاما العنقاء ففزعت وذهبت وطارت فى السماء فاخذت نحو المغرب واختفت فى بحر من بحاره وآمنت بالقدر وحلفت لا تنظر فى وجه طير أبدا استحياء منه وأما البومة فانها لزمت الآجام والجبال وقالت أما بالنهار فلا خروج لى ولا سبيل الى المعاش فهى اذا خرجت نهارا وبختها الطير واجتمعت عليها وقالت لها يا قدرية فهى تخضع لهذا وهذا ما كان من شأن العنقاء والبومة فى القضاء والقدر والله أعلم بالغيب (ومنها) تخصيص الله تعالى سليمان عليه السلام بالخيل الجياد العراب التى أخرجها له من البحر فى قول أكثر اهل الاثر قال الله تعالى اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد والصافنات الخيل القائمات على ثلاث قوائم وقد أقامت الاخرى على طرف الحافر من يد أو رجل والجياد السراع قال الحسن بلغنى انها كانت خيلا خرجت من البحر لها أجنحة وقال الكلبى غزا سليمان أهل نصيبين فاصاب منهم ألف فرس وقال مقاتل ورث سليمان من أبيه داود ألف فرس وكان أبوه أصابها من العمالقة قالوا فصلى سليمان صلاة الظهر وقعد على كرسيه فعرض عليه منها تسعمائة فاشتغل بحسنها وكثرتها والاعجاب بها حتى غابت الشمس وفاتته صلاة العصر ولم يعلمه أحد بذلك هيبة له فاغتم لذلك وقال ردوها على فردوها فعرقبها وعقرها بالسيف وقربها الى الله تعالى وبقى منها مائة فرس فما فى أيدى الناس من الخيل العراب فهى من

نسل تلك المائة (وقال كعب) كانت الافراس أربعة عشر فأمر بضرب أعناقها وسوقها بالسيف وقتلها فسلب الله ملكه أربعة عشر يوما لانه ظلم الخيل بقتلها قال الحسن فلما عقر الخيل لاجل الله تعالى أبدله الله تعالى مكانها خيرا منها وأسرع وهي الريح تجري بأمره رخاء كيف يشاء غدوها شهر ورواحها شهر وكان يغدو من ايلياء فيقيل في اصطخر ثم يروح منها فيبيت ببابل ويروى ان سليمان سار من أرض العراق غاديا فقال بمدينة مرو وصلى العصر بمدينة بلخ تحمله الريح وتظله الطير بخيله وجنوده ثم سار من مدينة بلخ متخللا بلاد الترك ثم جاوزها الى أرض الصين ثم عطف يمينه على مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى أرض الهند ثم خرج منها الى مكران وكرمان ثم جاوزهما حتى أتى أرض فارس فنزلها أياما ثم غدا منها فقال بكسكر ثم رجع الى الشام وكان مستقره مدينة تدمر وكان قد أمر الشياطين قبل خروجه من الشام الى العراق أن يبنوا له تدمر فبنوها بالصفائح والعمد والرخام الابيض والاصفر وفي ذلك يقول الشاعر

واذكر سليمان اذ قال المليك له ❊ قم في البرية فاحددها عن الفند
وجيش الجيش اني قد أبحت لهم ❊ بناء تدمر بالاحجار والعمد

قال ووجدت هذه الابيات منقورة في صخرة بارض كسكر انشأها بعض أصحاب سليمان ابن داود عليهما السلام

ونحن ولاحول سوى حول ربنا ❊ نروح الى الاوطان من أرض تدمر
اذا نحن رحنا كان أمر رواحنا ❊ مسيرة شهر والغدو لآخر
أناس سروا والله طوع نفوسهم ❊ لنصرة دين للنبي المطهر
لهم في معالي الدين فضل ورأفة ❊ وان نسبوا يوما فمن خير معشر
متى ركبوا الريح المطيعة أسرعت ❊ مبادرة عن شهرها لم تقصر
تظلهم طير صفوفا عليهم ❊ متى رفرفت من فوقهم لم تفتر

(رجعنا الى القصة) وقال قوم من العلماء معنى قوله تعالى فطفق مسحا بالسوق والاعناق حبسها في سبيل الله وكوى سوقها بميسم الصدقة وقال الزهري مسح سوقها وأعناقها من الغبار قال وهي رواية الواقدي عن ابن عباس قال قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ثم ان الله أمر الملائكة الموكلين بالشمس حتى ردوها على سليمان وصلى العصر في وقتها (حدثنا) أبو عبد الله عقيل الانصاري باسناده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الله تعالى أن يخلق الخيل قال للريح الجنوب اني خالق منك خلقا فأجعله عزا لاوليائي ومذلة لاعدائي وجمالا لاهل طاعتي فقالت الريح الهي وسيدي ومولاي اني مطيعة فقبض منها قبضة

نخلق فرسا وقال له خلقتك عربيا وجعلت الخير معقود ابناصيتك والغنائم مجموعة
على ظهرك وعطفت عليك صاحبك وجعلتك تطير بلا جناح فانت للطلب وأنت
للهرب وسأجعل على ظهرك رجالا يسبحونني ويحمدونني ويكبرونني فتسبحني
اذا سبحوا وتهللني اذا هللوا وتكبرني اذا كبروا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مامن تسبيحة وتحميدة وتمجيدة وتكبيرة يكبرها صاحبها فتسمعها الاتجيبه بمثلها
قال فلما سمعت الملائكة صفتها ونظروا خلقتها قالوا ربنا نحن ملائكتك نسبحك
ونحمدك فماذا لنا فخلق الله لهم خيلا بلقا أعناقها كأعناق البخت فلما أرسل الله
الفرس الى الارض واستوت قدماه عليها صهل فقيل له بوركت من دابة اذ
بصهيلك أذل الله المشركين وأذل بك اعناقهم وملأ بك آذانهم وأرعب بك
قلوبهم فلما عرض الله تعالى على آدم من كل شئ قال له اختر من خلقي ماشئت فاختار
الفرس فقيل له اخترت عزك وعز ولدك خالدا ماخلدوا وباقيا مابقوا بركتي عليك
وعليهم ماخلقت خلقا أحب الي منك ومنهم (ومنها) قوله تعالى وأسلنا له عين
القطر اذ بنا له عين النحاس أسيلت ثلاثة أيام كاسيل الماء وكانت بأرض اليمن وانما
ينتفع الناس اليوم بما أخرجه الله لسليمان عليه السلام (ومنها) تسخير الله تعالى
له الجن والانس والطير والوحوش والشياطين يعملون له ما يشاء كما قال تعالى ومن
الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير
وذلك ان الله تعالى وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ عن أمر سليمان ضربه
ضربة أحرقته فمما عملت له الشياطين بامره وأحدثوه له الحمامات والطواحين والقوارير
والصابون أشياء كثيرة واحتفروا له نهر الملك والقواتر به بين خانقين وقصر شيرين *
ومما عملوا له الغياصة كما قال الله تعالى ومن الشياطين من يغوصون له الآية وقال
تعالى والشياطين كل بناء وغواص وكانوا يغوصون في البحار ويستخرجون أنواع
اللآلئ والدر والمرجان وسائر الجواهر البحرية وكانوا يستخرجون له اليواقيت
والزمرذ وانواع الجواهر الثمينة من المعادن وهم أول من فعل ذلك ﴿حديث القبة﴾
قال وهب بن منبه بينما سليمان عليه السلام على ساحل البحر والريح من تحته والانس
عن يمينه والجن عن شماله والطير تظله اذ نظر الى عظم أمواج البحر فدعته نفسه
أن يعلم ما في قعر البحر فأمر الريح فسكنت من تحته ثم قعد على كرسي ملكه ثم دعا رأس
الغواصين فقال له اختر لي من أصحابك مائة رجل فاختار له مائة رجل فقال اختر لي
من المائة ثلاثين فاختار له ثلاثين فقال اختر لي من الثلاثين عشرة فاختار له عشرة
فقال اختر لي من العشرة ثلاثة فاختار له ثلاثة فقال لواحد منهم غص حتى تنظر الى قعر
البحر وتأتيني بالخبر فقال له سمعا وطاعة لك يانبي الله فغاص البحر وأبعد ثم خرج فقال

له سليمان ما الذي رأيت قال يا نبي الله ما رأيت الا أمواجا وحيتانا غير اني رأيت ملكا عظيما فقال لي أين تريد فقلت له ان نبي الله سليمان أرسلني أنظر له قعر هذا البحر فقال ارجع اليه فاقرأ عليه مني السلام وقل له ان قوما ركبوا هذا البحر منذ أربعين عاما فعاب عليهم مركبهم فخرجوا يصلحونه فسقط من أحدهم قدوم فهو يتجلجل في البحر ولم يبلغ قعره بعد فرجع اليه وأخبره بالخبر فتعجب نبي الله سليمان عليه السلام من ذلك ولما عمها كان قصد ذلك فبينما هو على شاطئ البحر اذ رأى قبة من زجاج تضربها الامواج في لجة البحر فعارضها وقال للغواصين غوصوا في أثرها فغاصوا فأخرجوها فلما وضعت القبة على ساحل البحر انفتح لها بابان بمصراعين وخرج من القبة شاب عليه ثياب أبيض من اللبن وكان رأسه تقطر ماء فجاء حتى وقف بين يدي سليمان فقال له سليمان يا فتى من الجن أنت أم من الانس قال بل من الانس قال فتعجب سليمان منه ومن زيه ثم قال له ما بلغ بك ما أرى فقال يا نبي الله كانت لي والدة وكنت من أبر الناس بها أطعمها وأسقيها بيدي ولا أترك شيأ من صنائع البر الا صنعته بها فلما حضرتها الوفاة سألتها أن تدعو لي فرفعت رأسها الى السماء وقالت يارب قد عرفت بر ولدي بي فارزقه العبادة في موضع لا يكون لابليس وجنوده عليه سبيل ثم ماتت فدفنتها فخرجت يوما الى ساحل البحر فاذا أنا بهذه القبة فدعتني نفسي أن أدخلها فلما دخلتها انطبقت على أبوابها وتزاخرت الامواج بها وكان هذا آخر عهدي يا نبي الله فقال له سليمان فمن أين مطعمك ومشربك فقال يا نبي الله اذا كان الليل جاءني طائر أبيض في منقاره شئ أبيض فيدفعه الي فآكله فهو يقيتني من الطعام والشراب فقال له سليمان فمن أين تعرف الليل والنهار وأنت في ظلمة هذا البحر قال يا نبي الله في القبة خيطان خيط أبيض وخيط اسود فاذا رأيت الخيط الابيض زائدا علمت انه النهار واذا رأيت الخيط الاسود زائدا علمت انه الليل فقال له سليمان هل لك في صحبتنا رغبة قال لا يا نبي الله ان تشأ تأذن لي أن أعود الى قبتي فاذن له فانطلق ودخلها وانطبق عليه بابها وتزاخرت به الامواج فكان آخر العهد به (ومنها) قوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب يقال انها الحياض كانت تسع الجفنة الواحدة طعام ألف رجل فيجتمعون عليها يأكلون بين يديه وقدور راسيات ثابتات لا تزول يسع القدر الواحد عشر جزر

﴿قصة مدينة سليمان عليه السلام التي كان يسافر بها في الهواء﴾

ومما عملوا له مدينة من قوارير عشرة آلاف ذراع في عشرة آلاف ذراع فيها الف سقف ما بين كل سقفين عشرة أذرع في كل سقف جميع ما يحتاج اليه من المساكن والقباب والمرافق أسفلها أغلظ من الحديد وأعلاها أرق من الماء يرى من داخلها ما وراء

خارجها من صفائه ونقائه والشمس بالنهار والقمر بالليل وعلى السقف الاعلى قبة بيضاء عليها علم ابيض يستضىء به فى الليل الداجى العسكر كله يتلألأ شعاعه مد البصر وبها من الاركان ألف ركن على مناكب الشياطين تحت كل ركن منها عشرة من الشياطين تسع سليمان وجنوده وحشمه وأولياءه علوا وسفلا تحملها الريح الى حيث يشاء وكانت تلك المدينة له مستقرا يأكل ويشرب وينام ويتمتع بها وفى أسفلها مرابط واصطبلات وأوارى وأواخى لخيله ودوابه ❊ ومما عملوا له كرسى ملكه

❊ صفة كرسى سليمان عليه السلام ❊

قال الله تعالى وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب يروى ان نبى الله سليمان عليه السلام أمر الشياطين باتخاذ كرسى يقعد عليه للقضاء وأمر أن يعمل بديعا مهولا بحيث لو رآه مبطل أوشاهد زور ارتدع وبهت قال فعملوا له كرسيا من انياب الفيلة وفصصوه بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد وأنواع الجواهر وحفوه بأربع نخلات من الذهب شماريخها الياقوت الاحمر والزمرذ الاخضر على رأس نخلتين منها طاوسان من ذهب وعلى رأس الاخيرتين نسران من ذهب بعضها مقابل بعض وجعلوا من جانب الكرسى أسدين من ذهب على رأس كل واحد منهما عمود من الزمرذ الاخضر وقد عقدوا على النخلات أشجار الكرم من الذهب الاحمر واتخذوا عناقيدها من الياقوت الاحمر بحيث يظل عريش الكروم والنخل الكرسى قالوا وكان سليمان اذا اراد صعوده وضع قدميه على الدرجة السفلى فيستدير الكرسى ورجله فيها ويدور دوران الرحى المسرعة وتنشر تلك النسور والطواويس أجنحتها ويبسط الاسدان أيديهما ويضربان الارض بأذنابها وكذلك يفعل فى كل درجة يصعدها سليمان فاذا استوى بأعلاها أخذ النسران اللذان على النخلتين المسك والعنبر يفتتانهما عليه ثم تتناول حمامة من ذهب قائمة على عمود من جوهر من أعمدة الكرسى التوراة فتفتحها لسليمان فيقرأها على الناس ويدعوهم الى فصل القضاء قال وتجلس عظماء بنى اسرائيل على كراسى الذهب والفضة المفصصة بالجواهر وهى ألف كرسى على يمينه وتجىء عظماء الجن فيجلسون على كراسى الفضة عن يساره وهى ألف كرسى حافين به جميعا ثم تظلهم الطير وتتقدم الناس اليه للقضاء فاذا دعا بالبينات وتقدمت الشهود لاقامة الشهادات دار الكرسى بجميع مافيه وماحوله دوران الرحى المسرعة قال معاوية لوهب بن منبه ما الذى كان يدير ذلك الكرسى قال بلبلان من ذهب وذلك الكرسى مما عمله له صخر الجنى قالوا فاذا دار الكرسى بسط الاسدان ايديهما ويضربان الارض بأذنابهما وينشر النسران والطاوسان اجنحتهما فتفزع منه الشهود ويداخلهم من ذلك رعب شديد فلا يشهدون الا بالحق فهذا شأن كرسى سليمان عليه السلام

وعجائب

وعجائب ما كان فيه فلما توفي سليمان عليه السلام بعث بختنصر فأخذ ذلك الكرسي وحمله الى انطاكية فأراد ان يصعد عليه ولم يكن له علم بالصعود عليه ولا بأحواله فلما وضع قدميه على الدرجة السفلى رفع الاسد يده اليمنى فضرب ساقه ضربة شديدة دقها ورماه فحمل بختنصر فلم يزل يعرج ويتوجع منها حتى مات وبقي الكرسي بانطاكية حتى غزاهم ملك من الملوك يسمى كداش بن سداس فهزم خليفة بختنصر ورد الكرسي الى بيت المقدس فلم يستطع احد من الملوك الجلوس عليه ولا الاستمتاع به فوضع تحت الصخرة فغاب ولم يعرف خبره ولا يدرى اين هو والله أعلم

ومنها بيت المقدس صفة بنيانه وبدء أمره * قال الله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الآية وقال تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين قيل بالمياه والاشجار والثمار وقيل ان كل ماء عذب يخرج من تحت أصل الصخرة التي ببيت المقدس يهبط من السماء اليها ثم يتفرق في الارض وذلك قوله تعالى باركنا فيها للعالمين (وروى) خالد بن معدان عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صخرة بيت المقدس على نخلة من نخيل الجنة وتلك النخلة على نهر من أنهار الجنة على ذلك النهر آسية بنت مزاحم ومريم ابنة عمران رضى الله عنهما ينظمان حلى أهل الجنة الى يوم القيامة وأما بدء بناء بيت المقدس وصفة بنائه على ما ذكره أهل البصيرة بالسير هو ان الله تعالى بارك في نسل ابراهيم حتى جعلهم في الكثرة غاية لا يحصون فلما كان زمان داود عليه السلام بث فيهم مدة مديدة بأرض فلسطين وهم يزدادون كل يوم كثرة فأعجب داود بكثرتهم وأراد أن يعلم عدد بني اسرائيل كم هم فأمر بعدهم وبعث بذلك عرفاء ونقباء وأمرهم أن يرفعوا اليه ما يبلغ من عددهم فكانوا يعدون زمانا من الدهر حتى عجزوا فبعث الله جبريل عليه السلام وأوحى اليه يا داود قد علمت اني وعدت أباك ابراهيم يوم أمرته بذبح ولده فصبر وأتم أمرى بأن أبارك له في ذريته حتى يصيروا بعدد نجوم السماء واجعلهم بحيث لا يحصى عددهم فأردت أن تعلم عددهم انه لا يحصى عددهم غيري وانى قد أقسمت لابتلينهم ببلية يقل منها عددهم ويذهب عنك اعجابك بهم وبكثرتهم فاختاروا اما أن أبتليكم بالجوع والقحط ثلاث سنين أو أسلط عليكم عدوكم ثلاثة أشهر أو الموت ثلاثة أيام فجمع داود بني اسرائيل وأخبرهم بما أوحى الله تعالى اليه وخيرهم فيه فقالوا له أنت أعلم بما هو أيسر لنا وأنت نبينا فانظر لنا غير ان الجوع لا صبر لنا عليه وتسليط العدو أمر فاضح فان كان ولا بد فالموت لانه بيده لا بيد غيره فأمرهم داود أن يتجهزوا للموت فاغتسلوا وتحنطوا ولبسوا الاكفان وبرزوا الى صعيد بيت المقدس قبل بناء المسجد بالذرارى والاهلين وأمرهم أن يضجوا الى الله تعالى

ويتضرعوا اليه لعله أن يرحمهم فأرسل الله اليهم الطاعون فأهلك منهم في يوم وليلة ألوفا كثيرة لايدرى عددهم ولم يفرغوا من دفنهم الا بعد موتهم بشهر فلما أصبحوا في اليوم الثاني خر داود عليه السلام ساجدا لله تعالى يبتهل الى الله تعالى ويقول يارب أنا آكل الخل الحامض وبنو اسرائيل يضرسون يعني أذنبت وبنو اسرائيل يعاقبون فما كان من شئ فبي فأنزله واعف عن بني اسرائيل فاستجاب الله دعاءه وكشف عنهم الطاعون ورفع عنهم الموت فرآى داود عليه السلام الملائكة سالين سيوفهم فغمدوها وارتقوا في سلم من ذهب في صخرة بيت المقدس الى السماء فقال داود لبني اسرائيل ان الله تعالى قد من عليكم ورحمكم فجددوا له شكرا قالوا فكيف تأمرنا قال آمركم أن تتخذوا في هذا الصعيد الذي رحمكم الله فيه مسجدا لا يزال فيه منكم ومن بعدكم ذاكر لله تعالى فأخذ داود في بنائه فلما أرادوا أن يبتدؤا بالبناء جاء رجل صالح فقير يختبرهم ليعلم كيف اخلاصهم في بنائهم فقال لبني اسرائيل ان لي فيه موضعا أنا محتاج اليه ولا يحل لكم ان تحجبوني عن حقي فقالوا ياهذا مامن أحد من بني اسرائيل الا وله في هذا الصعيد حق مثل حقك فلا تكن ابخل الناس ولا تضايقنا فيه فقال أنا أعرف حقي وأنتم لا تعرفون حقكم فقالوا له اما ترضى وتطيب نفسك والا أخذناه منك كرها فقال لهم أتجدون هذا في حكم الله وحكم داود قال فرفع خبره الى داود عليه السلام فقال ارضوه فقالوا بكم نأخذه منه يانبي الله قال خذوه بمائة شاة فقال الرجل زدني يانبي الله قال داود خذوه بمائة بقرة قال زدني قال بمائة بعير قال زدني يانبي الله فانما تشتريه لله تعالى والله كريم لا يبخل فقال داود حيث قلت هذا فاحتكم أعطكه قال تشتريه بحائط مثله زيتونا ونخلا وعنبا قال نعم فقال الرجل أنت تشتريه لله تعالى فلا تبخل قال سل ماشئت قال أنت أكرم على الله مني ولكن ابن لي حوله جدارا مشرفا ثم املأه ذهبا وان شئت ورقا قال داود وهذا هين فالتفت الرجل الى بني اسرائيل وقال لهم هذا هو التائب المخلص ثم قال لداود يانبي الله لان يغفر الله لي ذنبا واحدا أحب الي من كل شئ وهبت لي ولكني كنت اختبرتكم فجدوا في بناء بيت المقدس وكان ذلك فيما قيل لاحدى عشرة سنة مضت من ملك داود وكان داود ينقل الحجارة على ظهره وكذلك أخيار بني اسرائيل حتى رفعوه قامة وعجزوا فأوحى الله تعالى اليه ان هذا بيت مقدس وانك رجل سفاك الدماء ولست ببانيه ولكن ابن لك أملكه بعدك اسمه سليمان أسلمه من سفك الدماء وأقضي اتمامه على يديه ويكون صيته وذكره وأجره لك باقيا فصلوا فيه زمانا الى أن توفي داود عليه السلام واستخلف سليمان فأمره الله تعالى باتمام بيت المقدس فجمع سليمان الجن والانس والشياطين وقسم عليهم الاعمال وخص كل طائفة بعمل يصلح لها وأرسل الجن والشياطين في تحصيل عمل الرخام والبلور

الابيض الصافي من معادنه وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفائح وجعلها اثني عشر ربضا لكل ربض منها سبط من الاسباط وكانوا اثني عشر سبطا فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا فريق منهم يستخرجون الذهب والفضة والياقوت من معادنه وفريق يغوصون في البحر ويستخرجون أنواع الدر وفريق يقطعون أنواع الرخام وفريق يغوصون على الجواهر وفريق يأتون بالمسك والعنبر وأنواع الطيب من أماكنها فأتى بشئ من ذلك لا يحصيه الا الله تعالى ثم انه أحضر الصناع وأمرهم بنحت تلك الحجارة وتنضيدها الواحا واصلاح تلك الجواهر ونقشها فكانوا اذا نحتوها تصوت صوتا شديدا لصلابتها فكره سليمان تلك الاصوات فدعا الجن وقال لهم هل عندكم حيلة في نحت هذه الجواهر من غير تصويت فقالوا يانبي الله ليس في الجن أكثر تجارباً ولا أكثر علماً من صخر العفريت فأرسل اليه من يأتيك به فطبع سليمان بخاتمه طابعا وكان يطبع للشياطين بالنحاس ولسائر الجن بالحديد وكان اذا طبع بخاتمه لمع ذلك كالبرق الخاطف فكان لا يراه أحد من جن ولا شيطان الا انقاد اليه باذن الله تعالى فأرسل الطابع مع عشرة من الجن فأتوه به وهو في بعض جزائر البحر فأروه الطابع فلما نظر اليه كاد أن يصعق خوفا فأقبل مسرعا مع الرسل حتى دخل على سليمان فسأل سليمان رسله عما أحدث العفريت في طريقه فقالوا يانبي الله انه كان يضحك في بعض الاحايين من الناس فقال له سليمان مارضيت بتمردك علي وترك المجيء الى طاعتي حتى صرت تسخر من الناس فقال يانبي الله اني لست أسخر منهم غير أن ضحكي كان تعجبا مما كنت أسمع وأرى في طريقي فقال له سليمان وماذاك قال مررت على شط نهر فوجدت رجلا ومعه بغلة يريد أن يسقيها وجرة يريد أن يستقي بها فسقى البغلة وملأ الجرة ثم أراد أن يقضي حاجته فشد البغلة باذن الجرة فنفرت البغلة وكسرت الجرة فضحكت من حمق الرجل حيث توهم ان الجرة تحبس البغلة ومررت أيضا برجل آخر وهو جالس عند اسكاف يستعمله في اصلاح خف له فسمعته يشترط عليه أن يصلحه بحيث يبقى معه أربع سنين ونسي نزول ملك الموت اليه من قبله فضحكت من قلة عقله وجهله ومررت بعجوز تتكهن وتخبر الناس بما لا يعلمون من أمور السماء وقد كنت عهدت رجلا دفن في موضع فراشها ذهبا كثيرا في الدهور الخالية فرأيتها تموت جوعا وتحت رأسها ذهب كثير وهي لا تعلم بمكانه ثم تخبر الناس بأمر السماء فضحكت منها ومررت برجل في بعض المدن وقد كان به داء فيما قبل فأكل البصل فبرأ من دائه فصار يطب الناس وكان لا يأتيه أحد يسأله عن علة الا أمره بأكل البصل وانه لا ضر شئ حتى ان ضرره يصل الى الدماغ فضحكت منه ومررت في بعض الاسواق فرأيت الثوم وهو أفضل الادوية يكال كيلا ورأيت الفلفل

وهو من السموم القاتلة يوزن وزنا فضحكت ومررت بناس قد جلسوا يبتهلون الى الله
ويسألونه الرحمة والمغفرة فمل منهم قوم فقاموا وجاء آخرون فجلسوا فرأيت الرحمة قد
نزلت عليهم واخطأت الذين كانوا من قبل وغشيت الذين جاؤا فضحكت تعجبا للقضاء
والقدر فقال له سليمان هل علمت من كثرة تجاربك وجولانك فى البحار شيأ ينحت
لى هذه الجواهر فتلين ويسهل نحتها وثقبها بلا صوت قال نعم يانبى الله أعرف حجرا
أبيض كاللبن يقال له السامور غير انى لا أعرف معدنه الذى هو فيه وليس فى الطير شئ
أحيل ولا أهدى من العقاب فأمر بفراخه أن تجعل فى صندوق من تلك الجواهر فانه
يأتى بذلك الحجر فيضرب به الصندوق حتى يثقبه ليصل الى أولاده قال فأمر سليمان
بفراخ العقاب أن تضم فى صندوق من حجر منها يوما وليلة فحجب عن أفراخه فمر مسرعا
وجاء بالحجر بعد يوم وليلة فثقب به الصندوق حتى وصل الى افراخه فوجه سليمان مع
العقاب نفرا من الجن حتى أتوه منه بقدر ما علم ان فيه الكفاية واستعمل ذلك فى ادوات
الصناع فسهل عليهم نحتها من غير صوت وهو حجر يستعمل فى نقش الخواتيم وثقب
الجواهر الى اليوم وهو ثمين عزيز قالوا فبنى سليمان المسجد بالرخام الابيض والاصفر
والاخضر وعمده من المها الصافى وسقفه بالواح الجواهر الثمينة وفصص سقفه
وحيطانه باللآلئ واليواقيت وأنواع الجواهر وبسط أرضه بالواح الفيروزج فلم
يكن يوجد يومئذ فى الارض بيت أبهى ولا أنور من ذلك المسجد وكان يضئ فى الليل
كالقمر فى ليلة البدر فلما فرغ منه جمع اليه أحبار بنى اسرائيل واعلمهم انه بناه لله
تعالى وكل شئ منه خالص لله تعالى واتخذ ذلك اليوم الذى فرغ منه عيدا لم يتخذ فى
الارض قط أعظم عيد من ذلك اليوم ولا أطعمة أكثر منه فذبح فيه من الجزور ألف
جزور ومن البقر خمسة وعشرين ألفا معلوفة ومن الغنم أربعمائة ألف شاة قالوا ومن
عجائب ما اتخذه سليمان ببيت المقدس انه بنى بيتا وطين حائطه بالجص وصقله فكان
اذا دخله البار استبان خياله فى ذلك الحائط أبيض واذا دخله الفاجر استبان خياله
فى ذلك الحائط اسود فارتدع من ذلك كثير من الناس عن الفجور والخيانة ونصب فى
زاوية من زوايا المسجد عصا ابنوس فكان من مسها من اولاد الانبياء لم يضره مسها
شئ ومن مسها من غيرهم احترقت يده فلما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس قرب
قربانا على الصخرة ثم قال اللهم أنت وهبت لى هذا الملك منا منك على وجعلتنى
خليفتك على أرضك وأكرمتنى به من قبل أن أكون شيأ فلك الحمد اللهم انى أسألك
لمن دخل هذا المسجد خصالا ان لا يدخله أحد يصلى فيه ركعتين مخلصا فيهما الا خرج
من ذنوبه كيوم ولدته أمه ولا يدخله مذنب الا تبت عليه ولا خائف الا أمنته ولا سقيم
الا شفيته ولا مجدب الا أخصبته وأغنيته واذا أجبت دعوتى وأعطيتنى طلبتى

فاجعل

فاجعل علامته أن تتقبل قرباني قال فنزلت نار من السماء فسدت ما بين الخافقين ثم امتد منها عنق فاحتمل القربان وصعد به الى السماء وكان بيت المقدس على ما بناه سليمان عليه السلام الى أن غزا بختنصر بني اسرائيل فخرب بيت المقدس وألقى فيه الجيف وكبسه بالتراب ونقل جميع ما فيه من الذهب والفضة والجواهر والآنية الى أرض بابل وكان بيت المقدس خرابا الى أن بناه المسلمون في زمن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بأمره والله أعلم

﴿باب في قصة بلقيس ملكة سبا والهدهد وما يتصل به﴾

قال الله تعالى وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين الآية قالت العلماء بأخبار القدماء ان نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج الى ارض الحرم فتجهز للمسير واصطحب معه من الناس والجن والشياطين والطيور والوحوش ما بلغ عسكره مائة فرسخ وامر الريح الرخاء فحملتهم فلما وافوا الحرم اقام به ما شاء الله أن يقيم وقرب القرابين وقضى المناسك وبشر اهله بخروج نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأخبرهم أنه سيد الانبياء وخاتم النبيين وان ذلك مثبت في زبورهم ثم أحب ان يسير الى ارض اليمن فخرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن يؤم نجم سهيل فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا بيضاء حسنة تزهو بخضرتها فاحب النزول بها ليصلي ويتغدى فطلبوا الماء فلم يجدوه وكان الهدهد دليله على الماء وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى احدكم كأسه بيده فينقر الارض فيعرف موضع الماء وعمقه ثم تجيء الشياطين فيسلخونه كما يسلخ الاهاب يستخرجون الماء قال سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس هذا الحديث قال له نافع بن الازرق كيف يبصر الماء من تحت الارض ولا يبصر الفخ اذا غطى له بقدر اصبع من تراب قال ويحك اذا جاء القدر عمي البصر وروى قتادة عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهاكم عن قتل الهدهد فانه كان دليل سليمان على الماء فطلب سليمان الهدهد فلم يجده فتوعده ثم ان الهدهد لما جاء قال وجئتك من سبا بنبا يقين اني وجدت امرأة تملكهم الآية وذلك انه لما نزل سليمان قال الهدهد في نفسه ان سليمان قد اشتغل بالنزول فارتفع الى نحو السما ونظر الى طول الدنيا وعرضها ونظر يمينا وشمالا فرأى بستان بلقيس فمال الى الخضرة فوقع فيها فاذا هو بهدهد اليمن فهبط عليه وكان اسم هدهد سليمان يعفور واسم هدهد اليمن عفير فقال عفير ليعفور من أين أقبلت والى أين تريد قال أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود عليه السلام فقال له الهدهد ومن سليمان بن داود قال ملك الجن والانس والشياطين والوحوش والرياح فمن أين أنت قال أنا من هذه البلاد قال ومن

ملكها قال امرأة قال فما اسمها قال يقال لها بلقيس وان لصاحبكم سليمان ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها ملكة اليمن كله وتحت يدها اثنا عشر ألف قيل مع كل قيل مائة ألف مقاتل والقيل هو القائد بلغة أهل اليمن فهل أنت منطلق معي حتى تنظر الى ملكها قال فاني أخاف أن يتفقدني سليمان في وقت الصلاة اذا احتاج الى الماء فقال له الهدهد اليماني ان صاحبك ليسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة فانطلق معه حتى أتى بلقيس ونظر ملكها وما رجع الى سليمان الا وقت صلاة العصر قال فلما نزل سليمان ودخل عليه وقت صلاة العصر طلب الهدهد وذلك انه نزل على غير ماء فسأل الانس عن الماء فقالوا لا نعلم ههنا ماء فسأل الجن والشياطين فقالوا لا نعلم فتفقد عند ذلك الهدهد فلم يجده فتوعده قال ابن عباس في بعض الروايات عنه وقعت قطعة من الشمس على رأس سليمان فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عن الهدهد فقال أصلح الله الملك ما أدري أين هو وما أرسلته الى موضع فغضب عند ذلك سليمان وقال لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه واختلف العلماء في العذاب الشديد ما هو فقال أكثر المفسرين كان عذابه أن ينتف ريشه وذنبه ويدعه ممعطا ثم يلقيه في بيت النمل فتلدغه وقال الضحاك لانتفنه ولأشدن رجليه ولأشمسنه وقال مقاتل لأطلينه بالقطران ولأشمسنه وقيل لأودعنه القفص وقيل لأفرقن بينه وبين الفه وقيل لأمنعنه من خدمتي أو ليأتيني بسلطان مبين أي حجة واضحة وروى عكرمة عن ابن عباس قال كل سلطان في القرآن حجة قال ثم دعا العقاب سيد الطيور فقال له علي بالهدهد الساعة فرفع العقاب نفسه دون السماء حتى التصق بالهواء فنظر الى الدنيا كالقصعة بين يدي أحدكم فنظر يمينا وشمالا فاذا هو بالهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب نحوه يريده فلما رأى الهدهد ان العقاب يريده بسوء ناشده الله وقال له بحق الذي قواك وأقدرك علي الا رحمتني ولا تتعرض لي بسوء قال فولى العقاب عنه وقال له ويلك ثكلتك أمك ان نبي الله سليمان قد حلف أن يعذبك أو يذبحك ثم طارا متوجهين نحو سليمان فلما انتهيا الى المعسكر تلقاهما النسر والطير كله وقالوا له أين غبت في يومك هذا فلقد توعدك نبي الله سليمان وأخبروه بما قال فقال الهدهد وما استثنى نبي الله قالوا بلى انه قال أو ليأتيني بسلطان مبين فطار الهدهد والعقاب حتى أتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد أتيتك به يا نبي الله فلما قرب الهدهد منه رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا لسليمان فمد سليمان يده الى رأسه فجبذها وقال أين كنت لأعذبنك عذابا شديدا فقال له الهدهد يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فلما سمع ذلك سليمان ارتعد وعفا عنه أخبرني الحسين بن محمد

الثقفي باسناده عن عكرمة فقال انما صرف سليمان عن ذبح الهدهد بره بوالديه ثم سأله
ما الذي أبطأك عني قال الهدهد ما أخبر الله به أحطت علما لم تحط أي علمت ما لم تعلم به
وجئتك من سبا بنبا يقين اني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء واسمها بلقيس
بنت البشرخ وهو الهدهاذ وقيل هي بلعمة بنت شراحيل بن ذي جدن بن البشرخ بن
الحرث بن قيس بن صنعاء بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان أبو بلقيس
الذي يسمى البشرخ ويلقب بالهدهاذ ملكا عظيم الشان وكان ملك أرض اليمن كلها
وكان يقول لملوك الاطراف ليس أحد منكم كفؤا لي وأبى أن يتزوج منهم فزوجوه
بامرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت الشكر وكانت الانس اذ ذاك ترى الجن وتخالطهم
فولدت له بلعمة وهي بلقيس ولم يكن له ولد غيرها وتصديق هذا ما أخبر به ابن ميمونة
باسناده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان أحد أبوي بلقيس
جنيا قالوا فلما مات أبو بلقيس ولم يخلف ولدا غيرها طمعت في الملك وطلبت من
قومها أن يبايعوها فأطاعها قوم وعصاها آخرون فاختاروا عليها رجلا فملكوه
عليهم وافترقوا فرقتين كل فرقة منهم استولت على طرف من أرض اليمن ثم ان هذا
الرجل الذي ملكوه أساء السيرة في أهل مملكته حتى كان يمد يده الى حرم رعيته
يفجر بهن فأراد أصحابه خلعه فلم يقدروا عليه فلما رأت بلقيس ذلك أدركتها الغيرة
فأرسلت اليه وعرضت نفسها عليه فاجابها الملك الى ذلك وقال ما منعني أن أبتدئك
بالخطبة الا اليأس منك فقالت لا أرغب عنك فانك كفؤ كريم فاجمع رجال قومي
واخطبني منهم فجمعهم وخطبها منهم فقالوا الا نراها تفعل هذا فقال انما هي التي
ابتدأتني واني أحب أن تسمعوا قولها فتشهدوا عليها فلما جاؤها وذكروا لها ذلك
قالت نعم اني أحببت الولد ولم أحبه منذ كنت أرغب عن هذا والساعة قد رضيت له
فزوجوها منه فلما زفت عليه خرجت في ناس كثير من خدمها وحشمها حتى غصت
منازله ودوره بهم فلما جاءته سقته الخمر حتى سكر ثم حزت رأسه وانصرفت من الليل الى
منزلها فلما أصبح الناس ورأوا الملك قتيلا ورأسه منصوب على باب داره علموا ان تلك
المناكحة كانت مكرا وخديعة منها فاجتمعوا اليها وقالوا لها أنت أحق بهذا الملك من
غيرك فقالت لولا العار والشنار ما قتلته ولكن رأيته قد عم فساده فأخذتني الحمية
ففعلت به ما فعلت فملكوها واستتب أمرها في المملكة وروى ابن ميمونة باسناده عن
الحسن بن علي عن أبي بكر قال ذكرت بلقيس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة قالوا فلما ملكت بلقيس اتخذت قصرا وعرشا

﴿صفة القصر الذي بنته بلقيس﴾

قال الشعبي روي أن بلقيس لما ملكت أمرت ببناء قصر فحمل اليها خمسمائة

اسطوانة من رخام طول كل اسطوانة خمسون ذراعا فأمرت بها فنصبت على تل
قريب من مدينة صنعاء وجعلت بين كل اسطوانتين عشرة أذرع ثم جعلت فيها
سقفا منظومة بألواح الرخام وألحم بعضها الى بعض بالرصاص حتى صارت كأنها لوح
واحد ثم بنت فوق ذلك قصرا مربعا من آجر وجص فى كل زاوية من زواياه قبة من
ذهب مشرفة فى الهواء وفيما بين ذلك مجالس حيطانها من ذهب وفضة مرصعة بألوان
الجواهر المربعة وجعلت فيه أى فى باب ذلك القصر مما يلى المدينة درجا من الرخام
الابيض والاخضر والاحمر وفى جوانبه حجر لحجابها ونوابها وحراسها وخدمها وحشمها
على قدر مراتبهم ✽ صفة عرشها ✽ كان مقدمه من ذهب مفصص باليواقيت الحمر
والزمرذ الاخضر ومؤخره من فضة مكلل بألوان الجواهر وله أربع قوائم قائمة من
ياقوت احمر وقائمة من ياقوت أخضر وقائمة من زمرذ أخضر وقائمة من در أصفر وصفائح
السرير من ذهب وعليه سبعون بيتا وعلى كل بيت باب مغلق وكان طوله ثمانين
ذراعا فى ثمانين ذراعا فى الهواء فذلك قوله عزوجل وأوتيت من كل شئ أى مما تحتاج
اليه فى الملك من الآلة والعدة ولها عرش عظيم أى سرير ضخم حسن وجدتها
وقومها يسجدون للشمس من دون الله وذلك انها قالت لوزرائها ما كان يعبد آبائى
الماضون قالوا كانوا يعبدون اله السماء قالت وأين هو قالوا هو فى السماء وعلمه فى
الارض قالت فكيف أعبده وانا لا أراه ولست أعرف شيأ أشد من نور الشمس فهى
أولى ما ينبغى لنا عبادته فعبدت الشمس من دون الله تعالى وحملت قومها على
عبادتها وكانوا يسجدون لها اذا طلعت واذا غربت (قال) فلما قال ذلك الهدهد
لسليمان قال له سليمان سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين ثم ان الهدهد
دلهم على الماء فاحتفروا الركايا وهى الآبار التى لم تطو ببطن كل واد فروى الناس
والدواب وكانوا قد عطشوا ثم كتب سليمان كتابا من عبد الله سليمان بن داود الى
بلقيس ملكة سبا بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد
أن لا تعلوا على وائتونى مسلمين قال ابن جريج وغيره لم يزد سليمان على ما قص الله
تعالى فى كتابه شيأ وكان أبلغ الناس فى كتابه وأقله املاء وكذلك الانبياء عليهم
الصلاة والسلام كانوا يكتبون جملا ولا يطيلون كتابا ولا يكثرون قالوا فلما كتب
الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم
ثم تول عنهم وكن قريبا منهم فانظر ماذا يرجعون أى يردون من الجواب فأخذ الهدهد
الكتاب وأتى به الى بلقيس وكانت بأرض يقال لها مأرب من صنعاء على ثلاثة أيام
فوافاها فى قصرها وقد غلقت الابواب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب وأخذت
المفاتيح فوضعتها تحت رأسها ومضت الى فراشها فأتاها الهدهد وهى نائمة مستلقية على

ظهرها

ظهرها فالقى الكتاب على نحرها هذا قول قتادة وقال مقاتل حمل الهدهد الكتاب بمنقاره وطار حتى وقف على رأس المرأة فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت المرأة رأسها فالقى الكتاب فى حجرها وقال وهب بن منبه كانت لها كوة يعنى طاقة مستقبلة للشمس تقع الشمس فيها حين تطلع فاذا نظرت اليها سجدت لها فجاء الهدهد الى تلك الكوة فسدها بجناحيه فارتفعت الشمس ولم تعلم فاستبطأت الشمس فقامت تنظرها فرمى الصحيفة فى وجهها قالوا فأخذت بلقيس الكتاب وكانت قارئة كاتبة عربية من قوم تبع بن شراحيل الحميرى فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لان ملك سليمان كان فى خاتمه وعرفت ان الذى أرسل هذا الكتاب هو أعظم ملكا منها وقالت ان ملكا تكون رسله الطير لملك عظيم فقرأت الكتاب وتأخر الهدهد غير بعيد ثم انها جاءت حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت الملأ من قومها وهم اثنا عشر ألف قيل تحت يد كل قيل منهم مائة ألف مقاتل وكانت تكلمهم من وراء الحجاب فاذا أحزنها أمر اسفرت عن وجهها فلما جاؤا وأخذوا مجالسهم قالت لهم بلقيس انى ألقى الى كتاب كريم أى شريف لشرف صاحبه وقال الضحاك سمته كريما لانه كان مختوما يدل عليه ما أخبرنى به أبو حامد الوراق باسناده عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كرم الكتاب ختمه وقيل سمته كريما لانه مصدر ببسم الله الرحمن الرحيم فذلك قوله تعالى انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعلوا على وائتونى مسلمين ثم قالت يا أيها الملأ أفتونى فى أمرى وأشيروا على فيما عرض لى ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون أى تحضرون فقالوا مجيبين لها نحن أولو قوة وأولو بأس شديد عند الحرب والامر اليك فانظرى ماذا تأمرين تجدينا لامرك طائعين فقالت لهم بلقيس حين عرضوا أنفسهم للحرب ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة أى أهانوا اشرافها وكبراءها لكى يستقيم لهم الامر فصدق الله قولها فقال وكذلك يفعلون أنشدنى أبو القاسم الجندى فى هذا المعنى قال أنشدنى أبى فى معناه

ان الملوك بلاء حيثما حلوا ❊ فلا يكن لك فى أكنافهم ظل
ماذا تؤمل من قوم اذا غضبوا ❊ جاروا عليك وان أرضيتهم ملوا
وان مدحتهم خالوك تخدعهم ❊ واستثقلوك كما يستثقل الكل
فاستغن بالله عن أبوابهم كرما ❊ ان الوقوف على أبوابهم ذل

قال الله تعالى مخبرا عنها وانى مرسلة اليهم بهدية وذلك أن بلقيس كانت امرأة لبيبة عاقلة قد ساست الملأ من قومها وجربت الامر وساسته انى مرسلة اليهم الى سليمان وقومه بهدية أصانعه عن ملكى وأختبره بها أملك أم نبى فان يك ملكا قبل الهدية

وانصرف وان يك نبيا لم يقبل الهدية ولم يرض منا الا أن نتبعه على دينه ثم انها أهدت
اليه وصفاء ووصائف قال ابن عباس ألبستهم لباسا واحدا حتى لا يكون يعرف
الذكر من الانثى وقال مجاهد ألبست الغلمان لباس الجوارى وألبست الجوارى
لباس الغلمان واختلفوا فى عددهم فقال الكلبى عشرة جوار وعشرة غلمان وقال
مقاتل مائة وصيف ومائة وصيفة وقال مجاهد مائتا غلام ومائتا جارية وقال وهب
خمسمائة غلام وخمسمائة جارية وأرسلت اليه أيضا بصفائح الذهب واختلفوا فى
كيفيتها وعددها (أخبرنى) ابن ميمونة أيضا باسناده عن ثابت البنانى فى قوله تعالى
وانى مرسلة اليهم بهدية قال أهدت له صفائح الذهب فى أوعية الديباج فلما بلغ ذلك
سليمان أمر الجن فموهوا له الآجر بالذهب ثم أمر به فألقى فى الطريق فى كل مكان
فلما جاؤا ورأوه ملقى فى الطريق فى كل مكان قالوا قد جئنا نحمل شيأ نراه ههنا ملقى
لا يلتفت اليه فصغر فى أعينهم ما جاؤا به وقيل كانت أربع لبنات من ذهب وقال
وهب بن منبه وغيره من أهل الكتب عمدت بلقيس الى خمسمائة جارية وخمسمائة
غلام فألبست الجوارى لباس الغلمان الاقبية والمناطق وألبست الغلمان لباس
الجوارى وجعلت فى سواعدهم أساور من ذهب وفى أعناقهم أطواقا من ذهب وفى
آذانهم أقراطا وشنوفا مرصعات بأنواع الجواهر وحملت الجوارى على خمسمائة فرس
والغلمان على خمسمائة برذون على كل فرس سرج من ذهب مرصع بالجواهر
غواشيها من الديباج الملون وبعثت اليه أيضا خمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة
لبنة من فضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع وأرسلت اليه أيضا بالمسك
والعنبر والعود والانجوج وعمدت الى حقة فجعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة وجزع
خرزة مثقوبة معوجة الثقب ودعت رجلا من اشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو
وضمت اليه رجالا من قومها أصحاب رأى وعقل وكتبت معهم كتابا بنسخة الهدية
وقالت فى الكتاب ان كنت نبيا فميز بين الوصائف والوصفاء وأخبرنا بما فى الحقة قبل
أن تفتحها واثقب الدرة ثقبا مستويا وأدخل خيطا فى الخرزة ثم أمرت بلقيس الغلمان
فقالت لهم اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام فيه تأنيث وتخنيث يشبه كلام النساء
وأمرت الجوارى أن يكلموه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ثم انها قالت
للرسول انظر الى الرجل اذا دخلت عليه فان نظر اليك نظر غضب فاعلم انه ملك
فلا يهولك منظره فأنا أعز منه وان رأيته رجلا بشاشا لطيفا فاعلم أنه نبى مرسل
فتفهم كلامه ورد الجواب فانطلق الرسل بالهدايا فلما رأى الهدهد ذلك أقبل
مسرعا الى سليمان وأخبره بالخبر كله فأمر سليمان الجن أن يصنعوا له لبنا من الذهب
والفضة ففعلوا ذلك ثم أمرهم أن يبسطوا له من موضعه الذى هو فيه الى تسع فراسخ

ميدانا واحدا بلبنات الذهب والفضة وأن يجعلوا حول الميدان حيطانا مشرفة من الذهب والفضة ففعلوا ذلك فقال لهم أى الدواب أحسن مما رأيتم فى البر والبحر فقالوا يانبى الله انا رأينا فى بحر كذا دواب مختلفة ألوانها لها أجنحة واعراف ونواص فقال سليمان على بها الساعة فاتوه بها فقال شدوها عن يمين الميدان وعن يساره على لبنات الذهب والفضة وألقوا لها علوفة فيها ثم قال للجن على بأولادكم فاجتمع خلق كثير فاقامهم فيها عن يمين الميدان وعن يساره ثم قعد سليمان فى مجلسه على سريره ووضع أربعة آلاف كرسى عن يمينه ومثلها عن يساره وأمر الشياطين أن يصطفوا صفوفا فراسخ وأمر الانس فاصطفوا فراسخ وأمر الوحوش والسباع والهوام والطيور فاصطفوا فراسخ عن يمينه وعن يساره فلما أقبل القوم ودنوا من الميدان ونظروا الى ملك سليمان ورأوا الدواب التى لم تر أعينهم مثلها تروث على لبن الذهب والفضة تقاصرت اليهم أنفسهم ورموا بما معهم من الهدايا وفى بعض الروايات أن سليمان عليه السلام لما أمر بفرش الميدان بلبنات الذهب والفضة وأمرهم أن يتركوا فى طريقهم على قدر اللبنات التى معهم فلما رأت الرسل موضع اللبنات خاليا وكل الارض مفروشة خافوا ان يتهموهم بذلك فطرحوا ما معهم فى ذلك المكان قال فلما جاؤا الى الميدان ورأوا الشياطين نظروا الى منظر عجيب ففزعوا منهم فقيل لهم جوزوا فلا خوف عليكم قال فكانوا يمرون على كردوس كردوس من الجن والانس والطير والسباع والوحوش حتى وقفوا بين يدى سليمان عليه السلام فنظر اليهم سليمان نظرا حسنا بوجه طلق وقال ماوراءكم فأخبره رئيس القوم بما جاؤا به وأعطوه كتاب الملكة فلما نظر اليه وقرأه قال لهم أين الحقة فاتى بها فحركها فجاءه جبريل عليه السلام فأخبره بما فى الحقة فقال ان فيها درة ثمينة بلا ثقب وخرزة مثقوبة معوجة الثقب فقال له الرسول صدقت فاثقب الدرة وأدخل الخيط فى الخرزة فقال سليمان عليه السلام من لى بثقبها فسأل الانس فلم يكن عندهم علم ذلك ثم سأل الجن فلم يكن عندهم علم ذلك ثم سأل الشياطين فقالوا له أرسل الى الارضة فارسل اليها فلما أتت أخذت شعرة فى فيها ومرت فى الخرزة حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان سلى حاجتك قالت أن تصير رزقى فى الشجر قال لك ذلك ثم قال من لهذه الخرزة يسلكها بالخيط فقالت دودة بيضاء أنا لها يانبى الله فأخذت الدودة خيطا فى فيها ودخلت الثقب فخرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك فقالت أن تصير رزقى فى الفواكه قال لها لك ذلك ثم انه ميز بين الجوارى والغلمان بان أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم فكانت الجارية تأخذ الماء من الآنية باحدى يديها ثم تجعله فى اليد الاخرى ثم تضرب به الوجه والغلام

يأخذ من الاناء بيديه ويضرب به وجهه وكانت الجارية تصب على باطن ساعدها والغلام على ظهر الساعد وكانت الجارية تصب الماء صبا وكان الغلام يحدر الماء على ساعده حدرا فميز بينهم بذلك ثم رد سليمان الهدية كلها وقال اتمدونني بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون لانكم أهل المفاخرة والمكاثرة في الدنيا ولا تعرفون غير ذلك وليست الدنيا من حاجتي لان الله تعالى قد مكنني منها وأعطاني مالم يعط أحدا من العالمين فيها ومع ذلك فالله سبحانه وتعالى أكرمني بالنبوة والحكمة ثم انه قال للمنذر بن عمرو أمير القوم ارجع اليهم بالهدية فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون ان لم يأتوني مسلمين قالوا فلما رجعت رسل بلقيس اليها من عند سليمان وأخبروها قالت والله ماهذا بملك ومالنا به من طاقة فبعثت الى سليمان اني قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وماتدعوا اليه من دينك ثم ان بلقيس أمرت بعرشها فجعل في سبع أبيات بعضها داخل بعض في آخر قصر من قصورها ثم أغلقت دونه الابواب ووكلت به حراسا يحفظونه ثم انها قالت لمن خلفت على سلطانها احتفظ بما قبلك وسرير ملكي فلا تخلص اليه أحد ولا يراه حتى آتيك ثم انها أمرت مناديا ينادي في أهل مملكتها يؤذنهم بالرحيل ثم شخصت الى سليمان في اثني عشر ألف قيل من ملوك اليمن تحت يد كل قيل مائة ألف مقاتل قال ابن عباس وكان سليمان عليه السلام رجلا مهيبا لا يبتدأ بشئ حتى يكون هو الذي يسأل عنه فخرج يوما فجلس على سرير ملكه فرأى رهجا قريبا منه فقال ماهذا قالوا بلقيس يارسول الله قال وقد نزلت منا بهذا المكان قالوا نعم قال ابن عباس وكان مابين الكوفة والحيرة قدر فرسخ فاقبل سليمان على جنوده وقال أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين أي طائعين خاضعين واختلف العلماء في السبب الذي لاجله أمر سليمان باحضار العرش فقال أكثرهم لان سليمان علم انها اذا أسلمت حرم عليه مالها (١) فاراد أن يأخذ سريرها قبل أن يحرم عليه أخذه باسلامها وقال قتادة لانه أعجبه صفته لما وصفه الهدهد فاراد أن يراه قبل أن يراها وقيل ليريها قدرة الله تعالى وعظم سلطانه في معجزة يأتي بها في عرشها قال عفريت من الجن وهو المارد القوي أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك أي من مجلسك الذي تقضي فيه قال ابن عباس كان له غداة كل يوم مجلس يقضي فيه الى نصف النهار واختلفوا في اسمه فقال وهب انه كودي وقال شعيب كوذان واني عليه لقوي أي قوي على حمله أمين على مافيه من الجواهر فقال سليمان أريد اسرع من هذا فقال الذي عنده علم من الكتاب الآية واختلفوا فيه فقال بعضهم هو جبريل عليه السلام وقال آخرون ملك من الملائكة أيد الله به نبيه عليه السلام وقال آخرون بل كان رجلا من بني آدم ثم اختلفوا فيه

(١) قوله فاراد أن يأخذ الخ لا يخفى ما في هذا القول مما لا يناسب جناب العصمة مع سموها نحو صحة التنفل وما يدعو اليه من الدين المرجو به أن تسلم وتعصم نفسها ومالها اه

فقال

فقال أكثر المفسرين هو آصف بن برخيا بن شمعيا بن ملكيا وكان صديقا يعلم اسم الله الاعظم الذى اذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى (أخبرنا) ابن ميمونة باسناده عن ابن عباس قال ان آصف قال لسليمان حين صلى ودعا الله تعالى مد عينيك حتى ينتهى طرفك قال فمد سليمان عينيه فنظر نحو اليمين فبعث الله الملائكة فحملوا السرير من تحت الارض يخدون الارض خدا حتى انخرقت الارض بالسرير فنبع بين يدى سليمان واختلف العلماء فى الدعاء الذى دعا به آصف بن برخيا عند الاتيان بالعرش فروى عن عائشة رضى الله عنها وعن أبيها أن الاسم الاعظم الذى دعا به آصف ابن برخيا ياحى ياقيوم وروى عن الزهرى قال دعاء الذى عنده علم من الكتاب يا الهنا واله كل شئ الها واحدا لا اله الا أنت ائتنى بعرشها وقال مجاهد ياذا الجلال والاكرام (حدثنا) ابن ميمونة باسناده عن زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال الذى عنده علم من الكتاب رجل صالح وكان فى جزيرة من جزائر البحر فخرج ذلك اليوم ينظر من مساكن الارض وهل يعبد الله أولا يعبد فوجد سليمان فدعا باسم من أسماء الله تعالى فاذا هو بالعرش قد حمل فاتى به سليمان عليه السلام من قبل أن يرتد اليه طرفه * وباسناده عن مجاهد قال حدثنا سهيل بن حرب قال زعم ابن أبى بره ان اسم الذى عنده علم من الكتاب اسطوم وقال قتادة اسمه مليخا وقال محمد ابن المنكدر انما هو سليمان آتاه الله علما وفقها قال له عالم من بنى اسرائيل أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فقال سليمان هات قال أنت النبى ابن النبى وليس أحد عند الله أوجه منك فان دعوت الله وطلبت منه كان عندك قال صدقت ففعل ذلك فجئ بالعرش فى الوقت فلما رأى سليمان العرش مستقرا عنده محمولا اليه من مأرب الى الشام فى قدر ارتداد الطرف وهو مدة يسيرة قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه أى لم ينفع بذلك الا نفسه حيث استوجب شكره لتمام النعمة ودوامها لان الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة ومن كفر فان ربى غنى عن شكره كريم بالافضال عمن يكفر نعمته فقال سليمان عليه السلام نكروا لها عرشها أى زيدوا فيه وانقصوا منه واجعلوا أعلاه أسفله وأسفله أعلاه ننظر أتهتدى الى عرشها فتعرفه أم تكون من الجاهلين الذين لا يهتدون اليه * أراد أن يختبر عقلها وانما حمل سليمان على ذلك ما ذكره وهب بن منبه ومحمد بن كعب وغيرهما من أهل العلم أن الشياطين خافت أن يتزوجها سليمان ويستولدها فتفشى اليه اسرار الجن فلا ينفكون من تسخير سليمان وذريته من بعده فارادوا أن يزهدوه فيها فاساؤا الثناء عليها وقالوا له ان فى عقلها شيأ وان رجليها كحافر حمار فاراد سليمان أن يختبر عقلها بتنكير عرشها وينظر الى قدميها ببناء الصرح فلما جاءت بلقيس قيل لها أهكذا عرشك

قالت كأنه هو فشبهته به وكانت قد تركته خلفها في بيت خلف سبعة أبواب
مغلقة والمفاتيح معها فلم تقر بذلك ولم تنكر فعلم سليمان كمال عقلها قال الحسين
ابن الفضل شبهوا عليها فشبهت عليهم وأجابتهم على حسب سؤالهم ولو قالوا لها هذا
عرشك لقالت نعم فقال سليمان وأوتينا العلم بابتلائها ومجيئها طائعة من قبلها أي
من قبل مجيئها وكنا مسلمين طائعين خاضعين لله تعالى هذا قول مجاهد وغيره وقال
بعضهم هو من قول بلقيس لما رأت عرشها عند سليمان قالت قد عرفت هذا وأوتينا
العلم بصحة نبوة سليمان عليه السلام بالآيات المتقدمة من قبلها أي من قبل هذه
الآية وكنا مسلمين أي منقادين لك مطيعين لامرك من قبل أن جئناك فلما وافت
سليمان عليه السلام قيل لها ادخلي الصرح وذلك أن سليمان لما أقبلت بلقيس تريده
أمر الشياطين فبنوا له صرحا أي قصرا من زجاج كأنه الماء بياضا وأجروا من تحته الماء
وألقى فيه السمك ثم وضع سريره في صدره وجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن
والانس وانما أمر ببناء الصرح لان الشياطين قال بعضهم لبعض قد سخر الله
لسليمان ما سخر وبلقيس ملكة سبا ينكحها فتلد غلاما فلا ننفك من العبودية
والسخرة أبدا فارادوا أن يزهدوه فيها فقالوا ان رجلها رجل حمار وانها شعراء
الساقين لان أمها كانت جنية فاراد سليمان أن يعلم حقيقة ذلك وينظر قدميها
وساقيها فامر ببناء الصرح وقال وهب بن منبه انما بنى الصرح ليختبر عقلها وفهمها
يعاييها بذلك كما فعلت هي بتوجيهها اليه الوصائف والوصفاء ليميز بين الذكر والانثى
فلما جاءت بلقيس قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وهي معظم الماء فكشفت
عن ساقيها لتخوضه الى سليمان فنظر سليمان عليه السلام فاذا هي أحسن الناس
ساقا وقدما الا أنها كانت شعراء الساقين فلما رأى سليمان ذلك صرف بصره عنها
وناداها انه صرح ممرد من قوارير وليس بماء فلما جلست قالت له ياسليمان اني أريد أن
أسألك عن شئ قال سلي قالت أسألك عن ماء روى ليس من الارض ولا من السماء
وكان سليمان اذا جاء شئ لا يعلمه سأل عنه الانس فان كان عندهم علم ذلك والا سأل
الجن فان علموا والا سأل الشياطين فسأل الشياطين عن ذلك فقالوا ما أهون ذلك أجر
الخيل أن تجرى ثم املأ الآنية من عرقها فقال لها سليمان عرق الخيل فقالت صدقت
ثم قالت أخبرني عن كون ربك فوثب سليمان عن سريره وخر ساجدا وصعق فقامت
عنه وتفرقت جنوده فجاء جبريل عليه السلام وقال له ياسليمان يقول لك ربك
ما شأنك قال ياجبريل ربي أعلم بما قالت قال فان الله يأمرك أن تعود الى سريرك
فترسل اليها والى من حضرها من جنودك وجنودها فتسألها وتسألهم عما سألتك
عنه ففعل ذلك سليمان فلما دخلوا عليه واستقروا قال لها عما اذا سألتيني قالت عن ماء

روى لبس من أرض ولا من سماء فاجبت قال وعن أي شئ سألتيني أيضا قالت
ماسألتك عن شئ الا هذا فسأل الجنود فقالوا مثل قولها وأنساهم الله تعالى ذلك وكفى
الله سليمان الجواب ثم ان سليمان دعاها الى الاسلام وكانت قد رأت حال الهدهد
والهدية والرسل والعرش والصرح فاجابت وقالت رب اني ظلمت نفسي بالكفر
وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين واختلف العلماء في أمرها بعد الاسلام فقال
أكثرهم لما اسلمت بلقيس أراد سليمان أن يتزوجها فلما هم بذلك كره لما رأى من
شدة كثرة شعر ساقيها وقال ما أقبح هذا فسأل الانس عما يذهب ذلك فقالوا الموسى
فقالت المرأة ما مسني حديد قط فكره سليمان الموسى وقال انها تقطع ساقيها فسأل الجن
فقالوا لاندري ثم سأل الشياطين فتنكروا عليه وقالوا لاندري فلما ألح عليهم قالوا نحن
نحتال لك عليه حتى يكون كالفضة البيضاء فاتخذوا لها النورة والحمام قال ابن عباس
انه أول يوم رؤيت فيه النورة فاستنكحها سليمان عليه السلام (أخبرني) ابن ميمونة
بسنده عن أبي موسى يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال أول من اتخذ الحمامات
سليمان عليه السلام فلما التصق ظهره بالجدار قال أواه من عذاب الله تعالى قالوا
فلما تزوجها سليمان أحبها حبا شديدا وأقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا لها بأرض
اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا وهي سلحين وغمدان وبينون ثم
ان سليمان كان يزورها في كل شهر مرة بعد أن ردها الى ملكها ويقيم عندها ثلاثة
أيام ثم يبكر من الشأم الى اليمن ومن اليمن الى الشأم ❊ وروى محمد بن اسحق عن بعض
أهل العلم عن وهب بن منبه قال سليمان لبلقيس لما أسلمت وفرغ من أمرها اختاري
رجلا من قومك حتى أزوجك اياه قالت ومثلي ينكح الرجال يا نبي الله وقد كان لي في
ملكي وقومي من السلطان ما كان قال نعم انه لا يكون في الاسلام الا ذلك ولا ينبغي لك
أن تحرمي ما أحل الله لك قالت زوجني ان كان ولا بد من تبع الاكبر ملك همدان فزوجه
اياها ثم ردها الى اليمن وسلط زوجها ذا تبع على اليمن ودعا سليمان زوبعة أمير جن
اليمن فقال له اعمل لذي تبع ما استعملك فيه قال فصنع لذي تبع المصانع باليمن ثم لم
يزل بها ملكا يعمل فيها ما أراد حتى مات سليمان عليه السلام قال فلما حال الحول
وبلغ الجن موت سليمان أقبل رجل منهم فسلك تهامة حتى اذا كان في جوف اليمن
صرخ بأعلى صوته يا معشر الجن ان سليمان نبي الله قد مات فارفعوا أيديكم قال فعمدت
الشياطين الى حجرين عظيمين فكتبوا فيهما كتابا بالمسند يعني خط الحميرية نحن بنينا
سلحين وابنيين وبينا صرواح ومرواح وفنقون وهندة وهنيدة ودلوم وهذه الحصون
كانت باليمن عملتها الشياطين لذي تبع ولولا صارخ بتهامة لم يرفعوا أيديهم فانطلقوا
وتفرقوا وانقضى ملك ذي تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان عليه السلام والله أعلم

﴿باب فى ذكر غزوة سليمان عليه السلام أبا زوجته الجرادة وخبر الشيطان الذى أخذ خاتمه من يده وسبب زوال ملكه﴾

قال الله تعالى وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب ﴿ روى محمد بن اسحق عن بعض العلماء أن سليمان أخبر ان فى جزيرة من جزائر البحر رجلا يقال له صيدون ملك عظيم الشأن لم يكن للناس اليه سبيل لمكانه فى البحر وكان الله قد آتى سليمان فى ملكه سلطانا لا يمتنع عليه شئ فى بر ولا بحر فخرج الى تلك المدينة فحملته الريح على ظهرها حتى نزل عليها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها وسبى ما فيها فأصاب فيما أصاب بنتا لذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها الى الاسلام فأسلمت على يده فى الظاهر على خيفة منه وقلة ثقة فاحبها حبا شديدا لم يحبه أحدا من نسائه وكانت منزلتها عنده منزلة عظيمة وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك ما هذا الحزن الذى لا يذهب والدمع الذى لا يرقأ فقالت انى اذكر أبى واذكر ملكه وسلطانه وما كان فيه فيحزننى ذلك فقال لها سليمان قد أبدلك الله ملكا هو أعظم من ملكه وسلطانا هو أعظم من سلطانه وهداك الله الى الاسلام وهو خير لك من ذلك كله قالت ان ذلك كذلك ولكنى اذا ذكرته أصابنى ما ترى من الحزن فلو انك أمرت الشياطين يصورون لى صورته فى دارى التى أنا فيها أراه بكرة وعشية لرجوت أن يذهب ذلك حزنى ويسلينى عن بعض ما أجد فى نفسى فأمر سليمان الشياطين أن يمثلوا لها صورة أبيها فى دارها حتى لا تنكر منه شيأ فمثلوه لها حتى نظرت الى أبيها بعينه الا أنه لا روح فيه فعمدت اليه حين صنعوه فأزرته وقمصته وعممته وردته بمثل ثيابه التى كان يلبسها ثم انها كانت اذا خرج سليمان من دارها تغدو اليه فى ولائدها فتسجد له ويسجدن له معها كما كانت تصنع معه فى ملكه وتروح اليه كل عشية تفعل معه مثل ذلك وسليمان لا يعلم بشئ من ذلك أربعين صباحا فبلغ ذلك آصف بن برخيا وكان صديقا وكان لا يرد عن باب سليمان أى ساعة أراد دخول بيته دخل حاضرا أم غائبا فأتاه فقال يا نبى الله كبر سنى ودق عظمى ونفد عمرى وقد حان الذهاب منى وقد أحببت أن أقوم مقاما قبل الموت أذكر فيه من مضى من أنبياء الله تعالى وأثنى عليهم بعلمى فيهم وأعلم الناس بعض ما يجهلون من كثير من أمورهم فقال افعل فجمع له سليمان الناس فقام فيهم خطيبا فذكر من مضى من أنبياء الله تعالى وأثنى على كل نبى بما فيه وذكر ما فضلهم الله به حتى انتهى الى سليمان فقال له ما كان أحكمك فى صغرك وأورعك فى صغرك وأفضلك فى صغرك وأحكم أمرك فى صغرك وأبعدك من كل ما يكره فى صغرك ثم انصرف فوجد سليمان فى نفسه من ذلك حتى امتلأ غيظا فلما دخل سليمان داره أرسل اليه فلما أتاه قال له يا آصف

ذكرت

ذكرت من مضى من أنبياء الله تعالى فأثنيت عليهم خيرا في كل زمانهم وعلى كل
حال من أمورهم فلما ذكرتني أثنيت علي بخير في صغري وسكت عما سوى ذلك من
أمري في كبري فما الذي أحدثت في آخر عمري فقال له ان غير الله يعبد في دارك
أربعين صباحا في هوى امرأة فقال سليمان في داري قال نعم في دارك فقال انا لله وانا
اليه راجعون لقد علمت انك ما قلت ما قلت الاعن شئ بلغك ثم ان سليمان رجع
الى داره فكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة وولائدها ثم انه أمر بثياب الطهر فأتى
بها وهي ثياب لا تغزلها الا الابكار ولا تمسها امرأة ذات دم فلبسها ثم خرج الى فلاة من
الارض وحده وأمر برماد ففرش ثم أقبل تائبا الى الله تعالى حتى جلس على ذلك
الرماد وتمعك فيه بثيابه تذللا لله تعالى وتضرعا اليه يبكي ويدعو ويستغفر مما كان
في داره ويقول فيما يقول رب ما كان ينبغي لآل داود أن يعبدوا غيرك وأن يقروا
في دورهم وأهاليهم عبادة غيرك فلم يزل كذا يومه حتى أمسى ثم رجع الى داره
وكانت له وليدة يقال لها أمينة كان اذا دخل مذهبه أو أراد قضاء حاجة أو أراد
اصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر وكان لا يمس خاتمه الا وهو متطهر
لان خاتمه كان من ياقوتة خضراء أتاه بها جبريل عليه السلام مكتوب عليه لا اله الا الله
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ملكه في خاتمه فوضعه يوما من الايام عندها كما
كان يضعه عند دخول مذهبه فأتاها الشيطان صاحب البحر على صورة سليمان
وكان اسمه صخرا فظنته سليمان لانها لم تنكر منه شيأ فقال يا أمينة خاتمي فناولته اياه
فجعله في يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان فعكفت عليه الطير والجن
والانس والشياطين فخرج سليمان فأتى الى أمينة وقد تغير من حاله ونفسه ما كان
معهودا له عند كل من رآه فقال يا أمينة خاتمي فقالت ومن أنت قال سليمان بن داود
فقالت كذبت لست سليمان فقد جاء سليمان وأخذ خاتمه وها هو جالس على سرير
ملكه فعرف سليمان ان الخطيئة قد أدركته فخرج سليمان وجعل يقف على الدار من
دور بني اسرائيل فيقول أنا سليمان بن داود فيحثون عليه التراب ويسبونه ويقولون
انظروا الى هذا المجنون وأي شئ يزعم يقول انه سليمان فلما رأى سليمان ذلك خرج
متوجها الى البحر فكان ينقل الحيتان لاصحاب البحر من البحر الى السوق فيعطونه
كل يوم سمكتين فاذا أمسى باع احدى السمكتين بأرغفة وشوى الاخرى فيأكلها
فمكث كذلك أربعين صباحا عدة ما كان ذلك الوثن يعبد في داره فانكر آصف بن برخيا
وعلماء بني اسرائيل حكم عدو الله الشيطان في تلك الاربعين يوما فقال آصف يا معشر
بني اسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم سليمان ما رأيت قالوا نعم فقال امهلوني
حتى ادخل على نسائه فأسألهن هل أنكرن منه في خاصة أمره ما أنكرناه من

عامة أمر الناس وعلانيته فدخل على نسائه فقال لهن ويحكن هل أنكرتن من أمر سليمان بن داود ما أنكرناه فقلن أشد ما يدع امرأة منا في دمها ولا يغتسل من جنابة فقال آصف انا لله وانا اليه راجعون ان هذا لهو البلاء المبين ثم انه خرج الى بني اسرائيل فقال ما في الخاصة أعظم مما في العامة فلما مضت أربعون صباحا زال الشيطان عن مجلسه ثم مر في البحر فقذف الخاتم فيه فابتلعته سمكة فاصطادها بعض الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه ذلك حتى اذا كان العشاء أعطاه السمكتين وكان من جملتهما السمكة التي ابتلعت الخاتم فحمل سليمان سمكتيه فباع التي ليس في بطنها الخاتم بالارغفة ثم عمد الى السمكة الاخرى فشقها ليشويها فوجد خاتمه في جوفها فأخذه فجعله في يده ووقع ساجدا فعكفت عليه الطير والجن والانس والشياطين وأقبل على الناس وعلم ان الذي دخل عليه لما أحدث في داره من عبادة الوثن فرجع الى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه ثم أمر الشياطين وقال ائتوني بصخر المارد فطلبته الشياطين حتى اتت به فنحت له صخرة فأدخله فيها ثم سد عليه بأخرى ثم أوثقها بالحديد والرصاص ثم أمر به فقذف في البحر فهذا حديث وهب بن منبه ❊ وقال السدي في سبب ذلك كان لسليمان مائة امرأة وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة وهي آثر نسائه وآمنهن عنده وكان اذا أراد أن يأتي حاجته أو دخل مذهبه نزع الخاتم ولم يأتمن عليه أحدا من الناس غيرها فجاءته يوما من الايام وقالت له ان أخي بينه وبين فلان خصومة وأنا أحب أن تقضي له اذا جاءك فقال نعم ولم يفعل فابتلي بقوله فأعطاها خاتمه ودخل المخرج فخرج الشيطان في صورته فقال لها هات الخاتم فاعطته فجاء حتى جلس على مجلس سليمان وخرج سليمان بعده فسألها أن تعطيه خاتمه فقالت له ألم تأخذه قال لا فخرج من مكانه تائبا ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما فأنكر الناس حكمه واجتمع قراء بني اسرائيل وعلماؤهم فجاؤا حتى دخلوا على نسائه فذكروا لهن ما أنكروا فقلن ونحن قد أنكرنا هذا فان كان سليمان قد ذهب عقله وأساء أحكامه فليس لنا صبر على ذلك وبكى النساء عند ذلك قال فاقبلوا يمشون حتى أتوه وأحدقوا به وأخذوا مجالسهم ثم انهم نشروا التوراة فقرؤها فلما قرؤا التوراة طار من بين أيديهم حتى ذهب الى البحر فوقع الخاتم منه في البحر فابتلعه الحوت قال وأقبل سليمان على حالته التي كان فيها حتى انتهى الى صياد من الصيادين وهو جائع وقد اشتد جوعه فاستطعمهم من صيدهم وقال اني سليمان بن داود فقام اليه بعضهم فضربه بعصاه فشجه فسال دمه وهو على شاطئ البحر فلام الصيادون صاحبهم الذي ضربه وقالوا له بئسما صنعت حيث ضربته فقال انه زعم أنه سليمان بن داود فأعطوه سمكتين مما ضرب عندهم فلم يشغله ما كان فيه من ألم

الضرب حتى قام الى شاطئ البحر فشق بطنهما وجعل يغسلهما فوجد خاتمه في بطن
احداهما فأخذه ولبسه فرد الله عليه ملكه وبهاءه وجاءت الطير حتى حامت عليه
فعرفه القوم فجاؤا يعتذرون اليه مما صنعوا فقال ما أؤاخذكم على عدوانكم ولا ألومكم
على ما كان منكم هذا ما كان لابد منه ثم جاء حتى أتى ملكه وأمر أن يأتوا بالشيطان
الذى أخذ خاتمه فأتى به فجعله فى صندوق من حديد ثم أطبقه وأقفل عليه بقفل وختمه
بخاتمه ثم أمر به فالقى فى البحر وهو فيه كذلك الى الساعة وفى بعض الروايات أن سليمان
عليه السلام لما افتتن سقط الخاتم من يده وكان فيه ملكه فأخذه سليمان وأعاده
عليه فسقط من يده فلما رآه سليمان لا يثبت فى يده أيقن بالفتنة فقال آصف لسليمان
انك مفتون بذنبك والخاتم لا يتماسك أربعة عشر يوما ففر الى الله تائبا من ذنبك وأنا
أقوم مقامك وأسير فى عملك وأهل بيوتك بسيرك الى أن يتوب الله عليك ويردك
الى ملكك ففر سليمان هاربا الى ربه وأخذ آصف الخاتم فوضعه فى يده فثبت وان
الجسد الذى قال الله تعالى وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب هو آصف كاتب سليمان
وكان عنده علم من الكتاب فأقام آصف فى ملك سليمان وعاله يسير بسيرته ويعمل
بعمله أربعة عشر يوما الى أن رجع سليمان الى منزله تائبا الى الله تعالى ورد الله عليه
ملكه فأقام آصف من مجلسه وجلس سليمان على كرسيه وأعاد الخاتم فى يده فثبت
وقيل سبب ذلك ما أخبرنا شعيب بن محمد البجلى باسناده عن سعيد بن المسيب ان
سليمان بن داود احتجب عن الناس ثلاثة أيام فأوحى الله اليه أن يا سليمان احتجبت
عن عبادى ثلاثة أيام فلم تنظر فى أمورهم ولم تنصف مظلوما من ظالم وذكر حديث
الخاتم وأخذ الشيطان اياه كما رويناه وقال فى آخره قال على كرم الله وجهه ذكرت ذلك
للحسن فقال ما كان الله تعالى ليسلط على نسائه ونعوذ بالله أن يسلط الشيطان على
نساء أنبيائه بالمباشرة وكيف يعتقد ذلك أحد وقد نزه الله تعالى أنبياءه عن مثل هذا
القبيح وهذا القول أصح الاقوال وأليق بانبياء الله تعالى وأقرب الى التقوى * وقال
بعض المفسرين كان سبب فتنة سليمان انه أمر أن لا يتزوج امرأة الا من بنى اسرائيل
فتزوج امرأة من غيرهم فعوقب على ذلك * وقيل ان سليمان عليه السلام لما أصاب
بنت الملك صيدون أعجب بها وعرض عليها الاسلام فامتنعت فخوفها سليمان فقالت
له ان أكرهتنى على الاسلام قتلت نفسى فخاف سليمان أن تقتل نفسها فتزوجها
مشركة فكانت تعبد صنما لها من ياقوتة أربعين صباحا فى خفية من سليمان الى أن
أسلمت فعوقب سليمان بزوال ملكه أربعين يوما * وقال الشعبى فى سبب زوال ذلك
ولد لسليمان ابن فاجتمعت الشياطين فقال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لم تنفك مما
نحن فيه من البلاء والسخرة فسبيلنا أن نقتل ولده أو نخبله فعلم سليمان ذلك فأمر

السحاب أن تأخذ ابنه وأمر الريح فحملته وغذا ابنه فى السحاب فامن مضرة الشياطين فعاتبه الله لتخوفه من الشياطين ومات الولد فألقى على كرسيه وهو الجسد الذى قصه الله علينا بقوله وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب والله أعلم

﴿ باب فى ذكر وفاة سليمان عليه السلام ﴾

قال الله تعالى فلما قضينا عليه الموت الآية قال أهل التاريخ لبث سليمان فى ملكه بعد أن رده الله عليه تعمل له الجن والشياطين ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات وغير ذلك ويعذب من الشياطين من يشاء ويطلق من يشاء ويأمرهم بحمل الحجارة الثقيلة ونقلها الى حيث أحب قال فتريا لهم ابليس وهم دائبون فى العمل فقال كيف أنتم قالوا ما لنا طاقة مما نحن فيه فقال ابليس تذهبون تحملون الحجارة وترجعون فراغا لا تحملون شيأ قالوا نعم قال فانتم فى راحة قال فابلغت الريح ذلك سليمان فامرهم أن يحملوا ذاهبين وراجعين فجاءهم ابليس فقال كيف أنتم فشكوا اليه وأخبروه انهم يحملون ذاهبين وراجعين فقال لهم ابليس أتنامون بالليل قالوا نعم قال فانتم فى راحة قال فابلغت الريح ذلك سليمان فامرهم أن يعملوا بالليل والنهار فتريا لهم ابليس فشكوا اليه انهم يعملون بالليل والنهار وانهم دائبون فى العمل فقال كيف أنتم قالوا لا طاقة لنا فيما نحن فيه فقال لهم ابليس وما يشاء فعله قالوا نعم قال فتوقعوا الفرج وقد بلغ الامر منتهاه فلم يلبثوا الا قليلا وقد مات سليمان عليه السلام * قال ابن عباس وغيره كان سليمان عليه السلام يحتجب فى بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر يدخل فيه بطعامه وشرابه فدخله فى المرة التى مات فيها وكان بدء أمره فى ذلك انه لم يكن يوما يصبح فيه الا تنبت له ببيت المقدس شجرة فيسألها سليمان ما اسمك فتقول الشجرة اسمى كذا وكذا فيقول لاى شئ أنت فتقول لكذا وكذا فيأمر بها فتقطع فان كانت تنبت لغرس كتب عليها غرسها فى مكان كذا وكذا وان كانت لدواء كتب عليها لكذا وكذا فبينما هو يصلى يوما اذ رأى شجرة نابتة بين يديه فقال لها ما اسمك قالت الخرنوبة قال ولاى شئ نبتت قالت لخراب هذا المسجد فقال سليمان بن داود ما كان الله تعالى ليخربه وأنا حى أنت الذى على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها فى حائط له ثم قال اللهم عم على الجن موتى حتى تعلم الانس أن الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس أنهم يعلمون من الغيب أشياء وأنهم يعلمون ما يكون فى غد ثم ان سليمان دخل المحراب فقام يصلى متكئا على عصاه فمات ثم بقى على تلك الحالة ولم يعلم بذلك من الشياطين أحد وهم مع ذلك يعملون ويخافون أن يخرج فيعاقبهم * وقال عبد الرحمن بن زيد قال سليمان لملك الموت اذا أمرت بى فاعلمنى قال

فاتاه فقال ياسليمان قد أمرت بك وقد بقي لك سويعة فدعا الشياطين فبنوا له صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي واتكأ على عصاه فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكئ على عصاه * وفي رواية أخرى أن سليمان عليه السلام قال ذات يوم لاصحابه ان الله تعالى آتاني من الملك ما ترون وما مر على يوم في ملكي صاف من الكدر وقد أحببت أن يكون لي يوم واحد يصفو لي الى الليل ولا أغتم فيه وليكن ذلك اليوم غدا فلما كان من الغد دخل قصراله وأمر باغلاق أبوابه ومنع الناس من الدخول عليه ومنع من رفع الاخبار اليه لئلا يسمع شيأ يسوءه ثم أخذ العصا بيده ووضعها فوق خصره واتكأ عليها ينظر الى ممالكه اذ نظر شابا حسن الوجه عليه ثياب بيض قد خرج عليه من جانب القصر فقال له السلام عليك ياسليمان فقال وعليك السلام فكيف دخلت على هذا القصر بغير اذني وقد منعت من دخوله أما منعك البواب والحجاب أما هبتني حين دخلت قصري بغير اذني فقال أنا الذي لا يحجبني حاجب ولا يدفعني البوّاب ولا أخاف الملوك ولا أقبل منهم الرشا وما كنت لادخل هذا القصر بغير اذن فقال له سليمان فمن أذن لك في دخوله فقال له ربي قال فارتعد سليمان وعلم انه ملك الموت فقال له أنت ملك الموت قال نعم قال فيم جئت قال لاقبض روحك قال ياملك الموت هذا يوم أردت أن يصفو لي ولا أسمع فيه ما يغمني فقال ياسليمان انك أردت يوما يصفو لك فيه عيشك حتى لا يغمك فيه شئ وذلك يوم لم يخلق في الدنيا فارض بقضاء ربك فانه لا مرد له قال فاقبض كما أمرت فقبض ملك الموت روحه وهو متكئ على عصاه قالوا وكانت الشياطين تجتمع حوله وحول محرابه ومصلاه اينما كان وكان للمحراب بابان باب بين يديه وباب خلفه فقال بعض الشياطين لصاحبه ان كنت جليدا فادخل من الباب الذي بين يديه واخرج من الباب الذي خلفه فدخل ذلك البعض ولم يكن شيطان ينظر الى سليمان في المحراب الا احترق فمر ذلك الشيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فوقف بالبيت فلم يحترق فنظر الى سليمان وقد سقط ميتا فخرج فاخبر الناس أن سليمان قد مات ففتحوا عليه فاخرجوه ووجدوا منسأته وهي العصا بلغة الحبشة قد أكلتها الارضة فلم يعلموا منذ كم مات فوضعوا الارضة على العصا فاكلت منها يوما وليلة ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه وينظرون اليه ويحسبون أنه حي ولا ينكرون احتباسه عن الخروج الى الناس لطول صلاته قبل ذلك وفي رواية ابن مسعود فمكثوا يدأبون له بعد موته حولا كاملا فايقن الناس أن الجن كانوا يكذبون في ادعائهم علم الغيب فلو أنهم علموا الغيب لعلموا موت سليمان ولم يلبثوا في العناء والعذاب سنة يعملون له ثم ان الشياطين قالوا للارضة لو كنت تأكلين الطعام

لاتيناك باطيب الطعام ولو كنت تشربين الماء لسقيناك أعذب الشراب ولكنا ننقل اليك الماء والطين شكرا لك فالذى يكون فى جوف الخشب فهو ما تأتيها به الشياطين والشياطين تسكن اليها فذلك قوله تعالى فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منسأته الآية قال أهل التاريخ كان عمر سليمان عليه السلام ثلاثا وخمسين سنة ومدة ملكه منها أربعون سنة وذلك أنه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ فى بناء بيت المقدس لاربع سنين مضين من ملكه ثم ملك من بعد سليمان ابن له يقال له رحبعم وكان قد استخلفه فنبأه الله وكان نبيا ولم يكن رسولا ثم قبض وكان ملكه سبع عشرة سنة * ثم ملكهم بعده ابنه آفيا بن رحبعم وكان ملكه ثلاثا وستين سنة ثم ملك بعده ابنه أسا بن آفيا وكان رجلا صالحا وكان أعرج يعتريه عرق النسا فطمع فيه الملوك لضعفه وافترقت ملوك بنى اسرائيل فغزاهم ملك من ملوك الهند يقال له روح الهندى فى جمع كثير وقبيلة كبيرة فبعث الله عليهم الملائكة فهزمتهم فقصدوا البحر حتى اذا ركبوا جميعا بعث الله عليهم الرياح والامواج فضربت سفنهم بعضها فى بعض فتكسرت وغرق روح الهندى ومن كان معه واضطربت الامواج حتى ألقت أثقالهم وأموالهم وسلبهم الى محلة بنى اسرائيل ونودوا أن خذوا ما غنمكم الله تعالى وكونوا له من الشاكرين ثم لم تزل تغزوهم الملوك ملك بعد ملك من ملوك العراق وغيرهم فيهلكهم الله تعالى الى أن ظهر فيهم الظلم والفساد وفشت فيهم المعاصى وعبد بعض ملوك بنى اسرائيل الاصنام من دون الله تعالى فغضب الله عليهم بكفرهم ومعصيتهم وسلط عليهم بختنصر

﴿مجلس فى قصة بختنصر وخبر شعياء وأرمياء ودانيال وعزير﴾
﴿عليهم وعلى الانبياء السلام وما يتصل به﴾

قال الله تعالى وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب الى قوله عز وجل وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا

﴿قصة شعياء عليه السلام﴾

قال محمد بن اسحق وغيره من أهل السير والاخبار كان مما أنزل الله تعالى على موسى خبر بنى اسرائيل من احداثهم وما هم فاعلون بعده كما قال الله تعالى وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا الى قوله حصيرا فكانت بنو اسرائيل يركبون الاحداث والذنوب وكان الله تعالى يتجاوز عنهم تعطفا عليهم واحسانا اليهم وكان أول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم من تلك الوقائع كما أخبر الله تعالى على لسان موسى عليه السلام أن ملكا منهم كان يدعى صديقة وكان الله تعالى اذا ملك ملكا من الملوك بعث له نبيا يسدده ويرشده ويكون واسطة فيما بينه وبين الله تعالى فيما يحدث من أمورهم ولا ينزل عليهم كتبا وانما يأمرهم أن يأمروهم

باحكام

باحكام التوراة والنهى عن المعاصى والمنكرات والدعاء الى ماتركوا من الطاعات فلما ملك ذلك الملك بعث الله تعالى شعياء بن أمضياء وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وعيسى وشعياء هو الذى بشر بيت المقدس حين شكى اليه الخراب فقال أبشر فانه يأتيك راكب الحمار ومن بعده صاحب البعير فلك ذلك الملك بنى اسرائيل وبيت المقدس زمانا فلما انقضى ملكه فيهم عظمت فيهم الاحداث الرديئة وشعياء معه فبعث الله عليهم سنجاريب ملك بابل فنزل هو وجنوده فى ستمائة ألف راية فاقبل سائرا حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض فى ساقه قرحة شديدة فجاء اليه شعياء فقال ياملك بنى اسرائيل ان سنجاريب ملك بابل قد نزل هو وجنوده فى ستمائة ألف راية وأقبل سائرا حتى نزل بيت المقدس وقد هابهم الناس وتفرقوا منهم فكبر ذلك على الملك وقال يانبى الله هل أتاك وحى من الله فيما حدث فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا وبعدونا سنجاريب وجنوده فقال النبى لم يأت وحى فبينما هم كذلك اذ أوحى الله تعالى الى شعياء عليه السلام أن ائت ملك بنى اسرائيل فأمره أن يوصى بوصيته ويستخلف على مملكته من يشاء من أهل بيته وعترته فأتى شعياء صديقة فقال ان ربك قد أوحى الى أن آمرك أن توصى بوصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من أهل بيتك فانك ميت فلما قال ذلك شعياء لصديقة أقبل على الله تعالى وصلى ودعا وبكى وقال فى دعائه وهو يبكى ويتضرع الى الله تعالى بقلب مخلص وظن صادق اللهم رب الارباب واله الآلهة القدوس المقدس يارحمن يارحيم يارؤف يامن لاتأخذه سنة ولانوم اذكرنى بنيتى وفعلى وحسن قضائى فى بنى اسرائيل وذلك كله كان منك وأنت أعلم به منى سرى وعلانيتى لك ثم ان الله استجاب دعاءه ورحمه وكان عبدا صالحا فأوحى الله تعالى الى شعياء وأمره أن يخبر صديقة الملك أن ربه قد استجاب له ورحمه وقبل منه وقد أخر أجله خمس عشرة سنة وأنجاه الله من عدوه سنجاريب ملك بابل وجنوده فاتى شعياء اليه وأخبره بذلك فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع وانقطع عنه الهزال وخر ساجدا لله تعالى وقال يا الهى واله آبائى لك سجدت وسبحت وكبرت وعظمت أنت الذى تعطى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء عالم الغيب والشهادة أنت الاول والآخر والظاهر والباطن وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين أنت الذى أجبت دعوتى ورحمت تضرعى فلما رفع رأسه أوحى الله تعالى الى شعياء أن قل للملك صديقة أن يأمر عبدا من عبيده فيأتيه بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى ففعل ذلك فبرأ فقال الملك لشعياء سل ربك أن يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا فقال الله لشعياء قل له انى كفيتك عدوك هذا وأنجيتك منه وانهم سيصبحون موتى كلهم الاسنجاريب وخمسة نفر من كبرائه

وكابه فلما أصبحوا جاءهم صارخ يصرخ على باب المدينة ياملك بنى اسرائيل قد كفاك الله عدوك فاخرج فان سنحاريب ومن معه قد هلكوا فلما خرج الملك التمس سنحاريب فلم يوجد فى الموتى فبعث الملك فى طلبه فأدركه الطلب هو ومن معه فى خمسة نفر من كبرائه فى مغارة أحدهم بختنصر فجعلوهم فى الجوامع ثم أتوابهم ملك بنى اسرائيل فلما رآهم خر ساجدا لله تعالى من حين طلعت الشمس الى العصر ثم قال ياسنحاريب كيف ترى فعل ربنا بكم ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون فقال له سنحاريب قد أتانى خبر ربكم ونصرته اياكم من قبل أن أخرج من بلادى فلم أطع مرشدا ولم يلقنى فى الشقوة الاقلة عقلى فلو سمعت أو عقلت ماغزوتكم ولكن الشقوة غلبت على وعلى من معى قال فقال صديقة الحمد لله رب العالمين الذى كفاناكم بماشاء ان ربنا لم يبقك ومن معك لكرامتك عليه ولكن انما أبقاك ومن معك لتزدادوا شقاوة فى الدنيا وعذابا فى الآخرة وتخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا بكم وبمن معكم ولدمك ومن معك أهون عند الله من دم قرادة لو قتلت * ثم ان ملك بنى اسرائيل أمر أمير جيشه فقذف فى رقابهم الجوامع وطاف بهم سبعين يوما حول بيت المقدس وايلياء وكان يطعمهم كل يوم رغيفين من شعير لكل رجل منهم فقال سنحاريب لملك بنى اسرائيل القتل خير مما تفعل بنا فافعل ما أردت فأمر بهم الملك الى سجن القتل فأوحى الله الى شعياء أن قل لملك يرسل سنحاريب ومن معه لينذروا من وراءهم وليكرموا وليحملوا حتى يبلغوا بلادهم فبلغ شعياء الملك ذلك ففعل فخرج سنحاريب ومن معه لينذروا من وراءهم حتى قدموا بابل فلما قدموا جمع سنحاريب الناس فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده فقال له كهانه وسحرته ياملك قد كنا نقص عليك خبرهم وخبر نبيهم ووحى الله اليه فلم تطعنا وهى أمة لا يستطيعها أحد وكان فى أمر سنحاريب مما خوفوا به ثم كفاهم الله اياه تذكرة وعبرة ثم لبث سنحاريب بعد ذلك سبع سنين ثم مات واستخلف من بعده بختنصر وكان ابن ابنه وكان بختنصر يعمل كما يعمل جده ويقضى بقضائه فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله تعالى ملك بنى اسرائيل صديقة فمرج أمر بنى اسرائيل وتنافسوا فى الملك حتى قتل بعضهم بعضا وظهر فيهم البغى والفساد ونبيهم شعياء فيهم لا يرجعون اليه ولا يقبلون قوله فلما فعلوا ذلك قال الله تعالى لشعياء عليه السلام قم فى قومك يوح على لسانك فلما قام النبى أطلق الله لسانه بالوحى فقال ياسماء اسمعى ويا أرض أنصتى فان الله أراد أن يقضى شأن بنى اسرائيل الذين رباهم بنعمته واصطفاهم لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على عباده واستقبلهم بالكرامة وهم كالغنم الضائعة التى لا راعى لها فآوى شاردها وجمع ضالها وجبر كسيرها وداوى مريضها وأسمن هزيلها وحفظ سمينها فلما فعل

ذلك بطرت فتنا طحت كباشها فقتل بعضهم بعضا حتى لم يبق منهم عظم صحيح يجبر المه
كسير فويل لهذه الامة الخاطئة الذين لا يدرون أجاءهم الخير أم الشر وان البعير يذكر
وطنه فينتابه وان الحمار يذكر الآرى الذى يشبع عليه فيراجعه وان الثور يذكر
المسرح الذى يسرح فيه فينتابه وان هؤلاء القوم لا يدرون من أين جاءهم الخير وهم
أولو الالباب والعقول ليسوا ببقر ولا حمير انى ضارب لهم مثلا فليسمعوه قل لهم
كيف ترون فى أرض كانت خرابا مواتا فبقيت خرابا زمانا طويلا لا عمران فيها وكان
لها رب حكيم قوى فأقبل عليها بالعمارة وكره أن تخرب أرضه فاحاط عليها جدارا
وشيد فيها قصرا وأجرى نهرا وأنبت عليها غرسا من الزيتون والرمان والنخيل
والاعناب وأنواع الثمار كلها وولى ذلك واستحفظه ذا رأى حفيظا قويا أمينا
فانتظرها فلما أطلعت جاء طلعها خرنوبا فقال بئست الارض هذه نرى أن نهدم
جدرها وقصرها ويغيض ماء نهرها ويحرق غرسها حتى تصير كما كانت خرابا أول مرة
مواتا لا عمران فيها فقال الله تعالى قل لهم ان الجدار ذمتى وان القصر شريعتى وان
النهر كتابى وان القيم نبيى والغراس هم وان الخرنوب الذى اطلع الغراس أعمالهم
الخبيثة وانى قد قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم وانه مثل ضربه الله لهم فرهم
يتقربوا الى بذبح البقر والغنم وليس ينالنى اللحم ولا آكله ولكن يتقربون الى
بالتقوى والكف عن ذبح النفس التى حرمتها فأيديهم مخضوبة منها وبنانهم مزملة
بدمائها ويشيدون لى البيوت والمساجد ويطهرون أجوافها وينجسون قلوبهم
وأجسادهم ويدنسونها فاى حاجة لى الى تشييد البيوت ولست أسكنها وأى حاجة
لى الى تزويق المساجد ولست أدخلها وانما أمرت برفعها لاذكر فيها وأسبح
ولتكن معلما لمن أراد أن يصلى فيها يقولون لو كان الله يقدر على أن يجمع الفتنا
لجمعها ولو كان الله يقدر أن يفقه قلوبنا لفقهها فاعمد الى عودين يابسين ثم ائتهما
وهم فى أجمع ما يكون فقل للعودين ان الله يأمركما أن تكونا عودا واحدا فلما
قال لهما ذلك اختلطا فصارا عودا واحدا فقال الله تعالى قل لهم انى قدرت على أن
أؤلف بين العودين اليابسين فكيف لا أقدر على الفتهم ان شئت أم كيف لا أقدر على
أن أفقه قلوبهم وأنا الذى صورتهم يقولون صمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم تنور
قلوبنا وتصدقنا فلم تزك صدقاتنا ودعونا بمثل حنين الحمام وبكينا بمثل عواء
الذئاب فى كل ذلك لا يسمع ولا يستجاب لنا قال الله تعالى فسلهم ما الذى يمنعنى أن
أستجيب لهم ألست أسمع السامعين وأنظر الناظرين وأقرب المجيبين وأرحم الراحمين
أذات يدى قلت كيف ويداى مبسوطتان بالخير أنفق كيف أشاء مفاتيح الخزائن
عندى لا يفتحها غيرى أم يقولون رحمتى ضاقت فكيف ورحمتى وسعت كل شئ انما

يتراحم المتراحمون بفضلي أم يقولون البخل يعتريني أولست أكرم الاكرمين وأنا الفتاح بالخيرات ألست أجود من أعطى وأكرم من سئل ولو أن هؤلاء القوم نظروا لانفسهم بالحكمة التي نورت في قلوبهم فتدبروها ولم يشتروا بها الدنيا الابصروا وتيقنوا أن أنفسهم هي أعدى العداة لهم فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بالزور ويتقوون عليه بطعمة الحرام أم كيف أنور صلاتهم وقلوبهم طاغية تركن الى من يحاربني وينتهك محارمي أم كيف تزكو عندي صدقاتهم وهم يتصدقون بأموال غيرهم وانما أجزي عليها أهلها المغصوبين أم كيف أستجيب لهم دعاء وانما هو قول بألسنتهم والعقل من ذلك بعيد انما أستجيب قول المستضعف المسكين وان من علامة رضاي رضا المسكين ولو رحموا المساكين وقربوا الضعفاء وأنصفوا المظلوم ونصروا المغصوب وعالوا الغائب وأدوا الى الفقير واليتيم والارملة والمسكين حقه ولو كان ينبغي لي أن أكلم البشر اذا لكلمتهم وكففت أذاهم وكنت نور أبصارهم وسمع آذانهم ومعقول قلوبهم وأعمرت أركانهم وكنت قوة أيديهم وأرجلهم وكنت ألسنتهم الا أنهم يقولون لما سمعوا كلامي وبلغتهم رسالتي انها أقاويل منقولة وأحاديث متواترة وتآليف فيما يؤلف السحرة والكهنة وزعموا أن لو يشاؤا أن يأتوا بحديث مثله لفعلوا وان يطلعوا على علم الغيب بما توحي اليهم الشياطين اذا اطلعوا وكلهم يستخفي بالذي يقول ويسر وهم يعلمون أني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما يبدون وما يكتمون واني قد قضيت يوم خلقت السموات والارض قضاء بينته على نفسي وجعلت له اجلا مؤجلا لابد أنه واقع فان صدقوا فيما ينتحلون من علم الغيب فليخبروك متى أنفذه وفي أي زمان يكون وان كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاؤن فليأتوا بمثل هذه القدرة التي بها أقضي فاني مظهره على الدين كله ولو كره المشركون وان كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاؤن فليأتوا بمثل هذه الحكمة التي أدبر بها أمر ذلك القضاء ان كانوا صادقين فاني قضيت يوم خلقت السموات والارض بأن اجعل النبوة في الاحرار واجعل الملك في الرعاء واجعل العز في الاذلاء والقوة في الضعفاء والغنى في الفقراء والثروة في الاقلاء والمدائن في الفلوات والآجام في المفاوز والثرى في الغيطان والعلم في الجهلة والحكم في الاميين فسلهم متى هذا ومن القيم بهذا وعلى يد من أنشئه ومن أعوان هذا الامر وأنصاره فاني باعث لذلك نبيا أميا الا أعمى من العميان ولا ضال من الضالين ليس بفظ ولا غليظ ولا بصخاب في الاسواق ولا متزي بالفحش ولا قوال بالخنا أسدده بكل جميل وأهب له كل خلق كريم أجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته وأحمد اسمه أهدي به بعد الضلالة وأعلم به بعد

الجهالة وأرفع به بعد الخمالة وأشهر به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغني به بعد
الفقر وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به قلوبا مختلفة وأهواء مشتتة وأمما متفرقة
وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بآياتي
وتوحيدي يصلون قياما وقعودا وركوعا وسجودا ويقاتلون في سبيل الله صفوفا وزحوفا
ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء رضوان الله ألهمهم التكبير والتحميد
والتسبيح والتمجيد والتوحيد في مسيرهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم
يكبرون ويهللون ويقدسون على رؤس الاشراف ويطهرون لي الوجوه والاطراف
ويعقدون الثياب في الانصاف قربانهم دماؤهم وقرآنهم في صدورهم رهبان بالليل
ليوث بالنهار ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فلما فرغ نبيهم شعياء
من مقالته غدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخلها فادركه
الشيطان فأخذ بهدبة من ثوبه فاراهم اياها فوضعوا المنشار في وسطها فنشروها حتى
قطعوها وقطعوه وهو في وسطها والله أعلم

﴿قصة أرمياء عليه السلام﴾

فاستخلف الله على بني اسرائيل بعد قتلهم شعياء رجلا منهم يقال له ناشئة بن أموص
وبعث الله اليهم الخضر نبيا ليسدده ويأتيه بالخبر من الله تعالى واسم الخضر ارمياء بن
خلقياء وكان من سبط هرون بن عمران وانما سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضاء
فقام عنها وهي تزهر خضراء فقال الله تعالى لارمياء حين بعثه الى بني اسرائيل
يا أرمياء من قبل أن أخلقك اخترتك ومن قبل أن أصورك في بطن أمك قدستك
ومن قبل أن أخرجك من بطن أمك طهرتك ومن قبل أن تبلغ السعي نبأتك ولامر
عظيم اجتبيتك فذكر قومك نعمي وعرفهم احداثهم وادعهم الي فقال أرمياء اني
ضعيف ان لم تقوني عاجز ان لم تنصرني فقال الله تعالى أنا ألهمك فقام أرمياء فيهم
خطيبا ولم يدر ما يقول فألهمه الله تعالى في الوقت خطبة بليغة طويلة بين لهم فيها
ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال لهم في آخرها فاني أحلف بعزتي وجلالي لاقيضن
لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولاسلطن عليهم جبارا قاسيا ألبسه الهيبة وأنزع من قلبه
الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم أوحى الله تعالى الى أرمياء عليه السلام
اني مهلك بني اسرائيل بيافث ويافث هم أهل بابل وهم من ولد يافث بن نوح فلما سمع
ارمياء بكى وصاح وشق ثيابه وحثا الرماد على رأسه فلما سمع الله تضرع أرمياء
وبكاءه ناداه يا أرمياء أشق عليك ما أوحيت اليك قال نعم يارب أهلكني قبل
أن أرى في بني اسرائيل ما لا أسر به فقال الله وعزتي وجلالي لا أهلك أحدا من بني
اسرائيل حتى يكون الامر في ذلك من قبلك ففرح أرمياء بذلك وطابت نفسه وقال
والذي بعث موسى بالحق لا أرضى بهلاك بني اسرائيل ثم أتى الملك فأخبره بذلك وكان

ملكا صالحا ففرح واستبشر وقال ان يعذبنا ربنا فبذنوب كثيرة وان يرحمنا فبرحمته ثم انهم لبثوا بعد الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا فيها الا معصية وتماديا في الشر وذلك حين اقترب هلاكهم وقل الوحي ودعاهم الملك الى التوبة فلم يفعلوا فسلط الله عليهم بختنصر فخرج في ستمائة ألف راية يريد أهل بيت المقدس فلما فصل بختنصر سائرا الى الملك أتى الملك الخبر فقال الملك لارمياء أنت زعمت أن الله أوحى اليك فقال أرمياء ان الله لا يخلف الميعاد وأنا به واثق فلما قرب الاجل وأراد الله هلاكهم بعث الله الى أرمياء ملكا قد تمثل له في صورة رجل من بني اسرائيل فقال له يا نبي الله اني أستفتيك في أهل رحمي وصلت أرحامهم ولم أزل اليهم محسنا ولا يزيدا كرامي اياهم الا استخفافا بي فأفتني فيهم فقال له أحسن فيما بينك وبين الله وصلهم وأبشر بخير فانصرف الملك فما مكث الا اياما ثم أقبل عليه في صورة ذلك الرجل فقعد بين يديه فقال له أرمياء أوما طهرت أخلاقهم لك بعد قال يا نبي الله والذي بعثك بالحق نبيا ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس الى أهل رحمه الا قدمتها اليهم وأفضل قال أرمياء عليه السلام ارجع الى أهلك فأحسن اليهم وسل الله الذي يصلح عباده الصالحين أن يصلحهم فقام الملك فمكث أياما وقد نزل بختنصر وجنوده حول بيت المقدس بأكثر من الجراد ففزع منهم بنو اسرائيل وشق عليهم فقال ملكهم لارمياء يا نبي الله أين ما وعدك الله به قال اني بربي لواثق ثم أقبل الملك على أرمياء وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذي وعده فقعد بين يديه وقال له أنا الذي أتيتك في شأن أهلي مرتين فقال له أرمياء عليه السلام ألم يأن لهم أن ينتهوا من الذي هم فيه فقال له يا نبي الله كل شئ كان يصيبني منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه واليوم رأيتهم في عمل لا يرضى الله تعالى فقال أرمياء عليه السلام على أي عمل رأيتهم قال على عمل عظيم من سخط الله تعالى فغضبت لذلك وأتيتك لاخبرك واني أسألك بالله الذي بعثك بالحق نبيا الا ما دعوت الله تعالى عليهم ليهلكهم فقال أرمياء يا مالك السموات والارض ان كانوا على حق وصواب فأبقهم وان كانوا على سخطك وعمل لا ترضاه فأهلكهم قال فما خرجت الكلمة من فم أرمياء تماما حتى أرسل الله صاعقة من السماء في بيت المقدس فالتهب مكان القربان وخسف بسبعة أبواب من أبوابها فلما رأى ذلك أرمياء صاح وبكى وشق ثيابه وحثا الرماد على رأسه وقال يا مالك السموات والارض أين ميعادك الذي وعدتني فنودي انه لم يصبهم الذي أصابهم الا بفتياك ودعائك فاستيقن أرمياء عليه السلام انها فتياه وان ذلك السائل كان رسول ربه فطار أرمياء حتى خالط الوحوش ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس ثم أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه في بيت المقدس

فقذفوا

فقذفوا فيه التراب حتى ملؤه ثم انصرفوا الى بابل واحتمل معه سبايا بنى اسرائيل
وأمرهم أن يجمعوا ما كان فى بيت المقدس فجمعوا كل صغير وكبير من بنى اسرائيل
فاختار منهم سبعين ألف صبى فلما أراد أن يقسم الغنائم فى جنده قالت له الملوك
الذين كانوا معه أيها الملك لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم
من بنى اسرائيل ففعل ذلك فأصاب كل واحد منهم أربعة غلمان وكان من أولئك
الغلمان دانيال وحنانيا وعزاريا وميشايل وسبعة آلاف من أهل بيت داود
وأحد عشر ألفا من سبط يوسف بن يعقوب وأخيه بنيامين وثمانية آلاف من سبط
يساخر بن يعقوب وأربعة آلاف من سبط يهوذا بن يعقوب وأربعة آلاف من سبط
روبيل ولاوى ابنى يعقوب ومن بقى من بنى اسرائيل جعلهم بختنصر ثلاث فرق
فثلثا أقره بالشام وثلثا سبى وثلثا قتل وذهب بآوانى بيت المقدس حتى أقدمها
بابل وذهب بالغلمان السبعين ألفا وسائر السبايا حتى قدم بهم بابل وكانت هذه
الوقعة الأولى التى أنزلها الله على بنى اسرائيل باحداثهم وظلمهم وذلك قوله
تعالى فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد يعنى بختنصر
وجنوده وكان بدء أمر بختنصر على ما روى حجاج عن ابن جريج عن يعلى بن مسلم
عن سعيد بن جبير قال كان رجل من بنى اسرائيل يقرأ التوراة حتى اذا بلغ بعثنا عليكم
عبادا لنا أولى بأس شديد بكى وفاضت عيناه وأطبق المصحف ثم انطلق الى المسجد
وقال يارب أرنى هذا الرجل الذى جعلت هلاك بنى اسرائيل على يديه فأرى فى
المنام أنه مسكين ببابل يقال له بختنصر فانطلق بمال وأعتد له وكان رجلا موسرا
فقيل له أين تريد قال أريد التجارة ثم ذهب حتى نزل دارا ببابل فاستكراها ليس فيها
أحد غيره فجعل يدعو المساكين ويتلطف بهم حتى لا يأتيه أحد مسكين الا أعطاه
فقال هل بقى مساكين غيركم قالوا نعم مسكين بفج آل فلان مريض يقال له بختنصر
فقال لغلمانه انطلقوا وانطلق معهم حتى أتاه فقال له ما اسمك قال بختنصر فقال
لغلمانه احملوه فنقله اليه ومرضه حتى برأ فكساه وأعطاه نفقة ثم أذن الاسرائيلى فى
الرحيل فبكى بختنصر فقال الاسرائيلى ما يبكيك فقال أبكى لانك فعلت معى
مافعلت ولا أجد شيأ أجازيك به فقال جزانى شئ يسير قال وما هو قال له ان صرت
ملكا وملكت بيت المقدس أتعطينى ما أطلبه فجعل يتبعه ويقول له أتستهزئ بى
ولا يمنعه أن يعطيه ما سأله الا أنه يرى أنه يستهزئ به قال فبكى الاسرائيلى وقال قد
علمت ما يمنعك أن تعطينى ما سألتك الا الله تعالى يريد أن ينفذ قضاءه فكتب له كتابا
وضرب الدهر ضرباته فقال يوما صيحون وهو ملك بابل لو انا أرسلنا طليعة الى الشام قالوا
ما ضرك لو فعلت قال فمن ترون قالوا فلانا فبعث رجلا وأعطاه مائة ألف فخرج بختنصر

في مطبخه لم يخرج الا ليأكل في مطبخه فلما قدم الى الشام رأى صاحب الطليعة أكثر
أهل الارض فرسانا ورجالا جلدا فكبر ذلك في عينه فلم يصل ولم يسألهم عن شئ وكان
بختنصر دخل الشام ولم يزل يجلس مجلس أهل الشام ويسألهم ويقول لهم ما منعكم أن
تغزوا بابل فلو غزوتموها لنلتم منها شيأ كثيرا فقالوا انا لا نحسن القتال ولا نقاتل حتى
انتقد مجالس أهل الشام وعرف سرائرهم ثم ان الطليعة رجعوا فاخبروا ملكهم بما
رأوا وكان بختنصر رجع معهم فجعل يقول لفراش الملك لو دعاني الملك لاخبرته غير
الخبر الذي أخبره فلان وفلان فرفع ذلك الى الملك فدعاه فاخبره الخبر وقال ان فلانا لما
رأى أكثر أهل الارض كراعا ورجالا جلدا كبر ذلك في ذرعه ولم يسألهم عن شئ واني لم
أدع مجلسا بالشام الا جلست فيه أسأل اهله فقلت لهم كذا وكذا وقالوا كذا وكذا قال
سعيد بن جبير قال صاحب الطليعة لبختنصر فضحتني لك مائة ألف دينار وترجع عما
قلت فقال له لو أعطيتني بيت مال بابل ما رجعت عما قلت ثم ضرب الدهر ضربانه فقال
الملك لو بعثنا جريدة خيل الى الشام فان وجدوا مساغا ساغوا والا أمسكوا ما قدروا
عليه فقالوا ما ضرك لو فعلت ذلك قال فمن ترون قالوا فلانا قال بل الرجل الذي أخبرني
عما اخبرني فدعا بختنصر فبعثه ثم انتخب معه أربعة آلاف من فرسانهم فانطلقوا
فجاسوا خلال الديار فسبوا ما شاء الله تعالى ولم يخربوا ولم يقتلوا ومات صيحون الملك
فقالوا استخلفوا ملكا قالوا على رسلكم حتى تأتي أصحابكم فانهم فرسانكم فامتهلوا حتى
جاء بختنصر بالسبي وما معه فقسمه بين الناس فقالوا ما رأينا أحدا أحق بالملك منه
فهذه القصة الاولى فملكوه على أنفسهم وقال السدي باسناده ان رجلا من بني
اسرائيل رأى في المنام أن خراب بيت المقدس وهلاك بني اسرائيل على يد غلام
يتيم ابن أرملة من أهل بابل يدعى بختنصر وكانوا يصدقون فتصدق رؤياهم فأقبل
يسأل عنه حتى نزل في بيت أمه وكان قد ذهب يحتطب فجاء وعلى رأسه حزمة حطب
فألقاها ثم قعد في جانب البيت فكلمه ثم أعطاه ثلاثة دراهم وقال له اشتر بها
طعاما وشرابا فاشترى بدرهم لحما وبدرهم خبزا وبدرهم خمرا وجاء به فأكلوا وشربوا
حتى اذا كان اليوم الثاني فعل به مثل ذلك واليوم الثالث فعل كذلك ثم قال له
الاسرائيلي اني أحب أن تكتب لي أمانا اذا أنت ملكت يوما من الدهر فقال بختنصر
أتسخر مني قال لا أسخر منك ولكن ما عليك أن تجعل عندي لك يدا فكلمته
أمه فقالت ما عليك ان كان والا لم ينقصك شيأ فكتب له أمانا فقال أرأيت ان
جئتك والناس حولك قد حالوا بيني وبينك فاجعل لي علامة تعرفني بها قال ترفع
صحيفتك على قصبة فاعرفك بها فكتب له أمانا وأعطاه اياه ثم ان ملك بني اسرائيل
كان يكرم يحيى بن زكريا عليهما السلام ويدني مجلسه ويستشيره في أمره ولا يقطع

أمراً دونه وان الملك هوى أن يتزوج بنت امرأته هذا قول السدى وقيل كانت بنت أخته لما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال بعث عيسى بن مريم يحيى بن زكريا عليهم السلام فى اثنى عشر من الحواريين يعلمون الناس وكان فيما نهاهم عنه نكاح بنت الاخت قال وكان الملك ابنة أخت تعجبه ويريد أن يتزوجها وكان لها فى كل يوم حاجة يقضيها لها وذكر الحديث فى مقتل يحيى بن زكريا عليهما السلام * رجعنا الى حديث السدى قال فسأل يحيى عن نكاحها فقال لست أرضاها للملك فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى حين نهاه أن يتزوج ابنتها فعمدت حين جلس الملك على شرابه فالبست ابنتها ثيابا حمرا رقاقا فاخرة وطيبتها وألبستها من الحلى شيئا لا قيمة له من غايته وألبستها فوق ذلك كساء أسود وأرسلتها الى الملك وأمرتها أن تسقيه الخمر وأن تتعرض له فان راودها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما سألته ويكون الذى تسأله أن تؤتى برأس يحيى بن زكريا فى طشت ففعلت ذلك وجعلت تسقيه الخمر وتتعرض له فلما أخذ من يدها الشراب راودها عن نفسها فقالت لا أفعل حتى تعطينى ما أسألك قال وما تسألينى قالت أسألك أن تبعث الى يحيى بن زكريا فتأتينى برأسه فى طشت فقال ويحك سلينى غير هذا قالت ما أريد غير هذا فلما أبت عليه بعث الى يحيى فأتى برأسه فجعلت الرأس تتكلم حتى وضعت بين يديه وهى تقول انها لا تحل لك فلما أصبح الملك واذا دم يحيى يغلى فأمر بالتراب فالقى عليه فرقى الدم فوق التراب يغلى فألقى عليه أيضا فارتفع الدم فوقه فلم يزل يلقى عليه من التراب حتى بلغ سور المدينة وهو مع ذلك يغلى فبلغ سنحاريب ملك بابل ذلك فنادى فى الناس وأراد أن يبعث لهم جيشا ويؤمر عليهم رجلا فأتاه بختنصر وكلمه وقال ان الذى أرسلت تلك المرة ضعيف وانى قد دخلت المدينة وسمعت كلام أهلها فابعثنى فبعث بختنصر حتى اذا بلغوا ذلك المكان ورآهم أهله تحصنوا فى مدائنهم فلم يطقهم فلما اشتد عليه المقام وجاع أصحابه أرادوا الرجوع فخرجت اليهم عجوز من عجائز بنى اسرائيل وقالت أين أمير الجند فأتى بها اليه فقالت له بلغنى انك تريد الرجوع بجندك قبل أن تفتح هذه المدينة قال نعم قد طال مقامى وجاع أصحابى فلست أستطيع المقام فوق الذى كان منى قالت أرأيتك ان دللتك على فتح المدينة تعطينى ما أسألك وتقتل من آمرك بقتله وتكف عمن آمرك بالكف عنه قال لها نعم قالت اذا أصبحت فاقسم جندك أربعة أقسام ثم أقسم على كل زاوية ربعا ثم ارفعوا أيديكم الى السماء ونادوا يا ربنا دلنا على من قتل يحيى بن زكريا عليهما السلام فانهم اذا فعلوا ذلك تساقط سور المدينة ففعلوا ذلك فتساقط سور المدينة ودخلوا من جوانبها فانطلقت به الى دم يحيى بن زكريا عليهما السلام وقالت له اقتل على هذا الدم حتى يسكن فقتل

عليه سبعين الفا حتى سكن فلما سكن الدم قالت له كف يدك فان الله تعالى اذا قتل نبي لا يرضى حتى يقتل من قتله ومن رضى بقتله وأتاه صاحب الصحيفة بصحيفته فكف عنه وعن أهل بيته وخرب بيت المقدس وأمر أن تطرح فيه الجيف وقال من طرح عليه جيفة فله جزيته فى تلك السنة وأعانه على خرابه الروم من أجل أن بنى اسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا فلما خربه بختنصر ذهب بوجوه بنى اسرائيل وسراياهم

﴿قصة دانيال عليه السلام﴾

وذهب دانيال وقوم من أولاد الانبياء وذهب معه برأس جالوت فلما قدم بختنصر أرض بابل وجد سنحاريب قد مات فملك مكانه واستقام له الامر وثبت على ذلك مدة ثم ان بختنصر رأى رؤيا عجيبة فافزعته فسأل عنها السحرة والكهنة فعجزوا عن تفسيرها فبلغ ذلك دانيال وكان فى السجن مع أصحابه وقد أحبه صاحب السجن وأعجب به لما رأى من حسن سمته وهدايته فقال دانيال لصاحب السجن انك قد أحسنت الى وان صاحبكم قد رأى رؤيا فدله على لاعبرها له فجاء السجان وأخبر بختنصر بقصة دانيال فقال على به وكان لا يقف بين يديه أحد الا سجد له فأتوا به فقام بين يديه ولم يسجد له فقال له ما الذى منعك من السجود لى فقال له ان لى ربا آتانى العلم والحكمة وأمرنى أن لا أسجد الا له فخشيت ان سجدت لغيره أن ينزع منى العلم الذى آتانى ويهلكنى فأعجب به وقال نعم ما فعلت وقد أحسنت حيث وفيت بعهده وأجللت علمه ثم قال هل عندك علم بهذه الرؤيا وهل لك فى تعبيرها قال نعم قال فأخبرنى فأخبره برؤياه التى رآها قبل أن يخبره بها ثم عبرها له وكانت الرؤيا ما أخبرنا عبد الله بن حامد باسناده عن وهب بن منبه يقول ان بختنصر رأى فى منامه صنما رأسه من ذهب وصدره من فضة وبطنه من نحاس وفخذه من حديد وساقه من فخار ثم رأى حجرا من السماء قد وقع عليه فدقه ثم ربا الحجر حتى ملأ ما بين المشرق والمغرب ورأى شجرة أصلها فى الارض وفرعها فى السماء ثم رأى رجلا بيده فأس وسمع مناديا ينادى اضرب جزعها ليتفرق الطير من فروعها وتتفرق الدواب والسباع من تحتها واترك أصلها قائما فعبرها له دانيال عليه السلام فقال أما الصنم الذى رأيت رأسه من ذهب فانت الرأس الذهب وأنت أفضل الملوك وأما الصدر الذى رأيت من فضة فهو ابنك يملك من بعدك وأما البطن الذى رأيت من نحاس فملك يكون بعد ابنك وأما ما رأيت من الفخذ الذى من حديد فتتفرق فرقتان فى فارس تكونان أشد الملوك وأما الفخار فآخر ملكهم يكون دون الحديد وأما الحجر الذى رأيت قد وقع من السماء وربا حتى ملأ ما بين المشرق والمغرب فنبى يبعثه الله فى آخر الزمان فيفرق ملكهم كله ويربو ملكه حتى يملأ ما بين المشرق والمغرب وأما الشجرة التى رأيت

والطير

والطير الذى عليها والسباع والدواب التى تحتها وما أمر بقطعها فيذهب ملكك
ويردك الله طائرا نسرا عظيما فتملك الطيور ثم يردك الله ثورا فتملك الدواب ثم يردك
الله أسدا فتملك السباع والوحوش وتكون منذ مسخك الله على ماذكرنا سبع
سنين فى ذلك كله وقلبك قلب انسان حتى تعلم ان الله له ملك السموات والارض وهو
يقدر على الارض ومن عليها وأما ما رأيت من أن أصلها قائم فان ملكك قائم فسئل
وهب بن منبه أكان مؤمنا أم لا فقال وجدت أهل الكتاب قد اختلفوا فى ذلك فمنهم
من قال مات مؤمنا ومنهم من قال مات كافرا لانه حرق بيت المقدس والكتب التى
فيه وقتل الانبياء وغضب الله عليه غضبا شديدا فلم يقبل منه يومئذ توبة قالوا فلما عبر
دانيال لبختنصر رؤياه وأخبره بها أكرمه وأكرم أصحابه وجعل يقبل عليه ويستشيره
فى أموره حتى كان أكرم الناس عليه وأحبهم اليه فحسده المجوس على ذلك فوشوا به
وبأصحابه الى بختنصر فقالوا له ان دانيال وأصحابه ما يعبدون الهك ولا يأكلون
ذبيحتك فدعاهم وسألهم فقالوا أجل ان لنا ربا نعبده ولسنا نأكل من ذبيحتكم فأمر
بأخدود فخد لهم وألقوا فيه وهم ستة وألقى معهم سبع ضارى ليأكلهم ثم قال انطلقوا
لنأكل ونشرب فذهبوا فأكلوا وشربوا ثم انهم رجعوا فوجدوهم جلوسا والسبع
مفترش ذراعيه بينهم ولم يخدش منهم أحدا ولم ينكهم بشئ ووجدوا معهم رجلا
زائدا فعدوهم فوجدوهم سبعة فقالوا ما بال هذا السابع وانما كانوا ستة فخرج اليهم
السابع وكان ملكا من الملائكة فلطم بختنصر لطمة فصار فى الوحوش والسباع
ومسخه الله سبع سنين ثم رده الى صورته ورد عليه ملكه قال السدى فلما رد الله عليه
ملكه كان دانيال وأصحابه أكرم الناس عليه فحسدهم المجوس أيضا ووشوا بهم
ثانية وقالوا لبختنصر ان دانيال اذا شرب الخمر لم يملك نفسه أن يبول وكان ذلك فيهم عارا
فجعل لهم بختنصر طعاما وشرابا فأكلوا وشربوا منه ثم قال للبوّاب انظر أوّل من يخرج
عليك ليبول فاضربه بالطبرزان فان قال أنا بختنصر فقل له كذبت بختنصر أمرنى
فحبس الله عن دانيال وأصحابه البول فكان أوّل من قام من القوم يريد البول بختنصر
فقام مدلا وكان ذلك ليلا فقام يسحب ثيابه فلما رآه البوّاب شد عليه فقال له أنا
بختنصر فقال كذبت ان بختنصر أمرنى أن أقتل كل من يخرج أوّلا ثم ضربه فقتله
وأما محمد بن اسحق فانه قال فى هلاك بختنصر غير ما قال السدى وذلك انه قال باسناده
لما أراد الله هلاك بختنصر قال لمن كان فى يده من بنى اسرائيل أرأيتم هذا البيت الذى
خربت وهؤلاء الناس الذى قتلت من هم وما هذا البيت فقالوا هذا بيت الله تعالى
ومسجد من مساجده وهؤلاء أهله كانوا من ذرارى الانبياء فظلموا وتعدوا وعصوا
فسلط الله عليهم عدوهم بذنوبهم قال فأخبرونى ما الذى يطلع بى الى السماء وأطلع

عليها فاقتل من فيها وأتخذها ملكا فانى قد فرغت من الارض ومافيها قالوا ما يقدر عليها أحد من الخلق فقال لتفعلن أولا قتلنكم عن آخركم فشكوا الى الله وتضرعوا فبعث الله تعالى عليه بقدرته ليريه ضعفه وهوانه بعوضة فدخلت فى منخره ثم ساخت فيه حتى عضت بأم دماغه فما كان يقر ولا يسكن حتى يضرب على أم دماغه فلما عرف الموت قال لخاصته من أهله اذا أنامت فشقوا رأسى وانظروا ما الذى قتلنى فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة بأم دماغه ليرى الله العباد قدرته وسلطانه ونجى الله تعالى من كان بقى فى يديه من بنى اسرائيل ورحمهم وردهم الى ايلياء والشام فبنوا فيها وربوا وكثروا حتى كانوا على احسن ما كانوا عليه فيزعمون ان الله احيا المؤمنين الذين قتلوا ولحقوا بهم ثم انهم لما رجعوا الى الشأم وجدوا بختنصر قد أحرق التوراة وليس معهم عهد من الله فجدد الله توراتهم وردها اليهم على لسان عزير وسنذكر القصة فيه ان شاء الله تعالى وكان عمر بختنصر أيام مسخه نيفا وخمسمائة عام وخمسين يوما فلما مات بختنصر استخلف ابنه فلسطاس وكانت آنية بيت المقدس التى حملها بختنصر الى بابل عنده وكان نجسها بلحوم الخنازير وشرب فيها الخمر وأقصى دانيال فلم يقبل منه فاعتزل دانيال فبينما فلسطاس قاعد ذات يوم اذ بدت له كف معلقة بغير ساعد فكتبت ثلاثة أحرف بمشهده ثم غابت فعجب من ذلك وتحير ولم يدر ماهى فدعا دانيال عليه السلام واعتذر اليه وسأله أن يقرأ له ذلك الكتاب ويخبره بتأويله فقال دانيال بسم الله الرحمن الرحيم وزن فخف ووعد فأنجز وجمع ففرق فقال أما قوله وزن فخف أى وزن عملك فى الميزان فخف ووعد فأنجز أى وعد ملكك بالخراب فأنجز اليوم وجمع ففرق أى جمع لك ولوالدك من قبلك ملكا عظيما ثم فرق اليوم فلا يجتمع الى يوم القيامة فلم يلبث الا قليلا حتى أهلكه الله تعالى وضعف ملكهم وبقى دانيال عليه السلام بأرض بابل الى أن مات بالسوس والله أعلم

﴿خبر وفاة دانيال عليه السلام﴾

قال أهل الاخبار لما فتح الله السوس على يد أبى موسى الاشعرى فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه قتل أبو موسى ملكها سابور واحتوى على المدينة فغنم ما فيها وأخذ أموال سابور وملكها وجعل يدور فى الخزائن فيأخذ ما فيها حتى أفضى الى خزانة مقفلة وقد ختم على قفلها بالرصاص فقال أبو موسى الاشعرى لاهل السوس ما فى هذه الخزانة فانى أراها مختومة بالرصاص فقالوا له أيها الامير ليس فيها شئ من حاجتك فقال لابد لى أن أعلم ما فيها افتحوا بابها حتى أنظر ما فيها فكسروا القفل وفتحوا الباب فدخل أبو موسى الخزانة فنظر فاذا هو بحجر طويل محفور على مثال الحوض وفيه رجل ميت وقد كفن بأكفان منسوجة بالذهب ورأسه مكشوفة قال

فتعجب أبو موسى من طوله وكل من كان معه ثم انهم شبروا أنفه فاذا هو يزيد على شبر
فقال أبو موسى لاهل السوس ويحكم من هذا الرجل قالوا ان هذا الرجل كان
بالعراق وكان أهل العراق اذا حبس عنهم المطر استسقوا به فيسقون فاصابنا من
قحط المطر ما كان يصيب أهل العراق فأرسلنا اليهم وسألناهم أن يدفعوه الينا حتى
نستسقي به فأبوا علينا فرهنا عليه عندهم خمسين رجلا وحملناه الى بلدنا هذا ثم
استسقينا به فسقينا فرأينا من الرأى أن لا نرده اليهم فلم يزل مقيما عندنا الى أن أدركه
الموت فمات فهذه قصته وحاله قال فاقام أبو موسى الاشعرى بالسوس وكتب الى عمر
ابن الخطاب رضى الله عنه يخبره بما فتح الله عليهم من مدينة السوس وما والاها
وكتب فى كتابه أمر ذلك الرجل الميت فلما وصل الكتاب وقرأه عمر بن الخطاب رضى
الله عنه دعا أكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم عن ذلك فما وجد عند
واحد منهم علمه فقال على بن أبى طالب رضى الله عنه ان هذا الرجل دانيال الحكيم
وهو نبى غير مرسل كان فى قديم الزمان مع بختنصر ومن كان بعده من الملوك وجعل على
ابن أبى طالب رضى الله عنه يحدث عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن قصة دانيال من
أولها الى آخرها الى وقت وفاته ثم قال اكتب الى صاحبك وأمره أن يصلى عليه
ويدفنه فى موضع لا يقدر عليه أهل السوس فكتب عمر الى أبى موسى بذلك فلما قرأ
أبو موسى كتاب عمر أمر أهل السوس أن يكفوا نهرهم الى موضع آخر ثم أمر بدانيال
فكفن بأكفان غير التى كانت عليه ثم صلى عليه هو وجميع من كان معه من المسلمين
ثم أمر بقبر فحفر له فى وسط النهر ثم دفنه وأجرى عليه النهر فقال ان دانيال عليه
السلام فى نهر السوس والماء يجرى عليه الى يومنا هذا والله أعلم ❊ قال الاستاذ
رضى الله عنه فهذا الذى ذكرت جميع أمر بختنصر الذى جاء فى التفسير الا ان رواية
من روى أن بختنصر هو الذى غزا بنى اسرائيل عند قتلهم يحيى غلط عند أهل السير
والاخبار والعلماء بامور الماضين من أهل الكتاب والمسلمين وذلك أنهم مجمعون
على أن بختنصر انما غزا بنى اسرائيل عند قتلهم نبيهم شعياء وفى عهد أرمياء عليه
السلام وهى الوقعة الاولى التى قال الله تعالى فيها فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم
عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار الآية يعنى بختنصر وجنوده قالوا
ومن عهد أرمياء وتخريب بختنصر بيت المقدس الى مولد يحيى بن زكريا أربعمائة
واحدى وستون سنة وذلك أنهم يعدون من لدن تخريب بختنصر بيت المقدس الى
آخر عمرانه فى عهد كرين بن حرسو بن شير بن أصهيل ببابل من قبل بهمن اسفنديار بن
بستاسف سبعين سنة ثم من بعد عمرانه الى ظهور الاسكندر على بيت المقدس
واحصاره ملكها وضمها الى مملكته ثمانية وثمانون سنة ثم من بعد ملكه بيت

المقدس الى مولد يحيى بن زكريا ثلثمائة وثلاثون سنة وانما الصحيح فى ذلك ماذكره محمد
ابن اسحق بن يسار قال عمرت بنو اسرائيل بيت المقدس بعد ما عمرت الشأم وعاد اليها
ملكها بعد اخراب بختنصر اياها وسبيهم منها فجعلوا يحدثون الاحداث بعد مهلك عزير
عليه السلام فبعث الله فيهم الانبياء ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون حتى كان آخر
من بعث الله اليهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وكانوا من آل
داود عليه السلام فمات زكريا وقتل يحيى بسبب نهيه الملك عن نكاح تلك المرأة فلما
رفع الله عيسى من بين أظهرهم وقتلوا يحيى بن زكريا عليهم السلام بعث الله عليهم
ملكا من ملوك بابل يقال له كردوس فسار اليهم بأهل بابل حتى دخل عليهم الشأم
فلما دخل عليهم أمر رئيسا من رؤس جنوده يقال له بنورازادان صاحب القتل فقال
له انى قد حلفت بالهى لئن أنا ظهرت وظفرت على أهل بيت المقدس لاقتلنهم حتى
تسيل دماؤهم فى وسط عسكرى الا انى لا أجد أحدا أقتله فامره أن يقتلهم حتى يبلغ
ذلك منهم ثم ان بنورازادان دخل بيت المقدس فأقام فى البقعة التى كانوا يقربون فيها
قربانهم فوجد فيها دما يغلى فسألهم عنه فقالوا هذا دم قربان قربناه فلم يقبل منا فلذلك
هو يغلى كما تراه ولقد قربنا منذ ثمانمائة سنة القربان فقبل منا الا هذا قال
ما صدقتمونى الخبر فقالوا له لو كان أول دمائنا القبل منا ولكنه قد انقطعت منا الملوك
والانبياء والوحى فلذلك لم يقبل فذبح منهم بنورازادان على ذلك الدم سبعمائة وسبعين
رئيسا من رؤسهم فلم يهدأ الدم فأمر بسبعة آلاف من بنيهم وأزواجهم فذبحهم على
الدم فلم يهدأ فلما رأى بنورازادان الدم لا يهدأ قال لهم ويلكم يابنى اسرائيل أصدقونى
قبل أن أفنيكم واصبروا على أمر ربكم فلقد طالما ملكتم فى الارض تفعلون فيها ماشئتم
أصدقونى قبل أن لا أترك منكم نافخ نار لا أنثى ولا ذكرا الا قتلته فلما رأوا الجد وشدة
القتل صدقوه الخبر وقالوا ان هذا دم نبى منا كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله فلو
أننا أطعناه فيها لكان أرشد لنا وكان يخبرنا بأمركم فلم نصدقه وقتلناه فهذا دمه يغلى
فقال بنورازادان ما كان اسمه قالوا يحيى بن زكريا قال الآن صدقتمونى بمثل هذا
ينتقم منكم ربكم فلما رأى بنورازادان أنهم صدقوه خر ساجدا وقال لمن حوله أغلقوا
أبواب المدينة وأخرجوا من كان ههنا من جيش كردوس وأبقوا من بقى من بنى
اسرائيل ثم قال يايحيى بن زكريا قد علم ربى وربك ما أصاب قومك من أجلك وما قتل
منهم من أجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل أن لا أبقى أحدا من قومك فهدأ دم يحيى بن
زكريا باذن الله تعالى ورفع بنورازادان عنهم القتل ثم قال آمنت بالذى آمنت به بنو
اسرائيل وصدقت به وأيقنت انه لارب غيره فأوحى الله تعالى الى رأس من رؤس
بقية الانبياء أن بنورازادان حنون صدوق وحنون بالعبرانية حديث الايمان ثم

ان بنوارازادان قال لبنى اسرائيل ان عدوّالله كردوس أمرنى أن أقتل منكم حتى
تسيل دماؤكم وسط عسكره وانى لست أستطيع أن أعصيه فقالوا له افعل ما أمرت
به فأمرهم فحفروا خندقاثم أمر بأموالهم من الخيل والبغال والحمير والابل والبقر
والغنم فذبحوها حتى سال الدم فى العسكر وأمر بنقل الذين كانوا قتلوا قبل ذلك فطرحوا
على ما قتل من مواشيهم وكانوا فوقهم فلم يظن كردوس الا أن ما فى الخندق من بنى
اسرائيل فلما بلغ الدم الى عسكره أرسل الى بنورازادان أن ارفع عنهم القتل فقد
بلغتنى دماؤهم ثم انه انصرف عنهم الى بابل وقد أفنى بنى اسرائيل أوكاد أن يفنيهم
وهى الوقعة الاخيرة التى أنزل الله تعالى فيها قوله تعالى وقضينا الى بنى اسرائيل
فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين الآيات فكانت الوقعة الاولى لبختنصر
وجنوده ثم رد الله لهم الكرة وكانت لهم الدمانة والرياسة وكانت الوقعة الاخيرة
لكردوس وجنوده فلم تقم لهم من بعد ذلك قائمة ولا راية وانتقل عن الشام ونواحيها
الى الروم واليونانية الى أن تناسل بنواسرائيل وكثروا وانتشروا بعد ذلك واحدثوا
الاحداث واستحلوا المحارم وضيعوا الحدود فسلط الله عليهم بلطوس بن اسنابوس
فخرب بلادهم وطردهم عنها ونزع الله تعالى منهم الملك والرياسة وضرب عليهم الذلة
فليسوا فى أمة من الامم الا وعليهم الصغار والذلة والجزية والملك فى غيرهم وبقى
بيت المقدس خرابا الى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فعمره المسلمون بامره والله اعلم

﴿باب فى ذكر الذى مرّ على قرية وهى خاوية على عروشها﴾

قال الله تعالى أوكالذى مرّ على قرية وهى خاوية على عروشها الآية واختلفوا فى ذلك
المار من كان فقال عكرمة وقتادة والربيع بن أنس والضحاك والسدى هو عزير بن
شرخيا وقال وهب بن منبه وعبد الله بن حميد وعبيد بن عمير هو أرمياء بن خلقياء
وكان من سبط هرون بن عمران وهو الخضر واختلفوا أيضا فى القرية التى مر عليها
فقال عكرمة ووهب وقتادة والربيع هى بيت المقدس وقال الضحاك هى الارض
المقدسة وقال السدى هى سلماباد وقال الكلبى هى ديرسابراباذ وقيل دير هرقل
وقيل هى قرية العنب وهى على فرسخين من بيت المقدس وكان السبب فى ذلك
ماروى محمد بن اسحق بن يسار عن وهب بن منبه أن بختنصر لما وطئ الشام وخرب
بيت المقدس وقتل بنى اسرائيل وسباهم طار أرمياء حتى خالط الوحوش فلما ولى
بختنصر عنهم راجعا الى بابل ومعه سبايا بنى اسرائيل أقبل أرمياء على حمار له ومعه
عصير عنب فى ركوة وسلة تين حتى غشى ايلياء فلما وقف عليها وعاين خرابها قال أنى
يحيى هذه الله بعد موتها ثم ربط أرمياء حماره بحبل جديد وألقى الله تعالى عليه النوم
فلما نام نزع منه الروح مائة عام ومات حماره وعصيره وتينه عنده وأعمى الله عنه

العيون فلم يره أحد وذلك ضحى ومنع الله السباع والطير عن لحمه فلما مضى من موته سبعون سنة أرسل الله ملكا الى ملك من ملوك فارس عظيم يقال له يوشك فقال له ان الله يأمرك أن تنفر بقومك وتعمر بيت المقدس وايلياء وأرضها حتى يعودا أعمر ماكانا فانتدب الملك ألف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة ألف عامل وجعلوا يعمرونها وأهلك الله تعالى بختنصر ببعوضة دخلت فى دماغه ونجى الله تعالى من بقى من بنى اسرائيل ولم يمت منهم جميعا أحد ببابل وردهم الله تعالى الى بيت المقدس ونواحيها فعمروها ثلاثين سنة وكثروا حتى كانوا كأحسن ما كانوا عليه فلما مضت المائة عام على عزير أحيا الله منه عينيه وسائر جسده ميت ثم أحيا جسده وهو ينظر ثم نظر الى حماره فاذا عظامه متفرقة بيض تلوح وسمع صوتا من السماء أيتها العظام البالية ان الله يأمرك أن تجتمعى فاجتمع بعضها الى بعض واتصل بعضها ببعض ثم نادى ثانية ان الله يأمرك أن تكتسى لحما ودما وجلدا فكان كذلك ثم نادى ان الله يأمرك أن تحيى فقام حماره ينهض باذن الله تعالى وعمر الله أرمياء فهو الذى يوجد فى الفلوات (أخبرنى) ابن فنجويه الحافظ باسناده عن وهب قال ليس فى الجنة كلب ولا حمار الا كلب أهل الكهف وحمار أرمياء الذى أماته الله مائة عام ثم بعثه وقال الذين قالوا ان المار كان عزيرا ان بختنصر لما خرب بيت المقدس قتل أربعين ألف رجل من قراء التوراة والعلماء بها وقتل فيهم أبا عزير وجده وكان عزير يومئذ غلاما قد قرأ التوراة وتقدم فى العلم فاقدمه مع سبايا بنى اسرائيل الى أرض بابل وهو من ولد هرون وكان معه سبعة آلاف من أهل بيت داود فلما نجا عزير من بابل ارتحل على حمار له حتى نزل على دير هرقل على شاطئ دجلة فطاف فى القرية فلم ير فيها أحدا وعامة شجرها حامل فاكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة فى سلة وفضل العصير فى زق فلما رأى خراب القرية وهلاك أهلها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها لم يشك فى البعث ولكن قالها تعجبا ثم ربط حماره بحبل جديد ونام فأماته الله مائة عام ثم بعثه فأتاه جبريل عليه السلام فقال له كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم وذلك أن الله تعالى أماته ضحى وأحياه آخر النهار قبل غيبوبة الشمس فقال لبثت يوما وهو يرى أن الشمس قد غربت ثم التفت فرأى بقية الشمس فقال أو بعض يوم فقال له جبريل عليه السلام بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك يعنى التين وشرابك يعنى عصير العنب لم يتسنه يعنى لم يتغير وانظر الى حمارك قال قوم وذلك ان الله تعالى لم يمت حماره فاحياه الله تعالى رأسه وسائر جسده ميت ثم قال له انظر الى حمارك فنظر فرأى حماره قائما كهيئته يوم ربطه حيا لم يطعم ولم يشرب مائة عام ونظر الى الرسن فى عنقه جديدا لم يتغير وهذا قول الضحاك وقتادة وتقدير الآية على هذا القول وانظر

الى

الى حمارك وانظر الى عظامك كيف ننشزها وقال آخرون أراد به عظام حماره كما قدمنا ذكره فذلك قوله تعالى ولنجعلك آية للناس أي عبرة ودلالة على البعث بعد الموت وقال الضحاك هو أنه عاد الى قريته وأولاده وأولاد أولاده فوجدهم شيوخا وعجائز وهو أسود الرأس واللحية (أخبرنا) أبو عبد الله الحسين بن محمد الحافظ باسناده عن ابن عباس قال لما أحيا الله عزيرا بعدما أماته مائة سنة ركب حماره حتى أتى محلته فانكره الناس وأنكر منازله فانطلق على وهم منه حتى أتى منزله فاذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد أتى عليها مائة وعشرون سنة وكانت أمة لهم فخرج عنهم عزير وهي بنت عشرين سنة وكانت عرفته وعقلته فلما أصابها الكبر أصابتها الزمانة فقال لها عزير ياهذه هذا منزل عزير قالت نعم هذا منزل عزير ما رأيت كذا وكذا سنة أحدا يذكر عزيرا وقد نسيه الناس قال فاني أنا عزير قالت سبحان الله فان عزيرا قد فقدناه منذ مائة سنة ولم نسمع له بذكر قال فاني أنا عزير كان الله قد أماتني مائة سنة ثم بعثني قالت فان عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوة يدعو للمريض وصاحب البلاء بالعافية والشفاء فيعافيه الله تعالى ويشفيه فادع الله تعالى أن يرد على بصري حتى أراك فان كنت عزيرا عرفتك قال فدعا ربه ومسح بيده على وجهها وعينيها فاستجاب الله له فعوفيت ورد الله عليها بصرها ثم أخذ بيدها وقال لها قومي باذن الله تعالى فاطلق الله رجليها فقامت صحيحة كأنما نشطت من عقال فنظرت الى عزير فعرفته فقالت أشهد أنك عزير ثم انها انطلقت الى محلة بني اسرائيل وهم في أفنيتهم ومجالسهم وابن عزير شيخ ابن مائة سنة وثماني عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ في المجلس فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت أنا فلانة مولاتكم دعا لي ربه فرد على بصري وأطلق رجلي وزعم أن الله أماته مائة سنة ثم بعثه قال فنهض الناس واقبلوا اليه فقال ابنه كانت لابي شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فاذا هي بحالها فعرف عند ذلك انه عزير عليه السلام

﴿باب في ذكر تمام قصة عزير عليه السلام وحاله بعد ما رجع الى قومه﴾

قال الله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله روى عطية العوفي عن ابن عباس قال كان عزير من أهل الكتاب وكانت التوراة عندهم فعملوا بها ما شاء الله أن يعملوا ثم أضاعوها وعملوا بغير الحق وكان التابوت فيهم فلما رأى الله تعالى انهم قد أضاعوها وعملوا بالاهواء رفع الله عنهم التابوت وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم فارسل الله عليهم مرضا فاستطلقت بطونهم حتى كان الرجل يمس كبده حتى نسوا التوراة وفيهم عزير فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا بعدما نسخت التوراة من صدورهم وكان عزير قد أمر علماءهم أن يدعوا الله تعالى فدعا الله هو واياهم وابتهل اليه أن يرد اليه

ما نسي من صدره فبينما هو يصلي مبتهلا الى الله تعالى اذ نزل نور من السماء فدخل جوفه فعاد اليه الذي كان ذهب من صدره من التوراة فأذن في قومه وقال يا قوم قد آتاني الله التوراة وردها الي فطفق يعلمهم فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا وهو يعلمهم التوراة ثم ان التابوت نزل بعد ذلك بعد ذهابه منهم فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان فيه على الذي كان يعلمهم عزير فوجدوه مثله فقالوا والله ما أوتي عزير هذا الا لانه ابن الله قال السدي وابن عباس في رواية عمار انما قالت اليهود هذا لان العمالقة ظهروا عليهم فقتلوهم وأخذوا التوراة وهرب علماؤهم الذين بقوا ودفنوا التوراة في الجبال وغيرها ولحق عزير بالجبال والوحوش وجعل يتعبد في رؤس الجبال ولا يخالط الناس ولا ينزل الا يوم عيد وجعل يبكي ويقول يارب تركت بني اسرائيل بغير عالم وجعل يبكي حتى سقطت أشفار عينيه فنزل مرة الى العيد فلما رجع فاذا هو بامرأة قد تمثلت له عند قبر من تلك القبور وهي تبكي وتقول يا مطعماه يا مكسياه فقال لها عزير يا هذه اتقي الله واصبري واحتسبي أما علمت أن الموت سبيل الناس ثم قال لها ويحك من كان يطعمك ويسقيك ويكسوك قبل هذا الرجل يعني زوجها الذي كانت تندبه فقالت الله تعالى قال فان الله عز وجل حي لا يموت أبدا قالت يا عزير فمن كان يعلم العلماء قبل بني اسرائيل قال الله تعالى قالت فلم تبكي عليهم وقد علمت أن الموت حق وأن الله حي لا يموت فلما علم عزير أنه قد خصم ولى مدبرا فقالت له يا عزير اني لست امرأة ولكني الدنيا أما انه سينبع لك في مصلاك عين وتنبت شجرة فكل من تلك الشجرة واشرب من ماء تلك العين واغتسل وصل ركعتين فانه سيأتيك شيخ ويعطيك شيأ فما أعطاك فخذ منه فلما أصبح نبعت العين في مصلاه ونبتت شجرة ففعل ما امر به فجاء شيخ وقال له افتح فاك ففتح فاه فالقى فيه شيأ كهيئة القوارير ثلاث مرات ثم قال له ادخل هذه العين فامش فيها حتى تبلغ امك قال فدخل وجعل لا يرفع قدمه الا زيد في علمه فرجع اليهم وهو من أعلم الناس بالتوراة ثم قال يا بني اسرائيل قد جئتكم بالتوراة قالوا يا عزير ما كنت كذابا فربط على كل أصبع له قلما وكتب باصابعه كلها حتى كتب التوراة كلها عن ظهر قلبه فاحيا لهم التوراة والسنة فلما رجع العلماء استخرجوا كتبهم التي دفنوها وقابلوها بتوراة عزير فوجدوها مثلها فقالوا ما أعطى الله له هذا الا لانه ابنه * وقال الكلبي ان بختنصر لما ظهر على بني اسرائيل وهدم بيت المقدس وقتل من قرأ التوراة وكان عزير اذ ذاك غلاما صغيرا فاستصغره فلم يقتله ولم يدر أنه قد قرأ التوراة فلما مات مائة سنة ورجعت بنوا اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله تعالى فيهم عزيرا ليجدد لهم التوراة ويكون لهم آية فاتاهم عزير وقال أنا عزير فكذبوه وقالوا ان كنت عزيرا كما تزعم فأمل علينا التورا

فكتبها وقال هذه التوراة ثم ان رجلا قال ان أبي حدثني عن جدي أن التوراة جعلت في خابية دفنت في كرم فلان في موضع كذا فانطلقوا معه حتى احتفروا وأخرجوا الخابية والتوراة فيها فأخذوها وقابلوها بما كتب لهم عزير فلم يجدوه غادر منها آية ولا حرفا فعجبوا وقالوا ان الله تعالى لم يقذف التوراة في قلب رجل واحد منا بعد ما ذهبت من قلوبنا الا أنه ابنه فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن الله

﴿مجلس في ذكر غزوة بختنصر العرب وقصة يوحنا وخراب حضور﴾

قال الله تعالى وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين الى قوله حصيدا خامدين * قال هشام بن محمد الكلبي وغيره كان بدء نزول العرب أرض العراق واتخاذهم الحيرة والانبار منزلا أن الله تعالى أوحى الى يوحنا بن برخيا بن رزيابيل بن سنبسل وسنبسل هذا هو أول من اتخذ الطفيشل وكان من ولد يهوذا بن يعقوب أن ائت بختنصر وأمره أن يغزو العرب الذين لا اغلاق لبيوتهم ولا أبواب ويطأ بلادهم ويقتل مقاتلهم ويستبيح أموالهم لكفرهم بي واتخاذ الآلهة دوني وتكذيبهم أنبيائي ورسلي وذلك بعد قتل أهل حضور وهي بلدة باليمن بعث الله اليهم نبيا فأقبل يوحنا حتى قدم على بختنصر ببابل فاخبره بما أوحى الله اليه وقص عليه ما أمره به وذلك في زمن معد بن عدنان فاوحى الله تعالى الى يوحنا أني قد سلطت بختنصر على أهل قرية عربية لا انتقم به منهم فعليك بمعد بن عدنان الذي من ولده النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي أخرجه في آخر الزمان وأختم به النبوة وأرفع به من أطاعه فخرج تطوى له الارض حتى سبق بختنصر فلقي عدنانا وقد تلقاه فنظر الى معد ولمعد يومئذ اثنتا عشرة سنة فحمله يوحنا على البراق وأردفه خلفه فانتهيا الى أرض نجران من ساعتهما قالوا ووثب بختنصر على من كان في بلاده من تجار العرب وكانوا يقدمون عليه بالتجارات والامتيار فجمع من ظفر به منهم فبنى لهم ديرا على نجف وحصنه ثم ضمهم فيه فقيدوا ووكل بهم حرسا وحفظة ثم نادى في الناس بالغزو فتأهبوا لذلك وانتشر الخبر فيمن يليهم من العرب فخرجت اليه الطوائف منهم مسالمين مستأمنين فاستشار بختنصر فيهم يوحنا فقال ان خروجهم اليك من بلادهم قبل نهوضك اليهم رجوع منهم عما كانوا عليه فاقبل منهم وأحسن اليهم قال فأنزلهم بختنصر السواد على شاطئ الفرات والتقى بختنصر مع العرب فهزمهم وأثخن فيهم بالقتل والاسر وسار حتى بلغ الحجاز والتقى عدنان في قومه من العرب وبختنصر بذات عرق فهزمهم ونادى مناد من جوف السماء يالثارات الانبياء فأخذتهم السيوف من خلفهم ومن بين أيديهم فندموا على ذنوبهم ونادوا بالويل فذلك قوله تعالى فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون أي يسرعون هاربين فأخذتهم السيوف وقالت لهم الملائكة لا تركضوا

وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومسا كنكم الآية فلما عرفوا انه واقع بهم أقروا بالذنوب
قالوا ياويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم فما زالوا يدعون بها حتى هلكوا
فذلك قوله تعالى فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين ثم رجع
بختنصر الى بابل بما جمع من سبايا العرب فالقاهم فى الانبار فقيل أنبار العرب وانشم
اليه المستأمنون من العرب وخلى بختنصر أهل الدير بعد فراغه من غزو العرب
وابتنوا لانفسهم بلدين فسموا احداهما الانبار والاخرى الحيرة وخالطهم بعد ذلك
النبط ومات عدنان وبقيت بلاد العرب خرابا فى حياة بختنصر فلما مات بختنصر رجع
معد بن عدنان ومعه أنبياء بنى اسرائيل حتى أتى مكة فأقام أعلامها وحج الانبياء معه

﴿مجلس فى ذكر لقمان الحكيم عليه السلام وذكر بعض
مواعظه وحكمه ووصيته لابنه﴾

قال الله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة يعنى العقل والعلم والعمل به والاصابة فى الامور
واختلفوا فى نسبه فقال محمد بن اسحق بن يسار هو لقمان بن باعور بن ناخور بن تارخ
وهو آزر أبو ابراهيم عليه السلام وقال وهب كان ابن اخت ايوب عليه السلام وقال
مقاتل كان ابن خالة ايوب وقال الواقدى كان قاضى بنى اسرائيل وقال آخرون كان
عبدا وقال مجاهد كان لقمان عبدا اسود عظيم الشفتين مشقق القدمين وروى
الأوزاعى عن عبد الرحمن بن حرملة قال جاء اسود الى سعيد بن المسيب يسأله فقال له
سعيد بن المسيب لا تحزن من أجل أنك أسود فانه قد كان من خير الناس ثلاثة من
السودان بلال ومهجع مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولقمان الحكيم كان اسود
نوبيا من سودان مصر ذا مشافر (حدثنا) الامام أبو منصور الحمشاوى لفظا باسناده
عن سعيد بن المسيب أن لقمان عليه السلام كان عبدا حبشيا نجارا (وأخبرنى) ابن
فنجويه باسناده عن سعيد بن المسيب أن لقمان عليه السلام كان خياطا واتفق العلماء
أنه كان حكيما ولم يكن نبيا الا عكرمة فانه كان يقول ان لقمان كان نبيا تفرد بهذا القول
(حدثنا) أبو منصور الحمشاوى عنه باسناده أنه قال كان نبيا قال بعضهم خير لقمان بين
النبوة والحكمة فاختار الحكمة وروى نافع عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول حقا أقول لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبدا عصمه الله تعالى
كثير التفكر حسن اليقين أحب الله فأحبه الله فمن عليه بالحكمة وذلك أنه كان نائما
نصف النهار فجاءه النداء يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة فى الارض تحكم بين
الناس بالحق فاجاب الصوت فقال ان خيرنى ربى قبلت العافية ولم أقبل البلوى
وان عزم على فسمعا وطاعة فانى اعلم أنه ان فعل بى أعاننى وعصمنى فقالت الملائكة لم
يا لقمان قال لان الحاكم باشد المنازل واكدرها يغشاه الظلم من كل مكان ان أصاب

فارجوا

فارجو ان ينجو وان أخطأ أخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا خير من أن يكون شريفا ومن تخير الدنيا على الآخرة نفته الدنيا ولا تبقى له الآخرة فتعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فاعطى الحكمة فانتبه فتكلم بها ثم نودي داود بعده فقبلها ولم يشترط بها ما اشترط لقمان فهم بالخطيئة غير مرة كل ذلك ويعفو الله عنه وكان لقمان يوازره بحكمته فقال له داود طوبى لك يا لقمان أعطيت الحكمة وصرف عنك البلاء واعطى داود الخلافة وابتلى بالبلية والفتنة

﴿باب في ذكر بعض ماروى من حكم لقمان ومواعظه المذكورة في القرآن﴾

قال الله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم الآيات (اخبرنا) ابو عبد الله الحسين الدينوري عن عكرمة قال كان لقمان من أهون مملوك على سيده قال فبعثه مولاه مع رفقة له الى بستان له ليأتوه بشيء من ثمره فجاؤا وليس معهم شيء وقد أكلوا الثمرة وأحالوا على لقمان فقال لمولاه ان ذا الوجهين لا يكون عند الله أمينا فاسقني واياهم ماء حميما ثم أرسلنا فلنقذفه ففعل فجعلوا يتقيؤن الفاكهة وجعل لقمان يتقيأ ماء نقيا فعرف صدقه من كذبهم قال فاول ماروى من حكمته أنه بينما هو مع مولاه اذ دخل المخرج فأطال فيه الجلوس فناداه لقمان ان طول الجلوس على الخلاء يفجع منه الكبد ويورث الباسور وتصعد الحرارة الى الرأس فاجلس هوينا وقم قال فخرج وكتب حكمته على باب الحش قال وسكر مولاه يوما فخاطر أقواما على أن يشرب ماء بحيرة فلما أفاق عرف ما وقع فيه فدعا لقمان ثم قال له لمثل هذا اليوم كنت خبأتك قال أخرج كرسيك واباريقك ثم اجمعهم فلما اجتمعوا قال لهم على أي شيء خاطرتموني قالوا على ماء هذه البحيرة فقال لهم لقمان ان لها موادا فاحبسوا عنها موادها حتى يشربها قالوا وكيف نستطيع أن نحبس موادها فقال لقمان وكيف يستطيع شربها ولها مواد (أخبرنا) ابن فنجويه باسناده عن خالد الربعي قال كان لقمان عبدا حبشيا نجارا فقال له سيده اذبح لنا شاة فذبح له شاة فقال ائتني باطيب مضغتين منها فاتاه باللسان والقلب فقال له أما كان فيها شيء أطيب من هذا قال لا فسكت عنه ثم قال له اذبح لنا شاة فذبح شاة فقال ائتني باخبث مضغتين منها فجاءه باللسان والقلب فقال له أمرتك أن تأتيني باطيبها مضغتين فاتيتني باللسان والقلب وأمرتك أن تأتيني باخبثها مضغتين فاتيتني باللسان والقلب فقال له انه ليس باطيب منهما اذا طابا ولا أخبث منهما اذا خبثا (واخبرنا) عبد الله بن حامد باسناده عن محمد بن عجلان قال قال لقمان الحكيم ليس مال كصحة ولا نعيم كطيب نفس (واخبرنا) عبد الله باسناده عن أبي هريرة قال مر رجل بلقمان والناس مجتمعون عليه فقال له الست العبد الاسود الذي كنت راعيا بموضع كذا وكذا

قال بلى قال فما بلغ بك ما أرى قال صدق الحديث واداء الامانه وترك مالا يعنيني (أخبرني) الحسين بن محمد عن ابيه قال قال لقمان ضرب الوالد لولده كالماء للزرع وعن عبد الله بن دينار أن لقمان قدم من سفر فتلقاه غلامه في الطريق فقال له مافعل أبي قال مات قال الحمد لله ملكت أمري قال فما فعلت امرأتي قال ماتت قال جدد فراشي قال مافعلت اختي قال ماتت قال سترت عورتي قال مافعل اخي قال مات قال انقطع ظهري (اخبرنا) الحسين بن الحسن بن محمد باسناده عن شقيق قال قيل للقمان أي الناس اشرف قال الذي لا يبالي أن يراه الناس مسيئا وقيل للقمان ما اقبح وجهك قال تعيب بهذا على النقش أو على الناقش وروى المحاربي عن سفيان الثوري قال قال لقمان لابنه ان الدنيا بحر عميق قد غرق فيها ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله وليكن حشوها ايمانك بالله وشراعها التوكل على الله فلعلك تنجو وما اظنك ناجيا يابني كيف لا يخاف الناس مايوعدون وهم في كل يوم ينقصون يابني خذ من الدنيا بلغة ولا تدخلن فيها دخولا فتضر فيها بآخرتك ولا ترفضها فتكون عيالا على الناس وصم صياما يقطع شهوتك ولا تصم صياما يمنعك عن الصلاة فان الصلاة عند الله اعظم من الصوم يابني لا تتعلم العلم لتباهي به العلماء وتماري به السفهاء أو ترائي به في المجالس ولا تترك العلم زهادة فيه ورغبة في الجهالة يابني اختر المجالس على عينك فان رأيت قوما يذكرون الله فاجلس اليهم فانك ان تك عالما ينفعك علمك ويزيدوك علما وان تكن مستأهلا يعلموك ولعل الله أن يطالعهم برحمة فتعمك معهم واذا رأيت قوما لا يذكرون الله فلا تجلس اليهم فانك ان تكن عالما لا ينفعهم علمك وان تكن جاهلا يزيدوك جهلا فلعل الله يطالعهم بالعقوبة فتعمك معهم يابني لا تضع برك الا عند راعيه كما ليس بين الكبش والذئب خلة كذلك ليس بين البار والفاجر خلة ومن يحب المراء يشتم ومن يدخل مداخل السوء يتهم ومن يقارن قرين السوء لا يسلم ومن لا يملك لسانه يندم يابني كن عبدا للاخيار ولا تكن خليلا للاشرار يابني كن أمينا تكن غنيا ولا ترى الناس أنك تخشى الله وقلبك فاجر يابني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك ولا تجادلهم فيمنعوك حديثهم والطف بهم في السؤال اذا تركوك ولا تعجزهم فيملوك يابني لا تطلب من الامر مدبرا ولا ترفض منه مقبلا فان ذلك يقل الرأي ويزري بالعقل يابني ان تأدبت صغيرا انتفعت كبيرا يابني اذا سافرت فلا تأمن على دابتك فان ذلك سريع في ادبارها وليس ذلك من فعل الحكماء الا أن تكون في محل يمكنك فيه التمدد واذا اقربت من المنزل فانزل عن دابتك وسر ثم ابدأ بعلفها قبل نفسك واياك والسفر في أول الليل وعليك بالتعريس والادلاج من نصف الليل الى آخره وسافر بسيفك وخفك وعمامتك وكسائك وسقائك وابرتك وخيوطك

ومحرزك وتزود من الادوية ماتنتفع به أنت ومن معك وكن لاصحابك موافقا موافقا الا
في معصية الله يابني اياك والمتقنع فانه بالنهار شهرة وبالليل ريبة يابني لاتأمر الناس
بالبر وتنسى نفسك فيكون مثلك مثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه يابني
لاتحقرن من الامور صغارها ان الصغار غدا تصير كبارا يابني اياك والكذب فانه يفسد
دينك وينقص عند الناس مروأتك فعند ذلك يذهب حياؤك وبهاؤك وجاهك
وتهان ولايسمع منك اذا حدثت ولاتصدق اذا قلت ولاخير في العيش اذا كان
هكذا يابني اياك وسوء الخلق والضجر وقلة الصبر فلا يستقيم لك على هذه الخصال
صاحب ولايزال لك من الناس عليها مجانب وألزم نفسك التودد في أمورك والصبر
على مرارات الاحوال وحسن مع جميع الناس خلقك فان من حسن خلقه
وأظهر بشره وبسطه حظي عند الابرار وأحبه الاخيار وجانبه الفجار يابني لاتعلق
نفسك بالهموم ولاتشغل قلبك بالاحزان واياك والطمع وارض بالقضاء واقنع بما
قسم الله لك يصف عيشك وتسر نفسك وتستلذ حياتك وان أردت أن يجمع لك غنى
الدنيا فاقطع طمعك مما في أيدي الناس فان مابلغ الانبياء والصديقون مابلغوا
الا بقطع طمعهم مما في أيدي الناس يابني ان الدنيا قليل وعمرك فيها قليل من قليل
وقد بقي قليل من قليل القليل يابني اجعل معروفك في أهله ولاتضعه في غير أهله
فتخسره في الدنيا وتحرم ثوابه في الآخرة وكن مقتصدا ولاتكن مبذرا ولاتمسك المال
تقتيرا ولاتعطه تبذيرا يابني الزم الحكمة تكرم بها وأعزها تعز بها وسيد أخلاق الحكمة
دين الله عز وجل يابني للحاسد ثلاث علامات يغتاب صاحبه ان غاب ويتملق
اذا شهد ويشمت فيه بالمصيبة تم خبر لقمان الحكيم وماوصى لابنه انعم والله أعلم

﴿مجلس في قصة بلوقيا﴾

(اخبرنا) أبو بكر محمد بن عبد الله الجزرقي باسناده عن عبد الله بن سلام الاسرائيلي
قال كان في بني اسرائيل رجل يقال له أوشيا وكان من علمائهم وكان كثير المال وكان
اماما لبني اسرائيل وكان قد عرف بعث النبي عليه السلام وأمته في التوراة فخبأه
وكتمه عنهم وكان له ابن يقال له بلوقيا خليفة أبيه في بني اسرائيل وكان ذلك بعد
سليمان فلما مات والده أوشيا وبقي بلوقيا والامامة والقضاء في يده فتش يوما خزائن
والده فوجد فيها تابوتا من حديد مقفلا بقفل من حديد فسأل الخزان عن ذلك فقالوا
لاندري فاحتال على القفل حتى فكه فاذا فيه صندوق من خشب الساج ففكه فاذا
فيه أوراق فيها نعت النبي صلى الله عليه وسلم وأمته مختومة بالمسك ففكها وقرأ
مافيها على بني اسرائيل ثم انه قال الويل لك يا أبت من الله فيما كتبت وكتمت من الحق
عن بني اسرائيل فرده الى أهله فقال بنو اسرائيل يابلوقيا لولا أنك امامنا وكبيرنا

لنبشناقبره وأخرجناه منه وأحرقناه بالنار فقال يا قوم لاضير انما تبع حظ نفسه
وخسر دينه ودنياه فألحقوا نعت النبي صلى الله عليه وسلم وأمته بالتوراة قال وكانت
أم بلوقيا من الاحياء فاستأذنها في الخروج الى بلاد الشام وكانوا يومئذ ببلاد مصر
فقالت له وما تصنع بالشام فقال أسأل عن محمد وأمته فلعل الله تعالى أن يرزقني
الدخول في دينه فاذنت له فبرز بلوقيا يدخل بلاد الشام فبينما هو يسير اذا انتهى
الى جزيرة من جزائر البحر فاذا هو بحيات كأمثال الابل عظما وفي الطول ماشاء الله
وهن يقلن لا اله الا الله محمد رسول الله فلما رأينه قلن له أيها الخلق المخلوق من أنت
وما اسمك فقال اسمي بلوقيا وأنا من بني اسرائيل فقلن وما اسرائيل قال من ولد آدم
فقلن سمعنا باسم آدم ولم نسمع باسم اسرائيل قال فقال لهم بلوقيا أيتها الحيات من
أنتن فقلن نحن من حيات جهنم ونحن نعذب الكفار فيها يوم القيامة قال بلوقيا
وما تصنعن ههنا وكيف تعرفن محمدا فقلن ان جهنم تفور وتزفر في كل سنة مرتين
فتلقمنا الى ههنا ثم نعود اليها فشدة الحر من حرها في الصيف وشدة البرد من بردها
في الشتاء وليس في جهنم درك من دركاتها ولا باب من أبوابها ولا سرادق من
سرادقاتها الا وقد كتب الله عليه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من
أجل ذلك عرفنا محمدا صلى الله عليه وسلم قال بلوقيا أيتها الحيات هل في جهنم
مثلكن أو أكبر منكن فقلن ان في جهنم حيات تدخل احدانا في انف احداهن
وتخرج من فيها ولا تشعر بها لعظمها قال فسلم بلوقيا عليهن ومضى حتى أتى جزيرة
أخرى فاذا هو بحيات كأمثال الجذوع والسواري وعلى متن احداهن حية صغيرة
صفراء كلما مشت اجتمعت الحيات حولها فاذا انفخت صرن تحت الارض خوفا منها قال
فلما رأيتها ورأتني قالت أيها الخلق المخلوق من أنت وما اسمك قلت اسمي بلوقيا وأنا
من بني اسرائيل من ولد ابراهيم الخليل فاخبرني أيتها الحية من أنت قالت أنا موكلة
بالحيات واسمي تمليخا ولولا أني موكلة بهن لقتلت بني آدم كلهم في يوم واحد ولكني
اذا صفرت صفرة واحدة وسمعن صوتي دخلن تحت الارض ولكن يا بلوقيا ان لقيت
محمدا صلى الله عليه وسلم فأقرئه مني السلام ثم مضى بلوقيا الى بلاد الشام فأتى بيت
المقدس وكان بها حبر من احبارهم يسمى عفان الحبر فأتاه فسلم عليه فقال له يا بلوقيا
ليس هذا زمان محمد ولا زمان أمته بينك وبينه قرون وسنون ثم قال عفان الحبر
يا بلوقيا أرني موضع الحية التي اسمها تمليخا فان قدرت أن أصيدها رجوت أن أنال
معك ملكا عظيما ونحيا حياة طيبة الى أن يبعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم
فندخل في دينه فحرص بلوقيا على الدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم قال
أنا أريك المكان فقام عفان واتخذ تابوتا من حديد وعمل فيه قدحين من فضة

في احدهما خمر وفي الآخر لبن ثم سارا جميعا حتى انتهيا الى موضع الحية ففتحا باب التابوت وتخبآ فجاءت الحية تبغي الرائحة فدخلت التابوت فشربت اللبن والخمر فسكرت ونامت فقام عفان ودب الى التابوت دبيبا خفيفا فأغلق عليها باب التابوت وحصنه وأخذاها ومرا جميعا فلم يمرا بشجرة ولا نبت الا كلمهما باذن الله تعالى فمرا بشجرة يقال لها القرمل فقالت يا عفان من يأخذني ويقطعني ويدقني ويعصر مائي ودهني ويطلي به قدميه فانه يخوض البحار السبعة فلا تبتل قدماه ولا يغرق فقال عفان اياك له طلبت ثم انه قطع تلك الشجرة فدقها وعصر ماءها واخرج دهنها وجعله في كوز ثم خلى عن الحية فطارت بين السماء والارض وهي تقول يابني آدم ما أجرأكم على ربكم وان تصلوا الى ما تريدون قال فذهبت الحية وسار عفان وبلوقيا الى البحر فطليا أقدامهما ثم دخلا في اليم ومشيا في الماء كأنما كانا يمشيان على الارض حتى قطعا البحر الاول ثم الثاني فاذا هما بجبل في وسط البحر ليس بعال ولا ممتدان ترابه كالمسك عليه غمام أبيض وفيه كهف وفي الكهف سرير من ذهب وعلى السرير شاب مستلق على قفاه ذو وفرة واضع يده اليمنى على صدره والشمال على بطنه كالنائم وليس بنائم وهو ميت وعلى رأسه تنين وخاتمه بالشمال وكان هذا سليمان ابن داود عليه السلام وكان ملكه في خاتمه وكان خاتمه من ذهب وفصه من ياقوت أحمر مربع مكتوب عليه أربعة أسطر في كل سطر اسم الله الاعظم وكان عند عفان علم من الكتاب فقال بلوقيا من هذا الميت يا عفان فقال هذا سليمان بن داود نريد أن نأخذ خاتمه ونملك ملكه ونرجو الحياة الى أن يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فقال بلوقيا أليس قد سأل ربه فقال رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فأعطاه اياه على ما سأل ولا ينال ملك سليمان الى يوم القيامة لدعائه فقال عفان يا بلوقيا اسكت ان الله معنا ومعنا اسم الله الاعظم ولكن أنت يا بلوقيا اقرأ التوراة فتقدم عفان لينزع الخاتم من يد سليمان من أصبعه فقال التنين ما أجرأك على ربك ان غلبتنا بأسماء الله تعالى فنحن نغلبك بقدرة الله تعالى قال فكلما نفخ التنين ذكر بلوقيا اسم الله تعالى فلم تعمل نفخات التنين فيهما شيأ ودنا عفان من السرير لينزع الخاتم من أصبعه فاشتغل بلوقيا بالنظر الى نزول جبريل عليه السلام من السماء فلما نزل صاح بهما صيحة ارتجت الارض والجبال وتزلزلت منها فاختلطت مياه البحار وهاجت والتطمت حتى صار كل عذب مالحا من شدة صيحته وسقط عفان على وجهه وسقط بلوقيا على وجهه ونفخ التنين فخرج من بطنه شعلة كأنها البرق الخاطف واحترق عفان وعادت نفخته في البحر فما مرت النفخة بشئ الا أحرقته ولا بماء الا سخنته وأغلته وان بلوقيا لما رأى العذاب ذكر اسم الله الاعظم

فلم ينله مكروه ثم تراءى جبريل عليه السلام فى صورة رجل فقال له يا ابن آدم
ما أجرأك على الله فقال له بلوقيا من أنت يرحمك الله فقال له أنا جبريل أمين رب
العالمين فقال بلوقيا يا جبريل انما خرجت حبا لمحمد صلى الله عليه وسلم ودينه
ولم أقصد الخطأ ولم أتعمده قال فبذلك تنجوت ثم صعد جبريل عليه السلام الى
السماء ومضى بلوقيا فطلى قدميه بذلك الدهن فضل الطريق الذى جاء منه وأخذ
فى طريق أخرى فسار ومضى ستة أبحر ووقع فى السابع فاذا هو بجزيرة من ذهب
حشيشها الورس والزعفران وأشجارها الزيتون والنخل والرمان فقال بلوقيا ما أشبه
هذا المكان بالجنة على ما وصفت قال فدنا بلوقيا من بعض الشجر فتناول من ثمرها
فقالت الشجرة يا خاطئ يا ابن الخاطئ لا تأخذ منى شيئا فبقى متعجبا واذا بحذاء الشجرة
قوم يتراكضون وبأيديهم سيوف مسلولة وهم يتناوشون بعضهم بعضا بالضرب
والطعن فلما رأوا بلوقيا أحاطوا به وأحدقوا من ورائه وهموا به سوأ فذكر بلوقيا اسم
الله فتعجبوا منه وهابوه وأغمدوا سيوفهم وقالوا بأجمعهم لا اله الا الله محمد رسول الله ثم
قالوا له من أنت يا عبد الله فقال أنا من بنى آدم فقالوا ما اسمك قال اسمى بلوقيا وأنا من
بنى اسرائيل فقالوا نعرف آدم ولا نعرف اسرائيل فما الذى أوقعك الينا فقال انى
خرجت فى طلب نبى يسمى محمدا صلى الله عليه وسلم وانى قد ضللت الطريق الذى
أردته ورأيت من الأهوال كذا وكذا فقالوا يا بلوقيا نحن من الجن المؤمنين ونحن مع
ملائكة الله فى السماء ثم نزلنا الى الارض وقاتلنا كفرة الجن ونحن ههنا مقيمون
نغزوهم ونجاهدهم الى يوم القيامة ولسنا نموت الى يوم القيامة وأنت تصير معنا فقال
بلوقيا لملك الجن وكان اسمه صخرا يا صخر أخبرنى عن خلق الجن كيف كان قال لما
خلق الله تعالى جهنم خلق لها سبعة ابواب وسبعة ألسنة وخلق منها خلقين خلقا فى
سمائه سماه جبليت وخلقا فى أرضه سماه تمليت فأما جبليت فانه خلق فى صورة أسد
وتمليت فى صورة ذئب وجعل الاسد ذكرا والذئب أنثى وجعل طول كل واحد منهما
مسيرة خمسمائة عام وجعل ذنب الذئب بمنزلة ذنب العقرب وذنب الاسد بمنزلة ذنب
الحية وأمرهما أن ينتفضا فى النار انتفاضة فسقط من ذنب الذئب عقرب ومن ذنب
الاسد حية فحيات جهنم وعقاربها من ذلك ثم أمرهما أن يتنا كحا فحملت الذئب من
الاسد فولدت سبع بنين وسبع بنات فأوحى الله اليهم أن يزوجوا البنين من البنات
كما أمر آدم فستة من البنين أطاعوا وواحد لم يطع ولم يتزوج فلعنه أبوه وهو ابليس
وكان اسمه الحرث وكنيته أبو مرة فهذا أول خلق الجان يا بلوقيا وان دوابنا لا تثبت
مع الانس ولكننى أحمل فرسى وأبرقعه حتى لا يعرف من راكبه واركب عليه على
اسم الله تعالى فاذا انتهيت الى أقصى أعمالى على ساحل بحر كذا وكذا فاذا أنت بشيخ

وشاب ومشايخ معهما فانك ستلقاهما هناك فادفع الفرس اليهما وامش فى حفظ الله راشدا فركب بلوقيا على ذلك الفرس حتى انتهى اليهم فسلم على الشيخ والشاب ونزل عن الفرس ودفعها اليهما وكان قد فصل من عند ملك الجن عند الغداة و بلغ اليهما نصف النهار فقالا له يا بلوقيا منذ كم فارقت الملك قال فارقته من غدوة قالا ما أسرع ما جئت قد أتعبت فرسنا فقال بلوقيا ما مددت اليه يدا ولا حركت عليه رجلا ولم أركضه ركضا قالا بلى ولكن فرسنا أحس بك و بعزلتك و ثقالك فطار ما بين السماء والارض ليريح نفسه منك فكم تراه جاب بك قال خمس فراسخ أو أكثر قالا بل جاب بك فى هذه المدة مسيرة مائة وعشرين سنة وكان يطير بك بين السماء والارض حول الدنيا دون قاف وأنت لا تعلم قال خلوا عنه السرج واللجام والبرقع فاذا العرق يقطر و يسيل من كل شعرة منه وله جناحان انقضا وتكسرا من كثرة الطيران والدوران والاعياء والكلال قال بلوقيا هذا والله لعجب فقالوا عجائب الله لا تنقضى ثم سلم عليهما فمضى فركب اليم فبينما هو يسير اذ رأى ملكا احدى يديه بالمشرق والاخرى بالمغرب وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فسلم عليه بلوقيا فقال له الملك من أنت أيها الخلق المخلوق قال أنا بلوقيا وأنا من بنى اسرائيل من ولد آدم ثم قال له بلوقيا أيها الملك ما اسمك قال اسمى يوحاييل وأنا ملك موكل بظلمة الليل وضوء النهار قال فما بال يديك مبسوطتين قال فى يدى اليمنى ضوء النهار وفى يدى اليسرى ظلمة الليل ولو سبق النهار الليل أضاءت السموات والارض ولم يكن الليل أبدا ولو سبقت الظلمة النور لاظلمت السموات والارض ولم يكن ضوء أبدا و بين يدى لوح معلق فيه سطران سطر أبيض وسطر اسود فاذا رأيت السواد ينقص نقصت الظلمة واذا رأيت السواد يزداد زدت الظلمة واذا رأيت السطر الابيض يزداد زدت النهار واذا انتقص نقصت فلذلك الليل فى الشتاء أطول من النهار والنهار أقصر وفى الصيف النهار أطول والليل أقصر ثم سلم بلوقيا ومضى فاذا هو بملك آخر قائم يده اليمنى فى السماء ويده اليسرى فى الارض وقدماه تحت الثرى وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول فسلم عليه بلوقيا فقال له الملك من أنت وما أسمك قال اسمى بلوقيا وأنا من بنى اسرائل واسرائيل من ولد آدم ثم قال بلوقيا أيها الملك ما اسمك قال مخاييل قال فما بالى أرى يمينك فى السماء وشمالك فى الماء قال أحبس الريح بيمينى والماء بشمالى ولو رفعت شمالى عن الماء لزخرت البحار كلها فى ساعة واحدة وتلاطمت باذن الله واغرقت الدنيا ومن عليها ويدى اليمنى فى الهواء وأحبس الريح عن ولد آدم لان فى السماء ريحا تسمى الهائمة ولو أرسلتها لنسفت من فى السماء ومن فى الارض قال فسلم بلوقيا ومضى فاذا هو بأربعة من الملائكة أحدهم رأسه كرأس الثور والآخر رأسه كرأس النسر والثالث رأسه

كرأس لاسد والرابع رأسه كرأس الانسان فأما الملك الذى رأسه كرأس الثور فانه
يقول اللهم ارحم البهائم ولا تعذبها وارفع عنها برد الشتاء وحر الصيف واجعل فى
قلوب بنى آدم لها الرأفة والرحمة كى لا يكيدوهن ولا يكلفوهن فوق طاقتهن واجعلنى
من أهل شفاعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وأما الذى رأسه كرأس
النسر فيقول اللهم ارحم الطيور وادفع عنها برد الشتاء وحر الصيف واجعلنى من أهل
شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وأما الذى رأسه كرأس الاسد فيقول اللهم
ارحم السباع ولا تعذبها وادفع عنها حر الصيف و برد الشتاء واجعلنى من أهل
شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وأما الذى رأسه كرأس الانسان فانه يقول
لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم المسلمين ولا تعذبهم وادفع
عنهم النار واجعلنى من أهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ومضى بلوقيا
حتى انتهى الى جبل قاف فاذا هو بملك قائم على جبل قاف وان جبل قاف محيط بالدنيا
من ياقوتة خضراء وذلك قوله تعالى ق والقرآن المجيد فسلم بلوقيا على الملك فقال له
الملك من أنت قال أنا بلوقيا وأنا من بنى اسرائيل من ولد آدم فقال له الملك وأين تريد
قال خرجت فى طلب نبى من العرب يقال له محمد ولست أرى أثره ولا أدرى بأى بلاد
أنا قال له الملك لا اله الا الله محمد رسول الله قد أمرنا بالصلاة على محمد فقال بلوقيا أيها
الملك ما اسمك قال اسمى حزقيائيل قال وما تصنع ههنا قال أنا أمين الله على جبل قاف
وفى يده وترمرة يعقده ومرة يحله وعروق الارض كلها مشدودة عليه والوتر فى كفه قال
فاذا أراد الله أن يضيق على عباده أمرنى ان أمد الوتر وأعقده وأوثق عروق الارض
فتضيق الدنيا على العباد واذا اراد الله ان يوسع عليهم أمرنى أن ارخى الوتر فأفتق عروق
الارض فتتسع الدنيا على العباد واذا أراد الله أن يخوف قوما أمرنى أن أحرك عروق
تلك الارض فمن أجل ذلك موضع يهتز وموضع لا يهتز وموضع يتزلزل وموضع لا يتزلزل
قال بلوقيا أيها الملك ما وراء قاف قال وراء قاف أربعون دنيا غير الدنيا التى جئت منها
فى كل دنيا أربعمائة ألف باب فى كل باب أربعمائة ألف ضعف مثل الدنيا التى جئت
منها وليست فيها ظلمة بل كلها نور وأرضها ذهب عليها حجب من نور وسكانها الملائكة
لا يعرفون آدم ولا ابليس ولا جهنم وهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله
عليه وسلم بذلك الهموا ولذلك خلقوا وبه أمروا الى يوم القيامة قال بلوقيا فما وراءهم
أيها الملك قال حجب وراء الحجب علم الله وقدرته قال بلوقيا أخبرنى أيها الملك على أى
شئ هذا الجبل موضوع قال بين قرنى ثور واسمه بهموت وهو أبيض رأسه بالمشرق
ومؤخره بالمغرب بين قرنيه مسيرة ثلاثين ألف سنة وهو ساجد لربه تعالى على صخرة
بيضاء قال بلوقيا أيها الملك كم الارضون وكم البحار قال الارضون سبع والبحار سبع

قال

قال فهم أين هي قال تحت الارض السابعة فسلم عليه بلوقيا ومضى حتى انتهى الى حجاب طرفه في السماء وأسفله في الماء عليه باب مقفل وعلى القفل خاتم من نور وعلى الباب ملكان أحدهما رأسه كرأس الثور والآخر رأسه كرأس الكبش وبدنه كبدن الثور وهما يقولان لا اله الا الله محمد رسول الله فسلم عليهما بلوقيا فردا عليه السلام وقالا لبلوقيا أيها الخلق المخلوق من أنت وما اسمك قال اسمي بلوقيا وأنا من بني اسرائيل من ولد آدم فقالا لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه أسماء ما عرفناها قال كيف تعرفون محمدا وما تعرفون آدم ومحمد من نسله فقالا هكذا خلقنا وهذا أمرنا ولم نسمع باسم آدم ولا اسرائيل فقال بلوقيا افتحا الى الباب حتى أجوز فقالا لا نحسن فتحه وان لله ملكا في السماء اسمه جبريل عسى أن يقدر على فتحه فدعا بلوقيا ربه قال فأمر الله تعالى جبريل فنزل اليه وفتح له ثم قال يا ابن آدم ما أجرأك على الله ثم جاز بلوقيا حتى انتهى الى بحرين بحر مالح وبحر عذب فرأى بينهما حاجزا وفي البحر المالح جبلا من ذهب وفي البحر العذب جبلا من فضة وبينهما ملائكة على صورة النملة ومعه ملائكة على ثلاث الصور فسلم عليهم بلوقيا فردوا عليه السلام وقالوا من أنت فأخبرهم بقصته ثم قال لهم بلوقيا من أنتم قالوا نحن أمناء الله على هذين البحرين لا يلتقيان ولا يبغيان فقال لهم بلوقيا ما هذا الجبل الاحمر قالوا هذا كنز الله في الارض فكل ذهب يظهر في الارض من هذا الجبل الاحمر وكل ما في الدنيا من ماء عذب أو ملح انما هو من ماء هذين البحرين وماؤهما انما يجيء من تحت العرش من قبل أن يخلق الله الملائكة والجبل الابيض من فضة وهو كنز الله وكل فضة في الدنيا ومعدن من فضة فمن عروق هذا الجبل ثم سلم بلوقيا ومضى حتى انتهى الى بحر عظيم فاذا هو بحيتان كثيرة عظيمة قد اجتمعت وحوت عظيم يقضي بين الحيتان فلما نظر الى بلوقيا قال لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فسلم عليه بلوقيا ثم قال له من أنت فأخبره بحاله وأنه خرج يطلب النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام ثم قال له يا بلوقيا ان لقيت محمدا فاقرئه مني السلام فقال بلوقيا نعم ان شاء الله تعالى ثم انه قال أيتها الحيتان اني جائع عطشان وماء هذا البحر مالح وما أجد ما آكل وما أشرب قال فقال الحوت الاعظم يا بلوقيا سأطعمك طعاما اذا أكلته تسير أربعين سنة لا تعيا ولا تنام ولا تجوع ولا تعطش فاطعمه ذلك الحوت قرصا أبيض فأكله ومضى حتى بلغ العمران ومن قبل أن يبلغه رأى شابا يجري على الماء كأنه البدر فقال له بلوقيا من أنت فقال سل الذي خلقني فسار بلوقيا يوما وليلة فاذا هو بآخر يمر على الماء ضوءه كضوء القمر فقال له بلوقيا من أنت قال سل الذي خلقني فسار بلوقيا يوما وليلة فاذا هو بثالث كأنه القمر يلوح في آخر الشمس فقال له بلوقيا

أنشدك الله الاما وقفت على ّفوقف وقال لبلوقيا لماذا تستحلفنى قال خشيت أن
تفوتنى مثل أصحابك الماضين ثم قال له من كان الاول قال اسرافيل صاحب الصور
والثانى ميكائيل صاحب المطر وأرزاق العباد والثالث جبريل أمين الله تعالى فقال
له بلوقيا فماذا تصنعون فى هذا اليم قال حية من حيات البحر قد آذت سكانه فدعوا
عليها فاستجاب الله دعاءهم وانا أمرنا أن نسوقها الى جهنم ليعذب الله بها الكفار
يوم القيامة قال بلوقيا كم طولها وكم عرضها قال طولها مسيرة ثلاثين سنة وعرضها
مسيرة عشرين سنة فقال بلوقيا أيكون فى جهنم مثل هذه الحية أو اكبر منها قال نعم ان
فى جهنم من الحيات ما تدخل هذه الحية فى أنف احداهن ولا تشعر بها وتخرج من
فيها ولا تشعر بها من عظم خلقها قال فسلم بلوقيا ومضى الى جزيرة أخرى فاذا هو
بغلام أبيض أمرد بين قبرين فسلم عليه بلوقيا وقال له ياشاب من أنت وما اسمك قال
اسمى صالح قال فما هذان القبران قال أحدهما قبر أبى والآخر قبر أمى وكانا صالحين
فأناههنا وأنا عند قبرهما حتى أموت فسلم عليه بلوقيا ومضى حتى انتهى الى جزيرة
فاذا هو بشجرة عظيمة عليها طائر واقف رأسه من ذهب وعيناه من ياقوت ومنقاره
من لؤلؤ ويداه من زعفران وقوائمه من زمرذ واذا مائدة موضوعة تحت الشجرة وعليها
طعام وحوت مشوى فسلم عليه بلوقيا فرد الطائر عليه السلام فقال له بلوقيا من
أنت أيها الطائر قال أنا من طيور الجنة وان الله تعالى قد بعثنى الى آدم بهذه المائدة
لما أهبط من الجنة وانى كنت معه حين اتى حواء وأباح الله له الاكل وأنا ههنا من
لدن ذلك الوقت فكل غريب وعابر سبيل من عباد الله الصالحين يمر بها يأكل منها
وأنا أمين الله عليها الى يوم القيامة فقال بلوقيا ولا تتغير ولا تنقص فقال طعام الجنة
لا يتغير ولا ينقص قال بلوقيا أفآكل منها قال كل فأكل حاجته ثم قال له أيها الطائر
وهل معك أحد فقال معى أبو العباس يأتينى أحيانا قال ومن أبو العباس قال الخضر
عليه السلام فلما ذكر الخضر اذا به قد أقبل وعليه ثياب بيض فما خطا خطوة الا
نبت الحشيش تحت قدمه قال فسلم على بلوقيا وسأله عن حاله فقال بلوقيا طالت
غيبتى وأريد الرجوع الى أمى فقال الخضر بينك وبين أمك مسيرة خمسمائة عام وأنا
أردك اليها فى مسيرة خمسمائة شهر فقال الطائر ان كان بينك وبينها مسيرة خمسمائة
سنة فأنا أردك اليها مسيرة خمسمائة يوم فقال الخضر عليه السلام فأنا أردك اليها
فى ساعة واحدة ثم قال غمض عينيك فغمضهما ثم قال له افتح عينيك ففتحهما فاذا هو
جالس عند أمه فسألها من جاء بى اليك قالت طير أبيض يطير بك بين السماء
والارض فوضعك قدامى ثم ان بلوقيا حدث بنى اسرائيل بما رأى من العجائب
والاخبار فأثبتوها وكتبوها الى يومنا هذا فهذا ما كان من حديث بلوقيا وما رأى من

العجائب .

العجائب فى البحر والبر سهلا وجبلا والله أعلم

﴿مجلس فى ذكر قصة ذى القرنين عليه السلام﴾

قال الله تعالى ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا

﴿باب فى نسبه ولقبه﴾

قال أكثر أهل السير هو الاسكندر بن فيلبش بن بطريوس بن هرمس بن هردوس ابن منطون بن رومى بن لطين بن يونان بن يافث ويقال نسبه ينتهى الى العيص بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام وزعم بعض القدماء أن الاسكندر هو أخو دارا بن دارا وذلك أن دارا الاكبر بن بهمن بن اسفنديار بن يستاسف كان تزوج أم الاسكندر وكانت بنت ملك الروم وكان اسمها هلانة وانها حملت الى زوجها دارا الاكبر فوجد منها رائحة كريهة فأمر أن يحتال فى زوال ذلك منها فاجتمع رأى أهل المعرفة فى مداواتها الى شجرة يقال لها سندروس فطبخت لها وغسلت بمائها فاذهب ذلك كثيرا من نتنها ومن عرقها ولم يذهب ذلك كله فانتهت نفسه عنها لبقية نتنها وعافها فردها الى أهلها وقد علقت منه فولدت له فى أهلها غلاما فسمته باسمه واسم الشجرة التى غسلت بمائها سكندروس فهذا أصل اسمه ثم خفف فقيل اسكندر وكنى بذى القرنين واختلفوا فى سبب تسميته بذلك فقال بعضهم سمى بذلك لانه ملك الروم وفارس وقيل لانه كان فى مقدم رأسه شبه القرنين من لحم وقيل لانه رأى فى المنام كأنه أخذ بقرنى الشمس وكان تأويل رؤياه أنه طاف المشرق والمغرب وقيل لانه دعا قومه الى التوحيد فضربوه على قرنه الايمن ثم دعاهم الى التوحيد فضربوه على قرنه الايسر وقيل لانه كان له ذؤابتان حسنتان والذؤابة تسمى قرنا وقيل لانه كان كريم الطرفين من أهل بيت شرف من قبل أبيه وأمه وقيل لانه كان انقرض فى وقته قرنان من الناس وهو حى وقيل لانه كان اذا حارب قاتل بيديه وركابه جميعا وقيل لانه أعطى علم الظاهر والباطن وقيل لانه دخل النور والظلمة والله أعلم

﴿باب فى ذكر بدء أمره وسبب استكمال ملكه﴾

قال الله تعالى انا مكنا له فى الارض وآتيناه من كل شئ سببا فاتبع سببا وقال قوم كان فيلبش اليونانى أبو الاسكندر ملك اليونانيين فلما مات ملك بعده الاسكندر وقال آخرون ان الاسكندر أخو دارا الاصغر وكان أبو هلانة جد الاسكندر لامه ملكا من ملوك الروم فلما مات صار الملك لابن بنته الاسكندر وكانت ملوك الروم يؤدون الاتاوة جميعا الى ملوك الفرس وكانت الاتاوة التى كان أبو الاسكندر يؤديها الى ملوك الفرس بيضة من ذهب فلما ملك الاسكندر وكان رجلا ذا عزيمة وقوة وملك غزا ملوك الروم فقهرهم واستجمع له ملك الروم ثم غزا بعض ملوك العرب فظفر بهم فآنس

مذلك من نفسه القوة فاستعصى على دارا الاصغر ملك فارس فامتنع من حمل ما كان
أبوه يحمله اليه من الخراج والاتاوة عن نفسه وعن ملك الروم فكتب اليه دارا بن
دارا بقصة الخراج والاتاوة عن نفسه وعن ملك الروم فاجابه الاسكندر أنى قد ذبحت
تلك الدجاجة التى كانت تبيض ذلك البيض وأكلت لحمها فلما وصل اليه الكتاب
بذلك سخط عليه وكتب اليه يؤنبه بسوء صنيعه فى امتناعه عن حمل الخراج اليه
وبعث اليه بصولجان وكرة وقفيزى سمسم وأعلمه فيما كتب به اليه أنك صبى وأنه
ينبغى لك أن تلعب بالصولجان والكرة التى بعثت بهما اليك ولا تتقلد الملك ولا تتلبس
به ولا تستعصى والا بعثت اليك من يأتى بك فى وثاق ولو كانت جنودك بعدد حب
السمسم الذى بعثت به اليك فبعث اليه الاسكندر فى جواب ذلك انى قد فهمت
ما كتبت قد نظرت ماذكرت فى كتابك من ارسال الصولجان والكرة وضممت الكرة
الى الصولجان وشبهت الكرة بارضك وانى محتو على ملكك وأضيفه الى ملكى
وأضيف بلادك الى بلادى وانى نظرت الى السمسم الذى بعثته الى كنظرى الى
الصولجان والكرة وبعث الى دارا مع كتابه صرة من خردل وأعلمه فى الجواب انما
بعثت اليك بذلك لان جنودك مثل ذلك فلما وصل الى دارا بن دارا جواب الاسكندر
جمع جنوده وتأهب لمحاربة الاسكندر وان الاسكندر أيضا تأهب للقائه ونادى
فى عسكره بالرحيل وسار نحو بلاد دارا فالتقيا بناحية خراسان مما يلى الخزر واقتتلا
أشد القتال وصارت الدائرة على جند دارا فعرض له فارسان من قرابته وأهل بيته
ونقته وقيل ان أحدهما كان صنيعه فطعناه فارد ياه عن مركبه وأراد ابطعنهما اياه
الحظوة عند الاسكندر والوسيلة اليه وان الاسكندر نادى أن يؤخذ دارا أسيرا ولا
يقتل فاخبر بشأن دارا فأسرع حتى وقف عليه فرآه يجود بنفسه فنزل اليه وجلس
عند رأسه وأخبره أنه لم يهم قط بقتله وان الذى أصابه لم يكن قط برأيه وانما غدر به
ثقاته ثم قال له سلنى ما بدالك فاسعفك به فقال له دارا ان لى اليك حاجتين احداهما
ان تنتقم لى من الرجلين اللذين فتكا بى وسماهما وبلادهما والثانية أن تتزوج ابنتى
روشنك فاجابه الى الحاجتين وأمر بصلب الرجلين وأن ينادى عليهما هذا جزاء من
اجترأ على ملكه وغش أهل بلده وتزوج ابنته روشنك وكان ملك دارا أربع عشر
سنة فلما قتل اجتمع ملك الروم وكان قبل الاسكندر متفرقا وتفرق ملك فارس
وكان قبل الاسكندر مجتمعا

﴿باب فى ذكر الحوادث التى كانت فى أيام ذى القرنين بعد قتل دارا ووصف مسيره الى البلاد والآفاق﴾

قالت العلماء باخبار القدماء لما قتل الاسكندر دارا ملك البلاد ودانت له العباد

فهدم ما كان في بلاد الفرس من بيوت النيران وما كان بارض الهند من بيوت الاوثان
وقتل الهرابذة وأحرق كتبهم ودعا الناس الى الاسلام والتوحيد * قال المرتضى
في سبب احراق كتبهم ان المجوس جعلوا حروف كتبهم من الذهب المضروب بمسامير
الذهب على جلود الثيران فبلغ عددها اثنى عشر ألفا فاحرقوها لحصول ذلك الذهب
وبنى اثنتى عشرة مدينة منها ثلاث مدائن بخراسان هراة ومرو وسمرقند ومدينة
بارض أصفهان بنيت على مثال الجنة ومدينة بأرض اليونان يقال لها هيلاقوس
ومدينة بأرض بابل لزوجته روشنك بنت دارا ومدينة الاسكندرية ثم انه رأى
في منامه أنه أخذ بقرني الشمس ورأى في منامه أنه يسير الى آفاق الارض شرقا وغربا
* واختلف العلماء في نبوته فروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا أدري
أ كان ذو القرنين نبيا أم لا فلو صح الحديث لكان الخوض في مثل هذه المسئلة تكلفا
ثم اختلفوا بعد فيه فقال قوم لم يكن نبيا وانما كان عبدا صالحا وملكا عادلا فاضلا
وقال آخرون بل كان نبيا غير مرسل والصحيح ان شاء الله أنه كان نبيا غير مرسل لما روى
وهب وغيره من أهل الكتب قالوا كان ذو القرنين رجلا من الروم ابن عجوز من
عجائزهم ليس لها ولد غيره وكان اسمه الاسكندر ويقال كان اسمه عياشا وكان عبدا
صالحا فلما استحكم ملكه واجتمع أمره أوحى الله تعالى اليه يا ذا القرنين انى قد بعثتك
الى جميع الخلائق ما بين الخافقين وجعلتك حجتي عليهم وهذا تأويل رؤياك وانى
باعثك الى أمم الارض كلهم وهم سبع أمم مختلفة ألسنتهم منهم أمتان بينهما عرض
الارض وأمتان بينهما طول الارض وثلاث أمم في وسط الارض وهم الانس والجن
ويأجوج ومأجوج فأما الامتان اللتان بينهما طول الارض فأمة عند مغرب الشمس
يقال لها ناسك وأمة أخرى بحيالها يقال لها منسك وهي عند مطلع الشمس وأما
الامتان اللتان بينهما عرض الارض فأمة في قطر الارض الايمن يقال لها هاويل والاخرى
بحيالها في قطر الارض الايسر يقال لها تأويل فلما قال الله تعالى له ذلك قال ذو القرنين
الهي انك قد ندبتني الى أمر عظيم لا يقدر عليه الا أنت فأخبرني عن هذه الامم التى
بعثتني اليها باى قوة أكابرهم وباى جمع وحيلة أكاثرهم وبأى صبر أقاسيهم وبأى
لسان أناطقهم وكيف لي بأن أفقه لغاتهم وبأى سمع أسمع أقوالهم وبأى بصر أنقدهم
وبأى حجة أخاصمهم وبأى عقل أعقل عنهم وبأى قلب وحكمة أدبر أمرهم وبأى قسط
أعدل بينهم وبأى حلم أصابرهم وبأى معرفة أفصل بينهم وبأى علم أتقن أمورهم
وبأى يد أسطو عليهم وبأى رجل أطؤهم وبأى طاقة أحصيهم وبأى جند أقاتلهم
وبأى رفق أؤلفهم وليس عندي يا الهي شئ مما ذكرت يقوم لهم ويقويني عليهم
وأنت الرؤف الرحيم لا تكلف نفسا الا وسعها ولا تحملها فوق طاقتها ولا تشقيها

بل أنت ترحمها فقال الله تعالى سأطوقك ما حملتك وأشرح لك سمعك وصدرك فتسمع وتعى كل شئ وأشرح لك فهمك فتفقه كل شئ وأبسط لك لسانك فتنطق بكل شئ وأفتح لك بصرك فتنقد كل شئ وأحصى لك قوتك فلا يفوتك شئ وأشد لك عضدك فلا يهولك شئ وأشد لك ركنك فلا يغلبك شئ وأشد لك قلبك فلا تفزع من شئ وأشد لك يديك فتسطو على كل شئ وأشد لك وطأتك فتهلك كل شئ وألبسك الهيبة فلا يروعك شئ وأسخر لك النور والظلمة وأجعلهما جندا من جنودك يهديك النور أمامك وتحوط بك الظلمة من ورائك فلما قيل له ذلك حدثته نفسه بالمسير وألح عليه قومه بالمقام فلم يفعل وقال لابد من طاعة الله تعالى ثم أمرهم أن يبنوا له مسجدا وأن يجعلوا طول المسجد أربعمائة ذراع وعرضه مائتى ذراع وعرض أساس حائطه أربعة وعشرين ذراعا وطوله فى السماء مائة ذراع وأمرهم أن ينصبوا فيه السوارى قالوا كيف نصنع قال اذا فرغتم من شأن الحيطان فاكبسوها بالتراب حتى يستوى الكبس مع حائط المسجد فاذا فرغتم فرضتم من الذهب على الموسر قدره وعلى المقتر قدره وقطعتموه مثل قلامة الظفر ثم خلطتموه بذلك الكبس وجعلتم خشبا من نحاس ووتدا من نحاس وصفائح من نحاس تذيبون ذلك وأنتم ممكنون من العمل كيف شئتم على أرض مستوية وجعلتم طول كل خشبة مائة ذراع وأربعة وعشرين ذراعا ومائتى ذراع فيما بين الحيطان لكل حائط اثنا عشر ذراعا ثم تدعون المساكين لنقل التراب فيسارعون اليه لما فيه من الذهب والفضة فمن حمل شيأ فهو له ففعلوا ذلك فأخرج المساكين ذلك التراب واستقر السقف بما عليه واستغنى المساكين فكان جندهم أربعين ألفا فجعلهم أربعة أجناد فى كل جند عشرة آلاف ثم عرض جنده فوجدهم فيما قيل ألف ألف وأربعمائة ألف منهم من جنده ثمانمائة ألف ومن جند دارا ستمائة ألف ومن المساكين أربعين ألفا ثم انطلق يؤم الامة التى عند مغرب الشمس فذلك قوله تعالى حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة أى ذات حما ومن قرأ حامية بألف من غير همز فمعناه حارة (أخبرنا) عبد الله بن حامد الاصفهانى باسناده عن ابن عباس قال أقرأنيها أبى بن كعب كما أقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عين حمئة وقال ابن عباس كنت جالسا عند معاوية اذ قرأ هذه الآية وجدها تغرب فى عين حامية فقلت ما نقرؤها الا حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمر كيف تقرؤها قال أقرؤها كما قرأتها يا أمير المؤمنين قال ابن عباس فاطلت الجدال معهما فأرسل معاوية الى كعب فجاء فقال له أين تجد الشمس تغرب فى التوراة يا كعب قال أما العربية فانتم أعلم بها منى وأما الشمس فانى أجدها فى التوراة تغرب فى ماء وطين وأنشدك ما تزداد به تبصرا وهو قول تبع

قد كان ذوالقرنين قبلى مسلما ❊ ملكا تدين له الملوك وتسجد
بلغ المشارق والمغارب يبتغى ❊ أسباب أمر من حكيم مرشد
فرأى مغيب الشمس عند غروبها ❊ فى عين ذى خلب وثأط حرمد

فقال معاوية ما الخلب يا كعب فقلت الطين بكلامهم قال فما الثأط قلت الحمأة قال وما الحرمد قلت الاسود فدعا رجلا فقال اكتب مايقول * فلما بلغ مغرب الشمس وجد عندها جمعا وعددا لايحصيه الاالله تعالى وقوة وبأسا لايطيقه الاالله تعالى ورأى ألسنة مختلفة واهواء مشتبهة وذلك قوله تعالى وجد عندها قوما يعنى ناسا فلما رأى ذلك كاثرهم بالظلمة فضرب حولهم ثلاث عساكر منها فأحاط بهم من كل مكان حتى جمعهم فى مكان واحد ثم أخذ عليهم بالنور ودعاهم الى الله تعالى والى عبادته فنهم من آمن به ومنهم من صد عنه فعمد الى الذين تولوا عنه فادخل عليهم الظلمة فدخلت فى أفواههم وأنوفهم وآذانهم وأجوافهم ودخلت فى بيوتهم ودورهم وغشيتهم من فوقهم ومن تحتهم ومن كل جانب فلما تخوفوا صاحوا وتحيروا فلما أشفقوا أن يهلكوا فيها ضجوا بصوت واحد فكشفها عنهم وأخذهم عنوة فدخلوا فى دعوته فجاء من أهل المغرب أمم عظيمة فجعلهم جندا واحدا ثم انطلق بهم يقودهم والظلمة تسوقهم من خلفهم وتحرسهم والنور أمامه يقوده ويدله وهو يسير فى ناحية الارض اليمنى وهو يريد الامة التى فى قطر الارض اليمين التى يقال لها هاويل وسخر الله له قلبه ويده ورأيه وعقله ونظره فلا يخطئ اذا عمل عملا فانطلق يقود تلك الامم وهى تتبعه حتى اذا انتهى الى بحر أو مخاضة هيأ سفنا من ألواح صغار مثل النعال فيلحمها فى ساعة ثم يحمل فيها جميع مامعه من تلك الامم وتلك الجنود واذا قطع البحار والانهار فتقها ثم يدفع الى كل رجل منهم لوحا فلا يكترث بحمله فلم يزل ذلك دأبه حتى انتهى الى هاويل ففعل فيها كفعله فى ناسك فلما فرغ منها مضى على وجهه فى ناحية الارض اليمنى حتى انتهى الى منسك عند طلوع الشمس وجدها تطلع على قوم فعمل فيها وجند فيها جنودا كفعله فى الامتين اللتين قبلها ثم كر مقبلا حتى أتى ناحية الارض اليسرى وهو يريد تاويل وهى الامة التى بحيال هاويل وهما متقابلتان بينهما عرض الارض كله فلما بلغها عمل فيها وجند جنودا كفعله فيما قبلها فذلك قوله تعالى حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا وذلك انهم كانوا فى مكان لا يستقر عليه بناء وكانوا يكنون فى أسراب لهم حتى اذا زالت الشمس خرجوا الى معايشهم وحروثهم وقال الحسن كانت أرضهم أرضا لا تحتمل البناء وكانوا اذا طلعت الشمس عليهم دخلوا الماء فاذا ارتفعت عنهم خرجوا فرعوا كما ترعى البهائم وقال ابن جريج جاءهم مرة جيش فقال لهم على طلوع الشمس فنهاهم اهلها

فقالوا ما نبرح حتى تطلع الشمس فنراها ثم انهم قالوا ما هذه العظام فقالوا هذه جيف
قوم طلعت عليهم الشمس فماتوا ههنا قال فذهبوا هاربين فى الارض * وقال الكلبى
هم أمة يقال لها منسك حفاة عراة عماة عن الحق قال وحدثنا عمرو بن مالك بن أمية قال
وجدت رجلا بسمرقند يحدث الناس وهم حوله مستمعون له مجتمعون فسألت بعض
من سمع حديثه فأخبرنى أنه حدثهم عن القوم الذين تطلع عليهم الشمس قال
خرجت حتى جاوزت الصين ثم سألت عنهم فقيل لى ان بينك و بينهم يوما وليلة
فاستأجرت رجلا ثم سرت بقية يومى وليلتى حتى صبحتهم فاذا أحدهم يفرش أذنه
و يلتحف الاخرى وكان صاحبى يحسن لسانهم فسألهم فقالوا له اذا تنظر كيف تطلع
الشمس قال فبينما نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشى على فوقعت فلما
أفقت قمت وهم يمسحون على بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هى على الماء
كهيئة الزيت واذا طرف السماء كهيئة الفسطاط فلما ارتفعت ادخلونى سربا لهم أنا
وصاحبى فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك و يطرحونه فى
الشمس فينضج والله أعلم

باب فى صفة سد ذى القرنين وما يتعلق به

قال الله تعالى حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا
قالت العلماء بأخبار القدماء لما فرغ ذو القرنين من أمر الامم الذين هم فى أطراف
الارض وطاف المشرق والمغرب عطف منها الى الامم التى فى وسط الارض من الجن
والانس و يأجوج ومأجوج فلما كان فى بعض الطريق مما يلى منقطع الترك نحو
المشرق قالت له أمة صالحة من الانس يا ذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا من
خلق الله ليس فيهم مشابهة من الانس وهم أشباه البهائم يأكلون العشب
و يفترسون الدواب والوحوش كما تفترسها السباع و يأكلون حشرات الارض كلها
من الحيات والعقارب وكل ذى روح مما خلق الله فى الارض وليس لله خلق ينمون
نماءهم ولا يزدادون كزيادتهم فان أنت اطلعت على ما ينمو من نمائهم وزيادتهم
فلا تشك أنهم سيملؤن الارض و يخرجون أهلها منها و يظهرون عليها و يفسدون
فيها وليست تمر بنا سنة منذ جاورناهم الا ونحن نتوقع أن يطلع علينا أولهم من
بين هذين الجبلين فهل نجعل لك خرجا أى جعلا وأجرا على أن تجعل بيننا وبينهم
سدا حاجزا فلا يصلون الينا فقال لهم ذو القرنين ما مكنى فيه ربى أى قوانى عليه خير
من خراجكم فأعينونى بقوة أجعل بينكم و بينهم ردما حاجزا كالحائط قالوا وما تلك القوة
قال فعلة وصناع يحسنون البناء والعمل والآلة قالوا وما تلك الآلة قال آتونى زبر
الحديد أى قطعه واحدتها زبرة وآتونى النحاس فقالوا من أين لنا من الحديد والنحاس
ما يسع هذا العمل قال سأدلكم على معادنهما قالوا فبأى قوة نقطع الحديد والنحاس

فاستخرج

فاستخرج لهم معدنا آخر يقال له الساهون وهو أشد ما خلق الله في الارض بياضا وهو الذي قطع به سليمان أساطين بيت المقدس وصخوره وجواهره ثم انه قاس ما بين الجبلين ثم أوقد على ما جمع من الحديد والنحاس النار وصنع منها زبرا مثل الصخور العظام ثم أذاب النحاس فجعله كالطين والملاط لتلك الصخور التي هي من الحديد ثم بنى

✽ وكيفية بنائه على ما ذكر أهل السير أنه لما قاس ما بين الجبلين وجد ما بينهما مائة فرسخ فلما أنشأ في عمله حفر له الاساس حتى بلغ الماء ثم جعل عرضه خمسين فرسخا ثم وضع الحطب بين الجبلين ثم نسج عليه الحديد ثم نسج الحطب على الحديد فلم يزل يجعل الحطب على الحديد والحديد على الحطب حتى ساوى بين الصدفين وهما الجبلان ثم أمر بالنار فارسلت فيه ثم قال انفخوا حتى جعل يفرغ القطر فيه وهو النحاس المذاب فجعلت النار تأكل الحطب ويصير النحاس مكان الحطب حتى لزم الحديد النحاس فصار كأنه برد حبرة من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد وغبرته فصار سدا طويلا عظيما حصينا قال تعالى فما اسطاعوا أن يظهروه أي يعلوه وما استطاعوا له نقبا قال قتادة ذكر لنا أن رجلا قال يا نبي الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج قال انعته لي قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء فقال له قد رأيته ويقال ان موضع السد وراء زخرد بقرب مشرق الارض بينه وبين الخزر مسيرة اثنين وسبعين يوما وذكر ان الواثق بالله أمير المؤمنين رأى في المنام ان السد مفتوح فوجه سلاما الترجمان في خمسين رجلا وأعطاه خمسة آلاف دينار وأعطى كل رجل من الخمسين خمسين ألف درهم ورزق سنة وأعطاه مائتي بغلة تحمل الزاد والماء وخرج من سر من رأى بكتاب الواثق بالله الى اسحق بن اسمعيل صاحب أرمينية وكان بتفليس وكتب له اسحق الى صاحب السرير وكتب له صاحب السرير الى ملك اللان وكتب له ملك اللان الى الازالى طلجند في بلاد شاه ملك الخزر فأقام عنده حتى أخذ معه خمسين رجلا أدلاء فساروا خمسة وعشرين يوما حتى انتهوا الى أرض سوداء منتنة الريح وكانوا قد حملوا معهم شيأ يشمونه من الرائحة الذكية فساروا تسعة وعشرين يوما ثم سألوا عن سبب نتن الريح ما هي فقالوا مات ههنا قوم ثم ساروا في مدن خراب عشرين يوما فسألوا عن تلك المدن فقالوا قد ظهر فيها يأجوج ومأجوج فخربوها ثم ساروا الى حصون بالقرب من الجبل يتكلمون بالعربية والفارسية يقرؤن القرآن ولهم مكاتب ومساجد فقالوا الناس من هؤلاء القوم قلنا رسل امير المؤمنين فقالوا ومن هو أمير المؤمنين قلنا من أولاد العباس ملك بالعراق فتعجبوا منه وقالوا شيخ أو شاب وزعموا أنهم لم يبلغهم خبره ثم فارقوهم وساروا الى جبل أملس ليس عليه خضرة واذا جبل مقطوع بواد عرضه مائة وخمسون ذراعا وعضادتاه مبنيان

مقابلتنا الجبل عرض كل عضادة خمسة وعشرون ذراعا مبنية بلبن من حديد مركبة
في نحاس في سمك خمسين ذراعا واذا وتد من حديد طرفاه على عضادتين طوله مائة
وعشرون ذراعا قد ركب على العضادتين على كل واحدة مقدار عشرة أذرع
في عرض خمسة أذرع فوق ذلك اللبن الحديد المغيب في النحاس الى رأس الجبل
وارتفاعه مد البصر وفوق ذلك شرف من حديد في طرف كل شرافة قرنان مبني بعضها
الى بعض منظومة كل واحدة في صاحبتها فاذا باب له مصراعان منصوبان من حديد
عرض كل باب خمسون ذراعا في ارتفاع خمسين ذراعا وثمنا هما في دورهما على قدر الدربند
وعلى الباب قفل طوله سبعة أذرع في غلظ ذراع وارتفاع القفل من الارض خمسة
وخمسون ذراعا وفوق القفل مقدار خمسة أذرع غلق وعلى الغلق مفتاح طوله ذراع
ونصف معلق في سلسلة طولها ثمانية أذرع في استدارة أربعة أشبار والحلقة التي
في السلسلة مثل حلقة المنجنيق وعرض عتبة الباب عشرة أذرع في طول مائة ذراع
سوى ما في العضادتين والظاهر منها خمسة أذرع وهذا كله بذراع السواد ورئيس
تلك الحصون يركب كل جمعة في عشرة فوارس مع كل فارس مرزبة من حديد وزن كل
واحدة خمسون منا فيضرب القفل بالمرزبات كل يوم ثلاث ضربات ليسمع من وراء
الباب الصوت فيعلموا ان هناك حفظة ويعلم هؤلاء أن أولئك لم يحدثوا في الباب حدثا
فاذا ضربوا أصغوا اليه بآذانهم فيسمعون من داخل دويا وبالقرب من هذا الجبل
حصن كبير عظيم عشرة فراسخ في مسيرة مائة فرسخ لانها عشرة في عشرة ومع الباب
حصنان طول كل واحد منهما مائتا ذراع في مائتي ذراع وعلى باب هذين الحصنين
صخرتان و بين الحصنين ماء عين عذب في أحد الحصنين آلة البناء التي بني بها السد
من قدور الحديد ومغارف من حديد وهناك بعض اللبن من الحديد قد التزق بعضه
ببعض من الصدا واللبنة ذراع ونصف في عرض شبر وسألنا اهل وراء ذلك أحد من
أهل يأجوج ومأجوج فذكروا أنهم رأوا منهم عدة فوق الشرف فهبت ريح سوداء
فالقتهم الى جانبهم وكان مقدار الرجل في رأى العين شبرا ونصفا قال فلما انصرفنا
أخذ بنا الادلاء على نواحي خراسان فعدلنا اليها فوقفنا الى القرب من سمرقند على
سبعة فراسخ وكان أصحاب الحصن ثم زودونا الطعام ثم سرنا الى عبد الله بن طاهر
فوصلنا بمائة ألف درهم ووصل كل رجل كان معي بخمسمائة درهم وأجرى على كل
فارس خمسة دراهم وعلى كل راجل ثلاثة دراهم كل يوم حتى صرنا الى الري ورجعنا
الى سر من رأى بعد ثمانية وعشرين شهرا والله أعلم

﴿باب في دخول ذي القرنين الظلمات مما يلي القطب الشمالي لطلب عين الحياة﴾

روي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه انه قال كان ذو القرنين قد ملك ما بين

المشرق والمغرب وكان له خليل من الملائكة اسمه رفائيل يأتيه ويزوره فبينما هما ذات يوم يتحدثان اذ قال له ذو القرنين يا رفائيل حدثني عن عبادتكم في السماء فبكى وقال يا ذا القرنين وما عبادتكم عند عبادتنا ان في السماء من الملائكة من هو قائم لا يجلس أبدا ومن هو ساجد لا يرفع رأسه أبدا ومن هو راكع لا يستوي قائما أبدا يقولون سبحان القدوس رب الملائكة والروح ربنا ما عبدناك حق عبادتك فبكى ذو القرنين بكاء شديدا ثم قال اني أحب أن أعيش فأبلغ من عبادة ربي حق عبادته فقال رفائيل أو تحب ذلك يا ذا القرنين قال نعم قال رفائيل فان لله عينا في الارض تسمى عين الحياة فيها من الله عز وجل أن من يشرب منها شربة لا يموت أبدا حتى يكون هو الذي يسأل ربه الموت فقال له ذو القرنين هل تعلمون أنتم موضع تلك العين فقال لا غير انا نتحدث في السماء أن لله في الارض ظلمة لا يطؤها انس ولا جان فنحن نظن ان تلك العين في تلك الظلمة فجمع ذو القرنين علماء أهل الارض واهل دراسة الكتب وآثار النبوة فقال لهم أخبروني هل وجدتم فيما قرأتم من كتب الله تعالى وما جاءكم من الاحاديث وسألتم من كان قبلكم من العلماء ان الله وضع في الارض عينا سماها عين الحياة فقالت العلماء لا فقال عالم من العلماء اني قرأت وصية آدم عليه السلام فوجدت فيها أن الله خلق في الارض ظلمة لم يطأها انس ولا جان ووضع فيها عين الخلد فقال ذو القرنين أين وجدتها قال وجدتها في الارض التي على قرن الشمس فبعث اليها ذو القرنين وحشد اليها الفقهاء والاشراف من الناس والملوك ثم سار يطلب مغرب الشمس فسار اثنتى عشرة سنة الى أن بلغ طرف الظلمة فاذا هي مثل الدخان وليست كظلمة الليل فعسكر هنالك ثم جمع علماء عسكره فقال اني أريد أن أسلك هذه الظلمة فقالت العلماء أيها الملك ان من كان قبلك من الملوك والانبياء لم يطؤا هذه الارض فلا تطأها فانا نخاف أن ينفتح عليك أمر تكرهه ويكون فيه فساد الارض ومن عليها فقال لا بد من أن أسلكها فقالوا أيها الملك كف عن هذه الظلمة ولا تطلبها فانا لو نعلم أنك ان طلبتها ظفرت بما تريد ولم يسخط الله علينا لاتبعناك ولكنا نخاف من الله تعالى فسادا في الارض ومن عليها فقال ذو القرنين لا بد من أن أسلكها فقالت العلماء شأنك بها فقال ذو القرنين أي الدواب بالليل أبصر قالوا الخيل قال وأي الخيل بالليل أبصر قالوا الاناث قال وأي الاناث أبصر قالوا البكارى قال فأرسل ذو القرنين فجمع له ستة آلاف فرس أنثى أبكارا ثم انتخب من عسكره أهل الجلد والعقل ستة آلاف رجل فدفع لكل رجل منهم فرسا وعقد راية للخضر عليه السلام وجعله مقدمته في ألفين وبقي ذو القرنين في أربعة آلاف رجل وقال ذو القرنين لبقية عسكره لا تبرحوا من معسكركم هذا الى اثنتى عشرة سنة فان نحن رجعنا اليكم والا فارجعوا الى بلادكم فقال الخضر

أيها الملك انا نسلك الظلمة ولا ندري كم السير فيها ولا يبصر بعضنا بعضا وكيف نصنع
بالضلال اذا اصابنا فدفع ذو القرنين الى الخضر عليه السلام خرزة حمراء وقال له حيث
يصيبكم الضلال فاطرح هذه في الارض فاذا صاحت فليرجع اليها أهل الضلال أين
صاحت قال فسار الخضر بين يدي ذي القرنين يرتحل الخضر ويحط ذو القرنين فبينما
الخضر عليه السلام يسير اذ عرض له واد فظن الخضر أن العين في الوادي وألقى في
قلبه ذلك فقام على شفير الوادي ومكث طويلا ثم أجابته الخرزة فطلب صوتها فانتهى
اليها فاذا هي على جانب العين فنزع الخضر ثيابه ثم دخل العين فاذا ماؤها أشد بياضا
من اللبن وأحلى من الشهد فشرب واغتسل وتوضأ ولبس ثيابه ثم انه رمى الخرزة نحو
أصحابه فوقعت وصاحت فرجع الخضر الى صوتها والى أصحابه فركب وقال لاصحابه
سيروا على اسم الله وان ذا القرنين مر فاخطأ الوادي فسلكوا تلك الظلمة في أربعين
يوما ثم انهم خرجوا الى ضوء ليس كضوء شمس ولا قمر والارض حمراء رملة خشخاشية
فاذاهم بقصر مبني في تلك الارض طوله فرسخ في فرسخ عليه باب فنزل ذو القرنين
بعسكره ثم انه خرج وحده حتى دخل القصر فاذا حديدة قد وضع طرفاها على جانب
القصر من ههنا وههنا واذا طائر أسود يشبه الخطاف مزموما بانفه الى الحديدة معلقا
بين السماء والارض فلما سمع الطائر خشخشة ذي القرنين فقال من هذا قال أنا
ذو القرنين فقال الطائر يا ذا القرنين ما كفاك ما وراءك حتى وصلت الي ثم قال
يا ذا القرنين حدثني فقال سل فقال هل كثر بناء الجص والآجر في الارض قال نعم
فانتفض الطائر انتفاضة ثم انتفخ فبلغ ثلث الحديدة ثم قال يا ذا القرنين هل كثرت
شهادة الزور في الارض قال نعم قال فانتفض الطائر ثم انتفخ حتى ملأ الحديدة وسد
ما بين جدران القصر بحيث رأى ذو القرنين ذلك ففرق فرقا شديدا فقال الطائر لا
تخف حدثني قال سل قال هل ترك الناس شهادة أن لا اله الا الله بعد قال لا فانضم
الطائر الى ثلثه ثم قال يا ذا القرنين هل ترك الناس غسل الجنابة بعد قال لا فعاد الطائر
كما كان ثم قال يا ذا القرنين اسلك هذه الدرج درجة درجة الى أعلى القصر فسلكها
ذو القرنين وهو خائف وجل لا يدري على ما يهجم حتى استوى على صدر الدرج
فاذا سطح ممدود عليه صورة رجل شاب قائم وعليه ثياب بيض رافعا وجهه الى السماء
واضعا يده على فيه فلما سمع خشخشة ذي القرنين قال من هذا قال أنا ذو القرنين قال
يا ذا القرنين ان الساعة قد قربت واني منتظر أمر ربي يأمرني أن أنفخ في الصور ثم ان
صاحب الصور أخذ شيأ من بين يديه كأنه حجر فقال يا ذا القرنين خذ هذا فان شبع
هذا شبعت وان جاع هذا جعت فأخذ ذو القرنين الحجر ونزل حتى أتى الى أصحابه
فحدثهم بامر الطائر وما قال له وما أورده عليه وما قال له صاحب الصور ثم جمع علماء

عسكره وقال أخبروني ماهذا الحجر وما أمره فقالوا أيها الملك أخبرنا ماقال لك صاحب الصور فقال ذو القرنين انه قال ان شبع هذا اشبعت وان جاع جعت فوضعت العلماء ذلك الحجر في كفة الميزان وأخذوا حجرا مثله ووضعوه في الكفة الاخرى ثم رفعوا الميزان فاذا الذي جاء به ذو القرنين أثقل فوضعوا معه آخر ورفعوا الميزان فاذا الذي جاء به ذو القرنين أثقل فوضعوا معه آخر ورفعوا الميزان فاذا الذي جاء به ذو القرنين أثقل فلم يزالوا يضعون حجرا بعد حجر حتى وضعوا ألف حجر ثم رفعوا الميزان فمال بالالف جميعا فقالت العلماء انقطع علمنا دون هذا لانعرف أسحر هذا أم علم ولا نعلمه فقال الخضر عليه السلام وكان واقفا أنا أعلم علمه فأخذ الخضر عليه السلام الميزان بيده ثم أخذ الحجر الذي جاء به ذو القرنين فوضعه في احدى الكفتين وأخذ حجرا من تلك الحجارة فوضعه في الكفة الاخرى ثم أخذ كفا من تراب فوضعه على الحجر الذي جاء به ذو القرنين ثم رفع الميزان فاستوى فخرت العلماء سجدا لله تعالى وقالوا سبحان الله هذا علم لم يبلغه علمنا والله لقد وضعنا معه ألف حجر فما استقل به فقال الخضر عليه السلام أيها الملك ان سلطان الله عز وجل قاهر لخلقه وأمره نافذ فيهم وحكمه جار عليهم وان الله ابتلى خلقه بعضهم ببعض فابتلى العالم بالعالم والجاهل بالجاهل والجاهل بالعالم والعالم بالجاهل وانه ابتلاني بك وابتلاك بي فقال ذو القرنين صدقت فأخبرني ماهذا الحجر فقال الخضر أيها الملك هذا مثل ضربه لك صاحب الصور أن الله تعالى مكن لك في الارض والبلاد فأعطاك منها مالم يعط أحدا من خلقه وأوطأك منها مالم يوطئ لاحد من خلقه فلم تشبع وأتبعت نفسك شرهها حتى بلغت من سلطان الله مالم يطأه انس ولا جان فهذا مثل ضربه لك صاحب الصور ان ابن آدم لايشبع أبدا حتى يحثى عليه التراب ولا يملأ جوفه الا التراب فبكى ذو القرنين ثم قال صدقت ياخضر في ضرب هذا المثل لاجرم لا طلبت اثرا في البلاد بعد مسيري هذا حتى أموت ثم انه انصرف راجعا حتى اذا كان في وسط الظلمة وطئ الوادي الذي فيه الزبرجد فقال من معه لما سمعوا خشخشة تحت حوافر دوابهم ماهذا الذي تحتنا أيها الملك فقال ذو القرنين خذوا منه فان من أخذ منه ندم ومن تركه ندم فمنهم من أخذ منه شيأ ومنهم من تركه فلما خرجوا من الظلمة ونظروه اذا هو زبرجد فندم الآخذ والتارك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي ذا القرنين لو ظفر بوادي الزبرجد في مبدأ أمره ماترك منه شيأ حتى كان يخرجه الى الناس لانه كان راغبا في الدنيا ولكنه ظفر به وهو زاهد في الدنيا لاحاجة له فيها ثم انه رجع الى العراق وملك ملوك الطوائف كلها ومات في طريقه قبل وصوله بشهر وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه انه رجع الى دومة الجندل وكانت منزله فأقام بها حتى مات قالوا وكان

عمره ستا وثلاثين سنة وكان ملكه سبع عشرة سنة وكان قبل دارا فى أول السنة الثالثة من ملكه فلما مات حمل الى أمه بالاسكندرية ودفن هناك قالوا فلما مات الاسكندر عرض الملك على ابنه اسكندروس من بعده فأبى واختار النسك والعبادة فملكت اليونانية عليهم فيما قيل بطليموس بن لوسوع وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة وكانت المملكة فى حياة الاسكندر وبعد وفاته الى أن تحول الملك الى الروم والمضاض واليونانية ولبنى اسرائيل بيت المقدس ونواحيها الديانة والرياسة على غير وجه الملك الى أن خرب بلادهم الفرس والروم وطردوهم عنها بعد قتل يحيى بن زكريا عليهم السلام والله أعلم

﴿مجلس فى قصة زكريا وابنه يحيى ومريم وعيسى عليهم السلام﴾

وهو مجلس يشتمل على أبواب كثيرة قال محمد بن اسحق وغيره من أهل الاخبار عمرت بنو اسرائيل بعد مرجعهم من أرض بابل الى بيت المقدس وبلاد الشام وانتظام أمورهم ولم يزالوا يحدثون الاحداث ويعود الله عليهم بفضله ورحمته ويبعث فيهم الرسل ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون كما قال الله تعالى حتى كان ممن بعث فيهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى وكانوا من آل بيت داود عليه السلام

﴿نسب زكريا عليه السلام﴾ هو زكريا بن يوحيا بن ادن بن مسلم بن صدوق بن يحسان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صديقة بن فاخور بن سلوم بن ثهفاساط بن أببا بن رحبعم بن سليمان بن داود عليه السلام

﴿باب فى ذكر مولد مريم عليها السلام وخبر تحريرها﴾

قال الله تعالى اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا الآيات قال المفسرون هى حنة بنت فاقوذ جدة عيسى عليه السلام وعمران قال ابن عباس هو عمران بن ماثان وليس بعمران أبى موسى اذ بينهما ألف وثمانمائة سنة وكانت بنو ماثان رؤس بنى اسرائيل وأحبارهم وملوكهم * وقال ابن اسحق هو عمران بن ساهم ابن أمور بن ميشا بن حزقيل بن احريف بن يؤام بن عزاز يا بن امضيا بن ناوس بن نوشا ابن بارض بن يهوشافاط بن رادم بن ابيا بن رحبعم بن سليمان بن داود عليه السلام وكانت القصة فى ذلك أن زكريا بن يوحيا وعمران بن ماثان كانا متزوجين باختين احداهما عند زكريا بن يوحيا وهى ايشاع بنت فاقوذ أم يحيى وكانت الاخرى عند عمران وهى حنة بنت فاقوذ أم مريم وكان قد أمسك عن حنة الولد حتى أيست وعجزت وكانوا أهل بيت من الله بمكان فبينما هى فى ظل شجرة اذ نظرت طائرا يطعم فرخا فتحركت عند ذلك شهوتها للولد ودعت الله تعالى أن يهب لها ولدا وقالت اللهم لك على ان رزقتنى ولدا أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه نذرا

وشكرا فحملت بمريم عليها السلام فحررت ما فى بطنها ولم تعلم ما هو فقالت رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا أى عتيقا عن الدنيا وأشغالها خالصا لله تعالى وخادما لبيتك المقدس حبسا عليه مفرغا لعبادة الله ولخدمته فتقبل منى الكائن انك أنت السميع العليم قالوا وكان المحرر اذا حرر وهو نذر جعل المحرر والمنذور فى الكنيسة يقوم عليها ويكنسها ويخدمها ولا يبرح عنها حتى يبلغ الحلم فاذا بلغ خير بين أن يقيم وبين أن يذهب حيث شاء وان أراد أن يخرج بعد التخيير استأذن رفقاءه من السدنة ليكون خروجه على علم منهم ولم يكن أحد من بنى اسرائيل وعلمائهم الا من فى نسله محرر لبيت المقدس ولم يكن محررا الا الغلمان وكانت الجارية لا تكلف ذلك ولا تصلح لما يصيبها من الحيض والاذى فحررت أم مريم ما فى بطنها فلما فعلت ذلك قال لها زوجها عمران ويحك ماذا صنعت أرأيت ان كان ما فى بطنك أنثى والانثى عورة لا تصلح لذلك فوقعا جميعا فى هم من ذلك فهلك عمران وحنة حامل بمريم فلما وضعتها اذا هى جارية فقالت حنة وكانت ترجو أن يكون غلاما اعتذارا الى الله تعالى رب انى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى أى فى خدمة الكنيسة والعبادة فيها لعورتها وضعفها وما يعتريها من الحيض والنفاس والاذى وانى سميتها مريم وهى بلغتهم العابدة والخادمة وكانت مريم عليها السلام أجمل النساء وأمثلهن فى وقتها (أخبرنى) الحسن بن محمد باسناده عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين أربع مريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وانى أعيذها أى أجيرها وأمنعها بك وذريتها من الشيطان الرجيم (أخبرنا) عبد الله بن حامد باسناده وأخبرنا أبو سهيل أحمد بن محمد بن هرون باسناده عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من مولود الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان الا مريم وابنها ثم يقول أبو هريرة اقرؤا ان شئتم وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم (وأخبرنا) شعيب بن محمد باسناده عن قتادة قال كل آدمى يطعن الشيطان فى جنبه حين يولد الا عيسى وأمه عليهما السلام جعل بينهما حجاب وأصابت الطعنة الحجاب ولم ينفذ اليهما منه شئ قال وذكروا لنا أنهما كانا لا يصيبان من الذنوب كما يصيبه سائر بنى آدم قال الله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن الهاء راجعة الى النذيرة أى فتقبل الله النذيرة أى مريم من حنة وأنبتها نباتا حسنا يعنى سوّى خلقها من غير زيادة ولا نقصان فكانت تنبت فى المدة اليسيرة كما ينبت المولود فى المدة الطويلة وقال ابن جريج وأنبتها ربها فى غذائها ورزقها نباتا حسنا حتى تمت امرأة بالغة قالوا فلما ولدت مريم أخذتها أمها حنة فلفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند

الاحبار أبناء هرون وهم يومئذ ثلاثون فى بيت المقدس كما يلى الحجبة أمر الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة تتنافس فيها الاحبار لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا أنا أحق بها منكم لان عندى خالتها فقالت له الاحبار لا تفعل ذلك فانها لو تركت لاحق الناس وأقربهم اليها لتركت لامها التى ولدتها ولكنا نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه فاتفقوا على ذلك ثم انطلقوا وكانوا تسعة عشر رجلا الى نهر جار قال السدى هو نهر الاردن فالقوا أقلامهم أى سهامهم وقيل أقلامهم التى كانوا يكتبون بها التوراة فى الماء فارتفع قلم زكريا فوق الماء وانحدرت أقلامهم ورسبت فى الماء قاله ابن اسحق وجماعة وقال السدى بل ثبت قلم زكريا فوق الماء كأنه فى طين وجرت أقلامهم مع جريان الماء فذهب الماء بها فسهمهم وقرعهم زكريا عليه السلام وكان رأس الاحبار ونبيهم فذلك قوله تعالى وكفلها زكريا ضمها الى نفسه وقام بامرها وقال ابن اسحق فلما كفلها زكريا ضمها الى خالتها أم يحيى واسترضع لها حتى اذا نشأت وبلغت مبالغ النساء بنى لها محرابا أى غرفة فى المسجد وجعل بابه الى وسطها لا يرقى اليها الا بسلم مثل باب الكعبة فلا يصعد اليها غيره وكان يأتيها بطعامها وشرابها ودهنها فى كل يوم وكان زكريا عليه السلام اذا خرج أغلق عليها بابها فاذا دخل عليها غرفتها وجد عندها رزقا أى فاكهة فى غير حينها فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف فيقول لها أنى لك هذا فتقول هو من عند الله من قطف الجنة قال الحسن يجد عندها قوتها وكان رزقها يأتيها من الجنة فيقول لها زكريا من أين لك هذا فتقول هو من عند الله قال الحسن وكانت وهى صغيرة يأتيها رزقها وقال محمد بن اسحق ثم أصابت بنى اسرائيل أزمة وهى على ذلك من حالها ثم ضعف زكريا عن حملها فخرج الى بنى اسرائيل وقال يا بنى اسرائيل تعلمون والله أنى لقد كبرت وضعفت عن حمل ابنة عمران فأيكم يكفلها بعدى فقالوا والله لقد جهدنا وأصابنا من الجهد ما ترى فتدافعوها بينهم ثم لا يجدون من يحملها فتقارعوا عليها بالاقلام فخرج السهم على رجل صالح نجار من بنى اسرائيل يقال له يوسف بن يعقوب بن ماثان وكان ابن عم مريم فحملها قال فعرفت مريم فى وجهه شدة مؤنة ذلك عليه فقالت له يا يوسف أحسن الظن بالله فان الله سيرزقنا فجعل يوسف يرزق لمكانها منه فيأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فاذا أدخله عليها وهى فى الكنيسة أنماه الله تعالى وكثره فيدخل اليها زكريا فيرى عندها فضلا من الرزق ليس بقدر ما يأتيها به يوسف فيقول لها يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب (أخبرنا) عبد الله بن حامد باسناده عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام أياما لم يطعم طعاما حتى شق

ذلك

ذلك عليه فطاف في منازل أزواجه فلم يصب في بيت أحد منهن شيأ فأتى فاطمة رضى الله عنها فقال يا بنية هل عندك شئ آكل فانى جائع فقالت لا والله بابى أنت وأمى فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندها بعثت اليها جارة لها برغيفين وبضعة لحم فاخذته منها ووضعته في جفنة وغطت عليه وقالت لأوثرن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسي ومن عندى وكانوا جميعا محتاجين الى شبعة من طعام فبعثت حسنا وحسينا الى جدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع اليها فقالت بابى أنت وأمى يا رسول الله قد أتانا الله بشئ فخبأته لك قال فهلمى به فأتى به فكشف عن الجفنة فاذا هى مملوأة خبزا ولحما فلما نظرت اليه بهتت وعرفت أنها بركة من الله فحمدت الله تعالى وصلت على نبيه فقال عليه السلام من أين لك هذا يا بنية قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فحمد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحمد لله الذى جعلك شبيهة بسيدة نساء بنى اسرائيل فانها كانت اذا رزقها الله رزقا حسنا فسئلت عنه قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى على رضى الله عنه فأتى فأكل الرسول وعلى وفاطمة والحسن والحسين وجميع أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم جميعا حتى شبعوا وبقيت الجفنة كما هى قالت فاطمة رضى الله عنها وأوسعت منها على جميع جيرانى وجعل الله فيها بركة وخيرا طويلا وكان أصل الجفنة رغيفين وبضعة لحم والباقى بركة من الله تعالى

﴿باب في مولد يحيى بن زكريا عليه السلام﴾

قال الله تعالى هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء قالت العلماء باخبار الانبياء لما رأى زكريا عليه السلام أن الله يرزق مريم الفاكهة في غير حينها قال ان الذى قدر على أن يؤتى مريم بالفاكهة في غير حينها من غير سبب ولا فعل أحد لقادر على أن يصلح زوجتى ويهب لى ولدا على الكبر فطمع في الولد وكان أهل بيته قد انقرضوا وزكريا قد شاخ وأيس من الولد فهنالك أى فعند ذلك دعا زكريا ربه قال رب هب لى أى أعطنى من لدنك ذرية طيبة نسلا تقيا صالحا رضيا انك سميع الدعاء فنادته الملائكة يعنى جبريل وذلك أن زكريا كان الحبر الكبير الذى يقرب القربان ويفتح باب المذبح فلا يدخل أحد حتى يأذن له بالدخول فبينما هو في محرابه عند المذبح قائم يصلى والناس ينتظرونه أن يأذن لهم بالدخول اذا هو برجل شاب عليه ثياب بيض ففزع منه فناداه وهو جبريل عليه السلام يا زكريا ان الله يبشرك بيحيى واختلفوا فيه لم سمى يحيى قال ابن عباس لان الله تعالى أحيا به عقر أمه وقال قتادة وغيره لان الله تعالى أحيا قلبه بالايمان والنبوة وقال

الحسن بن الفضل لان الله تعالى أحياه بالطاعة حتى لم يتغير ولم يهم بمعصية دليله
ما أخبرني به الحسن بن فنجويه باسناده عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما من أحد يلقى الله عز وجل قد هم بخطيئة أو عملها الا يحيى بن
زكريا فانه لم يهم ولم يعمل قال الاستاذ وكان شيخنا أبو القاسم الجنيد يقول سمي بذلك
لانه استشهد والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون قال النبي صلى الله عليه وسلم
من هوان الدنيا على الله أن يحيى بن زكريا قتلته امرأة قال وسمعت أبا منصور
الحمشاوي يقول قال عمر بن عبد الله المقدسي أوحى الله الى ابراهيم الخليل عليه السلام
أن قل لسارة وكان اسمها كذلك اني مخرج منكما عبدا لا يهم بمعصية اسمه حي
فهبي له من اسمك حرفا فوهبت له أول حرف من حروف اسمها الياء فصار يحيى وصار
اسمها سارة مصدقا بكلمة من الله يعني عيسى عليه السلام فسمي كلمة لان الله تعالى
قال له من غير أب كن فكان فوقع عليه اسم الكلمة لانه بها وجد ويحيى أول من
آمن بعيسى وصدقه وذلك أن أمه كانت حاملة به فاستقبلتها مريم وقد حملت بعيسى
فقالت لها أم يحيى يا مريم أحامل أنت فقالت لماذا تقولين هذا قالت اني أرى ما في
بطني يسجد لما بطنك فذلك تصديقه له وايمانه به وكان يحيى أكبر من عيسى بستة
أشهر وذلك أن مولد يحيى كان قبل مولد عيسى بستة أشهر ثم قتل يحيى قبل أن يرفع
عيسى الى السماء وسنذكره قال سعيد بن المسيب وسيدا السيد الفقيه العالم وقال
سعيد بن جبير السيد الذي يطيع ربه عز وجل وقال الضحاك السيد الحسن الخلق
وقال عكرمة الذي لا يغضب وقال سفيان الذي لا يحسد وحصورا قال ابن عباس وابن
مسعود وغيرهما هو الذي لا يأتي النساء ولا يقربهن فعول بمعنى فاعل يعني أنه حصر
نفسه عن الشهوات وقال ابن المسيب والضحاك هو العنين الذي لا باءة له ودليل
هذا التأويل ما أخبرني به ابن فنجويه باسناده عن أبي صالح عن أبي هريرة قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل ابن آدم يلقى الله بذنب قد أذنبه يعذبه عليه
ان شاء أو يرحمه الا يحيى بن زكريا فانه كان سيدا وحصورا ونبيا من الصالحين ثم أومأ
النبي صلى الله عليه وسلم الى قذاة من الارض فأخذها قال وكان ذكره مثل هذه القذاة
وقال المدني الحصور الذي لا يدخل في اللعب ولا الاباطيل قالوا فلما نادى جبريل
زكريا بالبشارة قال رب أي يا سيدي قاله لجبريل هذا قول أكثر المفسرين وقال
الحسن بن الفضل انما قال زكريا يا رب لله لا لجبريل أنى يكون لي غلام من أين يكون
لي ولد وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر لا تلد عقيم قال الكلبي كان زكريا يوم بشر بالولد
ابن اثنتين وتسعين سنة وقيل تسع وتسعين سنة وروى الضحاك عن ابن عباس
قال كان زكريا ابن عشرين ومائة سنة وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة فأجيب

كذلك الله يفعل ما يشاء فان قيل لم أنكر زكريا ذلك وسأل الآية بعد ما بشرته الملائكة أكان ذلك شكا في وحيه أم انكار القدرته وهذا لا يجوز أن يوصف به أهل الايمان فكيف الانبياء فالجواب عنه ما قال عكرمة والسدى أن زكريا لما سمع نداء الملائكة جاءه الشيطان فقال يا زكريا ان الصوت الذي سمعت ليس من الله وانما هو صوت الشيطان يسخر بك ولو كان من الله لأوحاه اليك خفية كما ناديته خفية وكما يوحى اليك في سائر الامور فقال ذلك دفعا للوسوسة وفيه جواب آخر وهو أنه لم يشك في الولد وانما شك في كيفيته والوجه الذي يكون منه الولد فقال أنى يكون لي ولد أي كيف يكون لي ولد أتجعلني وامرأتي شابين أم نرزقه كذا على كبرنا أم ترزقني من امرأة غيرها من النساء فقال ذلك مستخبرا لا منكرا وهذا قول الحسن قال رب اجعل لي آية قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام وتقبل بكليتك على عبادتي وطاعتي لأنه حبس لسانه عن الكلام ولكنه نهى عنه يدل عليه قوله تعالى واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار هذا قول قوم من أهل العلم وقال آخرون عقل لسانه عن الكلام عقوبة لسؤاله الآية بعد مشافهة الملائكة اياه ولم يقدر على الكلام ثلاثة أيام الا رمزا أي اشارة وعلى هذا أكثر المفسرين وقال عطاء أراد به صوم ثلاثة أيام لأنهم كانوا اذا صاموا لم يتكلموا الا رمزا فولد يحيى بن زكريا عليه السلام وفي بعض الاخبار أنه لما ولد يحيى رفع الى السماء فتغذى بانهار الجنة حتى فطم ثم أنزل الى أبيه وكان يضىء البيت لنوره وحسن وجهه وجماله

﴿باب في صفته وحليته عليه السلام﴾

قال كعب الاحبار كان يحيى بن زكريا نبيا حسن الوجه والصورة لين الجناح قليل الشعر قصير الاصابع طويل الانف مقرون الحاجبين رقيق الصوت كثير الغيرة قويا في طاعة الله تعالى وقد ساد الناس في عبادة الله وطاعته

﴿فصل في نبوته وسيرته وذكر زهده وجهده﴾

قال الله تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا قيل ان يحيى قال له أترابه من الصبيان يا يحيى اذهب بنا نلعب فقال لهم ما للعب خلقت وقال آخرون انه نبئ صغيرا فكان يعظ الناس ويقف لهم في أعيادهم وجمعهم ويدعوهم الى الله تعالى ثم ساح ودخل الشام يدعو الناس ولما بعثه الله تعالى الى بني اسرائيل وأمره أن يأمرهم بخمس خصال وضرب لكل خصلة منها مثلا أمرهم أن يعبدوا الله لا يشركوا به شيأ وقال مثل الشرك كمثل رجل اشترى عبيدا من خالص ماله ثم أسكنهم داراله ودفع لهم مالا يتجرون فيه ويأكل كل واحد منه ما يكفيه ثم يؤدون اليه فضل الربح فعمد العبيد الى فضل الربح فدفعوه الى عدو سيدهم وأمرهم بالصلاة فقال ان مثل

المصلي كمثل رجل استأذن على ملك فأذن له ودخل عليه فاقبل الملك عليه بوجهه ليسمع مقالته ويقضي حاجته فلما دخل عليه الرجل التفت يمينا وشمالا ولم يهتم بحاجته فاعرض الملك عنه ولم يقض حاجته وأمرهم بالصدقة وقال مثلها كمثل رجل أسره العدو فاشترى منه نفسه بثمن معلوم فجعل يعمل في بلادهم ويؤدي اليهم من كسبه القليل والكثير حتى أوفى ثمنه فأعتق وأمرهم بذكره عز وجل وقال مثل الذكر مثل قوم لهم حصن ولهم عدو فاذا أقبل عليهم عدوهم دخلوا حصنهم فلم يقدر عليهم كذلك من ذكر الله تعالى لا يقدر عليه الشيطان وأمرهم بالصيام وقال مثله كمثل الجنة لا تدع عدوه يصل اليه وتستره

(وأما سيرته) فروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كان من زهد يحيى أنه أتى بيت المقدس فنظر الى المجتهدين من الاحبار والرهبان وعليهم مدارع الشعر والصوف وبرانس الصوف واذاهم قد خرقوا تراقيهم وسلكوا فيها السلاسل وشدوا بها الى سواري المسجد فلما نظر الى ذلك أتى أمه فقال يا أماه انسجي لي مدرعة من شعر وبرنسا من صوف حتى آتي الى بيت المقدس وأعبد الله تعالى مع الاحبار والرهبان فقالت له أمه حتى يأتي نبي الله زكريا عليه السلام فأؤامره في ذلك فلما دخل زكريا أخبرته بما قال لها يحيى فقال له زكريا يا بني ما يدعوك الى هذا وانما أنت صبي صغير فقال له يا أبت أما رأيت من هو أصغر مني ذاق الموت قال بلى فقال لامه انسجي له مدرعة من الشعر وبرنسا من الصوف ففعلت فتدرع بالمدرعة على بدنه ووضع البرنس على رأسه ثم أتى بيت المقدس وأقبل يعبد الله مع الاحبار والرهبان حتى أكلت مدرعة الشعر لحمه فنظر ذات يوم الى ما قد نحل من جسمه فبكى فأوحى الله تعالى اليه يا يحيى أتبكي على ما قد نحل من جسمك وعزتي وجلالي لو أطلعت على النار اطلاعة لتدرعت مدارع الحديد فضلا عن المسوح فبكى يحيى حتى أكل الدمع لحم خديه وبدت للناظرين أضراسه فبلغ ذلك أمه فدخلت عليه وأقبل زكريا واجتمع الاحبار والرهبان فقال زكريا لابنه يحيى ما يدعوك لهذا يا بني انما سألت ربي أن يهبك لي لتقر بك عيني قال أنت أمرتني بذلك يا أبت قال ومتى قال ألست القائل ان بين الجنة والنار عقبة كؤدا لا يقطعها الا البكاؤن من خشية الله تعالى قال بلى قال فجد واجتهد وقام فنفض مدرعته فأخذته أمه فقالت أتأذن لي يا بني أن أتخذ لك قطعتين من لبد يواريان أضراسك وينشفان دموعك فقال لها شأنك فاتخذت له قطعتي لبد يواريان أضراسه وينشفان دموعه فبكى حتى ابتلتا من دموع عينيه ثم أخذهما فعصرهما فتحدرت الدموع من بين أصابعه فنظر زكريا الى ابنه والى دموعه فرفع رأسه الى السماء وقال اللهم ان هذا ابني وهذه دموع عينيه وأنت أرحم الراحمين

وكان

وكان زكريا اذا أراد أن يعظ بني اسرائيل التفت يميناوشمالا فاذارأى يحيى لم يذكر جنة ولانارا فجلس يوما يعظ بني اسرائيل وأقبل يحيى قدلف رأسه بعباء ثم جلس في غمار القوم فالتفت زكريا يميناوشمالا فلم ير يحيى فأنشأيقول حدثني حبيبي جبريل عن الله عزوجل أن في جهنم جبلايقال له السكران في أصل ذلك الجبل واديقال له الغضبان خلق لغضب الرحمن تبارك وتعالى في ذلك الوادي جب قامته مائة عام في ذلك الجب توابيت من نارفي تلك التوابيت صناديق من ناروثياب من ناروأغلال من نارفرفع يحيى رأسه وقال واغفلتاه عن السكران وعن غضب الرحمن ثم خرج هائما على وجهه فقام زكريامن مجلسه ودخل على أم يحيى فقال لها ياأم يحيى قومي فاطلبي يحيى فاني قد تخوفت أن لاتراه الا وقد ذاق الموت فقامت وخرجت في طلبه فمرت بفتيان من بني اسرائيل فقالوالها ياأم يحيى أين تريدين قالت أطلب ولدي يحيى ذكرت النار بين يديه فهام على وجهه فمضت أم يحيى والفتية معها حتى مرت براعي غنم فقالت ياراعي هل رأيت شابا من صفته كذاوكذا قال لعلك تطلبين يحيى بن زكريا قالت نعم ذلك ولدي ذكرت النار بين يديه فهام على وجهه فقال تركته الساعة على عقبة كذا ناقعا قدميه في الماء رافعا بصره الى السماء يقول وعزتك يامولاي لاأذوق بارد الشراب حتى أنظر الى منزلتي منك فاقبلت أمه فلمارأته دنت منه فأخذت برأسه فوضعته بين يديها وناشدته بالله أن ينطلق معها الى المنزل فانطلق معها الى المنزل فقالت له هل لك أن تخلع مدرعتك الشعر وتلبس مدرعتك الصوف فانه ألين ففعل ثم انها طبخت له عدسا فأكل واستوفى فذهب به النوم فلم يقم لصلاته فنودي في منامه يايحيى أردت دارا خيرا من داري وجوارا خيرا من جواري فاستيقظ وقام وقال رب أقل عثرتي وعزتك لاأستظل بظل سوى بيت المقدس ثم قال لامه ناوليني مدرعة الشعر فقد علمت أنكما ستورداني المهالك فتقدمت اليه أمه ودفعت اليه المدرعة وتعلقت به فقال لها زكريا ياأم يحيى دعيه فان ولدي قد كشف له عن قناع غفلته ولن ينتفع بالعيش فقام يحيى فلبس مدرعته ووضع البرنس على رأسه ثم أتى بيت المقدس فجعل يعبدالله مع الاحبار والرهبان حتى كان من أمره ما كان والله أعلم

﴿باب في مقتله عليه السلام﴾

اختلف العلماء في سبب قتله فقال بعضهم كان يحيى عليه السلام في زمن ملك من ملوك بني اسرائيل وكان له امرأة وهي ابنة ملك صيدا وكانت قتالة للانبياء والصالحين وكانت عاهرة تبرز للناس وكان يحيى يزجرها عن ذلك ويقول لها لاتبرزي كاشفة وجهك وكان كثيرا مايقول لها مكتوب في التوراة أن الزناة يوقفون يوم القيامة وريحهم أنتن من الجيف فامرت بيحيى فسجن وكان قد حبس رجل من أولاد الملوك وكان

كثيرا ما يختلف اليها بالليل فعلم بها و به يحيى فزجره فبلغ ذلك امرأة الملك فحملت بنتا لها واستقبلت بها زوجها فقال لها لم فعلت ذلك فقالت وجب لها عليك حتى فقال سلي ماشئت فقالت البنت أستوهب منك أهل الحبس أصنع بهم ماشئت فظن أبوها أنها ترحمهم وتسرحهم فقال أبوها قد فعلت فامرت أمها بأهل السجن فعرضوا عليها فلما مر بها يحيى أمرت به فذبح وأخذ رأسه في طشت ثم حملت الطشت الى أبيها بأمر أمها وقالت أيها الملك اني قد ذبحت لك ذبيحة من أعظم ماوجدته ولوكان مثله ألف لذبحتهم لك قال وماهو قالت يحيى بن زكريا فقال هلكت وأهلكت أبويك فغير الله مابهم من النعم وسلط عليهم عدوا فذبح البنت وأبويها وسلط عليهم الكلاب والسباع حتى أكلتهم * وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا في اثني عشر من الحواريين يعلمون الناس قال وكان مما نهوهم عنه نكاح بنت الاخ وكان الملك بنت أخ تعجبه يريد أن يتزوجها وكان لها في كل يوم حاجة عنده يقضيها لها فلما بلغ أمها أنه ينهى عن نكاح بنت الاخ قالت لابنتها اذا دخلت على الملك فسألك عن حاجتك فقولي حاجتي أن تذبح يحيى بن زكريا فلما دخلت عليه سألها عن حاجتها فقالت حاجتي أن تذبح يحيى بن زكريا قال سلي غير هذا فقالت ما أسألك الا هذا فلما أبت عليه دعا يحيى بن زكريا ودعا بطشت فذبحه فيه فنبذت من دمه قطرة فلم تزل تغلي حتى بعث الله عز وجل بختنصر عليهم فجاءت عجوز من بني اسرائيل فدلته على ذلك الدم فالقى الله في قلبه أن يقتل على ذلك الدم سبعين ألفا منهم على سن واحد ليسكن فقتلهم فسكن وقال السدي باسناده كان ملك بني اسرائيل يكرم يحيى بن زكريا ويدنى مجلسه ويستشيره في أمره ولا يقطع أمرا دونه وانه هوى أن يتزوج ابنة امرأة له فسأل عن ذلك يحيى فنهاه عنه وقال لست أرضاها لك فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى حين نهاه أن يتزوج ابنتها فعمدت الى ابنتها حين جلس الملك على شرابه فألبستها ثيابا رقاقا حمرا وطيبتها وألبستها من الحلي وألبستها فوق ذلك كساء أسود وأرسلتها الى الملك وأمرتها أن تسقيه وأن تتعرض له فاذا راودها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما تسأله فاذا أعطاها ذلك سألته أن يأتيها برأس يحيى بن زكريا في طشت ففعلت ذلك وجعلت تسقيه وتتعرض له فلما أخذ منها الشراب راودها عن نفسها فقالت لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك قال وما تسألينى قالت أن تبعث الى برأس يحيى بن زكريا في هذا الطشت قال ويحك سليني غير هذا قالت ما أسألك الا هذا فلما أبت عليه بعث اليه فأتى برأسه والرأس يتكلم حتى وضع بين يديه وهو يقول لا تحل لك فلما أصبح اذا دمه يغلي فأمر بتراب فألقى عليه فارتفع الدم فوقه فلم يزل يغلي ويلقى عليه التراب حتى بلغ سور المدينة وهو مع ذلك يغلي

وذكر الحديث الطويل الذى فى قصة سنجاريب وبختنصر كما قدمنا ذكره فى أخبار بختنصر * وقالت علماء النصارى الذى قتل يحيى ملك من ملوك بنى اسرائيل يقال له هيردوس بسبب امرأة يقال لها هيرديا كانت امرأة أخ له يقال له فيلقوس عشقها فوافقته على الفجور فنهاه يحيى وأعلمه أنها لا تحل له فسألت المرأة هيردوس أن يأتيها برأس يحيى فلما فعل ذلك سقط فى يديه وجزع جزعا شديدا * قال كعب الاحبار كان يحيى من أجمل الناس وجها وأحسنهم فى زمانه فأحبته امرأة الملك الذى كان فى زمانه حبا شديدا فارسلت اليه تراوده عن نفسه فارسل اليها أنه لا علم له بالنساء والملك أحق أن يطأ فراشه فلما انتهى اليها الرسول غضبت غضبا شديدا وقالت كيف لى أن أقتله ولا يخبر الناس أنى قد راودته فلم تزل بالملك حتى وهب لها يحيى بن زكريا فارسلت اليه وهو قائم يصلى فى بيت المقدس فى محراب داود من يضرب عنقه ويأخذ رأسه فلما أخذوا رأس يحيى خسف الله بها وبأهلها الارض عقوبة لها بقتلها يحيى عليه السلام

﴿ذكر مقتل زكريا عليه السلام﴾

(قال) كعب الاحبار فلما سمع زكريا أن ابنه يحيى قتل وخسف بالقوم انطلق هاربا فى الارض حتى دخل بستانا عند بيت المقدس فيه الاشجار فنادته شجرة يانبى الله الى ههنا فلما أتاها انفتقت له الشجرة ودخل زكريا فى وسطها فانطلق ابليس لعنه الله حتى أخذ بطرف ردائه فاخرجه من الشجرة ليصدقوه اذا أخبرهم فلذلك تصنع اليهود الخيوط فى أطراف أرديتهم لا يدرون لما أمروا بذلك وأخذ الملك وأهله يلتمسون زكريا فاستقبلهم ابليس لعنه الله تعالى فقال لهم ما تلتمسون قالوا نلتمس زكريا فقال ابليس انه دخل فى هذه الشجرة قالوا لا نصدقك قال فانى ان أريتكم علامة تصدقونى بها قالوا فأرنا اياها فأراهم طرف ردائه فاخذوا المناشير وضربوا الشجرة فنشروها نصفين فسلط الله عليهم أخبث أهل الارض علجا مجوسيا فانتقم الله له من بنى اسرائيل بدم يحيى وزكريا فقتل عظماء بنى اسرائيل وسبى منهم مائة وسبعين ألفا وقيل ان السبب فى قتل زكريا أن ابليس جاء الى مجالس بنى اسرائيل فقذف مريم بزكريا وقال ما أحبلها أحد غير زكريا وهو الذى كان يدخل عليها فطلبوا زكريا فهرب وأتبعه سفهاؤهم وأشرارهم فسلك واديا كثير الاشجار فتشبه له الشيطان فى صورة راع فقال يازكريا قد أدركوك فادع الله أن يفتح لك هذه الشجرة ففعل ذلك فانفتحت له فدخل فيها وأخرج ابليس هدب ردائه منها فمرت بنو اسرائيل بالشيطان فقالوا ياراعى هل رأيت رجلا ههنا من صفته كذا وكذا قال نعم سحر هذه الشجرة فانفتحت له فدخل فيها وهذا هدب ردائه فقطعوا الشجرة مع زكريا وفلقوها فلقتين بالمنشار طولا فبعث الله الملائكة فغسلوا زكريا وصلوا عليه ودفنوه وفى الخبر أن

الشمس بكت على يحيى أربعين صباحا وكان بكاؤها أن طلعت وغربت حمراء ويروى أن يحيى سيد الشهداء يوم القيامة وقائدهم الى الجنة والله أعلم

مجلس في مولد عيسى عليه السلام وفي حمل مريم بعيسى عليهما السلام وما يتصل به

قال الله تعالى واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا قالت العلماء بأخبار الانبياء لما مضى من حمل عيسى عليه السلام ثلاثة أيام ومريم يومئذ بنت خمس عشرة سنة وقيل بنت ثلاث عشرة سنة وكان مع مريم في المسجد من المحررين ابن عم لها يقال له يوسف النجار وكان رجلا حليما نجارا يتصدق بعمل يده وكان يوسف ومريم يليان خدمة الكنيسة وكانت مريم اذا نفد ماؤها وماء يوسف أخذ كل واحد منهما قلته وانطلق الى المغارة التي فيها الماء فيستقيان منه ثم يرجعان الى الكنيسة فلما كان اليوم الذي لقيها فيه جبريل عليه السلام وكان أطول يوم في السنة وأشده حرا نفد ماؤها فقالت ألا تذهب بنا يا يوسف فنستقي فقال ان عندي لفضلا من ماء أكتفي به يومي هذا الى غد قالت ولكني والله ما عندي ماء فأخذت قلتها ثم انطلقت وحدها حتى دخلت المغارة فوجدت عندها جبريل عليه السلام قد مثله الله لها بشرا سويا فقال لها يا مريم ان الله قد بعثني اليك لأهب لك غلاما زكيا قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا أي مؤمنا مطيعا قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه علمت أن التقي ذو رحمة وخشية وهي تحسبه رجلا من بني آدم * قال عكرمة وكان جبريل عرض لها في صورة رجل شاب أمرد مضيء الوجه جعد الشعر سوي الخلق قالت الحكماء انما أرسله الله تعالى في صورة البشر لتثبت مريم عليها وتقدر على استماع كلامه ولو نزل على صورته التي هو عليها لفزعت ونفرت منه ولم تقدر على استماع كلامه فلما استعاذت منه مريم قال انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو علي هين الآية فلما قال لها ذلك استسلمت لقضاء الله فنفخ جيب درعها وكانت قد وضعته عنها فلما انصرف عنها لبست مريم درعها وحملت بعيسى عليه السلام ثم ملأت قلتها وانصرفت الى المسجد * وقال السدي وعكرمة ان مريم عليها السلام كانت تكون في المسجد ما دامت طاهرة فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها حتى اذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هي تغتسل من الحيض وقد اتخذت مكانا شرقيا أي مشرقة لانه كان في الشتاء في أقصر يوم في السنة قال الحسن انما اتخذت النصارى المشرق قبلة لان مريم انتبذت مكانا شرقيا فاتخذت فضربت من دونهم حجابا أي سترا وقال مقاتل جعلت الجبل بينها وبين قومها فبينما هي كذلك في تلك الحالة اذ عرض لها جبريل وبشرها

بعيسى

بعيسى ونفخ فى جيب درعها قال وهب فلما اشتملت على عيسى كان معها ذو قرابة لها
يقال له يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذى عند جبل صهيون وكان ذلك
المسجد يومئذ من أعظم مساجدهم وكانت مريم ويوسف النجار يخدمان ذلك المسجد
وكان لخدمته فضل عظيم وكانا يليان معالجته بانفسهما وتجميره وتطهيره وكان لا نعلم
فى زمانهما أشد احتهادا وعبادة منهما وكا أول من أنكر حملها ابن عمها وصاحبها يوسف
النجار فلما رأى الذى بها استعظمه واستفظعه ولم يدر ماذا يصنع من أمرها وكلما أراد
أن يتهمها ذكر صلاحها وعبادتها وبراءتها وأنها لم تغب عنه ساعة واحدة واذا أراد
أن يبرئها رأى الذى ظهر بها من الحمل فلما اشتد ذلك عليه كلمها فكان أول كلامه
اياها أن قال لها انه قد وقع فى نفسى من أمرك شئ وقد حرصت على أن أكتمه فغلبنى
ذلك ورأيت أن الكلام فيه أشفى لصدرى فقالت له قل قولا جميلا قال لها أخبرينى
يا مريم هل نبت زرع بغير بذر قالت نعم قال فهل نبتت شجرة بغير غيث قالت نعم قال
فهل يكون ولد من غير ذكر قالت ألم تعلم أن الله عز وجل أنبت الزرع يوم خلقه من غير
بذر والبذر انما يكون من الزرع الذى أنبته من غير بذر ألم تعلم أن الله تعالى أنبت
الشجر من غير غيث وبالقدرة جعل الغيث حياة الشجر بعد ما خلق الله كل واحد
منهما على حدة أو تقول ان الله لا يقدر أن ينبت الشجر حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم
يقدر على انباته قال يوسف لها لا أقول هذا ولكنى أقول ان الله تعالى يقدر على ما يشاء
يقول للشئ كن فيكون فقالت له مريم ألم تعلم أن الله خلق آدم وامرأته من غير ذكر
ولا أنثى قال بلى فلما قالت له ذلك وقع فى نفسه أن الذى بها شئ من أمر الله وأنه
لا يسعه أن يسألها عنه وذلك لما رأى من كتمانها لذلك ثم تولى يوسف خدمة المسجد
وكفاها كل عمل كانت تعمل فيه لما رأى من رقة جسمها واصفرار لونها وكلف وجهها
ونتوّ بطنها وضعف قوتها وكان جبل صهيون على باب بيت المقدس * وسمعت من
الثقات أن قبر داود عليه السلام فيه وثم كنيسة مشرفة على عين السلوان وسألت
بعض الرهبان فقال هذا صهيون والكنيسة التى خدمت فيها مريم ويوسف هذه
وقد أفصح فيها عيسى ودعا الخلق الى الله تعالى ثم نقل من هذه الى القمامة وهى كنيسة
عظيمة داخل بيت المقدس يدعون أن عيسى عليه السلام لما قتل دفن فيها وبعد
ثلاثة أيام عرج به الى السماء فلا ينقطع أبد الدهر منها وأنه ينزل فيها والله أعلم

﴿باب فى ذكر ميلاده عليه السلام﴾

قالوا فلما اثقلت مريم ودنا نفاسها أوحى الله تعالى اليها أن مسجد بيت المقدس بيت
من بيوت الله تعالى الذى طهر ورفع ليذكر فيه اسمه فابرزى الى موضع تاوين فيه
فتحولت مريم الى بيت خالتها أخت أمها أم يحيى فلما دخلت عليها قامت أم يحيى

واستقبلتها فالتزمتها فقالت امرأة زكريا يا مريم أشعرت أني حبلى قالت مريم وأنت أيضا أشعرت أني حبلى قالت امرأة زكريا فاني أجد ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله فلما وافت بيت خالتها أوحى الله اليها أنك ان ولدت بين أظهر قومك عيروك وقذفوك وقتلوك وولدك فاظعني من عندهم أي فاخرجي * وقال الكلبي قيل لابن عمها يوسف ان مريم حملت من الزنا الآن يقتلها الملك وكانت قد سميت له فهرب بها يوسف فاحتملها على حمار له ليس بينها وبين الاكاف شئ فانطلق بها يوسف حتى اذا كان قريبا من أرض مصر في منقطع بلاد قومها أدرك مريم النفاس فألجأها الى أصل نخلة يابسة وذلك في زمان الشتاء * قال الكلبي لما كان يوسف ببعض الطريق أراد قتلها فأتاه جبريل عليه السلام فقال له انه من روح القدس فلا تقتلها * واختلف العلماء في مدة حمل مريم عليها السلام ووقت وضعها عيسى عليه السلام فقال بعضهم كان مقدار حملها تسعة أشهر كحمل سائر النساء وقيل ثمانية أشهر وكان ذلك آية أخرى لانه لم يعش مولود لثمانية أشهر غير عيسى وقيل ستة أشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة واحدة وقال ابن عباس ما هو الا أن حملت ووضعت ولم يكن بين الحمل والوضع والانتباذ الا ساعة واحدة لان الله تعالى لم يذكر بينهما فصلا قال الله عز وجل فحملته فانتبذت به مكانا قصيا أي بعيدا من قومها وقال مقاتل حملته أمه في ساعة وصور في ساعة ووضع في ساعة حين زالت الشمس من يومها وهي بنت عشرين سنة وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل بعيسى قالوا فلما اشتد بها المخاض التجأت الى النخلة وكانت نخلة يابسة ليس لها سعف ولا كرانيف ولا عروق فاحتوشتها الملائكة وكانوا صفوفا محدقين بها أي محيطين بها وكانت تلك النخلة في موضع يقال له بيت لحم فقالت حين اشتد الامر يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا أي جيفة ملقاة فنوديت أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فذلك قوله تعالى فناداها من تحتها أن لا تحزني من قرأ بكسر الميم والتاء فهو جبريل عليه السلام ناداها من سفح الجبل ومن قرأ بفتح الميم والتاء فهو عيسى عليه السلام لما خرج من بطن أمه ناداها وكلمها باذن الله تعالى قالوا فلما ولدت عيسى أجرى الله لها نهرا من ماء عذب بارد اذا شربت منه وفاترا اذا استعملته فذلك قوله تعالى قد جعل ربك تحتك سريا وهو النهر الصغير قال ابن عباس ضرب عيسى وقيل جبريل عليه السلام برجله الارض فظهر الماء وحييت تلك النخلة بعد يبسها فتدلت غصونها فأورقت وأثمرت وأرطبت وقيل لها هزي اليك بجذع النخلة أي حركيه تساقط عليك رطبا جنيا غضا طريا * قال الربيع بن خيثم ما للنفساء عندي خير

من

من الرطب ولا للمريض خير من العسل وقال عمرو بن ميمون ما أدرى للمرأة اذا عسرت
عليها ولادتها خيرا من الرطب وقرأ هذه الآية قالت عائشة رضى الله عنها كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يمضغ التمر ويحنك به أولاد الصحابة حين يولدون وقال
بعض البلغاء فى وصف التمر علة الصغير ونهلة الكبير * قالوا ثم ان يوسف النجار عمد الى
حطب فجعله كالحظيرة حواليها بالقرب منها اذ قد أضر بها البرد ثم أشعل لها نارا تصطلى
بها ثم كسر لها سبع جوزات كانت فى خرجه فأطعمها اياها فمن أجل ذلك توقد
النصارى النار ليلة الميلاد وتلعب بالجوز * قال وهب فلما ولد عليه السلام أصبحت
الاصنام كلها بكل أرض منكوسة على رؤسها ففزعت الشياطين ولم يدروا لم ذلك
فساروا مسرعين حتى جاؤا الى ابليس لعنه الله وغضب عليه وهو على عرش له فى لجة
خضراء يتمثل بالعرش يوم كان على الماء فأتوه وقد خلت ست ساعات من النهار فلما
رأى ابليس اجتماعهم فزع من ذلك ولم يرهم جميعا منذ فرقهم قبل تلك الساعة وانما
كان يراهم أشتاتا فسألهم فاخبروه أنه حدث فى الارض حدث فأصبحت الاصنام كلها
منكوسة على رؤسها ولم يكن شئ أعون على هلاك بنى آدم منها لانهم كانوا يدخلون فى
أجوافها فتكلمهم وتدبر أمرهم فيظنون أنها هى التى تكلمهم فلما أصابها هذا
الحدث صغرها فى أعين الناس وأذلها وقد خشينا أن لا يعبدوها بعد هذا واعلم انا لم
نكن نأتيك حتى أحصينا الارض وقلبنا البحار وكل شئ فلم نزدد بما أردنا الا جهلا
فقال لهم ابليس فما يكون الا أمر عظيم فكونوا مكانكم فطار ابليس عند ذلك ولبث
عنهم ثلاث ساعات فمر فيهن بالمكان الذى ولد فيه عيسى فلما رأى الملائكة محدقين
بذلك المكان علم أن ذلك الحدث فيه فاراد ابليس لعنه الله أن يأتيه من فوقه قال
فاذا رؤس الملائكة ومناكبهم الى السماء ثم أراد أن يأتيه من تحت الارض فاذا
أقدام الملائكة راسية فأراد أن يدخل من بينهم فنعوه عن ذلك يدل عليه حديث
النبى صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يطعن الشيطان فى جنبيه باصبعه حين يولد الا
عيسى بن مريم عليه السلام حجبه الله تعالى عنه فذهب يطعن فطعن فى الحجاب * قال
وهب فذهب ابليس لعنه الله الى أصحابه فقال لهم ما جئتكم حتى أحصيت الارض
كلها مشرقها ومغربها وبرها وبحرها والخافقين والجو الاعلى وكل هذا بلغته فى
ثلاث ساعات ثم أخبرهم بمولد عيسى وقال ما اشتملت قبله رحم أنثى على ولد الا بعلمى
ولا وضعته الا وأنا حاضرها وانى لارجو أن نضل به أكثر ممن يهتدى به وما كان نبى
أشد على وعليكم من هذا المولود ثم انه خرج قوم فى تلك الليلة يؤمونه من أجل نجم طلع
كانوا من قبل يتحدثون أن مطلع ذلك النجم من علامات مولود فى كتاب دانيال فخرجوا
يريدونه ومعهم الذهب والمر واللبان فمروا على ملك من ملوك الشام فسألهم أين تريدون

فأخبروه بذلك قال فما بال المر والذهب واللبان أهديتموه بهذه الاشياء قالوا تلك أمثاله
لان الذهب سيد المتاع كله وكذلك هذا النبي سيد أهل زمانه ولان المر يجبر به
الكسر والجرح وكذلك هذا النبي يشفي الله به كل سقيم ومريض ولان اللبان دخانه
يدخل السماء ولا يدخلها دخان غيره وكذلك هذا النبي يرفعه الله الى السماء
ولا يرفع في زمانه أحد غيره فلما قالوا ذلك لذلك الملك حدث نفسه بقتله فقال لهم
اذهبوا فاذا علمتم بمكانه فأعلموني بذلك فاني راغب في مثل ما رغبتم فيه من أمره
فانطلقوا حتى قدموا الى مريم ودفعوا ما كان معهم من الهدية اليها عليها السلام
وأرادوا أن يرجعوا الى ذلك الملك ليعلموه بمكانه فلقيهم ملك وقال لهم لا ترجعوا اليه
ولا تعلموه بمكانه فانه انما أراد قتله فانصرفوا في طريق آخر * قال مجاهد قالت مريم
عليها السلام كنت اذا خلوت مع عيسى عليه السلام حدثني وحدثته فاذا شغلني
عنه انسان سبح في بطني وأنا أسمع والله أعلم

﴿باب في رجوع مريم بابنها عيسى بعد ولادتها اياه الى جماعة قومها من بيت لحم﴾

قال ثم ان جماعة من قومها لما هيأ الله تعالى لامته مريم عليها السلام أمرها ويسر الله
لها أسباب ولادتها قال كلي يا مريم من الرطب واشربي من الماء العذب وقري عينا
وطيبي نفسا فاما ترين من البشر أحدا فسألك عن ولدك أو لامك عليه فقولي اني
نذرت للرحمن صوما أي صمتا وكذلك هو في قراءة ابن مسعود وأنس وذلك أنهم كانوا
اذا صاموا أمسكوا عن الطعام والشراب والكلام فلن أكلم اليوم انسيا فأتت به
قومها تحمله قال الكلبي احتمل يوسف النجار مريم وعيسى الى غار فأدخلها فيه
أربعين يوما حتى تعالت من نفاسها ثم جاء بها فأتت مريم تحمله بعد أربعين يوما فكلمها
عيسى في الطريق فقال يا أماه أبشري فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت على أهلها
ومعها الصبي بكوا وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين فقالوا يا مريم لقد جئت شيأ فريا
فظيعا عظيما يا أخت هرون قال قتادة كان هرون رجلا صالحا من اتقياء بني اسرائيل
وليس بهرون أخي موسى وذكروا أنه تبع جنازته يوم مات أربعون ألفا من بني
اسرائيل كلهم يسمى هرون * وقال وهب كان هرون من أفسق بني اسرائيل
واظهرهم فسادا فشبهوها به ما كان أبوك عمران امرأ سوء وما كانت أمك بغيا أي
زانية فمن أين لك هذا الولد فأشارت لهم مريم الى عيسى أن كلموه فغضبوا وقالوا كيف
نكلم من كان في المهد صبيا قال وهب فأتاها زكريا عليه السلام عند مناظرتها اليهود
وقال لعيسى انطق بحجتك ان كنت أمرت بها فقال عند ذلك عيسى عليه السلام
وهو ابن أربعين يوما اني عبد الله آتاني الكتاب الآية فأقر على نفسه بالعبودية
أول ما تكلم ٣ تكذيبا للنصارى والزاما للحجة عليهم * قال عمرو بن ميمون ان مريم

٣ قوله تكذيبا للنصارى المراد ان مقالته عليه السلام صارت بعد ذلك تكذيبا لهم وبرهانه وسمهم ١ه

لما أتت قومها بعيسى أخذوا الحجارة وأرادوا أن يرجموها فلما تكلم عيسى تركوها قالوا ثم لم يتكلم بشئ بعدها حتى كان بمنزلة غيره من الصبيان والله أعلم

﴿باب فى ذكر خروج مريم وعيسى عليهما السلام الى مصر﴾

قال الله تعالى وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين قالوا كان مولد عيسى بعد مضى اثنين واربعين سنة من ملك اغسطوس واحدى وخمسين سنة مضت من ملك الاشكانيين ملوك الطوائف وكانت المملكة فى ذلك الوقت لملوك الطوائف وكانت الرياسة فى الشام ونواحيها القيصر ملك الروم وكان الملك عليهما من قبل قيصر هردوس فلما عرف هردوس ملك بنى اسرائيل خبر المسيح قصد قتله وذلك أنهم نظروا الى نجم قد طلع فعرفوا ذلك بحساب عندهم فى كتاب لهم فبعث الله ملكا الى يوسف النجار وأخبره بما أراد هردوس وأمره أن يهرب بالغلام وأمه الى مصر وأوحى الله الى مريم أن الحقى بمصر فان هردوس ان ظفر بابنك قتله فاذا مات هردوس فارجعى الى بلادك فاحتمل يوسف مريم وابنها على حمار له حتى ورد أرض مصر وهى الربوة التى قال الله تعالى وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ذكر أبواسحق الثعلبى فى التفسير ذات قرار ومعين قال عبد الله بن سلام هى دمشق وقال أبوهريرة هى الرملة وقال قتادة وكعب هى بيت المقدس وقال كعب هى أقرب الارض الى السماء وقال أبو زيد هى مصر وقال الضحاك هى عرصة دمشق وقال أبوالعالية ايلياء وقال القرار الارض المستوية والمعين الماء الطاهر فاقامت مريم بمصر اثنتى عشرة سنة تغزل الكتان وتلتقط السنبل فى اثر الحصادين وكانت تلتقط السنبل والمهد فى منكبها والوعاء الذى فيه السنبل فى منكبها الآخر حتى تم لعيسى اثنتا عشرة سنة وروى عن محمد بن على الباقر رضى الله عنه أنه قال لما ولد عيسى كان ابن يوم كأنه ابن شهر فلما كان ابن تسعة اشهر أخذت والدته بيده وجاءت به الى الكتاب وأقعدته بين يدى المؤدب فقال له المؤدب قل بسم الله الرحمن الرحيم فقالها عيسى فقال المؤدب قل ابجد فرفع عيسى عليه السلام رأسه فقال له هل تدرى ما ابجد فعلاه بالقضيب ليضربه فقال يامؤدب لاتضربنى ان كنت تدرى والافاسألنى حتى أفسر لك فقال له المؤدب فسره لى فقال عيسى الالف لا اله الا الله والباء بهجة الله والجيم جلال الله والدال دين الله هوز الهاء هى جهنم وهى الهاوية والواو ويل لاهل النار والزاى زفير أهل جهنم حطى حطت الخطايا عن المستغفرين كلمن كلام الله غير مخلوق ولا مبدل لكلماته سعفص صاع بصاع والجزاء بالجزاء قرشت تقرشهم حين تحشرهم أى تجمعهم فقال المؤدب لامه أيتها المرأة خذى ابنك فقد علم ولا حاجة له الى المؤدب (اخبرنا) الحسين بن محمد بن الحسين المفسر باسناده عن أبى سعيد الخدرى

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عيسى أرسلته أمه ليتعلم فقال له المعلم قل بسم الله فقال عيسى ومابسم الله قال المعلم ماأدرى قال عيسى الباء بهاء الله والسين سناء الله والميم مملكته جل وعلا والله أعلم

﴿باب فى صفة عيسى وحليته عليه السلام﴾

قال كعب الاحباركان عيسى بن مريم رجلاأحمرمائلاالى البياض ماهوسبط الرأس ولم يدهن رأسه قط وكان عيسى يمشى حافياولم يتخذ بيتاولاحلية ولامتاعا ولاثيابا ولا ورقاالاقوت يومه وكان حيثماغابت الشمس صف قدميه وصلى حتى يصبح وكان يبرئ الاكمه والابرص ويحيى الموتى باذن الله وكان يخبرقومه بماياكلون فى بيوتهم ومايدخرون لغد وكان يمشى على وجه الماء فى البحروكان أشعث الرأس صغيرالوجه زاهدافى الدنياراغبا فى الآخرة حريصا على عبادة الله وكان سياحا فى الارض حتى طلبته اليهود وأرادواقتله فرفعه الله الى السماء والله أعلم

﴿باب فى ذكر الآيات والمعجزات التى ظهرت لعيسى عليه السلام﴾

﴿فى صباه الى أن نبئ﴾

قال وهب كان أول آية رآها الناس من عيسى أن أمه كانت نازلة فى داردهقان من أرض مصرأنزلها بها يوسف النجارحين ذهب بها الى مصروكانت دار ذلك الدهقان تأوى اليها المساكين فسرق للدهقان مال من خزانته فلم يتهم المساكين فحزنت مريم لمصيبة ذلك الدهقان فلمارأى عيسى حزن أمه لمصيبة صاحب ضيافتها قال لها ياأماه أتحبين أن أدله على ماله قالت نعم يابنى قال لهاقولى له يجمع لى المساكين فى داره فقالت مريم للدهقان ذلك فجمع له المساكين فلما اجتمعوا عمدالى رجلين منهم أحدهما أعمى والآخر مقعد فحمل المقعد على عاتق الاعمى وقال له قم به فقال الاعمى أنا أضعف عن ذلك فقال له عيسى كيف قويت على ذلك البارحة فلما سمعوه يقول ذلك ضربوا الاعمى حتى قام فلما استقل قائماهوى المقعد الى كوة الخزانة فقال عيسى للدهقان هكذا احتالا على مالك البارحة لان الاعمى استعان بقوته والمقعد بعينيه فقال الاعمى والمقعد صدق والله فرداعلى الدهقان ماله كله فأخذه الدهقان ووضعه فى خزانته وقال يامريم خذى نصفه فقالت انى لم أخلق لذلك قال الدهقان فأعطيه لابنك قالت هوأعظم منى شأناثم لم يلبث الدهقان أن أعرس لابن له فصنع له عيدا فجمع عليه أهل مصركلهم فكان يطعمهم شهرين فلما انقضى ذلك زاره قوم من أهل الشام ولم يعلم الدهقان بهم حتى نزلوابه وليس عنده يومئذ شراب فلمارأى عيسى اهتمامه بذلك دخل بيتا من بيوت الدهقان فيه صفان من جرار فأمر عيسى يده على أفواهها وهو يمشى فكلما أمر يده على جرة امتلأت شرابا حتى أتى عيسى على آخرها

وهو يومئذ ابن اثنتى عشرة سنة (آية أخرى) قال السدى كان عيسى عليه السلام اذا كان فى الكتاب يحدث الصبيان بما تصنع آباؤهم ويقول للغلام انطلق فقد أكل أهلك كذا وكذا ورفعوا لك كذا وكذا وهم يأكلون كذا وكذا فينطلق الصبى الى أهله فيبكى عليهم حتى يعطوه ذلك الشئ فيقولون له من أخبرك بهذا فيقول عيسى فحبسوا عنه صبيانهم وقالوا لا تلعبوا مع هذا الساحر فجمعوهم فى بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا له ليسوا ههنا فقال لهم فما فى هذا البيت قالوا خنازير قال كذلك يكونون ففتح عنهم فاذا هم خنازير ففشا ذلك فى الناس فهمت به بنو اسرائيل فلما خافت عليه أمه حملته على حمار لها وخرجت هاربة الى مصر (آية أخرى) قال السدى لما خرج عيسى وأمه عليهما السلام يسيحان فى الارض اذ جاآ بنى اسرائيل ونزلا فى قرية على رجل فأضافهما وأحسن اليهما وكان ملك ذلك الوقت جبارا عنيدا فجاء ذلك الرجل يوما مهتما حزينا فدخل منزله ومريم عند امرأته فقالت لها مريم ما شأن زوجك أراه حزينا فقالت لها لا تسأليني فقالت أخبريني لعل الله يفرج كربته على يدى فقالت ان لنا ملكا يجعل على كل رجل منا نوبة يطعمه ويسقيه الخمر هو وجنوده فان لم يفعل عاقبه واليوم يومنا وليس عندنا ناسعة قالت فقولى له لا يهتم له بشئ فانه قد أحسن الينا وانى آمر ابنى أن يدعو له فيكتفى ذلك ثم قالت مريم لعيسى فقال ان فعلت ذلك يقع شر قالت فلا نبالى لانه أحسن الينا وأكرمنا قال عيسى فقولى له اذا اقترب ذلك فاملأ قدورك وخوابيك ماء ثم أعلمنى ففعل ذلك فدعا عيسى فتحول ماء القدور لحما ومرقا وماء الخوابى خمرا لم ير الناس مثله قط فلما جاء الملك أكل فلما شرب سأل من أين هذا الخمر قال له من أرض كذا وكذا قال الملك فان خمرى قد أتى بها من تلك الارض وليست مثل هذه فقال له من أرض أخرى فلما خلط على الملك وشبه عليه قال أخبر على الحق قال فأنا أخبرك عندى غلام ما سأل الله شيأ الا أعطاه اياه وانه دعا الله تعالى فجعل الماء خمرا وكان للملك ابن يريد أن يستخلفه فمات قبل ذلك بأيام وكان أحب الخلق اليه فقال الملك ان رجلا دعا الله حتى جعل الماء خمرا ليستجاب له حتى يحيى ابنى فدعا عيسى وكلمه فى ذلك فقال له عيسى لا تفعل لانه ان عاش وقع شر فقال الملك لا أبالى بعد أن أراه قال عيسى ان أحييته تتركونى أنا وأمى نذهب حيث نشاء قال نعم فدعا الله تعالى فعاش الغلام فلما رآه أهل مملكته قد عاش تبادروا بالسلاح وقالوا أكلنا هذا حتى اذا دنا موته يريد أن يستخلف علينا ابنه فيأكلنا كما أكلنا أبوه فاقتتلوا وذهب عيسى وأمه (آية أخرى) قال وهب بينما عيسى يلعب مع الصبيان اذ وثب غلام على صبى فوكزه برجله فقتله فألقاه بين يدى عيسى وهو ملطخ بالدم فاطلع الناس عليه فاتهموه به فأخذوه وانطلقوا به الى قاضى مصر فقالوا له هذا قتل هذا فسأله

القاضى فقال عيسى لا أدرى من قتله وما أنا بصاحبه فأرادوا أن يبطشوا بعيسى عليه السلام فقال لهم ائتونى بالغلام فقالوا له ما تريد منه قال أريد أن أسأله من قتله قالوا وكيف يكلمك وهو ميت فأخذوه وأتوا به الى مقتل الغلام فأقبل عيسى على الدعاء فأحياه الله تعالى فقال له عيسى من قتلك قال قتلنى فلان على الذى قتله فقال بنو اسرائيل من هذا قال هذا عيسى بن مريم قالوا فمن هذا الذى معه قال قاضى بنى اسرائيل ثم مات الغلام من ساعته فرجع عيسى الى أمه وتبعه خلق كثير من الناس فقالت له أمه يا بنى ألم أنهك عن هذا فقال لها ان الله حافظنا وهو أرحم الراحمين (آية أخرى) قال عطاء سلمت مريم عيسى بعد ما أخرجته من الكتاب الى أعمال شتى فكان آخر ما دفعته الى الصباغين فدفعته الى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب مختلفات فعرض للرجل سفر فقال لعيسى انك قد تعلمت هذه الحرفة وأنا خارج فى سفر لا أرجع الى عشرة أيام وهذه ثياب مختلفات الالوان وقد علمت كل واحد منها على اللون الذى يصنع به فأحب أن تكون فارغا منها وقت قدومى ثم خرج فطبخ عيسى عليه السلام جبا واحدا على لون واحد وأدخل فيه جميع الثياب وقال لها كونى باذن الله تعالى على ما أريد منك فقدم الصباغ والثياب كلها فى جب واحد فقال يا عيسى ما فعلت قال فرغت منها قال أين هى قال فى الجب فقال كلها قال نعم قال كيف تكون كلها فى جب واحد لقد أفسدت تلك الثياب قال قم فانظر فقام فاخرج عيسى ثوبا أصفر وثوبا أخضر وثوبا أحمر الى أن أخرجها على الالوان التى أرادها فجعل الصباغ يتعجب وعلم أن ذلك من الله عز وجل فقال الصباغ للناس تعالوا انظروا الى ما فعل عيسى عليه السلام فآمن به هو وأصحابه وهم الحواريون والله عز وجل أعلم

﴿باب فى ذكر رجوع مريم وعيسى عليهما السلام الى بلادهما بعد موت هردوس﴾

قال وهب لما مات هردوس الملك بعد اثنتى عشرة سنة من مولد عيسى عليه السلام أوحى الله تعالى الى مريم يخبرها بموت هردوس ويأمرها بالرجوع مع ابن عمها يوسف النجار الى الشأم فرجع عيسى وأمه عليهما السلام وسكنا فى جبل الخليل فى قرية يقال لها ناصرة وبها سميت النصارى وكان عيسى يتعلم فى الساعة علم يوم وفى اليوم علم شهر وفى الشهر علم سنة فلما تمت له ثلاثون سنة أوحى الله تعالى اليه أن يبرز للناس ويدعوهم الى الله ويضرب لهم الامثال ويداوى المرضى والزمنى والعميان والمجانين ويقمع الشياطين ويزجرهم ويذلهم وكانوا يموتون من خوفه ففعل ما أمر به فأحبه الناس ومالوا اليه واستأنسوا به وكثرت أتباعه وعلا ذكره وربما اجتمع عليه من المرضى والزمنى فى الساعة الواحدة خمسون ألفا فمن أطاق منهم أن يمشى اليه مشى

اليه ومن لم يطق وصل اليه عيسى عليه السلام وانما كان يداويهم بالدعاء بشرط الايمان ودعاؤه الذى كان يشفى به المرضى ويحيى به الموتى اللهم أنت اله من فى السماء واله من فى الارض لا اله فيهما غيرك وأنت جبار من فى السموات وجبار من فى الارض لا جبار فيهما غيرك وأنت ملك من فى السموات وملك من فى الارض لا ملك فيهما غيرك وأنت حكم من فى السموات وحكم من فى الارض لا حكم فيهما غيرك قدرتك فى الارض كقدرتك فى السماء وسلطانك فى الارض كسلطانك فى السماء أسألك باسمائك الكرام انك على كل شئ قدير

باب فى قصة الحواريين عليهم السلام

قال الله تعالى فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون وقال الله عز وجل واذ أوحيت الى الحواريين أى ألهمتهم ووفقتهم أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون اعلم ان الحواريين كانوا أصفياء عيسى بن مريم وأولياءه وأرضياءه وأنصاره ووزراءه وكانوا اثنى عشر رجلا واسماؤهم شمعون الصفار المسمى بطرس واندراوس أخوه ويعقوب بن زبدى ويحيى أخوه وفيلبس وبرتولوماوس وتوما ومتى العشار ويعقوب ابن حلفا ولبا الذى يدعى تداوس وشمعون القنانى ويهوذا الاسخر يوطى عليهم السلام واختلف العلماء فيهم ولم سموا بذلك قال ابن عباس كانوا صيادين يصطادون السمك فمر بهم عيسى فقال لهم ما تصنعون فقالوا نصطاد السمك فقال لهم ألا تمشون معى حتى نصطاد الناس قالوا له وكيف ذلك قال ندعو الى الله قالوا ومن أنت قال أنا عيسى بن مريم عبد الله ورسوله قالوا فهل يكون أحد من الانبياء فوقك قال نعم النبى العربى فاتبعه أولئك وآمنوا به وانطلقوا معه قال السدى كانوا ملاحين وقال ابن أرطاة كانوا قصارين سموا بذلك لانهم كانوا يحورون الثياب أى يبيضونها * أخبرنا ابن فنجويه باسناده عن مصعب قال الحواريون اثناعشر رجلا اتبعوا عيسى فكانوا اذا جاعوا قالوا يا روح الله جعنا فيضرب بيده الى الارض سهلا كان أو جبلا فيخرج لكل انسان رغيفين فيأكلهما واذا عطشوا قالوا يا روح الله عطشنا فيضرب الارض سهلا كان أو جبلا فيخرج الماء فيشربون فقالوا يا روح الله من أفضل منا اذا شئنا أطعمتنا واذا شئنا أسقيتنا وآمنا بك واتبعناك قال أفضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه قال فصاروا يعملون الثياب بالكراء قال ابن عون صنع ملك من الملوك طعاما فدعا الناس اليه وكان عيسى على قصعة فكانت القصعة لا تنقص فقال له الملك من أنت قال أنا عيسى بن مريم قال الملك انى أترك ملكى وأتبعك فانطلق بمن اتبعه منهم وهم الحواريون وقيل هو الصباغ وأصحابه وقد مضت القصة قال الضحاك

سموا حواريين لصفاء قلوبهم وقال عبد الله بن المبارك سموا حواريين لانهم كانوا نورانيين عليهم أثر العبادة ونورها وبياضها وبهاؤها وأصل الحور عند العرب شدة البياض ومنه الاحور والحور وقال الحسن الحواريون الانصار وقال قتادة هم الذين تصلح لهم الخلافة وقال النضر بن شميل الحوارى خاصة الرجل ومن يستعين به فيما ينوبه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لكل نبي حوارى وحوارى الزبير فهؤلاء حواريو عيسى بن مريم عليه السلام فأما حواريو هذه الامة فاخبرنا الحسين بن محمد الدينورى باسناده عن سفيان بن معمر أن قتادة قال ان الحواريين كلهم من قريش وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وحمزة وجعفر وأبو عبيدة بن الجراح وعثمان بن مظعون وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضى الله عنهم أجمعين

﴿ذكر خصائص عيسى عليه السلام والمعجزات التى ظهرت على يديه بعد مبعثه الى أن رفع صلوات الله عليه﴾

منها تأييد الله اياه بروح القدس قال عز من قائل وأيدناه بروح القدس ونظيرها فى سورة المائدة واذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس واختلفوا فيه فقال الربيع بن أنس هو الروح الذى نفخ فيه الروح أضافه سبحانه الى نفسه تكريما وتخصيصا نحو بيت الله وناقة الله والقدس هو الله تعالى يدل عليه قوله تعالى وروح منه فنفخنا فيه من روحنا وقال آخرون أراد بالقدس الطهارة أى الروح الطاهرة وسمى عيسى عليه السلام روحا لانه لم تتضمنه أصلاب الفحول ولم تشتمل عليه أرحام الطوامث انما كان أمرا من الله تعالى قال السدى وكعب روح القدس جبريل وتأييد عيسى بجبريل عليهما السلام هو أنه كان قرينه ورفيقه يعينه ويسير معه حيثما سار الى أن صعد به الى السماء وقال سعيد بن جبير وعبيد بن عمير هو اسم الله الاعظم وبه كان يحيى الموتى ويرى الناس تلك العجائب ومنها تعليم الله اياه الانجيل والتوراة وكان يقرأهما من حفظه كما قال الله تعالى واذ علمتك الكتاب أى الخط قيل الخط عشرة أجزاء فتسعة منها لعيسى والحكمة والتوراة والانجيل * ومنها خلقه الطير من الطين كما قال الله تعالى مخبرا عنه أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وقال تعالى واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فكان يصور من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ولم يخلق غير الخفاش وانما خص بالخفاش لانه أكمل الطير خلقا فيكون أبلغ فى القدرة لان له ثديا وأسنانا ويلد ويحيض ويطير قال وهب كان يطير مادام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عنهم سقط ميتا ليتميز فعل الخلق

عن

عن فعل الله تعالى وليعلم أن الكمال لله عز وجل * ومنها ابراء الاكمه والابرص كما
قال تعالى وتبرئ الاكمه والابرص باذني والابرص الذي به وضح والاكمه الذي ولد أعمى
ولم يرضوا قط ولم يكن في الاسلام أكمه غير قتادة وانما خص هذين لانهما أعييا الاطباء
وكان الغالب على زمان عيسى الطب فأراهم المعجزة من جنس ذلك وروى أن
عيسى عليه السلام مر بدير فيه عميان فقال ما هؤلاء فقيل هؤلاء قوم طلبوا القضاء
فطمسوا أعينهم بايديهم فقال لهم ما دعاكم الى هذا قالوا خفنا عاقبة القضاء فصنعنا
بانفسنا ما ترى فقال أنتم العلماء والحكماء والاحبار والافاضل امسحوا أعينكم
بايديكم وقولوا بسم الله ففعلوا ذلك فاذا هم جميعا قيام ينظرون * ومنها احياء الموتى
باذن الله قال تعالى واذ تخرج الموتى باذني وأحيا منهم أمواتا منهم العاذر وكان صديقا له
فارسلت أخته الى عيسى أن أخاك العاذر يموت فأتاه وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة
أيام فأتاه هو وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام فقالوا لاخته انطلقي بنا الى قبره
فانطلقت معهم الى قبره وهو في صخرة مطبقة فقال عيسى اللهم رب السموات السبع
والارضين السبع انك أرسلتني الى بني اسرائيل أدعوهم الى دينك وأخبرهم أني
أحيي الموتى باذنك فأحي العاذر فقام العاذر وخرج من قبره وبقي وولد له * ومنها ابن
العجوز وكانت القصة فيه أن عيسى مر في سياحته ومعه الحواريون بمدينة فقال ان
في هذه المدينة كنزا فمن يذهب يستخرجه لنا فقالوا يا روح الله لا يدخل هذه القرية
أحد غريب الا قتلوه فقال لهم عيسى مكانكم حتى أعود اليكم فمضى حتى دخل المدينة
فوقف على باب فقال السلام عليكم يا أهل الدار غريب أطعموه فقالت له امرأة عجوز
أما ترضى أن أدعك لا أذهب بك الى الوالي حتى تقول أطعموني فبينما عيسى بالباب
اذ أقبل الفتى ابن العجوز فقال له عيسى أضفني ليلتك هذه فقال له الفتى مثل مقالة
العجوز فقال له عيسى أما انك لو فعلت ذلك زوجتك بنت الملك فقال له الفتى اما أن
تكون مجنونا واما أن تكون عيسى بن مريم قال أنا عيسى فأضافه وبات عنده فلما
أصبح قال له اغد وادخل على الملك وقل له جئت أخطب ابنتك فانه سيأمر بضربك
واخراجك فمضى الفتى حتى دخل على الملك فقال له جئت اليك أخطب ابنتك فأمر
بضربه فضرب وأخرج فرجع الفتى الى عيسى فأخبره الخبر فقال اذا كان غد فاذهب
اليه واخطب بنته فانه ينالك بدون ذلك ففعل الفتى ما أمره عيسى فضربه دون
ذلك الضرب الاول فرجع الى عيسى فاخبره فقال ارجع اليه فانه سوف يقول لك
أنا أزوجك اياها على حكمي وحكمي قصر من ذهب وفضة وما فيه من ذهب وفضة
وزبرجد فقل له أفعل ذلك فاذا بعث معك أحدا فاخرج به فانك سوف تجده فلا
تحدث فيه شيئا ثم انه دخل على الملك فخطب فقال تصدقها بحكمي فقال وما حكمك

فحكم بالذى سماه عيسى فقال نعم رضيت ابعث من يقبض ذلك فبعث معه رجالا فسلم
اليهم ماسأله الملك فتعجب الناس من ذلك فسلم اليه الملك ابنته فتعجب الفتى من
ذلك وقال يا روح الله تقدر على مثل هذا وأنت على مثل هذه الحال فقال له عيسى انى
آثرت مايبقى على مايفنى فقال الفتى أنا أيضا أدعه وأصحبك فتخلى من الدنيا واتبع
عيسى فأخذ عيسى بيده وأتى به أصحابه وقال لهم هذا الكنز الذى قلت لكم
فكان معه ابن العجوز الى أن مات ومر به وهو ميت على سرير فدعا الله عيسى
فجلس على سريره ونزل من على أعناق الرجال ولبس الثياب وحمل السرير على
عنقه ورجع الى أهله فبقى وولد له * ومنها ابنة العاشر رجل كان يأخذ العشر قيل
له أتحييها وقد ماتت بالامس فدعا الله عز وجل فعاشت وبقيت وولد لها * ومنها
سام بن نوح قال له الحواريون وهو يصف لهم سفينة نوح قالوا له لو بعثت لنا من شهد
السفينة فينعت لنا ذلك فقام وأتى تلا فضرب بيده وأخذ قبضة من تراب وقال
هذا قبر سام بن نوح ان شئتم أحييته لكم قالوا نعم فدعا الله باسمه الاعظم وضرب التل
بعصاه وقال احى باذن الله فخرج سام بن نوح من قبره وقد شاب نصف رأسه فقال
أقد قامت القيامة قال لا ولكنى دعوتك باسم الله الاعظم قال ولم يكونوا يشيبون
فى ذلك الزمان وكان سام قد عاش خمسمائة سنة وهو شاب ثم أخبرهم بخبر السفينة
فقال له عيسى مت فقال بشرط أن يعيذنى الله من سكرات الموت فدعا الله عيسى
عليه السلام ففعل ذلك وقد ذكر هذا الخبر فى قصة نوح عليه السلام * ومنها عزير
عليه السلام قالوا لعيسى عليه السلام أحيه والا أحرقناك بالنار وجمعوا له
حطبا كثيرا من حطب الكرم وكانوا فى ذلك الوقت يدفنون موتاهم فى صناديق من
حجارة مطبقة فوجدوا قبر عزير مكتوبا على ظهره اسمه فعالجوه ليفتحوه فلم يقدروا
أن يخرجوه من قبره فرجعوا الى عيسى فأخبروه فناولهم اناء فيه ماء وقال لهم انضحوا
قبره بهذا الماء ففعلوا فانفتح الطبق فاتوا به عيسى وهو فى اكفانه والارض لا تأكل
اجساد الانبياء ثم انه نزع ثيابه عنه ثم جعل ينضح على جسده الماء ولحمه وشعره ينبت
ثم قال احى يا عزير باذن الله تعالى فاذا هو جالس وكل ذلك تراه أعينهم فقالوا لعزير
ماتشهد لهذا الرجل يعنون عيسى فقال أشهد أنه عبد الله ورسوله فقالوا يا عيسى
ادع لنا ربك يبقيه لنا ليكون بين أظهرنا حيا فقال عيسى ردوه الى قبره فردوه الى قبره
فعاد ميتا فآمن بعيسى بن مريم من آمن وعاند من عاند قال الكلبى كان عيسى يحيى
الموتى بياحى ياقيوم * ومنها اخباره عليه السلام عن الغيوب قال الله عز وجل
اخبارا عنه وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم قال الكلبى لما ابرأ عيسى
الاكمه والابرص وأحيا الموتى قالوا هذا ساحر ولكن اخبرنا بما نأكل وما ندخر فكان

يخبر الرجل بما يأكل فى غدائه وبما يأكل فى عشائه * ومنها مشيه عليه السلام على الماء يروى أنه خرج فى بعض سياحته ومعه رجل من أصحابه قصير وكان كثير اللزوم لعيسى فلما انتهى عيسى الى البحر قال بسم الله بصحة ويقين فمشى على وجه الماء فقال الرجل القصير بسم الله بصحة ويقين فمشى على وجه الماء فداخله العجب فقال هذا عيسى روح الله يمشى على الماء وأنا أمشى على الماء قال فانغمس فى الماء فاستغاث بعيسى فتناوله عيسى من الماء واخرجه وقال له ما قلت يا قصير فاخبره بما خامر خاطره فقال له عيسى لقد وضعت نفسك فى غير الموضع الذى وضعك الله فيه فمقتك الله على ما قلت فتب الى الله مما قلت فتاب الرجل وعاد الى مرتبته التى وضعه الله فيها فاتقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضا وحدثنا الامام أبو منصور الحمشاوى باسناده عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو عرفتم الله حق معرفته لعلمتم العلم الذى ليس بعده جهل وما بلغ ذلك احد قط قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا قالوا يا رسول الله قد بلغنا أن عيسى بن مريم مشى على الماء قال نعم ولو ازداد خوفا ويقينا لمشى على الهواء قالوا يا رسول الله ما كنا نرى أن الرسل تقصر فقال ان الله تعالى أبلغ شأنا من أن يبلغ أحد شانه

﴿ذكر حديث جامع فى هذا الباب﴾

قال وهب خرج عيسى عليه السلام يسيح فى الارض فصحبه يهودى وكان مع ذلك اليهودى رغيفان ومع عيسى رغيف فقال له عيسى تشاركنى فى طعامك قال اليهودى نعم فلما رآى أنه ليس مع عيسى الا رغيف واحد ندم فقام عيسى الى الصلاة فذهب صاحبه وأكل رغيفا فلما قضى عيسى صلاته قدما طعامهما فقال لصاحبه أين الرغيف الآخر فقال ما كان الا رغيف واحد فأكل عيسى رغيفا وصاحبه رغيفا ثم انطلقا فجاآ الى شجرة فقال عيسى لصاحبه لو أبتنا تحت هذه الشجرة حتى نصبح فقال افعل فباتا ثم أصبحا منطلقين فلقيا أعمى فقال له أرأيت ان أنا عالجتك حتى يرد الله عليك بصرك فهل تشكره قال نعم فمس عيسى بصره ودعا الله له فاذا هو صحيح فقال عيسى لليهودى بالذى أراك الاعمى بصيرا كم كان معك من رغيف فقال والله ما كان الا رغيف واحد فسكت عيسى عنه ومرا فاذا هما بمقعد فقال له عيسى أرأيت ان عالجتك فعافاك الله فهل تشكره قال نعم قال فدعا الله تعالى عيسى فاذا هو صحيح قائم على رجليه فقال صاحب عيسى ما رأيت مثل هذا قط فقال له عيسى بالذى أراك الاعمى بصيرا والمقعد صحيحا من صاحب الرغيف الثالث فحلف له ما كان معه الا رغيف واحد فسكت عيسى عنه فانطلقا حتى انتهيا الى نهر عجاج فقال عيسى لا أرى جسرا ولا سفينة فخذ بحجزتى من ورائى وضع قدمك موضع قدمى ففعل فمشيا على الماء فقال له عيسى بالذى أراك أمر الاعمى والمقعد وسخر لك الماء من صاحب الرغيف

الثالث فقال لا والله ما كان الا رغيف واحد فسكت عيسى ثم انطلقا فاذا هما بظباء ترعى فدعا عيسى بظبي فذبحه وشوى منه بعضا وأكلا . ثم ضرب عيسى بقية الظبي بعصاه وقال قم باذن الله عز وجل فاذا الظبي يغدو فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى بالذي أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الآخر فقال ما كان الا رغيف واحد فمرا بصاحب بقر فنادى عيسى يا صاحب البقر اجز رلنا من بقرك هذه عجلا فقال ابعث صاحبك اليهودي يأخذه فانطلق اليهودي فجاء به وذبحه وشواه وصاحب البقر ينظر اليه فقال عيسى كل ولا تكسر عظما فلما فرغوا قذف بعظامه في جلده ثم ضربه بعصاه وقال له قم باذن الله فقام العجل وله خوار فقال له عيسى يا صاحب البقر خذ عجلك قال ويحك من أنت قال أنا عيسى بن مريم قال عيسى السحار ثم فر منه فقال عيسى لصاحبه بالذي أحيا العجل كم كان معك من رغيف فقال ما كان معي الا رغيف واحد فسكت ومضيا حتى دخلا قرية فنزل عيسى في أسفلها واليهودي في أعلاها فأخذ اليهودي عصا عيسى وقال أنا الآن أبرئ المرضى وأحيي الموتى قال وكان ملك تلك القرية مريضا مدنفا فانطلق اليهودي ونادى من يبتغي طبيبا حتى أتى باب الملك فاخبر بوجعه فقال أدخلوني عليه فانا أبرئه وان رأيتموه قد مات فانا أحييه فقيل له ان وجع الملك قد أعيا الاطباء قبلك وليس من طبيب يداويه ولا يشفيه الا صلبه فقال أدخلوني عليه فأدخل عليه فضرب الملك بعصاه فمات فجعل يضرب الملك بالعصا وهو ميت ويقول قم باذن الله فلم يقم فأخذ ليصلب فبلغ ذلك عيسى فأقبل عليه وقد رفع على الخشبة فقال لهم عيسى أرأيتم لو أحييت لكم الملك هل تتركون لي صاحبي قالوا نعم فدعا الله عز وجل فأحياه وقام فأنزل اليهودي من الخشبة فقال يا عيسى أنت أعظم الناس علي منة والله لا أفارقك أبدا فقال له عيسى أنشدك الله الذي أحيا الظبي والعجل بعدما أكلناهما وأحيا هذا بعدما مات وأنزلك من على الجذع بعدما صلبت كم كان معك من رغيف قال فحلف بهذا كله وقال والله ما كان معي الا رغيف واحد فقال عيسى لا بأس فانطلقا حتى أتيا قرية عظيمة خربة فيها كنز ثلاث لبنات من ذهب قد حفرتها السباع والدواب فقال الرجل لعيسى هذا المال لك فقال عيسى أجل واحدة لي وواحدة لك وواحدة للذي أكل الرغيف الثالث فقال اليهودي لعيسى أنا صاحب الرغيف الثالث أكلته وأنت تصلي فقال عيسى هي لك كلها فانطلق عيسى وتركه ينظر وهو لا يستطيع أن يحمل منهن واحدة لثقلها عليه فقال له عيسى دعه فان له أهلا يهلكون عليه فجعلت نفس اليهودي تتطلع الى المال ويكره أن يعصي عيسى ويعجزه حمل المال فانطلق مع عيسى فبينما هو كذلك اذ مر بالمال ثلاثة نفر فاتوا عليه فقال اثنان منهما لصاحبهما الثالث انطلق الى بعض هذه

القرى

القرى فأتنا بطعام وشراب ودواب نحمل عليها هذا المال فلما ذهب صاحبهما قال أحدهما للآخر هل لك أن نقتله اذا رجع ونقتسم المال بيننا قال نعم وقال الذى ذهب فى نفسه أنا أجعل فى الطعام سما فاذا أكلاه ماتا ويصير المال كله لى ففعل ذلك فلما رجع اليهما ووصل قتلاه ثم أكلا الطعام الذى جاء به اليهما فماتا وان عيسى عليه السلام مر به وهم حوله مقتولون فقال لا اله الا الله هكذا تصنع الدنيا بأهلها ثم ان عيسى أحياهم باذن الله فاعتبروا ومروا ولم يأخذوا من المال شيأ فتطلعت نفس اليهودى صاحب عيسى الى المال فقال أعطنى المال فقال عيسى خذه لك فهو حظك فى الدنيا والآخرة فلما ذهب ليحمله خسف به الارض فانطلق عيسى عليه السلام ﴿ومنها نزول المائدة﴾ قال الله تعالى اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين الآية واختلف العلماء فى صفة نزول المائدة وكيفيتها وما كان عليها فروى قتادة عن جابر عن عمار بن ياسر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال نزلت المائدة عليها خبز ولحم وذلك أنهم سألوا عيسى طعاما يأكلون منه ولا ينفد قال فقال لهم انى فاعل ذلك وانها مقيمة لكم مالم تخبؤا أو تخونوا فان فعلتم ذلك عذبتم قال فما مضى يومهم حتى خانوا وخبؤا وفى بعض الروايات أن بعضهم سرق منها وقال لعلها لا تنزل أبدا فرفعت ومسخوا قردة وخنازير وقال ابن عباس قال عيسى لبنى اسرائيل صوموا ثلاثين يوما ثم سلوا الله ما شئتم يعطكموه فصاموا ثلاثين يوما فلما فرغوا قالوا يا عيسى انا ان عملنا لاحد فقضينا عمله أطعمنا طعاما وانا صمنا وجعنا فادع الله أن ينزل علينا مائدة من السماء فلبس عيسى المسوح وافترش الرماد ثم دعا الله تعالى فقال اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء الآية فاقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات ووضعتها بين أيديهم فاكل منها آخر الناس كما أكل أولهم وروى عطاء بن السائب وغيره أنه كانت المائدة اذا وضعت لبنى اسرائيل اختلفت عليها الايدى فيها كل الطعام الا اللحم وقال عطية العوفى نزلت سمكة من السماء فيها طعم كل شئ وقال قتادة كانت مائدة تنزل من السماء وعليها ثمر من ثمار الجنة وكانت تنزل عليهم بكرة وعشية حيث كانوا كالمن والسلوى لبنى اسرائيل وقال وهب أنزل الله أقرصة من شعير وحيتانا فقيل لوهب ما كان ذلك يغنى عنهم من شئ قال بلى ولكن الله ضعف لهم البركة فكان قوم يأكلون ثم يخرجون ويجئ آخرون فيأكلون حتى أكلوا بأجمعهم وفضل وقال كعب الاحبار نزلت مائدة من السماء منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والارض عليها كل طعام الا اللحم وقال مقاتل والكلبى استجاب الله لعيسى عليه السلام فقال انى منزلها عليكم كما سألتم فمن أكل من ذلك

الطعام ثم لم يؤمن جعلته مثلا ولعنة وعبرة لمن بعدهم قالوا قد رضينا فدعا شمعون
الصفار وكان أفضل الحواريين فقال هل معك طعام فقال معي سمكتان صغيرتان
وستة أرغفة فقال علي بها فقطعها عيسى قطعا صغارا وقال اقعدوا في روضة
وترافقوا رفاقا كل رفقة عشرة ثم قام عيسى ودعا الله تعالى فاستجاب له وأنزل فيها
البركة فصار خبزا صحاحا وسمكا صحاحا ثم قام عيسى يمشي فجعل يلقي في كل رفقة ما حملت
أصابعه ثم قال كلوا بسم الله فجعل الطعام يكثر حتى بلغ ركبهم فأكلوا ما شاء الله وفضل
والناس خمسة آلاف ونيف وقال الناس جميعا نشهد أنك عبد الله ورسوله ثم سألوه
مرة أخرى فأنزل الله خمسة أرغفة وسمكتين فصنع بها ما صنع في المرة الاولى فلما
رجعوا الى قراهم ونشروا هذا الحديث ضحك منهم من لم يشهد وقالوا ويحكم انما سحر
أعينكم فمن أراد الله به الخير ثبته على بصيرة ومن أراد فتنته رجع الى كفره فمسخوا
قردة وخنازير ليس منهم صبي ولا امرأة فمكثوا كذلك ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يتوالدوا
ولم يأكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ ويروى عن عطاء بن أبي رباح عن سلمان
الفارسي أنه قال والله ما تبع عيسى من المساوي ولا انتهر يتيما ولا قهقه ضحكا ولا ذب
ذبابا عن وجهه ولا أخذ على أنفه مرتين شيأ قط ولا عبث قط ولما سأله الحواريون
أن ينزل عليهم الموائد صنوفا قال اللهم أنزل علينا مائدة من السماء الآية وارزقنا
عليها طعاما نأكل وأنت خير الرازقين فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة من
فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها وهي تهوي منقضة حتى سقطت بين أيديهم
فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة
وعقوبة وهم ينظرون اليها فنظروا الى شئ لم يروا مثله قط ولم يجدوا ريحا أطيب من
رائحة ذلك فقال عيسى ليقم أحسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله ويأكل منها
فقال شمعون الصفار رأس الحواريين أنت أولى بذلك منا فقام عيسى وتوضأ وصلى
صلاة طويلة وبكى كثيرا ثم كشف المنديل عنها وقال بسم الله خير الرازقين فاذا هو
بسمكة مشوية ليس عليها فلوس ولا شوك فيها تسيل سيلانا من الدسم وعند رأسها
ملح وعند ذنبها خل وحواليها من أنواع البقول ما خلا الكراث واذا خمسة أرغفة على
واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى
الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الآخرة
فقال عيسى عليه السلام ليس ما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة ولكن
افتعله الله بالقدرة الغالبة كلوا مما سألتم يمددكم ويزدكم من فضله قالوا يا روح الله
لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى فقال عيسى يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت
السمكة وعاد عليها فلوسها وشوكها ففزعوا منها فقال عيسى ما لكم تسألون أشياء اذا

أعطيتموها كرهتموها ثم قال فما أخوفني عليكم أن تعذبوا ياسمكة عودي كما كنت باذن الله فعادت السمكة مشوية كما كانت قالوا يا روح الله كن أول من يأكل منها ثم نأكل نحن فقال عيسى معاذ الله أن آكل منها ولكن يأكل منها من سألها فخافوا أن يأكلوا منها فدعا لها عيسى أهل الفاقة والمرضى وأهل البرص والجذام والمبتلين وقال كلوا من رزق الله ولكم الهناء ولغيركم البلاء فأكلوا منها وصدر عنها ألف وثلثمائة رجل وامرأة من فقير وزمن ومريض ومبتلى كلهم شبعان يتجشأ ثم نظر عيسى الى السمكة فاذا هي كهيئتها حين نزلت من السماء ثم طارت المائدة صعدا وهم ينظرون اليها حتى توارت منهم فلم يأكل منها يومئذ مريض الا برأ ولا زمن الا صح ولا مبتلى الا عوفي ولا فقير الا استغنى ولم يزل غنيا حتى مات وندم الحواريون ومن لم يأكل وكانت اذا نزلت اجتمعت الاغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء يزدحمون عليها فلبثت أربعين صباحا تنزل ضحى فلا تزال منصوبة تؤكل منها حتى اذا فاء الفيء طارت صعدا وهم ينظرون حتى تغيب عنهم وكانت تنزل غبا تنزل يوما ولا تنزل يوما كناقة ثمود فأوحى الله الى عيسى أن اجعل مائدتي ورزقي للفقراء دون الاغنياء فعظم ذلك على الاغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها فقالوا أترون المائدة تنزل من السماء حقا فقال لهم عيسى هلكتم فشمروا العذاب الله فأوحى الله تعالى الى عيسى انى شرطت على المكذبين شرطا ان من كفر بعد نزولها عذبته عذابا لا أعذبه احدا من العالمين فقال عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم فمسخ منهم ثلثمائة وثلاثون رجلا باتوا من ليلتهم على الفرش مع نسائهم في ديارهم فاصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكناسات ويأكلون القاذورات في الحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا الى عيسى بن مريم فبكوا وبكى على الممسوخين أهلوهم فلما ابصرت الخنازير عيسى بكت وجعلت تطوف به فجعل عيسى يدعوهم باسمائهم واحدا بعد واحد فيبكون ويشيرون برؤسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا * ومنها ما روى أن عيسى عليه السلام مر على رجل جالس عند قبر وكان يكثر المرور به فيجده جالسا فقال يا عبد الله أراك تكثر الجلوس عند هذا القبر فقال يا روح الله هذه امرأة كان لي من جمالها وموافقتها كيت وكيت ولي عندها ودعة قال أفتحب أن أدعو الله فيحييها لك قال نعم فتوضأ عيسى وصلى ركعتين ودعا الله عز وجل فاذا أسود قد خرج من القبر كأنه جذع محترق فقال له من أنت فقال يا رسول الله أنا رجل في عذاب منذ أربعين سنة فلما كانت في هذه الساعة قيل لي أجب فاجبت ثم قال يا رسول الله قد مر علي من أليم العذاب أما ان ردني الله الى الدنيا أعطيته عهدا أن لا أعصيه أبدا فادع الله لي فرق له عيسى عليه السلام

ودعا الله عز وجل ثم قال له امض فمضى فقال صاحب القبر يارسول الله لقد غلطت
ماالقبر انما قبرها هذا فدعا الله عيسى عليه السلام فخرجت من ذلك القبر امرأة شابة
جميلة فقال له عيسى أتعرفها قال نعم هذه امرأتي فدعا الله عيسى حتى ردها عليه فاخذ
الرجل بيدها حتى انتهيا الى شجرة فنام تحتها ووضع رأسه في حجرها فمر بها ابن الملك
فنظرها ونظرت اليه واعجب كل واحد منهما بصاحبه فاشار اليها فوضعت رأس
زوجها عن حجرها واتبعت الفتى فاستيقظ زوجها فتفقدها فلم يجدها فطلبها فدل
عليها فتعلق بها وقال امرأتي فقال الفتى هي جاريتي فبينما هم كذلك اذ طلع عيسى
عليه السلام فقال الرجل هذا عيسى ثم قص عليه القصة فقال لها عيسى ما تقولين
قالت أنا جارية هذا ولا أعرف هذا فقال لها عيسى ردي علينا ما أعطيناك قالت قد
فعلت فسقطت مكانها ميتة فقال عيسى هل رأيتم أعجب من هذا رجل أماته الله
كافرا ثم بعثه فآمن وهل رأيتم امرأة أماتها الله مؤمنة ثم أحياها فكفرت * ومنها
رفعه الى السماء اذ قال الله ياعيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين
كفروا الآية وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه
ولكن شبه لهم الى قوله تعالى بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما * روى الكلبي
عن أبي صالح عن ابن عباس ان عيسى عليه السلام استقبل رهطا من اليهود فلما
رأوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة الفاعل ابن الفاعلة فقذفوه وأمه فلما رأى ذلك
عيسى دعا عليهم فقال اللهم أنت ربي وانا من روحك خرجت وبكلمتك خلقت ولم
آتهم من تلقاء نفسي اللهم العن من سبني وسب أمي فاستجاب الله دعاءه ومسخ الذين
سبوه وأمه خنازير فلما رأى ذلك رأس اليهود وأميرهم فزع لذلك وخاف دعوته
فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى فاجتمعوا عليه ذات يوم وجعلوا يسألونه فقال
يامعاشر اليهود ان الله يبغضكم فغضبوا من مقالته غضبا شديدا وثاروا عليه ليقتلوه
فبعث الله تعالى اليه جبريل عليه السلام فأدخله خوخة ووراه في سقفها ورفعه الله
تعالى من روزنته فأمر رأس اليهود رجلا من أصحابه يقال له فلطيانوس أن يدخل
الخوخة فيقتله فلما دخل فلطيانوس لم ير عيسى فأبطأ عليهم فظنوا أنه يقاتله فيها
فألقى الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا انه عيسى فقتلوه وصلبوه وقال وهب ان
عيسى لما أعلمه الله تعالى أنه خارج من الدنيا جزع من الموت وشق عليه فدعا
الحواريين وصنع لهم طعاما وقال احضروني الليلة فلي اليكم حاجة فلما اجتمعوا اليه
من الليل عشاهم وقام يخدمهم فلما فرغوا من الطعام أخذ يغسل أيديهم ويوضيهم
ويمسح أيديهم بثيابه فتعاظموا ذلك وتكارهوه فقال ألا من رد على شيئا مما أصنع
فليس مني ولا أنا منه فأقروه حتى اذا فرغ من ذلك قال لهم أنا ما صنعت بكم الليلة مما

خدمتكم

خدمتكم على الطعام وغسلت أيديكم بيدى الا ليكون لكم بى أسوة وانكم ترون أنى خيركم فلا يتعاظم بعضكم على بعض وليبذلن بعضكم نفسه لبعض كما بذلت نفسى لكم وأما الحاجة التى استعنتكم عليها فتدعون الله لى وتجتهدون فى الدعاء أن يؤخر أجلى فلما نصبوا أنفسهم للدعاء وأرادوا أن يجتهدوا أرسل الله عليهم النوم حتى لم يستطيعوا دعاء فجعل يوقظهم ويقول سبحان الله ماتصبرون فى ليلة واحدة وتعينوننى فيها فقالوا والله ماندرى مالنا لقد كنا نسهر فنكثر السهر ومانطيق الليلة سهرا ومانريد دعاء الاحيل بيننا وبينه فقال يذهب الراعى وتبقى الغنم وجعل يأتى بكلام مثل هذا يعنى نفسه ثم قال ليكفرن بى أحدكم قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات وليبيعنى أحدكم بدراهم يسيرة وليأ كلن ثمنى فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فأخذوا شمعون أحد الحواريين فقالوا هذا من أصحابه فجحد وقال ماأنا من أصحابه فتركوه ثم أخذ آخر فجحد كذلك ثم سمع صوت ديك فبكى وأحزنه ذلك فلما أصبح أتى أحد الحواريين ذلك اليهود فقال لهم ماتجعلون لى ان دللتكم عليه فجعلوا له ثلاثين درهما فأخذها ودلهم عليه وكان شبه عليهم قبل ذلك فأخذوه واستوثقوا منه وربطوه بالحبل وجعلوا يقودونه ويقولون أنت كنت تحيى الموتى وتبرئ الاكمه والابرص أفلا تفك نفسك من هذا الحبل ويبصقون عليه ويلقون عليه الشوك ثم انهم نصبوا له خشبة ليصلبوه عليها فلما أتوا به الى الخشبة ليصلبوه أظلمت الارض وأرسل الله الملائكة فحالوا بينهم وبين عيسى وألقى شبه عيسى على الذى دلهم عليه واسمه يهوذا فصلبوه مكانه وهم يظنون أنه عيسى وتوفى الله عيسى ثلاث ساعات ثم رفعه الى السماء فذلك قوله تعالى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا فلما صلب الذى هو شبه عيسى جاءت مريم أم عيسى وامرأة كان عيسى دعا لها وابرأها من الجنون يبكيان عند المصلوب فأتاهما عيسى وقال على من تبكيان فقالتا عليك فقال ان الله تعالى رفعنى فلم يصبنى الاخير وان هذا شخص شبه لهم وقال مقاتل ان اليهود وكلوا بعيسى رجلا يكون عليه رقيبا يدور معه حيثما دار فصعد عيسى الجبل فجاءه الملك فرفعه الى السماء وألقى الله تعالى شبه عيسى على الرقيب فظن اليهود أنه عيسى فأخذوه وكان يقول لهم انى لست عيسى انى فلان بن فلان فلم يصدقوه وقتلوه وصلبوه قال قتادة ذكر لنا أن نبى الله عيسى قال لاصحابه أيكم يقذف عليه شبهى فانه مقتول فقال رجل من القوم أنا يانبى الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى ورفعه اليه وقيل ان الذى شبه بعيسى وصلب مكانه رجل اسرائيلى يسمى أشيوع ابن قنديرا والله أعلم

﴿ذكر نزول عيسى من السماء بعد رفعه بسبعة أيام﴾

(قال وهب) وغيره من أهل الكتب لما رفع الله عيسى عليه السلام لبث في السماء سبعة أيام ثم قال الله له ان اعداءك اليهود أعجلوك عن العهد الى أصحابك فانزل عليهم وأوصهم واهبط على مريم المجدلانية فانها لم يبك عليك أحد بكاءها ولم يحزن عليك أحد حزنها فانزل عليها وأخبرها أنها أول من تلحق بك وأمرها أن تجمع لك الحواريين فتبثهم في الارض دعاة الى الله تعالى وكانت قصة مريم المجدلانية أنها كانت من بني اسرائيل في قرية من قرى انطاكية يقال لها مجدلان وكانت امرأة صالحة وكانت تستحاض فلا تطهر فخطبها أشراف بني اسرائيل فامتنعت فظنوا أنها ترفعت بنفسها عنهم ولم يكن ذلك ترفعا وانما أرادت اخفاء علتها عنهم فلما سمعت بمجيء عيسى عليه السلام وبما كان يشفي الله على يديه من المرضى والزمنى أقبلت اليه رجاء الشفاء فلما رأت عيسى وما ألبسه الله من الهيبة استحيت وانصرفت الى ورائه ووضعت يدها على ظهره فقال عيسى لقد مسني ذو عاهة بنية حسنة ولقد أعطاه الله ما رجاه وطهره بطهارتي فأذهب الله عنها ما بها وبرأت وطهرت فلما أمر الله عيسى بالنزول عليها بعد سبعة أيام من رفعه هبط عليها فاشتعل الجبل حين هبط نورا فجمعت له الحواريين فبثهم في الارض دعاة الى الله ثم رفعه الله وكساه الريش وألبسه النور وقطع منه شهوة المطعم والمشرب فهو يطير مع الملائكة حول العرش فكان انسيا ملكيا أرضيا سماويا وتفرق الحواريون حيث أمرهم فتلك الليلة التي أهبط فيها هي الليلة التي تزخرفها النصارى قالوا فوجه بطرس الى رومية واندراوس ومتى الى الارض التي يأكل أهلها الناس وتوما وايليا الى أرض المشرق وفيلبس ويهوذا الى القيروان وافريقية ويحيى الى افسوس قرية أصحاب الكهف واليعقوبين الى أورشليم وهي ايلياء أرض بيت المقدس وبرتولوماوس الى الاعرابية وهي أرض الحجاز وشمعون الى أرض بربر فأصبح كل واحد من الحواريين الذين بعثهم يحدث بلغة من أرسله عيسى اليهم قال ابن اسحق ثم عمد اليهود الى بقية الحواريين أصحاب عيسى يشمسونهم ويعذبونهم ويطوفون بهم فسمع ذلك ملك الروم وكان صاحب وثن فقيل له ان رجلا كان في هؤلاء الناس الذين تحت يدك من بني اسرائيل عدوا عليه فقتلوه وكان يخبرهم أنه رسول الله وقد أحيا لهم الموتى وأبرأ لهم الاسقام وخلق لهم من الطين كهيئة الطير ونفخ فيه فكان طائرا باذن الله وأخبرهم بالغيب وأراهم العجائب فقال ملك الروم فما منعكم أن تذكروا لي من أمره فوالله لو علمت لخليت بينه وبينهم ثم انه بعث الى الحواريين فانتزعهم من أيديهم فلما أتوه سألهم عن دين عيسى فأخبروه خبره فبايعهم على دينه واستنزل شبه عيسى والخشبة التي صلب عليها فأكرمها وصانها لما مسها منه وغزا بني اسرائيل فقتل منهم خلقا

كثيراً من هناك كانت أصل النصرانية في الروم * وقال أهل التواريخ حملت مريم بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة وولدت عيسى ببيت لحم من أرض أورشليم لمضي خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على بابل ولاحدى وخمسين سنة مضت من ملك الاسكانين وأوحى الله اليه على رأس ثلاثين سنة ورفعه من بيت المقدس اليه ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فكانت نبوّته ثلاث سنين وعاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين والله أعلم

﴿ذكر وفاة مريم ابنة عمران عليهما السلام﴾

(قال وهب) لما أراد الله تعالى أن يرفع عيسى عليه السلام آخى بين الحواريين فأمر رجلين منهم يقال لاحدهما شمعون الصفار وللآخر يحيى أن يلتزما أمه ولا يفارقاها فانطلقا ومعهما مريم الى ماروت ملك الروم يدعونه الى الله تعالى وقد بعث الله تعالى اليه قبل ذلك يونس عليه السلام فلما أتوه أمر بشمعون وتداوس فقتلا وصلبا منكسين وهربت مريم ويحيى حتى اذا كانا في بعض الطريق لحقهما الطلب فخافا فانشقت لهما الارض فغابا فيها وأقبل ماروت ملك الروم وأصحابه فحفروا ذلك الموضع فلم يجدوا شيأ فردوا التراب على حاله وعلموا أنه أمر من الله تعالى فسأل ملك الروم عن حال عيسى فأخبروه به فأسلم كما ذكرنا والله أعلم

﴿ذكر نزول عيسى عليه السلام من السماء في المرة الثانية في آخر الزمان﴾

قال الله تعالى وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها الآية وقيل للحسين بن الفضل هل تجد نزول عيسى عليه السلام في القرآن قال نعم قوله وكهلا وهو لم يكن بكهل في الدنيا وانما معناه وكهلا بعد نزوله من السماء * أخبرنا أبو صالح شعيب بن محمد البيهقي باسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الانبياء اخوة العلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد واني أولى الناس بعيسى بن مريم عليهما السلام لانه لم يكن بيني وبينه نبي ويوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا وانه نازل على أمتي وخليفتي عليهم فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الشعر كأن رأسه يقطر ولم يصبه بلل ينزل بين ممصرتين فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال ويهل من الروحاء حاجا أو معتمرا أو ملبيا بهما جميعا ويقاتل الناس على الاسلام حتى يهلك في زمانه الملل كلها غير الاسلام وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين ويهلك الله في زمانه مسيح الضلالة الكذاب الدجال وتقع الامنة في الارض حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيات فلا تضر بعضهم بعضا ثم يلبث في الارض أربعين سنة ويتزوج ويولد له ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه في المدينة بجنب عمر اقرؤا ان شئتم وان من أهل الكتاب

الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا أى قبل موت عيسى يعيدها أبو هريرة ثلاث مرات (وأخبرنا) محمد بن القاسم الفارسى باسناده عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أهبط الله المسيح عيسى يعيش فى هذه الامة ما يعيش ثم يموت فى مدينتى هذه ويدفن الى جانب قبر عمر فطوبى لابى بكر وعمر يحشران بين نبيين (وأخبرنى أبى) قال حدثنى الحسين بن أحمد بن محمد بن على باسناده عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يهلك الله أمة أنا فى أولها وعيسى فى آخرها والمهدى من أهل بيتى فى وسطها

﴿باب فى قصة الرسل الثلاثة الذين بعثهم عيسى عليه السلام﴾
﴿الى انطاكية وذلك فى أيام ملوك الطوائف﴾

قال الله تعالى واضرب لهم مثلا أصحاب القرية اذ جاءها المرسلون يعنى رسل عيسى عليه السلام اذ أرسلنا اليهم اثنين واختلفوا فى اسميهما فقال ابن اسحق فاروص وروماص وقال وهب يحيى ويونس وقال مقاتل يومان ومالوس وقال كعب صادق وصدوق فكذبوهما فعززنا بثالث أى فقوينا برسول ثالث وهو شمعون الصفار رأس الحواريين فى قول أكثر المفسرين وقال كعب اسمه شلوم وقال مقاتل سمعان (قالت) العلماء بأخبار الانبياء بعث عيسى عليه السلام رسولين من الحواريين الى مدينة انطاكية فلما قربا من المدينة أتيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسلما عليه فقال من أنتما قالا رسولا عيسى عليه السلام يدعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن قال أمعكما آية قالا نعم نحن نبرئ المريض ونشفى الاكمه والابرص باذن الله فقال الشيخ ان لى ابنا مريضا صاحب فراش منذ سنين قالا فانطلق بنا الى منزلك فنطلع على حاله فأتى بهما الى منزله فلما نظرا الى ولد الشيخ وهو فى تلك الحالة قربا اليه ودعواله ومسحاه بيديهما فقام فى الوقت باذن الله صحيحا ففشا الخبر فى المدينة وشفى الله على يديهما كثيرا من المرضى وكان فى مدينة انطاكية فرعون من الفراعنة يعبد الاصنام يقال له سلاحين وقال وهب اسمه ابطيحس وكان من ملوك الروم قالوا فانتهى الخبر الى الملك فدعاهما اليه وقال لهما من أنتما قالا رسولا عيسى قال وما آيتكما قالا نبرئ الاكمه والابرص ونشفى المرضى باذن الله تعالى قال وفيم جئتما قالا جئناك ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر قال الملك أولنا اله سوى آلهتنا قالا نعم قال من قالا من أوجدك بعد عدمك وآلهتك قال قوما حتى انظر فى أمركما فتبعهما الناس فأخذوهما وضربوهما فى السوق وقال وهب بعث عيسى هذين الرسولين الى انطاكية فأتياها فلم يصلا الى ملكها وطالت مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرا الله تعالى فغضب الملك فأمر بهما فحبسا وجلد كل واحد

منهما مائة جلدة قالوا فلما كذب الرسولان وضربا بعث عيسى رأس الحواريين شمعون الصفار على أثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلد متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره الى الملك فدعاه ورضى عشرته وأنس به وأكرمه ثم قال له ذات يوم أيها الملك انه بلغني أنك حبست رجلين فى السجن وضربتهما حين دعواك الى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال حال الغضب بيني وبين ذلك قال فان رأى الملك دعاهما حتى تطلع على ما عندهما فدعاهما الملك فلما حضرا بين يديه قال لشمعون استخبرهما فقال شمعون لهما من أرسلكما الى ههنا قالا الذى خلق كل شئ فقال لهما شمعون فصفاه وأوجزا فقالا انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال شمعون وما آيتكما قالا ما تتمناه نبرئ الاكمه والابرص ونشفى المرضى والزمنى باذن الله قال فأمر الملك فجيء بغلام مطموس العينين موضع عينيه كالجبهة فمازالا يدعوان الله تعالى حتى انشق موضع البصر فأخذا بندقتين من الطين فوضعاهما فى حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فعجب الملك فقال شمعون للملك ان أنت سألت الهك حتى يصنع لك صنيعا مثل هذا فيكون لك الشرف ولالهك فقال الملك ليس لى عنك سر اعلم ان الهنا الذى نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون اذا دخل الملك على الصنم يدخل لدخوله ويصلى كثيرا ويتضرع حتى ظنوا أنه على ملتهم فقال الملك للرسولين ان الهكما الذى تعبدانه يقدر على احياء ميت قالا الهنا يقدر على كل شئ فقال الملك ان ههنا ميتا قد مات منذ سبعة أيام وهو ابن الدهقان وأنا أخرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان أبوه غائبا فجاؤا بالميت وقد تغير وأروح فجعلا يدعوان ربهما علانية وجعل شمعون يدعو سرا فقام الميت وقال لهم انى قدمت منذ سبعة أيام مشركا فأدخلت فى سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا بالله ثم قال ان أبواب السماء فتحت لى فرأيت شابا حسن الوجه يتشفع لهؤلاء الثلاثة فقال الملك ومن الثلاثة فقال شمعون وهذان وأشار الى صاحبيه فتعجب الملك فلما علم شمعون ان قولهم قد أثر فى الملك أخبر بالحال ودعاه فآمن قوم وكان الملك ممن آمن وكفر آخرون (وقال) كعب ووهب بل كفر الملك وأجمع هو وقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيب بن مرى صاحب يس (وقال) ابن عباس ومقاتل اسمه حبيب بن اسرائيل النجار قال وهب وكان سقيما قد أثر فيه الجذام وكان منزله عند أقصى باب من أبواب مدينة انطاكية وكان مؤمنا ذا صدقة يجمع كسبه اذا أمسى فيقسمه نصفين يطعم نصفا عياله ويتصدق بالنصف الآخر فلما بلغه أن قومه قد قصدوا قتل الرسل جاءهم وكان قبل ذلك يكتم ايمانه ويعبد ربه فى غار فلما أتاه خبر الرسل أظهر دينه وذكر قومه ودعاهم الى طاعة المرسلين كما أخبر الله تعالى فى كتابه وذلك قوله تعالى وجاء من أقصى المدينة رجل

يس الى قوله مهتدون فقال له قومه أو أنت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن بالههم فقال ومالى لا أعبد الذى فطرنى واليه ترجعون الى قوله انى آمنت بربكم فاسمعون فلما قال لهم ذلك وثبوا اليه وثبة رجل واحد فقتلوه ولم يكن أحد يدفع عنه (وقال) عبد الله بن مسعود وطؤه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره (وقال) السدى كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومى حتى قطعوه وقتلوه وقال الحسن خرقوا خرقا فى حلقه وعلقوه فى سور المدينة ودفنوه فى سوق انطاكية فاوجب الله له الجنة فذلك قوله تعالى قيل ادخل الجنة فلما أفضى الى جنة الله وكرامته قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين قالوا فلما قتل حبيب غضب الله عليهم وعجل لهم النقمة وأمر جبريل فصاح بهم صيحة فماتوا عن آخرهم فذلك قوله تعالى وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين على غيرهم من كفار الامم ان كانت الاصيحة واحدة فاذا هم خامدون أى ميتون * أخبرنا أبو بكر الجمشاوى باسناده عن ابن أبى ليلى عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار مؤمن آل يس وعلى ابن أبى طالب كرم الله وجهه وهو أفضلهم

﴿قصة يونس بن متى عليه السلام﴾

قيل متى أمه ولم ينسب أحد من الانبيا الى أمه الا عيسى بن مريم ويونس بن متى عليهما السلام وهو الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه لا ينبغى لاحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى قال الله تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا الآيات قالت العلماء بأخبار القدماء كان يونس رجلا صالحا يتعبد فى جبل وكان فى قرية من قرى الموصل يقال لها نينوى وكان قومه يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم يونس بن متى عليه السلام بالنهى عن الكفر والامر بالتوحيد وكان يونس عليه السلام رجلا صالحا لا يصبر على الناس فلحق بالجبل يعبد الله تعالى فيه وكان حسن القراءة يستمع الى قراءته الوحش كما كان لداود فى زمانه وكان يعتريه حدة ولذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون مثله لخفة وعجلة ظهرت منه قال الله تعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل وقال تعالى ولا تكن كصاحب الحوت لانه كان قليل الصبر على قومه والمداراة لهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يونس بن متى فيه عجلة وخفة فلما حمل أعباء النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل ولذلك السبب ذهب مغاضبا * واختلف العلماء فى صفة مغاضبته وسبب ذلك ووقته فقال قوم ذهب مغاضبا لقومه وهى رواية الضحاك والعوفى عن ابن عباس قال كان يونس بن متى وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسبى منهم تسعة أسباط ونصفا وبقى

سبطان ونصف وكانوا اثني عشر سبطا فيهم النبوة والملك فأوحى الله تعالى الى شعياء
النبي أن سر الى حزقيا الملك وقل له يوجه نبيا قويا أمينا فاني ألقي الخوف في قلوب
أولئك الاسباط حتى يرسلوا معه بني اسرائيل فقال له الملك فمن ترى وكان في مملكته
خمسة من الانبياء فقال يونس فانه قوي أمين فدعا الملك يونس وأمره أن يخرج فقال
له يونس هل أمرك الله باخراجي قال لا قال هل سماني لك قال لا قال فههنا غيري
أنبياء أقوياء أمناء فألحوا عليه فخرج مغاضبا للنبي والملك ولقومه فأتى بحر الروم وكان
من أمره ما كان وقال الحسن البصري انما غاضب ربه من أجل انه أمره بالمسير الى
قومه لينذرهم بأسه ويدعوهم اليه فسأل ربه ان ينظره ليتأهب للشخوص اليهم فقال
له الامر أسرع من ذلك ولم ينظره حتى سأل أن ينظر الى أن يأخذ نعله يلبسها فقيل له
نحو القول الاول وكان رجلا في خلقه ضيق فقال أعجلني ربي أن آخذ نعلي فذهب
مغاضبا وروى شهر بن حوشب عن ابن عباس قال أتى جبريل يونس عليه السلام
فقال له انطلق الى أهل نينوى فأنذرهم أن العذاب قد حضرهم ان لم يتوبوا قال له
ألتمس دابة قال الامر أعجل من ذلك فغضب وانطلق الى البحر فركب سفينة فكان
من امره ما كان فعلى هذه الاقوال كانت رسالة يونس بعد نجاته من بطن الحوت قال
ابن عباس انما كانت رسالة يونس بعد أن نبذه الحوت ودليل هذا القول أن الله
تعالى ذكر قصة يونس في سورة الصافات ثم عقبها بقوله وأرسلناه الى مائة ألف
أو يزيدون وقال آخرون بل كانت قصة الحوت بعد دعائه قومه وتبليغه الرسالة
وانما ذهب عن قومه مغاضبا لربه اذ كشف عنهم العذاب بعدما أوعدهم به وذلك
أنه كره أن يكون بين قوم قد جربوا عليه الكذب والخلف فيما أوعدهم ولم يعلم
السبب الذي رفع به عنهم العذاب والهلاك فخرج مغاضبا وقال والله لا أرجع
اليهم كذابا أبدا أوعدتهم العذاب في يوم ولم يأتهم * وفي بعض الاخبار أن
قومه كان من عادتهم أن يقتلوا من جربوا عليه الكذب فلما لم يأتهم العذاب
للميعاد الذي أوعدهم خشي أن يقتلوه فغضب وقال كيف أرجع الى قومي
وقد أخلفتهم الوعد ولم يعلم سبب صرف العذاب عنهم لانه قد كان خرج من بين
أظهرهم لنزول العذاب قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بعث الله يونس بن متى
الى قومه وهو ابن ثلاثين سنة فاقام فيهم يدعوهم الى الله تعالى ثلاثا وثلاثين سنة فلم
يؤمن به الا رجلان أحدهما روبيل وكان عالما حكيما والآخر تنوخا وكان عابدا زاهدا
قال ابن عباس وابن مسعود وغيرهما لما أيس من ايمان قومه دعا عليهم فقيل له
ما أسرع ما دعوت على قومك ارجع اليهم فادعهم اربعين ليلة أخرى فان اجابوك
والا فاني مرسل عليهم العذاب فرجع ودعاهم سبعا وثلاثين ليلة فلم يجيبوه فقام

خطيبا فيهم وقال انى محذركم العذاب الى ثلاثة أيام ان لم تؤمنوا ثم قال لهم ان آية ذلك ان تتغير الوانكم فلما أصبحوا تغيرت الوانهم فقالوا لبعضهم قد نزل بكم ما قال يونس وانا لم نجرب عليه كذبا فانظروا فان بات فيكم الليلة فأمنوا من العذاب وان لم يبت فيكم فاعلموا أن العذاب مصبحكم فلما كانت ليلة الاربعين و رآى يونس تغير الوانهم علم أن العذاب نازل بهم فخرج من بين اظهرهم فلما أصبحوا تغشاهم العذاب قال سعيد بن جبير كما يغشى الثراب القبر اذا دخل فيه صاحبه وقال مقاتل كان العذاب فوق رؤسهم قدر ميل وقال ابن عباس قدر ثلثى ميل وقال وهب اغامت السماء غيما أسود هائلا تدخن دخانا شديدا فهبط حتى غشى مدينتهم واسودت اسطحتهم فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك والعذاب فطلبوا نبيهم يونس فلم يجدوه فقذف الله فى قلوبهم التوبة والهمهم الرجوع اليه فخرجوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح واظهروا الايمان والتوبة لله وأخلصوا النية وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والدواب والانعام فحن بعضها الى بعض وعلت اصواتهم واختلط حنينهم وعجوا وتضرعوا الى الله وقالوا آمنا بما جاء به يونس فرحمهم ربهم واستجاب دعوتهم وقبل توبتهم وكشف عنهم العذاب بعد ما اظلهم وذلك يوم عاشوراء وقيل كان يوم الاربعاء للنصف من شوال قال ابن مسعود وبلغ من توبة أهل نينوى أن ترادوا المظالم بينهم حتى ان الرجل ليأتى الى الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيقتلعه ويرده * وروى صالح المرى عن عمران الجونى عن أبى خالد قال لما غشى قوم يونس العذاب مشوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا له قد نزل بنا العذاب فما ترى قال قولوا ياحى حين لا حى ياحى حين تحى الموتى لا اله الا أنت فقالوها فكشف الله عنهم العذاب ومتعوا الى حين كما قال تعالى فلولا كانت قرية آمنت أى فلم تكن قرية آمنت وضع التحضيض موضع النفى لان فيه ضربا من الجحد فنفعها ايمانها فى وقت اليأس عند معاينة العذاب الا قوم يونس لما آمنوا نفعهم ايمانهم فى ذلك الوقت لما علم الله من صدقهم كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين قالوا وكان يونس قد خرج من بين أظهرهم وقام ينتظر العذاب والهلاك لقومه فلم ير شيأ وكان من كذب ولم يكن له بينة قتل قال يونس كيف أرجع الى قومى وقد كذبتهم فانطلق معاتبا لربه مغاضبا الى قومه فاتى البحر كما قال تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه أى أن لن نقضى عليه العقوبة تقول العرب قدر الله الشئ يقدره تقديرا وقدره يقدره قدرا وقد قرئ بهما جميعا فى قوله تعالى نحن قدرنا بينكم الموت وقوله تعالى الذى قدر فهدى هذا قول اكثر المفسرين وقال عطاء معناه فظن أن لن نضيق عليه الحبس من قول الله تعالى

الله يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر أى و يضيق وقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه وقال
ابن زيد هو استفهام معناه أفظن أن لن نقدر عليه وقال الحسن معناه فظن أن يعجز
ربه فلا يقدر عليه قال و بلغنى أن يونس لما أصاب الذنب انطلق مغاضبا ربه فاستزله
الشيطان حتى ظن أن لن نقدر عليه وكان له سلف وعبادة فأبى الله أن يدعه
للشيطان فلما أتى يونس البحر اذا قوم يركبون سفينة فحملوه بغير أجرة فلما دخلها
احتبست السفينة ووقفت والسفن تسير يمينا وشمالا فقال الملاحون ان فيها
عبدا آبقا من سيده وهذا رسم السفينة اذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فوقعت
القرعة على يونس فقال أنا الآبق فقالوا نلقى فى الماء فاقترعوا ثانيا وثالثا فخرجت
القرعة على يونس فزج نفسه فى الماء فذلك قوله تعالى فساهم فكان من المدحضين
فلما وقع فى الماء وكل الله به حوتا فابتلعه وأوحى الله تعالى الى الحوت انى لم اجعله لك
رزقا بل جعلناك له حرزا ومسكنا فخذه ولا تكسر له عظما ولا تخدش له لحما وابتلع
الحوت حوت آخر فاهوى به الى مسكنه فى البحر فالتقمه حوت آخر وانطلق به من
ذلك المكان حتى مر به على الايلة ثم مر به على دجلة ثم انطلق به الى نينوى ويقال
ان الله تعالى رقق له جلد الحوت حتى كان يرى جميع ما فى البحر فلما انتهى به الى
أسفل البحر سمع يونس حسا فقال فى نفسه ما هذا فأوحى الله تعالى اليه وهو فى بطن
الحوت ان هذا تسبيح دواب البحر فسبح وهو فى بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه
فقالوا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا معروفا بارض مجهولة قال ذلك عبدى يونس عصانى
فحبسته فى بطن الحوت فى البحر فقالوا العبد الصالح الذى كان يصعد لك منه فى كل
يوم وليلة عمل صالح قال نعم قال فشفعوا له عند ذلك وهو قوله فنادى فى الظلمات
أن لا اله الا أنت قال ابن عباس ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت سبحانك
انى كنت من الظالمين وروى سعيد بن المسيب عن سعد بن مالك قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول اسم الله الذى اذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى دعوة
يونس بن متى فقلت يا رسول الله هى ليونس بن متى خاصة أم لجماعة المسلمين فقال
هى ليونس خاصة ولجماعة المسلمين عامة اذا دعوا بها ألم تسمع قوله تعالى فنادى
فى الظلمات الى قوله وكذلك ننجى المؤمنين فلما دعا به يونس وشفعت له الملائكة
أمر الله الحوت فقذفه الى ساحل نينوى كما قال تعالى فنبذناه بالعراء أى بوجه الارض
وهو سقيم أى عليل ضعيف كالفرخ الممعط واختلفوا فى مدة مكث يونس فى بطن
الحوت فقال مقاتل ثلاثة أيام وقال عطاء سبعة أيام وقال الضحاك عشرين يوما وقال
السدى والكلبى أربعين يوما فلما اخرجه الله من بطن الحوت أنبت له شجرة من يقطين
وهو القرع فجعل يستظل بها ووكل الله به وعلة تختلف اليه فيشرب منها لبنا فذلك

قوله تعالى وأنبتنا عليه أي عنده شجرة من يقطين قالوا فيبست الشجرة فبكى عليها
فأوحى الله اليه أتبكي على شجرة يبست ولا تبكي على مائة ألف أو يزيدون أردت
ان اهلكهم ثم ذهب يونس فاذا هو بغلام يرعى غنما فقال من اين أنت يا غلام قال
انا من قوم يونس فقال له اذا رجعت اليهم فقل لهم انك لقيت يونس فقال الغلام
ان كنت يونس فانت تعلم انه ان لم يكن لي بينة قتلت فمن يشهد لي فقال يونس تشهد
لك هذه البقعة وهذه الشجرة وهذه الشاة واشار الى شاة من غنمه فقال له الغلام
فرهم قال لهم يونس اذا جاءكم هذا الغلام فاشهدوا له قالوا نعم فرجع الغلام الى قومه
ثم قال للملك انى قد لقيت يونس وانه يقرأ عليكم السلام فامر الملك بقتله وقال كذبت
فقال ان لي بينة فارسلوا معي احدا اشهده فارسلوا معه رجالا فاتى البقعة والشجرة
والشاة وقال انشدكم بالله هل أشهدكم يونس قالوا نعم فرجع القوم مذعورين وقالوا
للملك شهدت له الشجرة والارض والشاة فاخذ الملك بيد الغلام واجلسه في مجلسه
وقال أنت احق بهذا المكان مني قال فاقام لهم أمرهم ذلك الغلام أربعين سنة ثم
انهم خرجوا يلتمسون يونس فوجدوه ففرحوا به وآمنوا به فاقام لهم أمرهم * روى
أن يونس عليه السلام مضى من عندهم فنزل قرية ليلا فاضافه رجل وكان ذلك
الرجل قد عمل كثيرا من الفخار فاوحى الله اليه يا يونس مر صاحب هذا الفخار
أن يكسر تلك الفخارات فقال له يونس ذلك فلما سمع ذلك منه شتمه وقال شئ عملته
بيدي أعيش فيه واتمتع بثمنه انا وعيالي تأمرني بكسره فبكى يونس فاوحى الله اليه
هذا عمل فخار من طين لم تطب نفسه بكسره وانت طبت نفسا ووطنتها على هلاك
مائة ألف أو يزيدون من عبادي فمضى يونس وهبط واديا (قال) فلما شهدت الشجرة
والارض والشاة للغلام وكانت الشاة التي كانت مع الغلام قالت لهم ان أردتم يونس
فاهبطوا الى الوادي فهبطوا فاذا هم بيونس فانكبوا على رجليه يقبلونها وسألوه
ان يدخل معهم المدينة فقال لا حاجة لي في مدينتكم فبكوا والحوا عليه فأجابهم
للدخول فأتي له بعجلة من فضة واجلس عليها فتمثل له جبريل عليه السلام عاضا
على سبابته وهو ينادي هذا مجلس الجبارين فوثب يونس من العجلة وجعل يمشي
حتى دخل معهم المدينة فمكث مع أهله وولده أربعين ليلة ثم خرج سائحا وخرج الملك
معه وصير الغلام الراعي ملكا لتلك المدينة كما ذكرنا فلم يزالا سائحين يعبدان الله
تعالى حتى ماتا عليهما السلام وكانت نبوة يونس في زمان ملوك الطوائف والله أعلم

﴿باب في قصة أصحاب الكهف﴾

قال الله تعالى ام حسبت ان أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا اختلف
العلماء في الرقيم قال النعمان بن بشير الانصاري سمعت رسول الله صلى الله عليه

يسلم يذكر الرقيم قال ان ثلاثة نفر خرجوا يرتادون لاهلهم فبينما هم يمشون
اذ اصابتهم السماء فاووا الى الكهف فانحطت صخرة من الجبل عليهم فانطبقت
على باب الكهف فارصدت عليهم فقال قائل منهم كل منكم يذكر احسن عمل عمله
فلعل الله يرحمنا فقال رجل منهم قد عملت مرة حسنة كان لي أجراء يعملون عملا لي
فاستأجرت كل رجل منهم باجرة معلومة فجاء رجل منهم ذات يوم وسط النهار فاستأجرته
بشرط أصحابه فعمل في بقية نهاره كعمل رجل منهم نهاره كله فرأيت على من الاكرام
ان لا أنقصه شيأ مما استأجرت به أصحابه لما اجتهد في عمله فقال رجل منهم اتعطى
هذا مثل ما اعطيتني ولم يعمل الا نصف النهار فقلت له يا عبد الله لم أبخسك شيأ من
شرطك انما هو مالي احكم فيه بما شئت قال فغضب وذهب وترك اجرته فوضعت
حقه في جانب من البيت ماشاء الله ثم مر بي بعد ذلك بقر فاشتريت به فنميته
فبلغت ماشاء الله فمر بي بعد ذلك شيخ ضعيف لا اعرفه فقال لي ان لي عندك حقا
فقلت له اذكره لي حتى اعرفه قال فذكره فقلت له اياك أبغي وهذا حقك وعرضتها
عليه فقال يا عبد الله لا تسخر بي ان لم تتصدق على فاعطني حقي فقلت والله ما أسخر
ان هذا لحقك ومالي فيه شيء فدفعتها اليه اللهم ان كنت فعلت هذا لوجهك الكريم
فافرج عنا فانصدع الجبل حتى ابصروا الضوء وقال الآخر قد عملت حسنة مرة
كان لي فضل مال واصاب الناس شدة فجاءتني امرأة تطلب مني معروفا فقلت والله
ما هو دون نفسك فابت على وذهبت ثم انها رجعت فذكرتني بالله فابيت عليها وقلت
والله ما هو دون نفسك فابت على وذهبت وذكرت ذلك لزوجها فقال لها زوجها
أعطيه نفسك وأغني عيالك فرجعت الي تنشدني بالله فابيت عليها وقلت والله
ما هو دون نفسك فلما رأت ذلك أسلمت الي نفسها فلما كشفتها وهممت بها ارتعدت
من تحتي فقلت لها ماشأنك فقالت اني أخاف الله رب العالمين فقلت لها اخفتيه
في الشدة ولم أخفه في الرخاء فتركتها وأعطيتها ما تحب بما كشفتها اللهم ان كنت
فعلت هذا لوجهك الكريم فافرج عنا فانصدع الجبل حتى تعارفنا وقال الآخر
قد عملت حسنة مرة كان لي أبوان كبيران وكان لي غنم فكنت أطعم أبوي وأسقيهما ثم
ارجع الى غنمي قال فأصابني يوما غيث فحبسني حتى امسيت فأتيت أهلي وأخذت
محلبي فحلبت غنمي وتركتها قائمة مكانها ومضيت الى أبوي فوجدتهما قد ناما فشق
على أن أوقظهما وشق على أن أترك غنمي فبرحت جالسا ومحلبي في يدي حتى
أيقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك الكريم فافرج عنا ما نحن
فيه قال النعمان لكأني أسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كأن الجبل
طبق ففرج الله عنهم فخرجوا (وقال) ابن عباس الرقيم واد بين غطفان وايلة دون

فلسطين وهو الوادى الذى فيه أصحاب الكهف قال كعب هى قريتهم وقال سعيد
ابن جبير وغيره من أئمة الاخبار الرقيم لوح من حجارة وقيل من رصاص كتبوا فيه اسماء
أهل الكهف وقصتهم ثم جعلوه فى صندوق ووضعوه على باب الكهف ثم ذكر الله خبر
أصحاب الكهف فقال اذ اوى الفتيه الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة قال
أهل التفسير وأصحاب التواريخ كان امر أصحاب الكهف فى أيام ملوك الطوائف
بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وأما قصتهم فيقال لما ولى أمير المؤمنين
عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخلافة أتاه قوم من احبار اليهود فقالوا له يا عمر انت ولى
الامر بعد محمد صلى الله عليه وسلم وصاحبه وانا نريد أن نسألك عن خصال ان اخبرتنا
بها علمنا أن الاسلام حق وان محمدا كان نبيا وان لم تخبرنا بها علمنا أن الاسلام باطل
وان محمدا لم يكن نبيا فقال عمر سلوا عما بدا لكم قالوا اخبرنا عن أقفال السموات ماهى
وأخبرنا عن مفاتيح السموات ماهى وأخبرنا عن قبر سار بصاحبه ماهو وأخبرنا عمن أنذر
قومه لا هو من الجن ولا هو من الانس وأخبرنا عن خمسة أشياء مشوا على وجه
الارض ولم يخلقوا فى الارحام وأخبرنا مايقول الدراج فى صياحه ومايقول الديك فى
صراخه ومايقول الفرس فى صهيله ومايقول الضفدع فى نقيقه ومايقول الحمار فى
نهيقه ومايقول القنبر فى صفيره (قال) فنكس عمر رأسه فى الارض ثم قال لا عيب
بعمر اذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا اعلم وأن يسأل عما لا يعلم فوثبت اليهود وقالوا نشهد
أن محمدا لم يكن نبيا وان الاسلام باطل فوثب سلمان الفارسى وقال لليهود قفوا قليلا
ثم توجه نحو على بن أبى طالب كرم الله وجهه حتى دخل عليه فقال يا أبا الحسن أغث
الاسلام فقال وماذاك فأخبره الخبر فاقبل يرفل فى بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما نظر اليه عمر وثب قائما فاعتنقه وقال يا أبا الحسن أنت لكل معضلة وشدة تدعى
فدعا على كرم الله وجهه اليهود فقال سلوا عما بدا لكم فان النبى صلى الله عليه وسلم علمنى
ألف باب من العلم فتشعب لى من كل باب ألف باب فسألوه عنها فقال على كرم الله
وجهه ان لى عليكم شريطة اذا أخبرتكم كما فى توراتكم دخلتم فى ديننا وآمنتم فقالوا نعم
فقال سلوا عن خصلة خصلة قالوا أخبرنا عن أقفال السموات ماهى قال أقفال
السموات الشرك بالله لان العبد والامة اذا كانا مشركين لم يرتفع لهما عمل قالوا فأخبرنا
عن مفاتيح السموات ماهى قال شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله قال
فجعل بعضهم ينظر الى بعض ويقولون صدق الفتى قالوا فأخبرنا عن قبر سار بصاحبه
فقال ذلك الحوت الذى التقم يونس بن متى فسار به فى البحار السبعة فقالوا أخبرنا عمن
أنذر قومه لا هو من الجن ولا من الانس قال هى نملة سليمان بن داود قالت يا أيها النمل
ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون قالوا فأخبرنا عن

خمسة

سنة مشوا على الارض ولم يخلقوا فى الارحام قال ذلكم آدم وحواء وناقة صالح وكبش
براهيم وعصا موسى قالوا فأخبرنا ما يقول الدراج فى صياحه قال يقول الرحمن على
العرش استوى قالوا فأخبرنا ما يقول الديك فى صراخه قال يقول اذكروا الله ياغافلين
قالوا أخبرنا ما يقول الفرس فى صهيله قال يقول اذا مشى المؤمنون الى الكافرين
للجهاد اللهم انصر عبادك المؤمنين على الكافرين قالوا فأخبرنا ما يقول الحمار فى نهيقه
قال يقول لعن الله العشار وينهق فى أعين الشياطين قالوا فأخبرنا ما يقول الضفدع فى
نقيقه قال يقول سبحان ربى المعبود المسبح فى لجج البحار قالوا فأخبرنا ما يقول القنبر فى
صفيره قال يقول اللهم العن مبغضى محمد وآل محمد وكان اليهود ثلاثة نفر قال اثنان
منهم نشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ووثب الحبر الثالث فقال يا على لقد
وقع فى قلوب أصحابى ما وقع من الايمان والتصديق وقد بقى خصلة واحدة أسألك عنها
فقال سل عما بدالك فقال أخبرنى عن قوم فى أول الزمان ماتوا ثلثمائة وتسع سنين
ثم أحياهم الله فما كان من قصتهم قال على رضى الله عنه يا يهودى هؤلاء أصحاب
الكهف وقد أنزل الله على نبينا قرآنا فيه قصتهم وان شئت قرأت عليك قصتهم فقال
اليهودى ما أكثر ما قد سمعنا قراءتكم ان كنت عالما فأخبرنى باسمائهم وأسماء آبائهم
وأسماء مدينتهم واسم ملكهم واسم كلبهم واسم جبلهم واسم كهفهم وقصتهم من
أولها الى آخرها فاحتبى على كرم الله وجهه ببردة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال
يا أخا العرب حدثنى حبيبى محمد صلى الله عليه وسلم أنه كان بأرض رومية مدينة يقال
لها أفسوس ويقال هى طرسوس وكان اسمها فى الجاهلية أفسوس فلما جاء الاسلام
سموها طرسوس قال وكان لهم ملك صالح فمات ملكهم وانتشر أمرهم فسمع بهم ملك
من ملوك فارس يقال له دقيانوس وكان جبارا كافرا فأقبل فى عساكره حتى دخل
أفسوس فاتخذها دار ملكه وبنى فيها قصرا فوثب اليهودى وقال ان كنت عالما
فصف لى ذلك القصر ومجالسه فقال يا أخا اليهود ابتنى فيها قصرا من الرخام طوله فرسخ
فى عرض فرسخ واتخذ فيه أربعة آلاف اسطوانة من الذهب وألف قنديل من
الذهب لها سلاسل من اللجين تسرج فى كل ليلة بالادهان الطيبة واتخذ لشرقى
المجلس مائة وثمانين كوة ولغربيه كذلك وكانت الشمس من حين تطلع الى حين
تغيب تدور فى المجلس كيفما دارت واتخذ فيه سريرا من الذهب طوله ثمانون ذراعا فى
عرض أربعين ذراعا مرصعا بالجوهر ونصب على يمين السرير ثمانين كرسيا من الذهب
فأجلس عليها بطارقته واتخذ أيضا ثمانين كرسيا من الذهب عن يساره فأجلس
عليها هراقلته ثم جلس هو على السرير ووضع التاج على رأسه فوثب اليهودى وقال
يا على ان كنت عالما فأخبرنى مم كان تاجه فقال يا أخا اليهود كان تاجه من الذهب

السرير له تسعة أركان على كل ركن لؤلؤة تضئ كما تضئ المصباح فى الليلة الظلما
واتخذ خمسين غلاما من أبناء البطارقة فمنطقهم بمناطق الديباج الاحمر وسرولهم
بسراويل القز الاخضر وتوجهم ودملجهم وخلخلهم وأعطاهم عمد الذهب وأقامهم على
رأسه واصطنع ست غلمة من أولاد العلماء وجعلهم وزراءه فما يقطع أمرا دونهم وأقام
منهم ثلاثة عن يمينه وثلاثة عن يساره فوثب اليهودى وقال يا على ان كنت صادقا
فأخبرنى ما كانت أسماء الستة فقال على كرم الله وجهه حدثنى حبيبى محمد صلى الله
عليه وسلم أن الذين كانوا عن يمينه أسماؤهم تمليخا ومكسلمينا ومحسلمينا وأما الذين
كانوا عن يساره فرطليوس وكشطوس وسادينوس وكان يستشيرهم فى جميع
أموره وكان اذا جلس كل يوم فى صحن داره واجتمع الناس عنده دخل من باب الدار
ثلاثة غلمة فى يد أحدهم جام من الذهب مملوء من المسك وفى يد الثانى جام من فضة
مملوء من ماء الورد وعلى يد الثالث طائر فيصيح به فيطير الطائر حتى يقع فى جام ماء الورد
فيتمرغ فيه فينشف ما فيه بريشه وجناحيه ثم يصيح به الثانى فيطير فيقع فى جام المسك
فيتمرغ فيه فينشف ما فيه بريشه وجناحيه ثم يصيح به الثالث فيطير فيقع على تاج
الملك فينفض ريشه وجناحيه على رأس الملك بما فيه من المسك وماء الورد فمكث
الملك فى ملكه ثلاثين سنة من غير أن يصيبه صداع ولا وجع ولا حمى ولا لعاب
ولا بصاق ولا مخاط فلما رأى ذلك من نفسه عتا وطغى وتجبر واستعصى وادعى الربوبية
من دون الله تعالى ودعا اليه وجوه قومه فكل من أجابه أعطاه وحباه وكساه وخلع
عليه ومن لم يجبه ويتابعه قتله فأجابوه بأجمعهم فأقاموا فى ملكه زمانا يعبدونه من
دون الله تعالى فبينما هو ذات يوم جالس فى عيد له على سريره والتاج على رأسه اذ أتى
بعض بطارقته فأخبره أن عساكر الفرس قد غشيته يريدون قتاله فاغتم لذلك غما
شديدا حتى سقط التاج عن رأسه وسقط هو عن سريره فنظر أحد فتيته الثلاثة الذين
كانوا عن يمينه الى ذلك وكان عاقلا يقال له تمليخا فتفكر وتذكر فى نفسه وقال لو كان
دقيانوس هذا الها كما يزعم لما حزن ولما كان ينام ولما كان يبول ويتغوط وليست
هذه الافعال من صفات الاله وكانت الفتية الستة يكونون كل يوم عند واحد منهم
وكان ذلك اليوم نوبة تمليخا فاجتمعوا عنده فأكلوا وشربوا ولم يأكل تمليخا ولم يشرب
فقالوا يا تمليخا مالك لا تأكل ولا تشرب فقال يا اخوتى وقع فى قلبى شئ منعنى عن
الطعام والشراب والمنام فقالوا وما هو يا تمليخا فقال أطلت فكرى فى هذه السماء فقلت
من رفعها سقفا محفوظا بلا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها ومن أجرى فيها شمسها
وقمرها ومن زينها بالنجوم ثم أطلت فكرى فى هذه الارض من سطحها على ظهر اليم
الزاخر ومن حبسها وربطها بالجبال الرواسى لئلا تميد ثم أطلت فكرى فى نفسى

فقلت

قلت من أخرجني جنينا من بطن أمي ومن غذاني ورباني ان هذا صانعا ومدبرا سوى
دقيانوس الملك فانكبت الفتية على رجليه يقبلونها وقالوا يا تمليخا لقد وقع في قلوبنا
ما وقع في قلبك فاشر علينا فقال يا اخوتي ما أجد لي ولكم حيلة الا الهرب من هذا
الجبار الى ملك السموات والارض فقالوا الرأي ما رأيت فوثب تمليخا فابتاع تمرا بثلاثة
دراهم وصرها في ردائه وركبوا خيولهم وخرجوا فلما ساروا قدر ثلاثة أميال
من المدينة قال لهم تمليخا يا اخوتاه قد ذهب عنا ملك الدنيا وزال عنا أمره
فانزلوا عن خيولكم وامشوا على أرجلكم لعل الله يجعل لكم من أمركم فرجا
ومخرجا فنزلوا عن خيولهم ومشوا على أرجلهم سبع فراسخ حتى صارت
أرجلهم تقطر دما لانهم لم يعتادوا المشي على اقدامهم فاستقبلهم رجل راع فقالوا
أيها الراعي أعندك شربة ماء أو لبن فقال عندي ما تحبون ولكني أرى وجوهكم
وجوه الملوك وما أظنكم الا هرابا فأخبروني بقصتكم فقالوا يا هذا انا دخلنا في دين
لا يحل لنا الكذب أفينجينا الصدق قال نعم فأخبروه بقصتهم فانكب الراعي على أرجلهم
يقبلها ويقول قد وقع في قلبي ما وقع في قلوبكم فقفوا الى ههنا حتى أرد الاغنام الى
اربابها واعود اليكم فوقفوا له فردها وأقبل يسعى فتبعه كلب له فوثب اليهودي قائما
وقال يا علي ان كنت عالما فأخبرني ما كان لون الكلب واسمه فقال يا أخا اليهود
حدثني حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم أن الكلب كان أبلق بسواد وكان اسمه قطميرا
قال الاستاذ اختلف العلماء في لون كلب أصحاب الكهف فقال ابن عباس كان انمر
وقال مقاتل كان اصفر وقال محمد بن كعب كان من شدة حمرته وصفرته يضرب الى
الحمرة وقال الكلبي لونه كالثلج وقيل لون الهرة وقيل لون السماء واختلفوا في اسمه
أيضا فروي عن علي كرم الله وجهه ان اسمه ريان وقال ابن عباس كان اسمه قطميرا
وهي احدى الروايات عن علي وقال شعيب الجبائي كان اسمه حمرا وقال الاوزاعي
مشوى وقال مجاهد قنطوريا وقال عبد الله بن سلام بسيط وقال كعب كان أصهب
واسمه تغى واخبرني ابن فنجويه باسناده عن أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه ان اسم
كلبهم كان قطمورا وقيل قطفير أخبرني أبو علي الزهري باسناده عن ابن عباس
في قوله تعالى ما يعلمهم الا قليل قال أنا من أولئك القليل هم مكسلمينا وتمليخا
ومرطليوس وبينوس وساونوس ودوانوس وكشطوس وهو الراعي والكلب اسمه
قطمير كلب انمر فوق القلطي ودون الكركي وقال محمد بن اسمت القلطي الكلب
الصغير وقال ما بقي بنيسابور محدث الا كتب عني هذا الحديث وكنيته أبو عمرو الحيري
عني رجعنا الى الحديث قال فلما نظر الفتية الى الكلب قال بعضهم لبعض انا نخاف
ان يفضحنا هذا الكلب بنبحه فألحوا عليه طردا بالحجارة فلما نظر اليهم الكلب وقد

ألحوا عليه بالحجارة والطرد أقعى على رجليه وتمطى وقال بلسان طلق ذلق ياقوم لم تطردونني وأنا اشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له دعوني أحرسكم من عدوكم وأتقرب بذلك الى الله سبحانه وتعالى فتركوه ومضوا فصعد بهم الراعي جبلا وانحط بهم على كهف فوثب اليهودي وقال يا علي ما اسم ذلك الجبل وما اسم الكهف قال أمير المؤمنين يا أخا اليهود اسم الجبل ناجلوس واسم الكهف الوصيد وقيل خيرم رجعنا الى الحديث قال واذا بفناء الكهف أشجار مثمرة وعين غزيرة فأكلوا من الثمار وشربوا من الماء وجنهم الليل فأووا الى الكهف وربض الكلب على باب الكهف ومد يديه عليه وأمر الله ملك الموت بقبض أرواحهم ووكل الله تعالى بكل رجل منهم ملكين يقلبانه من ذات اليمين الى ذات الشمال ومن ذات الشمال الى ذات اليمين * قال ابن عباس كانوا يقلبون في السنة مرة لئلا تأكل الارض لحومهم ويقال ان يوم عاشوراء كان يوم تقلبهم قال ابو هريرة كان لهم في كل سنة تقليبتان (رجعنا الى الحديث) قال وأوحى الله تعالى الى الشمس فكانت تزاور عن كهفهم ذات اليمين اذا طلعت واذا غربت تقرضهم ذات الشمال فلما رجع الملك دقيانوس من عيده سأل عن الفتية فقيل له انهم اتخذوا الها غيرك وخرجوا هاربين منك فركب في ثمانين ألف فارس وجعل يقفو آثارهم حتى صعد الجبل وشارف الكهف فنظر اليهم مضطجعين فظن أنهم نيام فقال لاصحابه لو أردت أن أعاقبهم بشيء ما عاقبتهم بأكثر مما عاقبوا به أنفسهم فأتوني بالبنائين فأتي بهم فردموا عليهم باب الكهف بالجبس والحجارة ثم قال لاصحابه قولوا لهم يقولوا لالههم الذي في السماء ان كانوا صادقين يخرجهم من هذا الموضع فمكثوا ثلثمائة وتسع سنين فنفخ الله فيهم الروح وهموا من رقدتهم لما بزغت الشمس فقال بعضهم لبعض لقد غفلنا هذه الليلة عن عبادة الله تعالى قوموا بنا الى العين فاذا بالعين قد غارت والاشجار قد جفت فقال بعضهم لبعض انا من امرنا هذا في عجب مثل هذه العين قد غارت في ليلة واحدة ومثل هذه الاشجار قد جفت في ليلة واحدة فالقى الله عليهم الجوع فقالوا ايكم يذهب بورقكم هذه الى المدينة فليأتنا بطعام منها ولينظران لا يكون من الطعام الذي يعجن بشحم الخنازير وذلك قوله تعالى فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما اي أحل واجود واطيب فقال لهم تمليخا يا اخوتي لا يأتيكم أحد بالطعام غيري ولكن أيها الراعي ادفع الي ثيابك وخذ ثيابي فلبس ثياب الراعي ومر وكان يمر بمواضع لا يعرفها وطريق ينكرها حتى أتى باب المدينة فاذا عليه علم اخضر مكتوب عليه لا اله الا الله عيسى روح الله صلى الله على نبينا وعليه وسلم فطفق الفتى ينظر اليه ويمسح عينيه ويقول اراني نائما فلما طال عليه ذلك دخل المدينة فمر باقوام يقرؤن الانجيل واستقبله اقوام لا يعرفهم

انتهى الى السوق فاذا هو بخباز فقال له يا خباز ما اسم مدينتكم هذه قال أفسوس
وما اسم ملككم قال عبد الرحمن قال تمليخا ان كنت صادقا فان أمرى عجيب ادفع
لى بهذه الدراهم طعاما وكانت دراهم ذلك الزمان الاول ثقالا كبارا فعجب الخباز
من تلك الدراهم فوثب اليهودى وقال يا على ان كنت عالما فأخبرنى كم كان وزن
الدرهم منها فقال يا أخا اليهود أخبرنى حبيبى محمد صلى الله عليه وسلم أن وزن كل درهم
منها عشرة دراهم وثلثا درهم * فقال له الخباز يا هذا انك قد أصبت كنزا فأعطنى بعضه
والا ذهبت بك الى الملك فقال تمليخا ما أصبت كنزا وانما هذا من ثمن تمر بعته بثلاثة
دراهم منذ ثلاثة أيام وقد خرجت من هذه المدينة وهم يعبدون دقيانوس الملك
فغضب الخباز وقال ألا ترضى ان أصبت كنزا أن تعطينى بعضه حتى تذكر رجلا
جبارا كان يدعى الربوبية قد مات منذ ثلثمائة سنة وتسخر بى ثم أمسكه واجتمع الناس
ثم انهم أتوا به الى الملك وكان عاقلا عادلا فقال لهم ما قصة هذا الفتى قالوا أصاب كنزا
فقال له الملك لا تخف فان نبينا عيسى عليه السلام أمرنا أن لا نأخذ من الكنوز
الا خمسها فادفع الى خمس هذا الكنز وامض سالما فقال أيها الملك تثبت فى أمرى
ما أصبت كنزا وانما أنا من أهل هذه المدينة فقال له أنت من أهلها قال نعم قال أفتعرف
فيها أحدا قال نعم قال فسم لنا فسمى له نحوا من ألف رجل فلم يعرفوا منهم رجلا
واحدا قالوا يا هذا ما نعرف هذه الاسماء وليست هى من اسماء أهل زماننا ولكن هل
لك فى هذه المدينة دار فقال نعم أيها الملك فابعث معى أحدا فبعث معه الملك جماعة
حتى أتى بهم دارا أرفع دار فى المدينة وقال هذه دارى ثم قرع الباب فخرج لهم شيخ
كبير قد استرخى حاجباه من الكبر على عينيه وهو فزع مرعوب مذعور فقال أيها
الناس ما بالكم فقال له رسول الملك أن هذا الغلام يزعم أن هذه الدار داره فغضب
الشيخ والتفت الى تمليخا وتبينه وقال له ما اسمك قال تمليخا بن فلسطين فقال له الشيخ
أعد على فاعاد عليه فانكب الشيخ على يديه ورجليه يقبلهما وقال هذا جدى ورب
الكعبة وهو أحد الفتية الذين هربوا من دقيانوس الملك الجبار الى جبار السموات
والارض ولقد كان عيسى عليه السلام أخبرنا بقصتهم وأنهم سيحيون فانهى ذلك
الى الملك فركب الملك وأتى اليهم وحضرهم فلما رأى الملك تمليخا نزل عن فرسه وحمل
تمليخا على عاتقه فجعل الناس يقبلون يديه ورجليه ويقولون له يا تمليخا ما فعل باصحابك
فاخبرهم أنهم فى الكهف وكانت المدينة قد وليها رجلان ملك مسلم وملك نصرانى
فركبا فى أصحابهما واخذا تمليخا فلما صاروا قريبا من الكهف قال لهم تمليخا يا قوم
انى أخاف أن اخوتى يحسون بوقع حوافر الخيل والدواب وصلصلة اللجم والسلاح
فيظنون أن دقيانوس قد غشيهم فيموتون جميعا فقفوا قليلا حتى أدخل عليهم

فأخبرهم فوقف الناس ودخل عليهم تمليخا فوثب اليه الفتية واعتنقوه وقالوا الحمد لله الذى نجاك من دقيانوس فقال دعونى منكم ومن دقيانوس كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قال بل لبثتم ثلثمائة وتسع سنين وقد مات دقيانوس وانقرض قرن بعد قرن وآمن أهل المدينة بالله العظيم وقد جاؤكم فقالوا له يا تمليخا تريد أن تصيرنا فتنة للعالمين قال فماذا تريدون قالوا ارفع يديك ونرفع أيدينا فرفعوا أيديهم وقالوا اللهم بحق ما أريتنا من العجائب فى انفسنا الا قبضت أرواحنا ولم يطلع علينا أحد فأمر الله ملك الموت فقبض أرواحهم وطمس الله باب الكهف وأقبل الملكان يطوفان حول الكهف سبعة أيام فلا يجدان له بابا ولا منفذا ولا مسلكا فايقنا حينئذ بلطيف صنع الله الكريم وأن أحوالهم كانت عبرة اراهم الله اياها فقال المسلم على دينى ماتوا أنا أبنى على باب الكهف مسجدا وقال النصرانى بل ماتوا على دينى فانا أبنى على باب الكهف ديرا فاقتتل الملكان فغلب المسلم النصرانى فبنى على باب الكهف مسجدا فذلك قوله تعالى قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا وذلك يا يهودى ما كان من قصتهم * ثم قال على كرم الله وجهه لليهودى سألتك بالله يا يهودى أوافق هذا ما فى توراتكم فقال اليهودى مازدت حرفا ولا نقصت حرفا يا أبا الحسن لا تسمنى يهوديا فأشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأنك أعلم هذه الامة * وقال عبيد بن عمير كان أصحاب الكهف فتيانا مطوقين مسورين ذوى ذوائب وكان معهم كلب صيدهم فخرجوا فى عيد لهم عظيم فى زى وموكب وأخرجوا معهم آلهتهم التى كانوا يعبدونها من دون الله فقذف الله فى قلوبهم الايمان وكان أحدهم وزير الملك فآمنوا واخفى كل واحد منهم الايمان عن صاحبه فقالوا فى أنفسهم من غير أن يظهر بعضهم لبعض نخرج من بين أظهر هؤلاء القوم لئلا يصيبنا عقاب بجرمهم فخرج شاب منهم حتى انتهى الى ظل شجرة فجلس فيه ثم خرج آخر فرآه جالسا وحده فرجا أن يكون على مثل أمره من غير أن يظهر ذلك فجلس اليه ثم خرج الآخرون فجاؤا فجلسوا اليهم واجتمعوا فقال بعضهم لبعض ما جمعكم وكل واحد يكتم عن صاحبه ايمانه مخافة على نفسه ثم قالوا لبعضهم ليخرج كل فتيين منكم فيخلوا ثم ليفش كل واحد منكم أمره الى صاحبه فخرج فتيان منهم فتوافقا ثم تكلما فذكر كل واحد منهما أمره لصاحبه فاقبلا وهما مستبشران الى أصحابهما فقالا قد اتفقنا على امر واحد واذاهم جميعا على الايمان واذا كهف فى الجبل قريب منهم فقال بعضهم لبعض فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيدهم فناموا ثلثمائة سنة وتسع سنين قال وفقدهم قومهم فطلبوهم فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم فلما لم يقدروا عليهم كتبوا اسماءهم وأنسابهم

سموا فى لوح فلان وفلان ابناء ملوكنا فقدناهم فى يوم كذا فى شهر كذا من سنة كذا مملكة فلان بن فلان ووضعوا اللوح فى خزانة الملك وقالوا ليكونن لهذا شأن ومات ذلك الملك وجاء قرن بعد قرن * واخبرنا الحسن بن الحسين الثقفى باسناده عن أبى جعفر الباقر قال كان أصحاب الكهف صيارفة * وقال وهب بن منبه جاء حوارى من أصحاب عيسى عليه السلام الى مدينة أصحاب الكهف فاراد أن يدخلها فقيل له ان على بابها صنما لا يدخلها احد الا سجد له فكره أن يدخلها فأتى الى حمام قريب من تلك المدينة وأجر نفسه من الحمامى وكان يعمل فيه فرأى صاحب الحمام فى حمامه البركة ودر عليه الرزق فجعل يقوم عليه وتعلق به فتية من أهل المدينة فجعل يخبرهم خبر السماء والارض وخبر الآخرة حتى آمنوا به وصدقوه وكانوا على مثل حاله فى حسن الهيئة وكان يشرط على صاحب الحمام أن الليل لى لا يحول بينى وبينه أحد فيصلى فكان على ذلك الحال حتى أتى ابن الملك الحمام بامرأة فدخل بها الحمام فعيره بها الحوارى وقال له أنت ابن الملك وتدخل مع هذه فاستحى ابن الملك وذهب ثم رجع مرة أخرى فقال له مثل ذلك فسبه وانتهره ولم يلتفت اليه ثم انهما دخلا معا فماتا جميعا فى الحمام فأتى الملك وقيل له قتل صاحب الحمام ابنك فالتمس فلم يقدر عليه فقال من كان يصحبه فسموا الفتية فالتمسوا فخرجوا من المدينة فمروا بصاحب لهم فى زرع وهو على مثل ايمانهم فذكروا أنهم التمسوا فانطلق معهم ومعه كلبه حتى أواهم الليل الى الكهف فدخلوا وقالوا نبيت ههنا الليلة ثم نصبح ان شاء الله تعالى فترون رأيكم فضرب الله على آذانهم فخرج الملك فى أصحابه يطلبونهم حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف وكان كلما اراد الرجل منهم أن يدخل الكهف أرعب فلم يطق احد أن يدخله فقال قائل أليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف واتركهم فيه يموتوا عطشا وجوعا ففعل ذلك قال وهب فتركهم بعد ما سدوا عليهم باب الكهف ومضى زمان بعد زمان ثم ان راعيا ادركه المطر عند باب الكهف فقال لو فتحت باب هذا الكهف فادخلت فيه غنمى من المطر فلم يزل يعالجه حتى فتح الباب ورد الله اليهم ارواحهم من الغد حين أصبحوا * وقال محمد بن اسحق مرج أهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت فيهم الملوك حتى عبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكون بعبادة الله تعالى وتوحيده فكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له دقيانوس كان عبد الاصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه فى ذلك ممن اقام على دين المسيح وكان ينزل قرى الروم فلا يترك فى قرية نزلها احدا بدين دين المسيح الا قتله حتى نزل مدينة أصحاب الكهف وهى أفسوس فلما نزلها كبر ذلك على أهل الايمان فاستخفوا منه وهربوا فى كل ناحية وكان

دقيانوس قد امر حين دخلها أن يتبع أهل الايمان فيجمعوا اليه واتخذ شرطاه كفار اهلها وجعلوا يتبعون أهل الايمان فى اماكنهم فيخرجونهم الى دقيانوس فيقدمهم الى الجامع الذى يذبح فيه للطواغيت فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان والذبح للطواغيت فمن القوم من يرغب فى الحياة ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله سبحانه وتعالى فيقتل فلما رأى ذلك أهل الشدة فى الايمان بالله جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب والقتل فيقتلون ثم يقطعون ويربط ما قطع من أجسامهم على سور المدينة من نواحيها كلها وعلى كل باب من أبوابها حتى عظمت الفتنة على أهل الايمان فمنهم من أقر فترك ومنهم من صلب على دينه وقتل فلما رأى ذلك الفتية حزنوا حزنا شديدا فقاموا وصلوا واشتغلوا بالتسبيح والتقديس والدعاء وكانوا من اشراف الروم وكانوا ثمانية نفر فبكوا وتضرعوا وجعلوا يقولون ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا اشططا ربنا اكشف عن عبادك المؤمنين الفتنة وارفع عنهم هذا البلاء وأنعم على عبادك الذين آمنوا بك فبينما هم على ذلك اذ أدركهم الشرط وكانوا قد دخلوا فى مصلى لهم فوجدوهم سجودا على وجوههم يبكون ويتضرعون الى الله تعالى ويسألونه أن ينجيهم من دقيانوس وفتنته فلما رآهم أولئك الكفرة قالوا لهم ما خلفكم عن أمر الملك انطلقوا اليه ثم خرجوا من عندهم ورفعوا أمرهم الى دقيانوس فقالوا تجمع الجميع وهؤلاء الفتية من أهل بيتك يسخرون منك ويعصونك فلما سمع ذلك أتى بهم تفيض أعينهم من الدمع معفرة وجوههم فى التراب فقال ما منعكم أن تشهدوا الذبح للآلهة التى نعبدها فى الارض وأن تجعلوا أنفسكم كغيركم ثم انهم خيروا اما أن يذبحوا لآلهتهم كما ذبح غيرهم من الناس واما أن يقتلهم الملك فقال مكسلمينا وكان أكبرهم ان لنا الها ملأ السموات والارض عظمة لن ندعو من دونه الها أبدا ولن نقر بهذا الذى تدعونا اليه ابدا ولكنا نعبد ربنا الذى له التحميد والتكبير والتسبيح والتقديس من أنفسنا خالصا ابدا اياه نعبد واياه نسأل النجاة والخير وأما الطواغيت فلن نعبدها أبدا فاصنع بنا ما بدا لك ثم قال أصحاب مكسلمينا لدقيانوس مثل ما قال له قالوا فلما قالوا له ذلك أمر بهم فنزع ملبوسا كان عليهم من ملبوس عظمائهم ثم قال لهم انكم اذا فعلتم ما فعلتم فأنى سأؤخركم وأتفرغ لكم فأنجز لكم ما أوعدتكم من العقوبة وما ينبغى أن أعجل لكم ذلك لانى أراكم شبانا حديثة اسنانكم فلا أحب أن أهلككم حتى اجعل لكم اجلا فتراجعوا فيه عقولكم ثم أمر بحلية كانت معهم من ذهب وفضة فنزعت عنهم ثم أمر بهم فأخرجوا من عنده وانطلق دقيانوس الى مدينة سوى مدينتهم التى هم بها قريبة منهم لبعض أموره فلما رأى الفتية أن دقيانوس قد خرج من مدينتهم بادروا قدومه وخافوا اذا

م مدينتهم أن يذكرهم فائتمروا أن يأخذ كل رجل منهم نفقة من بيت أبيه فيتصدقوا
او يتزودوا بما بقي ثم ينطلقوا الى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له ناجلوس
يسكنون فيه ويعبدون الله تعالى حتى اذا قدم دقيانوس أتوه فقاموا بين يديه
فيصنع بهم ما يشاء فلما قال ذلك بعضهم لبعض عمد كل فتى منهم الى بيت أبيه وأخذ
نفقة فتصدقوا منها وانطلقوا بما بقي معهم من نفقتهم واتبعهم كلب كان لاحدهم حتى
أتوا ذلك الكهف فلبثوا فيه * وقال ابن عباس هربوا ليلا من دقيانوس وكانوا
سبعة فمروا براع معه كلب على دينهم * وقال كعب مروا بكلب فتبعهم فطردوه فتبع
عليهم ففعلوا ذلك مرارا فقال لهم الكلب ماتريدون مني لا تخشوا جانبي فاني أحب
أحباب الله فناموا حتى أحرسكم * رجعنا الى حديث ابن اسحق * فلبثوا في ذلك
الكهف ليس لهم عمل الا الصلاة والصيام والتسبيح وجعلوا نفقتهم الى فتى منهم يقال
له تمليخا فكان يبتاع لهم من المدينة طعامهم سرا وكان من أجلدهم وأجلهم فكان
تمليخا يصنع ذلك فاذا دخل المدينة يضع ثيابا كانت عليه حسانا ويأخذ ثيابا
كثياب المساكين الذين يستطعمون فيها ثم يأخذ درهما فينطلق الى المدينة
فيشتري طعاما وشرابا ويستمع ويتجسس لهم الخبر هل يذكرونهم بشئ ثم يرجع الى
أصحابه فلبثوا كذلك ما لبثوا ثم قدم دقيانوس المدينة فأمر العظماء فذبحوا للطواغيت
ففزع من ذلك أهل الايمان وكان تمليخا بالمدينة يشتري طعاما فرجع الى أصحابه وهو
يبكي ومعه طعام فأخبرهم أن دقيانوس دخل المدينة وأنهم قد ذكروا والتمسوا مع
عظماء المدينة ليذبحوا للطواغيت فلما أخبرهم بذلك فزعوا ووقعوا سجدا يدعون الله
تعالى ويتضرعون اليه ويتعوذون به من الفتنة ثم ان تمليخا قال لهم يا اخوتاه ارفعوا
رؤسكم فاطعموا منه وتوكلوا على ربكم فرفعوا رؤسهم وأعينهم تفيض من الدمع حزنا
على أنفسهم فطعموا منه وذلك عند غروب الشمس ثم جلسوا يتحدثون ويتدارسون
ويذكر بعضهم بعضا فبيناهم كذلك اذ ضرب الله على آذانهم في الكهف وكلبهم
باسط ذراعيه بالوصيد بباب الكهف فأصابه ما أصابهم فلما كان من الغد تفقدهم
دقيانوس والتمسهم فلم يجدهم فقال لبعض قومه لقد ساءني شأن هؤلاء الفتية الذين
ذهبوا لقد كانوا يحسبون أني غضبان عليهم بجهلهم ما جهلوا من أمري فاني لا أغضب
عليهم ان تابوا وعبدوا آلهتي فقال عظماء المدينة ما أنت بحقيق أن ترحم قوما مردة
عصاة مقيمين على ظلمهم ومعصيتهم قد كنت أجلت لهم أجلا ولو شاؤا لرجعوا في ذلك
الاجل ولكنهم لم يتوبوا فلما قالوا له ذلك غضب غضبا شديدا ثم أرسل الى آبائهم
فسألهم عنهم وقال أخبروني عن أبنائكم المردة الذين عصوني فقالوا له أما نحن فلم نعصك
ولم تقتلنا بقوم مردة وانهم خالفونا وانطلقوا الى جبل يسمى ناجلوس فلما قالوا له ذلك

قوله ناجلوس الذي في تفسير الخطيب بخلوس وفي حياة الحيوان أن اسم ذلك الجبل مخلوس فليحرر اه

خلى سبيلهم وجعل لا يدرى ما يصنع بالفتية فألقى الله فى نفسه أن يأمر بالكهف
فيسد عليهم وأراد الله تعالى أن يكرمهم ويجعلهم آية لأمة تستخلف بعدهم و
يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور فأمر دقيانوس
بالكهف أن يسد عليهم وقال دعوهم كما هم فى الكهف يموتوا جوعا وعطشا وليكن
كهفهم الذى اختاروه قبرا لهم وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع وقد توفى الله
أرواحهم وفاة النوم وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد بباب الكهف وقد غشيه
ما غشيهم يقلبون ذات اليمين وذات الشمال ❁ قال ثم ان رجلين مؤمنين وكانا
فى بيت الملك دقيانوس يكتمان ايمانهما اسم أحدهما تندروس والآخر روباس
ائتمرا أن يكتبا شأن الفتية وأنسابهم وأسماءهم وخبرهم فى لوح من رصاص
ويجعلاه فى تابوت من نحاس ويجعلا التابوت فى البنيان وقالا لعل الله أن يطلع على
هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من فتح عليهم خبرهم حين يقرأ
هذا اللوح ففعلا ذلك وبنيا عليه فبقى دقيانوس ما بقى ومات قومه ومات قرون
بعده كثيرة وخلفت الملوك بعد الملوك ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له
تندوسيس فلما ملك بقى فى ملكه ثمانية وثمانين سنة فتحزب الناس فى ملكه
أحزابا منهم من يؤمن بالله العظيم ويعلم أن الساعة حق ومنهم من يكذب بها
فكبر ذلك على الملك الصالح فشكى الى الله وتضرع اليه وحزن حزنا شديدا لما رأى
أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق وانهم يقولون لا حياة الا الحياة
الدنيا وانما تبعث الارواح ولا تبعث الاجساد وأما الجسد فيأكله التراب ونسوا
ما فى الكتاب فجعل الملك تندوسيس يرسل الى من كان يظن فيه خيرا وانهم كانوا
أئمة فى الحق فجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا أن يحولوا الناس عن الحق وملة
الحواريين فلما رأى الملك الصالح ذلك دخل بيته فأغلقه عليه ولبس مسحا
وجعل تحته رمادا فدأب ليله ونهاره يتضرع الى الله تعالى ويبكى مما يرى فيه الناس
ويقول أى رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية ثم ان الرحمن الرحيم جل وعز
الذى يكره اختلاف العباد أراد أن يظهر لهم الفتية أصحاب الكهف ويبين للناس
شأنهم فيجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها وأنه يستجيب
لعبده الصالح تندوسيس وأنه يتم نعمته عليه ولا ينزع منه ملكه ولا الايمان الذى
أعطاه وأن لا يعبد الا الله ولا يشرك به شيأ وأن يجمع من كان تبدد من المؤمنين فألقى
الله فى نفس رجل من أهل ذلك البلد الذى به الكهف وكان اسم ذلك الرجل
أولياس أن يهدم ذلك البنيان الذى على فم الكهف فيبنى به حظيرة لغنمه
فاستأجر عاملين فجعلا ينزعان تلك الحجارة ويبنيان بها تلك الحظيرة حتى نزعا ما على فم

كهف وفتحا عليهم باب الكهف وحجبهم الله عن الناس فيزعمون أن أشجع من
يدأن ينظر اليهم يدخل من باب الكهف ثم يتقدم حتى يرى كلهم نائما فلما نزعت
بجارة وفتح باب الكهف أذن الله تعالى ذوالقدرة والعظمة والسلطان محيي الموتى
فتية أن يجلسوا بين ظهرانى الكهف فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة
أنفسهم فسلم بعضهم على بعض حتى كأنما استيقظوا من ساعتهم التى كانوا يستيقظون
منها اذا أصبحوا من ليلتهم التى يبيتون بها ثم انهم قاموا الى الصلاة فصلوا كالذى كانوا
يفعلون لا يرون فى وجوههم ولا أبشارهم ولا ألوانهم شيأ ينكرونه انما هم كهيئتهم حين
رقدوا يرون أن ملكهم دقيانوس فى طلبهم فلما قضوا صلاتهم قالوا لتمليخا صاحب
نفقاتهم بين لنا ما الذى قال الناس فى شأننا عشية أمس عند هذا الجبار وهم يظنون
أنهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون وقد خيل لهم أنهم قد ناموا كأطول ما كانوا
ينامون فى الليلة التى أصبحوا بها حتى تساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبثتم قالوا
لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكل ذلك فى أنفسهم يسير فقال لهم تمليخا
التمستم فى المدينة لتذبحوا للطواغيت أو تقتلوا قالوا فما شاء الله بعد ذلك فعل فقال
مكسلمينا يا اخوتاه اعلموا أنكم ملاقوا الله فلا تكفروا بعد ايمانكم اذا دعاكم غدا ثم
قالوا يا تمليخا انطلق الى المدينة فتسمع ما يقال عنا بها اليوم وتلطف ولا تشعرن بك
أحدا وابتع لنا طعاما وائتنا به وزدنا على الطعام الذى جئتنا به أمس فانه كان قليلا
وقد أصبحنا جياعا ففعل تمليخا كما كان يفعل ووضع ثيابه وأخذ الثياب التى كان يتنكر
فيها ثم أخذ ورقا من نفقتهم التى كانت معهم التى ضربت بطابع دقيانوس وكانت
كخفاف الربع فانطلق تمليخا خارجا فلما مر بباب الكهف رأى حجارة منزوعة عن
باب الكهف فتعجب منها ثم مر حتى أتى باب المدينة مستخفيا بعيدا عن الطريق
تخوفا أن يراه أحد من أهلها فيعرفه فيذهب به الى دقيانوس الجبار ولا يشعر العبد
العبد الصالح أن دقيانوس وأهله قد هلكوا قبل ذلك بثلثمائة سنة فلما رأى تمليخا باب
المدينة رفع بصره فرأى فوق ظهر الباب علامة لاهل الايمان فلما رآها عجب وجعل
ينظر اليها مستخفيا فنظر يمينا وشمالا ثم أنه ترك ذلك الباب وتحول الى باب آخر من
أبوابها فنظر فرأى مثل ذلك فجعل يتخيل له أن المدينة ليست بالتى كان يعرف ورأى
ناسا كثيرا محدثين لم يكونوا قبل ذلك فجعل يمشى ويتعجب ويخيل اليه أنه حيران ثم
انه رجع الى الباب الذى أتى منه فجعل يتعجب بينه وبين نفسه ويقول ليت شعرى
أما هذه عشية أمس كان المسلمون يخفون هذه العلامة ويستخفون بها وأما اليوم
فانها ظاهرة لعلى حالم ثم يرى انه لم ينم فأخذ كساءه وجعله على رأسه ثم دخل المدينة
فجعل يمشى بين أظهر أهل سوقها وهو يسمع ناسا يحلفون باسم عيسى بن مريم فزاده

فرقاورأى أنه حيران فقام مسنداظهره الى جدران المدينة وهو يقول فى نفسه والله
ماأدرى ماهذا أماعشية أمس فليس على الارض أحد يذكرعيسى الاقتل وامّا الغد
فاسمع كل انسان يذكرعيسى ولايخاف ثم قال فى نفسه لعل هذه ليست بالمدينة التى
أعرفها فانى أسمع كلام اهلها ولا أعرف واحدامنهم والله ماأعلم مدينة بقرب مدينتنا
فقام كالحيران لايتوجه وجها ثم انه لقى فتى من أهل المدينة فقال له مااسم هذه المدينة
يافتى فقال أفسوس فقال فى نفسه لعل بى مساأوامرا اذهب عقلى والله يحق لى ان أبادر
الخروج منها قبل أن يصيبنى شرفاهلك * هذاما يحدث به تمليخا أصحابه حتى يبين لهم
ماهم فيه * ثم أفاق وقال والله لوعجلت الخروج من المدينة قبل أن يفطن بى لكان
أكيس لى فدنامن الذين يبيعون الطعام ثم أخرج الورق التى كانت معه فأعطاها
رجلا منهم وقال ياعبد الله بعنى بهذه طعامافأخذها الرجل ونظر الى ضرب الورق
ونقشها فتعجب منها ثم طرحها الى رجل من أصحابه فنظر اليها ثم جعلوا يتطارحونها
بينهم من رجل الى رجل فيتعجبون منها ثم جعلوا يتشاورون و يقول بعضهم لبعض ان
هذا الرجل قد أصاب كنزافى الارض منذزمان طويل فلمارآهم يتشاورون من أجله
فرق فرقاشديدا وجعل يرتعد وظن أنهم قدفطنوا به وعرفوه وأنهم انما يريدون أن
يذهبوا به الى ملكهم دقيانوس قال وجعل ناس آخرون يأتونه و يتعرفونه فقال لهم
وهوشديد الفرق انفصلوا قد أخذتم ورقى فأمسكتموها فلاحاجة لى فى طعامكم فقالوا
يافتى من أنت وماشأنك والله لقدوجدت كنزامن كنوزالاولين فأنت تريد أن تخفيه
منا انطلق معناوأرنامكانه وشاركنافيه يخف عليك ماوجدت فانك ان لم تفعل نأت
السلطان ونسلمك اليه فلماسمع قولهم عجب فى نفسه ثم قال قدوقعت فى كل شئ كنت
أحذرمنه ثم قالواوالله يافتى انك لاتستطيع أن تكتم ماوجدت ولاتظن فى نفسك
أن سيخفى عليك فتحير فى نفسه وليس يدرى مايقول لهم وما يرجع اليهم وفرق حتى
مايخبرهم بشئ فلمارأوه لايتكلم أخذوا كساءه وطوقوه فى عنقه ثم جعلوا يقودونه
فى سكك المدينة مكبلا حتى سمع به من فيها وقيل أخذ رجل عنده كنزفاجتمع عليه
أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم وجعلوا ينظرون اليه و يقولون والله ماهذا الفتى من
أهل هذه المدينة ومارأيناه فيها قط ومانعرفه فجعل تمليخا مايدرى مايقول لهم مع
مايسمع منهم فلمااجتمع عليه أهل المدينة فرق ولم يتكلم ولوقال انه من أهل المدينة
لم يصدق وكان مستيقنا أن آباءه واخوته فى المدينة وأن حسبه فى أهل المدينة من
عظماء أهلها وأنهم سيأتونه اذاسمعوا وقد استيقن أنه عشية أمس كان يعرف كثيرا
من أهلها وانه لايعرف اليوم من أهلها أحدا فبينماهوقائم كالحيران ينتظرمتى
يأتيه بعض أهله فيخلصه من أيديهم فبينماهو كذلك اذقد اختطفوه وانطلقوا به الى

رئيسى

من المدينة ومدبريها وهما رجلان صالحان اسم احدهما أرموس واسم الآخر اسطيوس فلما انطلقوا به ظن تمليخا أنهم انطلقوا به الى دقيانوس الملك فجعل يلتفت يمينا وشمالا وجعل الناس يسخرون منه كما يسخرون من المجنون والحيران فجعل تمليخا يبكي ثم رفع رأسه الى السماء وقال اللهم اله السموات والارض أفرغ على اليوم صبرا وأولج معي روحا منك تؤيدني به عند هذا الجبار وجعل يبكي ويقول في نفسه فرق بيني وبين أخوتي ياليتهم يعلمون مالقيت فيأتوني فنقوم جميعا بين يدي هذا الجبار فانا كنا قد توافقنا لنكونن معا لانكفر بالله ولا نفترق في موت ولا حياة أبدا ياليت شعري ماهو فاعل بي هل هو قاتلي أم لا * هذا ماحدث به تمليخا أصحابه عن نفسه حين رجع اليهم * فانتهي به الى الرجلين الصالحين أرموس واسطيوس فلما علم تمليخا أنه لم يذهب به الى دقيانوس أفاق وسكن ما به فاخذ أرموس واسطيوس الورق ونظرا اليها وعجبا منها ثم قال أحدهما أين الكنز الذي وجدت يافتى فقال ماوجدت كنزا وانما هذه الورق ورق آبائي ونقش هذه المدينة وضربها ولكن والله ماأدري ماشأني وما أدري ما أقول لكم فقال احدهما من أنت فقال له تمليخا قال فمن أبوك ومن يعرفك بها فانبأهم باسم ابيه فلم يجدوا احدا يعرفه فقال له احدهما أنت رجل كذاب لاتنبئنا بالحق فلم يدر تمليخا مايقول غير أنه نكس بصره الى الارض فقال بعض من حضر هذا رجل مجنون وقال بعضهم ليس بمجنون ولكنه يحمق نفسه عمدا لكي ينفلت منكم فقام احدهم ونظر اليه نظرا شديدا وقال له أتظن انا نرسلك ونصدقك بان هذا مال ابيك واضرب هذه الورق ونقشها اكثر من ثلثمائة سنة وانت غلام شاب تظن أن تأفكنا وتسخر بنا ونحن شمط كما ترى وحولك سراة هذه المدينة وولاة امرها وخزائن هذه البلدة بايدينا وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار لاعذبنك عذابا شديدا ثم أوثقك حتى تعرفني هذا الكنز الذي وجدت فلما قال له ذلك قال له تمليخا أنبئوني عن شئ أسألكم عنه فان فعلتم صدقتكم عما عندي فقالوا سل لانكتمك شيأ قال مافعل بالملك دقيانوس قالوا ليس نعرف اليوم على وجه الارض ملكا يسمى دقيانوس ولم يكن الا ملك قد هلك منذ دهر طويل وهلك بعده قرون كثيرة فقال له تمليخا فوالله ما أجد من الناس احدا يصدقني على ما اقول لقد كنا فتية وان الملك دقيانوس أكرهنا على عبادة الاصنام والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية امس فبتنا فلما انتبهنا خرجت لاشتري لاصحابي طعاما وأتحسس الاخبار فاذا انا كما ترون فانطلقوا معي الى الكهف الذي في جبل ناجلوس أريكم أصحابي فلما سمع أرموس مايقول تمليخا قال ياقوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله لكم عبرة على يدي هذا الفتى فانطلقوا بنا معه يرينا اصحابه فانطلق معه أرموس واسطيوس

وانطلق معهم أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا ا
وكان الفتية أصحاب الكهف ظنوا ان تمليخا قد احتبس عنهم لانه لم يأتهم بطعا
وشرابهم فى القدر الذى كان يأتى فيه فظنوا أنه قد أخذ وذهب به الى دقيانو
فبينما هم يظنون ذلك و يتخوفون اذ سمعوا الاصوات و جلبة الخيل مصعدة عندد
فظنوا أنهم رسل الجبار وأنه بعث اليهم ليؤتى بهم فقاموا حين سمعوا ذلك الى الصلا
وسلم بعضهم على بعض ثم قالوا انطلقوا بنا نأتى اخانا تمليخا فانه الآن بين يدى
دقيانوس ينتظر متى نأتيه فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس بين ظهرانى الكهف
لم يشعروا الا وأرموس واصحابه وقوف على باب الكهف وقد سبقهم تمليخا فدخل
عليهم وهو يبكى فلما رأوه يبكى بكوا معه ثم انهم سألوه عن شأنه فاخبرهم بخبره وقص
عليهم الحديث كله فعرفوا عند ذلك أنهم كانوا نياما بامر الله ذلك الزمان كله وانما
أوقظوا ليكونوا آية للناس وتصديقا للبعث وليعلموا أن الساعة آتية لاريب فيها
ثم دخل على أثر تمليخا أرموس فرأى تابوتا من نحاس مختوما بخاتم من فضة فقام بباب
الكهف ثم دعا رجالا من عظماء أهل المدينة ففتح التابوت فوجدوا فيه لوحين من
رصاص مكتوبا فيهما ان مكسلمينا وتمليخا ومرطونس وكشطونش ودانيوس
وتكريوس و بطيونس كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس الجبار مخافة أن يفتنهم
فدخلوا هذا الكهف فلما علم مكانهم ملكهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة
وانا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلم من بعدهم ان عثر عليهم فلما قرؤه عجبوا وحمدوا الله
تعالى الذى اراهم آية البعث فيهم ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا
على الفتية الكهف فوجدوهم جلوسا مشرقة وجوههم لم تبل ثيابهم فخر أرموس
وأصحابه سجودا وحمدوا الله الذى أراهم آية من آياته ثم كلم بعضهم بعضا وانبأهم
الفتية عن الذى لقوا من ملكهم دقيانوس ثم ان أرموس واصحابه بعثوا الى ملكهم
الصالح تندوسيس أن عجل لعلك تنظر آية من آيات الله تعالى قد أظهرها الله
فى ملكك واعجل الى فتية بعثهم الله وقد كان توفاهم منذ اكثر من ثلثمائة سنة فلما
أتى الخبر قام من السدة التى كان عليها وقال أحمدك اللهم رب السموات والارض
تطولت على ورحمتنى برحمتك فلم تطفئ النور الذى جعلته لآبائى وللعبد الصالح
قسطنطوس الملك فلما نبأ به أهل المدينة ركبوا اليه وساروا معه حتى أتوا الكهف
فلما رأى الفتية تندوسيس الملك ومن معه فرحوا به وخروا سجدا لله على وجوههم
وقام تندوسيس قدامهم ثم اعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الارض
يسبحون الله ويحمدونه ثم ان الفتية قالت لتندوسيس نستودعك الله ونقرأ عليك
السلام وحفظك الله وحفظ ملكك وأعاذك من شر الجن والانس فبينما الملك

قائم

اذ رجعوا الى مضاجعهم فناموا وتوفى الله أرواحهم وقام الملك اليهم فجعل ثيابه
بهم وأمر أن يجعل لكل رجل منهم تابوت من ذهب فلما أمسوا أتوه فى المنام فقالوا
نخلق من ذهب ولا من فضة ولكنا خلقنا من تراب والى التراب نصير فاترکنا
ما كنا فى الكهف على التراب حتى يبعثنا الله منه فأمر الملك حينئذ بتوابيت من
ساج فجعلوا فيها وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب فلم يقدر احد أن يدخل
عليهم وأمر الملك فجعل على باب الكهف مسجد يصلى فيه وجعل لهم عيدا عظيما
وأمر أن يؤتى كل سنة * وقيل انهم لما اتوا باب الكهف قال تمليخا دعونى ادخل على
أصحابى فأبشرهم فدخل وقبض الله روحه وارواحهم وعمى عليهم مكانهم فلم يهتدوا
اليه كما ذكره على بن أبى طالب كرم الله وجهه فهذا خبر أصحاب الكهف (ويروى)
أن النبى صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن يراهم فقال انك لن تراهم فى دار الدنيا ولكن
ابعث اليهم أربعة من خيار أصحابك ليبلغوهم رسالتك ويدعوهم الى الايمان
بك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل كيف أبعثهم قال ابسط كساءك
وأجلس على طرف من أطرافه أبا بكر وعلى الثانى عمر وعلى الثالث على ابن أبى
طالب كرم الله وجهه وعلى الرابع أبا ذر ثم ادع الريح الرخاء المسخرة لسليمان بن داود
فان الله أمرها أن تطيعك ففعل النبى عليه الصلاة والسلام ما أمره به فحملتهم الريح
حتى انطلقت بهم الى باب الكهف فلما دنوا من باب الكهف قلعوا منه حجرا فقام
الكلب حين أبصر الضوء وهر وحمل عليهم فلما رآهم حرك رأسه وبصبص بذنبه
وأومأ برأسه أن ادخلوا الكهف فدخلوا وقالوا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
فرد الله عليهم ارواحهم فقاموا باجعهم وقالوا وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته
فقالوا ان نبى الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم يقرأ عليكم السلام فقالوا وعلى
محمد رسول الله السلام ما دامت السموات والارض وعليكم بما بلغتم ثم انهم جلسوا
باجعهم يتحدثون فآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقبلوا دين الاسلام وقالوا أقرئوا
محمدا صلى الله عليه وسلم منا السلام ثم انهم أخذوا مضاجعهم وصاروا الى رقدتهم
الى آخر الزمان عند خروج المهدى فيقال ان المهدى يسلم عليهم فيحييهم الله تعالى
له ثم انهم يرجعون الى رقدتهم فلا يقومون الى يوم القيامة ثم جلس كل واحد منهم
على مكانه وحملتهم الريح الرخاء فهبط جبريل عليه السلام فأخبر النبى صلى الله عليه
وسلم بما كان منهم فلما أتوا النبى صلى الله عليه وسلم قال كيف وجدتموهم وما الذى
أجابوكم فقالوا يا رسول الله دخلنا عليهم وسلمنا عليهم فقاموا فردوا السلام باجعهم
وبلغناهم رسالتك فاجابوا وانابوا وشهدوا انك رسول الله حقا وحمدوا الله على
ما أكرمهم بخروجك وتوجيه رسلك اليهم وهم يقرؤن عليك السلام فقال عليه

الصلاة والسلام اللهم لاتفرق بيني وبين اصهاري واحبابي واغفر لمن احب واحب أهل بيتي وأحب أمتي وأحب أصحابي

﴿مجلس في ذكر جرجيس عليه السلام﴾

اخبرنا أبو عبدالله محمد بن عبدالله الضبي باسناده عن وهب بن منبه اليماني قال كان في الموصل ملك يقال له زادانه وكان قد ملك الشام كلها ودان له أهلها وكان جبارا عاتيا وكان يعبد صنما يقال له افلون وكان جرجيس عبدا صالحا من أهل فلسطين قد ادرك بقايا من حواري عيسى بن مريم عليه السلام وكان تاجرا كثير المال عظيم الصدقة وكان لايأمن ولاية المشركين عليه مخافة أن يفتنوه عن دينه فخرج يوما يريد ملك الموصل ومعه مال يريد أن يهديه اليه لئلا يجعل لاحد من تلك الملوك سلطانا عليه دونه فجاء وقد برز في مجلس له وأمر بصنمه افلون فنصب والناس يعرضون عليه وهو يعذب من خالفه بانواع العذاب وقد أوقد نارا عظيمة فمن لم يسجد لافلون القى في تلك النار فلما رأى جرجيس عليه السلام مايصنع فظع منه وهاله وأعظمه وحدث نفسه بجهاده وألقى الله في نفسه بغضه ومجاهدته له فعمد الى المال الذي أراد ان يهديه له فقسمه في أهل ملته حتى لم يبق منه شئ وكره أن يجاهده بالمال وأحب ان يلي ذلك بنفسه فاقبل عليه وقال له اعلم انك عبد مملوك لاتملك لنفسك شيأ ولا لغيرك وأن لك ربا هو الذي يملكك وغيرك وهو الذي خلقك ورزقك ويحييك ويميتك ويضرك وينفعك واذا قال لشئ كن فيكون وأنك انما عمدت الى خلق من خلقه أصم لايسمع ولايبصر ولاينطق ولايغني عنك شيأ من الله فزينته بالذهب والفضة وجعلته فتنة للناس ثم عبدته من دون الله فكان من جواب الملك له أن سأله عن حاله وأمره ومن هو ومن أين هو فقال جرجيس أنا عبدالله وابن عبده وابن امته أذل عباده وافقرهم اليه من التراب خلقت واليه أصير فقال له الملك لو كان ربك الذي تزعم كما تقول لرؤي أثره عليك كما رؤي أثري على من حولي ومن هو في طاعتي فأجابه جرجيس بتحميد الله وتعظيم امره ثم قال له اتعدل افلون الاصم الابكم الذي لايغني عنك شيأ برب العالمين الذي قامت السموات والارض بأمره أم تعدل طوفليا ومانال بولايتك فانه عظيم قومك بما نال الياس من ولاية الله تعالى فان الياس كان في بدء أمره آدميا يأكل الطعام ويمشي في الاسواق فاكرمه الله تعالى حتى أنبت له الريش وكساه النور فصار انسيا ملكيا سمائيا ارضيا يطير مع الملائكة أم تعدل مخلطيس ومانال بولايتك فانه عظيم قومك بالمسيح ابن مريم ومانال بولاية الله تعالى فان الله تعالى فضله على رجال العالمين وجعله وامه آية للمعتبرين ام تعدل هذه الروح الطيبة التي اختارها الله بكلمته وفضلها على امائه ومانالت بولاية الله باربيل وما

ت بولايتك فانها كانت من شيعتك وعلى ملتك فاسلمها الله مع عظيم ملكها حتى
نمت عليها الكلاب فى بيتها فانتهشت لحمها وولغت فى دمها وقطعت الضباع
وصالها فقال له الملك انك لتحدثنا بشئ ليس لنا به علم فائتنا بالرجلين اللذين ذكرتهما
حتى أنظر اليهما فانى أنكر أن يكون هذا من أمر البشر فقال له جرجيس انما جاءك
الانكار من قبل الغرة بالله تعالى وأما الرجلان فلن تراهما ولن يرياك الا أن تعمل
بعملهما فتنزل منازلهما فقال له الملك أما نحن فقد أعذرنا اليك وتبين لنا كذبك لانك
فخرت بأمور عجزت عنها ولم تأت بتصديقها ثم ان الملك خير جرجيس بين العذاب
وبين السجود لافلون فقال له جرجيس ان كان افلون هو الذى رفع السماء ووضع
الارض فقد أصبت ونصحت لى والا فاخسأ أيها النجس الملعون فلما سمعها الملك
غضب وشتمه وسب الهه وأمر بخشبة فنصبت له وجعل عليها أمشاط الحديد فخدش
بها جسده حتى تقطع لحمه وجلده وعروقه ونضح عليه فى خلال ذلك بالخل والخردل
فحفظه الله من ذلك الالم والهلاك فلما رأى الملك أن ذلك لم يقتله أمر بست مسامير من
حديد فأحميت حتى جعلت نارا فسمر بها رأسه حتى سال دماغه فحفظ من الالم
والهلاك فلما رأى ذلك أنه لم يقتله أمر بحوض من نحاس فأوقد عليه حتى اذا جعله نارا
أمر به فأدخل فى جوفه وأطبق عليه فلم يزل فيه حتى برد حره فلما رأى ذلك لم يقتله
دعا به فقال له يا جرجيس أما تجد ألم هذا العذاب الذى تعذب به فقال ان ربى الذى
أخبرتك به حمل العذاب عنى وصبرنى لاحتج عليك فلما قال له ذلك أيقن بالشر وخافه
على نفسه وملكه وأجمع رأيه على أن يخلده فى السجن فقال له الملأ من قومه انك ان
تركته طليقا فى السجن يكلم الناس أوشك ان يميل بهم عليك ولكن مر له بعذاب
فى السجن فيشغله عن كلام الناس فأمر به فبطح على وجهه ثم أوتد فى يديه ورجليه
أربعة أوتاد من حديد فى كل ركن منها وتد وأمر باسطوانة من رخام فوضعت على
ظهره ثم انه حمل على تلك الاسطوانة ثمانية عشر رجلا فظل يومه ذلك موتدا تحت الحجر
فلما أدركه الليل أرسل الله تعالى اليه ملكا وذلك أول ما أيده الله تعالى بالملائكة
وأول ما جاءه الوحى فقلع عنه الحجر ونزع الاوتاد من يديه ورجليه وأطعمه وسقاه وبشره
بالنصر فلما أصبح أخرجه من السجن ثم قال له الحق بعدوك فجاهده فى الله حق جهاده
فان الله يقول لك اصبر وأبشر فانى قد ابتليتك بعدوى هذا سبع سنين يعذبك
ويقتلك فيهن أربع مرات وفى كل ذلك أرد اليك روحك فاذا كان فى القتلة
الرابعة تقبلت روحك وأوفيتك أجرك فلم يشعروا الا وقد وقف جرجيس على رؤسهم
يدعوهم الى الله تعالى فقال له الملك يا جرجيس من أخرجك من السجن فقال اخرجنى
الذى سلطانه فوق سلطانك فلما قال له ذلك ملئ غيظا ودعا بأصناف العذاب حتى لم

يخل منها شيأ فلما رآها جرجيس أوجس في نفسه خيفة وجزعا ثم أقبل على نفسه
يعاتبها بأعلى صوته وهم يسمعون فلما فرغ من عتابه قال لهم الملك مدوه بين خشبتين
فمدوه ثم انهم وضعوا سيفا على مفرق رأسه فنشروه حتى سقط من بين رجليه وصار
جزأين ثم عمدوا الى أجزائه فقطعوها قطعا وعمدوا الى سبعة أسود ضارية كانت
في جب وكانت صنفا من أصناف عذابه فرموا بجسده اليها فلما هوى نحوها أمرها الله
عز وجل فخضعت برؤسها وأعناقها وقامت على براثنها تقيه الألم فظل يومه ذلك ميتا
وكانت أول موتة ماتها فلما أدركه الليل جمع الله له جسده الذي قطعوه وضم بعضه الى
بعض حتى سواه ثم رد الله اليه روحه وأرسل الله له ملكا فأخرجه من قعر الجب
فأطعمه وسقاه وبشره بالنصر فلما أصبحوا قال له الملك يا جرجيس قال لبيك قال له اعلم
ان القدرة التي خلق الله بها آدم هي التي أخرجتك من قعر الجب اخرج فالحق
بعدوك وجاهده في الله حق جهاده ومت موت الصابرين فلم يشعر الملك وأصحابه
الآخرون الا وقد أقبل جرجيس وهم عكوف على عيد لهم قد صنعوه فرحا بموت
جرجيس فلما نظروا الى جرجيس مقبلا قال الملك ما أشبه هذا الرجل بجرجيس فقالوا
كأنه هو فقال الملك ليس هو حقا الا ترون الى سكون ريحه وقلة هيبته فقال جرجيس
بل هو أنا فلبئس القوم أنتم قتلتم ومثلتم فأحياني الله تعالى بقدرته فهلموا الى الرب
العظيم الذي أراكم ما أراكم فلما قال لهم ذلك أقبل بعضهم الى بعض وقالوا ساحر سحر
أعينكم فجمعوا له من كان ببلاد الملك من السحرة فلما جاء السحرة قال الملك لكبيرهم
أعرض علي من كبير سحرك ما يسر عيني فقال ادع لي بثور من البقر فلما أتى به نفث
في احدى أذنيه فانشقت باثنتين ثم نفث في الاذن الاخرى فاذا هو ثوران ثم دعا ببذر
فحرث وبذر ونبت الزرع وحصد ثم داس وذرى وطحن وعجن وخبز كل ذلك في ساعة
واحدة وهم يرون فقال له الملك هل تقدر أن تمسخ لي جرجيس دابة فقال الساحر أي
دابة تطلب أمسخه لك قال كلبا فقال الساحر ادع لي بقدح من ماء فلما أتى بالقدح
نفث فيه الساحر ثم قال للملك اعزم عليه أن يشربه فشربه جرجيس حتى أتى على آخره
فلما فرغ منه قال له الساحر ماذا تجد قال ما أجد الا خيرا كنت قد عطشت فعطف الله
لي بهذا الشراب وقواني به عليكم فلما قال ذلك أقبل الساحر على الملك وقال له اعلم
أيها الملك أنك لو كنت تقاسي رجلا مثلك اذا لكنت غلبته ولكنك تقاسي جبار
السموات والارض وهو الملك الذي لا يرام وقد كانت امرأة مسكينة من أهل الشام
قد سمعت بجرجيس وما يصنع من الاعاجيب فأتته وهو في أشد ما فيه من البلاء
فقالت له يا جرجيس أنا امرأة مسكينة ولم يكن لي مال الا ثوران كنت أحرث عليهما فماتا
فجئتك لترحمني وتدعو الله أن يحيي لي ثوري فلما سمع كلامها ذرفت عيناه ثم دعا الله أن

يحيي

ي لهما ثوريهما ثم انه أعطاها عصا وقال لها اذهبي الى ثوريك فأقرعيهما بهذه العصا
ولى لهما احييا باذن الله تعالى فقالت له ياجرجيس ان ثورى قدماتا منذ سبعة أيام
مزقتهما السباع وبيني وبينهما أيام فقال لها ولم تجدى منهما الاشيأ يسيرا وقرعتيه
العصا فانهما يقومان باذن الله تعالى فانطلقت المرأة حتى أتت مصرعهما وكان أول
شئ بدلها من ثوريها قرن احدهما وشعر أذني الآخر فجمعت أحدهما الى الآخر
وقرعتهما بالعصا وقالت كما أمرها فقام الثوران باذن الله تعالى وعملت عليهما حتى
جاءهم الخبر بذلك فلما قال الساحر للملك ماقال قال رجل من أصحاب الملك وكان
أعظمهم عند الملك انكم قد وضعتم أمر هذا الرجل على السحر وانكم قد عذبتموه فلم
يصل اليه عذابكم وقتلتموه فلم يمت فهل رأيتم ساحرا يدرأ عن نفسه الموت أو احيا
ميتا قط فقالوا له ان كلامك لكلام رجل قد صبأ اليه فلعله استهواك اليه فقال
آمنت بالله وأشهد أنى برىء مما تعبدون فقام اليه الملك وأصحابه بالخناجر فقتلوه فلما
رأى القوم ذلك اتبع جرجيس أربعة آلاف آمنوا فعمد اليهم الملك فلم يزل يعذبهم
بالوان العذاب حتى أفناهم فلما فرغ منهم قال لجرجيس هلا دعوت ربك فأحيا لك
أصحابك هؤلاء الذين قتلوا بجريرتك فقال له جرجيس ماخلى بيني وبينهم حتى حانت
آجالهم فقال له رجل من عظمائهم يقال له مخلمطس انك زعمت ياجرجيس أن الهك
هو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وانى سائلك أمرا ان فعلته آمنت بك وصدقتك
وكفيتك نحن قوم حولنا أربعة عشر كرسيا وهذه مائدة بيننا عليها أقداح وصحاف من
أشجار شتى فادع ربك ينشىء هذه الكراسى والاوانى كما بدأها أول مرة تعود خضراء
فيعرف كل عود منها بنبته وورقه وزهره فقال له جرجيس لقد سألت أمرا عزيزا
على وعليك وانه على الله لهين فدعا الله عز وجل فما برحوا من مكانهم حتى اخضرت
تلك الكراسى والاوانى كلها وساخت عروقها وتلبست اللحم وتشعبت وأورقت
وأزهرت وأثمرت فلما نظروا الى ذلك انتدب لهم مخليطس الذى تمنى عليه ماتمنى
فقال أنا أعذب لكم هذا الساحر عذابا يبطل به كيده ثم انه عمد الى نحاس فصنع منه
صورة ثور له جوف واسع ثم حشاها نفطا ورصاصا وكبريتا وزرنيخا ثم أدخل جرجيس
مع الحشو فى جوفها ثم أوقد على الصورة حتى التهب وذاب كل شئ فيها واختلط
جرجيس فى جوفها فلما مات جرجيس أرسل الله ريحا عاصفا فملأت السماء سحابا
أسود فيه رعد وبرق وصواعق وأرسل الله اعصارا ملأت بلادهم عجاجا وقتاما حتى
اسود ما بين السماء والارض فمكثوا أياما متحيرين فى تلك الظلمة لا يفصلون بين الليل
والنهار وأرسل الله ميكائيل فاحتمل الصورة التى فيها جرجيس حتى اذا أقلها ضرب
بها الارض ففزع من روعها أهل الشأم فخروا لوجوههم صاعقين وانكسرت

الصورة فخرج منها جرجيس حيا فلما وقف يكلمهم انكشفت الظلمة واسفر ما
السماء والارض ورجعت اليهم أنفسهم فقال له رجل يقال له طوفلما الانذ
يا جرجيس ان كنت أنت تصنع هذه الاعاجيب أم ربك فان كان ربك هو الذ
تصنع فادعه يحيي لنا موتانا التي في هذه القبور فان فيها أمواتا منهم من نعرفه ومنهم مر
لا نعرفه فقال له جرجيس لقد علمت ان ما يصفح الله عنكم هذا الصفح ويريكم هذه
الاعاجيب الا لتكون عليكم حجة فتستوجبوا بها غضبه ثم انه أمر بالقبور فنبشت
وهي عظام رفات وأقبل جرجيس على الدعاء فما برحوا من مكانهم حتى نظروا الى
سبعة عشر انسانا تسعة رجال وخمس نسوة وثلاث صبية واذا فيهم شيخ كبير فقال له
جرجيس يا شيخ ما اسمك فقال يا جرجيس اسمي توبيل قال متى مت قال في زمان كذا
وكذا فحسبوا فاذا هو قد مات منذ أربعمائة عام فلما نظر الملك وأصحابه الى ما فعل قالوا ما
بقي من أصناف العذاب شئ الا وقد عذبتموه به الا الجوع والعطش فعذبوه بهما فعمدوا
الى بيت عجوز كبيرة فقيرة كان لها ابن أعمى أصم أبكم مقعد فحصروه في بيتها وكانوا
لا يوصلون له من عند أحد طعاما ولا شرابا فلما بلغ به الجوع قال للعجوز هل عندك من
طعام أو شراب فقالت لا والذي يحلف به ما عهدنا الطعام منذ كذا وكذا وسأخرج
التمس لك شيأ فقال لها جرجيس هل تعرفين الله تعالى قالت نعم قال اياه تعبدين
قالت لا فدعاها الى الله فصدقته ثم انها انطلقت تطلب له شيأ وكان في بيتها دعامة
من خشب يابسة تحمل خشب البيت فأقبل على الدعاء فاخضرت تلك الدعامة
وأنبتت له كل فاكهة تؤكل أو تعرف حتى كان مما أنبتت اللوبيا واللماز هو مثل البردى
يكون بالشأم وظهر للدعامة فرع من فوق البيت أظله من فوقه فأقبلت العجوز وهو
فيما شاء يأكل رغدا فلما رأت الذي حدث في بيتها من بعدها قالت آمنت بالذي أطعمك
في بيت الجوع فادع هذا الرب العظيم أن يشفي ابني قال لها أدنيه مني فادنته فبصق
في عينه فأبصر ونفث في أذنيه فسمع فقالت له أطلق لسانه ورجليه رحمك الله فقال
لها أخريه فان له يوما عظيما وكان الملك قد خرج يوما يسير في مدينته اذ وقع بصره على
الشجرة فقال اني أرى شجرة بمكان ما كنت أعرفها به فقالوا له ان تلك الشجرة نبتت
لذلك الساحر الذي أردت أن تعذبه بالجوع وهو فيما يشاء يأكل وقد شبع منها وأشبع
العجوز الكبيرة الفقيرة وشفى لها ابنها فأمر الملك بالبيت فهدم وبالشجرة أن تقطع فلما
هموا بقطعها أيبس الله الشجرة وردها كما كانت أول مرة فتركوها وأمر بجرجيس
فبطح على وجهه وأوتد له أربعة أوتاد وأمر بعجل فاوقر أسطوانا وجعل في أسفل
العجل خناجر وشفارا ثم أمر بأربعين ثورا فنهضت بالعجل نهضة واحدة وجرجيس
تحتها فانقطع ثلاث قطع فأمر بقطعة أن تحرق فألقيت في النار حتى عادت رمادا

ثم بذلك الرماد و بعث معه رجالا فذروه فى البحر فما برحوا عن مكانهم حتى سمعوا
صوتا من السماء يا بحر ان الله يأمرك أن تحفظ مافيك من هذا الجسد الطيب فانى
اريد أن أعيده كما كان ثم ارسل الله الرياح فأخرجته من البحر ثم جمعته حتى صار الرماد
صبرة واحدة كهيئته قبل ان يذرى فخرج منه جرجيس مغبرا ينفض رأسه فرجعوا
ورجع جرجيس واخبروا الملك خبر الصوت الذى سمعوه والريح الذى جمعته فقال
له الملك ياجرجيس هل لك فيما هو خير لى ولك مما نحن فيه ولولا أن يقول الناس انك
غلبتنى وقهرتنى لاتبعتك وآمنت بك ولكن اسجد لافلون سجدة واحدة واذبح له شاة
واحدة ثم انى أفعل مايسرك فقال له نعم مهما شئت فعلت فأدخلنى على صنمك ففرح
الملك بقوله وقام اليه وقبل يديه ورجليه ورأسه وقال له أعزم عليك ان لاتظل هذا
اليوم ولاتبيت هذه الليلة الا فى بيتى وعلى فراشى وفى كرامتى حتى تستريح ويذهب
عنك وصب العذاب و يرى الناس كرامتك على فأخلى له بيته فظل فيه جرجيس
حتى اذا أدركه الليل قام يصلى و يقرأ الزبور وكان أحسن الناس صوتا فلما سمعته
امرأة الملك استجابت له فلم يشعر الا وهى خلفه تبكى فدعاها جرجيس الى الايمان
فآمنت به وأمرها فكتمت ايمانها فلما أن أصبح الصبح غدا به الى بيت الاصنام ليسجد
لها فلما سمعت العجوز بذلك خرجت تحمل ابنها على عاتقها توبخ جرجيس والناس
مشتغلون عنها فلما دخل جرجيس بيت الاصنام ودخل الناس معه نظروا واذا
بالعجوز وابنها على عاتقها اقرب الناس اليه مقاما فلما رآها جرجيس دعا ابن العجوز
باسمه فنطق واجابه ولم يكن يتكلم قبل ذلك قط ثم اقتحم عن عاتق امه يمشى على رجليه
ولم يكن يطأ الارض قبل ذلك بقدميه قط فلما وقف بين يدى جرجيس قال له اذهب
فادع لى هذه الاصنام وهى يومئذ سبعون صنما على منابر من ذهب وهم يعبدونها
و يعبدون معها الشمس والقمر فقال له الغلام كيف أدعو الاصنام فقال له قل لها
ان جرجيس يسألك و يعزم عليك بالذى خلقك الا ما أجبتيه فلما قال لها الغلام
ذلك أقبلت تتدحرج الى جرجيس فلما انتهت اليه ركض الارض برجله فخسف بها
و بمنابرها وخرج ابليس لعنه الله من جوف صنم منها هاربا فرقا من الخسف فلما مر
بجرجيس اخذ بناصيته فخضع له وكلمه جرجيس فقال له جرجيس أخبرنى ايها الروح
النجسة والخلق الملعون ما الذى يحملك على أن تهلك نفسك وتهلك الناس معك
وانت تعلم انك وجندك تصيرون الى جهنم فقال له ابليس لعنه الله لو خيرت بين
ما اشرقت عليه الشمس و بين ما اظلم عليه الليل و بين هلكة واحد من بنى آدم
وضلالته لاخترت هلكته على ذلك كله وانه ليقع لى من الشهوة واللذة فى ذلك مثل
جميع ما يتلذذ به جميع الخلق ألم تعلم ياجرجيس أن الله تعالى أسجد لابيك آدم

جميع الملائكة فسجدوا له كلهم وامتنعت من السجود وقلت أنا خير منه قال فلما
قال هذا خلى سبيله جرجيس فدخل ابليس من يومئذ جوف صنم ولا يدخله بعده
فيما يذكرون ابدا فقال الملك يا جرجيس غررتني وخدعتني وأهلكت آلهتي فقال
جرجيس انما فعلت ذلك لتعتبر ولتعلم انها لو كانت آلهة لامتنعت مني فكيف
تثق ويلك بآلهة لم تمنع نفسها مني وانما أنا مخلوق ضعيف لا املك الا ما ملكني ربي
فلما قال هذا جرجيس أقبلت امرأة الملك وكلمتهم وكشفت لهم عن ايمانها وعددت
لهم افعال جرجيس والعبر التي أراهم الله تعالى اياها وقالت لهم ما تنتظرون من هذا
الرجل الا دعوة فيخسف بكم الارض كما خسف باصنامكم الله الله أيها القوم في انفسكم
فقال لها الملك ويحك يا اسكندرة ما اسرع ما اضلك هذا الساحر في ليلة واحدة وأنا
أقاسيه منذ سبع سنين فلم نظفر منه بشئ فقالت له أما رأيت الله كيف يظفره بك
ويسلطه عليك فيكون له الفلاح والحجة عليك في كل موطن فلما سمع كلامها أمر بها
الملك عند ذلك فحملت على خشبة جرجيس التي كان علق عليها وجعلت عليها
الامشاط التي جعلت على جرجيس فلما آلمها قالت ادع ربك يا جرجيس فيخفف
عني فاني قد آلمني العذاب فقال لها انظري فوقك فلما نظرت ضحكت فقال لها الملك
ما الذي يضحكك قالت أرى ملكين فوقي معهما تاج من حلي الجنة ينتظران به خروج
روحي فلما خرجت روحها زيناها بذلك التاج ثم صعدا بها الى الجنة فلما قبض الله
روحها أقبل جرجيس على الدعاء وقال اللهم أنت أكرمتني بهذا البلاء لتعطيني
منازل الشهداء فهذا آخر ايامي الذي كنت وعدتني فيه الراحة من بلاء الدنيا
اللهم اني أسألك أن لا تقبض روحي ولا أزول من مكاني هذا حتى تنزل بهؤلاء
المتكبرين من سطواتك ونقمتك ما لا قبل لهم به حتى تشفي به صدري وتقر به عيني
فانهم ظلموني وعذبوني فيك اللهم وأسألك أن لا يدعو بعدي داع في بلاء وكرب
فيذكرني وينشدك باسمي الا فرجت عنه ورحمته وأجبته وشفعتني فيه فلما فرغ
من هذا الدعاء أمطر الله عليهم نارا فلما رأوا ذلك عمدوا اليه فضربوه بالسيوف غيظا
من شدة الحريق ليعطيه الله بالقتلة الرابعة ما وعده ثم احترقت المدينة بجميع ما فيها
وصارت رمادا فحملها الله من وجه الارض وجعل عاليها سافلها فمكثت زمانا من الدهر
يخرج من تحتها نار ودخان منتن لا يشمه احد الا سقم سقما شديدا وكان جميع من
آمن بجرجيس وقتل معه اربعة وثلاثين الفا وامرأة الملك قال الاستاذ وكانت قصة
جرجيس في أيام ملوك الطوائف والله أعلم

﴿باب في قصة شمسون النبي عليه السلام﴾

قال الله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر الى قوله تعالى خير من ألف شهر (اخبرنا)

ابو

بو عمرو العراقي باسناده عن ابن أبي نجيح أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني
سرائيل لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فتعجب المسلمون من ذلك فانزل الله تعالى
نا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر التى لبس
الرجل فيها السلاح في سبيل الله تعالى (أخبرنا) عبد الله الضبي باسناده عن وهب بن
منبه أن رجلا من أهل قرية من قرى الروم يقال له شمسون بن مسوح كان فيهم مسلما
من أهل الانجيل وكانت أمه قد جعلته نذرا وكان قومه أهل أوثان يعبدونها من دون
الله وكان منزله منها على خمسة أميال وكان يغزوهم وحده ويجاهدهم في الله فيقتل
منهم ويسبي ويصيب الاموال وكان اذا قاتلهم لقيهم بالجفة لا يلقاهم بغيرها وكان
اذا قاتلهم وقاتلوه فتعب وعطش انفجر له من الحجر ماء عذب فشرب منه حتى يروى
وكان قد أعطى قوة في البطش وكان لا يوثقه حديد ولا غيره فجاهدهم في الله ألف شهر
يصيب منهم حاجته ولا يقدرون منه على شئ فاحتالوا عليه وقالوا لا نأتيه الا من قبل
امرأته فجعلوا لها جعلا على ذلك فاجابتهم وقالت أنا أوثقه لكم فاعطوها حبلا وثيقا
وقالوا لها اذا نام فأوثقي يديه الى عنقه حتى نأتيه فنأخذه فلما نام أوثقت يديه الى عنقه
بذلك الحبل فلما انتبه من نومه جذبه بيديه فوقع من عنقه فقال لها لم فعلت ذلك
فقالت له أجرب به قوتك ما رأيت مثلك قط فارسلت اليهم وقالت لهم اني قد ربطته
بالحبل فلم يغن عنه شيأ فارسلوا اليها بجامعة من حديد وقالوا لها اذا نام فاجعليها في
عنقه فلما نام جعلتها في عنقه ثم أحكمتها فلما هب جذبها فوقعت من عنقه ويده
فقال لها لم فعلت هذا قالت أجرب به قوتك ما رأيت مثلك قط فهل في الارض شئ
يغلبك قال لا الا شئ واحد قالت وما هو قال ما أنا بمخبرك به فلم تزل تسأله عن ذلك
وكان ذا شعر طويل كثير فقال لها ويحك ان أمي كانت أخبرتني أن لا يغلبني شئ أبدا
ولا يغيظني الا شعري فلما نام أوثقت يده الى عنقه بشعر رأسه فاوثقه ذلك فبعثت الى
القوم فجاؤا وأخذوه فجدعوا أنفه وأذنيه وفقؤا عينيه وأوقفوه للناس بين ظهراني
المدينة وكانت مدينة ذات أساطين وكان ملكهم قد أشرف عليها هو والناس لينظروا
الى شمسون وما يصنع به فدعا الله شمسون حين مثلوا به وأوقفوه على الناس أن
يسلطه عليهم فامر أن يأخذ بعمودين من عمد المدينة التى عليها الملك والناس معه
فيجذبهما جميعا فجذبهما فانهارت المدينة بمن فيها فهلكوا فيها هدما وهلكت أيضا
امرأته معهم ورد الله تعالى عليه بصره وما أصابوا من جسده تاما وعاد كما كان وكانت
قصة شمسون في أيام ملوك الطوائف والله أعلم

﴿باب في قصة أصحاب الاخدود﴾

قال الله تعالى قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود الآيات (روى) عطاء عن

ابن عباس أنه كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذو نواس بن شرحبيل
في الفترة قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان له ساحر حاذق فلما
قال للملك انى قد كبرت فابعث لي غلاما أعلمه السحر فبعث اليه غلاما يقال له عبد الله
ابن الثامر يعلمه السحر فكره الغلام ذلك ولم يجد بدا من طاعة الملك وطاعة أبيه
فجعل يختلف الى الساحر وكان في طريقه راهب حسن القراءة حسن الصوت فقعد
الغلام عنده وسمع كلامه فأعجبه وكان يبطئ عند الراهب ويأتي المعلم فيضربه ويقول
له ما الذي حبسك واذا انقلب الى أبيه يجلس عند الراهب فيضربه أبوه ويقول له ما
أبطأك فشكا الغلام ذلك الى الراهب فقال له الراهب اذا أتيت المعلم فقل له حبسني
أبي واذا أتيت أباك فقل حبسني المعلم وكان في تلك البلاد حية عظيمة قد قطعت
الطريق على الناس فرآها الغلام ورماها بحجر وقال اللهم ان كان أمر الراهب أحب
اليك من أمر الساحر فاقتلها فلما رماها اقتلها فأتى الراهب وأخبره فقال له الراهب
أنت قتلتها قال نعم قال ان لك لشأنا وقد بلغ من أمرك ما أرى وانك ستبتلى فاذا
ابتليت فلا تدل علي فكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص ويشفي المرضى وكان للملك
ابن عم مكفوف البصر فسمع بالغلام وقتله الحية فجاء مع قائد وقال له أنت قتلت
الحية قال لا قال فمن قتلها قال الله تعالى قال فمن الله قال رب السموات والارض
وما بينهما ورب الشمس والقمر والليل والنهار والدنيا والآخرة قال ان كنت صادقا
فادع الله أن يرد علي بصري فقال له الغلام أرأيت ان رد الله عليك بصرك تؤمن بالله
قال نعم قال اللهم ان كان صادقا فاردد عليه بصره فرجع الى منزله بلا قائد ثم دخل على
الملك فلما رآه تعجب منه وقال له من فعل هذا بك فقال الله قال ومن الله قال رب
السموات والارض فقال له الملك أخبرني من علمك هذا فأبى فلم يزل يعذبه حتى دله على
الغلام فجئ بالغلام فقال له الملك يا بني قد بلغ من سحرك هذا فقال له الغلام اني لا اشفي
أحدا وانما يشفي الله فلم يزل يعذبه حتى دله على الراهب فجئ بالراهب فقيل له ارجع
عن دينك فأبى فدعا بالمنشار ووضعه في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقتين ثم جئ
بابن عم الملك فقيل له ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار فشقه مثل ذلك ثم التفت
الى الغلام وقال له ارجع عن دينك فأبى فدفعه الى نفر من أصحابه وقال اذهبوا به
الى جبل كذا وكذا واصعدوا به الى ذروة الجبل فان رجع عن دينه والا فاطرحوه
فذهبوا به الى الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وهلكوا
ثم جاء الغلام يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك فقال كفانيهم الله فغاظ
الملك ذلك فدفعه الى نفر من أصحابه وقال لهم اذهبوا به في قرقور وهي للسفينة
واطرحوه في البحر ولججوا به فيه فان رجع عن دينه والا فاقذفوه في البحر وغرقوه

فذهبوا

فذهبوا به الى البحر فقال الغلام اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة
فغرقوا وجاء يمشي الى الملك فقال له الملك مافعل اصحابك قال كفانيهم الله فقال الملك
اعلوه بالسيف فنبا السيف عنه وفشا خبره فى الارض وعرفه الناس وعظموه
وعلموا انه هو وأصحابه على الحق ثم ان الغلام قال للملك انك لا تقدر على قتلى الا أن
تفعل ما آمرك به فقال وما هو قال تجمع أهل مملكتك وأنت على سريرك فتصلبنى على
جذع وترمينى بسهم وتقول بسم الله رب الغلام ففعل الملك ذلك ثم رماه وقال بسم الله
فأصابه فى صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس لا اله الا الله آمنا بدين عبد الله
ابن التامر ولا دين الا دينه فلما آمن الناس برب العالمين رب الغلام قيل للملك
قد والله نزل بك ما كنت تحذر فغضب الملك وأغلق أبواب المدينة وأخذ أفواه
السكك وخد أخدودا وملأه نارا ثم عرض الناس عليه رجلا رجلا فمن رجع عن
الاسلام تركه ومن لم يرجع ألقاه فى الاخدود فاحترق وكانت امرأة قد أسلمت فيمن
أسلم ولها أولاد ثلاثة أحدهم رضيع فقال لها الملك أترجعين عن دينك والا ألقيتك
أنت وأولادك فى النار فأبت فأخذ ابنها الاكبر فألقى فى النار ثم أخذ الاوسط وقال
لها ارجعى عن دينك فأبت فألقى أيضا فى النار ثم أخذ الرضيع وقال لها ارجعى
فأبت فأمر بالقائه فى النار فهمت المرأة بالرجوع فقال لها الصبى الصغير يا أماه
لا ترجعى عن الاسلام فانك على الحق ولا بأس عليك فألقى الصبى فى النار وأمه على
أثره وقد روى هذا بنحو ماذكرنا مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (أخبرنا)
أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسين بن جعفر المذكور باسناده عن صهيب عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل معناه وقد تكلم ستة فى المهد شاهد يوسف
الصديق عليه السلام وابن ماشطة بنت فرعون ويحيى بن زكريا وعيسى بن مريم
وصاحب جريج الراهب وصاحب الاخدود وقال سعيد بن المسيب كنا عند عمر بن
الخطاب رضى الله عنه اذ ورد عليه كتاب أنهم وجدوا ذلك الغلام بنجران وهو واضع
يده على صدغه فكلما مدت يده عادت الى الصدغ فكتب اليهم عمر واروه حيث
وجدتموه وقال مقاتل كان اصحاب الاخاديد ثلاثة واحد بنجران اليمن وآخر بالشام
وآخر بفارس حرقوا بالنار أما الذى بالشأم فأنطياخوس الرومى أحرق قوما من
المؤمنين وأما الذى بفارس فهو بختنصر وكانت قصته ما أخبرنا عبد الله بن حامد
باسناده عن ابن أبزى قال لما هزم المسلمون أهل الاسفندهار وانصرفوا جاءهم نعى عمر
فاجتمعوا وقالوا أى شئ نجرى على المجوس من الاحكام فانهم ليسوا باهل كتاب وليسوا
من مشركى العرب فقال على كرم الله وجهه بل هم أهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم
وكانت الخمرة قد أحلت لهم فتناولها ملك من ملوكهم فغلبت على عقله فتناول

اخته فوقع عليها فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لها ويحك ماهذا الذى أتيت المخرج منه فقالت المخرج منه انك تخطب الناس فتقول أيها الناس ان الله قد أ لكم نكاح الاخوات اذا ذهب هذا فى الناس تناسوا حرمته عليهم فقام في خطيبا فقال أيها الناس ان الله أحل لكم نكاح الاخوات فقال الناس باجمعه معاذ الله أن نؤمن بهذا ما جاءنا به نبى ولا أنزل علينا فى كتاب فرجع الى أخته وقال ويحك ان الناس قد أبوا على فقالت ابسط فيهم السوط فابوا أن يقروا فقال لها ار الناس قد أبوا قالت جرد فيهم السيف فأبوا أن يقروا قالت خدلهم الاخدود ثم اعرضهم عليه فمن تابعك خل عنه ومن أبى فاقذفه فى النار فخد الاخدود وأوقد فيه النيران وعرض أهل مملكته على ذلك فمن أبى قذفه فى النار ومن أجاب خلى سبيله فأنزل الله تعالى فيهم قتل أصحاب الاخدود الى قوله تعالى عذاب الحريق وأم الذى فى اليمن فهو يوسف ذو نواس بن شرحبيل بن تبع بن يشرخ الحميرى وقد ذكر قصته وذكر محمد بن اسحق بن بشار عن وهب بن منبه أن رجلا كان بقى على د عيسى فوقع الى نجران فدعاهم فأجابوه فخيرهم ذونواس بين النار أو اليهودية فا عليه فاحرق منهم اثنى عشر ألفا وقال مقاتل انما قذف فى النار يومئذ سبعة وسبع انسانا وقال الكلبى كان أصحاب الاخدود سبعين ألفا فلما قذفوا المؤمنين النار خرجت النار الى أعلى شفير الاخدود فاحرقتهم وارتفعت النار فوقهم اثنى عش ذراعا ونجى ذو نواس فسلط الله عليهم أرياط الحبشى حتى غلب على اليمن فخرج هاربا فاقتحم البحر فاغرقه الله فيه وفيه يقول عمرو بن معديكرب

أتوعدنى كأنك ذو رعين ❁ بانعم عيشة أوذو نواس
وقد ما كان قبلك فى نعيم ❁ وملك ثابت فى الناس راسى
قديم عهده من عهد عاد ❁ عظيم قاهر الجبروت قاسى
فأمسى أهله بادوا وامسى ❁ ينقل فى أناس من أناس

﴿ باب قصة أصحاب الفيل وبيان ما فيها من الفضل والشرف لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ﴾

قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل الى آخر السورة قال محمد اسحق بن بشار كان من حديث أصحاب الفيل ماذكر بعض أهل العلم عن سعيد جبير وعكرمة عن ابن عباس وعمن بقى من علماء اليمن وغيرهم أن ملكا من ملوك يقال له زرعة ذونواس كان قد تهود واجتمعت معه حمير على ذلك الا ما كان من أ نجران فانهم كانوا على دين النصرانية على حكم الانجيل ولهم رأس يقال له عبدالله السامر فدعاهم الى اليهودية فابوا فخيرهم فاختاروا القتل فخد لهم الاخدود وصنف

لهم أصناف القتل فنهم من قتل صبرا ومنهم من ألقى فى النار الا رجلا من أهل سبأ يقال له دوس بن ثعلبان فذهب على فرس له يركض حتى أعجزهم فى الرمل فاتى قيصر فذكر له ما بلغ منهم واستنصره فقال له بعدت بلادك عنا ولكنى أكتب لك الى ملك الحبشة فانه على ديننا فينصرك فكتب له الى النجاشى يأمره بنصره فلما قدم على النجاشى بعث معه رجلا من الحبشة يقال له أرياط فلما بعثه قال له ان دخلت اليمن فاقتل ثلث رجالها وأخرب ثلث بلادها وابعث الى بثلث سباياها فلما دخلها ناوشهم القتال فتفرقوا عن ذى نواس واقتحم به فرسه فاستعرض به البحر فهلك جميعا فكان آخر العهد به ودخلها ارياط فعمل بما أمره النجاشى فقال ذوجدن الحميرى فيما أصاب أهل اليمن

دعينى لا أبالك لم تطيقى ✽ لحاك الله قد انزفت ريقى
بذا عرف القيان اذ انتشينا ✽ واذا انسقى من الخمر الرحيق
وشرب الخمر ليس على عارا ✽ اذا لم يشكنى فيها رفيقى
وان الموت لا ينهاه ناه ✽ ولو شرب الشفاء من النشوق
ولا مترهب فى أسطوان ✽ يناطح جلده بيض الانوق
وغمدان الذى نبئت عنه ✽ بنوه ممسكا فى رأس نيق
لمتهمه وأسفله حروث ✽ وجر الموحل اللثق الزليق
مصابيح السليط يلحن فيه ✽ اذا يمسى كومضان البروق
فأصبح بعد جدته رمادا ✽ وغير حسنه لهب الحريق
ونخلته التى غرست اليه ✽ يكاد البسر يهصر بالعذوق
واسلم ذو نواس مستبينا ✽ وحذر قومه ضنك المضيق

قال فأقام ارياط باليمن وكتب اليه النجاشى أن اثبت بجندك ومن معك فاقام حينا ثم ان أبرهة بن الصباح ساخطه فى أمر الحبشة حتى انصدعوا صدعين فكانت معه طائفة ومعه أبرهة طائفة ثم تزاحفا فلما دنا بعضهم من بعض أرسل أبرهة الى ارياط انك لا تصنع شيأ فلا نلق الحبشة بعضها على بعض ولكن أخرج الى فاينا قتل صاحبه انضم اليه الجند فأرسل اليه انك قد أنصفت ثم انهما خرجا وكان أرياط جسيما عظيما وسيما فى يده حربة وكان أبرهة رجلا قصيرا حادرا لحيما وكان ذا دين فى النصرانية وكان خلف أبرهة وزير له يقال له عتودة فلما دنوا رفع ارياط الحربة فضرب بها رأس أبرهة فوقعت على جبينه فشرمت عينه وجبينه وأنفه وشفته فلذلك سمى أبرهة الاشرم فلما رأى عتودة ذلك حمل على ارياط فقتله فاجتمع الجيش على أبرهة فبلغ النجاشى ما صنع أبرهة فغضب عليه وحلف لا يدع أبرهة حتى يجز ناصيته ويطأ بلاده ثم انه كتب الى أبرهة انك عدوت على أميرى فقتلته بغير أمرى

وكان أبرهة رجلا ماردا فلما بلغه قول النجاشي حلق رأسه وملأ جرابا من تراب أرضه
وكتب الى النجاشي أيها الملك انما كان ارياط عبدك وأنا عبدك اختلفنا في أمرك
وكنت أعلم بأمر الحبشة وأسوس لها وكنت أردته أن يعتزل فأبى فقتلته وقد بلغني
الذي حلف عليه الملك وقد حلقت رأسي وبعثت به اليك وملأت جرابا من تراب
أرضي وبعثته اليك لتطأه الملك فيبر قسمه فلما انتهى اليه ذلك رضي عنه وأقره على
عمله وكتب اليه بأن اثبت بمن معك من الجند ثم ان أبرهة بنى كنيسة بصنعاء يقال لها
القليس ثم انه كتب الى النجاشي أني قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يبن الملك مثلها
قط ولست منتهيا حتى أصرف اليها حاج العرب فسمع بذلك رجل من بني مالك بن كنانة
فخرج الى القليس فدخلها ليلا فقعد فيها باتها ونهابها وتغضبا للكعبة فبلغ ذلك أبرهة
ويقال انه أتاها ناظرا اليها فدخلها فوجد العذرة فيها فقال من اجترأ على هذا فقيل
فعل هذا رجل من العرب من أهل ذلك البيت الذي يحجونه سمع بالذي قلت فصنعه
هذا فحلف أبرهة عند ذلك ليسيرن الى الكعبة حتى يهدمها فخرج سائرا من الحبشة
الى مكة وأخرج معه الفيل فبلغ ذلك العرب فأعظموه وفظعوا به ورأوا جهاده حقا
عليهم فخرج ملك من ملوك حمير يقال له ذو نفر بمن أطاعه من قومه فقاتله فهزمه
وأخذ ذو نفر فأتي به أبرهة فقال له أيها الملك لا تقتلني فان استبقاءك لي خير لك من
من قتلي فاستحياه وأوثقه وكان ابرهة رجلا حليما ثم خرج سائرا حتى اذا دنا من ديار
خثعم خرج اليه نفيل بن حبيب الخثعمي في قبيلتي خثعم وهما شهران وناهش ومن
اجتمع اليه من قبائل اليمن فقاتلوه فهزمهم وأخذ نفيلا أسيرا فقال له أيها الملك
اني دليلك بأرض العرب فلا تقتلني وها أنا أنادي على قومي بالسمع والطاعة لك
فاستبقاه وخرج معه يدله حتى اذا مر بالطائف خرج اليه مسعود بن معتب الثقفي
في رجال من ثقيف وقال له أيها الملك انما نحن عبيدك فليس لك عندنا خلاف وليس
بيننا هذا الذي تريد يعني به اللات انما تريد البيت الذي بمكة ونحن نبعث معك
من يدلك عليه فبعثوا أبا رغال مولاهم فخرجوا حتى اذا كانوا بالمغمس مات أبو رغال
فهو الذي ترجم قبره العرب وبعث أبرهة من المغمس رجلا من الحبشة يقال له الاسود
ابن مقصود على مقدمة خيله فجمع اليه أموالا وأصاب لعبد المطلب جد رسول الله
صلى الله عليه وسلم مائتي بعير ثم ان أبرهة بعث حناطة الحميري الى أهل مكة سفير
فقال له سل عن شريفها ثم أبلغه اني لم آت لقتال انما جئت لاهدم هذا البيت
فانطلق حناطة حتى دخل مكة فلقي عبد المطلب بن هاشم فقال له ان الملك أرسلني
اليك لاخبرك انه لم يأت لقتال الا أن تقاتلوه انما أتى لهدم هذا البيت ثم الانصراف
عنكم فقال عبد المطلب سنخلي بينه وبين ما جاء له فان هذا بيت الله الحرام وبيت

خليل

خليله ابراهيم عليه السلام فان يمنعه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه وبين ذلك فهو كذلك فوالله مالنا به قوة قال فانطلق معي الى الملك فزعم بعض العلماء انه اردفه على بغلة له كان راكبا عليها وركب معه بعض بنيه حتى قدم المعسكر وكان ذونفر صديقا لعبد المطلب فاتاه فقال له ياذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا فقال ماغناء رجل اسير لايامن من أن يقتل بكرة أو عشيا ولكني سأبعث لك الى أنيس سائس الفيل فانه صديق لي فاسأله أن يصنع لك عند الملك ما استطاع اليه من الخير ويعظم منزلتك وحظك عنده قال فارسل الى أنيس فاتاه فقال له ان هذا سيد قريش صاحب عير مكة يعطي ويطعم الناس من السهل والجبل والوحوش والطير في رؤس الجبال وقد أصاب له الملك مائتي بعير فان استطعت أن تنفعه عنده فانفعه فانه صديق لي واني احب مايصل اليه من الخير ثم ان أنيسا دخل على أبرهة هو وعبد المطلب فقال له يها الملك هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والجبل والطير والوحش في رؤس الجبال وقد جاءنا غير ناصب لك حربا ولا يخالف عليك ستأذن عليك وأنا أحب ان تأذن له فيكلمك فاذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما سيما فلما دخل عليه جلس بين يديه فأقامه واجلسه معه على السرير ثم قال لترجمانه ل له ماحاجتك فقال له الترجمان ذلك فقال له عبد المطلب حاجتي أن يرد على مائتي عير اصابها الى فقال أبرهة لترجمانه قل له لقد كنت أعجبتني حين رأيتك ولقد زهدت بك الآن فقال له ولم قال حيث جئت الى بيت هو دينك ودين آبائك لاهدمه م تكلمني فيه وتكلمني في مائتي بعير اصبتها فقال له عبد المطلب قل له أنا رب هذه الابل ولهذا البيت رب سيمنعه منك قال ماكان ليمنعه مني فقال له أنت وذلك ثم امر له بابله فردت عليه قال محمد بن اسحق وكان فيما يزعم بعض أهل العلم أن عبد المطلب قد ذهب الى أبرهة بعمرو بن معدي كرب بن الديل بن بكر بن عبد مناف بن كنانة وهو يومئذ سيد بني كنانة وخويلد بن واثلة الهزلي وهو يومئذ سيد هزيل فعرضوا على أبرهة ثلث اموال تهامة على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت فأبى ان يرجع قال فلما ردت الابل على عبد المطلب رجع فأخبر قريشا الخبر وامرهم أن يتفرقوا في الشعاب ويتحرزوا في رؤس الجبال تخوفا عليهم من معرة الجيش اذا دخل ففعلوا ذلك ثم أتى عبد المطلب الى الكعبة فاخذ حلقة الباب وجعل يقول

يارب لاأرجولهم سواكا ✻ يارب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا ✻ فامنعهم أن يخربوا قراكا

وقال أيضا

لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

لايغلبن صليبهم * ومحالهم ابدا محالك
جروا جموع بلادهم * والفيل كى يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم * جهلا ومارقبوا جلالك
ان كنت تاركهم وكعبتنا فأمر ما بدا لك

ثم ان عبد المطلب ترك الحلقة وتوجه فى بعض الوجوه مع قومه واصبح أبرهة بالمغمس وقد تهيأ لدخول مكة وعبى جنشه وهيأ فيله وكان اسم الفيل محمودا وكان من قبل النجاشى بعثه الى أبرهة وكان فيلا لم ير مثله فى الارض عظما وقوة وجسما وقال الكلبى لم يكن عندهم الا ذلك الفيل الواحد فلذلك قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل وقال الضحاك كانت الفيلة كثيرة ويقال كان معه اثنى عشر فيلا وانما وحده على هذا التأويل لوفاق رؤس الآى ويقال نسبهم الى الفيل الاعظم قالوا فاقبل نفيل الى الفيل الاعظم فأخذ باذنه وقال ابرك محمود وارجع راشدا من حيث جئت فانك فى بلد الله الحرام فبرك الفيل فبعثوه فأبى أن يقوم فضربوه بالمعول فى رأسه فأبى فأدخلوا محاجنهم تحت مراقه ومرافقه ورفعوه ليقوم فأبى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول ثم وجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ثم وجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك فصرفوه الى الحرم فبرك وأبى أن يقوم ثم ان نفيلا خرج من عندهم وصعد فى الجبل وأرسل الله تعالى طيرا من البحر كأمثال الخطاطيف مع كل طير منهم ثلاثة احجار حجران فى رجليه وحجر فى منقاره امثال الحمص والعدس فلما غشيت القوم أرسلتها عليهم فلم تصب تلك الحجارة احدا الا اهلكته وليس كل القوم اصابت فذلك قوله تعالى طيرا أبابيل أى متفرقة من ههنا وههنا قال ابن عباس كان لها خراطيم كخراطيم الطيور واكف كاكف الكلاب وقال عكرمة كان لها رؤس كرؤس السباع ولم تر قبل ذلك ولا بعده وقال ربيع لها أنياب كأنياب السباع وقال سعيد بن جبير طير خضر لها مناقير صفر وقال ابو الجوزاء انشأها الله فى الهواء فى ذلك الوقت ترميهم بحجارة من سجيل ٣ أى سنك كل قال ابن مسعود صاحت الطير ورمتهم بالحجارة وبعث الله ريحا فضربت الحجارة فزادتها قوة فما وقع منها حجر على جنب رجل الا خرج من الجانب الآخر واذا وقع على رأس رجل خرج من دبره فجعلهم كعصف مأكول أى كزرع قد أكل حبه وبقى تبنه فلما رأت الحبشة ذلك خرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذى جاؤا منه ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق فقال نفيل بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته

أين المفر والاله الطالب * والاشرم المغلوب غير الغالب

وقال أيضا فى ذلك

الا

قوله وانما وجهه الخ المراد ان الافراد فى الآية على هذا القول لوفاق رؤس الآى اه

٣ قوله اى سنك كل لفظ فارسى معربه سجيل

ألا حييت عنا يا ردينا ❊ نعمنا كم مع الاصباح عينا
ردينة لو رأيت ولم تريه ❊ لدى جنب المحصب ما رأينا
اذا لعذرتني وحمدت أمري ❊ ولم تأسي على مافات بينا
حمدت الله اذ عاينت طيرا ❊ وخفت حجارة ترمى علينا
وكل القوم يسأل عن نفيل ❊ كأن على للحبشان دينا

وذكر زياد عن عبد الله بن عمر أن طيرا الابابيل كانوا أقبلوا من قبل البحر لرجال الهند ترميهم بحجارة أصغرها مثل رؤس الرجال وأكبرها كالابل البزل مارمت أصابت وما أصابت قتلت ونفيل ينظر اليهم من بعض تلك الجبال وقد خرج القوم وصاح بعضهم على بعض فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل وبعث الله تعالى على أبرهة داء في جسده فجعل تتساقط أنامله كلما سقطت أنملة أتبعتها أنملة وقيح ودم فانتهى الى صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فيما بقي من أصحابه فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم هلك * وزعم مقاتل بن سليمان ان السبب الذي جر حديث أصحاب الفيل هو أن فئة من قريش خرجوا تجارا الى أرض النجاشي فساروا حتى دنوا من ساحل البحر وفي سند حقف من أحقافها بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل ويسميها النجاشي وأهل أرضه الماسرخسان فنزل القوم في سندها فجمعوا حطبا وأججوا نارا واشتووا لحما فلما ارتحلوا تركوا النار كما هي في يوم صائف فهجت الرياح فاضطرم الهيكل نارا وانطلق الصريخ الى النجاشي فأخبروه فأسف عند ذلك غضبا للبيعة فبعث أبرهة لهدم الكعبة وكان بمكة يومئذ أبو مسعود الثقفي وكان مكفوف البصر يصيف بالطائف ويشتو بمكة وكان رجلا نبيها نبيلا عاقلا وكان لعبد المطلب خليلا فقال عبد المطلب يا أبا مسعود هذا يوم لا نستغني فيه عن رأيك فما رأيك فقال أبو مسعود لعبد المطلب أعمد الى مائة من الابل فأجعلها هديا لله تعالى وقلدها نعلا وأثبتها في الحرم لعل بعض هؤلاء السودان يعقر منها فيغضب رب هذا البيت فيأخذهم ففعل ذلك عبد المطلب فعمد القوم الى تلك الابل فحملوا عليها وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب يدعو فقال أبو مسعود ان لهذا البيت ربا سيمنعه فقد نزل تبع ملك اليمن بصحراء هذا البيت وأراد هدمه فمنعه الله وابتلاه وأظلم عليه ثلاثة أيام فلما رأى ذلك تبع كساه القباطي البيض وعظمه ونحر له جزرا ثم قال أبو مسعود لعبد المطلب انظر الى بحر اليمن هل ترى شيأ فقال أرى طيرا بيضا نشأت من جانب البحر وحلقت على رؤسنا فقال له هل تعرفها فقال عبد المطلب والله ما أعرفها ما هي بنجدية ولا تهامية ولا عربية ولا شامية وانها تطير بأرضنا غير مؤنسة قال ما قدرها قال أمثال اليعاسيب في منا قيرها حصى كأنها حصى الخزف قد أقبلت كالليل المظلم

يتبع بعضها بعضا امام كل فرقة طير يقودها أحمر المنقار أسود الراس طويل العنق فجاءت حتى اذا حاذت عسكر القوم ركدت فوق رؤسهم فلما توافت الرجال كلها بحيالها أهالت الطير ما فى مناقيرها على من تحتها مكتوب على كل حجر اسم صاحبه ثم انها رجعت من حيث جاءت فلما أصبح عبد المطلب وأبو مسعود انحطا من ذروة الجبل فشيا ربوة فلم يؤنسا أحدا ثم انهما مشيا فلم يسمعا حسا فقالا لبعضهما بات القوم سامدين فاصبحوا نياما فلما دنوا من معسكر الفيل فاذا هم خامدون وكان الحجر ينزل على بيضة أحدهم فيفجرها ويقع فى دماغه ويخرق الفيل والدابة ويغيب الحجر فى الارض من شدة وقعه ثم ان عبد المطلب أخذ فاسا وحفر حتى أعمق فى الارض فملأها من الذهب الاحمر والجوهر الجيد ثم حفر لصاحبه حفرة فملأها ثم قال لابى مسعود هات خاتمك وأخيرك فاختر فان شئت أخذت حفرتى وان شئت أخذت حفرتك وان شئت فهمالك معا فقال له أبو مسعود اختر لى على نفسك فقال عبد المطلب انى جعلت أجود المتاع فى حفرتى فهو لك ثم جلس كل واحد منهما على حفرته ونادى عبد المطلب فى الناس فرجعوا وأصابوا من فضلها حتى ضاقوا بذلك ذرعا وساد عبد المطلب بذلك على قريش وأعطته الرياسة فلم يزل أبو مسعود وعبد المطلب غنيين من ذلك المال الى أن ماتا ❊ وقال الواقدى بأسانيده أغزا النجاشى أرياط فى أربعة آلاف الى اليمن فغلب عليها فاكرم الملوك واستذل الفقراء فقام رجل من الحبشة يقال له أبرهة الاشرم أبو يكسوم فدعا الى طاعته فأجابوه فقتل أرياط وغلب على اليمن فرأى الناس يتجهزون أيام الموسم للحج فسأل أين تذهب الناس فقيل يحجون بيت الله بمكة قال فما هو قال من حجر قال فما كسوته قالوا ما يأتى من ههنا من الوصائل فقال والمسيح لابنين خيرا منه فبنى لهم بيتا بالرخام الابيض والاسود والاحمر والاصفر وحلاه بالذهب والفضة وحفه بالجواهر وجعل له أبوابا عليها صفائح الذهب ومسامير الذهب ورصعها بالجواهر وجعل فيها ياقوتة حمراء وجعل لها حجابا وكان يوقد بالمندل ويلطخ جدرانه بالمسك حتى تغيب الجواهر وأمر الناس بحجه فحجه كثير من قبائل العرب سنين ومكث فيه رجال يتعمدونه ويتنسكون فامهل نفيل الخثعمى حتى كان ليلة من الليالى لم ير أحدا يتحرك فجاء بعذرة فلطخ بها قبلته والتى فيه الجيف فاخبر أبرهة بذلك فغضب أبرهة غضبا شديدا وقال انما فعلت العرب ذلك غيظا لاجل بيتهم ثم انه قال لانقضنه حجرا حجرا ثم انه كتب الى النجاشى يخبره بذلك ويسأله أن يبعث اليه بفيله محمود وكان فيله لم ير مثله فى الارض عظما وجسما وقوة فبعثه اليه فغزا البيت كما ذكرنا الى أن قال أقبلت الطير من البحر أبابيل مع كل طير ثلاثة أحجار حجران فى رجليه وحجر فى منقاره فقذفت الحجارة عليهم لاتصيب شيأ الا هشمته

وبعث

وبعث الله سيلا أتى عليهم فذهب بهم الى البحر فالقاهم فيه وولى أبرهة ومن معه هاربا فجعل أبرهة يسقط عضوا عضوا حتى مات وأما محمود فيل النجاشي فربض ولم يشجع على الحرم فنجا وأما الفيلة الاخر فشجعت فحصبت وهلكت وهو أول وقت رؤي به الجدري والحصبة وقال أمية بن أبي الصلت في ذلك

ان آيات ربنا بينات * مايماري بهن الا الكفور
حبس الفيل بالمغمس حتى * ظل يحبو كأنه معقور
حوله من رجال كندة فتيا * ن مصاليت في الحروب صقور
غادروه وقد تولوا سراعا * كلهم عظم ساقه مكسور

وقال الكلبي لما أهلكهم الله بالحجارة لم يفلت منهم الا أبرهة الاشرم بن يكسوم فسار وطائر يطير فوقه ولم يشعر به حتى دخل على النجاشي فاخبره بما أصابهم فلما فستتم كلامه حتى رماه الطائر فسقط ميتا فارى الله النجاشي كيف كان هلاك أصحابه وقال الواقدي كان أبرهة جد النجاشي الذي كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به واختلفوا في تاريخ عام الفيل فقال مقاتل كان أمر الفيل قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة وقال عبيد بن عمير والكلبي كان قبل مولده بثلاث وعشرين سنة وقال آخرون كانت قصة الفيل في العام الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا أكثر العلماء وهو الصحيح يدل عليه ما أخبرنا أبو بكر الجوزقي قال حدثنا عبد العزيز بن أبي ثابت حدثنا الزبير بن موسى عن أبي الجوزاء قال سمعت عبد الملك بن مروان يقول لغياث بن أسيم الكناني ياغياث أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر مني وأنا أسن منه ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل ووقفت بي أمي على روث الفيل ويدل عليه أيضا ماروى أن عائشة رضي الله عنها قالت رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة عميين مقعدين يستطعمان فلما كفى الله أمر أصحاب الفيل عظمت العرب قريشا قالوا هم أهل الله وان الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم والله عز وجل أعلم وأحكم وحسبنا الله ونعم الوكيل

اللهم قد أحاط بنا العجز عن أن نقوم بشكر نعمائك فاليك نشرع في تحمل حمدك على تشريف هذا النوع ببعثة صفوتك أنبيائك وصلاة وسلاما على سيد الانبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد فقد اتقنت يد المطبعة الشرفية المصرية طبع كتاب عرائس المجالس وفاء بحقه الاكيد اذ قص علينا من أنباء بعض الانبياء وغيرهم ما عليه من مزيد وقد أطلت شمس تمامه في غرة ذي القعدة الحرام من سنة سبع وتسعين بعد ألف ومائتين من هجرته عليه وآله الصلاة والسلام

فهرست كتاب قصص الانبياء المسمى بعرائس المجالس

	صحيفة
باب فى ذكر وجوه الحكمة فى تقصيصه تعالى أخبار الماضين على سيد المرسلين	٢
مجلس فى صفة خلق الارض	٤
الباب الاول فى بدء خلق الارض وكيفيتها	
الباب الثانى فى حدود الارض ومسافتها وأطباقها وسكانها	٦
الباب الثالث فى ذكر الايام التى خلق الله تعالى فيها الارض	٨
الباب الرابع فى ذكر أسمائها وألقابها	
الباب الخامس فى ذكر ما زين الله به الارض	٩
الباب السادس فى عاقبتها وما لها وآخر حالها	
الباب السابع فى وجوه الارض المذكورة فى القرآن	١٠
مجلس فى ذكر خلق السموات وما يتصل بها	
الباب الاول فى بدء خلق السموات	١١
الباب الثانى فى جواهرها وأجناسها	
الباب الثالث فى هيئتها وحدودها	
الباب الرابع فى أسمائها وألقابها	
الباب الخامس فى ذكر الايام التى خلق الله الاشياء فيها	١٣
الباب السادس فى ذكر ما زين الله به السموات	١٤
الباب السابع فى ذكر ما لها وآخر حالها	١٦
مجلس فى ذكر خلق الشمس والقمر وصفة سيرهما وبدء أمرهما ومعادهما	
مجلس فى قصة آدم عليه الصلاة والسلام وهو يشتمل على أبواب كثيرة	٢٣
الباب الاول فى ذكر وجوه من الحكمة فى خلق آدم عليه السلام	
الباب الثانى فى خلق آدم عليه الصلاة والسلام وكيفيته وصفته	٢٤
الباب الثالث فى صفة نفخ الروح	٢٦
الباب الرابع فى صفة خلق حواء	٢٧
الباب الخامس فى ذكر امتحان الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام	٢٨
فصل وابتليت حواء الخ	٣١
الباب السادس فى حال آدم بعد هبوطه الى الارض وما كان منه	٣٢
الباب السابع فى ذكر هبوط ابليس لعنه الله الى الارض وحاله فيها بعد اللعنة	٣٨
الباب الثامن فى ذكر ما روى من الاخبار فيمن تراءى له ابليس الخ	٣٩
الباب التاسع فى قصة قابيل وهابيل	٤٠

صحيفة

٤٤ الباب العاشر فى ذكر وفاة آدم عليه السلام
٤٥ باب فى الخصائص التى خص الله بها آدم عليه السلام
٤٦ مجلس فى ذكر النبى ادريس عليه السلام
٤٧ قصة هاروت وماروت
٥١ مجلس فى قصة نوح عليه السلام
٥٦ ذكر خصائص نوح عليه السلام
٥٧ مجلس فى قصة هود عليه السلام
٦٢ مجلس فى قصة صالح عليه السلام
٦٨ مجلس فى قصة ابراهيم عليه السلام والنمروذ
الباب الاول فى مولد ابراهيم عليه السلام
٧٠ الباب الثانى فى خروج ابراهيم عليه السلام من السرب الخ
٧٥ الباب الثالث فى ذكر مولد اسمعيل واسحق عليهما السلام
٧٩ الباب الرابع فى القول على بقية قصة زمزم
٨١ الباب الخامس فى صفة بناء الكعبة و بدء أمرها الى وقتنا هذا
٨٦ الباب السادس فى ذكر أمر الله تعالى خليله عليه السلام بذبح ولده
٩١ الباب السادس فى هلاك النمروذ بن كنعان
٩٢ الباب السابع فى ذكر وفاة سارة وهاجر وذكر وفاة أزواج ابراهيم وولده
٩٣ الباب الثامن فى ذكر وفاة ابراهيم عليه السلام
الباب التاسع فى ذكر خصائص ابراهيم عليه السلام
٩٥ مجلس فى ذكر بعض أخبار اسمعيل واسحق ابنى ابراهيم عليه السلام
٩٧ مجلس فى قصة لوط عليه السلام
١٠١ مجلس فى قصة يوسف بن يعقوب واخوته عليهم السلام
١٠٢ الباب الاول فى ذكر نسبه عليه السلام
١٠٣ الباب الثانى فى صفة يوسف عليه السلام وحليته ونعت خلقه وصفة صورته
١٠٤ القول فى القصة
١٣٥ مجلس فى قصة موسى بن منشا بن يوسف عليه السلام
١٣٦ مجلس فى ذكر بقية عاد وقصة شديد وشداد وصفة ارم ذات العماد
١٤١ مجلس فى ذكر قصة أصحاب الرس
١٤٦ مجلس فى ذكر قصة نبى الله أيوب و بلائه عليه السلام
١٥٦ مجلس فى قصة ذى الكفل عليه السلام

صحيفة

١٥٧ مجلس فى ذكر قصة شعيب النبى عليه السلام
١٥٩ مجلس فى ذكر صفى الله ونجيه موسى بن عمران عليه السلام
الباب الاول فى ذكر نسب موسى عليه السلام
الباب الثانى فى ذكر مولد موسى عليه السلام
١٦٤ الباب الثالث فى ذكر حلية موسى بن عمران وهرون عليهما السلام
الباب الرابع فى قصة قتله القبطى وخروجه من مصر وورود مدين
١٦٦ الباب الخامس فى دخول موسى مدين وتزويج شعيب ابنته اياه
١٦٧ الباب السادس فى ذكر نعت عصا موسى وبدء أمرها
١٦٨ الباب السابع فى صفة المآرب التى كانت فيها لموسى
١٧٠ الباب الثامن فى ذكر خروج موسى عليه السلام من مدين الخ
١٧٤ الباب التاسع فى ذكر دخول موسى وهرون على فرعون
١٧٦ الباب العاشر فى قصة موسى وهرون مع فرعون والسحرة
١٧٩ الباب الحادى عشر فى قصة حزقيل مؤمن آل فرعون وامرأته
الباب الثانى عشر فى ذكر آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومقتلها
١٨٠ الباب الثالث عشر فى بناء الصرح
١٨١ الباب الرابع عشر فى ذكر الآيات التى ابتلى الله بها فرعون وقومه
١٨٢ باب فى صفة تنزيل هذه الآيات وتفصيلها وكيفيتها
١٨٣ فصل فى بعض ما ورد من الاخبار الغريبة فى الجراد
١٨٧ الباب الخامس عشر فى قصة اسراء موسى عليه السلام ببنى اسرائيل
١٨٨ فصل قالوا لما سار موسى ببنى اسرائيل من مصر الخ
١٩١ الباب السادس عشر فى قصة ذهاب موسى الى الجبل لميقات ربه
١٩٤ فصل فى نسخة العشر الكلمات التى كتبها الله تعالى لموسى نبيه
١٩٨ باب فى ذكر قصة بنى اسرائيل وهرون مع السامرى حين اتخذلهم العجل
٢٠٣ باب فى قصة قارون حين عصى ربه وموسى واستكبر
٢٠٧ باب فى قصة موسى حين لقى الخضر وما جرى بينهما من العجائب
٢١٠ فصل فى ذكر جمل من أخبار الخضر عليه السلام واحواله
فصل فى بدء أمر الخضر عليه السلام
٢٢٠ باب فى ذكر قصة عاميل قتيل بنى اسرائيل وقصة البقرة
٢٢٣ باب فى ذكر بناء بيت المقدس والقربان والتابوت والسكينة وصفة النار
التى كانت تأكل القربان وما أمر به موسى عليه السلام من ذلك

صحيفه

٢٢٥ باب فى ذكر مسير بنى اسرائيل الى الشأم حين جاوزوا البحر وصفة حرب الجبارين وقصة التيه وما يتعلق بذلك
فصل فى فضل الشأم وأهله
٢٢٦ ذكر قصة بلعام بن باعوراء
٢٢٩ باب فى ذكر النقباء الذين اختارهم موسى ليكونوا كفلاء على قومهم حين بعثه اياهم الى أرض كنعان جواسيس له ولقومه
٢٣٠ فصل فى ذكر جمل من اخبار عوج بن عنق واحواله
٢٣٢ باب فى ذكر النعمة التى انعم الله بها على بنى اسرائيل فى التيه وخصهم بذلك ورفع عنهم الهلاك كرامة لنبيه وصفيه موسى عليه السلام
٢٣٤ باب فتح اريحاء ونزول بنى اسرائيل الشأم
٢٣٥ قصة وفاة هرون عليه السلام
ذكر وفاة موسى عليه السلام
٢٣٨ مجلس فى ذكر الانبياء والملوك الذين قاموا بأمور بنى اسرائيل بعد يوشع وقصة كالب عليه السلام
٢٣٩ ذكر خبر حزقيل عليه السلام
٢٤١ باب فى قصة الياس عليه السلام
٢٤٧ قصة اليسع عليه السلام
٢٤٩ مجلس فى قصة ذى الكفل عليه السلام
٢٥٠ مجلس فى قصة عيلى وشمويل وهو اسمعيل بالعبرانية وقصة التابوت وخبر طالوت وجالوت الخ
فصل فى سياق آية الم تر الى الملأ الآية ومقدمة القصة
٢٥١ القول فى بدء أمر شمويل وصفة نبوته صلى الله على نبينا وعليه وسلم
٢٥٣ ذكر قصة الملك طالوت واتيان التابوت وحرب جالوت وما يتعلق به
٢٥٤ قصة التابوت وصفته وابتداء أمره الى انتهائه
٢٥٧ باب فى قصة شمويل حين اوحى الله اليه أن يأمر طالوت بالمسير الى قتال جالوت مع بنى اسرائيل وصفة نهر الابتلاء
٢٥٨ باب فى ذكر أمر داود عليه السلام وخبر جالوت وصفة قتله
٢٦٠ ذكر بقية قصة طالوت وما كان منه لداود عليه السلام بعد قتل جالوت
٢٦٢ مجلس فى خلافة داود عليه السلام وما يتعلق بها

صحيفه

٢٦٣ باب فى ذكر نسبه عليه السلام
باب فى ذكر صفته وحليته
باب فى ذكر ما خص الله تعالى به نبيه دواد عليه السلام من الفضل والكرامات حين اعطاء النبوة والملك
٢٦٦ باب فى قصة داود عليه السلام حين ابتلى بالخطيئة وما يتصل بذلك
٢٧٤ باب فى ذكر خروج ابن داود على ابيه وما كان من أمرهما
باب فى قصة أصحاب السبت
٢٧٦ باب فى قصة داود وسليمان عليهما السلام فى الحرث
٢٧٧ باب فى قصة استخلاف داود ابنه سليمان عليهما السلام وذكر بدء امر الخاتم
٢٧٨ باب فى ذكر وفاة داود عليه السلام
٢٧٩ مجلس فى قصة سليمان عليه السلام وما يتعلق به
باب فى صفة حليته عليه السلام
باب فيما خص الله به نبيه سليمان عليه السلام حين ملكه من انواع المناقب والمواهب وغير ذلك
٢٩٠ حديث القبة
٢٩١ قصة مدينة سليمان عليه السلام التى كان يسافر بها فى الهواء
٢٩٢ صفة كرسى سليمان عليه السلام
٢٩٧ باب فى قصة بلقيس ملكة سبأ والهدهد وما يتصل به
٢٩٩ صفة القصر الذى بنته بلقيس
٣٠٨ باب فى ذكر غزوة سليمان عليه السلام أبا زوجته الجرادة وخبر الشيطان الذى اخذ خاتمه من يده وسبب زوال ملكه
٣١٢ باب فى ذكر وفاة سليمان عليه السلام
٣١٤ مجلس فى قصة بختنصر وخبر شعياء وأرمياء ودانيال وعزير
قصة شعياء عليه السلام
٣١٩ قصة أرمياء عليه السلام
٣٢٤ قصة دانيال عليه السلام
٣٢٦ خبر وفاة دانيال عليه السلام
٣٢٩ باب فى ذكر الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها
٣٣١ باب فى ذكر تمام قصة عزير عليه السلام وحاله بعد ما رجع الى قومه

صحيفه

٣٣٣ مجلس فى ذكر غزو بختنصر العرب وقصة يوحنا بن برخيا وخراب حضور
٣٣٤ مجلس فى ذكر لقمان الحكيم عليه السلام وذكر بعض مواعظه وحكمته ووصيته لابنه
٣٣٥ باب فى ذكر بعض ماروى من حكم لقمان ومواعظه المذكورة فى القرآن
٣٣٧ مجلس فى قصة بلوقيا
٣٤٥ مجلس فى ذكر قصة ذى القرنين عليه السلام
باب فى نسبه ولقبه عليه السلام
باب فى ذكر بدء أمره وسبب استكمال ملكه
٣٤٦ باب فى ذكر الحوادث التى كانت فى أيام ذى القرنين بعد قتل دارا الخ
٣٥٠ باب فى صفة سد ذى القرنين ومايتعلق به
٣٥٢ باب فى دخول ذى القرنين الظلمات ممايلى القطب الشمالى لطلب عين الحياة
٣٥٦ مجلس فى قصة زكريا وابنه يحيى ومريم وعيسى عليهم السلام
باب فى ذكر مولد مريم عليها السلام وخبر تحريرها
٣٥٩ باب فى ذكر مولد يحيى بن زكريا عليهما السلام
٣٦١ باب فى صفته وحليته عليه السلام
فصل فى نبوته وسيرته وذكر زهده وجهده
٣٦٣ باب فى مقتله عليه السلام
٣٦٥ ذكر مقتل زكريا عليه السلام
٣٦٦ مجلس فى مولد عيسى عليه السلام وفى حمل مريم به ومايتصل بذلك
٣٦٧ باب فى ذكر ميلاده عليه السلام
٣٧٠ باب فى رجوع مريم بابنها عيسى بعد ولادتها اياه الى جماعة قومها من بيت لحم
٣٧١ باب فى ذكر خروج مريم وعيسى عليهما السلام الى مصر
٣٧٢ باب فى صفة عيسى وحليته عليه السلام
باب فى ذكر الآيات والمعجزات التى ظهرت لعيسى عليه السلام فى صباه
٣٧٤ باب فى ذكر رجوع مريم وعيسى عليهما السلام الى بلادهما بعد موت هردوس
٣٧٥ باب فى قصة الحواريين عليهم السلام
٣٧٦ ذكر خصائص عيسى عليه السلام والمعجزات التى ظهرت على يديه بعد مبعثه الى أن رفع صلوات الله عليه
٣٧٩ ذكر حديث جامع فى هذا الباب

صحيفه

نزول [illegible]

٣٨٥ ذكر نزول عيسى من السماء بعد رفعه بسبعة أيام

٣٨٧ ذكر وفاة مريم ابنة عمران عليهما السلام

ذكر نزول عيسى عليه السلام من السماء فى المرة الثانية فى آخر الزمان

٣٨٨ باب فى قصة الرسل الثلاثة الذين بعثهم عيسى عليه السلام الى انطاكية

٣٩٠ قصة يونس بن متى عليه السلام

٣٩٤ باب فى قصة أصحاب الكهف

٤١٢ مجلس فى ذكر جرجيس عليه السلام

٤١٨ باب فى قصة شمسون النبى عليه السلام

٤١٩ باب فى قصة أصحاب الاخدود

٤٢٢ باب فى قصة أصحاب الفيل و بيان ما فيها من الفضل والشرف لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم

(تمت الفهرست)